

A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



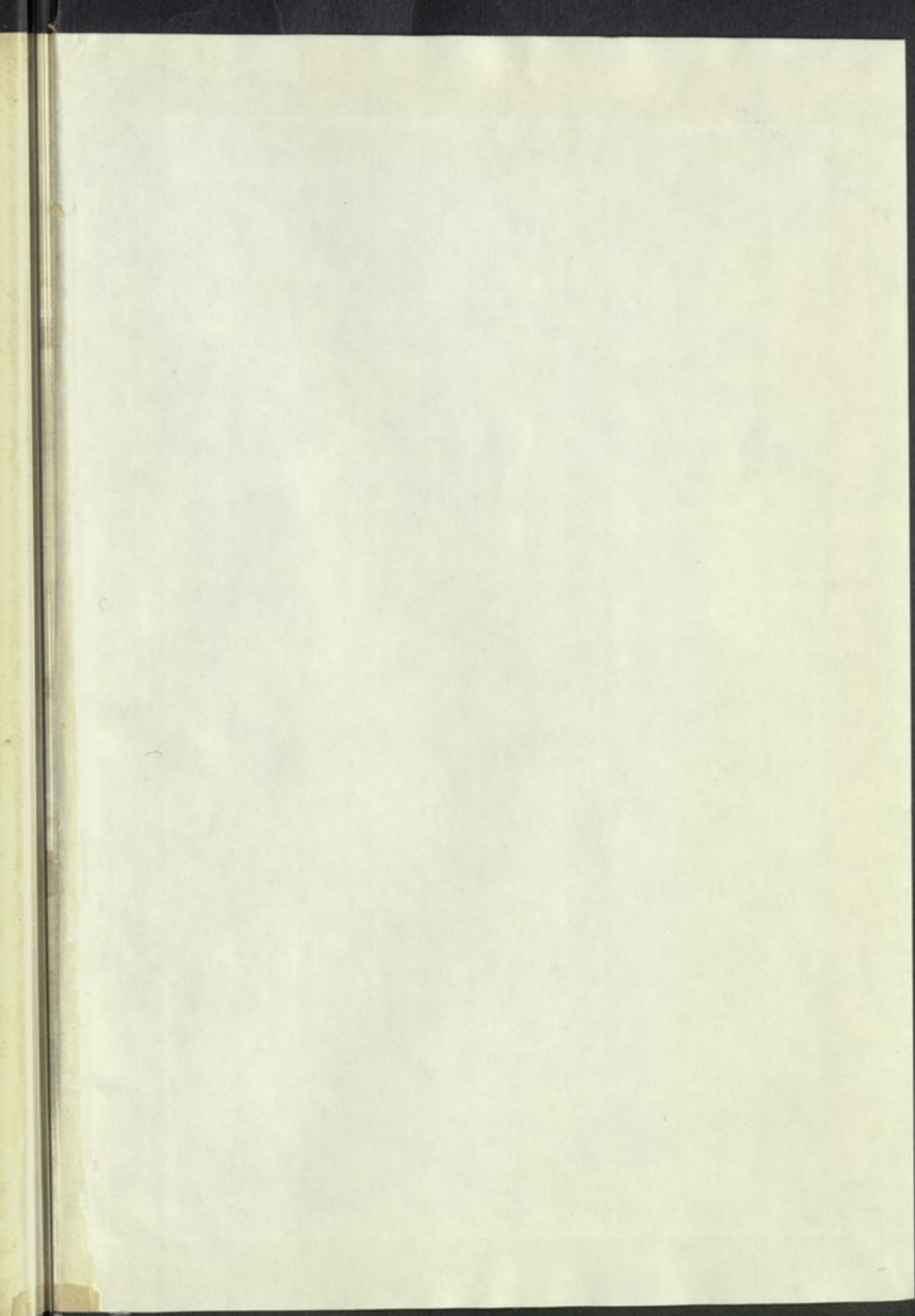
A. U. B. LIBRARY

1912

1912

1912

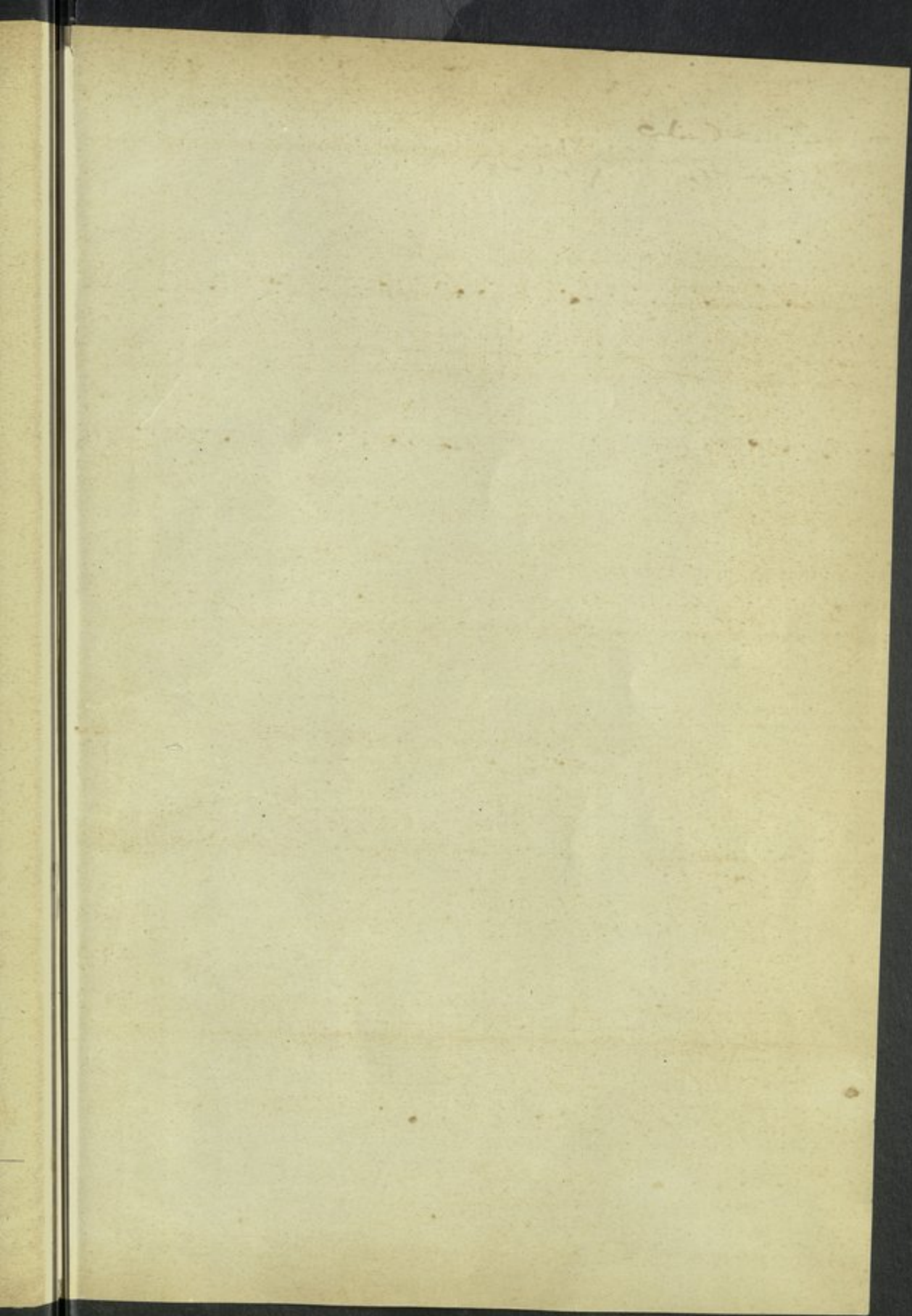
1912



Estado

revis.

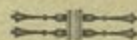
21
1/1/17



CA
930
B82u2A

العصو الفيلة

وهو تمهيد لدرس التاريخ القديم واعمال الانسان الاول



تأليف

الدكتور حبيب بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله

استاذ تاريخ الشرق ورئيس دائرة اللغات والعلوم الشرقية في جامعة شيكاغو
وعضو اكاديمية العلوم في برلين

نقله الى العربية

داود قيات

احد اساتذة جامعة بيروت الاميركية

AUB Faculty or
AUB related
publication

طبع ثانية في المطبعة الاميركانية سنة ١٩٣٠

مقدمة المحرر

ان هذا الكتاب الذي ترفه الآن الى ابناؤنا الشرق الادنى بجملة عربية هو بلاء مراد افضل كتاب مدرسي في تاريخ العالم القديم باللغة الانكليزية. ومؤلفه الاستاذ براستد اعظم مؤرخ اميركاني كتب في تاريخ الشرق. وهو من نخبة الكتاب المجيدين في اللغة الانكليزية. له في الكتابة اسلوب انيق رشيق يجلب الالباب بجلا. معانيه ومثانه مبانيه ولم يجد محرر هذا الكتاب وناشره على السعي في ترجمته الى اللسان العربي مجرد الرغبة في ان يتحف طلبة العلم في الشرق بما طالما شعر انهم في حاجة اليه - بتاريخ عصري يشتمل على نبيا نشوء العمران في بلدان البحر المتوسط وتاريخه القديم - بل ان يعرفهم ايضا بمؤلفه الاستاذ براستد الذي لم يدخر وسعا في جعل بلاد الشرق الادنى معروفة ومشهورة لدى الغرب. فاذا كان هذا الكتاب يساعد على ايقاظ روح الحمية العربية في صدور ابناؤنا الشرق الادنى ويحدوهم على الاهتمام بتاريخ بلادهم في العصور الاولى وبما حبت به «المدنية الغربية» من الهبات الجسام، فلا يكون ما بُذل في سبيل اعداده من الجهد والفكر قد ذهب سدى. واذا كان مع ذلك ينه مطالعيه الى قيمة الميراث الثمين الذي خلفه اسلافهم للعلم والحضارة - ذلك الميراث الذي قاوى صروف الدهر ونكبات الحرب وعوامل الدثور وبقي الى ايامنا نجوه، في اطلال وانقاض المدنيات السالفة التي تحققت بنا - كان في ذلك

خير جزاء للمحرر والمترجم لانهما يشعران اذ ذاك بانهما قد اديا الى الناطقين بالضاد خدمة حقيقية

يمل المتطرفون من اخواننا في الديار الاسلامية الى حسابان كل ما سبق محي. النبي محمد كأنه محتض بعالم آخر غير عالمنا الحاضر فلا يستحق ان يؤبه له كثيراً. ولا ينبغي ان ذلك قاتل لفهم تاريخ الشعوب الاسلامية فهماً صحيحاً. لان العمران والحضارة لم يبتدئا من عصر النبي. ومهما كانت التغيرات التي طرأت على احوال الشرق بعد ظهور النبي فان اسس الهيئة الاجتماعية، وفكرة الحكومة الاساسية واصول الشريعة - جميع هذه وكثير غيرها من مظاهر الحضارة الشرقية قد دخلت التمدن الاسلامي متحددة من ازمان قديمة سبقت ظهور الاسلام بعد تعديل طفيف طراً عليها. فالحضارة ليست خلقاً جديداً وُجد بوجود الديانة الجديدة. وبالاختصار انه لا يمكن فهم تاريخ الشرق الادنى منذ ظهور الاسلام فهماً حقيقياً ما لم يتركز ذلك على فهم تاريخ البلدان التي نشأت قبل زمان النبي فهماً جيداً لان تاريخ كل شعب من شعوب الارض هو وحدة او حلقه من سلسلة تاريخ السلالة البشرية

ولا تزال دماء الذين دانوا لسلطان الفراعنة، وملوك بابل، وامبراطرة اشور وبلاد الحثيين، وامراء الحكومات المدنية في فلسطين وسورية، تجري في عروق الشعوب الذين يقيمون في تلك البلدان التي كانت فيها كهات اولئك الاقوال العظام شرائع تجب الطاعة لها. والاخلاق والمعادن الراسخة فيهم والظاهرة في حياتهم وافكارهم تمتد اصولها الى ازمان متراخية في القدم وقد عجزت العوادي الدينية والسياسية عن ان تجتث تلك الاصول. ونقول ولا نخشى الخطأ انه لو اقام سكان بلاد الشرق الادنى الآن في مدن اشور او فينيقية او مصر التي قد مرّ على كيانها اربعة آلاف سنة لشعروا بانها وطنهم اكثر مما يشعر الجرمانى او الفرنسيون او الانكليزي بان المدينة التي يقيم فيها ولم يرّ على وجودها اكثر من الف سنة، هي وطنه. ولنا في هذه الحقيقة الناصعة اقوى حجة على طلبة العلم الشرقيين لوجوب مسارعهم الى البحث والتنقيب عن تاريخ وطنهم الشرق القديم. وللمحرر امل كبير بان هذا الكتاب سيكون ذريعة فعالة لاقناع مطالعيه ابناء الشرق الادنى بهذه الحقيقة الواضحة

ولما كان المؤلف قد توخى في الطبعة الانكليزية لهذا الكتاب فائدة الطلبة الاميركان بنوع خاص اضطرّ المحرر الى تنقيح الاصل الانكليزي بالزيادة والحذف متوخياً في ذلك فائدة الطلبة من ابناء اللغة العربية. واذا كان قد وقع في اثناء ذلك شي من الخطأ في النسخة المنقحة فالمؤلف برا. منه وتقع تبعته على الذين اصدروا الطبعة العربية

ويشفي المحرّر ثناء طيباً على كل من ساعد في ابراز هذا المشروع الى حيز الوجود ويخص بالثناء رصيفه الاستاذ داود قربان احد اساتذة العربي بالجامعة الذي قام بعبء الترجمة مواصلاً العمل بلا ملل الى النهاية ورصيفه الآخر الاستاذ اسدرستم الذي بذل بسخاء كثيراً من وقته في قراءة المسودات واعداد الحرائط فضلاً عن الملاحظات التي ابدتها للمحرّر اثناء تنقيح الاصل الانكليزي . ولولا مساعدة هذين الرصيفين لما خطر على بال المحرّر ان يُقدم على عمل شاق كهذا

ويشكر المحرّر ايضاً للخواجات تجن وشركائهم اصحاب الطبعة الانكليزية تكريمهم بتقديم الرسوم التي زينت بها الطبعة العربية . واذا كان بعضها غير جلي فليس الحق على الذين تكرموا بها . واخيراً يقدم المحرّر شكره لصديقه واستاذه مؤلف هذا الكتاب لانه اذن بترجمته ونشره . والمأمول ان روح المؤلف الطيبة الغيورة تسري بواسطته الى ابنا الشرق كما سرت منه الى تلاميذه من ابنا الغرب

هرلد نلسن

استاذ التاريخ سابقاً في جامعة بيروت الاميركية



كلمة للمترجم

لما رأى الدكتور نلسن ، استاذ التاريخ في جامعة بيروت الاميركية ، ان مدارس الشرق الادنى في حاجة ماسة الى كتاب مدرسي في تاريخ العالم القديم مبني على اساس علمي متين عمد الى سد هذه الحاجة فاختر لذلك افضل كتاب في اللغة الانكليزية وشرع في تنقيحه وتحريره حاذفاً منه ما لا حاجة لابن الشرق اليه ومضيفاً اليه ما حسب ان لا غنى له عنه . ولم يكن ما حذفه وما اضافه باثني ، اليسير ، نجاء . الكتاب طبق المرام . وبعد ان انجز عمله رغب اليّ في ترجمته الى العربية فاحجبت اولاً عن ذلك اعلامي بصعوبة الترجمة ولكن لشدة الحاجة والحاف نفر من اصدقائي عليّ استغنت الله وشرعت في الترجمة . ولم اكد انجز ربعها حتى شرع المحرر في الطبع . ولما نفذ ما كنت قد ترجمته اصبحت كمن « يعيش من يده لقمه » فكنت كلما تهيأ لدي بضع صفحات بعثت بها الى المطبعة وشرعت في ترجمة غيرها حتى انتهيت من الترجمة وانتهت المطبعة من الطبع في وقت واحد تقريباً . على ان هذه المسابقة المطبعية لم تترك لي متسعاً من الوقت لتنقيح المسودات وتبويضها كما ينبغي

وتسهيلاً للدرس والمراجعة قسم المؤلف كتابه الى اقسام وفصول وُبد وفقر . اما الاقسام والفصول فلقلّة عددها كتبنا اسماءها بالالفاظ واما النبد والفقر فلكثرتها كتبناها بالارقام ورمزنا الى النبد عند الاستشهاد بها في المتن بالحرف « ن » بين هلالين مع ذكر عددها والى الفقر بالحرف « ف » مع عددها بين هلالين ايضاً . ورمزنا الى الاشكال بالحرف « ش » بين هلالين

وفي الحتام اشكر لصديقي ورسيني الاستاذ اسد رستم مساعدته لي في مقابلة الترجمة
بالاصل الانكليزي وللشيخ نسيب مكارم الخطاط الشهير اعتمائه بكتابة الاسماء على الخرائط
بخطه العربي الجميل وكل ما كتب في الكتاب باثلاث فهو بخطه

وكان الانتهاء من الترجمة في ظهور الشوير في الخامس عشر من شهر آب سنة ١٩٢٦

داود قربان



مقدمة الطبعة الثانية

ما كادت تصدر الطبعة الاولى من هذا الكتاب وتقرؤها الجرائد والمجلات العربية وتهدي بعض نسخها الى المقامات العالية ووزارات المعارف في الحكومات العربية وبعض اقرباء العلم والفضل من ابناء اللغة العربية حتى جاءتنا رسائل التكريز والثناء تقري محبذة عملنا فقبلنا الثناء الجميل بالشكر . وقررت وزارات المعارف في العراق وفلسطين وشرق الاردن الاعتماد عليه في تدريس التاريخ القديم فنقدت طبعته الاولى في نحو ثلاث سنوات وهي امد قصير بالنظر الى قلة رواج الكتب العلمية في بلادنا . فتحققت بذلك الآمال التي منينا النفس بها يوم اقدمنا على نقل هذا الكتاب الى لغتنا العربية ونشطنا الى اصدار الطبعة الثانية بعد اعادة النظر على الترجمة والتنقيح اللازم واطافة بضعة رسوم جديدة الى الرسوم القديمة وتذييل بعض الفقر بما قضت الضرورة باضافته اليها لزيادة الايضاح . ولكن لم يكن التنقيح الطفيف والتذييل المختصر لينقص شيئاً من قيمة الطبعة الاولى . فالكتاب باقٍ على تنسيقه القديم تماماً الا أن عدد الصفحات في الطبعة الثانية قد ارجى على عددها في الطبعة الاولى بسبب تغيير الحرف واطافة فهرس خاص للمواضيع

وقد سهوت في مقدمة الطبعة الاولى ان اخص بشائني وشكري صديقي الدكتور فيليب حتي استاذ اللغات السامية بجامعة برنستون الشهيرة من اجل مساعدته لي في مقابلة الفصول الاول من الترجمة بالاصل الانكليزي وملاحظاته الثمينة واشكر ايضاً لرصيني الاستاذ الدكتور رستم مساعدته هذه المرة ايضاً في مراجعة كثير من الملائم المطبوعة ولصديقي الاستاذ لبيب جريدني ناظر مطبوعات المطبعة الاميركانية مساعدته في مراجعة الملائم في اثناء الطبع ولنسيبي جورج افندي اشقر الذي وضع الفهرس الخاص لهذه الطبعة التي زجو ان تلاقي من الارتياح اليها والاقبال عليها مما لاقتة الطبعة الاولى

وقد اهملنا وضع جدول بالاغلاط المطبعية اعتماداً على ذكاء المطالع

(داود قربان)

فهرس المواضيع العام

القسم الاول - الاورييون الاقدمون

الفصل الاول - طلائع الجنس البشري

١	(١) جاهلية الاقدمين وتدرجهم في الحضارة
٥	(٢) العصر الحجري القديم
٩	(٣) المتوسط
١٣	(٤) المتاخر

القسم الثاني - بلاد الشرق

الفصل الثاني - تاريخ مصر

مكان النيل الاقدمون وعصر الاهرام

٢٧	(٥) مصر وسكانها الاولون
٣٩	(٦) عصر الاهرام
٥٣	(٧) الفنون وهندسة البناء في عصر الاهرام

الفصل الثالث تاريخ مصر عصر الاقطاع والامبراطورية

- ٥٩ (٨) الرحلة النيلية وعصر الاقطاع
 ٦٦ (٩) تأسيس الامبراطورية
 ٧٠ (١٠) الفنون والدين
 ٧٨ (١١) تاخر الامبراطورية المصرية وسقوطها
 ٨٤ (١٢) العالم شموليون وحل الرموز الهيروغليفية

الفصل الرابع آسيا الغربية بلاد بابل

- ٨٨ (١٣) ارض اسية الغربية وشعبها
 ٩٤ (١٤) بزوغ المدنية السومرية والتزاع الاول بين السومريين والساميين
 ١٠٥ (١٥) اول انتصار للساميين عصر سرجيون
 ١٠٧ (١٦) اتحاد السومريين والساميين ملوك سومر واكد
 ١٠٩ (١٧) الانتصار السامي الثاني عصر حمورابي وبعده

الفصل الخامس الاشوريون والكلدانيون

- ١٢٠ (١٨) اشور القديمة ومناظراتها
 ١٢٩ (١٩) الامبراطورية الاشورية
 ١٤٤ (٢٠) الامبراطورية الكلدانية

الفصل السادس مادي وفارس

- ١٥١ (٢١) الشعوب الهندية الاوربية وتوزعها
 ١٥٥ (٢٢) الشعوب الايرانية والنبي الايراني زورواستر
 ١٥٧ (٢٣) قيام مملكة الفرس (كورش)

- ١٦١ (٢٤) مدنية مملكة فارس
 ١٦٦ (٢٥) الكتابات الفارسية وحل الخط الفارسي
 ١٧٠ (٢٦) نتيجة الحكم الفارسي

الفصل السابع العبرانيون وتأخر الشرق

- ١٧٣ (٢٧) فلسطين واسلاف العبرانيين فيها
 ١٧٧ (٢٨) توطن العبرانيين لفلسطين ومملكتهم المتحدة
 ١٨٠ (٢٩) المملكتان العبرانيتان
 ١٨٢ (٣٠) القضاء على المملكتين
 ١٨٥ (٣١) اليهود في السبي ونجاتهم عن يد الفرس
 ١٨٨ (٣٢) مآثر المدنية الشرقية وتأخر زعامة الشرق القديم

القسم الثالث - اليونان

الفصل الثامن فجر المدنية الاوربية وقيام البلدان التي على الساحل

- ١٩٢ (٣٣) الشرق في بحر الروم
 ١٩٣ (٣٤) بلاد ايجيه الجزر
 ٢٠٤ (٣٥) العالم الايجي البر الاصلي
 ٢١١ (٣٦) الاكتشافات الحديثة في شمال البحر المتوسط وظهور عالم شرقي فيه

الفصل التاسع فتح اليونان للعالم الايجي

- ٢١٧ (٣٧) مجي اليونان
 ٢٢٣ (٣٨) اليونان الرُّحل ينقالبون الى عيشة الحضارة
 ٢٢٧ (٣٩) الحضارة اليونانية في عصر الملوك

- ٢٣٣ (٤٠) الفينيقيون يجلبون الى اوربا حروف الهجاء الاولى
 ٢٣٥ (٤١) رجال الحرب اليونانيون واغاني الابطال
 ٢٣٧ (٤٢) بدء ديانة اليونان وتطورها الاول

الفصل الحادي عشر عصر النبلاء والتوسع اليوناني في بحر الروم

- ٢٤١ (٤٣) سقوط الملوك وزعامة النبلاء.
 ٢٤٥ (٤٤) التَّبَسُّط اليوناني في عصر النبلاء.
 ٢٤٨ (٤٥) المدنية اليونانية في عصر النبلاء.

الفصل الثاني عشر الانقلاب الصناعي وعصر الطغاة

- ٢٥٣ (٤٦) الانقلاب الصناعي والتجاري
 ٢٥٧ (٤٧) قيام الحكم الديمقراطي وعصر الطغاة
 ٢٦٢ (٤٨) مدنية عصر الطغاة

الفصل الثالث عشر صد مملكة فارس

- ٢٧٢ (٤٩) مجيئ الفرس
 ٢٧٥ (٥٠) صد الاثينيين للفرس والفينيقيين

الفصل الرابع عشر

اشتداد المنافسة بين اثينا وسبارطة وقيام الامبراطورية الاثينية

- ٢٨١ (٥١) بدء المنافسة بين اثينا وسبارطة
 ٢٨٢ (٥٢) قيام الامبراطورية الاثينية وفوز الديمقراطية
 ٢٨٤ (٥٣) التقدم التجاري وبدء النزاع بين اثينا وسبارطة

الفصل الخامس عشر اثينا في عصر بريكليس

- ٢٨٩ (٥٤) الهيئة الاجتماعية والوطن والتمهدين تربية الوطنيين للاحداث
 ٢٩٤ (٥٥) التهذيب العالي والعلوم والتربية المكتسبة من خدمة الحكومة
 ٢٩٨ (٥٦) الفنون والآداب

الفصل السادس عشر

النزاع بين اثينا وسبارطة وسقوط الامبراطورية الاثينية

- ٣٠٩ (٥٧) الحرب البلبونيسية الثانية
 ٣١٣ (٥٨) الثالثة وسقوط الامبراطورية الاثينية

الفصل السابع عشر

المنازعات الاخيرة فيما بين حكومات اليونان وحياتهم العليا بعد موت بريكليس

- ٣١٩ (٥٩) زعامة سبارطة وتاخر الديمقراطية
 ٣٢٢ (٦٠) سقوط سبارطة وزعامة ثيبية
 ٣٢٥ (٦١) هندسة البناء والحفر والتصوير
 ٣٢٩ (٦٢) الديانة والآداب والفكر

الفصل الثامن عشر الاسكندر الكبير

- ٣٤٠ (٦٣) قيام مكدونية
 ٣٤٣ (٦٤) حملات الاسكندر الكبير
 ٣٥١ (٦٥) سياسة الاسكندر العمومية وعواقبها الشخصية

القسم الرابع

بلدان البحر المتوسط في العصر الهليني

الاسكندر وجمهورية رومية

الفصل التاسع عشر خلفاء الاسكندر

٣٥٧

(٦٦) الخلفاء على مملكة الاسكندر

٣٦٥

(٦٧) تآخر البلاد اليونانية

الفصل العشرون مدينة العصر الهليني

٣٦٨

(٦٨) المدن وهندسة البناء والفنون

٣٨٠

(٦٩) الاختراعات والعلم المكاتب والآداب

٣٩٢

(٧٠) التهذيب والفلسفة والدين

٣٩٣

(٧١) تكون عالم جديد هيليني مدينة يونانية شرقية

الفصل الحادي والعشرون

عالم البحر المتوسط الغربي وفتح الرومان لاطاليا

٣٩٧

(٧٢) عالم البحر المتوسط الغربي

٤٠٣

(٧٣) رومية في اول عهدا

٤٠٧

(٧٤) الجمهورية الاولى التقدم والحكومة

٤١٣

(٧٥) تبسط الجمهورية وفتح ايطاليا

الفصل الثاني والعشرون

سيادة الجمهورية الرومانية في ايطاليا والمنافسة بينها وبين قرطاجنة

- ٤٢٠ (٧٦) ايطاليا تحت حكم الجمهورية الرومانية القديمة
 ٤٢٢ (٧٧) التنافس التجاري بين رومية وقرطاجنة
 ٤٢٧ (٧٨) الحرب الصقلية او القرطاجنية الاولى
 ٤٢٩ (٧٩) الحرب الهنيبالية (الحرب القرطاجنية الثانية) وتدمير قرطاجنة

الفصل الثالث والعشرون

سيطرة رومية على العالم وما صحبها من الانحطاط

- ٤٤٠ (٨٠) الفتوحات الرومانية في شرقي البحر المتوسط
 ٤٤٣ (٨١) الحكومة الرومانية ومدنيتها في عصر الفتح
 ٣٥٠ (٨٢) الانحطاط في المدينة والقرى

الفصل الرابع والعشرون قرن الثورات ونهاية الجمهورية

- ٤٥٨ (٨٣) مشكلة الاراضي وبدء النزاع بين المشيخة والعامية
 ٤٦٠ (٨٤) ظهور سلطة الفرد ماريوس وسُلاً
 ٤٦٤ (٨٥) انقلاب الجمهورية ببيوس وقيصر
 ٤٧٠ (٨٦) انتصار اوغسطس وانتهاء الحرب الاهلية

القسم الخامس

الامبراطورية الرومانية

الفصل الخامس والعشرون

اول قرني السلم . عصر اوغسطس وخلفائه

- ٤٧٤ (٨٧) حكم اوغسطس وبداية قرني السلم
 ٤٧٨ (٨٨) مدينة عصر اوغسطس
 ٤٨٦ (٨٩) سلالة اوغسطس ونهاية قرن السلم الاول

الفصل السادس والعشرون

قرن السلم الثاني ومدينة الامبراطورية الرومانية القديمة

- ٤٩١ (٩٠) امبراطرة قرن السلم الثاني
 ٤٩٨ (٩١) مدينة الامبراطورية الرومانية القديمة الولايات
 ٥٠٦ (٩٢) مدينة الامبراطورية الرومانية في عهدها الاول
 ٥١١ (٩٣) شيوع الاديان النثرية وانتشار الديانة المسيحية الاولى
 ٥١٥ (٩٤) نهاية قرن السلم الثاني

الفصل السابع والعشرون قرن الثورة وقسمة الامبراطورية

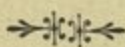
- ٥١٦ (٩٥) تقهر الامبراطورية الرومانية الداخلي
 ٥٢٢ (٩٦) قرن الثورات

- ٥٢٨ (٩٧) تحول حكومة الامبراطورية الرومانية الى استبداد
 ٥٣٢ (٩٨) قسمة الامبراطورية وانتصار الديانة المسيحية

الفصل الثامن والعشرون

انتصار البرابرة ونهاية العالم القديم

- ٥٣٧ (٩٩) غزوات البرابرة وسقوط الامبراطورية
 ٥٤٧ (١٠٠) غلبة الكنيسة الرومانية وتسلطها على الامم الغربية
 ٥٥٠ (١٠١) انتعاش الشرق الاخير ورواد امم اوربا الحديثة
 ٥٥٥ (١٠٢) التفاتة الى الماضي



فهرس الخرائط

٨		اوربا في عه مر الجليدي
٢٨		مصر ووادي النيل حتى الشلال الثاني
٤٢		الارتقاء في غضون الني سنة
٨٨	مقابل	الشرق القديم
٩٣		سومر و أكد
١٤٥		مدينة بابل الكلدانية
١٥٣		المراعي الشمالية في بلاد العرب
١٥٣		المراعي الجنوبية
١٥٧	مقابل	الامبراطورية المصرية
١٥٧		الامبراطورية الاشورية
١٦٠	مقابل	مادي وكلد
١٦٠	مقابل	امبراطورية الفرس
١٧٤		فلسطين
٢١٧	مقابل	مدينة سواحل البحر المتوسط الشرقية
٢١٧	مقابل	الفتح اليوناني
٢٢٨		بلاد اليونان في القرن الخامس
٢٤٧		امتداد المستعمرات اليونانية والفينيقية
٢٦٨		العالم كما عرفه هقاتايوس
٢٨٤	مقابل	مملكة فارس

٢٨٤		مملكة اثينا	مقابل
٢٩٦		العالم كما عرفه هيرودوتس	
٣٤٩		امبراطورية الاسكندر	
٣٨٥		العالم كما عرفه ارتستينس	
٤٠٠		ايطاليا	مقابل
٤٠٢		الشعوب المتنافسة في غربي البحر المتوسط	
٤١٢	مقابل	ايطاليا في بدء الجمهورية الرومانية	
٤١٢	مقابل	رومية اثناء الحروب السمنية	
٤١٢	="	رومية بعد الحروب السمنية	
٤١٢	="	حرب بروس	
٤٣١		زحفات هنيبال	
٤٤٤		دولة رومية	
٤٤٤		اتساع مساحة الدولة الرومانية	
٤٧٤	مقابل	امتداد الامبراطورية الرومانية	
٤٧٤	مقابل	الامبراطورية الرومانية في عهد ديوقليتيانوس	
٥١١		العالم كما عرفه الفلكي الجغرافي بطلميوس	
٥٢٩		الامبراطورية الرومانية على عهد ديوقليتيانوس وقسطنطين	
٥٤١		هجرات الالمان في القرن الخامس	

اصلاح خطا

اننا نترك للقاري اللبيب اصلاح ما ورد في هذه الطبعة من الاغلاط لانها لست من الاهمية بشي. ولكننا نوجه انظاره الى اصلاح ما يأتي

(١) صفحة ١٢ في الحاشية

يجب ان يكون ما ورد في هذه الفقرة هكذا

(١) يقسم العصر الحجري الى ثلاثة اقسام

العصر الحجري القديم الخ
 " " المتوسط الخ
 " " المتاخر الخ

(٢) في صفحة ٢٧٥ عدد الفصل ٤٧ صوابه ٥٠

٥١ = ٥٠ = = ٢٨١ = =

٥٢ = ٥١ = = ٢٨٢ = =

٥٣ = ٥٢ = = ٢٨٤ = =

٥٤ = ٥٣ = = ٢٨٩ = =

العصور القديمة

القسم الاول

الاوربيون الاقدمون^(١)

الفصل الاول

طلائع الجنس البشري في اوربا

١

جاهلية الاقدمين وتدرّجهم في الحضارة

(١) بدرج الاتمان
في الاختراع والافتخار

كلّنا يعلم أنّ آباءنا وامهاتنا لم يروا في صغرهم طيارة . والقليل منهم رأى سيارة . وقضى جدودنا معظم حياتهم بلا تلفراف ولا آلة خياطة . ومات آباؤهم ولم يروا سكة حديد . فكانت اسفارهم اما سعياً على الاقدام او ركوباً على متون الخيل . فما توصل اليه الانسان من الاختراعات جاء تبعاً السابق منه يهد السبيل للأحق . وعلى هذه السُنّة تمثّت الاختراعات حتى يومنا هذا

(٢) التاريخ القديم
حكاية ما تم على يد
الانسان من المآثر
وما عتبد ذلك من
المناسبات الشعبية

اذا عدنا القهقوى في تاريخ البشر وصاننا الى زمان لم يستطع فيه الانسان ان يصنع مركبة بسيطة لانه لم يقيم قبله من اختراع دولاباً ولا من راض فرساً برياً . واذا توغلنا اكثر

(١) آثرنا في تتبعنا خطوات الانسان في سبيل الترقى ان نبدي سكان اوربا الاولين ليس لان اوربا هي اقدم مهد الجنس البشري بل لان معرفتنا باقدم الشعوب الاوربية تفوق معرفتنا باقدم شعوب القارات الاخرى ولان ما يصدق على شعوب اوربا الاولين يصدق على سائر الشعوب الاخرى في بقية البلدان

قليلاً في القدم انتهينا الى عصر لم يكن فيه لدى الانسان سفن يقطع بها البحار تاجراً او سائحاً، ولا ادوات معدنية لان المعادن كانت لا تزال مجهولة. فلم يستطع انسان ذلك الزمان البعيد ان يقطع الحجارة ويشيد المباني الجميلة الفخمة ولا ان يكتب لان صناعة الكتابة كانت لا تزال في عالم الخفاء. فعاش الانسان الاول بلا كتب ولا مدارس ولا علوم ولا جوامع ولا كنائس ولا مستشفيات ولا شرائع ولا حكومة. ففرض هذا الكتاب ان يروي لمطالعيه بأسلوب سهل، لذيذ كيف توصل الانسان الى معرفة هذه الاشياء وكيف تألف الخلق أتماً وشعوباً تنازعت الزعامة زماناً حتى عراها الضعف بمد القوة والهوان بعد العزة فتقوضت اركانها وانهار بنيانها. فالقصة التي يرويها هذا الكتاب هي ما اصطلاح الناس ان يسموه بالتاريخ القديم

اذا تقمرونا في تاريخ البشر مدّة كافية بلغنا زمناً في حياة الانسان لم يكن له فيه ما يدافع به عن نفسه ويقضي به حاجاته سوى يديه. والقينا انه اعجم لمطعم لا يفهم ولا يفهم. حتى النار لم يكن يعرف كيف يوقدها. ولا كان لديه من يعلم شيئاً، فاضطر ان يعتمد على ذاته ويتعلم كل شيء على هيبته بالتجربة والاجتهاد والمزاولة ويستنبط كل ما كان محتاجاً اليه من الآلات مها كان بسيطاً

(٣) ابدأ الانسان
بلا شيء يدوي ولا
مذوب يريده

وربما يتوهم البعض ان ليس في هذا الزمان شعب من شعوب الارض بالسبع درجة التوحش التي كان عليها اسلافنا الاولون. الا ان رواد الآفاق يقولون انه لا يزال موجوداً في بعض جهات المعمورة قبائل تشبه في خشونة حياتها وطرق معيشتها الممجية اولئك الاسلاف الاقدمين. ومن تلك القبائل اهل تمانيا منذ نحو مئة سنة حين وجدهم اولاً جماعة من سياح الانكايز عراة وبلا مأوى لانهم لم يعرفوا كيف يبثون لانفسهم ماوي لا من الحجر ولا من الشجر. حتى السمك لم يعرفوا كيف يصيدونه. ولم يكن عندهم معز ولا ضان ولا بقر ولا خيل ولا كلاب ولا معرفة بالزراعة ولا الانتاج. ولم يكن عندهم اوان خزفية لا جرار ولا اباريق ولا صحاف ولا صحون لانهم لم يكونوا يعرفون ان النار تطبخ الطين وتقسيه

(٤) في حياة متوحش
وماننا. صورة حياة
القدم البشر.
التسانيون وماعجزوا
عن بلوغ

لم يعلم التسانيون العراة الذين لا مأوى لهم الا سد القليل من حاجاتهم. الا ان ما تعلموه ولو كان طفيفاً دفعهم الى الامام ورفعهم درجات فوق اسلافهم الاقدمين. فانهم تعلموا كيف يوقدون النار لكي يطبخوا عليها طعامهم ويدفئوا اجسادهم في ابان البرد وكيف يصنعون حراباً خشبية حادة ولو كانت بلا اسنة لعدم سمعهم بالمعادن. الا انهم كانوا يركبون مكان الاسنة حجارة حادة. وبما انهم كانوا يحسنون الرماية بهما استطاعوا

(٥) ما تعلمه
التسانيون

ان يقتصوا الوحوش والطيور طعاماً لهم ويُقصوا عنهم اعداءهم من الناس . ولما اضطرتهم الحاجة الى سلخ ما يقتصون من الحيوان فتت لهم الحيلة اختراع السكين فصنعوها من حجر الصوان لانهم لم يروا بين المواد المعروفة عندهم اصلح منه لهذه الغاية فكانوا يأخذون قطعة منه او شحفة ويرقون حدها بطرقها بججر من المادة نفسها على الجانب المراد ترقية

فيتنلغ منها شظايا رقيقة . وكانوا يثابرون على هذا العمل الى ان يتكون من الشحفة سكين تُسلخ بها الحيوانات وتقطع لحومها . وكانت لهم مهارة في حوك الفناجين والانية والسلال من الياق الحاء (قشر) الشجر . وكانت لغتهم بسيطة الا انها كافية للتعبير عن اغراضهم التي لم تكن كثيرة

ان سكان اوربا الاقدمين الذين عاشوا قبل زمن التاريخ لم يخرجوا من طور التوحش ويبلغوا ما بلغه التسانيون من التقدم والرقي الابد ان هاموا في قفار الهمجية مئات الالوف من السنين . واوربا

التي كانت وطناً لهم هي غير اوربا اليوم . فان غاباتها في ذلك الزمان البعيد كانت وارقة الظلال حائلة باسراب الظباء . وقطعان المواشي وعصابات الطير التي تشاهد انسائها اليوم في الاصقاع الحسرة من قارة افريقيا والهند تجوب ارجاءها انتجاعاً للقوت . وكان فرس الماء يتمرغ على ضفاف الانهار والكركدن الشرس يجترق النباتات الانيثة الثابتة عليها . وكانت الافئال الكثة الشعور (شكل ١٠ رقم ٥)



(٦) اوربا قبل التاريخ . هياؤها وحيوانها

الشكل ١ صورة جمعة من هود اميركا يصنعون الحجارة من حجر الصوان

تري الابد من هؤلاء الرجال الثلاثة في الصورة يتنلغ حجراً كبيراً من الصوان ليكون له المادة الاولى في صنع محرمة فيتناوله رقيقة الذي في الوسط ويضرب بواحد الصخور فيكسر قطعاً فيأخذ ثالث هؤلاء الرجال تلك القطع يساراً ويشرع بطرقها بحر في يمينه فتتلع منها شحفة صغيرة ويظل به يجها على هذا النمط حتى يرق مدعاً تخرج من يده فأساً قاطعة . فهذه اقدم وابسط الآلات التي صنعها الانسان . وبعد مرور آلاف السنين حن الانسان عمله من وجهين الاول انه صار يعتمد في تايغ اشحف الصغيرة من حافات الحجر التي يصنع منها الآلات الحادة على الضغط بدل الطرق (شكل ٢) والثاني انه صار يهتف بالشمدة اي بالسن

الطويلة (شكل ٧ رقم ٧) تجول في الادغال وقطمان الجوايس الكبيرة والحيول البرية تسرح في النجود الخصيبة والغزلان ترح بين الغابات الغناء والطيور تغرد على الافئال الا ان الهواء كان حاراً مشبعاً بالرطوبة يضعف الاعصاب ويوهن القوى

كان الاوربي المتوحش العريان يطوف بين الغابات الحارة متلصصاً يفتش عن قوته اليومي . ولم يكن قرته سوى جذور النباتات البرية وثمارها وبزورها . وكان يسترق السمع لعله يعثر على احد صغار الحيوان فيسيته بضربة من هراوته . ولكنه بلا ريب كان يطلق ساقيه للريح مرتعلاً اذا سمع وقع ارجل احد الحيوانات الجيارة او عين فيلاً كبيراً يتغلغل في معابر الادغال

(١٧) معيشة الاوربي
الزئول . الاناكن
التي كان يرئادها .
الحشوية الخنسية
وادبانه

وكان ينام حيث يقتاده المصيد بعد ان يكون مزق لحمه والتهمة نياً الارض وطاقوه واديم السماء غطاؤه يرتجف خوفاً كلما سمع زئير التمر السيني الثاب لانه لم يكن لديه ما يدافع به عن نفسه ولم يكن قد توصل الى معرفة اضرار النار ترويعاً للوحوش واقضاءها عنه

وبعد زمان تعلم الانسان كيف يضرم النار التي ربما كان قد رآها اول مرة مضطربة بفعل كهربائية الصواعق في احدى الغابات التي كان يختلف اليها او كان قد رأى لها من بعيد منبعثاً من قوهة احد البراكين المجاورة لبحر الروم فخاف منها . ولما تمكن من اضرار النار بادارة عصاه بسرعة بعد تركيز طرفها الواحد في ثقب شجرة يابسة ، حسب انه خطا خطوة مهمة في سبيل الترقى والتقدم مع انه ليس في المسألة سر عجيب لان الحرارة المتولدة بالاحتكاك كافية لاشعال الحطب الجاف . ولما بلغ الانسان هذه الدرجة من المعرفة صار يعالج طعامه بالطبخ ويدفي جسده من الزهرير ويقتني رؤوس حرايه الحشوية بالنار . ولما لم يستطع تقسية حده سكاكينه الحشوية الكالة بالنار عمد الى صنعها من الحجارة القاسية بترقيق حافاتها حتى توافق غرضه (شكل ١) . ثم اخذ يصنع ادوات اخرى واسلحة بسيطة من هذه المادة نفسها . وذلك قبل خمسين الف سنة او تزيد

(١٨) الانسان يتعلم
اضرام النار باستعمال
الحجار

من الآن فصاعداً نستطيع ان نرى بعيوننا ونلمس بايدينا نفس الالات والادوات الحجرية التي كان يستعملها الانسان القديم - امداً طويلاً - في غضون جهاده العنيف لحفظ كيانه . وبما ان تلك الآثار الباقية كثيرة ومصنوعة في ازمان مختلفة نستطيع ان نتبع الخطة التي سار عليها صعداً في الاطوار المختلفة التي تعاقبت على وجوده ، ونشاهد علامم التقدم والترقي بادية لاميان سواء في صنع الادوات او في الصناعات الاخرى التي استتب له معرفتها تدريجياً على توالي السنين . وقد قسم علماء العاديات العصر الحجري الى ثلاثة ازمان متتالية . قديم ومتوسط ومتأخر . وذلك بالنسبة الى ما بلغه الانسان في كل منها من الترقى في سلم المعرفة

(١٩) قبح سر
الانسان القديم من
الآثار الحجرية
الباقية وادوات
اخرى من صنع
يديه

العصر الحجري القديم

(١٠) جعل المشايخ
قبل الخمسين سنة
الآخرة طول المدة
المدبدة لوجود
الانسان على الارض

ظلَّ الناس حتى الخمسين السنة الآخرة يحسبون تاريخ الانسان بالنسبة الى سواه قصير



الشكل ٢ صورة فأس يدوية
من الصوان من بقايا العصر الحجري
القديم. وهي شظايا من الصوان في
حالتها الخشنة نرجا اجتهاد الانسان

(١١) اصباد والنصر
الحجري القديم

القديم في تسمية وهندسة الحجارة .
كانت الفأس اليدوية اقدم الآلات
التي احكم صنعها الانسان القديم .
وكان طول اول فأس ٢٢ سنتيمتراً
ولكنها في الصورة تظهر بثلث حجمها
الاصلي . وهي فاطمة من طرفيها . كانوا
يمسكونها من طرفها الاضيق بلا مقبض
ولذلك دعوها بالفأس اليدوية . ولم
يكن الانسان يعرف شيئاً عن المفاهيم
الخشبية والمظلمة الا بعد ذلك بمدات
طويلة (انظر شكل ١٠ رقم ٤) ويشاهد
على هذه النورس آثار الانبراه لكثرة
الاستعمال

الامد . وشاع بينهم الاعتقاد انه لم يبق آثار تدل على
قديم وجوده . وبقي هذا الاعتقاد شائعاً حتى وجدوا رقيقاً
قديم العهد كُتب في لندن منذ منتي سنة جاء فيه ان
بانع ادوية وجد في جب في طبقة حصوية بجوار لندن
عظام فيل ووجد على مقربة منها رأس حربة صوانية .
ومع ان هذا الرقيم طُبع في الحال مرسومة فيه صورة
رأس الحربة ، لم يبال به احد وعما قليل نُتُوسى امره
بالكلية . وهكذا كان نصيب الاكتشافات التي من
هذا النوع مدة قرن كامل سواه في انكلترا او في
بلدان اوربا الآخرة ولم ينتبه اهل العلم الى الحجة
الطويلة منذ وُجد الانسان على الارض الا قبل خمسين
سنة بعد ان رأوا كثيراً من البيئات في غضون مدة
لا تقل عن مئة وخمسين سنة

ان اعمال الحفر والتنقيب عن الآثار ولا سيما في
فرنسا قد كشفت الغطاء عن الوف من الآلات الحجرية
التي تدل دلالة واضحة على تقدم الانسان الصياد في هذا
العصر الذي توصل فيه الى معرفة تكسير الحجارة
سحقاً صغيرة . واذا دققنا في درس الآلات الحجرية
المحفوظة في متاحف اوربا رأينا كيف كان الانسان
القديم كلما توصل الى صنع آلة اكثر اتقاناً مما سبقها من
الآلات يهمل القديم السيط ويتمسك بالجديد حتى
توصل اخيراً الى صنع آلة متقنة جداً بالنسبة الى ما
سبقها من الآلات وصالحة للاستعمال في شؤون كثيرة

طولها من ٢٠-٢٥ سنتيمتراً (شكناً ٢) وهي تستدق من اعلاها وتعرض تدريجياً حتى اسفلها. وقد كانت ماضية فتمكن بها من قطع مراوتيه من الغابة واقتلاع الجذور وبتير الغصون التي كان يقتات بها ومن صنع القدة الخشبية التي كان يخرج بها النار من مكانها. وقد وجدت هذه الفؤوس في اماكن كثيرة في اوربا وسائر بلدان الدنيا. وهي اول اختراع لاسلافنا الاقدمين بقيت آثاره الى ايامنا

وظلّ الاوربي المتوحش قبل عصر التاريخ الوفاً من السنين في جهادٍ عنيف ضد الاخطار المجدقة بو الموت الذي كان يجرفه جرفاً حتى كان يبأس من الحياة. وبالتدريج اتقن في غضون تلك السنين صنع الفؤوس اليدوية من الحجر. ويرجح انه زاد عليها ادوات أخرى من الخشب اعبت بها ايدي الفناء. فلا نعلم من امرها شيئاً. ولم يكن لذلك السلف العريق في القدم شي. من الممتلكات التي تمتع بها اعقاب المتأخرون. فقول الحنطة الفسيحة في اوربا الحديثة والمدن الزاهرة الحافلة بالسكان كانت لا تزال ورا. حجب المستقبل البعيد. وكان يستحيل عليه ان يخترق ببصره تلك الحجب ويرى ما وراءها ما خبأه المستقبل كما يستحيل ذلك علينا الآن. ورأى نفسه وحيداً طريداً مضطراً ان يشير حرباً عواناً على العجاوات التي كانت عادية له. فلم يكن لديه كلب ولا خروف ولا طائر اليف ليهد اليه يد الجنان. وقضت عليه حائله بان يكون دائم الحذر من عدو مفاجى. سواء كان من بني جنسه او من الوحوش الضارية. وكان سلف الكلب الذي هو الآن رفيق الانسان حيث وجد لا يزال ذئباً. كان ابن آوى يقدر بالانسان كلما سنحت له الفرصة وكان الفرس لا يزال سائماً في البراري والقمار لا يألف احداً (شكل ٨)

(١٢) الصعوبات التي قامت منذ ان وجه انسان العصر الحجري القدم

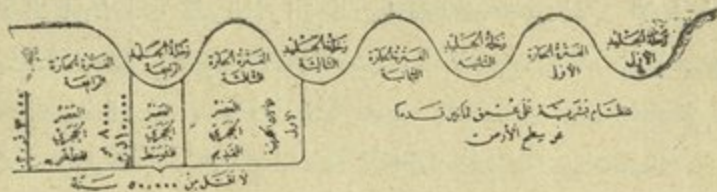
(١٣) رحل الجليد

وبعد زمان اخذ انسان العصر الحجري القديم يلاحظ ان درجة حرارة الاقليم الذي كان يعيش فيه آخذة في الهبوط وان الجليد الذي كان يحيط باقطار القطب الشمالي ويكفل رؤوس جبال الالب باديء بالانحدار رويداً رويداً. وبعد مدة غطى الجليد انكلترا حتى ضفاف نهر التيمس، وانسافت قطعته الهائلة المنقذة من جبال الالب في وادي الزون حتى بلغت موقع مدينة ليون الحالي (انظر الخريطة الاولى) ويعرف الحد الجنوبي الذي انتهى اليه الجليد في قارة اميركا الشمالية، من صفوف الحجارة الهائلة التي جرّها في اثنا زحفه على البلاد حتى نضع ايلاند (Long Island) جنوباً ووادي اوهايو ومسوري غرباً. اما سبب زحف هذا الجليد فلم يستطع علماء الجيولوجية التعليل عنه حتى الآن. ولدينا بينات جلية على تعاقب ادوار جليدية في قارة اسيا كالمذكورة آنفاً امتد الجليد في خلالها من رؤوس

جبال ارمينيا وبلاد العجم وپامير وهند كوش في اسيا الوسطى حتى البطاح التي كان يقيم فيها الانسان . فانقرضت الاحياء الى حين في جميع الاماكن التي بلغها الجليد . اما الكور المحيطة بالجليد فتحولت الى قفر يباب استولى عليه زمهرير القطب

(١٤) انتهاء العصر
الحجري القديم

شاهد الانسان القنص بعينه قطع الجليد الهائلة ترحف نحو الغابات تقصيف اغصانها وتكثير اشجارها وتحرمه المعيشة في اماكن ألفها وطاب له سكنها والقنص فيها ورأى بعينه كثيراً من الحيوانات التي كان ألف مرآها تفر هاربة نحو الجنوب تتراد اماكن دفيئة . اما هو فلبث في مكانه موثراً البقاء واعتياد البرد القارس على الفرار . وكان هذا الانقلاب الذي طرأ حداً لنهاية العصر الحجري القديم وبداءة العصر المتوسط . وبقيت الفؤوس اليدوية التي استعملها صيادو العصر الحجري القديم وعظام الحيوانات الهائلة التي كانوا يذبحونها ، مبعثرة بين الرمل والحصى على جوانب الاودية التي كانت تجري فيها انهار فرنسا فيما مر من الازمان قبل عهد التاريخ وقبل ان شئت مجاريا الحالية العميقة بفعل المياه . وكما كشف لنا الزمان شيئاً من هذه الآثار التي ظلت ادهاراً مخبوءة في طبقات الارض اطلعنا على فصول جديدة مدهشة من تاريخ الانسان العجيب وما بلغه من الارتقاء والسودد في ادواره الاولى حتى سلمته الطبيعة قيادها وملكته زمامها . وقد صجبت زحف الجليد على مساكن الانسان ، تقدم وارتقاء . لم يكونا في الحسبان فكان زحفه نعمة بصورة نعمة



رسم خريطة أوروبا في العصر الجليدي وشكل هندسي تطر فيه زحلات الجليد الأربع

في غضون العصر الجليدي تقدم الجليد وتقهق أربع مرات أي أنه وُجد أربع مدات ساد فيها الزهربر وكان يعقب كلاً منها فترة طويلة تسود فيها الحرارة . وبدل على مدات الزهربر والحرارة بتدول وطلوع المنح المماوج في الشكل الهندسي . ونحن الآن عاتشون في الفترة الرابعة الحارّة والامر واضح ان البشر شرعوا يصنعون قووساً يدوية في احدى القهترات الحارّة . وقد استصعب علماء الجيولوجية والآثار القديمة ان يبينوا في اية فترة من هذه القهترات كان ذلك . وذهب بعضهم الى انها الثانية . فاذا صح ذلك يكون البشر قد ابتدأوا يصنع الآلات الحجرية قبل الآن بمئتي الف سنة الآن معظم اهل اهدت يعتقدون ان صنع الآلات الحجرية ابتدأ في أول الفترة الحارّة الثالثة أي في القهرة السابقة للتقدم الجليدي الاخير . ويحسب هذا الزعم بظن ان صنع الآلات الحجرية ابتدأ قبل خمسين ألف سنة . ولكن الاستاذ هنري ازورون يزعم في مؤلّفه النفس الموسوم باهل العصر الحجري القديم بان اقدم الآلات الحجرية صنع قبل مئة وخمسة وعشرين ألف سنة او تزيد . ويجعل ذلك في القهرة الحارّة الثالثة

٣

العصر الحجري المتوسط

(١٥) صناعات

انسان العصر الحجري

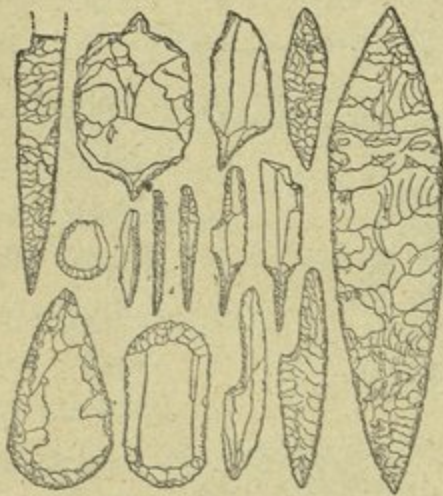
المتوسط . نرفوق

حد الآلات بالضغط

واستنباط آلات

من عاج وعظم

لما لم يكن الصياد قادراً ان يبني لنفسه مأوى يقيه قَرَس البرد لجأ الى المغاور والكهوف التي كانت الطبيعة قد اعدتها له في سالف الدهور، في قلب الصخور الكلسية، فاتخذها مساكن له ولاعقابه من بعده الوفاً من السنين. ولنتصوره الآن واقفاً امام باب كهفه يهتدم آلاته ويرفق حدودها وقد اهل الفأس اليدوية لانه صنع احسن منها وتوصل الى اصطناع آلات متنوعة من الصوان بالضغط بقطعة عاج على حجر الصوان فكان له الازاميسل والمطارق والمثاقب والمصاقل والمكاشط (شكل ٣) وتكن بالآلات الجديدة الحادة من تقطيع العاج والعظام والقرون ولا سيما قرن الرنة . اما العاج فكان يُمدد به الماموث (شكل ٢ رقم ٧) وهو ضرب من الافيال الباندة . واما القرون فن



بشاهد من اليمين الى اليسار صور سكاكين ورؤوس سهام ومكاشط ومثاقب وآلات أخرى حادة وفي جميعها تظهر حذافة صانعيها الذين تمكنوا من ارفاق حدودها بعد تكبير الشظايا من جوانبها حتى ترق بقدر ما يريدون . وكان يتم التكسير بمجرد الضغط لا بالطرق كما كانوا يفعلون قبلاً لان الصوان قصم فاذا ضغطت قطعة منه بقطعة عظام تطايرت منها شظيات صغيرة تختلف جميعها بحسب القوة الضاغطة . (شكل ١ و ٢)

الشكل ٣ آلات واسلحة صوانية صنعت في العصر الحجري المتوسط

(١) كثير وجود الرنة في هذا العصر حتى دعاه علماء العاديات الفرنساويون "بعصر الرنة"

الحيوان المعروف بالزئفة^(١) الذي ساقه الجليد جنوباً قطعاناً كبيرة وكان على جانب من الالفة للانسان حتى كان يدنو من غاره ويرعى في جواره غير هيأب (شكل ٧ رقم ٣-٥)

ولما استتب لصياد هذا العصر الذي نحن بصدده آلات جديدة امضى من التي كانت قبلاً في حيازته عمد الى صنع نصال عقفاء من العاج ركبها في عيدان من خشب كعيدان الرماح استواءً . ثم قاده الفكر الى استنباط القوس والنشاب وآلة بديعة لتقويم أود سهامه وعيدان حرايه . واخترع عصاً من العاج مكنته من رشق حربه الى مسافة ابعد من المعتاد وبقوة اعظم (شكل ٤) . وكان حيثما توجه يحمل في منطقتيه خنجراً من الصوان يدافع به عن نفسه . ومن هذا العصر اخذ الانسان يحيط الجلود ويكتسي بها اتقاء البرد والنباتات الشائكة بدليل وجود الابر العاجية (شكل ٥) بين الآثار التي ابقت عليها الايام

(١٦٦) الحفة صياد
العصر الحجري
المتوسط الجديدة
وكونه من الجلود

وبعد ان تسلح صياد العصر الحجري المتوسط بأسلحته الجديدة صار عدواً مخيفاً للوحوش يُرهَب جانبها اكثر مما كان يُرهَب جانب اسلافه . وقد وجد الباحثون عن الآثار في كهف واحد في جزيرة صقلية عظام التي فرس ما . مما قصه صيادو العصر الحجري المتوسط . وعثروا في فرنسا على طبقة من الارض وجدوا فيها عظام كثير من الخيل البرية (شكل ٧ رقم ٦) التي ذبحها واكلها طائفة من ابناء العصر المذكور وطرحوا عظامها حول نيران محلتهم ركاباً عظيماً . وبلغت مساحة الطبقة التي وجدت فيها هذه العظام ٣٦٠٠ متر مربع

(١٧٧) معيشة صياد
العصر الحجري
المتوسط



الشكل ٤ احد اسكبو العصر يقذف رمحه بواسطة عصا الرماية

وسنكها مترين .
ووجد الباحثون
بين تلك البقايا
صقارة العظم التي
كان يعلن بها الصياد
عردته الى عائلته
التي كانت تنتظره

متضوردة جوعاً .
وكان عند وصوله
يلج باب كوخه
زحفاً على بطنه بين
المدارس صعوبة في صنع مثل هذه العصا واستعمالها (انظر فقرة ١٦٦)

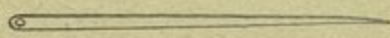
كرم القمامة وفضلات الاحوم الثنتنة المنبعثة منها روائح تقزّ منها النفس ويعافها الشم .

كان يجلس في كهفه مع أسرته غير عالم بما كان تحت ارض الكهف وعلى عمق بضعة امتار، من آثار السلف المتراكمة منذ الوف السنين (شكل ٦)

(١٨) اكتشاف
من النقش والرسم
والتلوين في العصر
الحجري المتوسط

ومن الغريب ان صيادي العصر الحجري المتوسط مهروا جداً في فنون البتس والرسم والتلوين . روي ان احد اشرف اسبانيا دخل كهفاً في عقار له في شمال البلاد واخذ ينقب فيه فمأثر على ادوات من الصوان والمظام . وكانت ابنته معه تلعب في احدى زوايا الكهف المظلمة . فحانت منها التفاتة الى السقف وللحال صرخت بل . صوتها ثيران اثيران اثيران ا مشيرة باصبعها الى السقف . فاجفل الوالد ايما اجفال والتفت الى حيث اشارت فراعته ما رأى وتوقف عن التنقيب . رأى صورة صوار من الجواميس البرية مرسومة على الصخر بالوان ثابتة لم تقر على ازالتها الايام ولا السنون التي لا تقبل عن عشرة آلاف سنة مرت على رسمها على سقف الكهف دون ان تراها عين بشرية حتى قُيض لابنة صغيرة ان تراها وتدل اباهما عليها

(١٩) الديانة
والجمهارة



الشكل ٥ ابرة عاج من بقايا العصر الحجري المتوسط

ابركذ . كبيرة الوجود بين القمامات في كهوف فرنسا حيث تقدمها نساء الصيادين ولم يجدها بعد فقدها ووجودها بهذه الكثرة دليل على ان النساء كن في هذا العصاري قبل عشرين الف سنة يحطن جلود الحيوانات البرية اكنية لعاملن

الآثار كثيراً من رفات الاسلاف الاولين مطموراً في طبقات الكهوف مُنضداً بعضه فوق بعض بحسب مرور الزمان عليه (الشكل ٦)

(٢٠) تمقر الجلود
في العصر الحجري
المتاخر

وقبل عشرة آلاف سنة اخذ الجليد بالتقهقر تدريجاً صوب الشمال وظل يتهقر حتى بلغ دائرة العرض التي هي حده الحالي . يستتبع ذلك من العلامات التي غادرها ولا تزال تُشاهد في اوربا حتى اليوم . اما سبب هذا التقهقر فيُعزى الى ارتفاع درجة الحرارة الى ما هي عليه الآن . وبعد هذا التقهقر والارتفاع دخل انسان العصر الحجري المتوسط الاوربي طوراً جديداً من حياته وصارت احواله طبيعية . فساعدته ذلك على الاستمرار في خطة الابتكار

والاصطناع والجهاد اعتصاراً للرزق من قلب الجهاد حوله واتباعاً لسنة تنازع البقاء . وبذلك انتقل الى ما يسوونه بالعصر الحجري المتأخر (١)



الشكل ٦ صورة قطاع كهف من العصر الحجري المتوسط ترى فيه طبقات الانقراض وما تضمنته من آثار الانسان

موقع هذا
الكهف في
جربالديه
بايطاليا على
ساحل البحر
المتوسط قرب
تخوم فرنسا
ومدخلة الى جهة
اليسار وجداره
المخلفي الى جهة
اليمين . ترى
ارض الكهف
الاصليه في التفرع
وفوقها طبقات
القمامة المترامية
على مرّ السنين

التي تبلغ سياتها تسعة امتار (فقره ١٧) من الخطط الادود A الى الخطط A طبقات من الرماد الخ . بقايا نيران تسع
مواقف متعاقبة ظلت كل واحدة منها مستعرة سنين كثيرة . والطبقات التي ترى انها انخس وهي الفاتحة اللون متكونة
من عظام حيوانات وقمامة وحجارة سقطت من سقف الكهف على مرور الزمان . وسفلى الطبقات تحت I
تشبه على كثير من عظام الكركدن (مما يدل على ان الاقليم حار) وعليها نضمن عظام الزبنة (مما يدل على
ان الاقليم بارد) فاسئل الصورة مثل لنا العصر الظرفي القديم واعلاها العصر المتوسط منه (او عصر الزبنة)
(ف ١٥) وقد وجد المنقبون في الطبقات المذكورة اربعة مدافن B و C و H و A ووجدوا في الطبقة C رمقي ولدين
واسئل هذه الثبوت وجد على عمق سبعة امتار من سطح طبقات الكهف . والمهاجم المختلفة قبل عصر التاريخ ترىنا
ان اجناساً عديدة من الناس وشعوباً مختلفة تعاقبت في هذا العصر الحجري وقد اغفلنا ذكرها في هذا الكتاب
لضيق المقام وفراراً من صعوبة البحث في اصلها وفصلها . واقترنا على ذكر تقدمها وتزقيها في الآداب والمعرفة
ذكر الاجالي

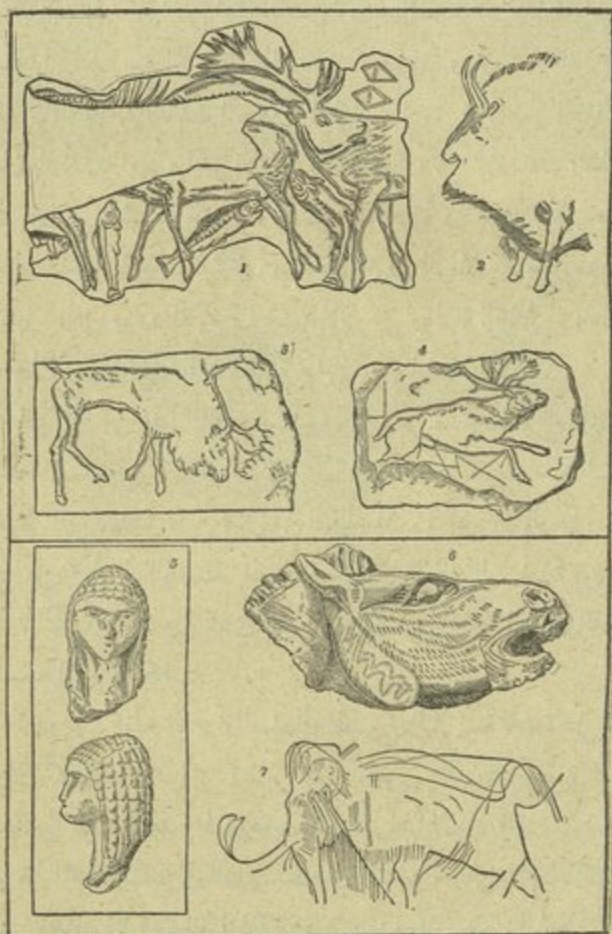
(١) يقسم العصر الحجري الى ثلاثة اقسام

العصر الحجري القديم (رُفق فيه حد الآلات بالعارق)
العصر الحجري المتأخر (" " " " بالضغط)
العصر الحجري المتوسط (رُفق فيه حد الآلات بالثخذ)
سماها علماء العاديات بالعصر الظرفي القديم

٤

العصر الحجري المتأخر

(٣١) توزع ما
بقي من آثار انسان
العصر الحجري
المتأخر في اوربا



ان آثار انسان
العصر الحجري
المتأخر متوزعة في
جزء كبير من
اوربا. فحين نؤم
درس تلك الآثار
الباقية يجب ان
نوجه النظر الى
اوربا جمعاء. ولا
نحصر دائرة البحث
في فرنسا وما
جاورها كما فعلنا
حتى الآن. كانت
القبائل القديمة تؤثر
الاقامة على ضفاف
الانهار والبحيرات
والبواغيز التي تعد
مداخل البلدان

ويستحيل تعيين
اجتاس القبائل التي
عاشت في بلدان
اوربا المختلفة مدة
العصر الحجري
المتأخر

الشكل ٧ فوش في العاج (١ و ٢-٧) والصخر على جدران الغار

(٢) نقشها صيادو العصر الحجري المتوسط

ان اقدم اعمال الصناعة التي قام بها الانسان صنع قبل عشرة آلاف اربعة عشر
الف سنة (١) الرنة وضرب من السبك المسمى حوت سليمان - عودة الفناص
والصياد (٢) ذكر جاموس محصور ومنهي للعجوم (٣) الرنة برعي (٤) الرنة
مركب (٥) رأس امرأة وجاها وعن جانب (٦) رأس حيوان بري مجسم (٧) صورة
الماموت وهو من الحيوانات المفترضة تظهر فيها ناباه المائلتان وشعره الطويل

ان اقدم منازل اهل العصر الحجري المتأخر وجدت على سواحل الدنارك . هناك وجدت اكواخ السكان المعروفين بالشماليين القدماء بمجوكة من غصون الشجر ومبثوثة صفوفاً على طول الساحل . اننا لا نعلم من اي جنس كان هولاء الشماليون الاولون لكننا نعلم يقيناً انهم كانوا من اهل القنص وصيد السمك . وكان لديهم قوارب ضخمة يسكنون بواسطتها كثيراً من الحيوانات الصدفية كالحلزون وغيره . وكانوا في البر يقنصون الحنازير والثيران البرية من الغابات المجاورة وطيور الماء من الاراضي الغيصة . وكان الاقليم في ذلك الزمان بارداً ربما ابرد مما هو الآن . وكان هولاء متى أووا عند الشفق الى اكواخهم يجلسون حول نيرانهم المشبوبة يلتهمون نخوم ما قنصوه وصادوه ويطرحون الاصداف وعظام الغزلان والحنازير جانباً فيتألف منها على كرور الزمان كوم ينبعث عنها اخبث الروائح وانتها . وعلى مرور الايام تراكت تلالاً على موازاة الشاطئ مسافة مئات الاميال تشير الى خط النيران التي كانت تضرم قبل زمن التاريخ

(٢٣) منازل اهل العصر الحجري المتأخر في الدنارك

ان كلاً من هذه التلال هو اليوم عبارة عن مستودع لآثار الشماليين الاقدمين . والعظام والاصداف المدفونة في باطنها تدل على شدة فتكهم بالحيوانات البرية . وآثار اسنان الوحوش التي تشاهد على كثير من العظام دليل على ان الوحش المعروف بابن آوى كان يخرج من مخبئه في الغابة المجاورة ليتعرق العظام البارزة من جوارب التل . وكانت أفته للانسان ترداد على تماذي الايام حتى انه هجر اخيراً البرية واقام معه رفيقاً اميناً . وهو ما نسميه اليوم بالكلب

(٢٣) تلال الصدف وما تعلق بها

ان وجود قطع الاجر والصلصال المطبوخ بالنار بيينة ناصمة على ان سكان شمال اوربا الاولين كانوا قد عرفوا — ربما من اهل الجنوب — ان النار تقيي الصلصال اذا عرض لها فاصطعروا آنية مختلفة وطبخوها فكان لهم منها الفخار . فاقدم انواعه اذن من صنع اوربا^(١) . وهو من اهم ما ابتدع في العصر الحجري المتأخر . ومن اهم الاكتشافات في صدر هذا العصر اِرْهاف الآلات الفولاذية القاطعة بسنها على حجر الشعد (المنس) . ونجد في هذه التلال اقدم الفؤوس الضخمة المرهفة الحدود (الشكل ١٠ رقم ٥) التي مكنت انسان العصر الحجري المتأخر من القبض على اعنة السيادة في البيئة التي عاش فيها . ففارق من سبقة من السلف تقدماً ونجاحاً

(٢٤) تلال الصدف تكتنف الفخار من بعض الصناعات اقدم الفخار في اوربا . بعض الآلات الحجرية المرهنة على المنس او حجر الغنجد

(١) يرجح ان صناعة الفخار اخترعت في اماكن متعددة من الارض على وجه الاستقلال وان المخترع حاول ان يصنع آنية نضبط الماء ولا تحترق بالنار فطلى سلة بطين وصب فيها ماء ووضعها فوق النار ففادته هذه الفكرة الى استنباط صناعة الفخار

(٢٥) أدوات
انسان العصر الحجري
المتأخر

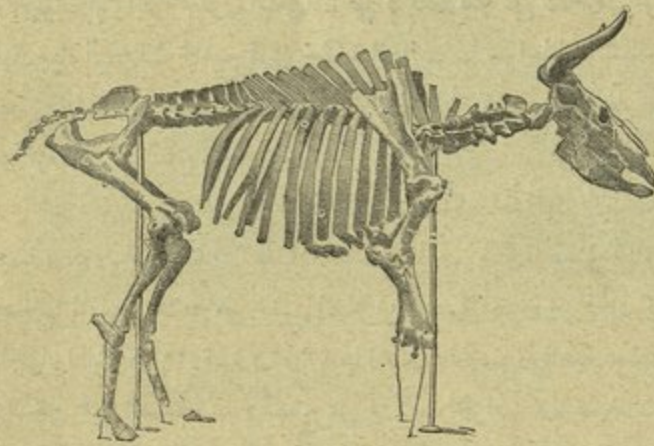
وصار انسان العصر الحجري المتأخر كامل العدة كنجار هذه الايام فكان لديه القيدوم والازاميل والسكاكين والمثاقب والمناشيد والمسان . معظمها مصنوع من الصوان وبعضها



A

B

C



الشكل ٨ عظام ثور بري تشاهد فيه آثار سهام قناص العصر الحجري المتأخر التي قتل الثور بها في غابات الدنمارك قبل عشرة آلاف سنة

رسم هذا الثور احد قناصي العصر الحجري المتأخر (ف ٢٢) بهم فاصابه في ظهره بقرب الحبل الشوكي (انظر الحلقة العليا البيضاء على الهيكل العظمي) ثم التأم الجرح لكنه ترك ندبة على الضلع A في اعلى الشكل . وبعد زمان بعيد رماه قناص آخر فاصابه بسهام عديدة اخترقت الاعضاء الرئيسية واصاب احد السهام ضلعاً فانكسرت (انظر الحلقة السفلى البيضاء على الهيكل العظمي) وهذه المرة لم يلتئم الجرح كما في المرة الاولى لان راس السهم الصواملي بقي ماثلاً كما يشاهد في اعلى الشكل B و C وفيها كان الثور الجرح بجاول ان يتماجد احدى العجيرات سباحة ادركه الاجل فمات وقفاص الى القعر . ولما وصل القناص الى العجيرة لم يقف له على اثر . وبعد ان كرت الوف السنين ردمت العجيرة . وفي سنة ١٩٠٥ وُجد هيكل عظام تحت ثلاثة امتار من الماء في طبقة من التخم الحجري سبها ثلاثة امتار . ووجد أيضاً رؤوس السهام الصواملية التي قتل بها لا تزال آثارها (A و B و C) بادية على الهيكل العظمي الذي لا يزال محفوظاً في متحف كوبنهاغن

من الحجر الاصم . وصار الانسان يستعمل مقابض للآلات التي لديه اما يربط المقبض بالآلة وشدها معاً او يشق بالآلة وادخال المقبض فيها . (الشكل ١٠) ولما اكتشفت هذه الآلات في عصرنا هذا شوهدت كأنها مصقولة صقلًا مما

يدل على استعمالها زمناً مديدًا بأيدي الصناع ومن الخطأ حساب ان هذه الآلات عديمة الهندام والفاعلية . فان احد الصناع في الدنمارك امتحن حديثاً

(٢٦) فاعلة
الآلات الحجرية

فعل احدى الفؤوس الحجرية المكتشفة فتمكّن بها - مع انه غير معتاد استعمالها - من قطع ست وعشرين صنوبرة قطر كل منها ثمانية قراريط، وتفصيلها قطعاً بمدة عشر ساعات فقط . وتمكّن صانع آخر من ان يقطع بالآلات حجرية ، الخشب اللازم لبناء بيت كامل . واتمّ البناء بواحد وثمانين يوماً . فزى ان اهل العصر الحجري المتأخر استطاعوا ان يبنيوا لانفسهم بيوتاً رُحبة مريحة ويبلغوا من المدنية درجة لم يحلم بها اسلافهم المتوحشون اننا نجد في سويسرة معظم الآثار الباقية من اقدم البيوت الخشبية التي لا مثيل لها في الدنمارك . ولذلك تقضي علينا الحال بمغادرة الدنمارك والانتقال الى سويسرة لدرس هذه الآثار . اراد بناء البيوت من ابناء العصر الحجري المتأخر ان يكونوا في مأمن من الانسان والحيوان فبنوا قراهم فوق البحيرات على دكّات قائمة على دعائم مركوزة في الفعر . فتكوّن فوق مياه البحيرات مجاميع قرى خشبية ازدانت بها سواحلها (الشكل ٩) وكانت مساحة بعض تلك القرى عظيمة جداً . ففي ونغان (Wangen) وحدها وجد نحو خمسين الف دعامة مركوزة في قعر البحيرة لدعم بيوتها^(١)

(٢٧) قرى

سويسرية

(٢٨) عيشة

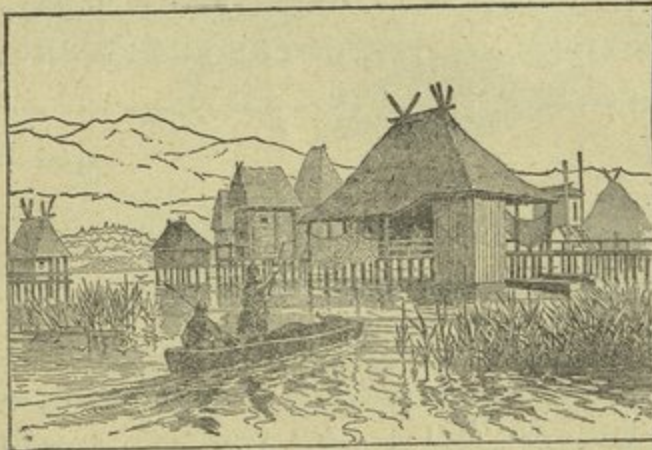
سكان البحيرات

اذا صح ان يُبنى على قرائن الاحوال حكم حكمتنا بان سكان البحيرات عاشوا عيشة رغد وسلام يجسدون عليها . كانت منازلهم مريحة حسنة البناء والاثاث اذ كان لدى اصحابها اباريق وملاعق من خشب فضلاً عن آنية أخرى من فخار كالكوؤوس والصحاف والجرار (الشكل ١٠ رقم ١ و ٢ و ٣) مما زاد في راحتهم ورفاهية عيشهم . الا ان تلك الآنية لم تكن جميلة الصنعة لانها لم تُصنع على دولاب الخراف ولا طبخت في الاتون المخصوص بها (شكل ٣٢) لكي يتقنّى كل انا . على نسبة واحدة في جميع اجزائه وكنت المياه المبنية فوقها تلك المنازل مكتظة بالاسماك التي كان السكان يصطادون منها ما شاؤوا بصنانير يدلونها من نوافذ في ارض منازلهم . وكان للنوافذ ابواب قلابة يفتحونها ويفلقونها متى ارادوا الا انهم كانوا احياناً يستعملون بدل الصنانير شبكاً مجموكة من خيوط نبات الكتان

(١) انه بعد حدوث قحط شديد زاد المال هبط مستوى الماء في البحيرات هبوطاً عظيماً في السنة ١٨٥٤ حتى ظهر قعر البحيرة المبنية فوقها هذه البلدة . فبانت بقايا الدعائم التي كانوا يدعون بها بيوت القرية على طول الساحل . ووجدوا بين الدعائم كثيراً من الادوات والآلات والمواعين كالتي تشاهد في (الشكل ١٠) ومن جملة ما وجدوه القارب والشباك التي ترى في الشكل (٩) . ووجدوا ايضاً حنطة وشعيراً وعظام حيوانات داجنة ونسجاً من الكتان الخ (ف ٢٦) . و بقيت هذه البقايا مغروسة تحت المياه خمسة آلاف سنة . وكانوا احياناً يحدونها في طبقتين تمتاز احداهما عن الاخرى . السفلى منها تنضمّن آلات من الحجارة ، والعليا (وفي احدث عهداً) آلات من البرنز استعمالها سكن قرى البحيرات بعد ذلك الزمان وسقطت في الماء وغاصت الى القعر حيث كانت الآلات الحجرية قد غاصت قبلها

ومع استمرارهم على الصيد والقنص اكتشفوا موارد اخرى للارتفاق . فبعد ان بقيت نساؤهم الوفا من السنين تجمع البزور والحبوب من النباتات البرية وتجربها بين حجرين وتصنع من الجريش خبز ملة خطر لهم انهم قادرون على ان يساعدوا الطبيعة على انماء النباتات البرية سواء كانت ما ينبت على حواشي الغابات او في الحقول المجاورة لسواحل البحيرات

(٣٠) زراعة
الدخن والحنطة
والشعير مدة العصر
الحجري المتأخر



الشكل ٩ ترميم منزل من منازل سكان البحيرات
في سويسرا

كان سكان البحيرات يقطعون الاشجار بفؤوسهم الحجرية (الشكل ١٠ رقم ٥) ويفصلونها برافد طول الواحدة ٣٠ قدماً تهري الرافدة من احد طرفيها وتغرر في قعر البحيرة في ماء بغير منها مترين او ثلاثة . ويقام على هذه الروافد دكات تنفي عليها المنازل التي كانت تنصل بالبر بمجر كالذي يشاهد الى يمين الصورة . وزيادة في الاحتظ والوقاية كانوا يرفعون قسماً منه مدة الليل بحيث ينقطع الاتصال بينهم وبين البر . وقد وجدوا حديثاً في قعر احدى البحيرات شبا كما ترى في الصورة منشورة على حظار المنزل (درايزين) وزورقاً كان يستعمله قناصو الوعل وغيره من الحيوانات لنقل ما يتحصون فاصبحت نساء

قرى البحيرات فألاحات وزراعات . وكانت الحبوب التي كُنَّ يزرعها قليلة تنحصر في الدخن والحنطة والشعير^(١) . ويظهر من الآثار ان هذا المورد الجديد كان غزيراً جداً . فان المتقنين عن آثار ونغان المذكورة آنفاً وجدوا ما يُري على مئة كيل من الحبوب مدفونة تحت

(١) ان المرطان (oats) والجودار (rye) لم يكونا معروفين بعد ولم يعرفوا إلا بعد ذلك بزمان طويل

الانقراض . و كانوا يزرعون الكتان ايضاً ويستخرجون من نباته خيوطاً (الشكل ١٠ رقم ٦) كانت تصنع منها النساء نسيجاً ينظن منه ملابس بدلاً من الجلود التي كان يلبسها السلف (الشكل ٥)

(٣١) تأثير الزراعة
في حياة الانسان
الاجتماعية

و كانت الحقول باعشاً جديداً على دوام حضارة سكان البحيرات فانها اضطرتهم الى الإقامة في جوار مزارعهم الصغيرة التي عزقتها ايادي نسايتهم لكي يعتنوا بالجبوب المزروعة ويحصدها حين ادراكها . وكل أسرة زرعت حقلاً سنين متتالية كانت تدعيه بحق وضع اليد . فتولد من ذلك حق التملك الذي صار فيما بعد مصدر نزاع وخصام في حياة البشر ولا سيما بين الاغنياء من جهة والفقراء من جهة أخرى - نزاع لم يكن معروفاً ايام كانت الاراضي مشاعاً للجميع

(٣٢) اذجان
النساء والمغزى
والبقر

على هضاب النرى البحرية في سويسرة وعلى تلالها الخضراء . كانت انسال الحيوانات البرية (الشكل ٨) التي كان يطاردها قنأصو العصر الحجري المتوسط في الغابات والجيال تسوم الآن بجل . حريتها لانها دجنت وألفت الانسان كما افنت الكلب من قبل (ف ٢٣) واقامت معه رهن امره واشارته^(١) ولقد مضى على انسان العصر الحجري المتأخر امدٌ طويل دون ان يكون لديه حيوان يحتمل عليه اشياءه . طارد اسلافه ابناء العصر الحجري المتوسط الحصان البري آلافاً من السنين لكي يصطادوه ويأكلوه (ف ١٧) . ولم يُدر في خلد هم ان يربوه ويروضوه ليصير داجناً صالحاً للخدمة^(٢)

(٣٣) حيوانات
المجر الاولى . الحراة
بالسكة

ان قوائم الثور البري القوية (الشكل ٨) مكنته بعد ان دجن من ان يجرّ وعزقة انسان العصر الحجري المتأخر حين كان يُشدُّ اليها بعد ان صار لها مقبضان (الشكل ٣١) فكانت المعزقة اول سكة فلاحية استعملها الانسان وكان الثور اول حيوانات الجرّ في اوربا . وبذلك تبدلت حالة الزراعة ودخلت في طور جديد . فبدلاً من عزق الارض بايدي النساء صاروا يفلحونها بالسكة على البقر ولما بلغ الاوروبيون الاقدمون هذه الدرجة من التقدم قيل انهم فاقوا سائر الشعوب الاولين كهنود اميركا الشمالية الذين ظلوا الى ما بعد اكتشاف القارة

(١) ان اذجان الانسان لهذه الحيوانات لا قدم كثيراً في الشرق مما هو في العصر الحجري المتأخر . وكذلك زراعة الجبوب والكتان . اما كيف اخذ الاوروبيون الاقدمون ذلك عن الشرق (ف ١٤٦) فالحجاب عنه ليس بين (٢) ان حصان جرّ الاثقال الذي كان له تأثير كبير في تاريخ المبران البشري قد أتى به من الشرق بعد ذلك بزمن طويل كما سنرى (انظر فقرة ٢٥٥)

يعزقون الارض بالايدي اذ لم يكن عندهم حيوانات للجر

(٢٤) تأثير
القلاحة بالسكة على
حياة الانسان
الاجتماعية . الحياة
الزراعية الحضرية



ولما كانت
الزراعة
تتطلب قوة
لضبط
حيوانات
الجر
وسياستها ،
وكانت قوة
المرأة غير
كافية

الشكل ١٠ جزء من امتعة يوت سكان الجبورات في العصر الحجري المتأخر

لذا ، ترى في هذه المجموعة بينة على ثلاثة اختراعات مهمة اخترعها انسان العصر الحجري المتأخر اذ اخذها عن غيره . الاول جرار فخار عليها نقوش ساذجة وفي اقدم صلصال شوي في اوربا (١) صورة قدسركن بطبخ فيها سكان الجبورات طعامهم . الذي آلات قاطمة ومرهقة بالسن (٤) صورة ازويل من حجر مرهق الحد بالسن (٢٤) فقرة ٢٤) ومركب في مقبض من قرن الوعل كفاًس (٥) فأس حجر رقيق حدها بالشمخ وفيها ثقب لادخال المنبض فيو (ان المنزل التي في صورة ٩ بنيت بالآلات كذه) الثالث السنج كما ترى في (٦) مغزل من الخرف وهو اقدم مغزل . ولا يزال في البلاد الشرقية حتى اليوم مغازل مثله لغزل القطن والصوف وقد وجد في مجترات سويسرة اقدم دولاب غزل ووجد معه بكرة ملفوف عليها خيوط كتان اعمال القنص

والصيد ويتفرغ للشؤون الزراعية . فصار فلاحاً بعد ان كان الوفاً من السنين صياداً . فانتقل بذلك اوربيو العصر الحجري المتأخر من البداوة الى الحضارة وصاروا يقيمون في القرى والمدن التي اختطوها بجوار مزارعهم (ف ٣٨)

(٢٥) قطعان
ومواش . حياة
الراعي

لم توجد تربية السائمة صناعة جديدة فقط بل اوجدت صنفاً جديداً من الخلق وهم الرعاة الذين ينتقلون بمواشيهم وقطاعهم انتجاعاً للمراعي في الارض التي لا تصلح للزراعة . ولذلك دُعوا بالاقوام الظعن او الرُحَّل . ولا تزال نشاهد امثالهم في بلادنا حتى يومنا هذا ينتقلون من مكان الى مكان ارتياداً للمراعي تصحبهم نساؤهم واولادهم ومواشيهم . وقد تملك هؤلاء الرعاة الرُحَّل المراعي الممتدة من ضفاف الدانيوب الى شمال البحر الاسود ومن ثم الى اسيا . وظلوا اخشن عيشاً واقل تمدناً من الفلاحين واهل الحضرة (ف ١٤٢) وهكذا تكوّن صنفان من البشر بدو وحضر . رعاة ينتقلون بمواشيهم من بقعة الى

(٣٦) التلخ
الدائم بين البدو
الرحل والحضر

بقعة يرتادون الماء والكلأ أتي وجدوا وفلاحون يقيمون في مزارعهم وقراهم يعملون في الارض ويستثمرونها . ولما زاد عدد القوم الرحل زيادة فاحشة حتى غصت بهم مراعي البرية على رحبها صار من دأبهم ان ينهلوا من البراري على القرى والمزارع انهيال السيول يغزون ويثهبون ثم يعودون بالاسلاب والغنائم آمنين كأنهم لم يرتكبوا جرماً . وسنرى ما كان لجيوش هولاء الغزاة من التأثير في تاريخ البشر (ف ٣٧٦-٣٧٩)

(٣٧) فر البناء
ومباني أوروبا في
العصر الحجري
المتأخر

شرح اهل الحضرة من ابناء العصر الحجري المتأخر منذ الآن يجنّفون آثاراً انجم وانقي من آنية الفخار والادوات الحجرية . فام يكن في اوربا قبلاً الا مساكن حقيرة سريعة العطب ولكن لما دنت شمس العصر الحجري المتأخر من الافسول شرع الزعماء وارباب السلطة والنفوذ في المدن والقرى يشيدون الاضرحة الفخمة من حجارة كبيرة جداً لا تزال بقية منها تشاهد على الساحل الغربي من قسرة اوربا - من اسبانيا الى الساحل الجنوبي من البلاد المعروفة باسكندناوية . وقد وجدوا مؤخراً في جزيرة سيلاند ببلاد الدنمارك ثلاثة آلاف واربع مئة من هذه الاضرحة وكلها مبني بالحجر . وبعضها فخم جداً . وقد وجدوا في فرنسا (شكل ١١) وانكلترا عدداً كبيراً من هذه القبور الفخمة . ومعظم الحجارة الكبيرة فيها (شكل ١٣) بقي على خشونته الطبيعية فلم تعمل فيه يد الانسان لنحتة او صقله الا ما فعلته الازاميل الحجرية وهو شيء لا يذكر . فلم يكن في بناء هذه القبور شيء من الآبهة والجلال الذي يشاهد في ابنية هذا الزمان لان حجارتها كانت ساذجة بلا نحت . ولم يستعمل في بنائها الطين الابيض لان فن البناء الحديث كان لا يزال مجهولاً ولم يعرف في اوربا الا بعد ذلك بزمان طويل بعد ان كان قد عرف اولاً في الشرق حيث تشاهد آثاره (ف ٩٧)

(٣٨) اقدم المدن
في أوروبا وقبائل
الحكومة

اننا حين نسرّح الطرف في ما بقي الى ايامنا هذه من آثار مباني العصر الحجري المتأخر تتجلى امامنا حقيقة وجود اقدم المدن في اوربا . فكل مقبرة هي بيّنة على وجود مدينة او قرية قام اهلها بتشيد ما فيها من الاضرحة . وقد كشف لنا الزمان على يد الاثريين بقايا بعض تلك المدن والقرى التي كادت تمحوها الايام عيناً واثراً . وقد استنتج اهل العلم مما شاهدوه من هذه البقايا ان تلك المدن كانت محاطة باسوار من اجر مركز في اعلاها - على الارجح - عوارض من خشب عُدّت جزءاً من الاسوار . وكان وراء الاسوار خنادق . فوجود المدن في هذا العصر الحجري دليل على كثرة السكان وهيلهم الى الاجتماع والتعاون على الاعمال ولا سيما الكبيرة منها التي تقتضي التعاون . ومما لا مبرة فيه ان بناء هذا الاسوار العظيمة ، ونقل الحجارة الهائلة لبناء ضريح زعيم القبيلة ، اقتضيا زعامة وحسن ادارة كما اقتضى فرز خمسين الف دعامة في قعر البحيرة التي بنيت فوقها مستعمرة ونغان تعادناً وحسن

تدبير . وفى اعمال كنهه نرى بدء الحكومة التى اخذت تتنظم اولاً تحت ادارة زعيم قدير .
وقد نشأ فى العصر الحجرى المتأخر بعض حكومات صغيرة مستقلّة بعضها عن بعض . وكلّ
منها مؤلف من مدينة محصنة وارباضها يتولّى حكمها ويدير شؤونها زعيم اورئيس ومن
هذه الحكومات الصغيرة نشأت حكومات امم الارض العظيمة

(٢٩) اعياد
ومباراة فى اولاد
الرياضية كما يعلم
من ابيّة اوربا .
العصر الحجرى
المتأخر



وترينا الابنية
الحجرية فى العصر
الحجرى المتأخر
— ولو لمحا —
شياناً من عيشة
القوم فى ذلك
الزمان البعيد .
ففى بعضها نشاهد
صور جماعات من
الخلق خارجين
من المدن ايام
الاعيان زرافات
ووحداناً قاصدين
الى ما كانوا
يسمونه بالدوائر

الشكل ١١ صريح من عهد العصر الحجرى المتأخر فى فرنسا
فى قبور كنهه كان يدفن الرعاء (فى العصر الحجرى المتأخر) كانت الحجارة التى تنى
منها ضرائجهم ضخمة جداً يبلغ وزن بعضها بضعة قناطير . وكانت المسافة بين الضريح والمقاع
الذى قطعت منه الحجارة بعيدة جداً وكانت تنى بشكلها الطبيعى كما قلعت من سطح الجبل
الحجرية . وهى اماكن معدة لاجتماع جم غفير فى ستونهنج (الشكل ١٣) حيث كانت
تجري المباريات التذكارية وسباق المركبات والالعاب الرياضية المتنوعة اكراماً لذكرى
الرئيس المرموس ضمن تلك الدوائر . فيظهر ان الفرس الاهلى كان قد وصل فى هذا الوقت الى
اوربا الغربية . يعرف ذلك من ازدحام الخلق لمشاهدة سباق المركبات ^(١) فى ميدان ستونهنج
الذى يبلغ طوله نحو ميلين . وكان هتاف المتفرجين وهم يشاهدون المركبات المتبارية تجري
فى ذلك المضمار الكبير تباعاً ديراً كما يترق النضاء . ويشاهد فى الشمال الغربى من بلاد فرنسا
حجارة هائلة تدل على مواقع الشوارع الطويلة التى كانت تسير عليها مواكب الافراح فى

(١) نجد مثلاً لهذه المركبات ما استعمل فى زمن متأخر فى شكل ١٠١

المواسم والاعياد قروناً كثيرة . فتلك الحجارة الصامتة المشوثة في حقول فرنسا اميالا تنطق
بغير لسان مُردّدة صدى هتاف وافراح ابناء ذلك الزمان البعيد . وتمثل لعقولنا عادات
ومعتقدات كانت تقدسها تلك الاقوام البائدة التي عاشت قبل زمن التاريخ

قد ارتنا الآثار التي تقدم ذكرها جماعات من ابناء العصر الحجري المتأخر يلعبون
ويروحون . ولكن هناك آثاراً أخرى تُرينا ايامهم مكبين على العمل . فكل مدينة من مدنها
كانت معامل بيئية يُصنع فيها ما تحتاج اليه تلك المدينة فقط . وكان لكل منهم حرفة
يعمل فيها فكان هذا نجاراً وذاك خزافاً وذلك معدناً . وكان العملة في المعادن يتعمقون في
الحفر حتى يبلغوا التي طبقة من الصوان فيقطعوا منها قدر الحاجة لصنع آلاتهم الحادة . وقد
وجد الباحثون منذ عهد قريب في الانفاق المحفورة قديماً في برندون بانكلترا ثمانين مغولاً
مصنوعة من قرن الوعل كاد يبريها كثرة الاستعمال وطول الزمان . ووجد المتأخرون من
علماء العاديات ، في مرم بنجم قديم أنهار سقفة فسد المرمر ، مغولين من قرن الوعل عليها غشاء
رقيق من مسحوق الطباشير لا تزال آثار اصابع صاحبها باقية عليه منذ سدت عليها منافذ
النجاة . ووجدوا في بلجيكا هيكل عظام انسان كان يشتغل في معدن فسقط عليه بعض
الصخور فاماته وبقي معولة الذي كان يشتغل به بين يديه (شكل ١٤)

(٤٠) ابتداء
الحرف في التاريخ
العصر الحجري
المتأخر
المتدين كحرفة

كانت المتاجرة بطريقة تبادل السلع
امراً شائعاً بين الشعوب القديمة . وكان
في عداد السلع التي كانت تنقل الى
جميع الجهات المعروفة ضرب من الصوان
الفرنساوي الممتاز يُعرف اليوم بلونه
الخاص . وكان من مواد تجارة هذا
العصر الحجري الكهربا (الكوربا)
التي كانوا يجمعونها من جهات سواحل
البطليك فتتناقلها الايادي حتى تبلغ
اقصى الاصقاع الجنوبية من القارة . ووجد
في الجزر الواقعة حول قارة اوربا كثير
من الادوات الحجرية مما يدل على ان

(٤١) التجارة
وتبادل المادلات
في العصر الحجري
المتأخر

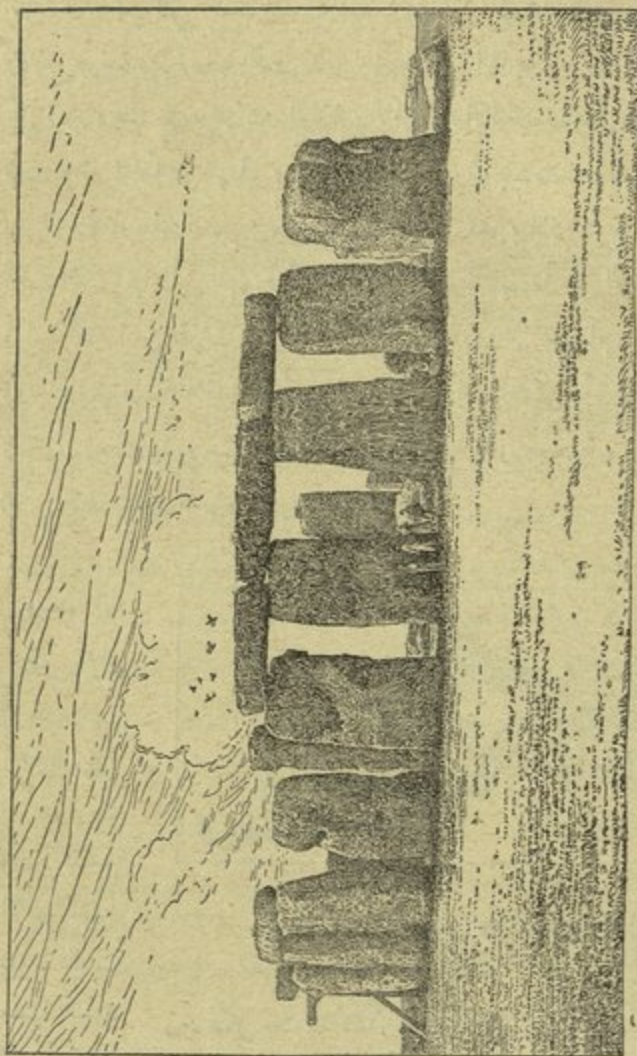


الشكل ١٢ قفارة انسان من العصر الحجري المتأخر
مرتب فيها راس سهم من الصوان

اصاب راس السهم A القليل في تجويف المعدلة فارتكز
في القفارة واحدث التهاباً برتوياً عنقه المرث ما يدل
على ان القوس التي رمي عنها السهم كانت ثقيلة

الانسان عاش في تلك الجزر في هذا العصر الحجري . ولا بد انه كان لدى سكانها زوارق
صتينة لتفاهم اليها . ووجد ايضاً في قعر البحيرات بين الاعمدة المركوزة بعض زوارق

(شكل ٩) من جذوع الأشجار العظيمة التي كان يُجَرَّفُ الجذع منها فيصير زرقاً بسيطاً .
أما الزوارق الشراعية فلم تكن قد استنبطت بعد في اوربا



الشكل ١٣ دائرة من مجارة ضخمة صنعها قهر أو مجموعة قهر كانت مدائن لجماعة من الرعام في العصر الحجري المتأخر في ستوايخ بالكانكرا

قطر هذه الدائرة ثلاثون متراً يصلها بالمدينة المجاورة طا شارع لا تزال آثاره باقية إلى الآن . وعلى مقربة من الدائرة ميدان السباق طوله ثلاثة كيلومترات تقريباً ولم يبنيد في اوربا الغربية قبل ان جامعها الرومان بناءة من الحجر سوى هذه البناية البسيطة

(٤٤) امالسه

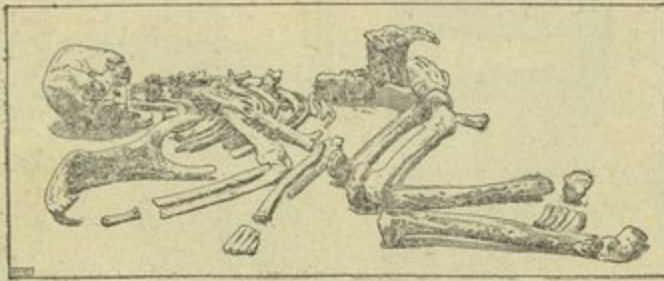
١ تجارة النظرية في
المصر المحجرت بالماهر

كانت تجارة هذا العصر طبعاً بسيطة لان المعادن والنقر لم تكن قد عرفت بعد . فكان يتم البيع والشراء بطريق المقايضة سلعة بسلعة . حتى الكتابة كانت لا تزال محبولة في كل اوربا التي لم تحاول قط ان تبتكر طريقة لها . فكان البائع اذا ما باع شيئاً نسيئة (ديناً) يرسم خطوطاً على حائط خيمته المصنوعة من اغصان الشجر والمطينة بالتباع العادي

لتذكره الخطوط بعدد السمكات او كيالات الخنطة التي يجب ان يطالبها غريمه في المستقبل

لم يكن السلام بين الجماعات التي عاشت قبل التاريخ مستتباً على الدوام . واسوار الطين والخشب التي كانت تطوق المدن (ف ٣٨) في هذا العصر الحجري بينة على حدوث وقائع حربية بين زعمائها الذين كانوا لدى مسيس الحاجة يأمرن بنفخ الايواق فيتألب حول كل زعيم رجال حزبه تاركين الولايم والافراح والالعب والعمل في الحقول والمعادن لينضوا تحت لوائه زياداً عن الوطن وصدّاً للاعداء عنه . ولنا بيئات ناصعة على وقوع الحروب الطاحنة بين الزعماء في هذا العصر . منها انهم وجدوا في قبر ببلاد اسوج جماعة انسان مرترّاً في وقب العين منها رأس سهم صوان لا يزال موجوداً فيها حتى الآن . ومنها انهم وجدوا في فرنسا كثيراً من فقرات ظهر الانسان تحترقها رؤوس سهام من صوان (الشكل ١٢) ووجدوا في اسكتلاندا تابوتاً من حجر تحت رحمة يتضمّن رمة انسان هائل التقاطيع تكاد تكون احدى يديه مبتورة من الكتف بضربة فأس حجرية . ولا تزال شظية من نصل الفأس عالقة بعظم الذراع المجروحة جرحاً بالماً

(٤٣) حروب
العصر الحجري المتأخر



الشكل ١٤ هيكل عظام ممدن من اهل العصر الحجري المتأخر

وجد هيكل عظام هذا الممدن المقدم مطروحاً على ارض ممدن صوان في بلجيكا تحت حفرة انهارت عليه من جوانب الممدن فحفنته . ووجد امامه معول براسين مصنوع من قرن الوعل (ف ٤٠) وقبها كان يحاول ان يطلع كتلاً من الصوان في طبقة طباشيرية هبط عليه صخر من سقف المنجم فقتل عن سيرهم

الى الامام . وكان ذلك حوالي سنة ٣٠٠٠ ق م . وظلوا يجهلون الكتابة مع شدة حاجتهم اليها في المعاملات التجارية وتسجيل محاضر الحكومة وكتابة التقايد كما كانوا

وبعد ان
جرى اهل
العصر
الحجري
المتأخر في
مضار التقدم
اشواطاً
بعيدة دامت
مدتها خمسين
الف سنة
وقفوا بيرة
عن سيرهم

(٤٤) اوربا
العصر الحجري المتأخر
والشرق

يجلبون المعادن^(١) التي لا غنى عنها في الصناعات الاستخراجية والتحويلية . ولم يكن لديهم سفن شراعية لنقل السلع التجارية . فلا تدع اذا وقفوا وهذه الاشياء كلها تعوزهم . ولكن بينما هم في هذا الوقوف بل الجمود جاءهم من ارض مشرق الشمس ما كانوا منتقنين اليه فهمد لهم السبيل الى احراز ما احرزوه من العمران الباذخ الموروث . ولقهم ما هو امامنا من تاريخ اوربا يجب ان نلتفت الى الشرق^(٢) الذي جاءت منه هذه الاشياء التي كانت اوربا في حاجة كلية اليها . ونعني بالشرق هنا البلاد التي حول الطرف الشرقي من البحر المتوسط (خريطة ٣)

(٤٥) فذلكه
تاريخية

وفيا نحن نلتفت الآن الى الشرق مصدر هذه الاشياء الآففة الذكر يجب الأ ننسى اننا في الصفحات التي طالعناها من هذا الكتاب قد تتبعنا مسير الانسان السابق لزمان التاريخ ، مدة لا تقل عن خمسين الف سنة اي منذ ابتداء يصنع ادوات وآلات من الحجارة . اما اهل الشرق فقد شيدوا على هيتهم بين سنة ٤٠٠٠ و ٣٠٠٠ ق م . (شكل ٢٦) عمرانا عالي الشأن يحسب بدء عصر التاريخ^(٣) . فالعمران اذن ولد في الشرق . نشأ فيه وشب وشاخ . وعمره الآن بين خمسة وستة آلاف سنة . ولقد انجب الشرق ابناً عزيزة الجانب أوتيت الحكمة وفصل الخطاب بينما كانت اوربا العصر الحجري تتعسف في مهامه الجبل والامية لا تعرف شيئاً عن الكتابة والمعادن . ولكنها منذ احزرت تدريجاً ما كانت في شديد الحاجة اليه انتقلت اليها زعامة المدنية في الحرب والسلام . وكما كنا نرقب حتى هذا العصر ، بزوغ المدنية في الشرق وما نتج عنها من معرفة المعادن وتنظيم الحكومة وبناء السفن الكبار وما شاكل ذلك من ثمار العمران ، كذلك يجب ان نتيقن ،

(١) دخلت المعادن المحبوب الشرقي من اوربا نحو السنة ٣٠٠٠ ق م وسارت على مهل الى الغرب والشمال عابرة القارة . والمرجح انها لم تصل الى بريطانيا حتى السنة ٢٠٠٠ ق م . ولذلك جعلنا آثار اوربا الغربية الحجرية العظيمة من جملة بقايا اوربا العصر الحجري وان تكن قد شيدت بعد دخول المعادن الى جنوب شرق اوربا . لان استعمالها في غربها لم يكن قد شاع بعد

(٢) حينما نستعمل في هذا الكتاب كلمة "شرق" نعني بها مصر واسيا الغربية

(٣) المراد بعصر التاريخ هنا هو الزمان الذي ابداً فيه الانسان يكتب مستعملاً الفاظاً يعبر بها عن افكاره وسر اعماله في حياته . فكل ما نعرفه عن الانسان في العصر السابق مأخوذ عما خلفه من الآثار كالألات والاسلحة والابنية دون كتابة عليها فمن هذه الاشياء استخلصنا في الفصل الاول من هذا الكتاب ما نعرفه عن اوربا قبل عصر التاريخ . اما الانتقال من عصر قبل التاريخ الى عصر التاريخ فكان في جميع الامكنة بطيئاً جداً وقد تم في الشرق ما بين سنة ٤٠٠٠ و ٢٠٠٠ ق م .

ان سير المدينة استمر بعد ذلك من الشرق الى الغرب . وسنتبعه في فصولنا التالية من الشرق الى الغرب

اسئلة

١

اي تقدم في الاختراع لاحظته في حياتك ؟

هل استنبط الانسان كل ما لديه من الاختراعات على اسلوب واحد ؟

هل جاء على الانسان حين من الدهر لم يكن لديه شي . منها ؟

هل كان له معلم ؟ صف حال التسمانيين في الازمنة الحديثة ؟ صف اوربا قبل زمن

التاريخ ونوع معيشة سكانها الاقدمين ؟ اذكر اسماء الاعصر الثلاثة التي عقت ذلك ؟

٢

اذكر امثلة تدل على ان الانسان وجد على الارض منذ حقبة مديدة . صف اول سلاح

حجري . في اي زمان تقريباً ابتداء العصر الحجري القديم (انظر الخريطة الاولى وطالع

الوصف) فاتحة اي عصر كان السلاح الحجري ؟ صف صياد العصر الحجري القديم . اي

تغيير عظيم حتم به هذا العصر ؟ اوضح ذلك

٣

الى اين كان ياوي قناصو العصر الحجري المتوسط ؟ اي تحسين اجره في آلاتهم

الحجرية ؟ (شكل ٣) اية مواد جدت ؟ اي اختراعات جديدة ؟ اوضح النتائج . صف

صناعة العصر الحجري المتوسط . ارسم قطع كهف مع ما تضمنه (شكل ٦) . ما هو

التغيير العظيم الذي انتهى به العصر الحجري المتوسط ؟ ومتى ؟

٤

في اي مكان وجدنا اولي مستعمرات الانسان العصر الحجري الحديث ؟ صفها وصف

آثارها . اية اختراعات جدت ؟ اخبر عن النجارة بالآلات الحجرية المسنونة . صف القرى

البحرية والمعيشة فيها . اذكر كيف تحولت الحبوب البرية الى بساتينية . أين نتائجها الاجتماعية .

صف كيف صارت الحيوانات البرية داجنة وأين نوعي العيشة اللذين نتجا عن ذلك . صف

الابنية الحجرية ونوع العيشة التي تتجلى منها . صف الصنائع والتجارة والحروب

ما هي الاشياء المهمة التي ظل العصر الحجري المتأخر مفتقراً اليها ؟ أمكن العمران

بدونها ؟ اين عرفت هذه الاشياء . اولاً ؟ هل تعرف اماكن بالقرب من موطنك عاش فيها

أناس من العصر الحجري وهل رايت في زمانك اماكن كهذه ؟ صفها اذا كنت رايتها

القسم الثاني

بلاد الشرق

الفصل الثاني

تاريخ مصر . سكان النيل الاقدمون وعصر الازهرام

٥

مصر وسكانها الاولون

نستهل بحثنا عن الشرق القديم بمصر لانها اقدم بلدان الشرق عمراً واوفرها عاديات وافخمها آثاراً يدلنا على ذلك عدد السياح الذين يؤثمنونها كل سنة لمشاهدة تلك الآثار التي لا مثيل لها في العالم اجمع . يأتيها السائح من بلاد الغرب على متن باخرة تشق به العباب حتى تصل الى الاسكندرية فتلقى مراسيها في ميناء من اعظم الموانئ . اتقاناً . وحين يقبل الى البر يمتطي مركبة من مركبات القطار الحديدي حسنة الفرش والرياش فيسير به القطار في تلك السهول الفسيحة ينهب الارض نهياً الى المكان المقصود . واذا سرح نظره من نافذة المركبة رأى كثيراً من القرى والمزارع المبنية بالطوب ، وثمانل النخل الباسقة الاشجار ، والبقاع الخضراء ، على مدى النظر تتخللها الترع طولاً وعرضاً حتى يجيل اليه انه يرى شبكة مكبرة . ويشاهد كثيراً من الرجال النجيني البنية السمر الالوان واقفين على ضفاف الترع على مسافات متفاوتة ينشلون المياه بالدلاء لسقاية الارض مستعينين بالآلة يسئونها شادوفاً مؤلفة من خشبة طويلة ترتكز عند منتصفها على قائمين تتحرك بينهما تصعداً وتصوباً مربوطاً



بأح
مص
وخ
الار
بالط
الش
المَر
هض
حي
الوا
عره
النه
وما
ارا
مُس
عد
تت
شد
يج
وس
الط
الذ
وا
تج
الع

بأحد طرفيها دلوً وبالطرف الآخر ثقلٌ يوازن الدلو . والسقي على هذا النمط بيّنة على ان مصر لا يقع فيها ما يكفيها من المطر

تربة البلاد سوداء اللون ولكنها من اخصب التراب فلا تفوقها في اخصب تربة اخرى . وخصبها مكسوبٌ من نيلها المبارك فانه بفيضانه السنوي وطول مكوث مياهه فوق الارض يرسب ما تحمله المياه من التراب الناعم فيتكوّن من الرسوب قشرة رقيقة تعرف بالطيني وهي علّة اخصب في بلاد النيل . ومن هذا الرسوب السنوي تكوّنت دلتا النيل الشهيرة . وتشتمل الدلتا والوادي الذي فوقها حتى الشلال الاول على الوف الالوف من الاميال المريعة من الارض الصالحة للزراعة

(٤٨) الرادع
التفاح والمصاب



الشكل ١٥ قبر رجل
مصري من العصر
الحجري المتأخر

ومتى بلغ القطار حدّ الدلتا الجنوبي تبدو لعين الناظر هضابٌ بارزة من الصحراء (شكل ٤٩) عن جانبي الوادي حيث تنتهي الدلتا . ويجري النيل الذي احتفر مجراه العميق الواسع في تلك الصحراء متمجّجاً الى الشمال في وادٍ لا يزيد عرضه عن خمسين كيلومتراً . واما شتتا الارض على جانبي النهر فقلما يزيد عرض الواحدة منها عن ستة عشر كيلومتراً . وما اسرع ما يتقل المرء عند طرفي هاتين الشقتين ، من اراضٍ مريعة ذات خضرة نضيرة الى رمال الصحراء التي تُسفياها الرياح الى الوادي . ومن يتسلق الصخور التي اعلى عدوتي الوادي ويقف عليها متأملاً يرا امامه قفراً شاسعاً تتعاقب فيه آكامٌ ورمالٌ يجئ للناظر اليها انها تضطرب من شدّة وهيج الشمس

(٤٩) مصري
الصرايحري المتأخر

حفرة يضيء الشكل عنها متر اومتر ونصف . (قابل الشكل ١٢٦) الرمة محاطة بقوارير فخار كاذب قديم مملوءة طعاماً وشراباً . وقد وجدوا حتى في اقدم القبور المصرية بعض الادوات الصغيرة المصنوعة من النحاس مما يدل على انها تخص باخر العصر الحجري المتأخر لتبين والقطار يطوي بنا وادي النيل ان ذلك الوادي يحدثنا حديثاً متسلسلاً منقطع النظير عن اسلافنا الغابرين وسيدهم في مضار الحضارة وال عمران . فاذا ادركنا الطرف نحو الصحراء رأينا الوفاً من التلال التي تحتها قبور جدود الرجال الذين يشاهدون منتشرين في حقول الدلتا . واذا نبشنا واحداً من تلك القبور رأينا فيه رفات فلاح النيل القديم تحيط به الآنية والآلات الحجرية (شكل ١٥) التي تحدثنا بغير اسان عن اهل الاجيال العديدة الذين عاشوا في ذلك الوادي كما عاش امثالهم في اوربا مدّة العصر الحجري المتأخر .

عاشوا وماتوا قبل ان يعرفوا كيفية استعمال المعادن . وكثيراً ما يجرد الاثريون في القوارير التي كان القدماء يدفنونها مع الميت شعيراً وحنطة (شكل ١٥) لتكون زاداً له على ما كانوا يزعمون . وكانت الحنطة من النوع الذي تنفلق حبوبه نصفين^(١) وكثيراً ما كانوا يجدون مع الشعير والحنطة خرفاً من الكتان علم منها المكان الذي صدر منه الكتان اولاً . وكان هؤلاء الفلاحون الراقدون في رموسهم منذ ستة آلاف سنة يعملون في الارض ويسقونها كما يعمل فيها ويستيبها اليوم ابناؤهم الذين يشاهدون من نوافذ القطار



الشكل ٦ رسالة تصويرية حفرة على الخشب هنود من الامريكا

صورة انسان فارغ اليدين دلالة على القنوط والراحان متدلّيات اشارة الى الاشكال او الامام والمجهول ، والفراغ الى لفظة لاشي . ومعناها 'لا' وصورة آخريد . الواحدة على مسور رمزاً الى الاكل او الطعام واليد الاخرى تشير الى الخبث . والصورة كلها عبارة عن جملة معناها لا طعام في الخبث (ف ٥١)

ان قري الفلاحين ذات البيوت الواطئة السقوف التي يلمحها راكب القطار لمحا هي صورة طبق الاصل للقري التي كانت قبل التاريخ واضمحت بعد ان دامت احقاباً طويلاً وطناً لسكان ارض النيل الاقدمين الذين تشاهد رموسهم عند حاشية الصحراء . وكان في كل من هذه القري منذ ستة او سبعة آلاف سنة شيخ او زعيم يسيطر على الترع التي تروى منها الاراضي في ناحيته . وكان على كل فلاح ان يؤدي للزعيم حصّة معينة معاومة من غلة الحنطة والكتان . والّا فالزعيم يقطع عنه الماء الضروري لارواء ارضه ويجبره على قادية المطلوب بلا رحمة ولا امهال . وهذا هو اقدم انواع الضرائب

(٥٠٦) اقدم
المكتومات
والضرائب

واضطرّ الفلاح بسبب هذه المعاملة ان يرسم على جدار بيته المطين بالسيّاع صورة ساذجة لمكيال الحنطة وخطوطاً معلومة للدلالة على كمية المكيال التي كان يؤديها من سنة الى اخرى (انظر فقرة ٤٢) فكان استعمال هذا النوع من الكتابة بعلامات تصويرية الدرجة الاولى

(٥١٧) آثار
مكتوبة بطريقة
تصويرية

(١) ان هذه الحنطة التي تنفلق شطرين في ضرب من القمح يختلف عن القمح العادي بانفلاق حبوبه ولا تنفلق هذه الحبوب بمجرد دراستها على اليد بل تبقى ملتصقة - ولو درست - بشيء يربط فلتانها بعضها ببعض فاذا زال الغشاء بسبب ما انفلت كل حبة نصفين . ولا يزال النوم في بعض الهاء اوريا يزعمون هذا النوع من الحنطة لكي يسحقوا منه النشاء ويعرف عندهم بنوع النشاء . وقد وجد هذا النوع من القمح في فلسطين طالما في الحفول من تلقاء نفسه بلا عناية الانسان كبقية النباتات البرية وامم ما زرع المشاركة القدماء الشعير وهذا الضرب من الحنطة

في سلم تعلم الكتابة . ولا يزال الناس في البلدان التي لم تنل قسطاً من المدنية يعولون على صور رمزية كهذه بدلاً من الكتابة . فاهل الاسكندرية يكتبون رسائلهم بصور رمزية على قطع من الخشب (شكل ١٦) . والذين يمدون الى حل هذه الرموز يتفقون في تأدية معناها ولو لم يتفقوا في اللفظ فالشكل (١٦) ربما فسره احدهم بقوله « لا طعام في الخيمة » وآخر بقوله « لا أكل في الصيوان » . فعلامات تصويرية كهذه هي وسيلة لنقل الافكار بالضبط التام بقطع النظر عن الالفاظ . وهكذا كان الحال عند هنود اميركا فان ارباب



الشكل ١٧ تاريخ مصور لاتصار زعيم من
داكوتا اسم الرثم الراكض

السطولة والبطش منهم كانوا كلما ازدادوا تسجيل آثارهم جماعها هيئة رموز وصور (شكل ١٧) وما يستحق الملاحظة هنا هو انه لا شيء في الصورة يدل على الالفاظ بعينها ولذلك كان التعبير عنها بطرق مختلفة من الوجهة اللفظية . وكان ملوك مصر يسجلون آثارهم منذ ستة آلاف بطرق تصويرية مدهشة (شكل ١٨)

(٥٢) الخطوة
الاولى التي قادت
البشر من الطور
التصويري الى
الطور الصوتي

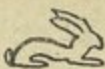
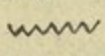

ان هذا الزعيم كتب سيرة حياته بمسلة رسوم عدد طنانها ١١ منها هذا الشكل (١٧) الذي يبين في كيف انه في يوم واحد قتل خمسة ابطال من اعدائه . ويرى هذا البطل المسمى بالرثم الراكض منطلياً جواداً وعلى ترسو صورة صفره وشعار اسرته ونحت الجواد صورة غزال راكض بقصد يو الدلالة على اسم الزعيم . وترى آثار جواده وهو ماراً بسرعة حول الشجرات التي كان مخبئاً فيها الابطال الخمسة الذين قتلهم . وواحد من هؤلاء الخمسة يرى في الرسم حاملاً بندقية يئل بقية رفقاته . والبندقيات الاربعة الاخرى التي ترى في حالة الاطلاق تدل على الاربعة المخبئين بين الشجرات

ان الآثار الاميركية القديمة المكتوبة لم تتعد الطور التصويري قط . فذلك لم تكن كتابة حقيقية . وكان لا بد من ان يتقدمها درجتان قبل ان تصير كتابة صوتية في الدرجة الاولى بكرن لكل شيء . يراد رسمه شكل ثابت لا يتغير يُعرف به حيث يرى . فالعلامة التي ترسم الدلالة على رغيف مثلاً يعود الناس قراءتها بلفظ رغيف لا خبز والعلامة التي تدل على ورقة تمرأ ورقة لا غير

(٥٣) الدرجة
الثانية المؤدية من
الطور التصويري
الى الطور الصوتي

انه لا مرطبيعي ان تتلو الدرجة الثانية الدرجة الاولى . فصارت صورة القفة التي سماها المصري «ن ب» علامة للمقطع الهجائي «ن ب» حيث وقع . وهكذا يمكن التعبير عن لفظة سيد او رب باستعمال صورة «القفة» لان لفظة رب تشمل ايضاً على الحرفين الصحيحين «ن» و «ب» اي «ن ب» . وعلى هذا النمط صارت صورة




الارنب  - واسم الارنب المصري «وم» - علامة للمقطع «وم»
 في اية كلمة وردت فيها وصارت صورة التموجات الخفيفة الحادثة بفعل النسيم اللطيف على
 سطح الماء  والتي كان المصري يدعوها «ن» علامة للصوت «ن» .
 وهكذا توصل المصري الى طريقة لكتابة المقاطع . حتى الحروف ايضاً استطاع في الدرجة
 التالية ان يربطها للحصول على كلمات أخرى . فربب صورة الارنب وصورة التموجات
 اللطيفة . وأنت منها الكلمة و «نن» «كون» التي فقدت معنى
 العلامات الاصلية التصويرية وبقي معناها الصوتي لا غير 




الشكل (١٨) مثال الكتابة
 المصرية في العصور التصويرية

تفسير . ترى في الاعلى صورة
 صفر رمز الملك (قابل الصفر على
 ترس الرثم الراكض في الشكل ١٧)
 مجر رأس انسان مجل ووراء الرأس
 ست ورقات من النبات المعروف
 بعرائس النيل (كل ورقة ترمز الى
 العدد ١٠٠٠) نابتة من الارض
 المتصل بها الرأس . وفي الاسفل
 ترى صورة رأس حربة عفاة
 وشكل هندي مستطيل (رمز الهيرة)
 ومغزى الحكاية المصورة هوان
 الملك المرموز اليه بالصفر أرسنة
 آلاف رجل من الهيرة المعروفة
 ببجرة الهربة (ف ٥١)

ولو بقيت الكتابة مجرد سلاسل من الصور لما امكن
 المصري ان يكتب امثال هذه الكلمات : «كون» و «مجة»
 و «جال» الخ لانه لا يمكن رسم صورة لهذه المعاني ولكن
 لما صار طائفة كبيرة من هذه الصور علامات صوتية كل منها
 يدل على مقطع او حرف صار في الامكان كتابة كل كلمة
 سواء كانت تدل على معنى يمكن تصويره او لا . والذي
 سهّل للمصري طريقة ايجاد المقاطع او العلامات الهجائية هو
 عدم اكثرائه للحركات ، واهتمامه بالحروف الصحيحة كما في
 العربية وهكذا اخذ المصري صورة الرغيف 

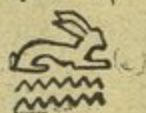
الذي اسمه «تا» وباهماله الالف التي هي اقل اهمية من
 الحرف الذي معنا امكنه استعمال صورة الرغيف للحرف
 الصحيح «ت» فقط وعلى هذا النسق بنى مقاطعه وحروفه
 الهجائية دون اياما فعلياً الى اصوات الحركات التي لم يكن
 يكتبها ولكنه عند القراءة يستعملها . فكانت تقرأ ولا
 تكتب مثل الحركات في الكتابة البسيطة غير المشكّلة في
 العربية . فالحصول على علامات صوتية كان العامل الاكبر في
 ايجاد كتابة حقيقية لأول مرة في تاريخ الانسان . وقد سبق
 المصريون الى استنباط الكتابة اهل العالم قاطبة




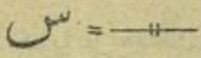
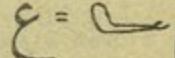
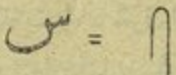

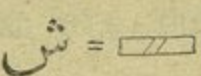

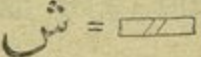

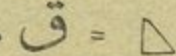
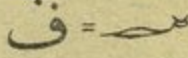
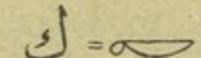

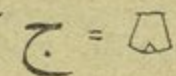
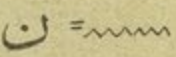
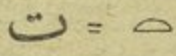
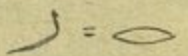
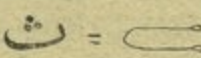
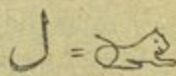
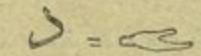
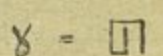
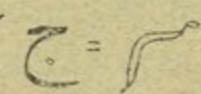
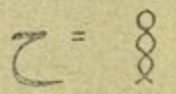
كانت علامات الكتابة المصرية ست مئة علامة كثير
 منها كان يمثل مقاطع كاملة مثل «نب»  وقد

(٥٤) قائمة
 العلامات الصوتية

(٥٥) علامات
 المقاطع ومجموعات
 علامات

تعلم الكاتب المصري تدريجياً الكثير من مجموعات هذه العلامات الهجائية التي كل مجموعة منها كانت تدل على كلمة . فصارت الكتابة عنده عبارة عن عدد كبير من مجموعات العلامات التي تتألف منها الجمل



خ = ●	ا = 	راجع الشرح بشأن استعماله حرف علة
خ = 	ى = 	استعمل حرف علة على عهد اليونان
س = 	ع = 	
س = 	و = 	راجع الشرح بشأن استعماله حرف علة
س = 	ب = 	كان التلفظ به يختلف اولاً بعض الاختلاف عن الحرف السابق
ش = 	پ = 	
ق = 	ف = 	كذلك ك على عهد اليونان
ك = 	م = 	كذلك العلامة بعدها
ج = 	ن = 	كما يلفظه المصريون في القاهرة
ت = 	ر = 	
ث = 	ل = 	في الازمنة المتأخرة ولكنها استعملت قبلاً للدلالة على ر
د = 	لا = 	
ح = 	ح = 	كما يلفظه العامة في شمالى سوريا

الشكل ١٩ حروف الهجاء المصرية

كل واحد من هذه الحروف كان يدل على حرف صحيح . ولا مرأ في ان المصريين كانوا يلفظون كلماتهم بحركة لكنهم - كما في العربي غير المشكل - لم يكتبوا الحركات . وفي العصر اليونانية استعمال ثلاثة من الحروف الصحيحة كحركات ، الأول والثاني والرابع على القائمة .

(٥٦) علامات
هجاء

وتخطى المصري الحد الذي وصل إليه في الكتابة اذ صار لديه مجموعات من العلامات التي كل منها يدل على حرف فقط . اي انها كانت حروفاً حقيقية . وكان عدد الحروف الهجائية عند المصريين اربعة وعشرين حرفاً (شكل ١٩) كانت معروفة في مصر قبل سنة ٣٠٠٠ ق م . بزمان طويل . وهي اقدم حروف هجاء عرفها البشر . وكان في امكان المصري ان يكتب لغته باستعمال اربعة وعشرين حرفاً (الشكل ١٩) لو لم تكن عادة استعمال مجموعات الحروف ثقيلة على الكاتب في ذلك الزمان كما هي ثقيلة اليوم في اللغة الانكليزية مثلاً بحيث يتعذر ادخال النظام الصوتي في تهجتها مهما بولغ في بسطه

وكان لهذه اللغة المكتوبة على هذا النمط علاقة بلغات البلاد المجاورة كلفات غرب اسية كما كان لها علاقة بلغات شمال شرق افريقية كبلاد البربر والصومال الخ . فكانت مزيجاً ليس فقط في مجموع مفرداتها بل في بناء تلك المفردات ايضاً . وتوضح هذه الخاصية من الزيادات الملحقة بالضمائر كما ترى في (الشكل ١٩)

(٥٧) لغة اللغة
المصرية الى ما
يجاورها من اللغات

ن -	} جمع	متكلم - ي	} مفرد
نن -		مخاطب مذكر - ك	
		مؤنث - ت	
سن -		غائب مذكر - ف	
		مؤنث - س	

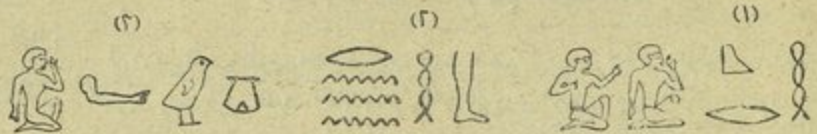
فترى هنا اصولاً سامية واضحة محتاطة بأخرى غير سامية . ويتضح التركيب السامي اولاً من ان الاءاء المؤنثة تنتهي بالحرف «ت» . ثانياً من كون اكثر الافعال ثلاثية صحيحة ثالثاً من اسلوب تصريف الافعال ومن اشياء أخرى كثيرة . واما نسبتها الى اللغات الاخرى فتظهر في مواد كثيرة من مجموع مفرداتها وفي الصيغ التي يزداد في اولها الحرف س . وبالاجمال ان خصوصيات عمومية كهذه ما ينتظر وقوعه في لغة شعب عاش في بيئة تلاقت فيها عدة لغات في الزمن الذي سبق ظهور الاسلام الذي جاء بلغة عمومية من اسية الى شمال افريقية . وكانت هذه اللغات مزيجاً من عناصر لغات مختلفة لان الشعب الذي تكلم بها كان ايضاً مزيجاً من شعوب مختلفة اسيوية وافريقية

ولم يلبث المصري ان اخترع من لوازم الكتابة الحبر والقلم . توصل الى صنع الحبر بمزجه الماء بشيء من الصمغ والسنج الذي يتكثّر على اسفل القدر اذا وضعت فوق نار

(٥٨) اختراع
مادة الكتابة الحبر
والقلم

الحطب وبغصه قصبة مبرية في المزيج استطاع ان يجيد الخط والقلم الذي اخترعه استعماله اهل الشرق في الماضي وسيطلون يستعملونه في الكتابة العربية الى ما شاء الله ثم اكتشف المصري ايضاً انه يستطيع ان يقطع ورق النبات قطعاً رقيقة مستطيلة ويكتب عليها احسن جداً مما يكتب على الخرف او العظم او الخشب . ولما اراد ان يكون لديه منها قطع اكبر فتقت له الحيلة ان يلصق حاشية القطعة الواحدة بجاشية الاخرى فكان له ما اراد . ولكنه وجد ان الورق رقيق جداً . فقاده العقل الى ان يضع طلحجة فوق اخرى ويلصقها معاً بحيث تتقاطع اوردها على زوايا قائمة فكان له من ذلك ضرب من الورق سميك ومتين الا انه اصفر اللون (الشكل ٤١)

(٥٩) اختراع مواد الكتابة الورق



الشكل ٢٠ (١) كفة مصرية (٢) و (٣) كفتان عربيتان مكتوبتان بالخط المصري القديم

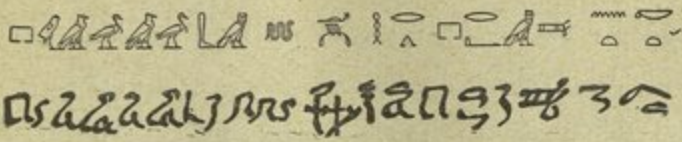
فالعلامات الثلاث الأول في الكلمة الأولى (١) في ح ورق و (انظر الشكل ١٩) اما الحركات فلا نعرفها ومعنى هذه اللفظة متسول (حرفياً جامع) وبما انها تدل على شخص اضاف المصريون اليها انساناً جانياً عند الطرف وامامة رجل آخر يده على فم رمز الى الجوع او العطش او الكلام. وهذان بقية من العلامات التصويرية القديمة. وعلامات كهذه ليس لها اهمية في اللفظ ولذلك دعت دلالت (٢) لفظه عربية بحيث في اللغة المصرية القديمة مجرد الايضاح والعلامات الثلاث الأولى تدل على الاحرف ب . ح . ر . (انظر الشكل ١٩) والثلاثة المتخاططة الموجبة تشير الى لفظه "ماء" ومعنى كل ذلك بحر . والثالثة (٣) كلمة عربية اخرى مكتوبة بالخط المصري القديم فالعلامات الثلاث الأولى تدل على الاحرف ج . و . ع (انظر الشكل ١٩) والعلامة الاخيرة في الدليل على "الجوع" (انظر شكل ٢٠) ومجموعها يعني جوع . فبمساعدة حروف الهجاء (ش ١٩) والدلائل المذكورة يستطيع الطالب ان يكتب جملة من الالفاظ العربية بالخط المبروغلفني مثلاً رجل والدليل الرجل الجاني ويده على فم ، وضحك ، والدليل هو نفسه ، وهر والدليل الماء المتزوج (ش ٢٠) (٢)

وهكذا اكتشف المصري ان الغشاء النباتي هو احسن مادة يكتب عليها . ولم يستطع العلم حتى الآن ان يكتشف مادة احسن منها . وهكذا تم اختراع القلم والحبر والورق كما ذكرنا آنفاً (انظر الشكل ٢٨) وهذه الاختراعات الثلاثة وصلت اليها من المصريين . ولا يزال اسم الورق في الانكليزية يدل على الاصل الذي اخذ منه (Papyrus) مع اختلاف طفيف في اللفظ

(٦٠) خطورة استنباط الكتابة

وكان لاستنباط الكتابة وابتكار اسلوب موافق لتدوين الحوادث على الورق تأثير

كبير في حال العمران اهم جداً من جميع الاعمال العقلية التي ولدها عقل الانسان والانظمة التي سنّها والحروب التي اثارها



شعر
المصريون
منذ اقديم
بضرورة
قياس
الوقت .

الشكل ٢١ مثال النخط المصري القديم المعروف بالهيروغليفي (السطر الاعلى) وبقابلة بالنخط العادي السريع (السطر الاسفل) مكتوبين على ورق البردي والمحرر والقلم. ويعرف النوع الثاني "الهيرانيك" ويو كانت نم جميع الكتابات العادية

ان الاعمال التجارية اليومية عند المصريين كانت تقضي كثيراً من المكتبات والوقا من "القيود" التجارية. وبعد ان غدت الكتابة بالقلم والمحرر على ورق البردي صار الكتبة يسرعون جداً فيها (الشكل ٢٨) ومع كرو الامام شاع ضرب من الكتابة السريعة التي اختصرت بها علامات النخط الهيروغليفي اختصاراً يذكر. وسميت هذه الكتابة السريعة "الهيرانيك" وبلاحظ جلياً في المثال المذكور انما ان العلامات الحاصلة في السطر الاسفل اقماعي نتيجة محاولة الكاتب ان يسرع في كتابة العلامات التي في السطر الاعلى (قابل علامة بعلمة) ويجب ان نلاحظ ان المصري يكتب من اليمين الى اليسار كما يكتب في العربي. وكانت الكتابة احياناً من الاعلى الى الاسفل اي عمودية. وكان معروفاً عند المصريين في القرن الثامن ق.م نوع ثالث من النخط السريع يشبه من بعض الوجوه النخط المنزحل الحديث ويعرف بالدارج (ذموتك) واحدى زجات حجر رشيد (شكل ١٦٢) مكتوبة بهذا النوع من النخط

وقد كانوا
قبلاً يعولون
في ذلك
على القمر
فيحسبون
الشهر من
هلال الى
هلال شأن
الشعوب

القديمة واليهود والمسلمين حتى الآن لما رب دينية . فكان احدهم اذا اقترض مقداراً من الحنطة على ان يردّه بعد تسعة اشهر ومضى من الاجل ثمانية اهله يعلم انه باق هلال واحد . ولكن الشهر القمري تارة يكون تسعة وعشرين يوماً وطوراً ثلاثين . فهو غير موافق لتقسمة السنة اقساماً متساوية . فتدرك المصريون هذا الامر قبل سواهم من الامم المجاورة وقرّ رأيهم على ان لا يعتمدوا في تقسيم السنة على القمر

قرر المصريون ان تكون سنتهم اثني عشر شهراً كل منها ثلاثون يوماً وجعلوا الايام الخمسة الباقية اعياداً تُختَم بها السنة . فكانت سنتهم بموجب هذا التقسيم الجديد ٣٦٥ يوماً ولكنهم لم يكونوا قد برعوا بعد في علم الفلك حتى يجعلوا كل سنة رابعة كبيسة اي ٣٦٦ يوماً . الا انهم ادركوا هذا الخلل فيما بعد (ف ٦٨٧) . وكان استنباط هذا التقويم المفيد سنة ٤٢٤١ ق.م . واستعماله اول حادثة اُرخت في كتب التاريخ . وقد وصل اليها

(٦٢) الخنراج
المصريين فتوينا
سنة ١٢٤١ ق.م اقدم
تاريخ دون في
التاريخ

هذا التقويم غب استباطه بستة آلاف سنة مشوهاً لما طرأ عليه من التغيير في طول الشهور .
الأ ان المصريين براء من هذا التشويه الطارىء . (ف ٨٧٣)

(٦٢) عدم
وجود واسطة
لتعيين سنين قد
مضت . ابتصار
طريقة لتسمية
السنين

ولما كثر على مرّ السنين عدد الصكوك المورخة بموجب هذا التقويم وجد انه اذا كان
الصك سنداً للامر او وثيقة ايجار فلا فائدة للتاريخ اذا كانت السنة غير معلومة . ولم يكن
الاصطلاح على بدء التاريخ من حادثة شهيرة كميلاد المسيح او الهجرة النبوية معروفاً بعد .
فلكي يتمكن من تعيين سنة ما غب مرور زمان طويل عليها اصطلاحوا على ان يسئوا
تلك السنة باسم حادثة شهيرة وقعت فيها . ولا يزال الناس يجرون على هذه الطريقة حتى
الآن سواء كانوا من الطبقة المتهدبة او من الأميين . فيقولون مثلاً ولد فلان بعد الحرب
الكبرى بكذا سنة او سنين . وسيبقى اهل اليابان يورخون من حدوث الزلزال في بلادهم
سنة ١٩٢٣ الى ما شاء الله . ونجد اقدم الآثار المكتوبة مورخة على هذا الاسلوب اي
بسنين مسمّاة (شكل ٢٢)

(٦٤) بيان باعام
السنين . اقدم
الانباء التاريخية
جداول مارك
مع ذكر سنينهم

وعني المصريون بحفظ جداول السنين والحوادث المهمة (شكل ٢٢) التي وقعت فيها .
فتكرّون من هذه الجداول مجموعة حوادث تاريخية ذات خطورة اقدم ما بقي منها الى ايامنا
هو الجدول المعروف بحجر بالرمو المحفوظ في دار التحف في صقلية . يبتدىء من السنة ٣٤٠٠
وينتهي بالسنة ٢٧٠٠ ق م . ثم بدا للمصريين بعد ذلك رأي اسد وهو ان يحصوا السنين
التي ملك فيها كل من ماركهم ويورخوا الحوادث منها . فيقولون مثلاً في السنة الاولى او
العاشرة من ملك فلان حدث كذا وكذا فاجتمع لديهم جداول الملوك السالفين التي تشتمل
على تواريخ قرون عديدة

(٦٥) اكتشاف
المعادن قبل المسيح
باربعة آلاف سنة
على الاقل

وكان المصريون يتقدمون في اشياء أخرى كثيرة منها اكتشاف المعدن . ولا يعلم تماماً
كيف استتب لهم ذلك الا ان بعض المؤرخين تكهن وقال انه بينما كان احد الرجال سائحاً
في شبه جزيرة سيناء اضرم ناراً امام خيمته واحاطها بحجارة كانت مبعثرة حولها . ولما جن
الليل نام وحين افاق في الصباح التالي عمد الى النار التي كانت قد سمدت وحرك رمادها قليلاً
فرأى امامه حبيبات من معدن تتألق بنور الشمس فالتقطها واخذ يتأملها مدهوشاً لانه لم يعلم
المصدر الذي جاءت منه . ولما كرّر التجربة تبين ان مصدرها الحجارة التي صفها حول النار .
فجمع كمية منها استعملت اولاً حلياً للنساء ثم خطر له ان يصنع من ذوب هذا المعدن سقرة
تقوم مقام الحنجر الحجري الذي كان يحملها في منطقتيه

(٦٦) فجر العصر
المدني

ان هذا السائح وقف عند فجر عصر جديد هو فجر العصر المعدني دون ان يعلم بذلك .

ولو كان قد ادرك حقيقة تلك الحبيبات اللامعة التي اخرجها بيده من الرمال فلربما كانت قد عكست الى عينيه « كما عن مرآة الرؤيا » صورَ المدرعات الحربية ، والاسلاك البرقية ، والسكك الحديدية تجري عليها القطرات بالتدو والرواح ، والمعامل التي يصم صوت آلاتها الآذان . ولولا تلك الحبيبات البراقة التي اكتشفها اتفاقاً هذا السائح المصري لما تسنى للعالم ان يتمتع الآن بما لديه من ضروب الاختراعات ومتافعها العظيمة . ومنذ ما اكتشف الانسان النار قبل الآن بخمسين الف سنة (ف ٨) لم يظفر باكتشاف شي . يستحق ان يقابل باكتشافه هذا خطورة ونفعاً



الشكل ٢٢ تاريخ مصري قدم
جاء في يوم السنة

(٦٧) النيل جبل
تاريخي كبير

قد اقتنينا اثر الانسان الاول من العصر الحجري القديم الى ان ولسج في بلاد مصر باب عمران جديد عرف اصحابه المعدن والكتابة وتنظيم الحكومة . بلاد تهيأت فيها الشرائط اللازمة لحفظ آثار الانسان القديم الجمّة وذلك لجفاف هوائها وندور وقوع المطر فيها . فهي صالحة لان تكون المستودع العظيم لحفظ الآثار الثمينة والابخار القديمة التي هي حلقة الاتصال الوحيدة بين الانسان قبل عصر التاريخ وضمونه في عصر التاريخ الذي توافرت فيه الانباء . والآثار التي سنشاهدها ونحن

ان جرة المرمر الكيرة هذه الموجودة بدار الغنف في مدينة فيلادلفيا باميركا اهداها ملك من ملوك مصر الاولين الى احد هواك النمس وعليها تاريخ الهداء معوراً عنه هذه الكلمات "سنة محار تعرض ب اهل الشمال" وهوام السنة التي عقد لم فيها الفوز على اهل الشمال (الدلتا) ومن اسماء سنين كيرة مثل هذه بمقتضى تاريخ نيس لموادت عظيمة دعيت بها تلك السنين (ف ٦٤)

صاعدون في النيل ونطالها كما نطالع سفراً جليلاً ستروي لنا باسلوب رشيق قصة الانسان القديم وما انجزه من الاعمال على توالي الاجيال بعد اكتشافه المعدن واستنباطه الكتابة

هذه هي الخواطر التي تتردد في عقل السائح العالم والقطار يطوي به المسافات نحو الجنوب قاطعاً الدلتا . ينظر بعين الفكر الى المصريين يطرحون ازاميلهم الحجرية ويمتاضون عنها ازاميل النحاس ويتأمل في ما ربما يتوصلون اليه من النتائج الممكنة . وفيما القطار يدور به في منعطفه في الطريق ، يفاجئ ، مقلتيه من خلال اشجار النخل نوراً باهرات من جهة

(٦٨) اول غدة
من انهارام

الصحراء في الناحية الغربية فيرى به مجموعة الاهرام القائمة فوق الرمال المتوهجة والمعروفة باهرام الخيزة . فيستفيد منها عما تمكن بناؤو مصر القدماء من عمله بازاميلهم النحاسية ما لا يستطيع ان يستفيدة من الكتب والاسفار . وبعد دقائق قليلة يرى نفسه بين ابنية القاهرة الحديثة . وفي اليوم التالي ينهض صباحاً ووجهه الاهرام التي لا تبعد عن المدينة اكثر من سبعة اميال

٦

عصر الاهرام نحو ٢٠٠٠ الى ٢٥٠٠ ق م

(٦٦) الامم
مدائن الملوك

لا يستطيع السائح ان ينسى زيارته الاولى للاهرام لشدة تأثره من مرآها المهيبة وعلوها الباذخ فوق رمال الصحراء . ولا يقع بصره عليها الا ويخطر في باله الف مسئلة ومسئلة ولا سيما اذا كان قد علم ان هذه المباني الفخمة الدانية منه كانت مدافن لملوك مصر الاقدمين . واذا استنطقها افادته اشياء حجة غمن بثوها . منها ان قدماء المصريين آمنوا بحياة أخرى بعد ماتهم ولذلك ابتكروا طريقة يحفظون بها الجسد من عوامل البلى فشيّدوا هذه المباني الفخمة وجملوها قبوراً تحفظ فيها الاجساد بعد انفصالها عن الارواح . ومن هذا المعتقد نشأت بينهم عادة تحنيط جث موتاهم التي كانوا بعد تحنيطها يرسونها في قبر ضمن حجرة صغيرة عميقة تحت بناء الهرم . وتدعى الحنة المحنطة موميا . ويُشاهد حول الاهرام الكبيرة وعلى مقربة منها اهرام أخرى اصغر منها كانت مدافن لاقرباء الملك واعوانه

(٧٠) آله مصر
راع دابوس

كان للمصريين القدماء آلهة كثيرة اعظمها اثنان احدهما الشمس التي يتألق سناها في سماء مصر الصافية الاديم . وكانت اعظم الآلهة عندهم . وقد شادوا لعبادة هذا الاله هياكل جميلة وجعلوا الهرم الكبير رمزاً مقدساً له . وله رمز آخر في (الشكل ٢٣) ومن اسمائه راع . وكانت هيلوبوليس المركز الرئيسي لعبادته . وكان له هياكل أخرى في جهات مختلفة من البلاد . والاله الثاني النيل الذي كانوا ينظرون اليه والى الارض التي ينمساها والحياة النباتية التي يبعثها فيها كشيء واحد الهوه ودعوه اوسيريس — حياة الارض التي لا

تفنى بل تزدوي ثم تتجدد كل سنة بحسب تعاقب القصول عليها (شكل ٢٤). وكان من بواعث السرور عند كل مصري اعتقاده ان هذا الاله المانح الحياة وكل ما يحتاج اليه الانسان في هذا العالم هو الذي يعتني به في العالم الثاني بعد ان يوارى جثمانه في مدافن الجيزة (١)



الشكل ٢٢ قرص شمس مجنح رمز الاله الشمس

هذه الصورة تدل على ان المصريين كانوا يعتقدون ان الاله الشمس هو بازي طائر في عرض السماء. وسأرى فيما بعد كيف اخذت عنهم ام الشرق هذا الرمز (شكل ٧٣)



الشكل ٢٤ اوسيريس الميت محملاً

ترى في هذه الصورة سوق المحنطة طالعة من جثة الاله رمزاً الى ان حياة الاله لاتنتهي لانه يغلب الموت وبظلال حياً

يدفنون موتاهم في حُفر كانوا يثقرونها لهم عند طرف الصحراء. ويضعون معهم النصال الصوانية (شكل ١٥) ولم يبلغهم الى هذه الدرجة في سلم الترقى سوى اكتشافهم المعدن في سيناء (ف ٦٥) قبل ان بُنيت الاهرام بالف سنة. ولما مات السائح مكتشف المعدن دُفن مثلما كان يُدفن غيره من فلاحي مصر الاقدمين في حفرة حقييرة (شكل ١٥) فيتضح من ذلك انه قد مر على المصريين زمن طويل قبل ان صنعوا من النحاس آلات تصلح لتشييد المباني العظيمة بالحجارة. وقد كانوا قبل بناء الهرم الكبير بمئة وخمسين سنة لا يزالون يبنون قبور ملوكهم بالطوب المجفف بالشمس. ولم يكن القبر الملكي في اول امره سوى غرفة صغيرة مسقوفة بالحشب ومترتبة بالرمل والحصي (الشكل ٢٢٦)

ثم نبغ احد مهرة الصناعات ووجد انه يستطيع بالادوات النحاسية التي لديه ان يقطع

وتثبتنا مدافن الجيزة الفضمة بامور أخرى كثيرة عن المصريين علاوة على ما حدثتنا به عن ديانتهم. اننا حين ننظر الى الاهرام العظيمة يتعذر علينا ان ندرك الشوط البعيد الذي قطعه المصريون في مضمار التقدم والارتقاء منذ كانوا

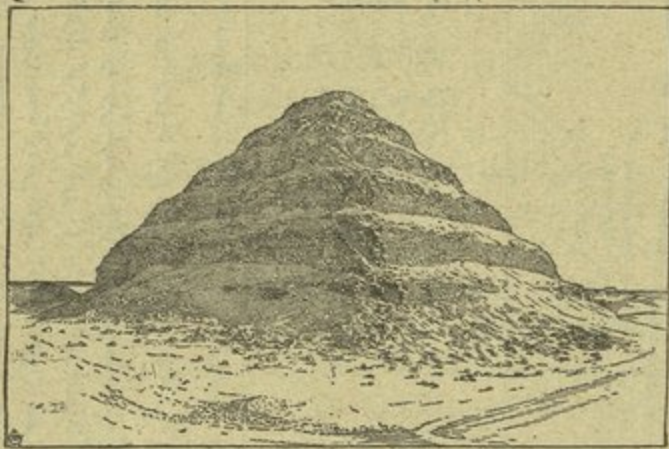
(٧١) تقدم للمصريين قبل استعمال الحجر في البناء

(١) كان للمصريين آلهة أخرى يرمز اليها بصور حيوانات الا ان عبادة الحيوانات التي كثيراً ما تعزى الى المصريين لم تكن سوى نتيجة المخطاط طراً على ديانتهم في عصر متأخر. فلم تكن الحيوانات في ذلك الزمن القديم آلهة عديم بل رموزاً الى اشخاص مؤلمين كما كان قرص الشمس رمزاً الى الاله الشمس (شكل ٢٣)

(٧٢) اقدم الابنية
الحجرية . المحوتب
اول مهندس
معماري

حجارة كبيرة من الصخر الكلسي ويستعملها لتبطين عُرف الاضرحه بدلاً من الطوب فبنى
ضريحاً (شكل ٣٢٦) لا يستحق ان يسمى بناء لانه كان كله تحت الارض وهو - فيما
نعلم - اول بناء من حجر شيدته الانسان . اما البناء التالي (شكل ٤٢٦) فكان فوق الارض
ولكنه من الطوب ايضاً . وبعد بنائه بقليل شيدت بناية من الحجر مدرجةً ضريحاً للملك .
وهي اقدم بناية من الحجر باقية الى الآن وبانيها المحوتب الشهير وهو اول مهندس معماري
استعمل الحجارة في البناء . ولد وترعرع واشتهر امره حوالي سنة ٣٠٠٠ ق م . ودامت
شهرته امداً طويلاً بعد موته . ولا بدع فانه كان جديراً بالشهرة حرياً بالأكرام اكثر من
جميع الذين تقدموه من الملوك والفاطمين لما كان عليه من الذكاء والحكمة . وقد اهتم
المصريون المتأخرون ودعوه اله الطب

(٧٣) من اقدم
بناء من الحجر الى
المزم الكبير ١٥٠
سنة

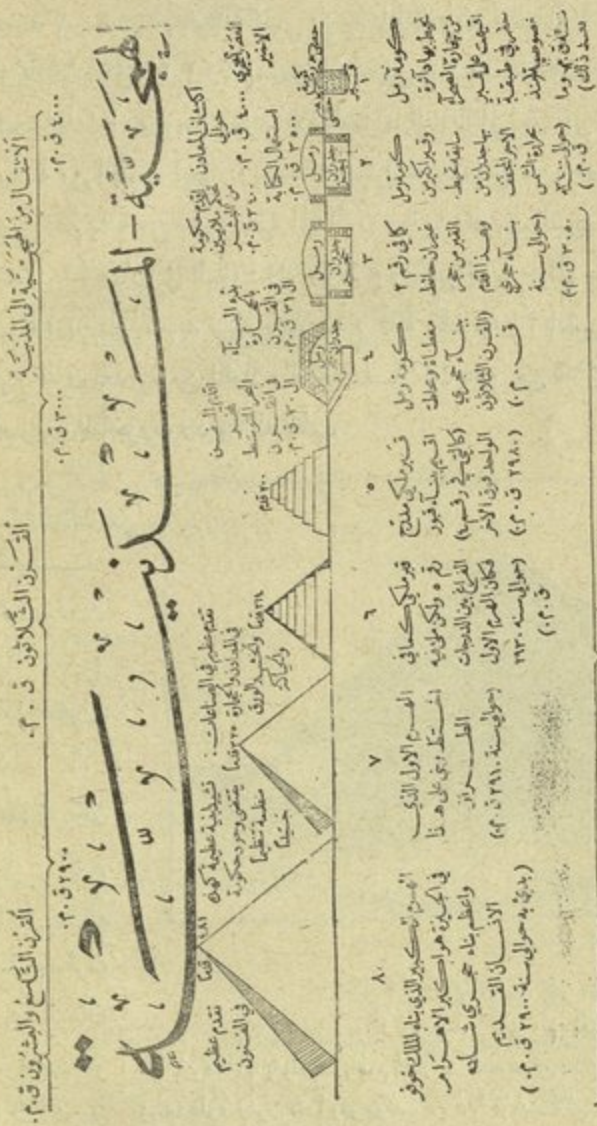


ولم يكن
تشييد
المحوتب
للبناء المدرج
المذكور
آنفاً الا
خطوة نحو
بناء الهرم
لاننا نرى
انه بعد قرن
من الزمان
شرح مهندسو
الملك في
بناء هرم
الحيزة الكبير

الشكل ٢٥ اقدم بناية من حجر باقية الى اليوم
(ليس بعد ٢٠٠٠ ق م . بكبير)

ان هذه البناية وتعرف بالهرم المدرج كانت مدفن الملك زوسر (اوائل القرن الثلاثين
ق م) علوه ستون متراً وهو مؤلف من عدة بنايات كالمى في الشكل (٢٠) كل واحدة منها
مبنية فوق الاخرى . فحصل من بنائها على هذه الصورة بناية عظيمة مخروطية الشكل (شكل ٥٢٦)
نشأ منها في ختام القرن الثالث عشر ق م الشكل الهرمي (ف ٧٢)

(٢٩٠٠ ق م) فكانت المدة من اقدم بنايات الحجر (شكل ٣٢٦) الى بناء الهرم
الكبير (شكل ٧٢٦) اقل من مئة وخمسين سنة . وقد كان معظم هذا التقدم بين سنة
٣٠٠٠ و ٢٩٠٠ ق م (شكل ٢٦) ولستنا نجد في عصر من عصور التاريخ البشري نظيراً
لهذا التقدم العجيب وإحكام استعمال القوة الميكانيكية حتى نجىء الى القرن التاسع عشر



١. المنشآت المماثلة في مصر القديمة (٢٠٠ ق.م.)
 ٢. المنشآت المماثلة في مصر القديمة (٢٠٠ ق.م.)
 ٣. المنشآت المماثلة في مصر القديمة (٢٠٠ ق.م.)
 ٤. المنشآت المماثلة في مصر القديمة (٢٠٠ ق.م.)
 ٥. المنشآت المماثلة في مصر القديمة (٢٠٠ ق.م.)
 ٦. المنشآت المماثلة في مصر القديمة (٢٠٠ ق.م.)
 ٧. المنشآت المماثلة في مصر القديمة (٢٠٠ ق.م.)
 ٨. المنشآت المماثلة في مصر القديمة (٢٠٠ ق.م.)

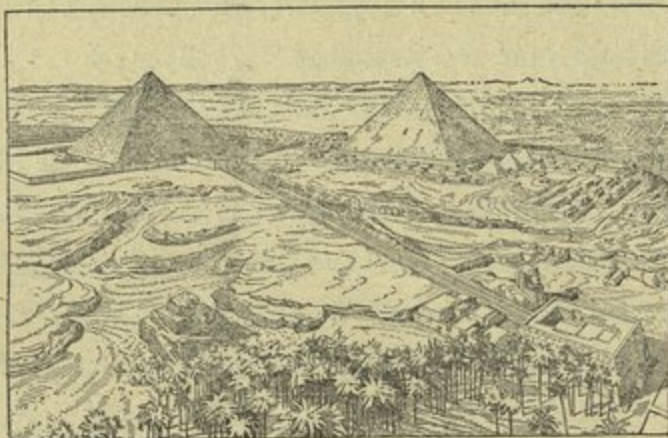
الشكل ٢٦

الارتقاء في غضون التي سنة من كومة الرمل الى الهرم وتقدم هندسة البناء في مدة مئة وخمسين سنة

في الشكل ١٥ ترى جملة التلاح المصري موضوعة في قعر تغطيو كومة رمل تحيط بها دائرة من الدبش حفظا الرمل في مكانه. يظهر عند الرق (١) رسم القبر مقطوعا ليظهر داخله وكومة الرمل فوقه. وعند الارقام ٢ و ٣ ترى القبور التي حنرت فيها بعد مقطوعة ايضا لظهور داخلها. وبها يتبين لنا كيف تغيرت تدريجيا كومة الحجارة المحيطة بالرمل حتى صارت حيطانها اولاً من الطوب (٢) ثم من حجر (٣) تلتف القبرحج يرتفع بقاء الرمل من الداخل. ثم شرعوا ببنون القبور الواحد فوق الاخر كما في رقم (٤) فحصل بها بناء مدرجة امتدقت تدريجيا نحو اصلها. حتى صارت

هرما رقم (٦). وهكذا كانت كومة الرمل والحجارة المحيطة بها المحرومة الاصلية التي نشأت منها الاهرام العظيمة في مدة لا تتجاوز خمسة عشر او عشرين قرناً. ثم نلاحظ ايضا ان هذا التقدم العجيب في فن البناء ابتداء من كومة رمل في هجينة العصر الحجري المتأخر وبعدها بعد الف سنة (٤٠٠ الى ٢٠٠٠ ق.م) بالمدينة. وقد كانت صناعة البناء نفسها من جملة علامات الدخول في المدنية. وترقى هندسة البناء من البناء العادي بالحجر الى الهرم الكبير في مدة لا تروى على مئة وخمسين سنة. ولم يكن التقدم في صناعة البناء العلامة الوحيدة لهذه المدنية الجديدة فان ما ذكرناه آنفاً من الملاحظات عن القبور والاهرام يدل بآجلي بيان على اعمال اخرى مهمة كان لها اليد الطولى في نشوء المدنية وترقيتها

(٧٤) حجم الهرم
الكبير



الشكل ٢٧ ترميم الاهرام الكبيرة والضرائح الاخرى في مدين الجيزة
القديم بمصر (عن هولشر)

كانت هذه القبور الملكية (الاهرام) لآم ملوك الاسرة الرابعة التي ملكت في التسم الاوّل من عصر الاهرام (نحو ٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م) فالهرم الكبير، ضريح الملك خوفو، واقع الى اليسار (انظر الف ٧٤) والذي يتلوّه حجياً (ضريح الملك خنفرع) واقع الى اليسار. وكان امام كل هرم (شكل ٢٨) على الجانب الشرقي هيكل يوضع فيه طعام وشراب ولباس لفلك المرموس. وكان كل من هذه الهياكل مبنياً على نض من الاض كالاهرام. وكانت المدينة الملكية قائمة في الوادي اسفل الاهرام الى اليمين (انظر الف ٦) متصلة بالهيكل بواسطة رواق عظيم مستوف بالحجارة يرى هنا متهدراً في خط مستقيم من هيكل الملك خنفرع الى اسفل حيث يتهي على مقربة من الى المول ببنائة كبيرة نفيسة مستطيلة الشكل كلها من الحجر الساطي كانت من الجهة الواحدة هيكلًا ومن الجهة الاخرى مدخلاً للرواق الكبير المتند من المدينة الملكية. وكانت الاهرام محاطة بقبور الملكات واقطاب رجال العصر (انظر الشكل ٢٠). والى اليسار عند اسفل الزاوية هرم غير تام تشاهد فيه السطوح المائلة التي كانوا يحسبون عليها الحجارة المائلة. وكانت هذه السطوح مبنية من الطوب المجهت بالنس و كانوا يهدمونها بعد اجتياز الباء

وما يساعدنا
على ادراك
حقيقة التقدم
المذكور
المساحة
العظيمة التي
يشغلها الهرم
الكبير البالغ
علوه ٥٠٠
قدم وهو بنا،
مصّمت
يشتمل على
مليونين
وثلاث مئة
الف حجر
عمل في
اعدادها
وبتيانها مئة
الف عامل
مدة عشرين
سنة (شكل
٢٧)

كاكتشاف المعلن مثلاً واستنباط الكتابة وما تبعها من تنظيم اول حكومة على شعب كبير وتسيير الدفن في العمار
والنقدم العظيم في الصنائع والنون. فدى ان الاهرام وما سبقها من المباني هي بمثابة اصاب اقيمت على الطريق
الطويلة التي سار عليها الانسان من الهريرية الى المدينة كما نقام الآن الحجارة على جوانب سلك الحديد والمركبات
مكتوباً عليها عدد الاميال او الكيلومترات ليعلم منها المسافر المسافات التي قطعها والباقي امامه. وتعلم منها ما هي
الادبائ الظاهرة التي تكوّن منها العمران في بده امره وتجب علينا معرفتها. الا ان هنالك انباء اخرى مهمة بلغت
في الوقت نفسه درجة سامية من الترقى ولكنها مما لا يرى. منها الاعتقاد بوجود العيشة التريمة الصالحة والاشفاق
على الغير وان الحياة البارة في هذه الحياة في السيل المؤدية الى السعادة في الحياة الاخرى

(٧٥) المحكومة في
عصر الاهرام

ان ادارة مئة الف عامل واعداد المؤونة الكافية لهم اقتضيا حاكماً حازماً قديراً وعداداً كبيراً من الاعوان والمديرين . كان الملك قبلاً حاكماً محلياً لا غير . ولكن ملكاً يدير عملاً كبيراً كهذا لم تبق سلطته محلية (ف ٥٠) كما كانت قبلاً بل عمّت جميع انحاء البلاد البالغ عدد سكانها بضعة ملايين . وكان الملك محترماً جداً من شعبه حتى انهم اجلالاً له لم يكونوا يذكرون اسمه بل كانوا يذكرون بدل اسمه القصر الذي يقيم فيه فيقولون « البيت العظيم » ويعنون به الملك « فرعون » كما كان يقول الاتراك « الباب العالي » ويعنون بذلك حكومتهم . وكان لدى الملك اعوان محليون في كل انحاء البلاد يجبون الخراج (شكل ٢٨) وينظرون في القضايا المرفوعة اليهم ويحكمون فيها بموجب شرائع مكتوبة



الشكل ٢٨ موظفو بيت المال يجمعون الخراج في عصر الاهرام

تجد الكعبة والنساج جالسين صفيين عن اليمين مترعين بكنيون وهم قعود والركبة اليمنى مرفوعة الاثنون منهم امام كل منها مكتبة . يسكنون القلم باليد اليمنى وورق البردي اليسرى . ويرى ان يسار الشكل بعض ضباط تأخروا عن تأدية ما عليهم من الخراج فاتتادهم قسراً الى المحاسبة متوضون برأبطون عصياً . اما تفسير الكتابة في اعلى الشكل فكما يأتي : « القبض على حكام المدينة لمحاسبتهم » واسماء هؤلاء والقيم المطلوب منهم تأديتها مدونة امام الكعبة . وحين كانوا يؤدون المطلوب كانوا يعطون وصلاً بالتمه كما يفعل مأمورو الحكومة اليوم . اما في اوربا فلم يعمل بهذا النظام الا بعد قيام الامبراطورية الرومانية

تأمرهم بان يحكموا بالقسط . ولكن لسوء الحظ فُقدت هذه الشرائع عيناً واثراً . وكان مركز ادارة اعمال الملك في بنايات واطاعة من الطوب المجفف بالشمس يقيم فيها عدد كبير من الكتبة الذين يقومون بضبط الحسابات المختلفة وتسجيل المحاضر . وكان لدى كل منهم كمية من اقلام القصب ولقأت ورق البردي للكتابة . ولم يكن الخراج يؤدّى نقوداً ، لانها لم تكن قد عرفت بعد ، بل قحماً وخبزاً وعسلًا ومواشي وكتاناً وما شاكل ذلك . وكانوا يخزنون ما يجمعونه من الخراج والضرائب ، ما خلا المواشي ، في اهرام ومستودعات كثيرة تتألف من مجموعها خزانة الملك او بيت المال

وكانت قصور وحدائق اعوان الملك جزءاً كبيراً من المدينة الملكية . (الشكل ٣٥) وكان قصر الملك مع ما يحديق به من الجنات والمتنزهات يشغل اهم احياء المدينة . وكانت المدينة الملكية عبارة عن القصر الملكي وما يتبعه من الجنائن الرحاب مضافاً اليها منازل وحدائق اعوانه من رجال الحكومة . وكانت المدينة ممتدة مسافة بعيدة ، من سفح الاهرام

(٧٦) المدينة
الملكية

الى السهول المنخفضة الجميلة التي تشاهد في الجنوب من قمة الاهرام . وبما انها كانت مبنية بالخشب والطوب المجفف بالشمس فقد عَفَّت اثارها ودُعيت بعد ذلك بمفيس

(٧٧) طول عصر
الاهرام وتاريخه

واما مدينة الاموات - الاهرام وما حولها من القبور - (شكل ٢٧ و ٣٠) فبما انها مبنية بالحجر استطاعت ان تقاوي عوادي الزمان وتبقى بحسن الحظ حتى الآن . واذا وقف انسان على قمة الهرم الكبير والتي نظرة نحو الجنوب رأى في الافق البعيد صفاً ضخماً من الاهرام يربو طولها على ستين ميلاً يثير في النفس الاعجاب ويأخذ بجماع اللب . وكل هرم منها كان رمساً لأحد الملوك واقدم الاهرام يمثل لنا العصر الاوّل الزاهر من العمران المصري القديم بعد ان ضُمَّت البلاد كلها تحت لواء ملك واحد ^(١) . ويسوغ لنا ان نسمي هذه المدة

من سنة ٣٠٠٠

الى ٢٥٠٠

ق م بعصر

الاهرام



(٧٨) التجارة في
النيل

وكان الملوك

الفرعونية

قد بلغوا في

عصر الاهرام

درجة عالية

من السؤدد

والقوة

فطمحت

انفسهم الى

تحصيل

الشكل ٢٩ اقدم صورة لسفينة ماهرة في البحر

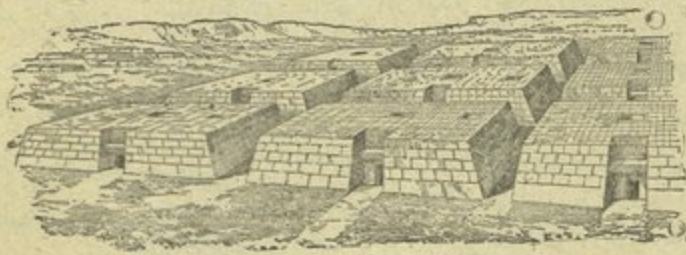
هذا المنظر محفور على جدار احد المباني (شكل ٢٨) وفيه يرى الناس منجنين اجلالاً للملك الواقف على الشاطئ الى جهة اليسار يجيئون بالكلمات المكتوبة في اعلى الصورة بالخط المصري القديم والتي ترجمتها "بهي الملك سخوسع" الى الاحياء "نحن نرى جمالك" . وبين جمهور الرجال الواقفين سبعة رجال ملغين وهم اسرى فينيقيون اتي بهم من بلادهم في سفينة من سفن الاسطول المصري المؤلف من ثمانى قطع . وكانت هذه السفن الثمانى قد قطعت البحر حتى جانب الشرفى وفي رجوعها جاءت بهولاء الاسرى . ويرى الصاري المزدوج الكبير مرتكراً على دعائمتين قائمتين بجانب المذابح الثلاثة عند المؤخر . ان مثال هذه السفن الاثني والزخارف التي كانت فيها قد احدثته بعدئذ جميع السفن القائمة على المياه من ايطاليا الى الهند

(١) كان في مصر قبل هذا الزمان بوقت طويل ممالك صغيرة متفرقة في طول البلاد وعرضها ولكنها التحدت اخيراً فتألفت منها مملكتان عظيمتان استولت احدهما على الدلتا والاخرى على الوادي الواقع الى الجنوب منها . وثبتت بينهما حروب (انظر شكل ٢٢) دامت امداً طويلاً قبل ان اتحدتا وكونتا مملكة واحدة تحت سلطة ملك واحد واوّل من سعى لهذا التوحيد هو مينيس الملك الاوّل عليها سنة ٢٤٠٠ ق م ولكنها لم تبلغ درجة القوة والثروة التي تمكنت عندها من تشييد الاهرام الا بعد مرور اربعة قرون على ملك مينيس . وتدلنا الاهرام بجلاء تام على العصر الاوّل العظيم من عصور العمران المصري

الثروة من وراء حدود مصر فارسل بعضهم كما يستدل من بعض النقوش النائية (شكل ٢٩) سفناً من النيل الى سواحل فينيقية وكان ذلك في منتصف القرن الثامن والعشرين ق م . وهذه النقوش النائية (شكل ٢٩) تمثل صورة اقدم معروفة لسفينة ماهرة في اليم . الا انه كان قد مرّ بضعة قرون منذ سارّ الفراعنة سفنهم التجارية على متون البحار . والحقيقة التي لا مرأى فيها هي انه كان لملك مصر علاقات متينة بأسية . فكان في جُبلة (جيل اليوم) جالية مصرية وهيكل مصري اقام فيه المصريون شعائر دينهم . وليس ببعيد انه كان لملك مصر شي . من السيطرة الفعلية على المدينة التي كان يأخذ منها كثيراً من الخشب الذي استعمله المصريون في تشييد ابنتيتهم الجميلة وبناء سفنهم في الحوض الملكي

وكان الملك مع مثارته على استدامة العمل في مناجم النحاس في سيناء يرسل قوافل الخمر الى السودان للمتاجرة مع زنوج الجنوب والاتيان بالابنوس والعاج وريش النعام والبخور واللبان . وكان اعوان الملك الذين قاموا بتسيير هذه القوافل اقدم رؤاد مجاهل فريقية الوسطى . وقد خَلّفوا لنا في قبورهم عند أوّل جنادل النيل من اخبار رحلاتهم ومغامراتهم بين قبائل الجنوب كلّ ما تَلدُّ مطالعته . ومات بعضهم ضحية تلك المغامرات . وكان فرعون يرسل سفنه ايضاً الى بلاد بنت الواقعة عند الطرف الجنوبي من البحر الاحمر ليأتوه بالمحاصيل المذكورة آنفاً

(٧٩) المناجرة
مع الجنوب اول
سفرة في البحر الاحمر



الشكل ٢٠. ترميم مجموعة من قبور النبلاء في عصر الاهرام

وكانت
البلاد الواقعة
الى جنوب
مصر ذات
خطورة في

(٨٠) كتاب
الملك الى مرخوف

عيون . قدماء
المصريين .
وبقيت على
خطورتها هذه،
منذ ذلك
الحين ولدى

ان هذه القبور مترابطة حول الاهرام الملكية كما يشاهد في (الشكل ٢٧) . وبعضها فخم جداً . والنوافذ التي ترى في اعلاها في مداخل المدافن المنقورة في الصخر تحت بناء الضريح . والضرائح كلها مبنية بحجارة تحوط من الداخل بكومة رمل وحصى شكل ٤٢٦ . والمعبد في كل منها يقع في الجانب الشرقي وبابه في مقدم الضريح . والمجدران مزخرفة بالنقوش النائية كالتي ترى في الشكل ٤٤

جميع الشعوب . قيل ان نبيلاً شيخاً اسمه هرخوف كان يقيم بجوار الشلال الاوّل من شلالات

النيل . فخطر له مرةً ان يجوب مجاهل افريقية المجاورة للنيل . ولما عاد من تجواره تلك الاصقاع القاصية احضر معه قزماً غريب الشكل كانت له قيمة كبيرة لدى اهل البلاط الملكي كما سيأتي : قيل ان النبيل لما دنا من حدود مصر بعث الى الملك برسول ينبئُه بعودته واحضاره قزماً معه فاجابه الملك برسالة ضافية نقشها هذا النبيل قبل وفاته على جدران قبره لكي تعرف الاجيال الآتية المنزلة السامية التي كانت له عند مليكته . وهذه هي صورة الرسالة بحروفها تحت الحتم الملكي : السنة الثانية . الشهر الثالث من الفصل الاول . اليوم الخامس عشر . الامر الملكي الى السمير الوحيد (لقب شرف) والكاهن الطقسي المترجم هرخوف : رمت بنظري كتابك الذي بعثت به الى القصر لتعلم الملك بانك انحدرت من بلاد يام بسلام (يام بلاد واقعة على النيل الاعلى) انت والجيش الذي معك . وتذكر في كتابك انك احضرت معك هدايا فاخرة حببتك بها الملكة هاتور (الالهة المصرية عظيمة) سيدة يام لتهديتها الى (كا) ملك مصر العليا والسفلى « نَفَرُ كِير » الذي يحيا الى الابد . وما جاء في كتابك انك احضرت معك لاله قزماً رقاصاً من ارض الارواح (ارض كان يعتقد المصريون انها في الجنوب) اشبه بالقزم الذي احضره خازن الاله بردد من بلاد پنت في ملك (الملك) ايسيسي . وازت تقول لجلالتي « لم يُحضر مثله احدٌ من جميع الذين زاروا بلاد يام قبلي » فعسى انك كل سنة تعمل ما تنال به رضى سيدك وثناؤه فتعطي الليل والنهار مع القوافل عاملاً بتمتضي رغائب سيدك واوامره فيقلدك قلائد الشرف . وفي ذلك منتهى الفخر لك ولولدك وولد ولدك الى الدهر . ومتى سمع الناس بما احسنت به لجلالتي اليك يقولون « هل عومل احد من قبلنا عومل به السمير الوحيد هرخوف حين عاد من بلاد يام جزاء سهره وحرصه على مرضاة سيده وانجاز اوامره . أقبل سريعاً الى البلاط ومعك القزم الذي اتيت به من ارض الارواح حيا معافى ليرقص امام الاله ويبهج قلب ملك مصر العليا والسفلى « نَفَرُ كِير » الذي يحيا الى الابد . وحين ينزل معك الى السفينة عين له رجالاً يقومون على حراسته من جميع جهات السفينة وتحرز من ان يقع في البحر . وحين يتام أم له حراساً امناه يقفون الى جانبه في خيمته وتتفقد عشر مرآت كل ليلة . لان جلالتي تشتاق ان ترى هذا القزم اكثر من رؤية الهدايا من سيناء وبلاد پنت . فاذا وصلت الى البلاط الملكي ومعك هذا القزم حيا معافى فسأثيبك باكثر مما أثيب به خازن الاله بردد في ملك ايسيسي وعلى نسبة رغبة جلالتي في رؤية هذا القزم . وقد بعثت باوامري الى حاكم المدن الجديدة قانلاً « قدم للسمير والنبي العظيم ما يلزم من الزاد بلا تحديد ولا تعيين في كل مدينة وكل

(٨١) معابد
القبور في عصر
الاهرام وما تعلقت لها

ان الجولان بين هذه القبور المترابطة حول الاهرام (شكل ٣٠) هو بمثابة الجولان بين الجماعات التي عاشت ودأبت وافلحت في وادي النيل ايام بناء الاهرام . نجد ابواب القبور مفتوحة وليس ما يمنع الدخول . فاذا دخلنا احدها وجدنا انفسنا في غرفة مستطيلة الشكل هي حجرة المعبد التي كان المصريون يعتقدون ان موتاهم يختلفون اليها كل يوم ليتناولوا ما يكون قد اتى لهم به الاهل والاقربا . من فاخر الطعام ولذيذ الشراب . ووجدنا جدران الغرفة المبنية بالحجر مزخرفة بالنقوش الناتئة من الارض الى السقف تتمثل لنا بها الحياة اليومية في احدي « العزب » الكبرى (الشكل ٢٨ و ٣١ و ٣٢ و ٣٤) والمكان مهجور الآن لا تسمع فيه نامة انسان ولكن يرى فيه مشاهد انيقة مألوفة تمثل لعين الناظر اليها عيشة القوم اليومية في حاتي العمل والبطالة منذ نحو خمسة آلاف سنة



الشكل ٣١ التلاحة والزراعة في عصر الاهرام

وكان

يشارف

الاعمال التي

تمثلها لعيوننا

هذه المشاهد

الانيقة رجل

من النبلاء

هو صاحب

« العزبة »

المشار اليها

أنفأ الدفين

(٨٢) التلاحة
وتربية المواشي
حيوانات الحمل

يرى هنا فلاحان احدهما يسوق الثورين والآخر قابضاً على عود السكة التي تحلقت المعركة المخشبة كالتي نرى امام الثورين . الا انهم طولوا مقبضها لكي يفرن بها الثوران . فصار بعد ذلك مقبض المعركة عود التلاحة و اضافوا اليه مقبضين بها يدبر التلاح السكة . وامامه الزارع يمشي البدار من كيس غريب الشكل امامه . وعن اليسار كاتب العزبة و كتابته بالخط المصري القديم توضح حقيقة حال وما جرى هنا من الاعمال مشهد من قبر النيل (شكل ٣٠)

في هذا الضريح . زاه في الرسم واقفاً يسرح نظره في حقوله الشاسعة ويتعهد الاعمال الجارية فيها . وهنا ترى اقدم مشاهد الزراعة المعروفة عندنا (شكل ٣١) ترى المواشي قطعاناً سائمة في المراعي النضرة صقيلة الجلود ليرط يستمنها . والبقر الحلوب ثقاد وتربط للحلب وتشاهد ايضاً حيوانات الحمل . اما الخيل فلا نرى لها اثرأ في القبور التي بُنيت في عصر الاهرام لانها لم تكن قد عرفت بعد عند المصريين . واما الحمير فكانت كثيرة لشدة حاجتهم اليها ابان الحصاد

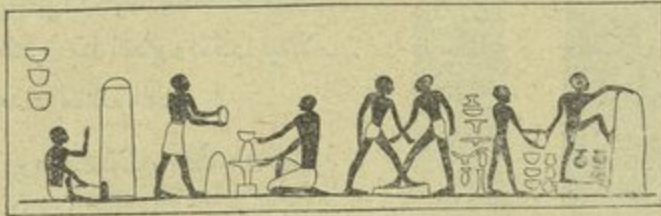
ويرى الناظر على الجدار الثاني الحضرة النبيلة تشارف الساحات والمضارب المنصوبة

(٨٣) الحمام

فيها حيث كان ارباب الصناعات يعملون في صناعاتهم المختلفة . فهنا يُرى نحاس لم يسمع شيئاً قط عن السائح الذي التقط أول حبة من النحاس منذ امد يري على الف سنة تقدم المصريون في اثنائها تقسماً يذكّر بحيث صار النحاس يصنع من النحاس الآلات المتنوعة بحسب ما كانت تقتضيه الحال . وفي عداد الآلات التي اقتضى صنعها حدقا ومهارة المنشار الذي كانوا يصنعونه بتطريق قطعة نحاس طولها من خمس الى ست اقدام حتى تصير طبق المطلوب . وتشاهد صورة هذا المنشار في حال الاستعمال في (الشكل ٣٤) . وعلاوة على ذلك استطاع النحاس في ذلك الزمان ان يقوم بتوصيات مهمة . قبل ان احد النحاسين قدم مرة لاحد الاهرام من انابيب النحاس ما بلغ طوله ربع ميل (الشكل ٣٨) وقد كشفت اعمال التنقيب الحديثة انابيب نحاسية هي اقدم ما عُرف من نوعها

(١٤٤) نحاس
الحجارة الصخرية
والصانع والمجودي

يُرى على الجدار رسم احد نحائي الحجارة الكريمة مسكاً بيده - ادهاشاً للنيل - كوكوساً انيقة جداً منحوتة من حجر الديوريت (Diorite) الذي امكن الصانع ان يبالغوا



الشكل ٢٢ دولاب الخراف والانتون

الخراف جالس كما ترى في الرسم امام دولاب الاقني الوضع وعلى اعلى الدولاب صفيحة مستديرة مركز عليها كفة الطين التي يصنع منها الاواني الخرفية . باليد الواحدة يدير الدولاب وبالانخرى يحول كفة الطين الى الشكل المراد والدولاب مسرع في دورانه . وهذا الدولاب هو اصل المغرطة في ايماننا . ويرى الى يمين الصورة رجلان يملآن الانتون صمغاً وحراراً . والانتون الذي الى اليسار حار جداً لان الرجل الذي امامه يري وهو يحرك النار سائراً ووجهه يديه انفاً حاراً

في نحت
وترقيقه حتى
كاد يشف
عما تحته مع
انه في صلابة
الفولاذ
وكان
آخرون من
الصناع
يقطعون حجر
الفيروز قطعاً
صغيرة ثم
يرصعون بها

الآنية الذهبية النفيسة التي يكون قد صاغها الصاغة . وكان علمهم هذا في النحت والترديع غاية في الدقة والاتقان . وكان المحل المخصص بالصياغة يفض بالمعامين وتلاميذهم الذين كانوا يطرقون ويسكبون ويلصمون ويركبون الحجارة الكريمة بطرق تدل على مهارة لا يكاد يفوقهم فيها صاغة هذه الايام

(٨٥) دولاب
الخزّاف والأتون
(الكوشية) . اقدم
الزجاج

وعلى الفسجة التالية من هذا الجدار لا ترى الخزّاف يصنع جراه وكونه بيديه واصابعه كما كان يفعل قبلاً في العصر الحجري بل هو يجلس الآن وامامه دولاب موضوع وضماً أفقياً يديره (شكل ٣٢) ويصنع عليه الآنية الخزفية . ومتى تمّ صنعها على الدولاب تُشوى في أتون خصوصي شياً متساوياً في جميع اجزائها خلافاً لما كانت عليه يوم كانت تُشوى بنار مكشوفة مدّة العصر الحجري في القرى البحرية السويسرية (شكل ١٠) وكان في دار الخزّاف المصري صفوف من الاتنين المحكمة السدّ المصنوعة من الطين علو الواحد منها بقدر قامة الانسان . فاذا نضّدت الآنية الخزفية فيها سُويت على التساوي بلا تفاوت في درجة النبي لأن النار في الاتون لا تعبث بها الريح (شكل ٣٢) . ويروى على جدار القبر صانع زجاج . وكان المصريون قد اكتشفوا صناعة الزجاج قبل الآن بقرون عديدة . كانوا يبسطون ذؤب الزجاج على الاجر فيكسبه طلاء باهياً فيزخرفون به جدران المنازل والقصور وتفنّنوا بعد ذلك في صنعه فكان لهم منه قناني وكرؤوس جميلة متعددة الالوان كانوا يصدرون منها كثيراً الى الخارج

(شكل ٢٣) فهذه صناعة أخرى اشتهر بها الشرق منذ القديم ولكنها فيه الآن في عداد الصناعات المائتة

(٨٦) النجاج
وعمل السجاد

وهناك النساء النساجات يتزعن عن النول نسيجاً رفيعاً من الكتان لا نقدر ان ندرك درجة رفاعته من مجرد النظر الى الشكل ولكن لحسن الحظ قد ابقت لنا الايام غاذج منه رفيعة النسيج ملفوفة بها مومياء احد ملوك ذلك العصر ولرفاعتها المتناهية ، يصعب تمييزها بالعين المجردة عن الحرير . وارتفاع ما تخرجه الانوال الحديثة من المنسجات العصرية يُعدّ غليظاً بالنسبة الى ما كانت تنسجه الانوال اليدوية التي كانت في حيازة المصريين القدماء .



الشكل ٢٣ قناني زجاج مصرية وتوزيها من اهل ابي ايطاليا القديمة

A كما وجدت في مصر القديمة . B كما وجدت في اهل القديمة C كما وجدت في ايطاليا القديمة . وهذا الشكل تقليد قوارير الطيب المصرية المصنوعة من المرمر . وصار هذا الشكل في الازمنة المتأخرة المعبأة الدائمة لآنية الطيب بقناني المغسلة بين سكن سواحل بحر الروم

وكان نساجو مصر القدماء يجيدون عمل السجاد الذي كانت تردان به قصور الفراعنة وتظلل

بو حدائق مساكن الاشراف . واقدم نماذج السجاد كان من صنع هولاء النساج المصريين (شكل ٣٥)

(١٧٥) صناعات الورق

ونجد في الفسحة التالية على الجدار حزماً كبيرة جداً من قصب البردي الذي كان يجمعه من الارض الغنيمة التي على ضفاف النيل رجال حاسرون عن سوقهم . ومن ورق البردي هذا كانوا يصنعون اكداساً من الورق الاصفر بشكل طلاحى طويلة ضيقة . (ف ٥٨) وكانت السفن الماخرة في البحر المتوسط تشحن الى اوربا بالالت كثيرة من هذا الورق

(١٨٨) تجارون ينسجون سفناً ويصنعون خزائن

وفيا نحن ندنو من القمم التالي من الجدار يُخيل لنا حينما يقع نظرنا على بنائى السفن وصانعي الخزائن اننا نسمع صوت مدقاتهم ومطارقهم . وزى صنفاً طويلاً من هياكل السفن والعمّة حولها كالمعمل عدداً يشتغلون في بناء اقدم السفن البحرية (شكل ٢٩) ونشاهد الى جانبهم تجارين (شكل ٣٤) يُعدّون اثاثاً فاخراً للمنزل النبيل المشيد ضمن حديقته خارج المدينة ويوهون الكرامى والمقاعد التي يصنعونها للملك ولارباب الثروة ، بالذهب والفضة ويرصونها بالعاج والابنوس وينجدونها احسن تشجيد جاعلين مساندها الوثيرة من الجلد (ش ٥٢)

(١٩١) تقدم مصر الصناعى كما يظهر من معابد التبور



شكل ٢٤ تجارون في عصر الاهرام

واذا اجلنا الطرف في جدران معابد قبور الجيزة المزخرفة وتاملناها جيداً وجدنا انها تقص علينا نبأ جلياً من انباء قدماء المصريين مآله

يرى على اليسار رجلٌ يجتر في الخنثب بازميل يدقّة؛ بطريقة وبتلوّه آخر يشقّ لوحاً ينشأ رطاس وبتلوّه هذا رجلان بصقلان سريراً والذبيك البهين ينقب ثقباً بالآلة المخصوصة . مشهد من عهد قبر النبيل (شكل ٢٠) كرمي دفن الصنعة لاحت نبله الملكة وُضع معه في قبره وحفظ من البلى

انهم قد تعلموا ان يصنعوا كل ما كانوا في حاجة اليه . بل صنعوا اشياء اخرى كثيرة لم يستطع ابناؤ العصر الحجري المار ذكرهم ان يأتوا بشي . يضاهاها مع انهم كانوا معاصرين لهم واقاموا

في قرى بنوها فوق البحيرات وفي مدن اوربية أخرى ازمان كان المصريون يشيدون هذه
المعابد والتبور الفخمة

من الهنات الهينات ان نتظر بعين الحيال الى نهر النيل في ذلك الزمان البعيد ونشاهد
فيه السفن والزوارق تذهب فيه وتجي . رباعاً ذراعاً حاملاً نتائج الصنائع الى خزانة الملك او
الى السوق لابدال سواها من السلع بها . وليس تصور ذلك بالامر الصعب لاننا كثيراً ما
نرى مشهداً كهذا مرسوماً على الجدران . فهنا نرى على الجدار رسم السوق بعينها . نرى
الاسكاف يقدم للخياز حذاء بسدل رفيف ابتاعه منه وامرأة التجار تعطي بائع السمك
صندوقاً من الخشب بدل سبكة . وامرأة الحزاف تعطي الصيدي كأسين بدل قارورة
طيب . فيبين لنا من ذلك كله انه لم يكن الناس في ذلك الزمان يتداولون النقود
المسكوكة بل كانت المتاجرة بينهم تتم ببادلة السلع . على هذه الوتيرة كانت تجري
المعاملات التجارية بين السوق واما في القصر الملكي فكانت على غير ذلك . لانهم كانوا
يستعملون بدل النقود حلقات ذهب ذات وزن معلوم . وكانوا يستعملون ايضاً للفاية نفسها
حلقات نحاسية . وكانت تلك الحلقات رائد النقود الحقيقية

١٦٥٠ التيسارة
السرية . السوق .
تبيع للمعادن
الشهيرة

ان الذين تُشاهد رسومهم في صورة السوق الزاهية على جدار المعبد هم من عامة الشعب
المصري في عصر الاهرام . وكان بعض هؤلاء احراراً يتعاطون صناعاتهم المتنوعة وتجارهم
كما يشاؤون وبعضهم ارقاء يعملون في اراضي الاغنياء اذ لم يكن لاحد من طبقات الشعب
الدينية عقارات خاصة بل كانت الاراضي كلها في حيازة الملك والنبلاء . وموظفي الحكومة .
وكثيرون من هؤلاء معروفون باسمائهم . فلو جلنا مرة واحدة بين رموسهم لاستطعنا ان
نكتب قائمة باسماء اغنيائهم الذين كانوا يقيمون في المدينة الملكية تحت حكم الملوك
الذين دفنوا في اهرام الجيزة وقائمة أخرى باسماء رؤساء الوزارات وحفظة بيت المال وكبار
القضاة والمهندسين ورؤساء الحجاب والمقدمين وسواهم . ويرى هنا ايضاً ضريح المهندس
المعاري الذي بنى الهرم الكبير

(٩١) الميزة
الاجتماعية في عصر
الاهرام . ثلاثة
اصناف من الناس

ونستطيع ان نتصور المذات والمسرات التي كان يتمتع بها النبلاء وموظفو المملكة
وهم يديرون شؤون الحياة الاجتماعية والصناعية بوادي النيل في عصر الاهرام . ونرى هنا
على جدار المعبد صاحب المعبد جالساً في محفته محمولاً على مناكب عبيده وهو عائد من تعهد
املاكة الشاسعة . وما كانت محفته الا مركبة فاخرة لا عجل لها فتحمل على المناكب . وكان
العبيد متى وصلوا الى فناء قصر سيدهم (شكل ٣٥) يضعرون المحفة عن مناكبهم في ظلال

(٩٢) النيل في
قصر في عصر
الاهرام

شجار حديقة القصر ويكثون عن الغناء^(١) فتدنو منه زوجته الوحيدة وتجيئه وتجلس الى جانبه . وكانت الزوجة محترمة مكرمة تتمتع بجميع ما لزوجها من الحقوق . وكانت هذه الحديقة متنزه النيل الذي كان يختلف اليه بين وقت وآخر ترويحاً للنفس من الغناء مصحوباً ببعض افراد أسرته واخذانه يلعب واياهم بالداما ويصفي طرباً الى ايقاع الالحان على القانون والعود والمزمار مرتاحاً الى رؤية زوجته ونساء بلاطه يرقصن رقص ذلك الزمان وعيناه ترميان اولاده وهم يرحون بين الاشجار عابثين بالاء يطاردون الاسماك في البرك ويلعبون بالدمى والطابة ويقفزون او يداعبون القروود الداجنة التي كانت تهرب منهم وتحتسي تحت كرسي العاج الذي كان والدهم جالساً عليه

٧

الفنون وهندسة البناء في عصر الاهرام

(٩٣) منزل النيل

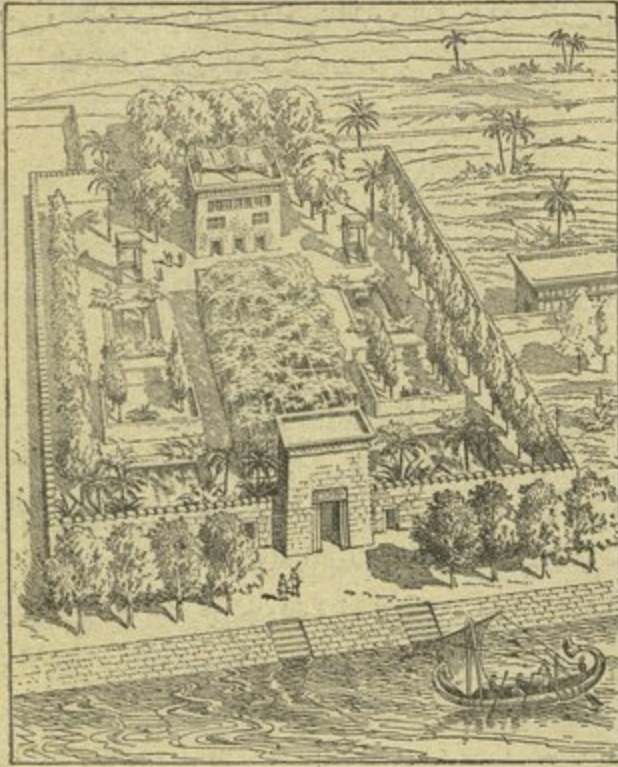
هنا يرى النيل يربت رأس كلبه باليد الواحدة ويشير بالآخرى الى الوكيل على بساطينه مقدماً له التعليمات اللازمة في ما يخص بارئمان الذي كان مزماً ان يتناوله وقت الغداء . اما البيت (شكل ٣٥) الذي كانوا يعدون له فيه غداءه فرحّب فخّم الا انه مبني بالطوب والحشب . ويدخل اليه النور والهواء بقدر الحاجة من شبابيك من جهاته الاربع مشبكة بشعريات . وكان معلقاً على جدران غرف السكن سجوف زاهية الالوان (ف ٨٦) تسدل عند الاضطراب اتقاء الرياح والرمال التي كانت تسفيها الرياح بين حين وآخر . وكانت تلك السجوف تكسب الغرف جمالاً تفرّبه العيون . وبما ان هذا المنزل ثمره من ثمار الفن فهو يرينا كيف كان قدماء المصريين يميلون الى جعل ما حولهم جميلاً . ولم يكسبهم هذا الميل الى الجمال الا توحيهم ان يصنعوا الاشياء المفيدة كلها جميلة

(٩٤) الفن في صنع الناز وطارفو

وفما نحن نتتبع خطواته في ذهابه الى قاعة الطعام نرى الجمال يحف بنا من كل جانب . نشاهد ازهار النبات المعروف برانس النيل منقوشة على مقض ملعته والحمر تترقق في كأس ذرقاء مصوغة على مثال الزهر المذكور وقوائم الكرسي الذي يجلس عليه والمقعد الذي

(١) نرى الاغنية التي كانوا يغنون بها مدونة مع اغاني اخرى على جدران معبد القبر

يستند اليه مخروطة على مثال قواجم الاسد او الثور القوي العضل . وزى السقف المزوق فوق رأسه يمثل لاعيننا السماء الزرقاء . ترصعها النجوم . يرتكز على اعمدة من جذوع النخل (شكل ٣٨) تيجانها طاقات اوراقها المسترسلة محفورة في خشب مدهون بالون الاخضر لكي يشبه لون الشجر الطبيعي او على اعمدة بشكل نبات عرائس النيل ترتكز على ارض كأنها تحمل السقف الازرق على ازهارها المتائلة . ويشاهد الحمام وانواع الفراش المختلفة كأنها تطير تحت سماء



الشكل ٣٥ منزل وحدة نيل مصري

المحدثة مسورة بحدارعال . والدخل الجاهري برك ماء على الجنين وعريشة تمتد الى منتصف المحديقة والمنزل يقع ورائها مظلاً بالاشجار الغضة وعلى سطوحه جديسة تظللها الطنافس الناعرة ف. ٨٦
 وهي جائثة على نبات الحلفاء الذي كان يتمايل تحتها

ولولم يكن بين المصريين الاقدمين عدد عظيم من ارباب الثمنون . ما استطاعوا ان

(٩٥) الصور
والحجر النائري
التيور والياكل

يتروكو لنا ما تركوه من الرسوم الممجّسة في معابد رومسهم التي زرناها . نجد في احدى



الشكل ٣٦ صورة الملك خرع بالي المرم
الثاني من اهرام الجيزة

وجدت هذه الصورة في بيكلو بالوادي (الشكل ٢٧) محفورة
في حجر الديوريت الفاسي . والباري الميسوط المجاحين الواقين
هو رمز الاله العظيم هوروس (القرن التاسع والعشرون ق . م

الزوايا صورة الرسام الذي زوّق
جدران المعبد . وهي تمثله لنا
جالساً مع جماعة من اخوانه
يتنعم باطياب الاطعمة في مأدبة
حافلة أعدت في دسكرتيه . ومع
اعجابنا بهذه الصور نرى ان
المصورين لم يقدروا في ذلك
الزمان البعيد ان يتغلبوا على جميع
الصعوبات التي كانت تحول دون
تصويرهم الاشياء التي يرسمونها
مجسمة . كانوا يرسمون الحيوانات
بتمام التدقيق بحيث تكون
المشابهة بين الصورة وما أخذت
عنه تامة (شكل ٣١) ولكنهم
لم يستطيعوا ان يظهر وا في تصويرهم
النسبة التي بين الاجسام المختلفة
فكانت الاجسام عندهم بحجم
واحد تقريباً سواء كانت في مقدم
الصورة او في مؤخرها القريبة
والبعيدة سواء

(٩٦) نحت
الـ

وكان اعظم رجال الفن في هذا العصر نحات التماثيل . كانت التماثيل تُنحت من الحجر
او الخشب وتلوّن بلون الاحياء . وكان صانعوها يتزلون في عيونها بلورات حجر فتظهر بها كأنها
تتألق بنور الحياة (شكل ٣٧) . ولم يستطع احد من الناس في جميع العصور ان يأتي باحسن
من هذه التماثيل من وجهة مشابقتها للاحياء . مع انها تعد أقدم التماثيل المنحوتة . وكانت
تماثيل الماوك الانيقة (شكل ٣٦) تُنصب في هيكل هرم فرعون (شكل ٣٨) .
واعظم تماثيل عصر الاهرام حجماً تمثال ابي الهول القائم بقبرة الجيزة . رأسه يمثل لنا رأس
الملك خرع بالي ثاني اهرام الجيزة . وقد نُحت من رأس صخر مشرف على المدينة الملكية

وهو اكبر تماثيل نُحِت في الدنيا بأسرها قديماً وحديثاً

ان الركاتز والجدران الهائلة المبنية من حجر الغرانيت في هيكل خفرع الذي في الوادي (شكل ٢٧) بجانب ابي الهول تُظهر لنا عظمة الابنية الحجرية التي هندسها الاقدمون في الشطر الاول من العصر الهرمي . كان النور يدخل هذا البناء الفخم من سلسلة كبرى

(٩٧) فن البناء
نارة المياكل



الشكل ٢٢ من تماثيل ملكي من البروتز في
عصر الاهرام

تماثيل الملك بيني الازل (١٦٠٠ ق م تقريباً) . الراس من البروتز طرز اصلاً على قالب خشب . وعلى البروتز قشرة من الرخام .
وما ان العيون مرصعان بقطعتين من حجر متبلور ، تظهران كأنهما
حياتان

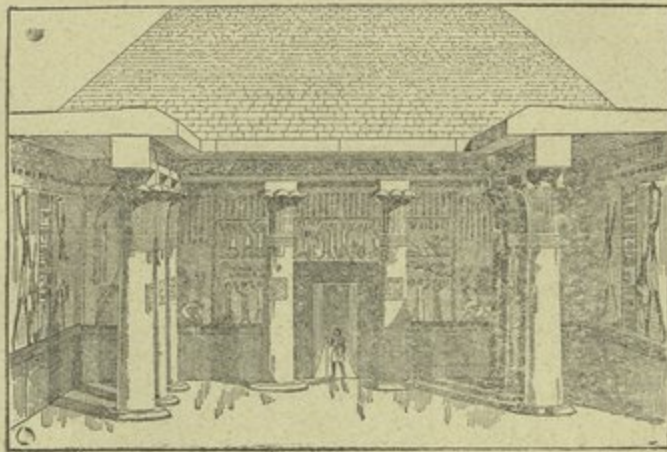
صغيرة مائلة قليلاً وقريبة من السقف تشغل الفسحة الواقعة بين سقف صحن البناء وسقف الجناحين على الجانبين الذين كنا اوطأ من سقف الصحن وهذا الترتيب او النظام هو ما يسمى في اصطلاح بنايي اليوم « منوراً » (شكل ٢٢٣) واقتبس اليونان والرومان فيما بعد هذا النوع من الهندسة من قدماء المصريين . وقد تنبه لهذا الضرب من البناء المسيحيون فبنوا كنائسهم الكبرى طبقاً لهندسته . فالبناء الذي شيده فرعون خفرع هو اذن اصل الابنية المسيحية المسماة بالكاتدرائيات . فعمته اخذ المسيحيون هندسة كنائسهم بعد مرور ثلاثة آلاف وخمس مئة سنة فاقاموا في كل كنيسة صفيين من الاعمدة صفا الى اليمين وصفا الى اليسار

(٩٨) اقدم الأروقة
بسات الاعمدة

لكن المصريين نظراً لما أوتوه من حسن الذوق وحب الجمال لم يثابروا امداً طويلاً على هذه الخطة من تشييد الابنية الضخمة بل عدلوا عنها في اقل من قرن من الزمان معما هي عليه من النخامة والجلال كما يشاهد في بناية خفرع . فبدلاً من الركاتز والاعمدة الضخمة

صاروا ينتحون الاعمدة الخفيفة وينصبونها مكان الاعمدة القديمة واضعين على راس كل عمود
تاجاً بجيلاً . وكانوا ينصبونها صفوفاً طويلة . واقدم هذه الاعمدة يمتد تاريخها الى القرن الثامن
والعشرين ق.م . وكانت من مميزات مصر دون سواها . لاننا حين نبالغ في درسنا الى اسية
القديمة نجد ان سكانها كانوا يجهاونها (ف ٢٠١)

(١٩٩) تاجر مصر
المرى



الشكل ٢٨ صفوف من الاعمدة في دار هيكل الهرم منذ القرن
العاشر والعشرين ق.م

لاحظ المرء مرتين وراء الهيكل (كما في شكل ٢٧ ايضاً) الباب الذي في الوسط يؤدي
الى المكان المقدس المبني الى جانب الهرم حيث وجد شبه باب مقفور في الصخر كنا يعتقدون
ان الملك حين يأتي من عالم الاموات ليدخل منه يتنعم باطيب الاطعمة المعدة له في آنية نفيسة
ويشترك في المآدب الذخيرة التي تقام له . ومنتصف الدار مكتشف بحيث يرى الجدار وسدة
الباب قائمة على عمد مستديرة من اقدم ما عرف من نوعها في تاريخ البناء . قابل بين هذه
وبين الركائز المرصبة بلا تيجان التي كان يستعملها بناؤو الملك خنفرع في بناء هيكلو قبل هذا
الزمان بقرن . وكل هود يمثل نخله تاجها الاوراق التي في راسها . وكان المكان يرمو ملوناً
بالوان زاهية طبيعية . وهكذا كانت الجدران التي وراء الاعمدة وكان بين الصور المركب الذي
في الشكل ٢٩ . وكان في البداية انايب نحاس مهدودة الى جهات مختلفة فيها . وهذا اقدم ما
علم عن مد الانايب (ف ٨١)

ان المتأخر
الهرمية ارتنا
عظمة العمران
الذي بلغه
المصريون في
عصر الاهرام
ولو سمح لنا
الوقت لكنا
ربما نجد آثاراً
أخرى هنا
تربينا كيف
ان نبلاء
ذلك العصر
(وهم كالنبيل
الذي زناه
على جناح
التصور في
قصره يملكه)
ازدادوا قوة
حتى لم يقدر
الفراعنة ان

يكبحوا جماهم . فقامت بينهم المشاحنات واشتد نزاعهم وكانت العاقبة سيئة جداً على
مملكة الفراعنة فتقرضت دعائمها وانهار بنيانها . وسقط آخر ملوكها عند نهاية سنة ٢٥٠٠
ق.م . فكانت مدة هذه المملكة نحواً من خمسمئة سنة . وبسقوطها انتهى اول عصر

متمدن من تاريخ البشرية ، العصر الذي نقل الناس للمرة الاولى من الهمجية الى المدنية (انظر شكل ٢٦) الا أن عصر الاهرام لم يكن نهاية العمران او المدنية في وادي النيل بل تلتها عصور أخرى حفظت لنا آثارها مصر العليا . فيجب ان نصعد في النيل لكي نشاهدها ونستخلص منها القصة المدهشة التي تروى لنا وهي صامته

اسئلة

٥

اخبرنا شيئاً عن حياة اقدم سكان النيل وكيف نعرف ما نعرفه عنهم . تتبع نشوء الكتابة بالالفاظ الصوتية . اين اخترعت حروف الهجاء . الاولى ؟ اكتب ثلاث كلمات بالخط المصري القديم (شكل ٢٠) أين اهمية اختراع الكتابة . اذكر الطرق القديمة لقياس الوقت . اذكر الطريقة الراجحة لاكتشاف المعدن . واي معدن كان ؟

٦

ماذا تخبرنا قبور مصر عن الدين ؟ أين تأثير استعمال المعدن في البناء . اخبر ما تعرفه عن أول بان بالحجارة . صف حكومة عصر الاهرام . ادرس (شكل ٢٦) واخبر كيف تظهر القبور المصرية الانتقال من الهمجية الى المدينة . صف اقدم المراكب البحرية الماخورة في البحار . اكتب قائمة بالصناعات التي تكشفها لنا صور معبد القبر . قل ما تعرفه عن الصناعة والتجارة

٧

صف بيت وحديقة احد النبلاء في عصر الاهرام . قل ما تعرفه عن التصوير ونحت التماثيل . ارسم صورة للاعمدة والركائز او الدعائم القديمة . هل كانت جميلة ؟ ارسم ركيزة مثل التي استعمالوها بعد الهرم الكبير بمئة سنة (شكل ٣٨) هل كانت جميلة ؟ صف النوافذ الضيقة التي كانوا يفتحونها قرب السقف . الى ماذا تحولت بعد ذلك ؟ ما هو تاريخ عصر الاهرام ؟ لماذا كان مهماً ؟

الفصل الثالث

تاريخ مصر . عصر الاقطاع والامبراطورية

٨

الرحلة النيلية وعصر الاقطاع

(١٠٠) بدء رحلة النيل

حينما تقام بنا الباخرة من مرفأ القاهرة وتبتدى سفرتنا الى اعالي النيل نرى صفا عظيماً من الاهرام يمتد نحو الافق الغربي الى امد بعيد يُعيد الينا ذكرى ازدهار عصر الاهرام الذي بلغنا الآن الى نهايته . ثم تتوارى عن ابصارنا الاهرام وراء اشجار النخل الباسقة ويبدو امامنا مشهد من الآثار الفخمة يأخذ بمجامع القلب . وفي السفينة تمخر بنا نحو الجنوب برأى من اشجار النخيل التي تزدان بها الضفاف عن الجانبين نشاهد مباني ومدافن وآثاراً تحدثنا بغير لسان بانباء عصرين آخرين عظيمين بوادي النيل - عصر الاقطاع وعصر الامبراطورية . وكلما اوغلت بنا السفينة نحو الجنوب وجدنا النهر آخذاً بالتمتع من جانب الى جانب في ذلك الوادي العميق دافعاً السفينة احياناً الى اماكن تحت صخور فللمتها وبرتها عوامل الطبيعة (ش ٤٩) واذا انعمنا النظر رأينا كثيراً من ابواب المدافن والمعابد المؤدية اليها منقورة في تلك الصخور

(١٠١) مدافن عصر الاقطاع

وهذه القبور المنقورة في الصخور الشاهقة المشرفة على النهر هي قبور الذين عاشوا في عصر الاقطاع من تاريخ مصر . وكان الدفن فيها ينظرون الى اسلافهم في عصر الاهرام من وراء خمسة قرون من الزمان كما ننظر نحن الى اسلافنا قبل تأسيس المملكة العثمانية . وقد والى الزمان اولئك النبلاء الراقدين في هذه القبور اكثر مما والى اسلافهم فكانوا

اعظم منهم قوّة واشدّ بأساً . وقد اقطعهم الملك اراضي فسيحة تحت شروط معينة اتفقوا معه عليها
كان عليهم بموجبها ان يؤدوا للملك خدماً معلومة بدل استغلالها . وفيما سوى ذلك كانوا



الشكل ٢٩ نرى الى اليسار الميت المسن آلي عليو ثياب بيض وامرأة معه . وامامه موازين الدينونة التي يؤزن بها القلب البشري ليعرف اصالح هوام شرير . والذي يضبط الميزان الهالة راس ابن اوى . ووراءه الى آخر له راس طائر . ويسمى ابيس . قلبه في يده . مستعد ان يسجل الحكم الذي يصدر من الميزان . وقلبه وحسن هائل مستعد ان يتلع النفس الائمة . وحين يؤزن القلب الرموز اليو بارورة صغيرة في الكفة اليسرى من الميزان يضعون مقابلة في الكفة اليمنى عيار المحن الرموز اليو بريشة . وهذا المشهد مصور على ورق السبردي . ويبلغ احياناً طول اللوحة المصورة ٩٠ قدماً . وهي ملوثة من اولها الى آخرها تعاوذ سحرية لمنفعة الميت في العالم الآتي . ويسمون للوحة كلها " كتاب الاموات "

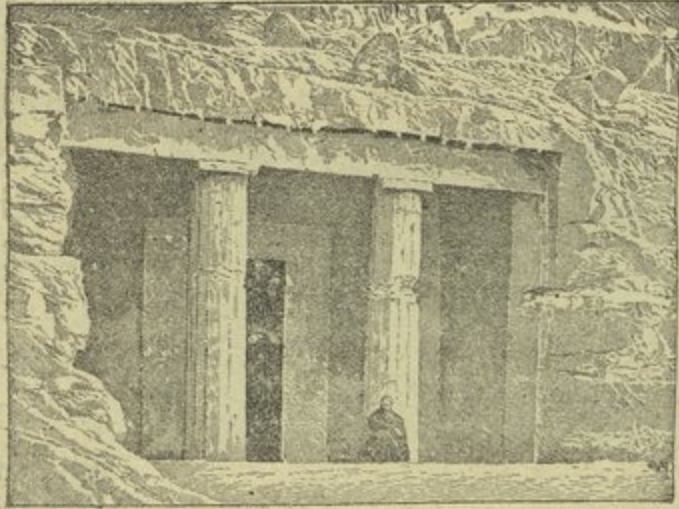
دروج من ورق البردي كانوا يحفظونها في اصونة مخصوصة معنونة باتقان ومصنوفة على رفوف في المكتبة . وكان في هذه المكاتب اقدم كتب الروايات عن الاسفار والمغامرات في اسية وعن تكسر السفن في الاقياوس المجهول وراء البحر الاحمر ، « اول سندباد بحري » (ش ٤١) وكثير من قصص المجوس والسحرة ومعجزاتهم

ويظهر من خلال سطور هذه القصص ما كان يعانيه الفقراء من ضروب الشقاء ومضض التعذيب . وقد حاول الذين صاغوا ما فيها من درر القول ان يستنهضوا همم الحكام الى وجوب مراعاة العدل بل الرحمة في معاملاتهم للطبقات الضعيفة من الناس . وقد اسهب الكتابة ، في بعض تلك القصص في بيان شر الانسان وقطع الامل من صلاح المستقبل . وفي البعض الآخر انبأوا بجي حاكم عادل في المستقبل يدعى « الراعي الصالح » اي الملك

(١٠٢) كتب في
المض على النقطة
والمدالة

العادل الذي يشمل بعدله الجميع ويعمم السعادة بينهم . وزى هنا فرقاً بيننا وبين هذا العصر وعصر الاهرام . ففي استهلال عصر الاهرام رأينا تقدماً عظيماً في السلطة وهندسة البناء والفن . وفي عصر الاقطاع زى تقدماً من جهة أخرى — زى تقدماً في الاخلاق والسلوك (طالع شرح شكل ٤٠)

(١٠٢) الروايات
الشعرية التنبؤية
والقربص



الشكل ٤٠ قبر امير مصري من عهد الاقطاع
متنور في صخر شاقق

هذا القبر غير مبني بالحجر كتقبر عصر الاهرام (شكل ٤٠) بل هو منقور في وجه الصخر والمعد الذي يدخل اليه من الباب مجنوي صوراً ناضرة ملونة كالتي كانت شائعة في عصر الاهرام وأثراً مكتوبة . وهناك ما جاء في تلك الكتابة عن الملك الذي عدد حنات نفسه ولطف معاملته لشعبه قال : لم اعد على شرف بنت من بنات شعبي ولم اظلم ارملة ولم اغتصب مال احد الفلاحين ولم اطرد راعيها من خدمتي . ولم يكن احد بين جماعتي تعساً ولا جائعاً وانا في الحياة ولما انت سنوا مجموع طلعت وزرعها كل اراضي احتفاظاً بحياة المنهبين فيها . فلم يكن بينهم جائع وقد سارت في عظامي بين الازملة وذات البهل . وفي كل ما وجهت لم اؤثر العظيم على الوضع (ف ١٠٢) كل هذا مكتوب ضمن هذا القبر

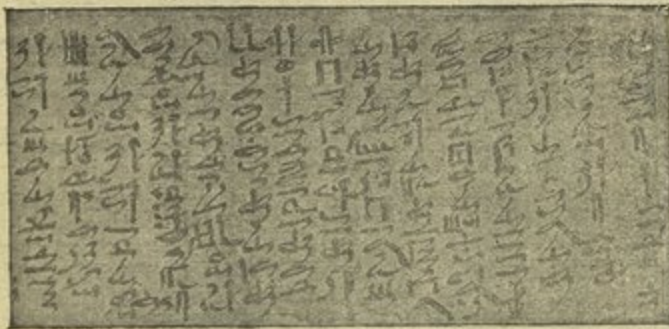
ومن تلك
الروايات
الشعرية رواية
اوسيريس
الانيقة التي
مُثِلت فيها
حياته كما
مُثِل موتهُ
ودفنه وقيامته
(ف ٧٠) في
مأدبة حافلة
كانت تقام
كل سنة
يشترك فيها
خلق كثير .
والرواية
مكتوبة على
عدد كبير من
السدروج .
وهي اقدم
الروايات

المعروفة من نوعها . تشير العواطف وتهيج الخاسات الا ان عوامل الفناء قد سطت على دروجها فلاشتها . وهنالك دروج أخرى حوت قصائد واغانى كالتي كان يتغنّى بها نبلاء بلاط فرعون كل صباح يحمين مليكهم . وكانوا يترفنون بمدحهم باغنية أخرى يرتلها جوقان

على التماثل في حفلات البلاط . وكانت تشبه في أسلوب نظمها مزامير العبرانيين . وهي أقدم مثال لهذا النوع من النظم باقٍ إلى الآن

كانت كتب العلم في هذا العصر قليلة . أكبرها وأعظمها قيمة كتاب يتضمن ما كان معروفاً عن الطب وأعضاء الجسد . ويُعدُّ أقدم كتاب طبي . إذا نُشر على طولِه بلغ طوله ستاً وستين قدماً وبانت فيه وصفات طبية لجميع أنواع العلل المعروفة لا يزال بعضها - كزيت الخروع مثلاً - مستعملاً في العلاج حتى الآن . وفي بعض تلك الكتب ما يشتمُّ منه ان اولئك

١٠٤) كتب العلم



الشكل ٤٤ صفة من حكاية الجري الذي أنكرت سفينته
وهو أقدم سند باد

هذه الحكاية في التي كان يملؤها الصبيان والبنات في مصر قبل أربعة آلاف سنة (قياسها هذا تلك قياس الاصل) وهذا نص ما جاء فيها . مات الذين كانوا في المركب جميعهم ولم ينج منهم احد . اما انا فالتي موجة من امواج البحر العظيم على جزيرة فلبت فيها ثلاثة ايام وحدي لارفيني بليني سوى قلبي . وكنت اما مخدباً بين الاشجار الى ان يغمري نور النهار فانقض متللاً لعلني امسك شيئاً املاً يوفيني فكنت اجد تيناً وعنباً وكثيراً من انواع الخضرة الخ ثم نقول الحكاية ان حوة ذات لحمة طويلة امسكتها . ووجد أن تلك الحمة هي ملك الجزيرة البعيدة الرائعة في البحر الاحمر عند مدخل الاقزبانوس الهندى . واحتفظ الملك بهذا الجري ثلاثة اشهر احسن في انائها معاً منه ثم ارجعه الى مصر بعد ان حباه بكبير من النصارى . اما شكل الكتاب الذي أخذت منه هذه الحكاية فهو قديم واحد من ورق البردي طويل وعرضه . وكانت تبق ملفوفة ما داموا في غنى عن استعمالها . وهكذا كان أقدم الكتب لثابت فاذا كانت صغيرة بانث كأنها شهادة مدسية واذا كانت كبيرة بانث كأنها رزمة ملفوفة

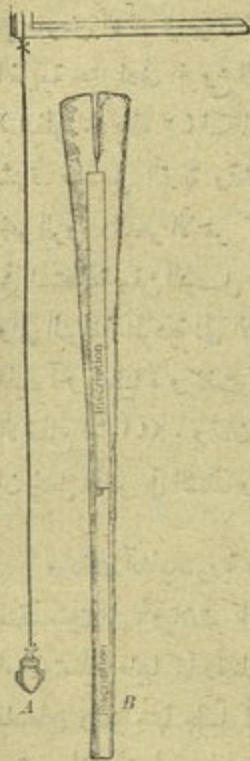
الاسلاف
الاقدمين
كانوا يعززون
قسماً من
الامراض الى
فعل الشياطين
كما يفعل بعضهم
في بعض جهات
بالادنا حتى
الآن . ويوجد
درج آخر
يبعث في الطب
بطريقة عالمية
افضل من الطرق
التي تقدمتها .
وفيه مجموعة
حوادث امراض
مبعوضة

بطريقة نظامية . تبتدى الواحدة منها بذكر اسم المرض ثم يتلو ذلك تعليمات لارشاد الطبيب في الفحص والتشخيص والانداز . فاذا حكم بان المرض يذعن للعلاج اعطيت التعليمات اللازمة بهذا الصدد . وعند نهاية كل حادثة بحث في معاني الاصطلاحات الطبية

المستعملة في الفحص عن الحادثة المرضية . وهذا اقدم بحث في الجراحة باق الى ايامنا . وهو يفوق من الوجهة العلمية كل بحث من نوعه صدر من الشرق القديم . وبعض تلك الكتب يبحث في الحساب ويتضمن قراءته البسيطة المبينة على النظام العشري المستعمل في ايامنا هذه والبعض الآخر يتضمن مباحث في مبادئ الهندسة والجبر وارصاداً فلكية بآلات بسيطة (شكل ٤٢) ولكن هذه الآثار قد عفت عيناً واثراً كما عفت الآثار الجغرافية ايضاً

وللتلاؤم مع الشأو الذي بلغه الفراغنة في مضار التقدم شرعوا في تحمين شؤون الادارة في الحكومة التي كانوا قابضين على زمامها . فكانوا كلما مرّ بضع سنين يأمرن باحصاء النفوس ضبطاً لجباية الإتاوات والضرائب الأأنه لم يبق من قوائم الاحصاء الأ الطفيف . وقد اقاموا في وجه المياه سدوداً من التراب وانشأوا خزانات عظيمة لحفظ مياه الفضيان واستعمالها في الري حين الحاجة . وبذلك زادوا محاصيل الاقطاعات وسائر العقارات الأخرى وكانوا من سنة الى سنة يقيسون ارتفاع مياه النهر ويسجلون ذلك على الصخور كما يشاهد ذلك عند الشلال الثاني فقد كان المصريون منذ اربعة آلاف سنة يقومون باعمال خطيرة في سبيل الري لم تشرع فيها بعض الحكومات الحديثة الأ منذ عهد قريب

وطمخ امراء الاقطاع الى غنى البلدان الاجنبية فسيروا سفنهم الى جزر بحر ايجه . وربما كانوا قد بسطوا في هذا الوقت نفوذهم على جزيرة كريت العظيمة (٣٤٣-٣٥٣) وجددوا مع فينيقية علاقتهم القديمة التي ابتدأت في عصر الاهرام فاهدوا الى امراء جبله هدايا ثمينة وقبلوا منهم مثلها فيما يرجح . وبعد مات اولئك الامراء دُفنت معهم الهدايا في قبورهم على الشاطئ الفينيقي مع تحف أخرى جبيء بها من بحر ايجه والعراق وهي الآن اثنان الثفان



الشكل ٤٢

آلة فلكية مصرية قديمة

اقدم استنباط فلكي باق الى ايامنا موجود الآن في متحف برلين جزوه A هجارة عن شاقول ذي مقبض يتصل من الاعلى بالقدرة المرسومة عن يمينه وقد رسم هنا منفصلاً عنها . وهو يمكن الراصد من توجيه الجزء الأخر من الآلة B الى نقطة مفروضة على الارض وهو يرصد من ثقب في اعلى القدرة احد النجوم كنجم القطب مثلاً واما آلة القدرة التي بينه وبين نجم القطب حتى تطبق على النجم فيقدر ذلك ان يعين اجرتهم ويرصد كل نجم يقضها وينس الوقت ويستخلص مقدمات فلكية قيمة

(١٠٥) خطط
جديدة في الادارة
والسري في عصر
الانقطاع

(١٠٦) تجساره
الفراغنة بحراً . فرقة
قبل فرقة السويس
باربعة آلاف سنة

في معرض الآثار في بيروت . وحفر الفراعنة ترعة من الطرف الشمالي للبحر الاحمر الى الجهة الغربية حتى ادنى فروع النيل في شرق الدلتا حيث ينقسم النيل الى مصاب عديسة (انظر الخريطة ٢) فكانت سفن الملك في بحر الروم تقاع حتى تبلغ ابعده مصب للنيل شرقاً فتدخل الترع وتمخر فيها شرقاً حتى تصل الى البحر الاحمر . فتدري ان البحرين ، بحر الروم والبحر الاحمر كانا مقترنين قبل اقترانهما الحديث باربعة آلاف سنة . وكان في استطاعة سفن النيل ان تقلم من جانب الدلتا الشرقي توالى الى بلاد بنت (ف ٢٩) والى البواغيز المؤدية الى الاوقيانوس الهندي وكان بجارة عصر الاقطاع يحسبون هذه المياه آخر الدنيا . وكانت قصص سفراتهم العجيبة بهجة القرويين الساكنين في املاك امراء الاقطاع (ش ٤١) . وكان فرعون قد نظم في هذا العصر جيشاً عاماً وصار قادراً ان يجعل الناس في الشمال والجنوب يشعرون بعزته وسلطانه

(١٠٧) النسط
البحري في الشمال

وكانت آتخذ سورية وفلسطين - كما كانت دائماً حين لم تكونا خاضعتين لئير اجنبي - متقسمتين الى دويلات كل واحدة منها عبارة عن مدينة وضواحيها . وكان على كل دويلة امير متسلط عليها كما رأينا في الكلام عن جبيل . وكانت مدن سورية اعظم من مدن فلسطين واعز منها جانباً ليس لان مواردها الطبيعية اعظم من موارد فلسطين فقط بل لان موقعها في الشمال ربطها باهل الشمال والشرق الذين كانوا اغنى وارقي من الشعوب الاخرى فكانت كركميش (جرابلس الحديثة) وتونيب (لا يعلم موقعها تماماً) وحلب وحمات (حماه) وقادش (قدس في جوار حمص) وارواد والشام وجبله (جبيل) وصيدا وصور زاهرة بالتجارة حتى بالصناعة الى درجة محدودة . وكان سكان هذه المدن وسطاء التجارة في هذا العصر . فكانوا يأتون بالمعادن وبمصنوعات اسية الصغرى والعراق الى السواحل البحرية ومن ثم كانوا يشحنونها الى مصر اماً برأ مع القوافل او بجرأ في السنن ويجلبون بدلاً منها سلعاً مصرية كانوا يشحنونها الى الداخلية وكان بعض هذه المدن يؤلف اتحاداً لمقاومة عدو مهاجم وصدّه . ولكن هذا الاتحاد كان دائماً قصير الامد يزول بزوال الخطر المداهم لما كان ينشأ من التحاسد ويتولد من الضغائن والاحقاد بين المدن المتحدة . وكان المانع الاكبر لمدن سوريا من الاتحاد وتأليف مملكة يربب جانبها ويحسب حسابها تقسم اراضيها اقساماً متعددة نظراً لما يحول بينها من الجبال . فكانت البلاد من هذه الوجهة كبلاد اليونان . ولذلك لما اقدم فرعون ملك مصر على مهاجمة فلسطين لبسط نفوذه في ارجائها بقوة السلاح ، ضاقت باهلها الحيلة عن صدّه لان قواتهم كانت اضعف من قوات جيرانهم في سورية وفينيقية

(١٠٨) التوسع
المصري في الجنوب

وفتح فرعون في الجنوب بلاد النوبة حتى حدود الشلال الثاني (انظر الخريطة ٢) فاضاف الى مملكته ما يبلغ طوله مئتي ميل من الارض عن جانبي النهر . وشيّد على الحدود قلاعاً متباعدة صدّاً للقبائل النوبية . ولا تزال هذه القلاع ماثلة الى الآن . ونقش على احد الصخور التي هناك كتابة مألها انه لا يجوز لاحد من العبيد ان يجتاز الى الشمال منها بلا رخصة خصوصية وزاد عليها هذه الكلمات « انا الملك وما اقله افعله . وخليفتي الذي يهمل الحد الذي وضعته ليس بولدي . وقد نصبت تمثالي هذا على تحمي الذي عينته ليس لرغبتني في ان تعبدوه بل لكي تحاربوا من اجله » . وكانت بلاد النوبة قد اخذت تتمصّر وتولي ادارة احكامها رجال من مصر . وقد وجد في كرمي قبر احدهم واسمه هيزيني امير سيوط (اسيوط الحديثة) وكان قد دُفن تحت رابية هناك على الطريقة النوبية . فكان يحيط برمته ومم رهط من البيد النوبيين الذين قُتوا يوم وفاته لكي يرافقه الى العالم الآتي . والظاهر ان الحكام المصريين عاملوا النوبيين كأرقاء واستبدوا بالاحكام . وقد اخذ النوبيون عن المصريين شيئاً من افكارهم ولكن بصورة مشوهة . وكان هذا بدء شيوع الفنون المصرية في بلاد النوبة المستعمرة . وقد دام العمراني المصري في النوبة بصورة منحصطة حتى بعد سقوط الامبراطورية (١٣٠) ونشوء عمران آخر يختلف عنه نوعاً

(١٠٩) نهاية عصر
الاقطاع المكسوس
(الزراعة)

وكان لحكم الفراعنة الراقى في عصر الاقطاع اليد الطولى في تمهيد السبيل للسيادة المصرية في العالم القديم . وقد دُعي ثلاثة من هولاء الفراعنة باسم « سيوسستريس » الذي صار من اعظم واشهر الاسماء في تاريخ مصر . ولكن بعد سنة ١٨٠٠ ق م انحطت بقتة قوة الفراعنة في العصر الاقطاعي وانقرضت سلالتهم بسبب زحف قبائل رحل آسيوية على مصر أطلق عليها اسم المكسوس . وربما كان الاسرائيليون الذين يُظن انهم دخلوا مصر في هذا الزمان فروعاً منهم هبطت وادي النيل فوجدت لمواشيها مراعي خصيبة اننا لا نعلم شيئاً محققاً عن هولاء المكسوس لكننا نقول من باب الترجيح ان زحفهم الى مصر كان فاتحة لحركة عظيمة قام بها بعض الشعوب الآسيوية . وهي الحركة التي ساقط الكاشيين الى بابل (ف ٢٠٣) والميتانيين الى العراق (ف ٢٠٨) وجماعة من الجنس الاوربي الهندي (ف ٢٨١) الى آسية الغربية . فترى من هنا ان العالم القديم الذي عرفه مصريو المملكة القديمة وعصر الاقطاع ، أخذ بالتلاشي والاضمحلال وان عالماً جديداً وممالك جديدة قد اخذت تحمل محله . ومنحصر بحدودنا ، في ما يلي ، في هذا العالم الجديد وما له من العلاقات الدولية البعيدة المدى

٦

تأسيس الامبراطورية

ان الآثار الماثلة على ضفتي النهر قد مثَّلت امامنا حتى الآن فصلين من رواية شعب النيل التي تقع في ثلاثة فصول^(١) وسيمثل امام عيوننا الفصل الثالث منها . فاننا بعد مغادرتنا

(١١٠) رحلة النيل .
الوصول الى طيبة

قبور عصر

الاقطاع

ومواصلتنا

السير الى

الجنوب من

القاهرة مسافة

اربعمئة ميل

او اكثر نرى

لمحاً بين حين

وآخر ، من

خلال شجر

النخيل الباسق

عن جانبي

النهر ، كثيرا

من المباني

الحجرية

الفخمة ووضوحاً

من العمدة قائمة

بين الاشجار .



الشكل ٤٢ احد فراغنة الامبراطورية بحارب
في مركبته

صور العنبر الصغيرة معارة تحت سلك خيل فرعون . وهذه صورة من مجموعة صور كبيرة جداً لهذه المشاهد وهي نافرة الحجر خارج هو الكرنك الكبير (ش ٤٧) وكان في هذا العصر يلوون الصور بلوناً زاهياً لكن تزد في رونق البناء وتصير للناس بطول فرعون . اما الآن فالألوان قد زالت بالمرّة والنقوش قد تشوّت وكادت تجوعها عوامل الطبيعة حتى صار الرسم المصوّراً له غير جلي كما يجب

(١) تشتمل رواية وادي النيل على ثلاثة اعصر : عصر الاهرام من ٢٠٠٠-٢٥٠٠ ق م (ن ٧-٦) (٢) عصر الاقطاع وزمن ازدهاره ٢٠٠٠ ق م (ن ٨) (١) عصر الامبراطورية نحو ١٥٨٠ الى ١١٥٠ ق م

فهذه خرائب مدينة طيبة العظيمة المبنية على انقاضها مدينة الاقصر الحديثة . وهي تمثل لنا الفصل الثالث من رواية وادي النمل وهو عصر الامبراطورية

لا نجد هنا مقبرة شاسعة الاطراف فقط بل هياكل عظيمة ايضاً . واذا درنا حول هيكل الكرنك في طيبة حصلنا على فوائد جمة تساعدنا على درس تاريخ الامبراطورية كما ساعدتنا مدافن الجيزة على درس عصر الاهرام . نرى هنا جدران الهيكل مغطاة بالنقوش النافرة الهائلة التي تمثل لاعين حروب المصريين في اسية وصورة فرعون الجبار واقفاً في مركبته الحربية



الشكل ٤٤ نقل مسائي الملكة حتشبسوت اللتين تزين الواحة منها ٢٥٠ طناً من مقلعها على متن النيل (في القرن الخامس عشر ق م)

ان المسلمين موضوعان جنباً لجنب قاعدة الواحة منها لرق قاعدة الاخرى وقد نُقلنا على سفينة من سفن النيل طوطاً ٢٠٠ قدم وطول كل من المسلمين ٩٧ قدماً ونصف ووزنها ٢٥٠ طناً . فيكون مجموع ثقلها على السفينة ٧٠٠ طن . وكان قطر السفينة التي ثقلها ثلاثون زورقاً في ثلاثة صفوف في كل صف عشرة زوارق وفي كل زورق اثنا عشر وثلاثون مجدفاً . فيكون مجموع المجدفين تسع مئة وستين . وبارداد المهندسين الذين كانوا راكبين زوارق صغيرة تمكن الجندون من قطر السفينة الواحة المسلمين من مقلعها قرب الدلال الاوّل الى طيبة مفاة نحو ١٥٠ ميلاً . ونرى تحت كل ملة الزلاجة التي يحجمها من الشاطئ الى المكان الذي نصبت فيه في هيكل الكرنك (ش ٤٦) . أخذ هذا المشهد عن نقوش نالفة على جدار هيكل الملكة في طيبة

يعزق شمل
الاعداء امام
خيوله المغيرة
(ش ٤٣) اما
فراغنة عصر
الاهرام فلم
يروا فرساً في
زمانهم (ش
٨٢) . وهذه
هي المرة الاولى
التي تُشاهد

يستوردون الخيل من اسية . ومع الخيل جاءتهم المركبات (ش ١٠١) فصارت مصر ، بعد اتقانها فن الحرب على نمط جديد ، دولة حربية

(١١٢) مصر
دولة حربية

وصار الفراغنة قواداً كباراً لديهم جيوش منظمة عاملة يتألف معظمها من رُماة النبال ومركبات تنوق الاحياء . وقد استهلوا هذا العصر - عصر اعمالهم الحربية - بطرد

الهكسوس من بلادهم مصر وابعادهم عنها الى سورية التي اتوا منها . وبهذه الجيوش التي تدرّبت في حرب الهكسوس على القتال وشن الغارات اقتتح ملك مصر امبراطورية شاسعة الاطراف امتدت من الفرات في اسية الى شلال النيل الرابع بافريقية (انظر خريطة ٦) ويعنى بالامبراطورية هنا مجموع امم أخضعت بالقوة القاهرة وتسلّطت عليها قوة عظيمة . نشأت الحكومة اولاً من مبداء صغير . فكانت اولاً كل مدينة تؤرّف حكومة بنفسها (ف ٥٨) وعلى كرور الستين ارتبطت المدن معاً فحصل من ارتباطها امم (ف ٧٥) ولكن البشر الآن كانوا قد تواصلوا في تنظيم شؤونهم الى حد تمكّنوا عنده من ضم امم عديدة معاً الى مملكة واحدة عظيمة تشمل جزءاً كبيراً من عالم الشرق القديم . ودامت قوة الفراعنة هذه من فجر القرن السادس عشر الى الثاني عشر ق م اي نحواً من اربع مئة سنة

ان هيكل الكرنك المائل حتى الآن في مدينة طيبة العظيمة هو كتاب تاريخي ضخيم يتضمن كثيراً من حوادث الامبراطورية المصرية . زى وراء البهو العظيم (ش ٤٧) احدى المسلات الشهيرة سامقة الى العلاء يبلغ ارتفاعها نحواً من ثلاث مئة قدم وهي قطعة واحدة من حجر الغرانيت نصبها في مكانها في بدء عهد الامبراطورية اول امرأة عظيمة في التاريخ ، الملكة حتشبسوت ، وكان منصوباً في هيكل الكرنك مسلتان هائلتان من النوع المذكور آنفاً . ولم يكن قطع الحجرين اللذين نُحِتتا منها امراً سهلاً . ولا كان نقلها من مقطعيها عند الشلال الاول على سفينة كبيرة في النهر (ش ٤٤) ونصبها في الهيكل شيئاً هيناً . ولم تقف هذه الملكة عند هذا العمل الكبير فاننا زها تسيّر خمساً من السفن في البحر الاحمر الى بلاد بنت لتأيتها بالنفائس من افريقية الى هيكل آخر كانت قد شرعت في بنائه مقابل الصخور الشاهقة الغربية في طيبة . فاعمال كهذه بيّنة ناصعة على ما كانت عليه هذه الملكة من العظمة والاعتدار . وهي اول امرأة عظيمة حفظ لنا التاريخ اسمها

(١١٣) ملك
الملكة حتشبسوت
اول امرأة عظيمة
في التاريخ

واذا تفحصنا عن مسلة حتشبسوت وجدنا حول قاعدتها بقايا بناء حجري كان يغطيها من اسفلها الى اعلاها . وقد شاد هذا البناء تحتس تحتس الثالث قرين الملكة واخوها لابيها او لامها اخفاء للكتابة التي تعلن للبشر . على مدى الاجيال ، ملك المرأة المقوت . وهكذا تسمى لهذا الملك ان يطس اسم الملكة واسماء الذين عاونوها في ادارة شؤون المملكة . ولم ينبج من ذلك اسم المهندس الذي نصب هذه المسلة واخواتها . ولكن البناء الذي كان يجب المسلة عن الانظار قد تهدم وعادت المسلة تحدت بشهرة حتشبسوت (ش ٤٥)

(١١٤) نهاية امر
حتشبسوت وانتصار
تحتس الثالث

وكان تحتس اول قائد عظيم ورد ذكره في التاريخ . فهو نابليون مصر واعظم الفاتحين المصريين . وقد اربى ماكنه الذي ابدأ سنة ١٥٠٠ على الخمسين سنة . وتواريخ حروبه

(١١٥) حرب
تحتس الثالث
١٥٠١ الى ١٤٧٢ ق م

وغاراته مدة عشرين سنة مسجلة على جدران هيكل الكرنك . وقد قهر في غضون تلك السنين مدائن وممالك اسية الغربية وجعل من مجموعها مملكة عظيمة ثابتة الاركان . ابتدأت حياته الحربية بفوز عظيم عُقد له في معركة مجدو بجوار حيفا في اثناء محاربتِه للامراء السوريين الذين تحالفوا عليه ثم



A

B

الشكل ٤٥ تمثال نحس نيوليون مصر القديمة A
بالمقابلة مع موميائو B

'نقاب الصورة A المنقورة في الغرانيت بوجه الملك الحثيتي في المومياء وتشاهد هذه المقابلة في B حيث يوضع رسم المنظر الجانبي للوجه في صورة الغرانيت المنقورة الخارجة) فوق رسم المنظر الجانبي في المومياء الخشوية الداخلية)؛ والمطابقة بينها شديدة ما يدل على مهارة مصوري هذا العصر

وسَّع نطاق سلطانه بعد مواقع متتابعة الى فينيقية التي جعلها قاعدة اعماله الحربية في سلسلة المعارك التي قام بها في اواسط سورية وشالها . وقطع الفرات الى العراق حيث لقي شعباً انضمَّ بعد ذلك بتليل الى مملكة الحثيين العظيمة . وكان له في عيون قومه احترام شديد حتى قدسوا اسمه بدليل نقشه على الجعلان الباقية في مصر وفلسطين الى الان . وقد امتدَّ سلطانه بواسطة سفنه الحربية الى بحر ايجة وصار احد قواده حاكم جزائر البحر المذكور . (انظر ش ١١٢ وخريطة ٦)

وكانت المملكة التي قامت بالحروب المتواترة مدة عشرين سنة بزيادة الافتقار الى تنظيم حكومتها لكي ترتبط اجزائها كلها بعضها ببعض . الا ان الفراغة لم يسبق لهم ان خبروا تنظيم الممالك لان هذه كانت اول مملكة عندهم من هذا النوع ولعدم الخبرة الكافية في تولي الاحكام عجزوا عن ضبط الحكم في سورية فكان حكمهم فيها محتلاً معتلاً . وكانت مصر مقام حاكم البلدان الشمالية . فكان على عمال مصر فيها ان يرسلوا اليه تقاريرهم كل عن القدم الذي يتولى ادارته من البلاد المقهورة . وكان تحت إمرة كل من اولئك العمال قوة عسكرية - في الغالب سودانية - لحفظ النظام واستتباب الامن والراحة في البلاد

وجباية الجزية من الامراء الوطنيين الذين اقرهم المصريون يوم فتحوا بلادهم في مراكزهم ولم يطلبوا منهم سوى الاعتراف بالسيادة العليا لمصر وتأدية الجزية المضروبة عليهم . وجاء المصريون بابناء هولاء الامراء ليعكفوا على ولاء والديهم وليبروهم كمصريين . وكان فرعون عند وفاة امير منهم يأمر بارسال ابنه الذي يكون قد تحلق باخلاق المصريين ليحكم مكان ابيه . وهام ما كتبه احد اولئك الامراء السوريين قال : لما كنت صغيراً احضرتني مندوب مصر السامي الى مصر حيث قت على خدمة مولاي الملك بأن كنت حاجباً لدى بابه . وكتب « عبد خيبة » امير اورشليم « لا ابي ولا أمي بل يد الملك التوتية اجلستني في بيت آبائي » ولم يكن كل اهتمام مصر بسورية منصرفاً الى تأييد السلام وحفظ النظام في بلاد اختل امنها وتشوش نظامها بل كان جل ما طمع المصريون اليه واجمع رأيهم عليه هو استنساب معين ثروتها وموارد رزقها اشباعاً لمطامعهم . فكانت مصر ترسل سنينها كل سنة لتحمل اليها مقادير كبيرة من محاصيل البلاد من غنم ومغزى وخشب وحنطة وتمر وزيت واشياء أخرى شتى من السلع النفيسة بعضها من صنع سورية والبعض الآخر من صنع بلدان أخرى اتصل اليها بطريق التبادل التجاري بينها وبين البلدان الواقعة الى الشرق منها . وكان يرمز الى حكم مصر لسورية وفلسطين بتشديد هياكل في مراكز الحكومة كانوا ينصبون فيها تماثيل آلهة مصر وفراعنتها . على هذا النمط كان حكم مصر لسورية . كان موصوفاً بالرخاوة والفساد واهي الاركان متداعي الجدران ينهار سريعاً اذا لها الفراغنة من الامور الحربية وراء حدود بلادهم

١٠

الفنون والدين

ان الثروة الطائلة التي غنمها الفراعنة من اسية وبلاد النوبة اكسبتهم قوة لم يحام بها العالم من قبل كما هو ظاهر من مبانيهم الفاخرة . فانه ابتداءً عندهم طور جديد في تاريخ الفنون وهندسة المباني . ففي هيكل الكرنك يرى اعظم بهو شاده الانسان على مر الزمان حافل بالغنم العُمد . فالتى في صحن البهو يبلغ علو الواحد منها تسعاً وستين قدماً . وعلى راس كل منها تاج كبير يمكن ان يقف على قدمه - في وقت واحد - مئة رجل جنباً لجنب .

(١١٧) هندسة
بلاد المياكل

والنوافذ التي كانت واطنة على جوانب العُمد في عصر الاهرام أصبحت شبابيك عالية جميلة
احتذى مثلها المسيحيون بعد ذلك في بناء كنائسهم

(١١٨) ما يطيف
بهاكل الملكة
في طيبة



وكان
الناظر يرى من
خلال اشجار
النخل الخضراء
هياكل جميلة
قائمة في وسطها
ومسلات تناطح
السحاب وثيل
الفراعنة النفيسة
الصنعة (ش ٤٩)
وكانت كل
هذه مزخرفة
بالالوان البهية
التي كانت
تتألق بالنور
فتكسر الى
الوان ذهبية
وفضية تنعكس
عن سطح مياه
بحيرة الهيكل
فقد تم لها صور
بهية لم ير مثلاً
العالم قبلاً .
وحين يدخل
السائر الى

الشكل ٤٦ نحن وراء هيكل الكرنك العظيم . فذا الفتحة الى الشمال الغربي اخترق
النظر الهيكل والنهر الى الصحور الغربية وكان طول الهيكل من الباب الخلفي الى الجدار
المقدم العالمي الاذلى الى النهر ١/٢ كيلومتر وقد اقتضى بناؤه التي سنة بني اقدم اقدم
ملك مصر الاقطاعي واحداثها اسب الجدار المقدم الملوك اليونانيون (البطالة ف ٦٦)
ونرى مسلة الملكة حشيشوت مائنة في وسط الهيكل . ووراءها هو الكرنك
العظيم ذو الاعددة (ش ٤٧) الذي يرس على جداره الخارجي صورة الحرب النبطية بمنورة
حفرأ زنبأ (ش ٤٤) : اما شارع عميل الى المدخل فيواريو عن النظر الجرار المقدم العظيم
ونرى على اليسار المبركة وهي كل ما بقي من الجيرة المقدسة

الهيكل كان يجده نفسه في دار فسيحة نيرة تحيط بها اروقة ذات عمُد نفيسة جداً . ولكنه

إذا القى نظرةً على مجموعة العُمد العظيمة القائمة في البهو وراء الدار (ش ٤٧) وجد لغزاً من الالغاز وسراً من الاسرار. وكان بين الهياكل شوارع رحبية يزينا تماثيل ابي الهول المهيبة. وهكذا نشأ في طيبة أولى المدن الاثرية العظيمة التي شاهدها الانسان - مدينة هي بنفسها اثرٌ جليل يجلب الابصار وتحار بروعة الافكار



الشكل ٤٧ الهيئة الاصلية للبهو الكبير في هيكل الكرنك
أكبر بنايات مصر في عهد الامبراطورية

وكان
للمصور
والنقاش اليد
الطولى في
جعل المباني
المصرية جميلة
وجليلة .
فتيجان
الاعمدة التي
نحتها يد

النحات ونقشت عليها الازهار لونها يبد المصور بالوان طبيعية جعلت الناظر اليها يتوهم انها حقيقية . ومشاهد المعارك العظيمة المنقوشة على جدران الهيكل (ش ٤٣) كانت تلون ايضاً بالوان زاهية تزيد في جمال المكان وبهائه . وتماثيل الفراعنة المنصوبة امام الهياكل كانت عظيمة جداً حتى انها كانت تسمو فوق ابراج مقدم الهيكل مع انها اعلى اقسام البناية، وتُشاهد من مسافات بعيدة من جميع الجهات (ش ٤٩، ٥٠) وكان كل من تلك التماثيل الهائلة منحوتاً من حجر واحد يبلغ وزنه ثقل شحن قطار من قطرات اليوم . الاً ان شحن القطار كان في الغالب من قطع صغيرة يسهل حملها ونقلها وشحنها . ولم يشط ثقل الحجارة الهائلة التي كانت تنحت منها التماثيل ، عزم ناحتها عن نقلها من مقالها كما نقلوا من قبل المسلات الهائلة . وبمثل هذه المباني الضخمة والنقوش الاثرية ظهر تفوق المصريين في فن البناء

ان تماثيل امنحوتب الثالث اترف ملوك مصر عيشاً واعرضهم جاهاً لا تزال ماثلة في السهل الواقع غربي مدينة طيبة (ش ٤٩) عبر النهر قبالة الكرنك وفيما نحن نندنو منها نشاهد وراءها الصخور الغريبة المنقور فيها مئات من معابد القبور التي شيدت لعظام رجال المملكة والتي فيها دُفن القواد الكبار الذين صحبوا الفراعنة الى اسية وبلاد النوبة حيث جرت لهم

(١٢٠) قبور
عظاما الملكة

وقائع حربية مع اعدائهم فيها . هنا رقد المصورون والمهندسون الذين شيدوا الآثار الخالدة وجعلوا طيبة نخر المدائن الاثرية العظيمة في العالم القديم . هنا في معابد المدافن - غالباً - نقرأ اسماءهم وشيئاً كثيراً من سيرهم . وهنا حكاية القائد الذي انقذ تحتمس الثالث وهو يصطاد الفيلة في اسية باندفاعه السريع الى المعترك وبتره خرطوم الفيل الذي كان يطارد الملك وهنا ايضاً رُؤس القائد الذي استولى على يافا بجيلة مبتكرة لم يسبق اليها وهي انه اخفى رجاله في صناديق حملها على العير وادخلها الى المدينة كبضاعة للبيع - مخاطرة عظيمة صارت فيما بعد تسمياً من حكاية علي بابا والاربعين ازرع

(١٢١) اناث
وعناد احد الفراعة

وكانت عادة المصريين عند موت عظائهم ان يدفنوا معهم ما ملكت ايديهم من اناث وعناد . فقد اكتشف منذ سنين قليلة في احد الاودية المجاورة للكرنك قبر والدي ملكة امنحوتب الثالث . واكتشف منذ

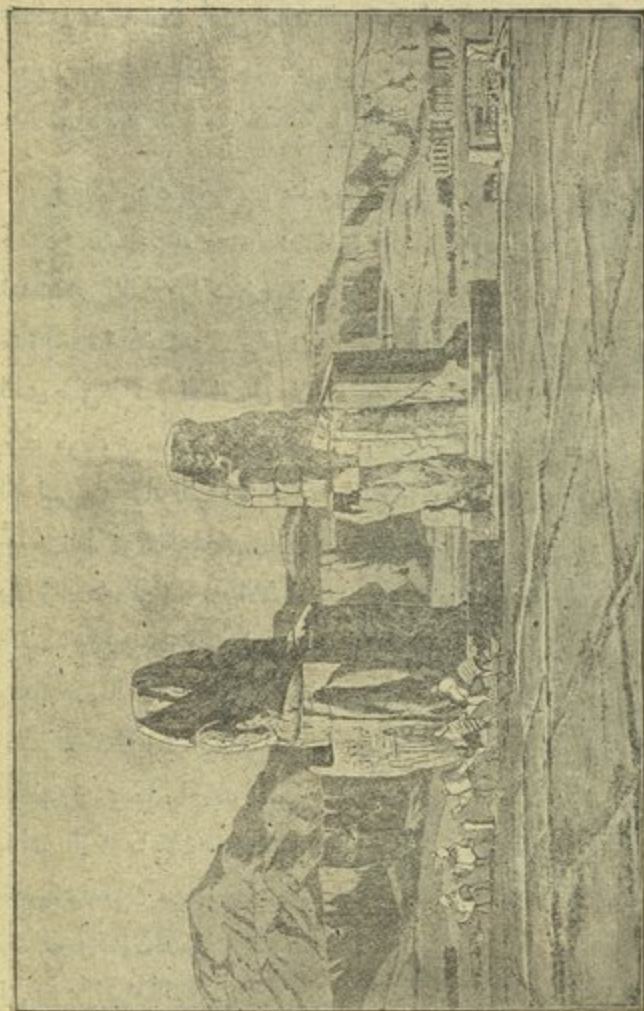


مدة يسيرة قبر توت عنخ امون الذي طبق ذكره الافاق ولا يزال موضوع حديث القوم مع انه ليس من كبار الفراعة الذين تحدثت بذكورهم الركبان . ولا يزال ما دُفن معه من الاشياء النفيسة وغيرها باقياً على اصله . ويُعد هذا الاكتشاف الاخير اعظم الاكتشافات من نوعه حتى الآن . وقد علمنا مما وُجد فيه من نفائس الآثار ما كان عليه صناع مصر الاقدمون من المهارة في الصنائع والفنون وعرفنا الدرجة التي بلغوها فيها . فالعرش الملكي وما فيه من دقة الصنعة الظاهرة في ترصيع الذهب المطرق من اجمل الآثار التي استرجعها الانسان من يد الازمنة القديمة . ومن

الشكل ٤٨ رتم رأس اختاتون المنحوت من الحجر الكلسي وهو ازل قائل بالتوحيد

اكتشفته حديثاً بوركهاردت في جهات العارنة . وهو منحوت من الحجر الكلسي . ويمثل لعين الناظر اكمل تمثيل جمال هذا الملك المحدث القاطن الوصف (ف ١٢٢ - ١٢٥)

محتويات ضريح توت غنخ امون الكوروس النفيسة المنحوتة من حجر المرمر لزراع الازهار ،
والاسرة المرتكزة على تائيل أسود وغيرها من الوحوش ، والصناديق المرصعة المملوءة ثياباً
كتانية مطرزة بالخرز الثمين تطريزاً جميلاً ، والخزائن المقدسة ذات الاعطية الذهبية للتائيل



الشكل ٤٩ تائيل الخروب الثالث في طيبة ١٤٠٠ ق م

في عالية جدًا . والصورة التي لك المين منقوش عليها أسماء مشاهير الزمار من بوزان ورومان . وفي الصحور النافعة التي من البراه
مدائن طيبة النسخة الارجاء (ف ١٢٠ - ١٢٢)

الآلهة ، والعلب المتضمنة انفس الجواهر وانيهاها ، والاسلحة والصي المنقوشة عليها نقوش
انيقة ، وكوروس الخزف المصري الجميل . ان جميع هذه الاشياء وغيرها مما وجد ولم يُذكر هي
دلائل الثروة ورخاء العيش والمهارة في الصناعة . وقد كانت كلها رهن اشارة ملك لا يعد من

الفراعنة العظام فاذا كان قد دُفِن معه وهو ليس من عظماء ملوك مصر هذا المقدار من التحف والنفائس، فإذا يكون قد دُفِن مع الفراعنة العظام الذين كانت جميع موارد المملكة تحت امرهم ونفوذ سلطانهم مدة ملكهم الطويل وكيف كان اثاث ورياش قصورهم وقبورهم.

فلا بدع إذا

كانت هذه

القبور قد

غدت بعد

المخاطات

المملكة

وزوال قوة

ملوكها مطمحاً

لانتظار

اللصوص

الذين لم تقدر

المملكة في

آخر مدتها

وزمن استفحال

الفساد فيها

ان تكبح

جراح جشعهم

وتصدّ غاراتهم

فقد سطا

اولئك

اللصوص

على قبر توت

غشيخ امون

مرتين ونهبوا

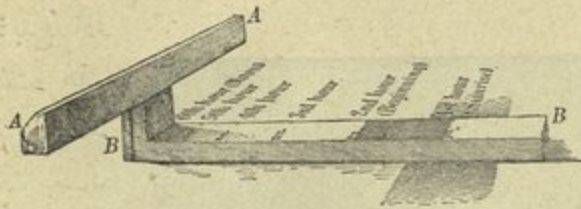
الكثير من



الشكل ٥٠ صورة رعسيس الثاني في ابي سمبل في بلاد النوبة المصرية

بزين الهيكل اربعة تماثيل عالية من نوع هذه الصورة. وهي والهيكل من الحجر الرملي. وقد حفظت وجوه هذه التماثيل من التشويه أكثر مما حفظ وجوه ابي المول العظيم وتماثيل آمونوتب الثالث (ش ٤٩). ولهذا الرسوم العظيمة ميزة على سواها لانها تمثل اصحابها بخلاف سواها فوجه رعسيس الثاني هنا يشبه وجه جنين المحطية كل الشبه الكثير من

تحفه الشمينة النادرة ومع ذلك فقد بقيت منها بقية تدل على عمران درست معالمه وعفا الكثير من آثاره النفيسة. فيبين من ذلك كله أن جشع الانسان يحدوه دائماً على تخريب ما تكون الايدي قد



الشكل ٥١ اقدم ساعة في الدنيا
ساعة شمسية مصرية

لا بدع في بلاد مشهورة كمصر اذا جئنا الى استعمال الساعة الشمسية .
ففي الضاحك كانوا يدبرون العارضة (AA) نحو الشرق فيقع ظلها على القدة الطويلة (BB) فنزل على الساعة الواحدة وكما ارتفعت الشمس قصر الظل ودل موقعه من القدة على الساعة التالية وهكذا حتى الظهر اسي الساعة السادسة ويشار الى ذلك بالازرق . وعند الظهر كانوا يدبرون العارضة (AA) الى جهة الغرب ويتسبون الظل بعد الظهر وهو يستطيل تدريجياً كما قاسوه قبله على القدة الطويلة . وقد تعلم الاثريون من استعمال المصريين لهذه الساعات وقياسهم الوقت بها ان يجعلوا نهارهم اثني عشرة ساعة ويشاهد على هذه الساعة اسم الخمس الثالث . ولذلك يكون عمرها نحو ثلاثة آلاف واربع مئة سنة . وقد استعمل اليونان بعد ذلك بالف سنة امثال هذه الساعة وهي معنونة الآن في متحف برلين . والقطعة على الراس (AA) مأخوذة عن بوركهارت

تعبت فيه حقاً طويلاً
بذلت الامم في اثنائها
القوة والحذق والمال
حتى تمكنت من تشييد
ما شيدته من المباني
الانيقة على هيتها
فهذا الارث العظيم
الذي لا يشتمن بال
لا يزال الكثير منه
مدفوناً في قلب ارض
الشرق يستفز همم
ذرية اولئك الصناع
الاولين وارباب الفن
في ايامنا هذه الى ان
يبرهنوا لاهل الخافقين
انهم جديرون بماضي
اسلافهم وان يحافظوا

على البقية الباقية من آثار ذلك الزمان الذي بلغ فيه الشرق اوج مجده الصناعي وعلم الناس كيف يصنعون اشياء هم التي يمتنونها والتي يستبقونها للزينة والزخرفة

وترينا هذه القبور ايضاً درجة الارتقاء الديني التي بلغ اليها المصري منذ ايام اهرام الجيزة . فكل من دفن في مقبرة طيبة كان يتوقع دينونة في العالم الآتي يكون فيها اوسيريس (ف. ٧٠) الملك الجليل والديان العظيم . وكل انسان صالح يحق له ان يقوم من بين الاموات كما قام اوسيريس . ولكن كان لا بد له ، في حضرة اوسيريس ، ان يرى نفسه موضوعة في كفة الميزان الذي كان يوضع في كفته الاخرى رمز الحق والعدل (ش ٣٩) . وكان اهل الميت يضعون في تابوته لفة من ورق البردي تتضمن صلوات ورقى سحرية

(١٢٢٢) الذين في
الانهراطورية

اعتقدوا انها تنفعه في العالم الآتي . ومن جملة ما كانوا يضعون معه صورة الدينونة الممماة الآن
بكتاب الاموات (ش ٣٩)

(١٢٣) الانقلاص
الديني الذي قام به
امحوتب الرابع
(اخناتون)

وبعد مئتي سنة من تأسيس المملكة جلس امنحوتب الشاب على عرش آبابه . وكان
يومن باله ولحد هو الاله الشمس . وبذلك ادخل فصلاً جديداً مهماً في تاريخ مصر الديني
لانه حاول ان يتلف آلهة مصر القديمة ويكره الناس على عبادة الاله الشمس وحده وقد
ابتدأت هذه الحركة الدينية في ملك ابيه وانتشرت بنوع خصوصي فيما بين اعضاء الاسرة
المملكة . ونشر هذا الملك في جميع انحاء مملكته الدانية والقاصية في افريقية واسية انه
لا يجوز تقديم عبادة ما الا للشمس الذي سماه آتون . ولكي يساعد الأمة على نسيان الآلهة
القديمة اقلل الهياكل وطرد كهنتها وطمس في كل مكان اسماء الآلهة ولا سيما التي على
جدران الهياكل . وكان يكره بنوع خصوصي امون او آمن اله المملكة الطيبي العظيم .
ويتا ان اسمه « امنحوتب » الذي معناه « آمن يرتاح » يتضمن اسم هذا الاله « آمن » فقد
غيره الى اخناتون الذي معناه « آتون ، الاله الشمس ، يرضى »

(١٢٤) عاصمة
اخناتون الجديدة
المعروفة الآن العارثة

واخيراً غادر اخناتون طيبة البهية لاحتوائها على كثير من هياكل الآلهة القديمة وبني مدينة
جديدة الى الشمال منها بعيدة عنها سماها « أفتي آتون » وتدعى الآن العارثة (انظر خريطة ٢) .
وبعد موت اخناتون بسنين قلائل هجرت هذه المدينة وتهدمت مبانيها . وقد وجد المنقبون ،
تحت انقاضها ، اصول جدران المنازل والقصور التي كانت قبلاً فخرها وبهاءها . وكشفت
نحتات وجدوا فيه كثيراً من المنحوتات النفيسة التي زادتنا معرفة بهارة اهل ذلك العصر في
صناعة النحت والنقش ، (ش ٧٢) ولا تزال قبور الأتباع الذين هداهم الملك الشاب الى
الايان الجديد موجودة في الصخور القائمة وراء المدينة يشاهد على جدرانها رسوم جميلة تمثل
لنا عيشة الانسان في تلك المدينة التي امست في خبر كان

(١٢٥) الهياكل
اخناتون لآتون
الاله الوحيد

ولا يزال الناس حتى اليوم يقرأون على جدران معابد القبور الاغاني التي نظمها اخناتون
في مديح الاله الشمس . وهي تظهر لنا بساطة وجمال ايمان الملك الشاب بالاله الوحيد . وقد
توصل هذا الملك الى الاعتقاد بان الهماً واحداً خلق جميع المخلوقات العاقلة وغير العاقلة خلق
المصريين والاجانب . وفوق ذلك كله رأى الملك في الهه ابا مشفقاً يوئيد جميع مخلوقاته بجوده
الذي يعمها كلها . حتى الطيور كانت تشعر بذلك الجود وترفع اجنحتها التي هي بمثابة ايديها
كأنها تسبحه بها . وقد وردت اشارة الى ذلك في سطر جميل في احدى الاغاني المذكورة .
قد تتبعنا تاريخ تقدم البشر مدة الوف من السنين ولم نسمع ان احداً منهم رأى في الله العظيم
ابي الكل ما رآه هذا الملك الشاب . فاعتقاد كهذا هو التوحيد اي الايمان باله واحد

تأخر الامبراطورية المصرية وسقوطها

لم يستطع عامة الشعب في القرن الرابع عشر ق.م ان يدركوا معنى هذا الايمان الجديد ولذلك امتلأت البلاد من كهنة الآلهة القديمة الذين لم يكونوا راضين عنه ومن الجنود الناقين على الملك لعدم الاهتمام بامرهم فتأمر هولاء مع اولئك وكادوا له المكاييد فلقوا اذناً صاغية ولا سيما من رجال الجندية العاطلين . فبدأت الفوضى والاضطراب في مصر وتجنز سكان البلاد المقهورة لاذكاء نار الثورة

(١١٦٦) منابع
أختاتون البنية

وقد عُرف ما كان من نتائج تلك الثورة في اسية من مجموعة رسائل تُرَبِّي على ثلاث مئة رسالة وُجِدَت مع بعض السجلات الملكية في احدى دوائر حكومة اختاتون بعد ان ظلت مضبوذة في جوف الارض اكثر من ثلاثة الاف سنة اذ قُبِض لها بعض الحفارين الوطنيين الذين كشفوها . وكلها مكتوبة على آجر (ف ١٥٣) بالخط البابلي (ف ١٥٤) ومعظمها مرسل من ملوك اسية الغربية الى فرعون . وهي اقدم المراسلات الدولية في العالم (ش ١٣٣) ومنها يتبين ان الملوك الذين اخضعهم المصريون قبلاً قاموا قومة واحدة ليلقوا عنهم نير فرعون ويشقوا عصا الطاعة له . فكان ذلك باعثاً على تداعي ملك مصر في اسية الا ان بعض الامراء اقاموا على ولاء سيدهم المصري وكان معظم الرسائل المشار اليها مرسلات من لدن «رب عدي» امير جليل، المدينة التي كان لها صلة قديمة العهد بمصر . وقد حاول برسانله ان يستنهض همة فرعون لكبح مطامع الامراء الثائرين عليه وصد هجمات الحثيين . ونقرأ في خلال السطور كيف ان اعداء مصر اعدوا مصر احدقوا به من كل جانب حتى اضطر ان يفر الى بيروت طلباً للنجاة . ولا ريب في ان ولاء مصر آل الى قتله وملك مصر لاه بالانقلاب الديني الذي كانت له اليد الطولى في احداثه غير عاجل بمصير مملكته في الخارج الى البوار . ولدينا رسائل أخرى كهذه في مغزاهما من ملوك صيدا وصور وعكا والقدس ومدائن أخرى وكلها تضرب على وتر واحد مشيرة الى الثورة والزحف من الخارج وما يصحبها من تشويش الحال والحرب الدريع . فاستولى على شمال سورية (خريطة ٦) الحثيون الذين جاؤوا من اسية الصغرى وعلى جنوبها العبرانيون وانسابهم الاسرائيليون وغيرهم من الشعوب التي

(١١٦٧) منابع
أختاتون الخارجية

تنتمي اليهم قادمين من القفار لمهاجمة فلسطين (ف ٣٠١)

(١٢٨) قيام دولة
الحثيين

ولم تكن الصعوبات التي لاقاها المصريون في سورية بسبب قيام دولة الحثيين أمراً يُستهان به ولا يُعلم بالتحقيق منبت أسلة هؤلاء الحثيين . اما لغتهم فيكاد يكون من المحقق انها من الفرع الهندي الاوربي . واما موطنهم اسية الصغرى فشبه جزيرة واسعة الاطراف يتراوح طولها بين ستمئة وخمسين وسبعمئة ميل وعرضها بين ثلاثمئة واربعمئة ميل . وداخليتها سهل عظيم مرتفع فيكاد قلبه ان يكون قفراً يابساً . ويحيط بالسهل سلاسل من الجبال تحدد به وتفصله عن البحر . وعلى جانبي هذه الجبال اودية وسهول مُمرعة وافرة المحاصيل . والمنحدرات المناوحة للبحر - ولا سيما البحر الاسود - تكسوها غابات ناضرة . واما سواحل اسية الصغرى الشمالية ، شرقي نهرها ليس فيها جبال تحتوي مقادير عظيمة من الحديد وكان الحثيون الموزعين الاولين للحديد - بعد ان حل محل البرونز - في البلدان المجاورة لبحر الزوم والشرق ايضاً (ف ٢٢٦) . ولما وصل تحتس الثالث الى شمال سورية في اثناء حملانه على اسية اتي الحثيين . وقد دلتنا الاكتشافات الحديثة على اوائل تاريخهم . فانهم سنة ٣٠٠٠ ق م كانوا قد استقرؤوا في الاناضول الا انهم لم يكونوا قد اتحدوا بعد بمملكة واحدة بل كانوا لا يزالون منقسمين حكومات متعددة . مع شيء من الاستقلال . وقد ترح فروع من هذه الامة الى شمال سورية والعراق . وفي القرن العشرين ق م كانوا كما مر معنا قد بلغوا من الحرل والطول درجة تمسكوا عندها من الاغارة على اراضي الفرات . واستمروا مغيرين حتى بلغوا ارض شععار حيث كانت لهم اليد الطولى في قلب سرير الاسرة المالكة في بابل (ف ٢٠٣) وكانوا في ملك تحتس الثالث قابضين على ازمة السياسة في شمال سورية ولكنهم على ما يظهر لم يتصدوا لمناوأة المصريين وصدّهم بقوة السلاح . وحوالي ١٤٠٠ ق م اتحدوا والفوا بمملكة تحت زعامة «شيبوليثوما» احد حكامهم من الاسرة المالكة في شمال اسية الصغرى . وما كاد يتبوء السرير حتى نشط الى توسيع نطاق مملكته التي امتدت تدريجياً ، من العاصمة «خطي» (بجوار يوغاز كوي) التي شيد فيها هو ومن خلفه على العرش قصوراً فخمة واسواراً منيعة ، الى قلب اسية الصغرى . ثم جعل يناوي المصريين في سورية بدس الدسائس عليهم بين امراء البلاد الموالين لهم اولاً ، وشهر الحرب عليهم ثانياً ، فقطع بجنوده الفرات وكان له يد في اسقاط ميتاني (٢٠٨) فكانت العاقبة انه استبدل السيادة الحثية بالسيادة المصرية في سورية . وقد وجدوا كثيراً من آثار الحثيين في البلدان التي استولوا عليها حتى حدود حاه جنوباً . ولا بينة لنا على بلوغهم الى الساحل . ولم يكتب «شيبوليثوما» بناوأة لمصر في



الشكل ٥٢ توت عنخ امون وملكيته في احدى غرف التصر

يشاهد الملك في هذا الرسم جالساً على كرسيه كما شاء غير مبالٍ بشيء من ذراعه اليمنى مسندة الى ظهر الكرسي ورجله اليسرى بارزة الى الامام تكاد تنزل عن الموطئ المستنقرة قليلاً. جلسته كهذه تخالف التقاليد المرعية في الصور الملكية وتدل جلياً على تحرير "أتون" للصنائع والفنون بواسطة الانقلاب الذي تم على يده. وتشاهد الملكة الصبية (كرمية اخناتون الثالثة) مخبئة بكل طرف وكيسة قايضة باحدى يديها على قارورة طيب وبالثانية تمسك طوق زوجها الاتنيق - مشهيد نخصي بديع الصنعة بعدد في الدقة والمجال من ابداع ما رسنه ريش اهل الفن في كل زمان ومكان حتى الآن ويشاهد في اعلى الرسم رمزاله اخناتون، قرص الشمس، منهية منه اشعة تنهي بايتر بشرية. وهذا رمز جديد ينهم منه اغرور الذي حصل للديانة بواسطة الانقلاب الذي قام به "أتون". وارض الصورة وظلها من ذهب مصفح. والبياب من فضة والجسد من زجاج ضارب الى الحمرة. وجميع الزخارف التي ترى في الصورة على اختلاف اشكالها منشأة امسا بالحجارة الملونة الزاهية المنبهة كالهنيق الاحمر المعروف بيجر الدم او بالزجاج الهبي. الا ان بهاءه قد قل شيئاً لطول العهد عليه وقد كان في الاصل يهوى عبود الناظرين اليه (باذن وفضل موردي كارتر)

شمال سورية بل
انضم الى العبرانيين
الذين كانوا دائبين
في تقويض دعائم
ملك المصريين في
جنوب سورية
وفلسطين ومحور
آثارهم

وفي وسط
معتك هذه المتاعب
في الوطن والخارج
قضى الشاب
اخناتون كلاً
بلا عيب. وقد
كان انبغ رجال
الشرق القديم
قاطبة واعظهم
عبرية قبل زمن
العبرانيين. فقضى
بماتيه الايمان باله
واحد الذي حاول
شمره وتعزيزه.
وخلفه توت عنخ
امون الشهيد الذي
كشّف قبره حديثاً
(ف ١٢١). ولما
تبوأ العرش اعاد
عبادة الالهة القديمة

(١٢٩) موت
اخناتون واسترجاع
مصر بعض سلطانها.
آخر دولة عظيمة
في عصر البرنز.
عصر الحديد



الشكل ٥٣ إحدى زوايا قبر توت عنخ امون المطاوعة بالذهب كما تشهد من غرفة الانتظار التي اسما القبر من الباب الذي كان قبلاً مخنومًا . وكل ما تبقى من موجودات غرفة الانتظار حين أخذ هذا الرسم ، عملاً هذين الخنيرين . والحجارة التي كانت قد دخلت نزعها المثيون من مكانها بغية الوصول الى القبر . إلا انه بقوت منها بقية في زاوية المدخل السفلى الى اليمار

ان الخطة الشائنة التي اختطها توت عنخ امون لنفسه وجرى عليها في حياته ليست ذات اهمية تاريخية مجد ذاتها ولكن اتفق ان ولي توت عنخ امون الملك حين بلغت اقدم النورات الفكرية المعروفة لدينا معظم احداثها فاحدثت انقلاباً عظيماً في الديانة وغيّرت مجرى الفكر البشري . وقامت الصناعة راساً على عتق . فلما هو بالحقيقة سبب اهمية قبر هذا الملك . وكان هذا القبر صغيراً لمحت على جبل في جدار صخري قائم على عدة واد قبر الى الجانب الغربي من مجرى النيل قرب طيبة . هنا دفن جثمان الملك ودفنت معه فيها بعد الملكة زوجته الصبية . ومدبر اسطبلو العام الذي خلفه على السرير . ووضع في القبر اثاث فاخر والكبير من رواتع الصناعة النسيجية . وبعض هذه من بقايا عصر اخناتون الزاهر في العارفة العاصمة الجديدة . ولما حدث الاضطراب السياسي على اثر دفن نهب اللصوص قبره وليكنهم أسكوا في اثناء ذلك واجبروا الى التعويض عن بعض ما انتفوا بايديهم الاثيمة . وبعد ذلك بقرنين من الزمان حين سقوط الامبراطورية المصرية تماماً فيما كان القملة يبتشون قبر رمسيس السادس كانوا ياتون التراب على مدخل قبر توت عنخ امون الذي كان قد تسمى امره حتى انهم بنوا اكوادهم عليه . وبذلك خفي امره عن عيون الرقباء وشجا من اقرب بهد سقوط المملكة . ولكن موارد كلونر الذي تنقل علينا بهذا الرسم كشفت في اواخر خريف سنة ١٩٢٢ . وتبين انه هو القبر الملكي الوحيد الذي بقي قديماً في القنطر المصري الى العصر الحاضر سليماً من الاذى

وباشر ترميم الهياكل المهملة. وقامت أسرة جديدة وشرعت باسترجاع المملكة المفقودة في اسية. فاستولى سبتي الاول على فلسطين وجنوب سورية وترك آثاراً في بيسان (بيت شان القديمة) وتل قدس (النبى مندوه الآن) بالقرب من حمص. وسعى ابنه رمسيس الثاني ان يطرد الحثيين من سورية فخط مسعاه لانه لما لقي جيش الاعداء عند قدس وحمي وطيس القتال دارت الدوائر عليه. فاضطر الى الانسحاب بجيشه ومغادرة شمال سورية بايدي الحثيين. وكان عند هولاه معدن الحديد (ف ٣٦٦) فاستطاعوا ان يصنعوا اسلحتهم منه. والحديد كما لا يخفى يفضل البرنز كثيراً في الاعمال الحربية. وقامت دولة اشور الناهضة (ف ٢٠٨) التي كانت قد بلغت الفرات واجهزت على متان (ف ٢٠٨) تهدد مركز الحثيين في سورية فهب ملك الحثيين يفاوض رمسيس الثاني في إبرام صلح بينها. قال ذلك الى عقد محالفة دفاعية ضد الاشوريين نقش نصها رمسيس على جدران هيكل الكرنك العظيم، واطلع عليه جمهور الباحثين المنقبين. وقد وجد نص هذه المحالفة في سجلات ملوك الحثيين في اسية الصغرى. وكانت كلتا المملكتين سائرتين سيراً حثياً الى مهاوي التهقر والانحطاط. وكان هتوشل آخر عظماء ملوك الحثيين. وبعد وفاته بقايل طها على البلاد سيل من القبائل الفازية الرحل فلم يبق لدولة الحثيين القوة سوى بعض المدن في شمال سورية اهمها كركيش. وانضم من بيتي من حثي اسية الصغرى وسكان جهات بلاد ايجيه الى الغزاة وزحفوا على مصر. فتصدى لهم رمسيس الثالث سنة ١١٩٠ ق م وصدمهم الى حين. ولكنهم عادوا فاتحدوا مع غيرهم من ابناة سواحل بحر الروم وهبطوا مصر مهاجمين. وكانوا كثيري العدد فكانت العاقبة على دولة مصر التي كانت قد وهنت قواها. وكان ذلك في منتصف الثاني عشر ق م.

وخلفه على السربر صهره الفتى توت غنج أمون («صورة حية لامون») الذي كشف قبره في مصر منذ عهد غير بعيد (ف ١٢١). وكان اول ما باشره هذا الملك من الاعمال إعادة عبادة الالهة القديمة وترميم الهياكل الحربية. ولم يكن سوى آله بيد جماعة كانوا اعظم منه حنكة واختباراً فاتمروا عليه ونصبوا له شركاً لم يلبث ان نشب فيه وتوارى عن العيان. وربما كانوا قد غدروا به واماتوه قتلاً.

وبعد موته قامت ارملة الصبية، ابنة إخناتون، وبذلت جهودها في سبيل الاحتفاظ بالملك في أسرتها النبيلة، فكتبت الى امبراطور الحثيين وطلبت اليه ان يتهجد لها السبيل للاقتران باحد بنيه. وبعملها هذا تكون قد عرضت تاج الفراعنة على امير حثي الجنس. وقد كشفت اعمال الحفر الحديثة هذا الكتاب المشؤوم منقوشاً على آجره بالخط المماري القديم

وملئى بين سجلات المملكة الحثية . إلا ان أمنيتها هذه لم تتحقق لها . فانقرضت السلالة الملكية التي كانت قد طردت المسكوس (الملوك الرعاة) وشيدت اركان أول امبراطورية عظيمة في الشرق القديم واستاثرت بالسلطة مدة مئتين وثلاثين سنة وكان انقراضها نحو سنة ١٣٥٠ ق م

(١٢٠) المرتقة
في الجيش المصري
وسقوط الدولة
المصرية

وُشاهد علام هذا السقوط في طيبة حتى يومنا هذا . فكل من يتعمد صور الحروب المنقوشة على هياكل المدينة يرى في مشاهد المعارك التي حدثت في اواخر ايام الدولة جنوداً كثيرة جداً من المرتقة الذين انخرطوا في سلك الجندية المصرية وبايديهم سيوف ثقيلة من البرنز ما يدل على ان المصريين كانوا قد شتموا الحرب وفقدوا كل ميل اليها . فدعوا الاجانب ليحاربوا عنهم . وكان بين اولئك المرتقة سكان سواحل البحر المتوسط الشمالية الذين تركناهم في قفار العصر الحجري المتأخر (ف ٤٤)

(١٢١) اجساد
الامبراطور المصري

ان الفراعنة العظام الذين تبوأوا عرش مصر مدة تربي على اربع مئة سنة دفنوا في طيبة . ومدافنهم على الجانب الآخر من الصخور الشاهقة ، وراء تماثيل امنحوتب الثالث الهائلة ، في واد موحش في الصحراء الغربية . هنا في صخور هذا الوادي نُقرت مدافن الفراعنة ممتدة في قلب الجبل مئات من الاقدام ورُمست فيها اجسادهم لتتراخ الراحة الابدية . ولكن لم يلبث لصوم المقابر بعد سقوط المملكة ان اهانوا كرامة الراقدين في تلك الرموس فسلبوا ونهبوا ولم يُبقوا ولم يذروا . اما خلفاؤهم الملوك الذين كانوا على جانب من الوهن فكانوا يدأبون في اخفاء الجثث الملكية بنقلها من مجبأ الى مجبأ حتى قرأ رأيهم اخيراً على ان يخبأوها في قاعة مخفاة عن الابصار نُقرت في الصخور الغربية حيث بقيت آمنة فيها ثلاثة آلاف سنة تقريباً اي الى السنة ١٨٨١ حين كُشفت ونُقلت الى المتحف الوطني بالقاهرة حيث لا تزال موجودة . وهكذا لا تزال حتى اليوم ترى وجوه اسياذ مصر واسية الغربية الذين عاشوا وسادوا قبل ما يربي على ثلاثة آلاف سنة . وبعد سقوط الامبراطورية كانت حال داخلية البلاد تتبدل من الرديء الى الازدإ لان كهنة الاله آمون ارباب القوة والصولة الذين كانوا يجربون المغامر العظيمة من الحروب الاجنبية زادوا قوةً ومنعةً حتى نازعوا الملك نفسه المالك . واستبدوا بالسلطة زمناً معلوماً ولا سياً في مصر العليا (الصعيد اليوم) وكانت حكومتهم دينية . وكانوا يقررون احكام المملكة باحالتها الى تمثال الاله العظيم الذي كان يثبت او يلغى امرأ بانغاض الراس انغاضاً قوياً تبعاً للقوة التي كانت تحركه من داخل بتدبير ميكانيكي قام به الكهنة من الداخل . وعُتِب حكم هولاء الكهنة زمان قبض في غضونه على اعنة المألطة والحكم جماعة من الغرباء الذين كانوا قبلاً اما قادة مأجورين

اتوا من ليبية او غزاة فاتحين قدموا من النوبة . لكنهم تمتعوا بما كان يتمتع به الفراعنة الاولون من القاب الشرف وعزة الملك وأهله . ولكن الدهر لم يدم موالياً لهم فشبت الحرب الاهلية وامتلات البلاد من المطالبين بالعرش فعم الاضطراب وسادت الفوضى . وساءت حال البلاد من الوجهة الاقتصادية لفساد النظام في الاحكام الذي نجم عن ضعف الحكومة . وساءت الحالة الصناعية والدينية ايضاً . الا ان سكان البلدان التي مثلت فيها مصر دوراً سياسياً مهماً كان لا يزال عالقاً في اذهانهم شيء من التقليد عن عظمة مصر ومجدها الباذخ . فلما قامت دولة اشور العاتية في الشرق استغاث سكان تلك البلدان بمصر مستظهيرين بها على الدولة الفاتحة الجديدة فكانوا كمن يتوكأ على قسبة مرضوضة

(١٣٢) ثوس
رحلة النيل

قد انتهت رواية المملكة في طيبة وروت لنا الاهرام والقبور والهياكل المشوثة على جانبي النيل تاريخ مصر في اول عهدها مدة ثلاثة اعصر . فاهرام الجيزة والمقابر التي في جوار ممفيس قصت علينا تاريخ عصر الاهرام . والقبور المنحوتة في شواهد الصخور التي شاهدناها في رحلتنا النيلية حدثتنا عن تاريخ عصر الاقطاع . والهياكل والقبور المنقورة في صخور طيبة روت لنا تاريخ الامبراطورية . فالنيل اذن مجلد تاريخي ضخم . ثم يجب ان نتذكر اننا قبل هذه الفصول الثلاثة الكبيرة من رواية مدنية مصر قد وقفنا على رواية اقدم منها - رواية كيفية انتقال الانسان من هجيرة العصر الحجري الى مدنية عرف فيها المعدن والكتابة والحكومة (ف ٦٦) . وفيما نحن ننظر الى الامام يجب ان لانسى ان هذه الفصول الثلاثة ليست ختام تاريخ مصر لان انظمة مصر وقوانينها ومدنيتها دامت حتى العصر المسيحي وكان لها بعد ذلك تأثيرها المعلوم في تاريخ اوربا

العالم شبوليون وحل الرموز الهيروغليفية

ونقول اخيراً ان رحلة النيل قد ارتنا كيف نحصل على انباء السائمين الاولين من المباني والآثار التي خلفوها كما ارتنا عظام المساعدة التي لنا من الآثار المكتوبة لتأليف اجزاء الرواية فلو كنا رحلتنا وحللتنا في النيل قبل الآن بمئة سنة لما وجدنا احدًا يفسر لنا معاني

(١٣٣) لم يمتنع
احد في الارمنة
الحدية ان يقرأ
الخط المصري
اقدم قبل ١٨٢٢ م

هذه الآثار المصرية . لان آخر انسان استطاع ان يقرأ الخط الهيروغليفي كان قدماء قبل الف سنة او تزيد . اذن قبل مئة سنة لم يكن احد قادراً ان يفهم الكتابات العجيبة التي تغطي الآثار المصرية الفضة في بلاد النيل

بتولمايوس



PTOLEMAIOS

پ	= ١١	□
ت	= ١٢	⬤
و	= ١٣	⬢
ل	= ١٤	⬤
م	= ١٥	⬢
أي	= ١٦	⬤
س	= ١٧	⬢

كليوباترا



KLEOPATRA

ك	= ١	⬢
ي	= ٢	⬤
ا	= ١٦	⬢
ت	= ٧	⬤
ر	= ٨	⬢
١٠	بج دلائلف	⬤

الشكل ٥٤ شمليون والرموز الهيروغليفيه

وجد شمليون مسلة على قاعدها كتابة يونانية مفادها ان المسلة هي للملك بتولمايوس وهلكه كليوباترا . وكان على بدن المسلة كتابة هيروغليفيه ظن انها لا بد ان تتضمن اسمي بتولمايوس وكليوباترا . وكان بعض العلماء قد ابان ان الاشكال البيضية الكبيرة الوجود على الآثار المصرية تتضمن اسماء ملكية - اي انها "خراطيش" من امر بكتابتها . واما الخص وجود شكلين يبيضان على بدن المسلة . فاستنتج شمليون ان الكتابة الهيروغليفيه في الشكلين البيضيين تتضمن حروف اسمي بتولمايوس وكليوباترا وتقدم الي مقابلتها بحروف اسمي بتولمايوس وكليوباترا في اليونانية فقال اذا كانت العلامة الاولى من الاسم كليوباترا حقيقة هي المحرف الاول وجب ان يكون ك . والعلامة الثانية اذا كانت حقيقة هي المحرف التالي من اسم كليوباترا وجب ان يكون المحرف ل . وبما ان المحرف الرابع من اسم بتولمايوس (نمرو ١٤) هو لام ايضاً وجب ان تكون علامة صورة اسد كما في الشكل الاول الذي يضمن اسم كليوباترا . ولزيادة سروره وجد ان العلامة ال ١٤ هي نفس العلامة ال ٢ كما ترى اعلاه . وهكذا وجد ان

العلامة ال ٥ في الشكل الاول هي العلامة ال ١١ في الشكل الثاني فاستنتج وتأكد له انها تشير الى المحرف ب وعلم جزءاً وقد برهن من هذين الاسمين انه كان عند المصريين حروف هجاء لا مجرد علامات او رموز لمقاطع او كلمات كاملة . وتعلم اصوات اثني عشر حرفاً ووضع الاساس لاكمال حل الرموز الهيروغليفيه واعلن اكتشافه للاكاديمية الفرنسية في باريس . وكان ذلك في السنة ١٨٢٢ مسيحية

(١٨٢٤) مسيحية
شمليون
حل الرموز

تقد حار العلماء زمناً طويلاً في امر حل رموز الكتابة المصرية القديمة قبل ان قيض الله حلها للشباب الفرنسي شمليون الذي بعد ان لاقى الصعاب في البحث عنها وكاد اليأس يتطرق الى قلبه لاح له بارقة امل بالنجاح فتأثر على العمل وفاز اخيراً . وذلك انه اكتشف اولاً اسمي بتولمايوس وكليوباترا ، اللذين ملكا على مصر بعد فتح الاسكندر الكبير،

مكتوبين بالخط المعروف بالهيروغليبي . فكنه هذا الاكتشاف من تحقق اثنتي عشرة علامة من علامات الخط المذكور برهن انها حروف هجائية . فهد ذلك له السبيل الى قراءة عدّة اسماء أخرى ملكية . وفي السنة ١٨٢٢ اعلن اكتشافه في كتاب مشهور بعث به الى الاكاديمية الفرنسية موضحاً فيه الاسلوب الذي تسمى له به الفوز بجل رموز الكتابة المصرية القديمة

وبعد ان توصل الى هذه الدرجة من النجاح تصدّى لقراءة حجر رشيد المشهور . فلم يكن هذا اذن ، كما زعم بعضهم ، المفتاح الاول الذي تدرع به شموليون لقراءة الخط المصري القديم لكنه مكنه من ان يضيف عدداً جديداً من علامات الخط الهيروغليبي الى ما كان قد عرفه منها قبلاً وتعلم معاني الالفاظ وتركيب الجمل . وقبل ان ادركته الوفاة سنة ١٨٣٢ كان قد ألف كتيباً في صرف ونحو اللغة المصرية القديمة اردفه بمعجم صغير لها . نعم انه لا تزال اشياء أخرى جمّة في اللغة المذكورة يجب ان يدقق فيها لتعرف تمام المعرفة الا ان ما احرزه شموليون من معرفتها كان بمثابة وضع اساس لعلم جديد يعرف بعلم الآثار المصرية الذي اعاد الى العالم فصلاً من تاريخ البشر كان مفقوداً طوله على وجه التقريب ثلاثة آلاف سنة . فكان آثار النيل استعارت صوتاً ولساناً لتقص علينا كيف توصل الانسان الى هذا العمران العالي الشان

وعلى هذا النمط حلت رموز كتابات الآثار التي اكتشفت في البلاد الواقعة على جانبي دجلة والفرات في اسية وروت لنا حكاياتها . وكلها تدل على ان شعوب اسية خرجت من قفار الهمجية واقتبست الصنائع وتعلمت استعمال المعادن واستبقت اسلوباً للكتابة واخيراً احرزت المقام الاول والزعامة العليا في العالم القديم . فبناء على ذلك قضت الحال بأن نوجه انتباهنا في الفصل التالي الى الشرق القديم في اسية للاطلاع على روايته

(١٢٥) نجح
شموليون في فك
رموز الكتابة
المصرية القديمة

(١٣٦) الانتال
الى اسية

مسائل

٨

اية اعصر تبينها لنا الآثار التي وجدت في وادي النيل ؟ صف حكم امير من امراء عصر الاقطاع . صف مكتبته . من اي وجهة تقدم الناس منذ عصر الاهرام ؟ صف علم ذلك الزمان . ما هي الصلة التجارية التي اوجدت بين البحرين ؟

٩

صف ما يمكنك ان تراه وانت في طيارة فوق الطرف الشرقي من هيكل الكرنك .
 ما الفرق بين الفراعنة الذين بنوا الكرنك والسذين بنوا الاهرام ؟ من هي اول امرأة
 عظيمة في التاريخ ؟ اخبر شيئاً عن ملكها . اخبر عن ملك اعظم قائد مصري . ما معنى
 الامبراطورية ؟ الى اين وصلت حدود الامبراطورية للمصرية ؟

١٠

ماذا فعل ملوك مصر بانثروة التي جمعوها من الشعوب التي دانت لهم ؟ صف هيكلًا في
 اعصر الامبراطورية وما يحدق به . صف البهو العظيم في الكرنك وابن التحسين الذي
 طراً على كوى سطح الهيكل . قل ما تعرفه عن مقبرة طيبة واذكر ما فيها . من حاول
 ان يدخل اقدم اعتماد باله واحد ؟ صف محاولته

١١

ماذا كانت عواقب حركة اخناتون ؟ قل ما تعرفه عن رسائل العارنة . من هم الشماليون
 الذين استولوا على سورية وماذا كانت اسلحتهم الجديدة ؟ ماذا تبين صور الحرب الموجودة
 في طيبة عن العسكر المصري ؟ من هم الاجانب الذين اجتاحوا مصر وكان لهم يد في تقويض
 دعائم الامبراطورية ؟ ماذا حصل لاجساد الامبراطرة ؟ ليخص الاعصر التي درسناها ونحن
 صاعدون في النيل من الاهرام الى طيبة

١٢

لماذا لم يستطع اسلافنا حل الخط الهيروغليفي ؟ من قرأه ومتى ؟ اية علامة مصرية
 تدل على الحرف الاول من اسم بتولمايوس . اية علامة مصرية تدل على العلامة الخامسة من
 اسم كليوباترا ؟ قابل العلامة المصرية الرابعة في اسم بتولمايوس بالعلامة الثانية من اسم كليوباترا .
 أتخسب هذا اتفاقاً او برهاناً على ان الاسد يرمز الى الحرف ل ؟ اي اثر قديم درسه
 شمبوليون بعد ذلك ؟ صفه (ش ١٦٢)

الفصل الرابع

اسية الغربية • بلاد بابل

١٣

ارض اسية الغربية وشعوبها

ان اقصى ما تمتد اليه اسية غرباً بلاد غير منتظمة الشكل تحدق بها المياه تقريباً من جميع جهاتها . فيعدها شمالاً بحر قزوين والبحر الاسود وغرباً البحر المتوسط والبحر الاحمر وجنوباً وشرقاً الاوقيانوس الهندي وخليج العجم . ومعظم هذه البلاد جبال في الشمال وصحار في الجنوب . ووطن الانسان الاول واقع بين هذه الصحاري وتلك الجبال متاخماً لها . وهو ارض هلالية الشكل صالحة للزراعة ، على جانبيها الواحد جبال وعلى الآخر صحار رملية . وسنشير اليها من الآن فصاعداً باسم « الهلال المخصب »

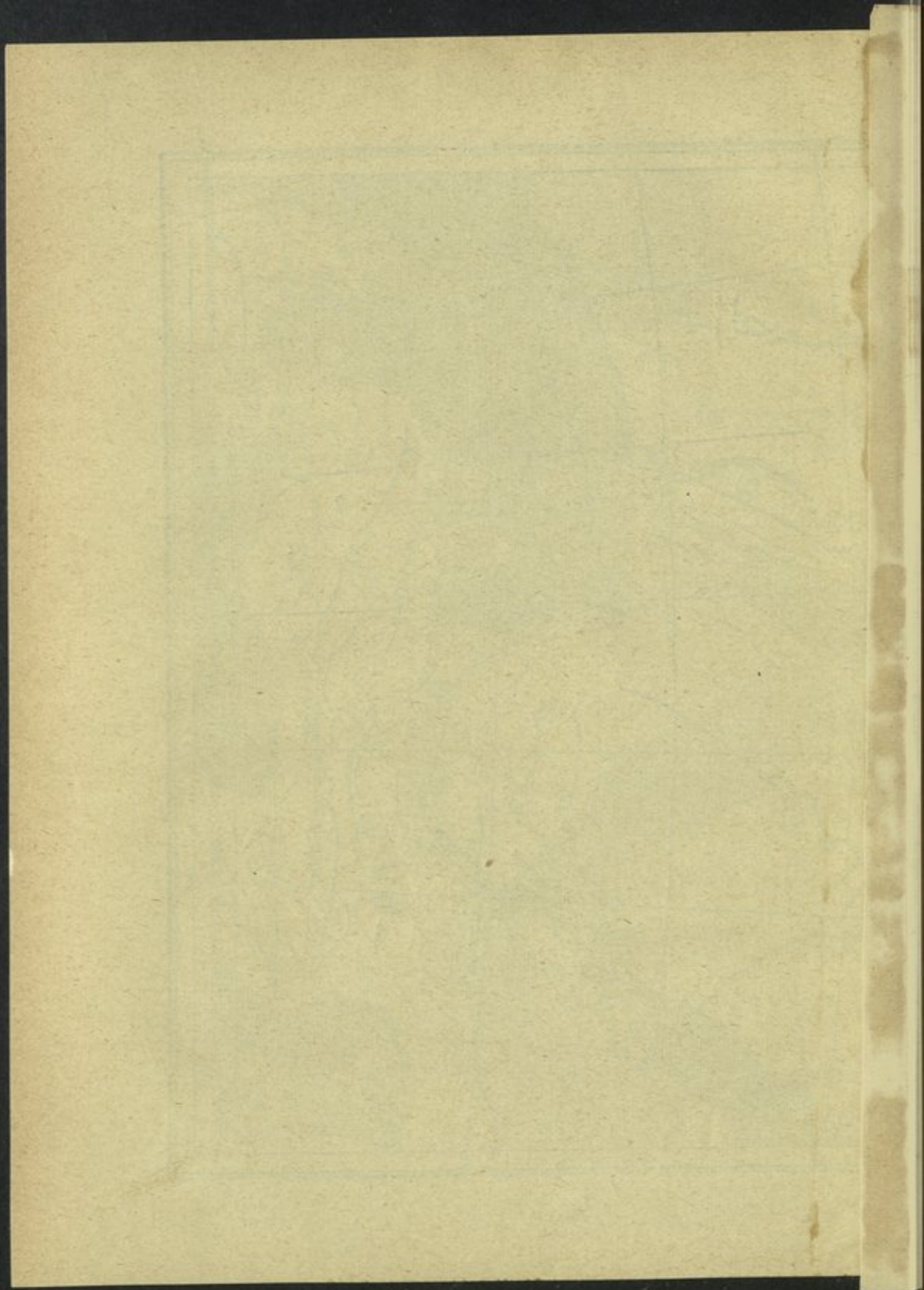
(١٢٢) حدود
اسية الغربية جبال
في الشمال وبادية
في الجنوب

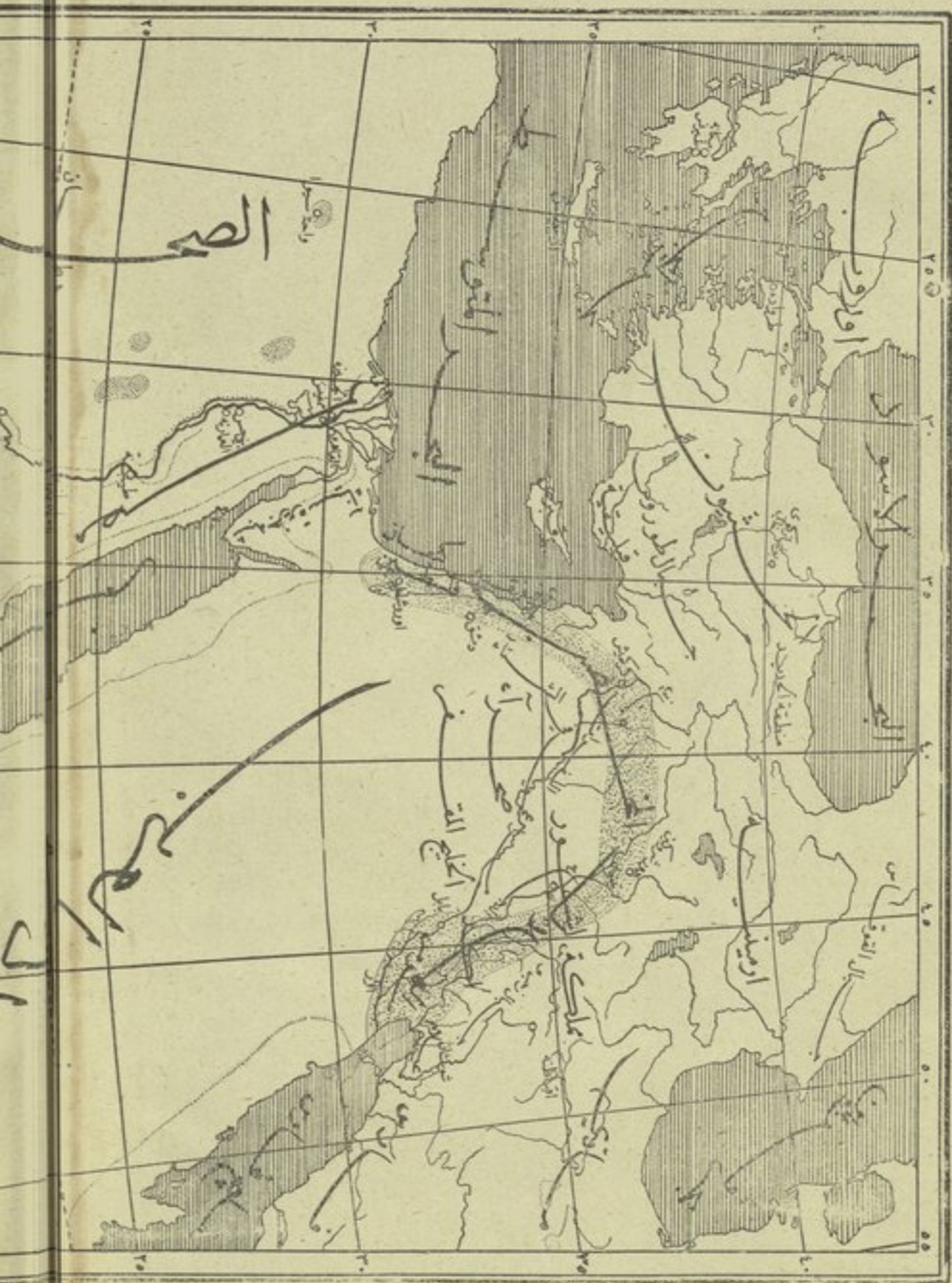
ان مقعر هذه الارض الهلالية الشكل متجه نحو الجنوب وقرن الهلال الغربي عريش مصر والقرن الشرقي خليج العجم (خريطة ٣) ومركزه الى الشمال من بلاد العرب فكأنه جيش مرابط متجه الى الجنوب ميمته سورية وفلسطين وميسرته خليج العجم وارض بابل وقلبه جبال اشور

(١٢٨) الهلال
المخصب

وكما آثر بعض المؤرخين ان يسمي هذه الارض الهلالية الشكل « بالهلال المخصب » آثر آخرون ان يسموا الصحراء الرملية التي تتاخمه داخلته فيه ، « بالخليج المقعر » ، لان شكلها كشكل الخليج والرمل فيها ينوب مناب الماء . وسنشير اليها بهذا الاسم كلما جاء شيء

(١٢٩) الخليج المقعر

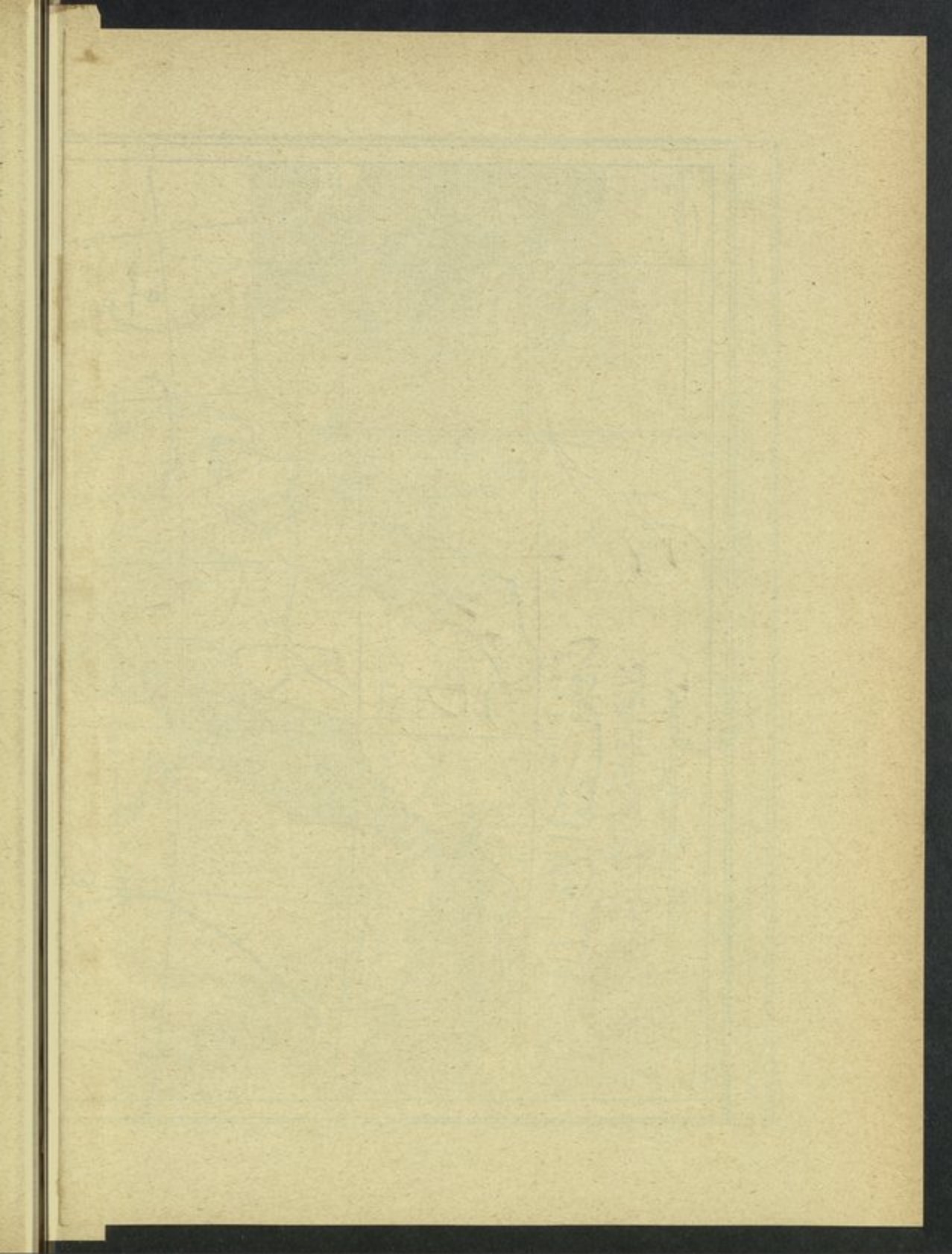






القسطنطينية
 وماجا وده من اوروپه قبل قيام اليونان

اسكالا الكيلومترية



عنها • ويبلغ عرض هذه الصحراء خمس مئة ميل وكأنها تتمة للصحراء العربية المتصلة بها وتمتد شمالاً الى العريش • وهي نجدٌ كبيرٌ من الطبقة الكلسية بالغ درجة من الارتفاع لا تتمكّن عندها مياه دجلة والفرات من سقيها • الا أنه بعد امطار الشتاء الضعيفة تشاهد فيه اقالم واسعة تملوها بعض انواع البقول والاعشاب مبعوثة في ارجائها • وتاريخ اسية الغربية عبارة عن نزاع دائم بين الجليلين سكان الشمال والقبائل الرحل سكان الجنوب - نزاع لا يزال ناشباً حتى الان للاستيلاء على الهلال المخصب اي ساحل هذا الخليج الفخر الذي سبق الينا اليه

(١٤٠) صحراء
العربية والبدو
الساميون

ليس من انهار في بلاد العرب • ولا يقع فيها مطر الا بضعة اسابيع في فصل الشتاء • ولذلك كانت البلاد قفاراً ومعظم سكانها قبائل رحلاً • والقليل من اراضيها تُقيم به قبائل متحضرة • وجميعها تنتمي الى الجنس الابيض السامي الذي يشتمل على قبائل كثيرة ما تزال اسمائها محفوظة لدينا بل ما فتىء بعضها موجوداً ومعروفاً حتى الآن ولا سيما العرب واليهود والسريان • والنساطرة من الفرق المسيحية • وعلاوة على معرفة اسماء قبائلهم لا يزال لدينا شيء من لغاتهم وبمميزاتهم الشعبية • وقد كرت الاجيال والساميون يظعنون من مكان الى مكان في الاجزاء المأهولة من البلاد ارتياداً للمراعي الخصبية لمواشيهم وقطعاً لهم حتى دُعوا بالاقدام الظعن • وقدمرنا عايناً قبلاً كيف ترقت معيشتهم وصلحت احوالهم بعد ادماجهم للضان والمغزي

(١٤١) ظعن
هؤلاء الانظام
الرحل من البادية
الى الهلال المخصب

وكان من دأب هؤلاء الاقوام الظعن • منذ عهد بعيد • حين ينفذ عندهم الكلال او تجف البرك • ان يغادروا البادية ويظعنوا الى الجهات الشمالية من تحوم الصحراء • فاذا طاب لهم المقام استبدلوا العيشة الحضرية بعيشة التنقل في البادية وزاولوا الفلاحة والزراعة (ف ٣٦) • ويشاهد هذا الامر جلياً في ايماننا هذه على حدود الصحراء حيث توجد قرى برمتها مبنية باللبن على غلط بيوت الفلاحين يغطي اعلاها نسيج اسود من شعر المغزي كالذي تُصنع منه خيام البدو في ايماننا • وكما تقسم اليوم هذه القبائل الى بدو وحضر • كذلك كان اسلافنا يقسمونها الى مدر وور اي بُناة الطين وبناة الشعر • وكثير من الأسر العربية المقيمة بقراها في الهلال المخصب - وهي لا تختلف في شيء عن مجاورها من سكان المدن لا في هيئة الوجه ولا في العادات - تنتمي الى جد بدوي كان في ما غير من الزمان ضارباً خيمته على تحوم الصحراء • فهذه الحركة الدائمة من الصحراء الى ما حولها من الاراضي المربعة بغية العيشة الحضرية مكنت الشعوب السامية المقيمة بالهلال المخصب من المحافظة على سيادتها الجنسية مع انه دخل بينها كثير من العناصر التي ليست سامية الاصل • وكان هذا التنقل

البطي من الصحراء الى الاراضي الزراعية يزداد احياناً ويتعاطم حتى يصير تياراً جارفاً يحمل التبالن الطعن من القفر البلقع الى الهلال المخصب فتعشى المدن والقرى كما تعشى المياه الارض واستمرت المهاجرة من البادية الى الهلال المخصب الوفاً من السنين على هذا النمط . ولم تكن مهاجرة الاسرائيليين من البرية الى فلسطين على ما ورد في التوراة وزحف العرب في صدر الاسلام على البلدان الدانية والقاصية حاملين رايات الانتصار ، سوى تيار من تلك التيارات التي طمت من بلاد العرب . وكانت تلك القبائل بعد حضارتها تسعى لشهر مستعمراتها غرباً في السواحل الشمالية من قارة افريقية وجنوب اسبانيا وسواحل الاطلانتيك . الا ان مستعمراتها العظيمة لم تبلغ سواحل الاطلانتيك الا بعد قرون عديدة

ليس للفلوات الشاسعة في الصحراء حدود معينة . فالكلأ فيها كالفوا . مباح لكل قادم اليها . وليس لاحد حق ان يضع يده على ارض مدعياً ملكيتها . فلا اغنياء هناك يملكون المساحات العظيمة من الارض ولا فقراء يُجرمون التملك . وليس عند ابنا الصحراء شرائع ولا سنن يتمسكون عليها بل الحكم عندهم بموجب العادة ايس الا . فاذا رأى البدوي قطعاً من الغنم سائماً في مرعى غير مراعي قبيلته وطمحت نفسه الى امتلاكه فما عليه الا ان يقتال راعيه وهو يستقي الغنم عند البئر فيصير القطيع ملكاً له . الا انه بفعلته هذه الاثيمة يعرض عائلته للموت وضمان المال المنهوب لا عن يد حكومة بل عن يد عائلة الراعي القليل اخذاً بالثار . ولعادة الاخذ بالثار تأثير كبير في ردع الغزاة والقتلة كما للشرائع والقوانين . ولكن في احوال كهذه لا حكومة ولا صناعة ولا كتابة ولا آثار . ويعيش سكان البادية احراراً بلا مسيطر ولا رقيب . ولم تستطع حكومة من جميع الحكومات التي قبض لها ان تقبض على ازمة الحكم والسلطة في البلاد المحيطة ببلاد العرب ، ان تضبط شؤون عرب البادية الرحل كما يجب في مدة اربعة آلاف السنة الماضية

(١٤٣) قوة العادة

كان العرب في كل عام ، حين ينضب ماؤهم في البادية ، يتنقلون بقطعانهم حتى يصلوا الى تخوم الهلال المخصب وتبدو لهم احدى المدن من بين الحدائق الغلباء فيسارعوا اليها ليلتاعوا منها اسلحة وثياباً وادوات اخرى لا غنى لهم عنها . فكان اهل المدينة ينظرون اليهم نظر التعجب والاستغراب لاختلاف زيهم عن زي اهل المدن . وحين كانوا يشترون البضائع كانوا ينقلونها من مكان الى مكان ليس كمكاريين لحساب اهل الحضر فقط ، بل كتجار ايضاً لحسابهم الخاص كعرب العجيل في ايامنا هذه الذين يقطعون بقوافلهم النيابي ويطورون

(١٤٣) الحركة
والثباتية

البيد طيا بين بابل وسورية وفلسطين غير هيأين ولا وجلين وبذلك صار بعض العرب من كبار تجار العالم القديم وجمعوا الثروات الطائلة التي مكنتهم من تشييد مدن عظيمة في البادية كالبتراء وتدمر

وطني البدوي البادية . وغير خاف ما تولده في النفس فلواتها السحيقة ومفاوزها النائية عن العمران من المهابة والعظمة والتأثير الشديد . فخيّل للبدوي ان تلك الفلوات والمفاوز تسكنها كائنات غير غير منظورة تقيم بين صخورها وأكمامها وأشجارها وينابيعها . فاتخذها آلهة واعتقد انه يستطيع ان يتملّتها ويتراضاها بمجرد تقوّه بطلاسم ورُقى ، وهي صلواته الاولى ، فلا تؤذيه بل تحسن اليه . ورسخ في عقله هذا الاعتقاد ولا يزال راسخاً فيه حتى الآن . فالبدوي يحسب وجود الجن حقيقة لا مرأء فيها

وخيّل للبدوي ان كلاً من تلك الكائنات غير المنظورة يتسلط على زاوية صغيرة من زوايا هذا العالم الفسيح ليس إلا . بل ربما انحصرت سلطته في بئر ماء . وما يجاورها من المراعي فقط . واذا اتفق ان وجدت بئر أخرى على مسافة يوم من البئر الاولى افترضوا ان هناك كائناً آخر من تلك الكائنات الروحية يقده سكان الارض الواقعة فيها تلك البئر ويحترمه الرعاة الذين يرذون ماءها لسقاية قطعانهم ومواشيهم ، مها كانت القبيلة التي ينتمون اليها ، طمعاً في نيل رضاه . فنشأ من ذلك اعتقاد ان لكل قبيلة في اي جزء كان من البادية حافظاً خصوصياً هو معبودها الذي يرافقها في رحلاتها وتنقلاتها من مرعى الى مرعى ويشاركها في مآديها ولولائها ويتناضاه ابيكار مواشيا بدل اعتنائها بها وحفظه لها

(١٤٦) انكار
البدوي من جهة
اله قبيلته ورأيه في
العدالة

وكانت افكار البدوي الضارب في الفلوات من جهة اله كهذا فطرية ساذجة جداً واحياناً بربرية ولا بدع في ذلك لانها صورة منعكسة عن حالة المجتمع في البيئة التي كان يعيش فيها . فكان يتصور الهه كأنه شيخ القبيلة المبجل فيجب عليه ان يرضاه تسكيناً لثأر غضبه اذا غضب . واما انكاره من جهة ما هو عدل وحق فكانت ارقى من افكاره من جهة الهه . لانه كان يشعر بما يتوجب عليه من العطف على بني جنسه الذين كان يحسبهم عيال الهه . وغنا فيه هذا الشعور البسيط وتقوى حتى تملك نفسه وعواطفه بحيث صار بذلك معلماً ومرشداً في الشؤون الدينية للعالم اجمع

(١٤٧) الساميون
الفرهوت عند
الطرف الغربي من
الملال المنضب

شرع الساميون منذ ٣٠٠٠ ق م يهجرون البادية تبعاً ويقيمون في فلسطين عند الطرف الغربي من الهلال المنضب وحوالي ٢٥٠٠ ق م نجدهم ساكنين مدناً مسورة . فهؤلاء هم الكنعانيون اسلاف العبرانيين ، والى الشمال منهم اقامت قبيلة أخرى سامية شديدة

الجول تُعرف بالاموريين (ف ١٨١) وكان على سواحل شمال سورية قبيلة أخرى شغفها حب البحر فنبت منها الشعب الفينيقي . وحوالي ٢٠٠٠ ق م كان جميع هولاء الساميين الغربيين المتحضرين قد بلغوا درجة من المدنية لا يُستخفُ بها معظمها مستمدٌ من مصر وبابل وبعضها - وهو قليل - مقتبسٌ من بلاد اليونان لان وطنهم ، الذي هو الطرف الشرقي من بحر الروم ، على السكة السلطانية التي بين هذه البلدان فكان لهم اتصال بها غير منقطع (خريطة ٣) . وسيأتي تاريخ الفينيقيين في ما يلي عند الكلام على تاريخ شرق البحر المتوسط

وفي الوقت نفسه نرى تنقلات كالتى ذُكرت آنفاً جاريةً بين القبائل الرَّحَّل عند الطرف الشرقي من الهلال المخصب مقابل الضفاف السفلى لدجلة والفرات اللذين سندعوها من الآن فصاعداً بالنهرين او الرافدين وينشأ الرافدان من الجبال الشمالية يخرجان منها ويدخلان الهلال المخصب ثم يقطعان بالوراب وسط الخليج المقعر الى الجنوب الشرقي . وقد نشأ على ضفافها في اسية الغربية اقدم عمران عُرف في اسية . وسنحصر كلامنا في تاريخ ما بين النهرين في ثلاثة فصول كما حصرناه في تاريخ وادي النيل في ثلاثة ايضاً

(١٤٨) الطرف
الشرقي من الهلال
المخصب . النهران
والنصل الثلاثة
في روايتها

ان اقدم فصول رواية الرافدين ، وموضوعه بابل^(١) ، مُثِل في واديهما الاسفل بالقرب من مصبها . وحين يبلغ النهران معظم اقترابها بعضها من بعض وذلك على بُعد مئتين وستين ميلاً من خليج فارس^(٢) ، يخرجان من البادية ويدخلان سهلاً منخفضاً خصب التربة جداً . ولا عجب في خصبه لانه متكوّن من رسوب التربة التي تحملها مياه النهرين كل سنة وتلقيا عليه . وفي هذا السهل ، عند الطرف الشرقي من الهلال المخصب ، موقع بابل . الا انه في مدة الف السنة الاولى من تاريخ هذا السهل لم تكن بابل الحديثة قد قامت بعد او انها كانت قرية لا اهمية لها ولا شأن في تمثيل رواية البلاد التاريخية . وكان السهل المذكور يُعرف بشنعار . واما الاسم بابل فالاصوب ان لا يطلق عليها الا بعد سنة ٢٠٠٠ ق م (انظر ف ١٨٢)

(١٤٩) سهل
شنعار وبابل .
مشهد اقدم نصل
من نصل رواية
الرافدين

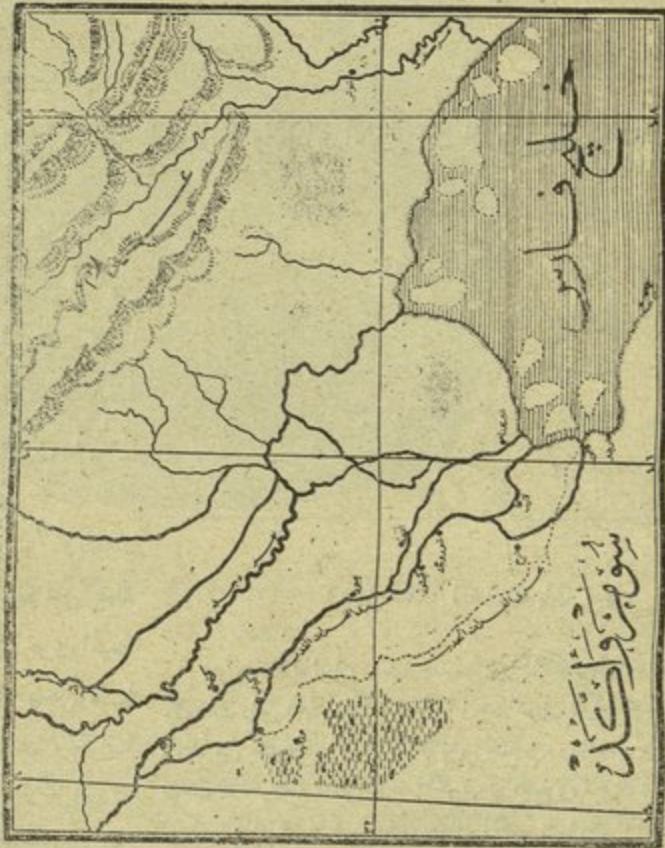
لم يزد عرض سهل شنعار في اي مكان منه عن اربعين ميلاً الا نادراً ولكن مساحة

(١٥٠) مساحة
سهل شنعار

(١) ان الفصلين الآخرين من رواية ما بين النهرين يملغان بملكتي اشور والكلدان

(٢) كانت هذه المسافة مطابقة للواقع في ايام بابل واشور القديمة فقط لكنهما غير مطابقة اليوم لان النهرين قد طهرا بطيئهما مئتين وستين او ثمانين كيلومتراً من الخليج الفارسي . ولذلك هو الآن اقصر مما كان قبلاً

الاراضى الصالحة للزراعة فيه كانت في الراجح اقل من ثمانية الاف ميل مربع^(١)، وموقعه في منطقة البحر المتوسط التي شتاؤها ماطر وصيفها جاف الآ ان المطر الذي يقع شتاء اقل مما يكفي لارواء الارض لانه اقل من ثلاثة قراريط . فيضطر الاهدلون الى سقي حقولهم حتى يدرك زرعها . فاذا استتب للحقول الري الكافي كان انتاجها مدهشاً . ولذلك كانت الزراعة

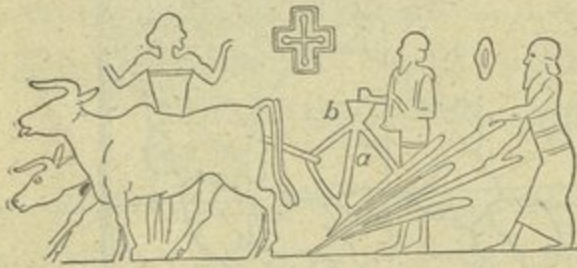


(١) الفكر الشائع هو ان المؤرخين عد ذكرهم مساحة ارض بابل الزراعية يتفاضون عن حقيقة مهمة وهي ان سهل بابل كان قديماً انصرما هو الآن (١٤٩) ولذلك جاء كلامهم عنها غير منطبق على الواقع . وكذلك هم يتفاضون عن حقيقة أخرى لا تقل عن هذه أهمية . وهي ان في شمال العراق بادية ليست جزءاً من بابل القديمة . فلا يصلح للزراعة اذن الأ جزء العراق الشمالي خصوصاً وادي نهر بلخ ونهر خابور الاعاليين . والمحاراط الجديدة لا تظهر هذه الحقيقة فان اطلس القرن (Century) يمحصر الصحراء في الجانب الايمن من الفرات فلا يدخلها العراق . فالآراء الشائعة المتبولة بشأن الاراضي الزراعية في بابل القديمة مبالغ فيها كثيراً . والمساحة زائدة زيادة فاحشة عن المساحة الحقيقية للارض التي كان يستطاع ارواؤها

أهم موارد ثروة شعناار القديمة . وكان سهل شعناار مشهداً لحروب عديدة نشبت بين الجليليين واهل البادية وطالت مدتها على ما ألعنا اليه سابقاً (ف ١٣٩) . وستتبع الآن اخبار السلسلة الاولى من هذه الحروب التي انتهت في سنة ٢١٠٠ ق م بعد ان دامت نحو الف سنة

١٤

بزوغ المدنية السومرية والنزاع الاول بين السومريين والساميين



الشكل ٥٥ آلة زراعة بابلية قديمة

يجر هذه الآلة ثوران سائقها بجانبها ووراء الآلة رجل مسك ايها بمقبضين وهي ذات راس دقيق جداً عند طرفها . وفيها الثوران يجرانها تخط في الارض ثلثاً . وينشأ من جناحها أنبوبة عمودية α تنتهي بقمع b . ويشاهد رجل ثالث يمشي الى جانب الآلة ويضع باليد الواحدة الحبوب في القمع والآخرى مسك شينكاً يرفع انه كيس موضوع فيه الحبوب معلق بكفتيه . فالحبيب ينزل في الانبوبة ويقع في الثلم الذي تحته الآلة . وهذا المشهد متقوس على حجر خاتم صغير

الصوف الحشن . ومنذ عهد عريق في التقدم اذ كانوا لا يزالون يستعملون الادوات الحجرية ،

ان الجليليين الذين اقاموا الى الشرق والشمال من وادي الفرات لم يكونوا ساميين ولا علاقة تربطهم بالقبائل الرحل السامية التي كانت نازلة ببادية العرب ^(١) ويتعدّر ان نجد لهم اقل صلة بالاجناس الاخرى المهمة التي نعرفها . وجل ما لدينا عنهم هو وجداننا صورهم على الآثار القديمة محلوقي الرؤوس ولايسين تُنبأ (تنورات) من

(١٥١٦) المجلدون
الاقدمون المجلدون
الاصل

(١) ان هولاء الجليليين كانوا - بلا مرأ - من الجنس الابيض ولا يظهر ان لهم اقل قرابة بالجنس الهندي الاوربي الذي كان قد انتشر في البلاد الواقعة الى الشمال والشرق من بحر قزوين منذ زمان قدم جداً . واستولوا تدريجاً على القسم الجنوبي من سهل شعناار فدعت المنطقة التي استولوا عليها سومر (انظر خريطة ٤) وسياقي الكلام عن الشعوب الهندية الاوربية تحت نبذة ٢١

عبر بعضهم مضائق الجبال الشرقية وجنّفوا قبل سنة ٣٠٠٠ ق م الاراضي الغمقة في جوار
مصري الرافدين وصيروها صالحة للزراعة

عمراني (١٥٢)
المادي



الشكل ٥٦ أجرة سومرية قديمة عليها كتابة مسارية
(القرن ٢٨ ق م)

كثبت هذه الأجرة حوالي ختام عصر ملوك المدن الأزل (ف ١٦٨) قبل
جلوس سرجون الأزل على العرش بجبل واحد (ف ١٧٢) وهي تشتمل على
حسابات تجارية تروى فيها الأرقام على شكل دوائر. وتشاهد علامات أخرى
محدّبة مكتوبة بطرف القلم الأعمى المستدير. وكانت الكتابة التصويرية قد صارت
في هذا الوقت بل قبله بزمن طويل مجموع أساقين كما يشاهد في شكل ٥٨
(هاذن الدكتور هسي)

وانتشرت دساكرهم
الحقيرة المبنية بالابن شمالاً
على ضفاف الفرات (انظر
خريطة ٤) . اما ضفاف
دجلة فكانت اعلى من
ان ترويا مياهه . ولكن
الاهلين كانوا قد تعلموا
كيف يخزنون مياه الفيضان
ضمن سدود ويوزعونها
في اقنية لارواء الارض
والحصول على غلال
وافرة . وكان قد جاءهم
من مصر الشعير ونوع
الحنطة الذي تشق
حبوبه فدعوه باسمه
المصري . وكان لديهم
كثير من البقر والضان
والعزى والحمير . فالبقر
لجرب سسك الفلاحة
والحمير لجرب المركبات
والعجلات . وهذه هي

المرة الاولى التي يُرى فيها الدولار^(١) معيناً للانسان على نقل الاثقال واما عند الفرس
فكان لا يزال حتى الآن مجهولاً . وكانوا السوريون يأتون بالنحاس ، الذي يُرجح انه جاء اولاً

(١) ان المرجح ان هذا الدولار هو اقدم من الدولار الذي استعمله سكان الهيرات السوسرية بل
والدولاب الذي استعمل في سباق المركبات مدة العصر الحجري المتأخر

من مصر ، بطريق الاتجار مع البلدان الواقعة في جهات القسم الاعلى من النهر . وشرعوا يصنعون منه آنيتهم مذ حصوا عليه الا انهم كانوا يجهلون طريقة تقسيته بجزبه بالقصدير للحصول على البرنز (ف ٣٤٤)

(١٥٦) ظهور
الكتابة التصويرية
الدورية

ان الحكومة والتجارة علمتا الناس ان يملوا سجلات يحفظون بها «القيود» و«المحاضر» بشكل صور بسيطة (قابل ش ١٦) تُرسم برأس قصبه مبرية على اللين الطري . ثم يحفف اللين في الشمس فيصلب ويحفظ ما رسم عليه . واذا طُبِخ في اتونه المخصوص صار اجراً لا تقوى عوامل الطبيعة على اتلافه . ولا تزال تُرى على اقدم النازج الباقية من هذا الاجر ، الصور الاصلية التي كانت تستعمل في الكتابة

(١٥٤) تيسير
العلامات السومرية
التصويرية الى
علامات اسفينية او
مسارية وفقدان
الصور الناتجة عن
هذا التيسير

كان للقصبه التي كانوا يكتبون بها رأس مربع كال . وكانوا حين الكتابة يسكون اللبنة مائلة قليلاً والقلم مستقيماً . واذا القينا نظرة على (ش ٧٢) رأينا رسم كاتب يكتب كما ذكرنا . الا انه لم يكن يرسم خطوط الصورة التي يصورها رسماً بل كان يطبع على اللبنة الطرية زاوية من زوايا راس القصبه المربع الشكل ثم يرفع القصبه ليطبغ خطاً آخر على الاسلوب نفسه . وبسبب ميل الاجرة كان كل خط عليها اعرض عند الطرف الواحد مما عند الآخر . فجاء الخط على هيئة مثلثات او اسافين وكانت كل صورة او علامة تتألف من عدد من هذه الخطوط الاسفينية . ولذلك دُعي هذا النوع من الكتابة بالخط الاسفيني لان معنى الكلمة اللاتينية التي سُمي بها اولاً هو اسفين . ولكن صار بعد ذلك تمييز هذه الصور المولفة من خطوط اسفينية صعباً جداً ولا سيما اذا كان الكتاب قد اسرعوا في الكتابة . واخيراً فقد وجه الشبه بالمرّة بين الاولى والاخيرة

(١٥٥) ظهور
العلامات الاسفينية
الصوتية . حروف
هيا.

وتمّ الانتقال من الطور التصويري الى الطور الصوتي قبل ان يمر على الطور الاول زمن طويل . وكان للكتابة السومرية حين بلغت طور نموها الكامل ثلاث مئة وخمسون علامة كل علامة تدل على مقطع^(١) او كلمة على مجموع اصوات . فلم يترق نظام الكتابة السومرية الى الدرجة التي تصير عندها المقاطع مولفة من احرف هجائية . فكان عندهم مقاطع مثل «كار» و«بان» ولكن لم يكن عندهم علامات للاحرف «ك» و«ر» و«ب» و«ن»

(١) وقد شدّ بعد ذلك عن هذه المقاطع حروف العلة والحركات وبعض علامات تصويرية باقية الى الآن وفاندها انها استعملت الاشارات المصرية (ش ٢٠) وسيلة للدلالة على شيء خفي

التي تتألف منها هذه المقاطع . ولذلك لا نستطيع ان ندخل هنا حروفاً هجائية كما فعلنا في كلامنا عن تاريخ مصر

(١٥٦) التقويم
التقري السومري
احياء السنين

1	2	3

ان الأثار الكتابية الباقية على الاجر تدلنا على ان الكاتب السومري كان في قياسه الوقت يبدأ بشهر جديد كما هل الهلال فكانت سنته مؤلفة من اثني عشر شهراً تقريباً . ومن المعلوم (ف ٦١) ان السنة القمرية اقصر من السنة الحقيقية . فكان الكاتب - تلافياً لهذا القصر - يدس شهراً علاوةً كلما وجد انه بلغ آخر تقويمه قبل الوقت بشهر او اكثر . وقد ورث اليهود والفرس هذا التقويم مع ما هو عليه من عدم الدقة والاضطراب . ولا يزال مستعملاً في الشرق في الشؤون الدينية خصوصاً . وكما كانت الحال في مصر (ش ٢٢) من جهة عدم احياء السنين كذلك كانت هنا الا أنهم كانوا يدعون كل سنة باسم حادثة مهمة وقعت فيها

(١٥٧) الامداد
والاوزان

الشكل ١٥
العلامات البابلية
الاولى تزي اصلها التصويري

هذه هي علامات الكلمات الآتية بالحرف المسماري مبتدئة من الالهة: قدم . حمار . عصفور . سمكة . نجم . نور . شمس . حبة . ان اقدم شكل هو الذي في العمود "١" اما العمود "٢" فيظهر فيه العدول عن الصور والاعتداد على العلامات اذ صارت المخطوط كالاسمين . وفي العمود "٣" نرى الاشكال الاخيرة مؤلفة من اساقين لا غير ولا يظهر فيها اقل مشابهة للصور الاصلية . واشكال العلامات الاصلية لم توجد فعلاً ولكنهم افترضوا من الصور الموجودة المشاهدة في عمود "٣"

(١٥٨) نيبور
مركز الدين . عم
موتها اصل الماد
وفسب الكتاب

لم يكن نظام العد عند السومريين مبني على العشرات بل كانت قاعدة العد عندهم ، الوحدة «ستين» فكانوا يعتبرون عن عدد كبير بما يساويه من الستينات . ومن هذه الوحدة «ستين» ، تولدت قسمتنا للدائرة ست ستينات وللساعة ستين دقيقة والدقيقة ستين ثانية . وكان المنة ، الوحدة الرئيسية للاوزان عندهم ، مقسوماً الى ستين ساقلاً . واتصل هذا الوزن الى اوربا بطريق التجارة تحت اسم آخر هو اللييرة

وُسُند في وسط سهل شعمار (خريطة ٤) برج عظيم مبني من الاجر المطبوخ بالنار (ش ٧٤) لان لا حجارة للبناء في بلاد بابل . وكان هذا البرج مقدساً لأنليل اله الهواء عند السومريين . ومركزه مدينة نيبور القديمة المقدسة والمكرمة

عند كل معاشر السومريين . وكان التل الذي بُني عليه البرج سامتاً الى العلاء . مثل الهرم يُصعد اليه بطريق يُحيط به من الخارج ويرتفع تدريجاً في كل دورة من دوراته حتى يَبْلُغ الى القمة (ش ٨١) . وربما كان السومريون قد شيدوا هذا البرج الفخيم في نيبور ليجعلوا مسكن المهم على قمة جبل كاتي كان يحتلها قبل ان هاجروا من بلادهم الجبلية الاولى الى سهول بابل . (ف ١٥١) وحدثت حذو اهل نيبور مدن أخرى . وصار هذا البرج اصل حكاية برج بابل التي يحفظها ويرويها العبرانيون حتى اليوم . وهو الجذ الأعلى للماذن والابراج والتبب في الجوامع والكنائس (ش ٢٢٤)

والحقيقة ان البرج نفسه لم يكن هيكل الاله وان كانوا قد بنوا محراباً على قمته بل كان الهيكل بناية أخرى واطنة الى جانب البرج . فهذه كانت الهيكل الاصلي . وقد هدمت عوامل الطبيعة هذا البناء . وامثاله من المباني المقدسة في بابل . الا انه بقيت منه آثار تظهر لنا البساطة التي كانت تتجلى في بناية الهيكل (ش ١٥٧) . فاذا دنا زائر من تلك الآثار رأى من الخارج جدراناً عارية من كل زخرفة مبنية بالاجر المجفف بالشمس تحيط بدار شيدت خلفها المقصورة المقدسة . وواضح ان هذا المسكن السفلي المخصّص للاله كان بيتاً عادياً كساكن بيوت السكان (ش ٥٩)

(١٥٩) ابناء
الهيكل الواطنة
بجانب برج الهيكل
العالي

وكان حول الهيكل والتل الذي قام عليه ، عدد من الابنية التي جعلت أهراماً للهيكل ومراكز لادارة اشغاله . وكان يحوطها سورٌ عظيم . اما زمام السيطرة عليها فكان بيد جماعة من اغنياء الكهنة الذين كانوا سدنة الهيكل يحافظون على املاكه ويستثمرونها بعمونة رهط من الكهنة . وكان الملك او حاكم المدينة رئيساً عليهم كما كان كاهناً يقوم بواجبات منصبه الديني كغيره من الكهنة الا ان قيامه بهذه الواجبات لم يكن يُنقص شيئاً من اهتمامه بادارة الاحكام في مملكته

(١٦٠) مور
الهيكل - السكنة
والمحيط عليهم

الى هذا التّديس والى ظلّ التل القائم عليه الهيكل كان يأتي الفلاح حاملاً تقدمته التي لم تكن سوى رأس معزى وجرة ماء فيها بعض سعوف النخل الخضراء ، رمز حياة البلاد النباتية التي كان يحفظها الاله بفيضان النهر السنوي . وصارت هذه الجرة ، فيما بعد ، مع السعوف التي كانت توضع فيها ، « شجرة الحياة » . وهي رمز كبيراً ما يُشاهد متقوشاً على الآثار القديمة (ش ٧٣) . فكان العابد يضع تقدماته امام آلهة الارض او الهواء او السماء او البحر متوسلاً اليها ان تهب له ماء غزيراً وغلاباً وافرة بشرط ألا يكربن الماء طرفاناً مهلكاً يُبيد الزرع والذرع كالطوفان الذي غمر مرة الارض بئانه فهلك به كل ذي حياة . وظلت نازلة الطرفان هذه ، تؤثر جيلاً بعد جيل خلفاً عن سلف حتى اتصل نباها الى العبرانيين

(١٦١) ديانة
السومريين
وعبادتهم

(١٦٦) عادات
الدورين في
دفن موتسام
واعتماد من جهة
الحياة بعد موت

وكان السومريون يختلفون جداً عن المصريين في قضية واحدة مهمة وهي طريقة دفن الموتى . فانهم كانوا يدفنون موتاهم في المدينة تحت دور منازلهم او تحت ارض العُرف . وكثيراً ما كانوا يضعون الميت في قبره على التراب مباشرة بلا تابوت ولا كفن ولا جهاز الآخرة . الا انهم كانوا احياناً يضعون معه جرّتين كبيرتين من نحّار ثم الواحد منها يقابل ثم الاخرى لتكونا بمثابة تابوت له . وكانوا احياناً يضعون الحجة في قعر رسم مستطيل الشكل قائم الزوايا مبطن بالطوب شبيه بعقد او قبو بسيط . وكانت معرفتهم عن العالم الآتي ضئيلة مبهمه لا يُعتدُّ بها . فكانوا يحسبون ذلك العالم مكاناً تحت الارض يسود فيه الظلام الدامس ويملأه العبار الخائض حتى تعافه الانفس وتشمئز منه الارواح . ولكن كُضي على الناس طراً صالحين وطالحين ان ينحدروا اليه . وكان من عاداتهم - كما تقدم - ان لا يضعوا مع الميت شيئاً من الجهاز او العتاد . الا انهم كانوا احياناً يضعون في الرمس بضع قوارير من النحاس او الخرف وشيئاً من ادوات الزينة من الفضة او النحاس او الذهب او عرق اللؤلؤ . وكانوا في بعض الاحيان يزيدون عليها قطعة سلاح . ولذلك لا نتوقع ان نستفيد من المتابر ودفان الرموس في بابل ما استفدناه من مصر القديمة

(١٦٦) بيوت
السومريين
وزرام

وكانت بيوت السومريين مبنية بالطوب المجفف بالشمس على آكام اصطناعية حول سور الهيكل مستطيلة الشكل عارية من كل انواع الزخرفة . (ش ٥٩) وكان لكل بيت داراً من الجهة الشمالية ومقصورة كبيرة من الجهة الجنوبية تستطرق الى بقية العرف . وكان طول الثرى - مع انه زهيد - يربي كثيراً على عرضها الذي لم يتجاوز بضع مئين من الاقدام ولم يكن لدى اسلافنا الاولين من مواد البناء سوى اللبن . ولا يزال البعض في الشرق حتى ايامنا هذه يبشون بيوتهم منه . وغير خاف ان بيوتاً كهذه تذيب جدرانها الامطار الاعتيادية تدريجاً . فاذا اصابها وبل انهارت برمتها ومتى اراد اصحابها ترميمها عمدوا الى تمهيد الانقاض ثم بنوا عليها رأساً دون اساس . وقد جرى الناس على هذا الاسلوب من البناء منذ الوف السنين . وحين ضرب السيد المسيح مثله الوارد في بشاره متى ٢٧: ٧ عنى مثل هذا البيت . وعلى تقادي الزمان والاستمرار على هذا النسق من البناء قروناً متتابعة تكوّنت التلال التي قامت عليها المدائن القديمة

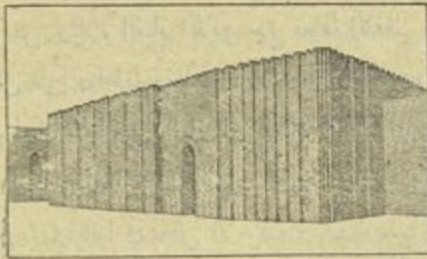
(١٦٤) تكوّنت
التلال التي بنيت
عليها المدن القديمة

(١٦٥) انتشاره
التلال القديمة

ان كثيراً من مدن الشرق اليوم قائم على تلال قديمة العهد تُشاهد في جميع البلدان القديمة كتل طروادة وتل اريحا في فلسطين وتل الايفانتين في مصر وتل النبي مندوه بجوار حمص وتل جرابلس على الفرات . وبلاد بابل مملوءة من التلال الكبيرة المهجورة منذ عهد بعيد

(١٦٤) ما تضمنته
هذه التلال القديمة
من الآثار

وقد حفظت لنا الايام في قلب هذه التلال آثاراً هي من الاهمية التاريخية بمكان . فان المنقبين عن آثار القدماء عثروا فيها على الكثير من تواريخ الأسر والرسائل والصكوك والحسابات والمذكرات ، وما الى ذلك من المكتوبات التي كانت محفوظة في البيوت ، فلما تهدمت البيوت غطتها الانقاض وبقيت ضمنها الى ان أُنبح لها من كشف عنها التراب واخرجها الى النور . وقد وجد الباحثون كثيراً من الصكوك والآثار المكتوبة مدفوناً تحت انقاض الهياكل والمباني العمومية . وكلها تقريباً تختص بالحكومة . وكان الحكماء يضمنون بعض



الشكل ٥٩ نريم بيت من بيوت البابليين
الأولين (عن كلدوي)

كانت بيوت البابليين الأولين صغيرة معظمها مبني من اللبن العادي كهذا البيت . والزخرفة البسيطة الوحيدة عندهم كانت الواحاً عمودية توضع على الجدران وكانوا يجعلون للجدار من خارج عند اعلاه حائطية مسننة . وكانوا يعقدون فوق الابواب اقراصاً او قناطر صغيرة بعكس المصريين الذين مع معرفتهم للقناطر كانوا يؤثرون ان تكون عتبة الباب العليا افقية

الاحيان انشاء ما شيدوه من المباني وما عُقد لهم فيه الفوز من المعارك وما تم على ايديهم من الاعمال العظيمة ، في أسس الابنية العميقة لكي يجدها من يخلفهم في الحكم . وقد وُجد مع هذه الانشاء تقارير الحروب والمعارك والفتوحات مدفونة في انقاض منزل الحاكم او انقاض مكاتبه . وفضلاً عن هذه النقوش ، فقد وجد المنقبون كثيراً من الاثاث والرياش والانيبة الجميلة المزخرفة . اما بقايا المباني التي لعبت بها ايدي الفناء فلا تدخل في نطاق حصر ولذلك اذا استنطقناها رأيناها صامتة لا تروي لنا شيئاً عن الماضي كما روت آثار وادي النيل .

واما المدن التي كانت مشيدة على التلال فهي عبارة عن مشاهد الحضارة البابلية القديمة التي سنشرح الآن في تتبع تاريخها

لقد اصبحت اعمال الحفر والتنقيب عن الآثار القديمة علماً قائماً بنفسه يقتضي استعداداً خصوصياً . فعلى الباحث عن الآثار ان يقتني سجلاً يدون فيه بالضبط والدقة كل ما يعثر عليه من محبّاتهما ذاكراً المكان الذي وُجد فيه الاثر ويشير الى علاقته بالاشياء الاخرى التي وُجدت معه غير ناسٍ ذكر العمق الذي وجد فيه وما شاكل من التفاصيل حتى اذا وقف على تقريره العلماء في البلدان البعيدة يستطيعون ان يتصوروا وهم جالوس في مكاتبهم ،

الموقع كما رآه المنقب وقت وجدانه الاثر فيه . لقد جنت اعمال الحفر في هذه الايام جنابة عظيمة على العلم وحنائمه خسائر جمة لا تعوض ، لان معظم القائمين بتلك الاعمال يرومون المتاجرة بما يجدونه من الآثار او تزوين بعض المتاحف بما يعثرون عليه في اثناء الحفر من النفائس الثمينة بدل دراهم يُنقَدونها . وقد استفحل امر هولاء الاغوار وتفاقم ضررهم . فعلى علماء التاريخ المفكرين ، وجميع من تهتهم المحافظة على آثار الاسلاف الغابرين ان يتصدوا لمقاومة اعمال الحفر المخربة التي اتسع نطاقها في الشرق وينذلوا جهودهم في وضع حد لها لان المواقع التاريخية القديمة متى شوّهتها معاول الحفارين لا يمكن ارجاعها الى ما كانت عليه قبلاً . ويجب على ابناء الوطن ان يهتموا كل الاهتمام باخراج نفائس الآثار المدفونة في قلب الارض بالطرق الفنية لتحفظ في المتاحف الوطنية او في غيرها حيث يُعنى بها وتكون في حرز حريز قبل ان تقع في ايدي الجهلة الذين لا يدركون قيمتها كما وقع امثالها قبلاً

(١٦٧) صناعة
السومرية
القديمة: الحفر وصنع
الختوم والنقش على
المعادن

وقد وجدوا في قعر التلال الآتفة الذكر التي يمتد تاريخ تكوّنّها الى ٣٠٠٠ ق م بقايا من صناعة الحفر السومرية في الحجر . وكانت في ذلك العهد لا تزال في طور الحشونة . لكن شدة طلب الناس للختوم حتى يكون لكل انسان ختم خصوصي كانت سبباً لتقدم هذه الصناعة الجميلة ، صناعة حفر الصور الصغيرة على الحجر الصام . (ش ٢٦) . وشاع استعمال هذه الختوم في جميع اسية الغربية بل في مصر ايضاً . وقد كانت اولاً اسطوانية الشكل . فكان السومري في ذلك العهد البعيد بدلاً من ان يُضي الصك الذي كان من الاجر ، يدحرج على الاجرة الطرية اسطوانة صغيرة من حجر منقوشاً عليها عدد من الصور الجميلة مع اسم صاحبها . ومن درس هذه الآثار ، استطاع العلماء ان يتبعوا تقدم وتقهقر الصناعة البابلية مدة الفين وخمس مئة سنة ، من نحو ٣٠٠٠ الى ٥٠٠ ق م . وعلى مرور الزمان بطلت صناعة الختوم الاسطوانية الشكل وخلقها اشكال أخرى كانت تترك اثرها على الاجر الطري بمجرد ضغطها عليه لا بدحرجتها من جانب الى جانب . ولا يزال هذا النوع من الختوم شائعاً بيننا ختم الصكوك المهمة حتى اليوم . وصار حفارو الختوم ، السومريون الاولون ، اشهر الصناع من نوعهم في الشرق . وكان لعملهم تأثير مهم في صناعة الزخرفة والنقش في الغرب لا تزال آثاره باقية حتى الآن . (ش ٦٠)

وقد كشفت لنا اعمال الحفر الحديثة في أور العراق ، قبور بضعة من ملوك تلك المدينة السومريين ، وارتنا شيئاً من آبهة البلاط الملكي في زمانهم ، والدرجة السامية التي بلغها صناعتهم في اتقان ما كانوا يصنعونه . وتظهر لنا هذه القبور ما كان لاصحابها الملوك الاولين



الشكل ٦٠ اناء فضي كان الملك
مدينة سومرية

هذا الاناء المعداد من اجمل الآثار المعدنية
الباقية من عهد بابل القديمة مزين بزئرين عربيين
من النقوش يجطان به تماماً. وهذه النقوش هي اجمل
انموذج باقى من آثار فن الزخرف السومري . وفي
الزوار الاعرض نشاهد نرساً له رأس اسد قابضاً
بمخالبه على ظهري الاسدين اللذين بدورها بعضان
ثيلين (والثيل ضرب من المعزى الجبلية) فهذا
الترتيب لصور حيوانات في حال تنهجهما هو من
مبتكرات الفن السومري حوالي سنة ٣٠٠٠ ق ٠ م .
فالنسر والاسدان هنا رمز او شعار مملكة لاغاش
السومرية التي كانت عبارة عن مدينة وضواحيها .
ومؤيد كهنه مؤلفه من أزواج متقابلة من صور
الحيوانات اتصلت الى اوربا حيث لا يزال القوم
يستعملونها في فن الزخرفة (شعر جمع شعار) الملوك
والامم . ولا يزال النسر شعار روسيا واستريا وبروسيا
وامم اوربية اخرى . واخيراً بلغ الى العالم الغربي .
وما النسر الا بركبي الأنسر لاغاش منذ خمسة آلاف
سنة .

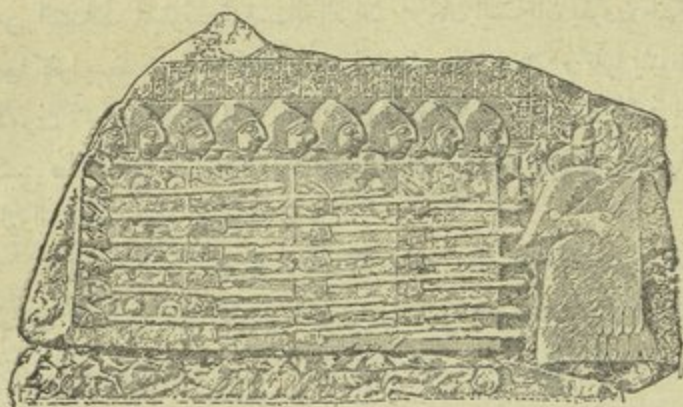
من المتزلة العاليسة في عيون الرعايا التي كانوا
يكمونها . اما كيفية بناء هذه القبور فكان
على هذه الصورة : كانوا اولاً يحفرون حفرة
عميقة ثم يشيدون في قعرها غرفة من الاجر
يرمسون فيها جثمان الملك وجثث حرسه الخاص .
وكشف الاثريون مرة في احدى الحفر ، خارج
الغرفة ، جثث ستين شخصاً ما بين رجال ونساء
ضحى بهم يوم وفاة الملك لكي يرافقه الى العالم
الثاني . هناك في تلك الحفرة العميقة كانت
ملقاة جثث الحرس الملكي المدجج بالسلاح للدفاع
عن ملكه . وقد وجد الاثريون ايضاً مركبتين
كبيرتين من الخشب مشدود الى كل منها
ثلاثة ثيران يُشاهد عند رؤوسها سؤاسها
وعن جوانبها ساقتها ، لكي يتسنى للملك ذرائع
النقل في مماته كما في حياته . وكان مطروحاً
هناك ايضاً عدد من جثث حرم الملك بجلاهن
الكاملة . وعلى مقربة منهن جماعة من الخدم

ووجد في تلك القبور اشياء مذهشة
مصنوعة من الذهب والفضة والحجارة الكريمة .
وفي جميعها من اتقان الصنعة وسمو الذوق
والمهارة ما يصح ان يكون بينة على عمران
مادي باذخ الشان لا يقل عن زنده عمران وادي
النيل معاصره . وقد فتحت حفريات مدينة اور
فضلاً جديداً في تاريخ عمران اسياً الغربية لم
يخطر على بال احد

وفي هذه الآثار والمكتوبات التي نجدها
على الاجر انباء نقت منها على كيفية مهبشة
الاقوام الذين كانوا في الزمان الغابر يملأون

(١٦٨) المهبشة
الاجنبية السومرية
الاولى والمهبشة .
عصر ماك المدن
من نحو ٢٥٠٠ الى
٢٧٥٠ ق م

شوارع مدن بابل والآن هم رقاد تحت انقاضها الصامتة، والظاهر انه كان في المدينة جماعة من ارباب الاملاك يستخدمون البيد في فلاحه وزراعة اراضيهم ويتعاطون في الوقت نفسه التجارة مستخدمين لها القوافل في البر والسفن في النهر ذهاباً واياباً، وكان موظفو الملكة ورجال الدين الذين حُسيبوا اعيان المدينة واكبرها ارفع درجة من سواهم.



الشكل ٦١ ملك سومري بقود كنيبة من جنود
نحو ٢٦٠٠ ق.م.

هذا الملك، الذي تُرى صورته عن يمين الشكل وقد كُسر رأسها حتى صارت بلا وجه، يسير على رأس جيوشه وهم يتبعونه صفًا متراصًا. وهذا اقدم مثال لتنظيم العساكر وجمعها معًا بحيث تكون من مجموعها كنيبة ولا بد ان يكون هذا التنظيم اقضى ثمينًا طويلًا ومثلها كافيًا بعد مرور القرون العديدة والانس يتحاربون بلا ترتيب ولا نظام. فالقبائل لم تكن تنظم جيوشًا وقرنًا وقت الحرب بل كانت بلا نظام كل فرد يحارب لذاته كأن لا علاقة له بغيره. فكانت السومريون من هذه الجهة يفوقون كثيرًا القبائل الرحل المقيمة في الهلال المخصب. هذا هو النصل المأول من تاريخ صناعة الحرب المطول. ففي اسية بُدِيَ بالتنظيم المحربي في هذا الوقت وقبل ان يُعرَف في مصر. والجيوش السومرية مشرعة رماحها مستعدة للهجوم. فلم تكن تحمل قسيًا، وكان المحاربون يلبسون دروعًا سابغات تغطي ابدانهم ودرقًا تُخَوَّذ جلد على رؤوسهم وكانوا يديسون اشلاء القتلى وهم سائرون (رمز الى قهر الاعداء). وهذا المشهد منقوش في حجر وهو النموذج النقش السومري البسيط ببابل في عصر الهرم الكبير، زمن اتقان نحت الصور وحفرها في مصر (عارض ش ٢٦ بشكل ٢٧)

ومنهم ومن
الملاكين في
ارباض المدينة
تألفت الوحدة
السياسية او
الملكة
التي كانت
عبارة عن
مدينة وما
حولها من
الضواحي.
ومنها تسمت
القرون
الثلاثة
الاولى بعد
نحو ٣٠٥٠
ق.م بعصر
مالك المدن
السومرية او
الممالك
المدينية

(City Kingdoms) السومرية

ولذلك يسوغ لنا ان نسمي هذا العصر الاول بعصر الممالك المدينية السومرية الا اننا لا نستطيع ان نعين بداية هذا العصر بالضبط التام لان تاريخ الصوك

الاولى البابلية التي لدينا لم يتعين بعد . ومن المحتمل ان تكون بداية تاريخها تمتد الى القرن الثاني والثلاثين ق م . وقد دام عصر هذه الممالك المدينية بضعة قرون نهايتها القرن الثامن والعشرون او السابع والعشرون ق م .

وكانت ممالك المدن السومرية شاغلة ارض سومر . ولا تزال مدلولاً عليها بصف من التلال المبثوثة قبالة الفرات . وكان السكان يُقرون لحكامهم بالفضل عليهم معاً كانوا يبطلون به كواهلهم من الضرائب الثقيلة . وكانوا يشنون عليهم بنوع خاص لامرئ : الحرب ، وارواء الارض . فان قنوات الري والسدود كانت تتطلب عناية دائمة لتبقى صالحة لسقي الارض . ولولا عناية الحكام بها وشرافهم على ترميمها واصلاحها لماتت الزراعة وماتت بتوتها السكان جوعاً

(١٦٦) ممالك
المدن السومرية

وكثيراً ما كان يُرى غير واحد من حكام هذه الممالك الصغيرة زاحفاً الى الحرب امام جنوده المسلحة بالرمح والترس الضخمين بلا قسي (ش ٦٦). وكان سكان المدن المذكورة اذا طرد مساهمهم ان احدى المدن المجاورة لهم زاحفة عليهم لامتلاك شي . من اراضيهم عنوة سارعوا الى الانضواء تحت لواء حاكمهم ليصدوا هجمات الاعداء عنهم . وبما ان حوادث كهذه كانت كثيرة الوقوع كان تاريخ سومر مدة نحو ثلاثة قرون ، من ٣٠٥٠ - ٢٧٥٠ ق م . تاريخ انقلابات مستمرة في هذه الممالك الصغيرة وذلك لتواتر الحروب فيها

(١٧٠) الحروب
بين ممالك المدن
السومرية

وكما كانت ممالك السومريين الصغيرة تثير الحروب احياناً كثيرة بعضها على بعض كذلك كانت تنضوي ، احياناً أخرى ، تحت لواء واحد لمقاتلة عدو خارجي . فان قبائل الساميين الرحل كانت منذ القديم قد اخذت تحتل البلاد الواقعة الى الشمال من سومر والمعروفة بالكرد حيث الرافدان على معظم اقترابها . وكانت بلاد الكرد واقعة على السكة الكبرى التي تصل النهرين بالجيال الشرقية . وكانت القبيلة السامية ذات الزعامة هناك ، تُدعى بالاكديين . ولم تكن القبائل الرحل آنشد على شي . من التدرب في الفنون الحربية كما كان السومريون . ولما كان جل اعتمادهم في القتال على مهارتهم في الرماية ، كانوا يجارون اعداءهم عن بُعد . واذا اتفق لهم ان حاربوا عن كُتب كانوا يتفرقون بعضهم عن بعض لسبب غير خفي . ولم تكن صفوفهم بادي . بد . كفيشة لكتائب السومريين المتراسة . وهكذا كان في سهل شنعار شعبان متعاديان . في الشمال القبائل السامية التي كانت وسطاً بين البداوة والحضارة وفي الجنوب السومريون الذين هم من اصل جبلي . وكان القتال الطويل الذي نشب بينهم انموجماً لكثير غيرهم من ضروب المحاربة التي وقعت بين القبائل الرحل والجبليين في اراضي الهلال المخصب (ف ١٣٩)

(١٧١) اندم
الحروب بين
السومريين
والساميين

أول انتصار للساميين - عصر سرجون

ونحو سنة ٢٧٥٠ في منتصف القرن الثامن والعشرين ق م • ظهر في أكد رجلٌ ساميٌ
الأصل يُدعى سرجون كان ماهراً في الفنون الحربية ففاز على السومريين ومزق شمل
وماحتهم وكسر ملوكهم شر كسرة • فاستبنت له السيادة في جميع سهل شنعار ودانت له
المدن السومرية حتى مصب الرافدين • وزحف برجاله الأكديين الرماة المشهورين برشاقة
الحركات ، من جبال عيلام الشرقية الى جهة الغرب ، تابعين مجرى الفرات صعداً الى سواحل
البحر المتوسط ومنها الى اسية الصغرى • وكانت سفن الفراعنة - كما ذكر آنفاً - قد احتلت
مرافئ مدن فينيقية (ش ٢٩) • ولا بد ان تكشف لنا الايام الرسائل المكتوبة على
الاجر التي تُبودت بين رب الفرات ورب النيل المقيم بالجيزة في مدينة الاهرام البهية •
وكان سرجون اول قائد عظيم في تاريخ الجنس السامي واول ملك انشأ امة عظيمة في اسية
الغربية تمتد بلادها من عيلام (ش ٦٢) الى البحر المتوسط ومن ثم شمالاً الى
امد بعيد على محاذاة الرافدين • وكان لفتوحاته الباهرة تأثير شديد في نفوس سكان ما
بين النهرين لم يمحه مر السنين وتراخي الحطب • وخلفه ابناؤه واستولوا على ما كان قد فتحه
من البلدان وازاد اليها احداهم ، المسمى نارام سين ، فتوحات جديدة

(١٧٢) انقضاء
الآكد بين الساميين
أمدنية السومرية

واضطرت فتوحات سرجون قبائله الرّحل ان يغيروا منهاج معيشتهم القديمة تغييراً تاماً
فأكره اولئك الرعاة الذين اعتادوا جوب البراري والقفار وشن الغارات ان يهجروا عاداتهم
القديمة التي منها التنقل من مكان الى مكان ويقيموا كأهل الحضرة في مساكن ثابتة •
فغادروا سكنى الخيام وابتنوا لانفسهم ، بدلاً منها ، بيوتاً من اللبن العادي (ش ٥٩) وف
(١٤١) لا يمكنهم ان يقوضوها كل صباح وينصبوها كل مساء كالخيام • وكان الأكديون
يجهلون الكتابة والصنائع (ف ١٤٢) • فتعلم بعضهم الآن ان يكتب لغتهم السامية
بالعلامات المجرية السومرية • فكانت كتابته بدء كتابة اللغة السامية • وبما ان هؤلاء
الاقوام الرّحل لم يكونوا قد عانوا ادارة شؤون امة حضرية لم يعلموا شيئاً من ادارة
الاحكام فالجأتهم الضرورة ان يأخذوا ذلك عن السومريين كما اخذ العرب بعد فتوحاتهم

في القرن السابع للمسيح ، الصنائع عن الامم التي قهروها ، فاخذ الاكديون الساميون عن
السومريين ، تقويم السنين واوزانهم ومقاييسهم ومكاييلهم ونظامهم العددي واساليب

معاملاتهم

التجارية .

وتعلموا منهم

صناعات الحرب

فضلاً عن

صناعات السلم .

تعلموا كيف

يصنعون الخوذة

من الجلد

(السدق)

والنحاس وكان

وزن الخوذة

الواحدة منها

نحو نصف

رطل . وهذه

هي المرة الاولى

التي فيها استعمل

المعدن لدره

الاذى إبآن

الحرب . ومن

هذا المبدأ

البيسط توصل

الناس في ايامنا

الى بناء المدرعات

الحربية والابراج

المتحركة

المسلحة بالمدافع



الشكل ٦٢ ملك أكد يهاجم حصناً - أقدم شغل سامي خطير في فن
النقش (نحو ٢٧٠٠ ق.م.)

نارام سين ملك أكد (ويرجح أنه احد ابناء سرجون الاول في ١٧٢) تقيب العدو الى
حصن جبلي في عيلام ترى صورته سامقة فوق اعدائهم الاقزام الذين كانوا شاخصين الى
من قهرهم متوقعين منه الرحمة فالتفأش نظراً لحسن فراسنته قد رسم مشهد هذه المأساة في
الوقت الذي فيه خفض الملك سلاحه ، علامة منحو العدو لاعدائهم وحسنه لدمامهم . انظر
تتوّن النقش السامي الاكدي على فن النقش السومري الذي كان قبل الاكدي بقرنين من
الزمان (ش ٦١)

(١٧٤) الصناعة
السامية في عصر
سرجون

ومن جملة ما تعلمه الأكديون صناعة النحت التي فاقوا فيها معلمهم بعد زمن قليل من تعلمهم ايها • فصورة نارام سين النافرة (ش ٦٢) تُعدُّ بين ما امتازت به الصناعات في العالم القديم لا سيما وانها اولُ اعمال الصناعة التي اتقنها ابناؤ الجنس السامي • وابلغ الأكديون صناعة الختم السومرية الجميلة درجة تذكر من الاناقة (ش ٦٣ و ٦٤ و ٦٥)

(١٧٥) امتزاج
السومريين
بسالأكديين
السامسيين

لقد امتزجت في سهل بابل ، شعائر القديم ، حياة ساميي البادية بجياة الجبابين الذين لم يكونوا من اصل سامي • فصار يُشاهد في شوارع مدن الفرات التي لم يكن يشاهد فيها قبلاً سوى السومريين الحفاة المحاقق الرؤوس والاهي ، جماعات من الساميين الأكديين السمر الالوان ذوي الّهي السوداء ، والدواب المسترسلة على الاكتاف والارجل المجدوة . وكان السومري الخليق المسّح بالزح والترس يُخدم في الجندي جنباً لجنب مع سيده السامي الملتحي المسّح بالقوس والنشاب . والظاهر ان السيد السامي لم يكن في غنى عن كاتبه السومري الخاذق • فاننا نرى على الخاتم الأكدي صورة اخي الملك مع جماعة من حشمه يتبعهم الكاتب السومري الخليق الراس

١٦

اتحاد السومريين والساميين ملوك سومر وأكّد

(١٧٦) ملوك
سومر وأكّد من
القرن الخامس
والعشرين الى الثالث
والعشرين ق ٢٠

ولما ضعف اخيراً امر ساميي أكّد بسبب العيشة المدنية التي آتروها على سواها وهنت قوى جند الملك سرجون • فهبت مدن الجنوب السومرية واستعادت استقلالها وذلك حوالي ٢٥٠٠ ق م • وفاز ثلاث منهم بالزعامة الواحدة تلو الاخرى تحت رئاسة مدينة أور القديمة • الا ان ساميي أكّد حُسبوا من الآن فصاعداً من الامة المتحدة التي استولت على سهل شعائر واتخذت لنفسها اسماً وطنياً لأول مرة في تاريخها • فدُعيت مملكة أكّد وسومر وكان ماوكها سومريين واكديين • الا انهم لم يخلّفوا مباني عظيمة ولا آثاراً خالدة مهمة • ولكنهم بحسن سياستهم ساعدوا القطرين المتحدّين سومر وأكّد على بلوغها درجة عالية من التقدم والفلاح وبقيا على هذه الحال زهاء ثلاثة قرون اينعت في غضونهما المعارف والآداب اول مرة في تلك الربوع

واخذ اهل المعرفة في ما بين النهرين يجهلون عن الاسئلة البديهة التي قامت في عقول

(١١٧٧) اسكار
الشمس واساطير
في زمن ملوك
سومر وأكد .
أصل الحياة . حكاية
أتانا

الناس الاولين ، بحكايات بسيطة منها حكاية المغامرات المدهشة التي اتاها «أتانا» الراعي حين منيت قطعانه بالعظم وتوقفت شياهُه عن الولادة . قيل ان «أتانا» امتطى نسرأ (ش ٦٣) حلق به الى اعالي الجو لكي يفتش عن ضرب من البقول زعموا ان الحياة كمننة فيه . ولما كاد يبلغ غرضه رماه النسر الى الارض . وهذه هي اول رواية لنا عن طيران الانسان

ان سر الموت الغامض ادى الى حكاية الصيد ، أدابة ، الذي لما قلبت الالاهة «ريح

(١١٧٨) الموت
والحياة الابدية .
حكاية ادابه

الجنوب»

زورقه احترم

غيتلاً وكسر

جناحها .

فدعي الى

امام عرش

ملك الجو

للحكاية .

ولما مثل

امامه سكن

تأثر غضبه

فرضي عنه

وقدم خبز

الحياة وماءها

فأبى ان يقبلها

لانه اوجس

خيفة في



الشكل ٦٣ طيران أتانا الى السماء

بى الى اليمين أتانا متبعداً ظهر نسر (ف ١٧٧) ويده تطوق عنقه . فوقه القمر ونحوه كلبان ينظران الى فوق نايمين . ويرى الى اليسار راع يسوق ثلاث عترات يمشي امامها انسان قدامه شيء لا يشبه مظلة . والككل ، حتى العترات ، ينظرون الى العلاء ذاهلين متفرجين على طيران أتانا . وفوق الراعي تقاري يصنع جراراً والى يمين الجرار خباز جالس الترفصاء يصنع ارغفة مستديرة . هذا المشهد محفور على خاتم اسطوري (ش ٨٧) والرسم الذي امامنا جرى الطبع على الطين الطري حين يدحرج عليه الخاتم فهذا نموذج نيس من اقلات اهل بابل لصناعة حفر الختم

تفسه فخر الحياة الخالدة وخسر الجنس البشري نعمة الخلود التي لا تشن . فلو كان قبل ما عرض عليه لحد هو ونجى البشر من الموت

وعلى هذا النمط نفسه روي ان البطل جلجيمش ، بعد كل المغامرات التي خاض فيها ، وبعد ان قام بالاعمال العظيمة (ش ٨٧٦) حطت مساعيه لنيل الحياة الخالدة التي لم ينعم بها الا على واحد من الابطال وقد رويت لنا عنه حكاية عجيبة تبين كيف نجى وامرأته

(١١٧٩) الخلود
حكاية جلجيمش
قصة الطرزان

من الطوفان (ف ١٦١) بفلك عظيم ، وكيف نقلتها الآلهة بعد ذلك الى مغنى العبطة الذي لم يُتَّح للملوك سومر وأكد ولا لشعبها الدخول اليه . وقد اتصل كثير من مثل هذه الحكايات عن الخليفة والطوفان الى العبرانيين

(١٨٠) فقهر اللغة
السومرية وبأوطا
لغة دينية فقط

وبعد ان مازج الحكايات المذكورة شيء من اعمال حياة السومريين والاكديين شاع امرها وذاع باللسانين السومري والاكدي وكان الاول منها اشد احتراماً من سواه في عين الجمهور فحفظوا عليه واستعملوه في امور الدين كاللاتينية في الكنيسة الرومانية واليونانية في الكنيسة الارثوذكسية . وفي نحو القرن الثالث والمشرين ق . م . اخذت المدن السومرية تنحط سريعاً . ولكن القصص الدينية بقيت تُكْتَب باللسان السومري قروناً عديدة بعد ان كان قد عدل اصحابه عن استعماله في احاديثهم العادية

١٧

الانتصار السامي الثاني . عصر حورابي وما بعده

(١٨١) حور
الهاده السامية .
فهام بابل

وفيا كان ملوك سومر واكد يضعف امرهم ويتضاءل نفوذهم كانت قبيلة جديدة من القبائل السامية قد بدأت تهبط اراضي الفرات كما فعل قبلها الاكديون تحت قيادة سرجون الملك (ف ١٧٢) وكان هؤلاء القادمون من اموريي سورية من الفرع السامي الذي كان قد نزل بجوار البحر المتوسط (ف ١٤٧) . وحوالي ٢٢٠٠ ق . م . استولوا على مدينة بابل الصغيرة التي لم تكن في ذلك العهد اقرية على الفرات لا شأن لها ولا خطر . وللحال شرع ملوكها الاموريون يشنون الغارات على سومر واكد طمعاً بالاستيلاء عليها

(١٨٢) فهار
حورابي ومهاده
بابل

وبعد حروب كثيرة طالت مدتها قرناً من الزمان ارتقى الى اريكة الملك حورابي الملك السادس من الاسرة الامورية في بابل سنة ٢١٠٠ ق . م . فوجد في المدن السومرية التي كان قد تضائل شأنها في الجنوب قوماً يعرفون بالعيلاميين كانوا قد دخلوا البلاد قادمين من عيلام في الجبال الشرقية . فخاربه وظلت الحرب بينهم وبينه سجالاتاً مدة ثلاثين سنة انتصر في نهايتها عليهم نصراً ميبناً . فطردهم من البلاد واستولى على المدن السومرية وجعل لأول مرة بابل قاعدة ملكه ، سيده مدائن البلاد . ولم تنل بابل هذه المنزلة السامية من السؤدد والنفوذ ولم تُدع البلاد كلها باسمها الا بعد سنة ٢١٠٠ ق . م . وظلت من ذلك الوقت فصاعداً مدينة ذات شأن عظيم

١٨٤٦ م وقع بابل .
حمورابي المسدير
العظيم

وعاش حمورابي بعد انتصاره هذا اثنتي عشرة سنة كانت سني سلام برهن في اثنتيها
كما برهن في سني الحرب على انه - بلا جدال - اقدر ملوك الاسرة التي ينتمي اليها . وكان

سرجون اول ملك قدير عظيم قام فيها . كان
حمورابي ثانياً له عظمة واقتداراً . وكان اسلافه
قبل هذا العهد ببضعة اجيال ، كاسلاف سرجون ،
يترحلون في البادية متنقلين من مكان الى
مكان بلا ترتيب ولا نظام في رحلاتهم . ومن
البيئات على اصله البدوي حلقه الشعر عن شفته
العلية . جرياً على عادة قديمة لاهل البادية (ش ٦٧) .
وبعد ان استولى على مدن بلاد بابل الحافلة
بالسكان جعلها في امدٍ قصير عنوان الترتيب
والنظام اللذين لم ترهما مثلاً فيما انقضى من تاريخها .
واما المصدران الحصريان اللذان نستقي منها
معلوماتنا عن ملك حمورابي ، فهي رسائله الخمس
والخمسون والاثرتذكاري الفخيم الذي نُقشت
عليه شرائعه . وقد قاوت هذه الآثار الشينسة
عوامل الطبيعة والاحداث الجرية اربعة آلاف
سنة لكي تعلن لنا اعمال هذا الملك العظيم واخلاقه
ان رسائل حمورابي تتيح لنا لأول مرة في
التاريخ ان نلقي نظرة على حياة ملك شرقي
قدير وهو في مكنته بقصره في بابل وكانبه
جالس الى جانبه مستعداً ان يكتب الرسائل
التي كان سيده مزماً ان يلبسها عليه . وهي
تتضمن اوامره وتواهيته لعاهله في المدن السومرية
القديمة الخاضعة الآن له . كان الكاتب يكتب
بتمل قصب يحنظله في محنة جلد منوطة بنطقته ،



الشكل ٦٤ رسالة كتبها حمورابي
ملك بابل (نحو ٢١٠٠ ق م)

احدى رسائل هذا الملك التي عددها خمس
وخمسون رسالة (ف ١٨٤) قاوت عوامل الطبيعة
اربعة آلاف سنة . كانوا يكتبون على اللين وهو
طري والكثابة هنا تدل على السرعة التي كانت
يكتب بها الكاتب والملك يولي عليه (ف ١٨٤)
وبعد الكتابة كانت تشوى اللينة بالنار ثم تغلف
بغلاف من الطين المطبوخ لكثه هنا قد كبر
وطرح على الارض (ف ١٨٥) . وفي هذه الرسالة
امر الحاكم محلي ان يسمع استئناف احد المأمورين
الذي يعتقد انه ظلم بالحكم (ف ١٨٨)

(١٨٤٦) رسائل
حمورابي الملوك
اعدادها

على اجرة صغيرة يلاها بالكتابة المسجارية بسرعة (ش ٦٤) وبعد ان ينجز ما أمر
بكتابته كان يذرع على الاجرة الطرية قبضة من التراب الناعم الناشف لكي لا يلصق
غلاف الرسالة بالكتابة التي على وجه الاجرة الطرية . ويكتب العنوان على غلاف من

الاجر · ثم يرسل كل ذلك الى الفرن (الكوشة) ليشوى

وكانت الرسائل تأتي الملك من الجهات تأتي مكتوبة ومغلقة كالتي كان يرسلها هو الى عماله · فكان امين سره يكسر غلافها في حضرته ويتلوها على مسعاه وبعد ان يسمعا ويعيها كان في الحال يبي عليه اجوبتها · كتب اليه مرة حاكم لارسا ان السيول طفت ووقفت بطغيانها سير السفن في الفرات لكثرة ما رسب من الاتربة في مجراه ، فكتب اليه حالاً امرأً بوجود كربي النهر بلا امهال لكي يعود صالحاً للملاحة

وكان الملك شديد الاهتمام بقطامه الكثيرة كأن مكروب الغريزة البدوية لم يتلاش من دم عشيرته · فكان يصدر اوامره الى عماله في الجهات وموظفي المملكة بأن يحضروا الى بابل احتفاءً بجز الغنم حاسباً ذلك عيداً عظيماً · وحدث مرة ان الشهر القمري لم يوافق الفصل الشمسي المعين لجز الغنم - ومعلوم ان الشهور القمرية دوارة - فارسل الملك اذاعة الى جميع عماله يأمرهم بها بأن يسموا الشهر المذكور ايلول الثاني

وانذر الملك الحاكم بأنه لا يجوز تأخير جمع الضرائب المستحقة الأداء في الشهر التالي بسبب الاصلاح الذي ادخل على التقويم بزيادة شهر · وذكر الجباة المقصرين بوجود تسديد حساباتهم بلا تأخر · وكان يعاقب بشدة كل من يأخذ رشوة منها كان مركزه في مملكته · قيل انه مرة حمي غضبه على ثلاثة من رجال البلاط الملكي فاصدر امرأً بالقبض عليهم وكان وهو يبي الامر على الكاتب ، مقتطباً مغتاضاً · وكتب الى حاكم لارسا غير مرة مذكراً اياه بوجود الاهتمام الكلي في تنفيذ الاوامر الملكية بالسرعة المقتضاة

وكم من صاحب دعوى كان ييتر دعواه الى مجلس الملك حين لم يكن يُنصف في مجالس القضاة ، ومل صدره الامل بأنه يُعامل بالعدل فلم يحب امله (ش ٦٤) · وصدرت اوامر ملكية لرئيس خبازي الهيكل بالذهاب الى اور لمشاركة وليمة دينية كان في النية اقامتها فيها فوجد ان استدعاه للقيام بهذه المهمة يقع في الوقت الذي ترى فيه دعوى له في المحكمة · فالتمس من الملك تأجيل رؤية الدعوى · فيظهر من ذلك ان الملك كان يهتم بالولايم الدينية اهتمامه بالعدل في القضاة · ويُفهم من كثير من رسائله التي كان يلبها على كتبه انه كان يهتم باوقاف الهياكل وادارتها اهتماماً دافعاً

وكان هذا الملك حازماً نشيطاً نافذ البصيرة في جميع شؤون مملكته من اقصاها الى اقصاها · فارتأى ان يوحد الشرائع التي كانت شائعة في زمانه معا كان بينها من التناقض ويوفق بين العادات والتقاليد التجارية في مملكته · فجمع لديه كل الشرائع المكتوبة القديمة

(١٨٥) رسائل
حموراني · سر
السفن

(١٨٦) رسائل
حموراني ايضا ·
الاقتصاد والقوم
السوي

(١٨٧) رسائل
حموراني الماخرون
عن دفع الضرائب

(١٨٨) رسائل
حموراني · العدل
طالدين

(١٨٩) شرائع
حموراني

وما جرى عليه اهل المملكة في عرفهم التجاري واصطلاحهم الاجتماعي ونسبها تنسيقاً
جيداً. اصلى الشرائع القديمة بالزيادة عليها او الحذف منها وحيث رأى داعياً الى سنّ شرائع
جديدة سنّها. ثمّ ألف منها كتاباً ضخماً سُمي دستوراً او مجموعة قوانين. ولم تكن هذه
الشرائع مكتوبة باللغة السومرية كالشرائع القديمة
التي كُتبت قبلها بل بلغة الاكديين والاموريين
السامية. ثمّ امر بحفرها على عمود جميل من الحجر
كان منقوشاً على اعلاه مشهدٌ يمثل الملك وهو يتناول
الشرية من الاله الشمس (ش ٦٧) ثمّ نُصب عمود
الدستور الجديد في هيكل الاله العظيم مرووخ في
بابل وبقي الى زماننا الحاضر. وهو اقدم مجموعة من
الشرائع القديمة حفظت الى ايامنا

ان شرائع حمورابي تُحضر كثيراً على وجوب
اجراء العدالة للارملة واليتيم والمسكين الا انها
ابقت على كثير من الافكار والمبادئ القديمة المتعلقة
بالعدالة. واشهر تلك المبادئ واطهرها هو المبدأ
القائل بوجوب مقاصة المجرم بثل ما جنت يده.
وهو «مبدأ العين بالعين والسن بالسن». ولكن
كثيراً ما تكون عاقبة هذا المبدأ الظلم والقسوة.
مثلاً لو سقط بيت (ف ١٦٤) وقتل بسقوطه ابن
صاحبه لوجب ان يُقتل ابن بانيه البري؛ اخذاً بالثار.
وقد كان للزواج قبل حمورابي علاقة محكمة بموجب
اتفاق شرعي بين الرجل وزوجته. ولكنه عدلها
ونسبها وضمها الى شرائعها. وكانت منزلة المرأة في



(١٩٠) روح
شرائع حمورابي
منزلة المرأة

الشكل ٦٥ شرائع حمورابي اقدم
الشرائع الباقية (٢١٠٠ ق م)

اسطوانات من حجر الديوريت طولها ثلثي اقدم تقريباً منقوشة عليها الشرائع في ثلاثة الاف وست مئة سطر.
وعلى راسها صورة مجسمة للملك حمورابي وهو واقف الى اليسار يتناول الشرائع من الاله الشمس الجالس الى اليمين.
وشقة حمورابي العليا المخلوقة التي تدل على انه من رجال بادية سورية (ف ١٨٣) واقعة في الظل فلا يمكن
ان نرى والسن اللهب الصاعد من منكب الاله تدل على من هو. فالصاعدة من منكب النجم كبراً ما يظهرونها
في الكتب المدرسية الرائجة انها قطعة من عصا بيد الاله اليسرى. فهذا خطأ. وهذا المشهد من اعمال الفن السامى
الذي يؤثر في نفس الرائي تأثيراً كبيراً. وقد نش بعد شكل ٦٤ بست مئة سنة.

العالم البابلي القديم سامية كما كانت في مصر فكان النساء يتعاطين لحسابهن الخاص الأعمال التجارية وسواها مستقلة تمام الاستقلال ويقمن مقام الكتبة الفنيين وكان لا بد لهن من الاستعداد اللازم لذلك في مدرسة كالآتي ذكرها (ش ٦٧)

(١١٦١) الصانع
في أيام حمورابي

وبعد ان تنظمت احوال المملكة البابلية على نحو ما مر آنفاً جرى السكان شوطاً مهماً في مضار التقدم والنجاح لم يتسن لهم مثله من قبل . وكانت معظم محاصيلهم من الزراعة وخصوصاً الحنطة والتمر . وكان لديهم كثير من قطعان الغنم والمعزى وأصودة البقر لحصلوا منها على منافع جمّة من صوفها وشعرها وجلودها . وكانت حياكة الصوف رائجة جداً لشبوع تردي الثياب الصوفية في اسية الغربية . وكان قد بطل الآن استعمال النحاس لقيام البرنز مقامه (ف ١٥٢) . وفي بعض المكتوبات اشارة الى الحديد ولكنّه كان لا يزال نادراً ولم يكن استعماله في الصناعة في حيز الامكان لغلاء ثمنه . ولم يشع استعماله في الاعمال العادية الا بعد زمن حمورابي بانف سنة (ف ٣١٦ و ٣١٦)

(١١٦٢) التجارة
البلدية في زمن
حمورابي

وكان للملكة في زمن حمورابي جيش منظم يقوم بحماية الثغور وتوطيد الامن في البلاد فكان الامن ناشراً اعلامه حتى كانت قوافل الخمر تسير على رسلها حاملة سلع التجار الى مختلف المدن والاقوام الذين رغب تجار بابل في الاتجار معهم . وكان هؤلاء كثاراً جداً على ضفاف الفرات العليا . ومن تلك المدن مدينة حاران المشتقة الاسم من اللفظة البابلية (Kharanu) التي معناها سفرة . وكانت بالات البضاعة في افنية المنازل ركاماً مركوماً بعضها فوق بعض وعلى كل منها ختم صاحبها دلالة على اسمه (ش ٦٥) وحين فتح البالات كانوا يكسرون ختمها ويطرحونها على الارض . ولذلك يشاهد كثير من تلك الختم بين انقاض المدن البابلية على ما افادنا الاثريون الذين جمعوا ما رأوه منها بين الانقاض . وكانت لا تزال اسما اصحابها ظاهرة على وجهها الواحد و اثر الجبل على وجهها الآخر

(١١٦٣) التجارة
الكتابة المسارية
في اسية الغربية

وكان تجار مدن سورية والبلاد التي وراء ضائق الجبال الشمالية مضطربين ان يقرأوا الختم التي كانت على البالات والقوائم التي كانت ترسل معها . فنتج عن ذلك ان انتشرت الكتابة المسارية تدريجاً في اسية الغربية حتى صار التجار السوريون بعد امديسير يكتبون رسائلهم وقوائمهم التجارية على الاجر كتجار بابل انفسهم (انظر ف ٢١٦ وش ٩٦) وطارت شهرة حمورابي التجارية في جميع الارزاء الغربية المعروفة في ذلك العهد وخلد ذكره بين يهود سورية وفلسطين حتى بعد مرور الف سنة على وفاته او ترديد

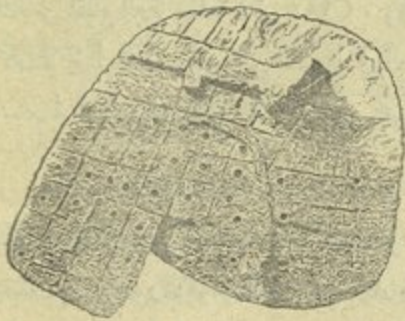
وكان تجار بابل اصحاب دول وطول حتى كان منهم في بعض المجتمعات الحكام

واصحاب الامر والنهي • وكانت الهياكل ذات الاملاك الشاسعة مركز الحياة التجارية • فكانت تعقد للتجار القروض وتتعاطى التجارة وتدير اراضي متامية الاطراف

(١٩٤) الهياكل
مركز التجارة

ولم تكن النقود المسكوكة قد عرفت بعد • فكانوا يشتنون الاشياء بقطع من الفضة ذات اوزان معلومة كان تداولها شائعاً بين اهل ذلك الزمان • فكانوا يقولون مثلاً: «ثمن هذا الثور كذا اواق من الفضة» الا انهم استعملوا الشاقل بدل الاوقية • وكان عقد القروض شائعاً ايضاً فيما بينهم مما كان عليه معدل الفائدة من الفحش - عشرين بالمئة على اقل تعديل • وكانت القروض توفى بنجوماً او اقساطاً شهرية • اما الذهب فكان قليل الاستعمال لغلا قيمته بالنسبة الى الفضة :: ١٥ : ١

(١٩٥) النقود
والقروض



الشكل ٦٦ صورة كبد نحية مصنوعة من طين مطبوخ بالنار تحس عرافاً قديماً من بابل

يلاحظ ان وجه هذه الصورة معلم بخطوط وثقوب تدل على الااكل التي يجب على العراف ان يفس فيها عن العلامات السرية التي يحيط له الحجاب عن المستقبل • وهذه العلامات هي نفس العلامات الطبيعية التي تشاهد على كبد اي خروف كان • الا ان البابلي كان يعتقد ان هذه العلامات وضعت على الكبد من الاله الذي قدّم الحروف ذبحة له • وهي مكتوبة بالحظ المساري كل علامة في الهل الذي يجب ان تكرر فيه ومن مجموعها تتألف خريطة يظهر فيها سطح الكبد وشكلها مع بعض تفاصيلها والبرائة مع انها غير معقولة وباطلة كان يصدقها ملايين من البشر في اسية واوربا (ش ١٨٢)

وكان للمصالح التجارية عند البابليين الشأن الاول والميزة الرفيعة حتى في امور دينهم • فقد رأينا قبلاً انه كان لسدنة الهياكل مركز مهم في الحياة التجارية وقد ألهم شعنتهم بالتجارة عن واجباتهم نحو المساكين والمستضعفين ونصرتهم حين كان يتصدى لاذلالهم والاجفاف بحقهم اهل النفوذ وارباب الثروة • وكانت غايتهم الاولى والعظمى من الدين جر المنافع المادية من الآلهة وجعل انفسهم في حوزة حريز من غضبها وسخطها • الا ان طقوسهم الدينيّة تدل على انهم كانوا يشعرون بنحطائهم وعدم استحقاتهم لمراحم الآلهة كان الشعب لا يزال يقدم عبادته لآلهة السومريين القديمة ولكن تفرق بابل السياسي مكن اهلها من تبوئة مرووخ المهم السامي المقام الاول بين الآلهة وجعل اسمه في الاساطير القديمة (ب ١٧٧ - ١٧٩) مكان اسم انليل اله

(١٩٦) - الديانات
الابلية في عصر
جمرواي

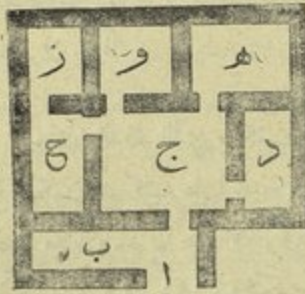
(١٩٧) مرووخ
وعنثاروت

السومريين القديم • صاحب الميزة الاولى • ووثقت عشثاروت الالهة الحب الاسيوية اسمى

منزلة بين الالهات حتى 'جعلت إلهة بابل العظمى'.
ثم اجتازت الى سواحل البحر المتوسط وصارت
افروديت اليونان

وكان في إداد المنافع التي انعمت بها الآلهة على
بعض الناس في ذلك الزمان البعيد ، المتسدررة على
الانبياء بالمستقبل اي العرافة . ودُعي الذين مارسوا
العِرافة عِرافين . كان مَهْرَتهم يدعون انهم يفسرون
العلامات السرية التي على كبد الشاة (ش ٦٦) المعدّة
للمحرقة . وكان الذين يأتون اليهم لكي يستعلموهم
اسباب ما دهاهم من الهم ومناهم بالقلق ، يوقنون بانهم
قادرون على هتك ستار المستقبل ومعرفة ما خبأته
لهم الاقدار . وكان اولئك العرافون يرصدون
النجوم الثابتة والسيارة معتقدين انهم بذلك يدركون
قضاء الآلهة من جهة المستقبل . والظاهر ان اعمال
العِرافة اتصلت الى الغرب بدليل ان قراءة العلامات
السرية على كبد الشاة كانت شائعة في رومية
(ش ١٨٣) . وتطوّرت العِرافة تدريجياً مع كروور
الايام حتى صارت علماً قائماً بذاته عرف بعلم التنجيم
وهو ابو علم الهيئة الحديث . واقتبس اليونان علم
التنجيم ومارسوه آماداً طويلاً وبقيت فيهم بقية منه
حتى زماننا الحاضر

ورأى البابليون ان المدارس ضرورية لتربية
الشعب واعداد الشبان لتولي امر الكتابة في المجال
التجارية الكبرى . وكانت مدارسهم في الغالب ضمن
الهيكل او متصلة بها . وقد وجد الاثريون آثار مدرسة في اطلال بابل ، منذ عهد حمورابي
(ش ٦٧) ومن تلك الآثار الواح الاجر التي كان الطلبة ، من الجنسين ، يكتبون
عليها الفروض المدرسية منذ اربعة الاف سنة فتد وجدت مطروحة على ارض المدرسة .
ومنها علم كيف كان الولد في ذلك العصر البعيد يعانى المشقة في حفظ ثلاث او اربع



الشكل ٦٧ بناء مدرسة قديمة في
بابل منذ عهد حمورابي (نحو ٢١٠٠ ق.م.)
(عن شيل)

برى اعلاء رسم هندسة المدرسة التي
مساحتها ١٦ متراً مربعاً . كان الاولاد
يدخلون من الباب (١) ويمضون الى الغرفة
(ب) حيث كان يجلس البواب الذي ربما
كان يقيد على اجرة ابناء التلاميذ الذين
كانوا يأتون متأخرين عن الوقت . وبعد
ذلك كان الاولاد يدخلون الدارج (ج) التي
لم تكن مسفوفة ويرجع انهم هنا كانوا يترقون
فالكبار منهم ، صبيان وبنات ، كانوا يذهبون
الى غرفهم والصغار كانوا يذهبون الى غرف
أخرى . وكان في زاوية من زوايا المدرسة ،
والارجح في احدى زوايا الدارج ، كومة او
صندوق من الطين الطري يأخذ منه
التلاميذ كتلاً مستديرة طرية ، كلما ملأوا
النخاع الطين (ف ٢٠) التي بين ايديهم
بالعلامات الاسفينية ، وبنظفونها ثم يكتبون
عليها . ولا تزال جدران هذه البناية ماثلة
حتى الآن بعلو نحو مترين

(١٩٨) طرق
البابليون قراءه
صفحات المستقبل

(١٩٩) التلميذ
مدرسة في بابل

مئة علامة رمزية وكتابتها حال كون التلميذ عندنا لا يضطر أن يتعلم أكثر من ثمانية وعشرين حرفاً

وكان الدفتر الذي يكتب فيه التلميذ قارئه المدرسية اجرة ملساء يستطيع ان يحجر ما يكون قد كتبه عليها بمسح وجهاً بشحنة او شطية من حجر او خشب . وكان قلمه قصة مبرية يرم بها على الاجرة صفوفاً من الاسافين بعضها افقي وبعضها عمودي والبعض الآخر مائل (ف ١٥٤) ولكن كل منها مستقل عن الآخر ، لا اتصال بينها . وبعد ان يحذق التلميذ رسم الاسافين مفردة كان معلمه ينقله الى عمل ارقى وهو تركيب الاسافين المفردة معاً بحيث تتألف منها العلامات الرمزية عندهم ومتى ماهر في ذلك يكون قد بلغ نهاية التهذيب وصار قادراً ان يكتب كلمات كاملة ويؤلف جملاً بسيطة ثم جملاً مركبة وينقل اقتباسات من مکتوبات قديمة . وقد وجد الاثريون اجرة في انقاض احدى المدارس مكتوباً عليها مثل من امثالهم يبين منه ان البابايين كانوا يقدرون الكتابة حق قدرها . اما المثل فهو هذا : « من يتفوق في الكتابة على الاجر يتألق كالشمس » . ومما لا ريب فيه ان كثيرين من شبان بابل دبت في صدورهم النخوة وهم ينسخون هذا المثل الذي اثار في نفوسهم الحماسة حتى لم يشعروا بمض شمة الكتابة

(٣٠٠٦) التهذيب
وهي الكتابة

لم تُبقر لنا عوامل الطبيعة ولم تذر الا القليل من آثار الصناعة التي تدل على رقي سكان بابل لان ايدي الدمار والبي عبثت بها ففتت كل ما شيده حمورابي في مدينته من المباني السامقة والقصور الشاهقة تحليداً لذكره على تماقب العصور وتراخي الحقب . الا انه بقي في طاول المدن الاخرى آثار تدل باجلى بيان على ان اسية الغربية لم تكن تعول على الاروقة ذات العُمد في مبانيها مع انها كانت شائعة الاستعمال في مصر (ش ٣٨) اما القناطر في مقدم الابنية فقد احرزت مركزاً خطيراً في هندسة البناء ثم شاع استعمالها بعد ذلك في الغرب حتى اتصل الى اوربا (ش ٢٠٢) واما الاستنباط الخصوصي في فن البناء الذي يُعزى الى اهل بابل القدماء فهو برج الهيكل الذي سبق الالاع اليه (ش ٧٤) . ولم يعثر الاثريون على مثال باقر من هياكل بابل لاسباب لا تخفى على القاري . اللبيب (١)

(٣٠١٦) آثار
الصناعة الباقية من
عهد حمورابي قليلة
نادرة

(١) ان الصور المألوفة المرسومة في كتب التاريخ المتداولة بين ايدينا التي تمثل لنا صوراً لما كل اليابانية كاملة هي من صور الخيال وموالم الخدس . فان بعثة المانية نعت عن هياكل بابل الحديثة (بابل ملكة الكلدان) ورسمت بالرسم فقط ما وجدته منها بصورتها الكاملة

والظاهر من قرائن الاحوال ان الناس في عهد حمورابي لم يارسوا صناعة التصوير بالالوان . والصورة التي نحت ليظهر فيها حمورابي وهو يتناول الشريعة من الاله الشمس ، (ش ٦٥) وان كان يتجلى فيها شي من الجلال والمهابة ، فقد سُتر فيها الشكل الانساني بشباب الصوف الثقيلة حتى لم يستطع النحات ان يرسم جمال الهيئة البشرية (ش ٦٢) . ولم يقدر المصورون ان يميزوا في تصويرهم بين هيئة شخص وآخر . فكان عندهم جميع الناس سواء . وكانت صناعة الختم المعودة افضل صنائع البابليين قد تأخرت تأخراً يئساً عما كانت عليه في عصر سرجون (ش ٨٧٦) . فعصر حمورابي وان كان زمن تقدم ونجاح في التجارة فقد كان عصر تقهقر وانحطاط في الصنائع والفنون

وربما كان تقهقر الصناعة نبوءة عما كان مزماً ان يقع . لان الامة البابلية التي كان حمورابي قد نظم شؤونها وسيرها في منهاج التقدم والفلاح ، ماتت بموته . فان حشيى اسية الصغرى شرعوا بعد ذلك بامدٍ يسير في توسيع نطاق سلطانهم في الجهة الجنوبية فاجتاحوا سهل شنعار واطلقوا ايديهم في بابل نفسها سلباً ونهباً . ليس ذلك فقط بل الجليليون الذين كان حمورابي قد طردهم من المدن السومرية (ف ١٨٢) انقضوا على سهل بابل كما انقضَّ عليه السومريون من قبل . وكان هولاء الدخلاء المعتدون من غير الجنس السامي ولقبوا بالكاشيين . وهم الذين جلبوا معهم الى بابل الفرس الذي لم يكن له اسم في اللسان البابلي فدعي بجيوان الجبال . وهكذا ظهر الفرس لأول مرة بين شعب متمدن منذ اربعة آلاف سنة ومثل فصلاً مهماً على مسرح الحرب والصناعة^(١) . وفي اثناء القتال الذي استمر امداً طويلاً بين ابنا البادية وابنا الجبال هلك نسل حمورابي فكان الفوز في العراك لمربي الخيل (في القرن العشرين ق م) . وكان حكم هولاء الدخلاء موصوفاً بالحشونة حتى كاد يكون بربرياً . وكان فوزهم منتهى الشوط الذي جراه البابليون في مضمار المدنية . فان بابل صارت بعد ذلك الى حال من الجمود اشبه بالموت . ولم تبدُ عليها علامة تدل على وجود الحياة حتى جاءها الكلدان فايقظوها من سباتها الطويل واعادوها الى الحياة والعمل

اذا اعدنا النظر في الفصل الاول من رواية العمران فيما بين الرافدين راينا انه دام نحو التي سنة بدايتها قبل سنة ٣٠٠٠ ق م . بجبل او جيلان . ومؤسسو هذا العمران هم الجبليون

(١) ان هولاء الجبليين الذين لقبهم البابليون بالكاشيين لم يدجنوا هم انفسهم الفرس الذي اتوا به الى بابل اولاً بل اخذوا بطريق الاتجار من الشمال او من اسية الصغرى من قبائل اوربية هندية (ف ٢٥٥) كانت قد اذنت منذ عهد بعيد . واما سباق المركبات الذي يدل على وجود الفرس في اوربا الغربية قبل زمن التاريخ فيرجح انه كان بعد ظهوره في اسية بزمن قصير . وقد مر معنا ان اول ظهور الفرس في مصر كان نحو ١٧٠٠ ق م (ف ١١٢) وذلك بعد ظهوره في بابل باربعمئة سنة

(٢٠٢) الثانية قو
زمن حمورابي

(٢٠٣) ظهور
الفرس الداخ
لاول مرة في
التاريخ (٢١٠٠)
ق م . متوسطاً سرغ
حمورابي

(٢٠٤) خلاصة ما
تقدم

السومريون، قبل شروعهم في الحرب التي دامت الف سنة مع الساميين. ومعا كان بين الفريقين من التازج والاتحاد فقد ظفر الساميون مرتين بقيادة اثنين من زعمائهم العظام سرجون (٢٧٥٠ ق م) وحمورابي (٢١٠٠ ق م) فافل نجم سعد السومريين وصارت لغة بابل سامية. ويُعدُّ ملك حمورابي مع كل ما كانت عليه الصنائع والفنون من الضعف والانحطاط - عصرًا بلغت فيه بابل اوج عزها وقمة مجدها وهو خاتمة الفصل الاول العظيم من تاريخ ما بين النهرين. اما الفصل الثاني منه فيتعلق بوادي النهر الاعلى كما في تاريخ مصر

اسئلة

١٣

صف الهلال المخصب. كيف نُجمل تاريخه؟ اشرح علاقته بالبادية. من كان سكان البادية؟ صف حياتهم. الى اي اراض انتقلوا عند الطرف الغربي للهلال المخصب؟ وعند الطرف الشرقي؟ اي نهرين يقطعان النصف الشرقي من الهلال؟ صف السهل الذي كونه

١٤

من هم سكان سهل شتعار الاولون؟ صف حياتهم. صف مواد الكتابة التي كانت لديهم واسابوب كتابتهم. لخص تمدنهم. صف مبانيهم ومدنهم. ماذا تشبه تلك المدن اليوم؟ ماذا نجد فيها؟ هل كان السومريون متحدين امة واحدة؟ اي تقدم كانوا قد بلغوه في الحرب

١٥

اي الشعوب تغلب على السومريين؟ من كان اول ملك سامي عظيم؟ ماذا تعلم الاكديون من السومريين؟ ماذا عمل الاكديون في الصناعة والفنون؟ صف اختلاط الاكديين والسومريين

١٦

أية أمة نتجت من اختلاط السومريين والاكديين؟ كم دامت؟ صف آداب لغتها •
 ماذا جرى للغة السومرية؟

١٧

من كان الاموريون وعلى أية مدينة في السهل استولوا؟ من كان اعظم ملوكهم؟
 صف ملكه وما ورد في رسائله • اذكر ما تم على يده من تنقيح وتنظيم شرائع بابل •
 اشرح التجارة البابلية • ماذا حملت الى الشعوب المقيمة على طول الجهة الغربية من الهلال
 المخصب؟ صف العرافة والتعليم والمبادئ • كما كانت عند اهل بابل • ماذا حدث وقت
 موت حمورابي؟ كم كانت مدة الفصل الاوّل للعمران على الرافدين

الفصل الخامس

الاشوريون والكلدانيون

١٨

اشور القديمة ومناظراتها

اننا ننتقل بالفصل الثاني من تاريخ ما بين النهرين من بلاد بابل الى الانجاد التي تشرف من الشرق على دجلة ومن الغرب والجنوب على البادية . انجاد خصتها الطبيعة بمناعة منقطعة النظير ، فلا مثل لها في ارض شنعار . كان اسم هذه البقعة اولاً اشور (خريطة ٣) ثم أطلق الاسم على البلاد بأسرها تسمية للكل باسم البعض المهم

(٢٠٥) اشور
العاصمة الاولى
وموقعها

وكانت المنطقة المجاورة لاشور انجاداً اطيب هواء من سهول بابل ذات اودية مريعة تتسع صعداً نحو الجبال الشمالية الشرقية حيث كانت المدن مناظراتها . وكان في حضيض تلك الجبال رخام وحجارة كاسية وصخور أخرى اقصى منها فالفرق - من هذا القبيل - عظيم بين اشور وبابل التي لم يستطع اهلها ان يشيدوا مبانيهم الا بالطوب المجفف في الشمس خلاو ارضهم من الحجارة . وكانت الاودية المذكورة آنفاً مزدانة بالمراعي الخضرة وحقول الحنطة والشعير التي كانت تتأوج بنسيمات الهوا . وكان الناظر الى تلك المراعي يشاهد اصورة البقر وقطعان الغنم والمزى سائمة فيها . وكان عند الاشوريين الحيوان الذي صوتهُ انكر الاصوات (الحمار) . كانوا يقتنونهُ لجر الاتقال خصوصاً واما الفرس فلم يكن معروفاً عندهم وكذلك لم يكن معروفاً في بابل اصلاً (ف ١٥٢) . وكان لاهل البلاد ولعٌ بالزراعة

(٢٠٦) هبل
وخرقة بوصاصل
بلاد اشور

فنجسوا فيها نجاحاً باهراً . واما التجارة فقلّ فيهم من مال اليها . وفي هذا كان معظم التباين ما بين بابل واشور

وفي السنة

٣٠٠٠ ق.م.

كانت احدى

القبائل الرّحل

السامية قد

احتلت اشور

قادمة من

البادية (الخليج

المقفر) كما

احتل انسابوهم

الاكديون ، في

الوقت نفسه ،

سهل شعار .

وكقوم ساميين

كانوا يتكلمون

لهجة شبيهة

ب لهجة سامي

بابل لا تختلف

عنها اكثر .

تختلف اللهجات

الامانية بعضها

عن بعض .



الشكل ٦٨ نُرِينَا مَذَه الصورة ملكاً اشورياً ياجم مدينة محصنة
(القرن التاسع ق.م)

كان الاشوريون قبل قيام ملكهم بقرن من الزمان قد اعتدوا عدواً وتأصلوا لدمير اسوار المدن . فالمدينة التي الى اليمين في الصورة محصنة باسوار من الطوب الخفيف بالشمس كالاسوار التي تسمى في الشكل ٦٩ . والرماة الذين كانوا يندفعون عن المدينة من أعلى السور اجتهدوا ان يدفعوا الخنبيق المثل القائم على ستة دواليب الذي أتى به لدمير السور . وقد كان الخنبيق في تلك الايام يقوم مقام الدبابات اليوم فكان على مقدمه درع متينة من المعدن وعلى قنطرة برج ارتفاعه بقدر ارتفاع سور المدينة عليه طلائفة من مهرة الرماة الاشوريين يرمون الحامية التي على السور واحداً فواحداً . وكان ضمن الخنبيق جماعة من الرجال يدبرون حركة الجسر الذي فيو . وكان راس الجسر مصفحاً بالمعدن . ويرى في الشكل قائماً ثغرة في السور وكان هنالك ايضاً برج كشاف ذو قبة مغطاة بالمعدن صيانة للضابط الذي يدبر حركة الالة ، وكوى للمراقبة والكشف . وفي مؤخر الصورة يرى ملك اشور يرمي السهام على مدينة الاعداء ويبدو قوس متينة من صنع مصر يمكن الرامي عنها ان يرمي سامة بقوة عظيمة عن بُعد ٢٠٠ الى ٤٥٠ متراً وبذلك يكون بعيداً عن موقف الخطر . فهذا المشهد المحفور على بلاطة رخام هو نموذج للنفوس الدائمة الباقية من اقدم العصور الاشورية التي قاوت العوامل الطبيعية (ف ٢١٦) . وبقى الى زماننا الحاضر . والغريب ان علو صور الرجال فيو كملوا اسوار المدينة فكانت ليس هبل رسام بل هبل اولاد

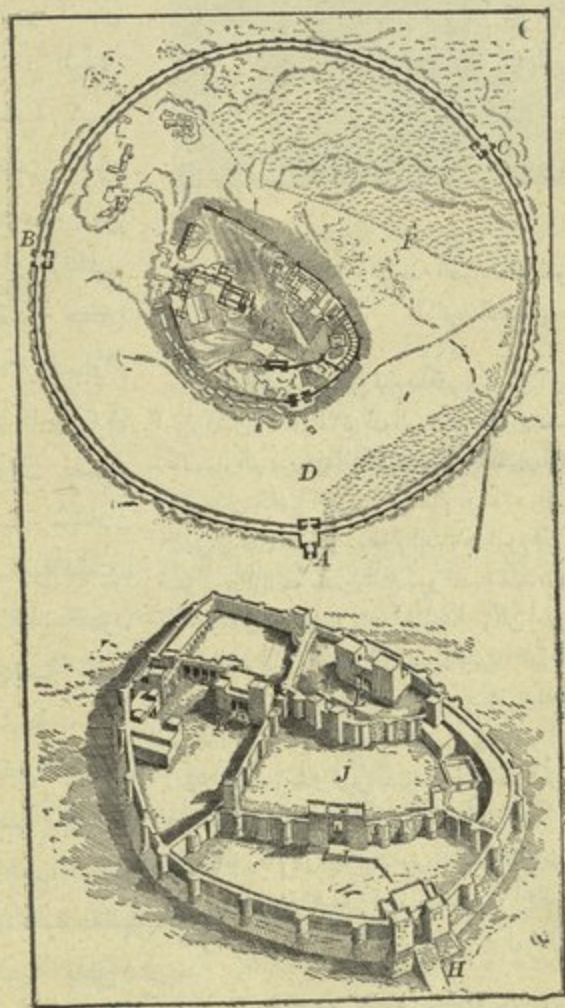
وأسسوا مملكة صغيرة مرّفة من مدينة اشور وارباضها على نسق تألفت المدن السومرية في الجنوب (ف ١٦٨) . ولا ريب انهم كانوا على تمام الاتصال بالمدن السومرية التي اخذوا عنها صناعاتي النقش والكتابة (ش ٥٧) والتقويم السنوي (الروزنامة) (ف ١٥٦) ومعظم اسباب الراحة وهناء المعيشة التي توافرت في المدن السومرية . وربما كان بعض السومريين في

(٢٠٧) تاسيس
اشور (٣٠٠٠ ق.م)
تحت تأثير العوامل
السومرية

عداد من استوطنوا المدينة ايام سكانها الاولين

من المعلوم ان الاشوريين اقتبسوا مدنتهم الاولى من الجنوب الا انها لم تبقى جنوبية صرفة بل مازجها شي من مدنات الشمال والغرب ايضاً . فكان في اسية الصغرى الشعب الحثي المعادي الذي كان يطمح الى التوسع شرقاً نحو الرافدين . وقد تمكن الحثيون غير

(٢٠٨) اشور تايمه
لبابل والحثيين على
الغنائب . بسط
اشور لأول مرة
شمالاً وجنوباً



كان عرض المدينة نصف ميل يحيط بها سوران مبنيان بالسين على اساس حجر متين وكان على السور مئة برج لتعزيزه بين الواحد والذي يليه مسافة خمسين قدماً وكانت قلعة ملوك سامال مبنية على رابية في الوسط (G) وبيوت الاهلين تشغل الساحة التي بين الاسوار والقلعة وقد عثت آثارها لانها كانت مبنية بالطوب اما القلعة فلانزال جدرانها مائلة حتى الآن . ويرى ترميمها عند الاحرف H . I . J . K . L . هذه في القلعة الموسومة بالحرف Y في رسم المدينة اعلاه جدرانها من الطوب واسهامن الصخر متمعة القاعدة . وكانت مدينة سامال الواقعة في الجزء الشمالي من سورية في منتصف المسافة بين البحر المتوسط والفرات (خريطة ٢٤) تحت تأثير عوامل حثية من اسية الصغرى (ف ٢٦٠) . وعوامل مصرية من وادي النيل . فكانت اروقة القصور حثية المندسة مصرية الاعمدة K . L . (اي ان ترتيب الاعمدة مأخوذ عن هندسة البناء المصري) . وكانت النقوش الحثية النانة

الشكل ٦٩ مدينة سامال الانزامية

احدى مناظرات اشور في الغرب

(ش ١١٤) زينة تلك الاعمدة . وقد اقتبس الاشوريون جميع روائع فن البناء الغربي (ش ٧٥)

مرة من بسط نفوذهم وسلطانهم على اشور ولكنهم كانوا يُرجعون على اعقابهم بقيام ملوك ذوي بأس وشدة كسرجون وحمورابي واضرابها. وكان للساميين مراكز حربية فرعية في الجبال الشمالية. وكانت قاعدة اعمالهم الحربية رارا أليك التي كانت لها علاقات متينة مع بابل وشرر. ومع ان النفوذ السامي في الشمال كان عظيماً قبل قيام الحثيين، فإنه بعد زحفهم من اسية الصغرى تفلّص ظله. ولم يكن الساميون في وقت من الاوقات ذوي حول وطول. ولذلك لم يكن في طوقهم صد الحثيين عن زحفهم شرقاً وجنوباً. فانقذت نار الرغى بينهم وبين اشور من اول الامر واضطراً الاشوريون بعد موت سرجون ان يسودوا عن حدود بلادهم خائضين غار حرب عوان دامت الفاً وخمس مئة سنة لصد جيرانهم المتاوتين لهم في الشمال والجنوب. وبعد التدرب في الحروب بمقاتلة الاعداء امداً طويلاً، صاروا اشداء ذوي بأس. وفي غضون هذا الامد الطويل ادخلوا الى بلادهم الفرس (ف ٢٠٣) واطافوا الى جيشهم المركبات. وبعد ذلك شرع ملوك اشور في التبسط والتوسع غرباً فصادموا شعباً آخر كانت بينه وبين الجنس الهندي الاوربي الشمالي صلة نسب. ودُعيت بلاد هذا الشعب باسم ميتاني. وكان يعبد الالهة التي عبدها بعد ذلك اباطال الآريين الذين فتحوا الهند. وكانت ميتاني في القرن الخامس عشر والرابع عشر دولة على جانب من القوة والسوؤد. فعبرت الفرات واكسحت اشور وآبت منها بالاسلاب والغنائم. ولكن ضعف شأنها بعد ذلك لتواتر الغارات عليها من جيرانها ولا سيما الحثيون فخرت ما كان قد تبثت لها من القوة غب ترالها مع الاشوريين. وكان لهؤلاء علاقات سياسية مع مصر وبادلوا ملوكها الهدايا. وبما ان المصريين في سورية والاشوريين في ما بين النهرين كانوا يعتدون على حدود البلاد التي يدعيا الحثيون، فكان الفريق الواحد منها طبعاً يتوقع مناصرة الفريق الآخر له الا ان ذلك كان الى حين. فإنه في سنة ١٣٠٠ ق م. قطع الاشوريون الفرات وانقضوا على الحثيين انقضاض الصواعق واجلوهم عن بلاد النهر العظيم. ولكن الحثيين اتحدوا مع المصريين ليدروا عنهم خطر الاشوريين. واخذ الاشوريون في الوقت نفسه يزحفون على بابل متبعين مجرى دجلة، فاستولوا عليها. وكانت لا تزال حتى هذا العهد تحت سيطرة الكاشيين الشرقيين الذين كانوا لا يزالون في طور البربرية. وهؤلاء هم الذين كانوا قبلاً قد ادخلوا الفرس الى البلاد

(٢٠٤) مناظر
اشور الفريون.
السينقيوت
والعبرانيوت
والاراموت

وكانت اشور لا تزال دولة برية كروسيا الحديثة ولا تأمل ان تستولي على اسية الغربية قبل ان تتصل ببحر الروم. وكان بينها وبين البحر مدن شمال سورية المنيعه ككركيش (جرابلس الحديثة) وحلب. وبما انه كان بين سكان هاتين المدينتين عدد

كبير من الحثيين، كان لا بدّ للاشوريين من الاستيلاء عليها قبل ان يستتب لهم بلوغ الساحل البحري. وكان في اواسط سورية مملكة امورو الموالية للحثيين والفاصلة بينهم وبين المصريين. وقام على سواحل البحر المتوسط خصوم جدد تصدّوا للاشوريين في اثناء زحفهم نحو الغرب. وكان على السواحل، المدن الفينيقية الزاهرة بتجارتهما البحرية (ف ١٤٧). وما كان سكانها الفينيقيون الا نسل الساميين سكان البادية سابقاً. بنوا مدنهم على الساحل وكانت كل مدينة منها قائمة بذاتها. واول مدينة منها ورد ذكرها في التاريخ هي جبيل (جبلتة قبلاً). وفي القرن الرابع عشر شرعت صور في وضع اساس سيادتها المستقبلية على فينيقية الا ان هذه السيادة لم ينجح عنها تأسيس مملكة فينيقية لان موقع البلاد بين البحر وجبال لبنان جعلها طويلة ضيقة حتى لم يكن اتحادها السياسي ممكناً. زد على ذلك ان جبال لبنان في ذلك العهد كانت مكسوة بالغابات الغضة التي كانت مأوى للوحوش ومكاناً للصوص. ومواقع المدن الفينيقية على ساحل البحر - ولا سيما صور وارواد اللتان بنيتا على جزيرتين - جعلتها في موقف حريز يمكنها من صد اية قوة هاجمتها كاشور مثلاً التي لم يكن لها اقل سيادة على البحر. ولذلك كانت المدن الفينيقية هذه من اشد اعداء ملوك

اشور. وفي هذه الاثناء طغت موجة كبيرة من مهاجري البادية الساميين (ف ١٤١) الذين حاولوا سنة ١٤٠٠ ق م ان يستولوا على السواحل الغربية اي على فلسطين وسورية كما فعل الاشوريون قبل ذلك باشور. وما كان هؤلاء التوم الوحل الغربيون الا العبرانيين في فلسطين والاراميين الى الشمال منهم. وكثيراً ما يُسمون في الكتابات الاثرية سوريين محتلين سورية. ولم يلبثوا ان استولوا على الطرف

الغربي من الهلال المخصب برمتة ففصلوا بذلك بين اشور والبحر. وبعد سنة ١٢٠٠ ق م. اسس الاراميون في الغرب عدّة ممالك زاهرة بنوا فيها مدناً فاخرة لملوكهم وقصوراً باذخة



الشكل ٧٠ عيار ارامي وُجد في اشور

هذا العيار من البرنز مسبوك بشكل اسد وله مقبض والكتابة التي ترس على حافة قاعدته ارامية. وقد وُجد خمس عشرة قطعة من هذه العيارات في مكان واحد مما يدل على اتناب التجار الاراميين لاسواق اشور (ف ٢٠٠)

قرشوها بانفس الاثالث (ش ٧١) ولا يسدع في ذلك فانهم كانوا تحت تأثير مدينة الحثيين من الجهة الواحدة ومدينة المصريين من الجهة الاخرى. وكانت دمشق اعز ممالك الاراميين

جانباً مع انه قام في شمال سورية بعد سقوط دولة الحثيين ممالك أخرى غيرها ذات حول وطول كجهاه وسواها

(٣١٠) اصراع
نطاق تجساره
الاراميين

وكان التجار الاراميون على جانب عظيم من النشاط فوسعوا نطاق تجارتهم الى ما وراء حدود ممالكهم فبلغت قوافلهم حدود البادية وامتدت تجارتهم شمالاً حتى بلغت الى منابع دجلة • وقبضوا على زمام تجارة اسية الصغرى • ويدلنا وجود الاوزان النحاسية في اطلال نينوى (شكل ٧٠) على انهم كانوا يَعشرون الاسواق الاشورية ايضاً • فكانوا في تلك الازمان المترامية في القدم كابناء عمهم اليهود في الممالك المتمدنة اليوم ، زعماء التجارة وان كانوا لم يتنظمو امة واحدة

(٣١١) الاراميون
البحار ونشره وفد
البحار الاول في
اسية



الشكل ٧١ ملك سامال الارامي وكاتبه امامه
مسكا ادوات مصرية للكفاية (القرن الثامن ق م)
يرى الملك جالساً الى اليسار على عرش ابيق محفور
من الابنوس والعاج والذهب وله موطنه للقدمين من
صنعة العرش نفسها ويرى كاتبه امامه حاملاً تحت ابطيه
الابسر شيقاً يشبه كتاباً ولكن الكتب المجلدة لم تكن
معروفة بعد . وفي يده اليسرى عابرة مصرية للكفاية
تحتوي على القلم والحبر (ش ٧٢) وهذا الضرب من النقش
الناقش الرقيق الذي رسم فيه هذا المشهد كله مصري الاصل
ومن سامال وامثالها في سورية الى اشور حمير
حصن كبيراً (ش ٧٧)

وبلغ الاراميون درجة عالية من المدنية
فكانوا في سنة ١٠٠٠ ق م • يستعمون
في كتاباتهم الحروف الهجائية التي اخذوها
عن الفينيقيين • وهو اقدم اسلوب للكتابة
معروف استعملت فيه الحروف الهجائية
وحدها (ش ١٢٣) • واخذوا عن المصريين
القلم والحبر اللذين لا يستغنى عنها مطلقاً
في الكتابة بحروف الهجاء (ش ٧١) وكما
حملت قوافل البابليين في الازمنة الاولى قطع
الاجر المكتوبة بالخط المساري الى اطراف
اسية الغربية كذلك حملت اليها القوافل
الارامية قوائم حسابات التجار وسنداتهم
المكتوبة بالحروف الهجائية خللت الحروف
الهجائية الارامية الفينيقية محل العلامات
المسارية • وانتشرت في جميع أنحاء اسية
الغربية ثم جاوزت الفرات الى بلاد فارس
واواسط اسية حتى بلغت اخيراً الى الهند
وصارت بعد زمان حروف هجاء للشعوب
الشرقية ايضاً

وحيثما سار التجار الاراميون كانت لغتهم بالطبع آسير معهم • فلم يرد عليها زمن طويل

حتى شاع استعمالها تدريجياً على تخوم البادية . واصبح عدد المتكلمين بها في بلاد اشور نفسها يُربي على المتكلمين بالاشورية . وكلها وصلت الى يد تاجر ارامي اجرة مكتوبة بالاشورية كان يتناول

٢١٢٦ اللغة
الاشورية واللغة
الارامية قديمتان
جديتا لجنس في
التجارة والحكومة



الشكل ٧٢ كاتب اشوري وكاتب ارامي يفيدان الاسلاب المنقوشة من مدينة اسيوية اخذت عنقوة (القرن الثامن ق.م)

تري هنا النماء المسيبات والازداد في مركبات تجرها الثيران ووجهة المجمع اشور، دار عبودتهم . ويرى راع يسوق القطعان المنقوشة . والى اليسار ضابط اشوري يقرأ في لوحة ما قبده من الغنائم التي تهبت من المدينة وكانان بدوّنات ما يفراه . الاكل منها (الى الامام) مسك بيسراه اجرة سمكة وقد رفع عنها قلمه الذي كان يمهناه ريشا يستريح . والآخر باسط على يسراه لفة من ورق البردي يكتب عليها بقلم قابض عليه يمينه . وهو ارامي (ف ٢١١) ويكتب باللغة الارامية بقلم وجر . فترى هنا طريقة في الكتابة المختلفتين اللتين كانتا مستعملتين في اسية الغربية - الكتابة على الاجر التي اخذت تبطل والكتابة على الورق بالمحبر والقلم التي اخذت تقوم مقامها

قلمه ويعلق
عليها بالارامية
ما شاء تعليقه .
وقد وجد في
اطلال المباني
الاشورية كثير
من قطع
الاجر التي
علقت عليها
حشاش .
بالارامية .

وبعد مدة من
الزمان اجمع
الراي العام على
ان تدار
الاشغال
العمومية
باللغتين
الاشورية
والارامية .

هذا في الشؤون العمومية . واما في الحكومة فاذا كان الكاتب اراميا فبالطبع كان يدون المحاضر بقلم الحبر على ماف البردي . واذا كان اشورياً كان يكتب على الاجر بقلم قصب كالرأس (ش ٧٢)

واصبحت اللغة الارامية لغة الهلال المخصب برمته . حتى انها حلت محل شقيقتها العبرانية الفلسطينية . وهكذا صار هذا اللسان التجاري الارامي بعد ذلك بقرون عديدة اللغة التي

٢١٢٧ لغت
اللغة الارامية في
ارض الهلال المخصب

تكلم بها المسيح ومن عاصره من العبرانيين في فلسطين (ش ٩٨) . واخيراً قام في قديم
ببادية الشام دولة تجارية ارامية تحت سلطة زنبوبيا لمساواة الامبراطرة الرومانيين . وخلفت
المدنية الارامية آثاراً خالدة في جميع الاماكن الشاسعة التي انتشرت فيها - آثاراً ابقى من التي
غادرتها دولة اشور الحربية ذات السؤدد والجبروت كما سنرى فيما بعد . ولكن لسوء الحظ
لم تعمل بعد ماول الاثريين في تلال سورية التي كانت المدن الارامية مبنية عليها ، الا في
تل واحد منها ، ولذلك ليس لدينا الا القليل من آثارهم الدالة عليهم

(٢١٤) آشور
ومدن فينيقية

حاول الاشوريون ان يوسعوا نطاق نفوذهم في شمال سورية ولكنهم باؤوا بالخيبة
والفشل . وفي منتصف القرن التاسع ق م . كانوا قد بسطوا رواق سلطتهم على الممالك
الارامية لانها ادنى اليهم من سراها . ثم اخذوا في الزحف الى ما وراء الفرات ووجهتهم
السواحل . ولما رأت المدن السورية والفينيقية انها مهددة بالفتح عنوة اذا هي ابت التسليم
وتأدية الجزية ، سلمت وأدتها صاغرة دفعا لهول الفظائع التي تنجم عن الفتح عنوة . وفي
سنة ٨٧٠ ق م . بلغ اشور ناصر بعل ساحل البحر المتوسط - وهو ثاني ملك اشوري رأى
البحر - فقدمت له بعض المدن الساحلية هدايا . ونجد لأول مرة في عداد المدن المهدية ،
اسماء ثلاث مدن هي محلات وميسة وكايسة التي ستذكر من الآن فصاعداً معاً . وفي
الازمنة اليونانية المتأخرة ، اتحدت هذه المدن الثلاث وأطلق عليها اسم طرابلس . ومعناه
باليوناني المدينة المثلثة . ولكن لما جاءها بعد ذلك بعشرين سنة ملك اشوري آخر انضوت
المدن السورية ومدينة ارواد الفينيقية بعضها الى بعض تحت قيادة حماء الارامية وتصدت له
وقاومته مقاومة عنيفة جداً ووقفته عن الزحف الى الامام وبذلك نجت من الوقوع مغناً بارداً
لقوة اجنبية مدة مئة سنة أخرى - حتى منتصف القرن الثامن ق م .

(٢١٥) دمشق
الارامية وطناوها .
السامون يمدون
اشور عن التقدم
غرباً

ولما كان ملوك دمشق الاراميون من ذوي الثروات الطائلة المكتسبة بطريق التجارة
استطاعوا ان يحافظوا امداً طويلاً على جعل قاعدة ملكهم في امنع درجة من التحصين وان
يصدوا الاشوريين عن التقدم الى سواحل البحر المتوسط . ومن اجل البيئات على ما كانوا
عليه من القوة والسلطان حمايتهم للمملكة اليهودية الصغيرة الضعيفة زمناً طويلاً من هجوم
الاشوريين عليها . وحوالي سنة ١١٠٠ ق م . حاولت مملكة اشور ، في ملك تغلث
فلاسر الأول ، ان تبسط سلطتها على شمال سورية فزحفت جنودها غرباً ونظرت البحر
المتوسط من ارواد الواقعة على الحد الشمالي لفينيقية . اما الملك فلم يكف بمجرد النظر
بل ركب زورقاً فينيقياً وجرب سمر البحر . واهدى اليه ملك مصر تسامحاً تودداً اليه وترأفاً



الشكل ٧٣ رمز الاله اشور
فوق صورة اشورية تمثل شجرة الحياة
البابلية القديمة

يرى في اعلى الرمز قرص الشمس
المصري المجمع وهو رمز الاله اشور بالاله
الشمس عند الاشوريين . يرسم في
الرسم برمي سهامه القاتلة ويحمل الرمز
الجذيل لشجرة الحياة التي نشأت اولاً في
بابل (ف ١٦١). اما سيف الفحل الذي
كان يأتي به العابد البابلي في جزء الماء
فصار يتفنن المصورين شجرة نخيل للزينة
نرى هنا قائمة في الوسط كمبود تاجه
اوراقها المنشرة من النبة ويحيط بالشجرة
" كشكش " له طاقات من اوراق
الفحل كالتي على راس الشجرة . وبهذا
الشكل استعملت هذه الشجرة بعد ذلك
عند اليونانيين

من رضاه . وهذه هي اول مرة شاهد فيها ملك اشوري
« البحر العظيم » ومرة ثلاثه قرون قبل ان أعيدت هذه
الزيارة . وما كانت الحملة على سورية الا غزوة بسيطة
لان الاراميين هددوا تغلث فلاسر يقطع خط الرجعة
عليه . وما تبقي من ملك هذا الملك أنفق معظمه في
مقاتلة الاراميين القادمين جديداً من البادية لانهم شرعوا
يغشون اراضي الهلال المخصب . وظل ملوك اشور ثلاث
مئة وخمسين سنة او تزيد عاجزين عن ان يفتحوها هذه
المنطقة الغربية ويسطوا نفوذهم عليها بسبب مقاومة
ملك ارام وفينيقية واليهودية لهم . وكانت عاقبة هذه
المقاومة انهم حصروا الجنود الاشورية وراء حدود بلادهم
حتى القرن الثامن ق م

ولنلق الآن نظرة الى الوراثة لكسكي نزي الشوط
الذي قطعته البلاد في مضار الحضارة مدة التي سنة كانت
في غضوننا تسمى على سنة الشو . والارتقاء وذلك منذ
اخذت الكتابة المسمارية عن السومريين (ف ٢٠٧) وكانت
اشور قريبة من البلدان التي الى الشمال والغرب منها قريباً
يمكنها ان تتأثر بالعوامل الآتية منها ولا سيما بلاد الحثيين
(ف ٣٦٣) الذين أخذت عنهم اشياء كثيرة تتعاق بالدين
والصناعة . وكانت كلما اخذت شيئاً عن غيرها مما ترى فيه
نفعاً للوطن اقبلت عليه ووجهت عنايتها اليه فتحن في
وترقيه حتى تغادره احسن مما كان حين تسلمته من الغير .
اخذت عن بابل رموزها المسمارية واسارتها الكتابية . فلم
تكتف بها بل زادت عليها مني علامة جديدة . وكان
لصناعات الحثيين المقيمين الى الشمال من سورية تأثير عظيم
في عقول الاشوريين ونفوسهم حتى غدا نخأتهم ينقشون
مآثر ملوكهم الحربية على حجارة الرخام نقشاً انيقاً غير
ناقء (ش ٧٢ و ٧٥) وينصبونها صفوفاً مستطيلة امام

(٣٦٦) المدينة
الاشورية قبل
عهد النوحات

تصورهم ٠ اما في بابل فلم تكن النجاة معروفة كثيراً ٠ وكما تفوق الاشوريون على البابليين في صناعة النقش كذلك فاقوهم في تشييد المباني العظيمة التي لم يستطع هولاء ان يشيدوا مثلها لخالق بلادهم من الحجارة اللازمة للبناء ٠ وكان الاشوريون يبذلون منتهى جهدهم في جعل أسس مبانيهم راسخة مبنية بالحجارة متحدين في ذلك السومريين والحثيين ٠ اما سائر البناء الذي فوق الاساس فكان من الطوب المجفف في الشمس كما كانت الحال في بابل

ونقل الاشوريون عن البابليين ما كان مستفيضاً بينهم من القصص والحكايات الدينية (ف ١٧٧-١٧٩) ٠ اخذوها عنهم ودرسوها وقدسوها (ش ٧٣) الا أنهم ظلوا متمسكين بشديد التمسك باله القبيلة القديم اشور وهو اسم قبيلتهم ومدينتهم كما لا يخفى ٠ وقالوا انه والشمس شي ٠ واحد وكان في زعمهم الهاً شديد البأس يقود ملوكهم في حملاتهم الحربية الظالفة ويرشق اعداءهم ميبناً وشمالاً بسهامه القاتلة ٠ وكانوا يرمزون اليه بقرص الشمس المجنح ٠ اخذوا ذلك عن حثيي سورية كما اخذوا هولاء من قبل عن المصريين ٠ وكانت الاهتهم العظيمة عشتاروت اِلهة الحب التي وجدناها في بابل ٠ ولم يكن للدين مفعول او تأثير في حياة العباد وعلّة ذلك انهم لم يكونوا يؤمنون بالدينونة ولا بالحياة بعد الموت ٠ وكانوا يدفنون الميت تحت ارض بيته او تحت الدار

لقد كشفت اعمال الحفر والتنقيب الحديث سلسلة من العقود او الاقباء (ح قبو) المبنية بالاجر تحت ارض القصر الملكي وجد فيها قطع من نواويس اعبت بها ايدي التحطيم فغادرتها مبعثرة هنا وهناك ٠ وكانت هذه اول المدافن الملكية التي وجدها الاثريون في بلاد اشور ٠ وكان البابليون قبل التي سنة قدم مدّوا اليها ايدي النهب والسلب فلم يبقوا شيئاً مما كان فيها ولم يذروا ٠ في هذه الرموس الدارسة التي كادت تعفو آثارها ثوى ملوك اشور العظام بعد ان عاشوا وسادوا وشادوا المباني الفاخرة ٠ وتقدمت اشور في اثناء الالفين من السنين التي مرت عليها تقدماً محسوساً وتطوّرت تطوراً اذّاهم الى انشاء امبراطوريتها الاشورية

الامبراطورية الاشورية (نحو ٧٥٠-٦١٢ ق م)

حوالي منتصف القرن الثامن ق م استأنفت اشور اتمام خطتها في التوسع غرباً ٠ فاخضعت سورية تدريجياً وضمّتها الى ولاياتها ٠ وخضعت لها المدن الفينيقية بلا مقاومة وادّت

(٢١٩) نوح السند
غرباً

الجزية صاغرة عند اول وصول الاشوريين اليها ولم تستطع الثبات امام جيوش اشور القديمة لانها لم تقدر ان تتحد معاً للذود عن حياضها وصد غارات عدوها المشترك عن بلادها . واتضح لها ان اشور ستكون في المستقبل المملكة القوية . وكمن تجارية ، لم يكن لها غنى عن الاتجار مع اهل الداخلية اذا رامت نجاحاً لتجارتها . ولذلك زارها قادمات عري صداقتها وولائها لها . فاطلقت لها اشور الحرية في التجارة بلا شرط ولا قيد . فكان ذلك خيراً لها من التصدي لمقاومة نهايتها الخراب حتماً . الآن المدن الفينيقية الرئيسية ما عدا جبيل اتحدت غير مرة وسنت عصا الطاعة ناقضة عهد ولانها وثارت على اشور من جراء فداحة الضرائب التي ضربتها عليها . ولكن اشور كانت ترسل جيوشها فتقمع الثورات وتحدنارها عند اول وصولها بلا حرب ولا سفك دم فيعود الفينيقيون الى الطاعة والخضوع . ولم تستطع مدينة واحدة من مدنهم ان تنجو من الفتح عنوة الا مدينة صور لانه لم يكن للاشوريين قوة بحرية . ولكنهم تكلموا من اخضاعها كسواها من اخواتها بمجرد مضايقتها من الوجهة الاقتصادية

وفي غضون الحملات التي كانت تحملها اشور على البلاد الواقعة الى الغرب منها قام احد كبار قوادها في اثناء حصار السامرة ، المدينة اليهودية التاسعة ، واعتصب الملك (٧٢٢ ق م) منتحلاً اسم سرجون ، اول ملك عظيم قام من الجنس السامي في بابل قبل هذا الزمان بالني سنة (ف ١٧٢) . اما سرجون الثاني فقد ابلغ اشور ذروة المجد والعزة وبوأها المقام الاول بين الدول الحربية . وكان اعقابها اعظم من جلس على عرش اشور (١) . بنى في الجهة الشمالية الشرقية من نينوى قصرًا ملكيا انخم واهبى من كل قصر سيد في اسية وسماه دار سرجون . كانت مساحة فنانه ضمن السور ميلاً مربعاً تستوعب ثمانين الف نفس . وكانت مساحة القصر نفسه خمسة وعشرين فدانا ، لم يكن في بابل حتى في ابان عظمتها وجبروتها شيء مثل ذلك (ش ٧٤) فعدت اشور سيدة اسية الغربية

(٢٤٠) مرجون الثاني

واما سنحاريب ففاق ابيه سرجون الثاني عظمة وجلالاً . وعد من اعظم رجال السياسة في زمانه (٧٠٥-٦٨١ ق م) حنكة ودراية ليس في بلاده فقط بل في سائر بلدان الشرق

٢٤١ سنحاريب

(١) اعظم ملوك سلالة مرجون الثاني

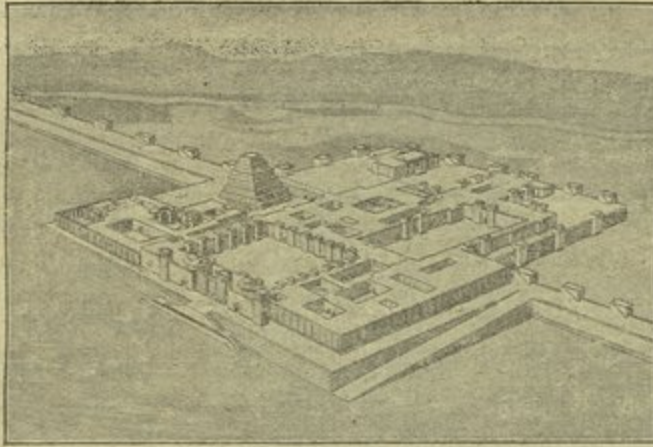
سرجون الثاني ٧٢٢-٧٠٥ ق م

سنحاريب ٦٨١-٦٨١ "

اسرحدون ٦٨١-٦٦٨ "

اشور بانيبال ٦٦٨-٦٢٦

القديم، وكان مجرد ذكر اسمه كافياً لالتقاء الرهبة والمهابة في قلوب الناس في داني البلاد وقاصيها حتى اسية الصغرى لانه غزاطرسوس واكتسح سائر الحصون اليونانية قبل المسيح بـ ٧٠٠ سنة (ف ٤٣٤)



الشكل ٧٤ ترميم النصر وجزء من مدينة سرجون بروج المقام الملكي لسرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م.)

ثم جعل
ستحاريب
وجبهة الجنوب
وزحف بجيشه
الى سواحل
البحر المتوسط
حتى تخوم مصر
ولكنه فقد
هنا جانباً
كبيراً من
جيشه لوقوع
وبإ عليه
مصدره

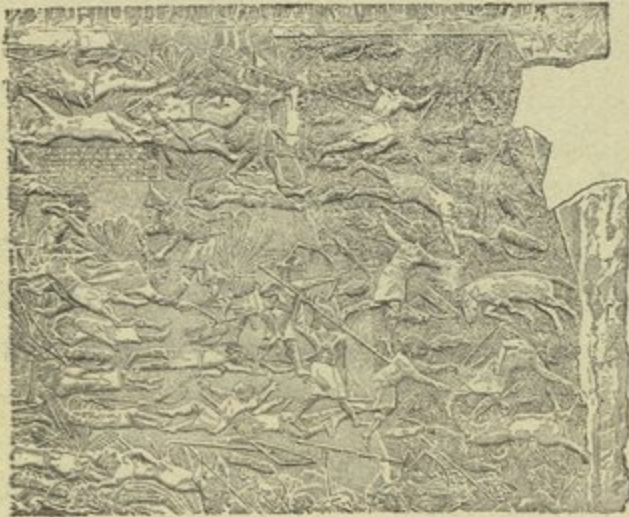
كان قسم من النصر قائماً داخل سور المدينة وقسم خارجه على نثر صناعي من اللبن مساحة ٢٥ فداناً وينشأ من داخل السور طرق مائنة وطرق مدرجة . فكان الملك بذلك قادراً ان يركب مركبة من شوارع المدينة صاعداً فيها الى ارض النصر وكانت غرف النصر وردائه الكبيرة تحيط بدوره الكبيرة غير المسقوفة . وكان المدخل الرئيسي (وامامة درج يودسه نزولاً الى المدينة) مزدياناً بالابراج المائلة والابواب ذات الاقواس (ف ٢٢٩) المبنية بالاجر المدهون بالمينام ومزخرفاً بثيران هائلة لها رؤوس بشرية مغطوة من حجر المرمر . وكان برج الهيكل الواقع وراء الدار الكبيرة المتبني عن بلاد بابل اصل القبة في الكنائس المسيحية (ش ٢٨٠) وكانت شوارع المدينة ومنازلها تملأ بالشمعة التي تجعد النصر ضمن حدود سور المدينة وكانت تسع نحواً من ثمانين الف انسان

مستنقعات
الدنا (ف
٣١٧) فامتنع
عن تخطي
التخوم التي
بلغ اليها .

ولكنه لم يترك ضرباً من التنكيل الا اتزله بياابل عدوته العظيمة . وبلغ منه العيظ والحدة مبلغاً عظيماً حتى دك مدينة حمورابي البهية دكاً واطلق على اطلالها مياه احدى الترع

وهكذا خربت بابل المدينة الجميلة بيه المدن الكلدانية وفخرها . ولكن بقيت دولة مصر شوكة ناخسة في جنب اشور تناوئها وتعرض الشعوب الغربية الخاضعة لها على شق عصا

الطاعة واضرام نار الثورة كلما فرضت عليهم ضريبة ثقيلة فتصيح الى تحريرها وتثور عليها طمعا بالتخلص من تأديسة الضرائب . فعزمت اشور على ان تضع حداً لتحرش مصر بها فزحف اليها ابن سنحاريب بجيش عرمرم وبلغ ابواب قلاع الدلتا الشرقية ووقف حياها نحو سنة ٦٧٤ ق م



الآن ان قوات مصر صدته عن التقدم اولاً فاعاد الكرة عليها ولكنه هلك قبل ان يدخلها . ولكن الجنود الاشورية دخلتها بعد موته فاصبح حفيد سنحاريب سيداً لمصر السفلى مدة ما

الشكل ٧٥ جنود اشورية تمقب الاعداء
الفارين عبر مجرى ماء

وفي سنة ٧٠٠ ق م كانت اشور

١٣٣٣ الساع
مملكة اشور

قد ضمت الى املاكها جميع اراضي الهلال المخصب فاحاطت بجون الصحراء (Desert-Bay) من جميع جهاته . ولم تكشف بذلك بل وسعت نطاق سلطتها حتى شمل

موقع مجرى الماء بشغل النصف الايمن من هذا المشهد . ويمكن تبينه في هذا الرسم الذي رسمه المصور الاشوري من السمك والامواج اشعجة والنسي والجمجم الملالى من السهام تجري عائمة على الماء ومها جينا فرسين احدها على ظهره وقوائمه بارزة فوق الماء . وفي منتصف الجرى تشاهد جيتا رجلين ساثرين مع الجرى لانزال السهام مغروزة فيها . ويرى ثلاثة من الاجام يقفون عن الضفة الجرى ومطاردهم بطعنونهم بالرمح او يرمونهم عن النسي بسهام وكانت الرماحة الاشورية تحمل نروسا عالية ولكن الرماة لم يستطيعوا ذلك لانهم يجامجون الى كلنا اليمين للرمية . ونرى اشلاء القتلى مبعثرة على الضفة التي تشغل الجهة اليسرى من الرسم . وفي اعلى الشكل نرى النور تنفأ عيونهم وفي الوسط ترى اشورا يجر رأس احدم ويحانو رجل آخر يدوس عنق احد القتلى برجله وينزع منه سلاحه . ونرى النباتات بين الاشلاء على طول الجرى

البلاد الجبلية الشمالية وما وراها الى مدى بعيد . وبفتحها لمصر بسطت حمايتها على الجهة

العربية من وادي النيل الاسفل . ولكن هذه المنطقة من ملكها كانت منفصلة عن جسم الامبراطورية وبعيدة عن العمران فتعدّ عليها ضبط شؤونها امداً طويلاً وظلّت حملات اشور وغزواتها جارية في مجرى الشدة والقوة حتى صارت اعظم مملكة رآها العالم منذ وُجد . ولم تكن دولة في الارض تجرأ على مناواتها

(٢٢٤) نينوى
عاصمة المملكة

ولم يكتف سنجاريب بتشييد الصروح الملكية العظيمة في اشور ودار سرجون بل وجّه عنايته الى مدينة نينوى شمالي اشور فجعلها عاصمة ملكه ، وتعاقب ملوك اشور على السرير وشيدوا على ضفاف دجلة القصور الباذخة والابراج الشاهقة (ش ٧٤) . وبلغ امتداد اسوار نينوى مقابل دجلة مياين ونصف ميل . وكان سنجاريب وهو جالس في قصره الفخم المزخرف بالنقوش الجميلة يتولى ادارة الاحكام في البلاد التي دانت لسلطانه ويجمع منها الاتاة

(٢٢٥) رسائل
المباينة وتنظيم
مملكة اشور

وكان مكتب الملك مركز ادارة المملكة كلها . فعين سعاة خصوصيين واقام في الاماكن المهمة على الطرق السلطانية موظفين يقومون بانفاذ ارادته الملكية ، فغدا بهذا التدبير نقل الرسائل والغلال والسلع المختصة بالقصر الملكي امراً مقرر الاجراء . فكان هذا النظام البريدي الذي عُمل به في الشرق بضعة قرون ، رائد نظام البريد الحالي (١) . وبهذا الاسلوب كان الامبراطور يتناول الرسائل والتقارير من عماله الستين على الولايات والاولية . ومن الملوك من قهرهم وابقاهم في مراكزهم بشرط ان يكونوا خاضعين له مطيعين لاوامره . وقد وجد الاثريون بين الانتقاض شيئاً من تلك الرسائل مكتوباً على الاجر بعث به سنجاريب وهو ولي العهد الى والده الملك سرجون . وكان جلّ عناية الملك منصرفاً الى الاهتمام بالجيش . لان المملكة لم تكن الا عبارة عن قوة حربية وذريعة لحصد الارواح والتبسط في الفتح (ش ٧٥) . ولم يعرف العاقب منذ وُجدوا دولة اشدّ منها بطشاً ولا اعظم منها هولاً

(٢٢٦) مملكة
اشور وعصر الحديد

مما مهد السبيل لادخال الحديد الى بلاد اشور ، المعاملات التجارية بين الاشوريين والحثيين الذين كانوا يقيسون الى الغرب من اشور (ف ٣٦٦) . ولما استتب للاشوريين الحصول على المقادير اللازمة من الحديد صنعوا منه الاسلحة . فكانت جيوشهم اول جيوش تسلحت بادوات مصنوعة من الحديد . وقد وُجد في مخزن السلاح بقصر سرجون متناطراً من الادوات الحديدية

(١) لنا ادلة على ان هذا النظام كان معمولاً به في زمن مصر نحو ٢٠٠٠ ق . م .

وكان جيش اشور يتقدم الى الرماة عن القوس والرماحة وحملة التروس (ش ٧٧) وكانت فرسان نينوى ومر كباتها مما تجف منه القلوب وترتعد له الفرائص (ش ٧٦) . والاشوريون هم اول من استعمل المنجنيق وادوات الحصار الاخرى في افتتاح المدن (ش ٦٨) . فكانوا

(٢٢٧) البنية
الاشوريين



A



B

الشكل ٧٦ حفر البابليين والاشوريين صوراً حيوانية

نرى في الرسم الاعلى (A) صنعة حفار الخنوم المدهشة في ايام سرجون (ف ١١٧٤) . وعند طرفه الابرص جليبيش البطل المتهني (ف ١١٧٩) سلف هرقل يقتل ثوراً يضافره على ذلك البطل المجهود الذي نصته انسان والنصف الآخر ثور ووراء ذلك عرى جليبيش وحده يقتل اسداً . وفي الختم الذي اى اليمين يرى اسد على الجانبيين اللذين في ترهب النقش (ش ٦٠) يقتل ثوراً برياً . وفي B الذي يمثل صيد الاسد، لنا نموذج من ابداع نماذج الحفر الاشوري الثاني في زمن اشور بانيبال (ف ٢٢٠) نرى فيه جلها التأثير الناجم عن حفر المحفوظات على الخنوم البابلية القديمة قبل هذا الزمن بالقي سنة

يشعرون بها اسوار الاجرة او يدكونها دكاً . ولم تكن المدن المحصنة لتثبت امام الجيوش الاشورية ولديها ما لديها من ادوات التدمير والتخريب

وكانت جيوش اشور اتى سارت وكيفما توجهت تلتقى الخوف والرعب في القلوب نظراً

(٢٢٨) مول
الجهوش الاشورية

الى ما كان عندها من الاسلحة ومعدّات الحصار وما كانت عليه من شراسة الاخلاق والميل الى الفتك والتنكيل بالاعداء مما جعل سكان اسية الغربية يذوبون فرقا ويقفون صاغرين امام جعافل نينوى التي كانت تنقض على الاعداء انقاض الصواعق وتغادر وراءها، التي تنجبت قواتها، اثار الدمار والحراب . فكانت تُعمل السلاح والنار في المدن والقرى التي تناوتها فتغادرها خراباً يباباً يملأ دخانها عنان السماء . وكان الناظر الى انقاضها المنبعث من خلالها الدخان يرى صفوفاً من الخوازيق مركوزة في الارض يضعون عليها من يتهمونهم بالخيانة من العمال بعد ان يسلخوهم احياء . ويرى حول الخوازيق كَوْم اشلاء القتلى الذين كانوا يُقتلون احتفاءً بالنصر الملكي وارهاباً لكل من يزين له الفرور ان يشور على الحكومة . وكان سكان الممالك المقهورة يشاهدون من خلال سحب الغبار المنعقد اعمدة فوق السكك ، قطعان الضان والمعزى والحيل والحديد وقَطْر الجبال على طول الطريق حاملة ذهب ممالكهم المغلوبة وفضتها يتقدمها الزعماء حاملين على ظهورهم رؤوس الامراء المقتولين معلّقة باعناقهم ووجهتهم القصر الملصكي في نينوى . والاشوريون وان شاع عنهم أنهم قساة فليسوا باقسي من سواهم ممّن تقدّمهم او تلاهم من الامم . فلو تصفحنا تواريخ الشعوب المختلفة لوجدناها مخضبة بالدماء . ورأينا ان القسوة التي وُصف بها الاشوريون لم تبرح الارض كما دلت حوادث هذا الزمان . واجلاء السكان عن الاوطان ، قصد امانة روح التضامن الوطني بحيث لا يتمكن الناقون منهم على الفاتحين من الدفاع وحماية الدمار ، لا يزال معمولاً به حتى الآن الى حدّ لم يلجم به الاشوريون في زمانهم . والحروب الدينية في اوربا واسية لم تكن تخلو من اعمال وحشية تتبرأ منها الانسانية والمدنية . وكان زمان تلك الحروب عصراً بيعت فيه الارواح رخيصة . فلا تُنجر باللائمة على الاشوريين قساوتهم في معاملة مغلوبهم ناسين او متناسين ان البشر على اختلاف اجناسهم قد اقترفوا اعمالاً منكراً هي في منتهى القساوة والبربرية

(٢٢٩) عادت
المملكة الاشورية .
صناعة البناء

ان الاموال التي كان يغنمها الاشوريون من الممالك التي افتتحوها، وان كانت ضرورية للقيام بمصالح الجيش ، كان يفرز جانب منها لمقاصد اسمى من إنفاقها في سبيل الحرب . لقد أولم الاشوريون بتشييد المباني الفخمة على اختلاف ضروبها . فقد رأينا قبلاً في (ش ٧٤) ان قصورهم بلغت درجة سامية من الفخامة والاناقة مما يدل على ما كان عليه اصحابها من العظمة والسودد . واخذ الاشوريون عن البابليين فنّ بناء القناطر فصارت من مميزات مبانيهم الفخمة المهمة في ذلك الزمان كما هي من مميزات مباني الشرق في وقتنا الحاضر . وزادوا على مرور الايام في اتقانها وإحكام بنائها الابراج . وكانت القناطر الثلاثية (ثلاث) التي

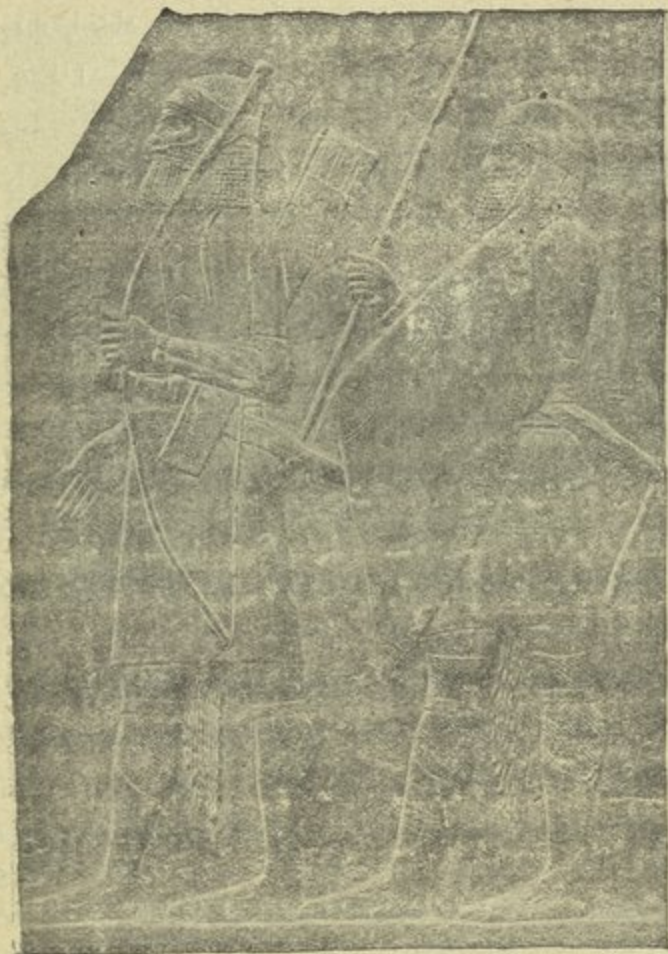
شيدوها عند مداخل قصورهم بالاجر الماون المرصع بالمينا ، الذي احتذاه الرومان فيما بعد حينما بنوا اقواس نصرهم (ش ٢٠٢) . وكان على جانبي المداخل تماثيل ثيران هائلة ذات رؤوس بشرية منحوتة من الرخام الابيض الشفاف وجدران قامت عليها ابراج سامقة تُشاهد

من جميع

جهات المدينة

الملكية (ش

٧٤)



اماداخل

القصر فكان

التسم الاسفل

من الجدران

مزداناً بالنقوش

والصور الناتئة

المنحوتة في

الحجر الشفاف

الممتدة مئات

من الاقدام .

(انظر ش ٧٢

و ٧٥ و B٧٦

و ٧٧) وكلها

تدل على ترقى

الصناعة (ش

٦٨) عما كانت

عاليه قبلاً ،

وتمثل لعين

الناظر الاعمال

العظيمة التي

قام بها الملوك

الشكل ٧٧ جنود اشورية في زمن الامبراطورية مأخوذة من الصور
الذخيرة في قصر اشور بانيبال

انه يبساله هولاء الرماة الاشداء صارت اشور سيدة الشرق مدة قرن ونصف قرن
(ف ٢٢٧-٢٢٨)

في ساحات الوغى والقنص (ش ٧٥ و ٧٦ B) الأ أن الصور البشرية كانت كلها على نمط واحد تجسم فيها الجمود والبرودة وفقدان الشعور . فلا تجد بينها صورة واحدة يظهر فيها اثر للشعور بالسرور او الكمد ولا باللذة او الألم . ولما صور الوحوش البرية فكانت نفيسة لانها كانت تمثل طبائعها كما هي (ش ٧٦) . وكان خلقت النمر يجري في عروق الاشوري حتى كيفها أعمل ازميله في حجر برزت امامه صورة نمر . وكانت امارات الالم البادية في صور بعض الحيوانات برهاناً على ترقى صناعة النحت التي يعود الفضل في اتقانها الى صور الاسود والثيران التي وُجِدَت محفورة على الحثوم البابلية النفيسة ايام سرجون الاول قبل هذا الزمان بالنبي سنة . فان النحات الاشوري دقق فيها واحتذى مثلها في صنعه لمنحوتاته . اما صناعة نحت التماثيل فلم تتجاوز عندهم طور السذاجة والحشونة

وكان لا بد للملوك اشور من الاعتماد على حذق الاجانب في الصناعات والفنون . فاحذوا عن المصريين صناعة تلوين الاجر وابلغوها درجة من الاتقان على اسابو ممتاز خاص بهم . وبذلك وضعوا اساس صناعة اشتهرت بها اسية الغربية وبلاد الفرس في خوالي العصور . ولا تزال الالوان المستعملة حتى في الازمنة المتأخرة بينة ناصعة على تأثير الاشوريين الخالد . اما تماذج الزخرفة والزينة فقد اخذوها عن المصريين . واثاث البيوت سواء كان من الابنوس او من العاج يدل على انه من اصل مصري وان كانت صنعة ايدي الفينيقيين (ش ٧٨) . وعمل الصناع الفينيقيون في نينوى اطباقاً منقوشة من البرتز (ش ١٢٢) . قال سنحاريب انه كان في قصره باب أخذ رسمه عن احد ابواب قصر من قصور الحثيين وكان اسلافه قد استصنعوا الحثيين ابواباً

(٢٢١) الاشوريون
ياخذون عن
عبرم في الفنون
والصناعة



الشكل ٧٨ قطعة عاج من "سنفكس" مصري
ميجح وُجِد في احد قصور اشور

قطع كذه من العاج ، كانوا يستعملونها في ترصيع (تطعيم) الاثاث كما في شكل ٧١ . وهي من صنع ايدي الفينيقيين الذين كانوا مستخدمين لدى ملوك اشور (ف ٢٢١) وكان من عادة الصناع الفينيقيين ان يستعملوا رسوماً ورموزاً مصرية تركبتها مع رسوم ورموز اشورية . فالمجيمات الميجح وُجِد اولاً في الصناعة المصرية ثم اتصل الى الفينيقيين والحثيين في سورية . ومنها الى اشور حيث تطوّر اخيراً الى صورة النور الميجح المائل الذي يزدان به مقدم قصر الملك

رأوها في بلادهم الغربية (س ٦٩) فاذا كان ملوك آشور ميزة على سواهم ، فتلك الميزة هي مقدرتهم على الانتفاع بما عند غيرهم من الموارد . وغرس سنحاريب في الحدائق التي انشأها فوق نينوى وتحتها اشجاراً غريبة ونباتات من اجناس مختلفة اتى بها من انحاء شتى في مملكته الشاسعة . وكان بين تلك النباتات جنّبات القطن (شجيرات) التي قال سنحاريب انها تحمل صوفاً يجمعونه ويشطونهُ ويصنعون منه نسيجاً يصلح لعمل الثياب . واصل شجيرة القطن من بلاد الهند اُتي بها الى العالم القديم وانتشرت زراعتها فيه انتشاراً عظيماً حتى صار القطن من اهم مواد التجارة الحديثة

تقرّدت الهيئة الاجتماعية الاشورية بميزات خصوصية لم تكن في غيرها من القبائل السامية وان كانت تشارك تلك القبائل في صفاتها العامة . فقد عثر الاثريون على جزء من مجموعة شرائع الاشوريين التي زحزحت الستار قليلاً عن حياتهم العائلية في منتصف الالف الثاني ق م . والمرجع انهم داموا على هذا النمط من العيشة حتى عصر الامبراطورية . وقد امتازت شرائع الاشوريين عن غيرها من الشرائع القديمة بامرئ الأول انه لم يجبي . فيها ان عقاب المجرم يجب ان يكون من نوع الجرم الذي ارتكبه كالعين بالعين مثلاً والسّن بالسّن . والثاني انه لم يكن عندهم تمييز بين الامراء والسوقة في عقاب المجرمين منهم ، مما يظهر ان الاشوريين جميعهم كانوا في نظر القانون سواء . وكان عقاب من ينتهك الاعراض وحرمة الأسر شديداً وبلا رأفة . وعقاب الفاجر كعقاب الفاجرة بلا فرق . اما الزواج فكان منوطاً بالعروسين فقط لا دخل لاحدٍ فيه سواهما . فكانت الزوجة ملك الزوج فعلاً يطلّتها متى شاء ويجرمها جميع ما ملكت يداها حتى الصداق وكانت الشريعة تحم على نساء الاشراف والكبراء ان يتخمرن ولا يبرزن في الاسواق وبين الجماهير سواً . فهنا نشأت عادة التعجب بين النساء وصار لها اهمية عظيمة في بلاد الشرق منذ القديم حتى الآن

(٢٢٢)
شرايع
عقود

وكان للاشوريين ولع بالامور العالية كالأداب التي ازدهرت بينهم وكان لها شأن خطير في هيئتهم الاجتماعية . ولم يقلّ كلفهم بكتابة تواريتهم - ولا سيما ما تعلق منها بجروب ملوكهم - عن كلفهم بالأداب . وقد اتصل الينا كثير من اخبارهم التاريخية مفصلة ومنسقة سنة فسنة وخصوصاً ما يتعلق بجروب الملوك وقوتهم ومبانيهم . إلا ان معظم تلك الاخبار - كأكثر الاخبار الرسمية - كان يقصد به نشر دعوة او ترويج مبدأ بحيث يفهم معاصروهم ان لا قوة تستطيع ان تناوئهم . هذا فضلاً عن تخليد اسم عظيم لأعقاب الأسرة المالكة . وكان من عادة مؤرخي ملوك آشور ان يدونوا كل سنة ملخص حوادث السنين الغابرة ، ويسهبوا في تدوين حوادث السنين التي يكتبون فيها تواريتهم . وبما ان تلك

(٢٢٣)
اخبار
هورية تاريخية
ومكتبة
اشور
بابل

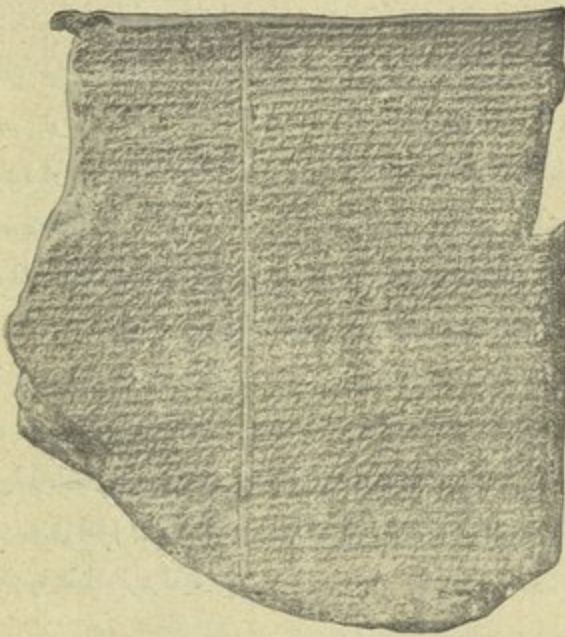
المللّصات كانت تتكرّر كتابتها سنة بعد سنة فقد جنح الكتبة الى الغلو في ما كانوا يوردونه من الحوادث القديمة . فكانوا يعزّون الى ملوكهم الاحياء غزوات حربية كان قد قام بها اسلافهم الاقيال في غابر الازمان . وكان كلما تكرّر نسخ عدد القتلى والاسرى والغنائم مرّة ، يزيد عما كان في المرّة السابقة حتى صار الفرق بين النبا الاول الاصلي والاخير عظيماً جداً وبعيداً عن الحقيقة . وعلى هذا النمط جرى مؤرخو ذلك الزمان والذي قبله وبعده حتى ان المؤرخ الحديث يكاد يضل عن الحقيقة اذا تناول الانباء كما جاءت دون تمييز او عرض على محك النقد لمعرفة صحتها من فاسدها سواء كانت مما يتعلّق بالشؤون الدينية او الدنيوية . ولم يكن احد يترفع عن تعلّم صناعة الخط حتى ولو كان من افراد الاسرة المالكة بدليل ان اشور بانيبال حفيد سنغاريب وآخر ملوك الاشوريين كان يباهي بأن اباة الملك لم يقتصر في تهذيبه على القراسة واتقان الرماية عن القوس بل علمه ايضاً الكتابة على الاجر وخرجه في علوم زمانه . وقد وجد الاثريون في مكتبة هذا الامبراطور في نينوى اثنين وعشرين الف اجرة بقيت مطروحة على ارض المكتبة مدة الفين وخمس مئة سنة حتى نُقلت الى المتحف البريطاني حيث لا تزال محفوظة . وهي في مواضيع مختلفة ما بين دينية وعلمية وادبية جُمِعت ونُسقت بامر الامبراطور (ش ٧٩) . وهي اول مكتبة منظمة وجدت في اسية فيا نعلم . وقد فاق الاشوريون البابليين في مضمار العلوم والآداب فلم يكرنوا فقط مجرد نقلة عنهم

(١٣٤) التنظيم
الملكي الاداري

وفاق الاشوريون اسلافهم البابليين حتى والمصريين ايضاً في تنظيم البلاد ادارياً . فان المصريين اكتفوا بأن يكون امراء البلاد والمدن التي افتتحوها موالين لهم دون ان يتجاوزوا هذا الحد في ادارتهم ، اما الاشوريون فسوّوا الانظمة المتقنة للبلدان التي قهروها . فاذا اتقدت نيران الثورات وتقرّضت دعائم السلم في اية بلاد كانت من مملكتهم المترامية الاطراف ، كانوا بموجب النظام المسنون ، يخلعون الامراء الوطنيين من مناصبهم ويولون حكاماً اشوريين من اهل العاصمة ، بدلاً منهم . وكانوا بين حين وآخر يضيّقون نطاق الولايات مخافة ان يقوى احد الولاة قترين له النفس ، القيام بمركات وطنية عدائية ضد مولاه الظالم . وكان من واجبات كل عامل من عمال الملك في مملكته الواسعة ان يبلغ الحكومة المركزية بوجه السرعة جميع ما يقع من الحوادث ذات الشأن في ولايته . وكان من اهم واجباته بعد حفظ النظام ، وضبط الاحكام ، ان يقوم بجباية الضرائب من البلدان التابعة للامبراطورية والاتوات من ولايتها الاصلية فيحسم من مجموعها النفقات المحلية ويبعث « بالرصيد » - وقد كان فادحاً - للقيام بنفقات الهياكل والجيش . ولم تكن

الشكاوى التي وجهها الراي العام الى الاشوريين ناجمة عما استباحوه لانفسهم من انواع
القساوة البربرية والتنكيل بالاعداء إبان فتحهم للبلدان بقدر ما كانت من اجل سوء ادارتهم
وتصرفهم في المملكة اني شيدوها . فقد كانت غايتهم الاولى والعظمى من البلدان التي

اقتنحوها ابتزاز الاموال
وجرّ المغانم تعظيماً لشان
الملك والآلهة والحكام .
وقد فاقروا في هذه سائر
الامم . وكانت غايتهم
من سنّ النظم والشرائع
للبلدان التي قهروها جرّ
المغانم لانفسهم . ولم
يخطر لهم قطّ ببال ان
يسئروا لترقية الشؤون
الصناعية والتجارية كما
تفعل بعض ممالك هذا
العصر في البلدان التي
تبسط عليها حمايتها او
تتدب لتدريسيها على نيل
الاستقلال



الشكل ٧٩ شذرة من حكاية بابلية قديمة عن الطوفان
مأخوذة من مكتبة اشور بنبيل في نينوى

ان هذه البلاطة الكبيرة هي جزء من كتاب بالخط المساري الاشوري مؤلف
من سلسلة بلاطات مثلها . وينتهي فيها قصة الطوفان (ف ١٦١) على النسخ
الآتي : قيل ان البطل آتنا يشتم بني فلكتا عظيماً ونجياً من ملوفان ممالك باد
فيو جميع مواطنيو . وكان على كل كتاب اجر ضمه اشور بنبيل الى مكتبتهم
علامة الملك ، على نسق ما يفعل اصحاب المكتاب اليوم (ف ٢٢٢) . ومنعاً لاجي
شخص كان من ان يأخذ الكتاب او يدون اسمه عليه كان يكتب على كل كتاب
علامة على العلامة المخصوصة ، هذا الكلام " كل من يأخذ هذه البلاطة او يكتب
اسمه عليها بجانب اسمي يحمل عليه مخط اشور ويدت وغضبها ويفرض اسمه
وذريته من البلاد "

لقد ارتكب ملوك
اشور - كما ارتكب
غيرهم من الحكام الذين
جاوا بعدهم - خطأ
جسيماً في سياستهم ،
لان الحروب التي اوقدوا
نارها لغاية الفتح ادت الى
ابادة الايدي العاملة

١٢٣٥٧ فساد
داخلي وباعث
اقتصادي وزراعي

الجالبة للثروة سواء كان ذلك في مملكتهم او في الممالك التابعة لهم ومع اهتمامهم بادخال

الظن الى البلاد، لم يبذلوا شيئاً من الجهد لتعزيز الصناعة والتجارة كالبابليين . فكان سكان البلاد على وجه التعميم اهل زراعة . وحين كانت الامبراطورية لا تزال ضيقة النطاق - بالنسبة الى ما صارت اليه بعد ذلك - كانت الحكومة تكثني بدعوة الفلاحين الى الخدمة العسكرية مدة يسيرة كل سنة لحماية الثور . ولكن بعد ان اتسع نطاقها امتت الخدمة العسكرية الموقته غير كافية للقيام بما تقتضيه الحال من الخدمة العسكرية فاضطرت الحكومة الى ان تدعو الفلاحين من مزارعهم وحقولهم الى الانتظام الدائم في سلك الجيش الذي كان يتعاضد شأنه مع مرور الايام حتى غدت اشور عبارة عن جيش لا مملكة . ولما كان عدد الفلاحين يتناقص بانخراطهم في سلك الجيش كان الحكام يبتاعون الحقول المهملة ويؤلفون منها مزارع (عُزْب) . ولما رأى الملك سرجون ان الاراضي بائنة والقنوات مهملة عمد الى ارجاع الفلاحين الى حقولهم ومزارعهم . ولكن مملكة كاشور مترامية الاطراف لم يكن ليكفيها جيش واحد للذود عن حياضها

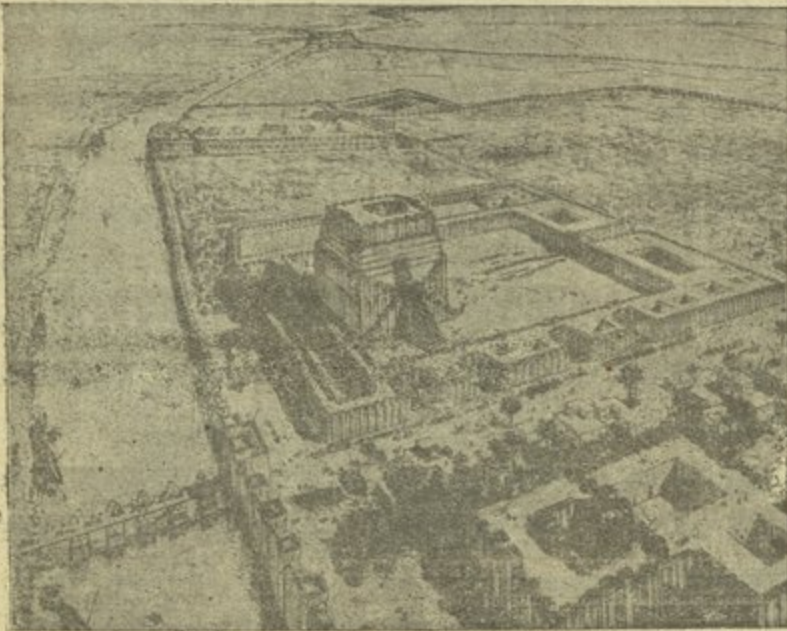
(١٢٢٦) جنود
اجانب في الجيش .
زمام التجارة بيد
الاراميين

و حين كانت ترد الانباء من انحاء المملكة المختلفة منذرة بالثورات كان الحاكم في نينوى - وهو في المأزق الحرج - يُكره رعايا الممالك التابعة له على التجنّد في جيشه . وكان العمال على الولايات المختلفة في الوقت نفسه ، ينظّمون جيوشاً من تلك الولايات للدفاع عن اوطانهم الا انهم كانوا يرسلونها احياناً لتعزيز جيش المملكة . واعتاد الاشوريون حين كانوا يقهرون جيوش الاعادي ان يضموها الى جيشهم ويرثقوا ضباطها الى رتب عالية في جيش المملكة . فصار الجيش الاشوري خليطاً من جنود الامبراطورية الشاسعة لا جيشاً وطنياً صرفاً تجيش في صدره المحبة الوطنية . ولما صار الجيش الى هذه الحال الخطيرة ، وبارت الحقول ، وكسدت سوق الصناعة ، وغدا زمام التجارة بيد الاراميين الذين شاءت لغتهم في مدن المملكة باسرها حتى في قلب العاصمة نينوى ، فقدت البلاد قوتها المعنوية الداخلية

(١٢٢٧) غزوات
من الخارج . جميع
الكلدان من
الصحراء

وعلاوة على الضعف الداخلي الذي مُنيت به المملكة الاشورية دهمها خطر جديد من الخارج يهدد كيانها وينذر بها بالويل والثبور . فكما جاءها الخطر قديماً من البادية كذلك جاءها هذه المرة من جانبي الهلال المخصب ، من القبائل الارامية التي اجتاحت اقاليم مختلفة من المملكة حتى اضطر سنجاريب الى موافتهم . وقد ادعى بانء في احدى حملاته عليهم ، اخذ من بابل مئتي الف اسير معظمهم من الاراميين . وكانت قبيلة اخرى في نفس الوقت ، ترحف زحفاً بطيئاً الى جهة راس خليج فارس ولما وصلت تزلت على سواحله بجوار حضيض الجبال الشرقية . وكان اسم هذه القبيلة « كلدي » وهي المعروفة عندنا بالكلدانيين . وكان هؤلاء من القبائل السامية الرحل الذين ارادوا اعادة تمثيل الرواية التي مثلها قبلهم

الأكديون (١٧٢) والاموريون (ف ١٨١) والاشوريون (ف ٢٠٧) فانتشروا في عرض البلاد وطولها واحتلوا بابل وجعلوها المركز الأول لديهم . ومن هذا الحين هبَّ بنو بلاص ملك الكلدانيين الذي كان من اتباع ملك اشور وقلب أتباعه الاعظم مملك اشور . ظهر المجن وزحف بجنوده الى اشور نفسها



الهيئة الاصلية لمدينة بابل في ايام نبوخذ نصر (على ما يظن كولدي)

البرج الذي يرى في صدر الصورة هو هيكل مردوخ الخم الذي يحيط به ابنة اخرى وهياكل "الهي المقدس" في القسم الجنوبي من المدينة . وحكاية برج بابل التي توارثها اليهود متهمة من برج بابل هنا ومن برج آخر قبله كان مبنياً في هذا الموقع عينو . اما الابنية التي ترى في مؤخر الرسم عند اول منعطف في النهر فهي عبارة عن قصر نبوخذ نصر والجنات المعلقة . والى الجانب الشرقي من حي الهيكل يتد الشارع المعروف بشارع الاحياء شمالاً الى ان يتصل بالنصر وياب هيكل الالهة عشتاروت على الجانب الشرقي من القصر . ويتد فوق الفرات التجاري غربي المدينة جسر بعد اقدم الاعمال الهندسية المعروفة لديها ويرجع تاريخه الى القرن السادس ق . م . ولا تزال ركائزه الخربة ماثلة في مجرى النهر الجفاف الآن . واما الاسوار المنيعة الماثلة التي تحدد بالمدينة فمن اعمال نبوخذ نصر وقد قضى الامان نحواً من عشرين سنة دائمين في المنخر والتشقيب حتى استطاعوا ان يضعوا رسم مدينة بابل هيئتها الاصلية على ما خيل لهم

(٢٢٨) غزوات
من الخارج .
شعوب هندية
اوربية من الجبال
الغالية

وكانت جيوش جرارة من الشعوب الهندية الاوربية ترحف من الشمال (ن ٢١) على بلا اشور تتقدمها قبائل مادية وفارسية (ف ٢٥٩) فكان هذا الزحف مدعاة لزعزعة مملكة اشور من أسسها وباعثاً على الخوف والقلق ومجلبة الرعب لسكان اسية الغربية لانه كان بين تلك الجيوش الجرارة عدد كبير من السكيثيين الذين قدموا من سهول اوربا الجنوبية وانتشروا في ارض سورية وما بين النهرين يعيشون فساداً ويلقون الرعب في قلوب الناس جيلاً كاملاً كما فعل المغول بعد ذلك بالي سنة بقيادة تيمورلنك المعروف . وربما كان عنف هولاء وظلمهم لسكان اسية الغربية الباعث الذي حدا بالذين كانوا قبلاً قد سيموا خسفاً وضربت عليهم الذلة من جانب الاشوريين ، على ان يهبوا هبة واحدة لنصرة اشور قبل سقوطها النهائي لاعتقادهم انها هي الحامي الطبيعي لهم من اولئك البرابرة الطغاة ، حتى الملوك الذين كانوا منذ عهد قريب قد قلبوا لاشور ظهر المجن وخاعوا عنهم نيرها الثقيل ، قاموا الآن وانضموا الى الاشوريين يجارون معهم الكلدانيين وغازاة الشمال . وكان الاتحاد الاشوري المصري ممّا اقتضته الحال لان الماديين والكلدانيين كانوا قد حالفوا السكيثيين المكروهين الا ان مساعدة مصر لم تكن لتجدي اشور نفعاً لان سوس الفساد كان قد اخذ ينقر قلبها . وبدت عليها امارات الضعف والانحطاط . وشعرت بأنها عاجزة عن مناوأة الاتحاد المثالث الذي بعد ان دمر مدينة اشور القديمة شد على نينوى نفسها ^(١) واصلاها بهجواته المتكررة ناراً حامية .

(٢٢٩) سقوط
اشور .
ندمير
نينوى

من فم النبي العبراني ناحوم (ص ٨ : ٢ و ١٣ و ١٤) نسجع صدى هتاف الامم الذي رددته الارزاء من قزوين الى النيل حين تسومع أن بليّة الشرق قد هبطت من أوج العظمة الى حضيض الذل ولا تقوم لها قائمة الى الابد . وحين مرّ بعد ذلك بنتي سنة ، اكرنيفون اليوناني يجيشه البالغ عشرة آلاف جندي ، كانت الامة الاشورية قد امست في خراب كان ومدينتها نينوى ركلاماً مركوماً وخراباً يباباً كما هي الآن (ش ٢٠٩) وكانت اللغة الاشورية قد زالت وحل محلها اللغة الارامية في جميع جهات اشور الاصلية بل اوشكت ان تصير لغة بابل ايضاً (ف ٢٧٣) الا ان بقية القوات الاشورية - بعد تدمير نينوى ونقل مركز المملكة الى حاران فيما بين

(١) ان البيان المدرج اعلاه عن سقوط نينوى ، يتبعه نبأ الاتحاد مع مصر والتاريخ الجديد لسقوط نينوى بايدي اعدائها (سنة ٦١٢ بدل ٦٠٦ ق . م .) ، مبني على نبذة نشرت حديثاً منقولة عن تاريخ بابلي جديد محفوظ في المتحف البريطاني بوضع جلياً الفترة التاريخية بين ٦١٦ و ٦٠٩ ق . م . التي لم تكن قبلاً تعرف عنها شيئاً . ومتاحف العالم منسوبة بتاريخ مثل هذه لم تطبع بعد . وكلها مأخوذ من الشرق . وكلها طبع ونشر في سنة فسنة ، وادت الصورة المنقولة لحياة الانسان القديم جلاءً وكالاً

النهرين - ظلت تواقع الاتحاد السكيثي البابلي والفشل حليفها حتى مُنيت حاران ، بعد بضع سنين ، بما مُني به غيرها من عوامل التدمير والتخريب (٧١٢-٦١٢ ق م) ، وبذلك تلاشت آخر قوات الاشوريين

(٢٤٠٦) القديم
الذي حصل
بواسطة دولة اشور

سقطت اشور سقوطاً سريعاً هائلاً ولكنها غادرت امم اسية الغربية في حالة تختلف جداً عن الحالة التي وجدناها عليها مابوك اشور الأول لان تلك الامم المختلفة المحيطة بالطرف الشرقي من البحر المتوسط كانت قد اكرهت ان تعنو لحكمهم ملكاً واحداً مطلق السلطان على مملكة عظيمة كان قد طرأ على طرق تنظيم ادارتها كثير من التحسين ، والحقيقة ان مملكة الفرس قد تأسست على النظام الاشوري (ف ٢٦٨) بعد سقوط نينوى بستين سنة . وكانت دولة اشور ولا سيما في ايام مجدها العسكري اول دولة خطر لها ان تشمل سيطرتها العالم بأسره وخطت في هذه السبيل خطوة مهمة . الا ان هذه الامنية لم تتحقق لها تماماً لكنها تحققت للرومان في زمن الامبراطورية ، ومما كان عليه الاشوريون من الحشونة والخراسة ، زى ان المدنية في زمانهم قد ترقت كثيراً عما كانت عليه قبلاً . فهم بُناة الصروح الجميلة والقصور الفخمة في نينوى وضواحيها ، وهم اول من عزز فن البناء في اسية وشيد المباني العظيمة ، وفوق ذلك ذلك كله لقد كان في حياة نينوى اولى المكاتب المعروفة . واخيراً نقول ان سيادة اشور اوجدت حالة دُولية مكنت اليهود من ان يبلغوا اسى درجات التصور والفهم من جهة المهم اذ كانوا ياثلون به اشور اله الحرب العظيم

٢٠

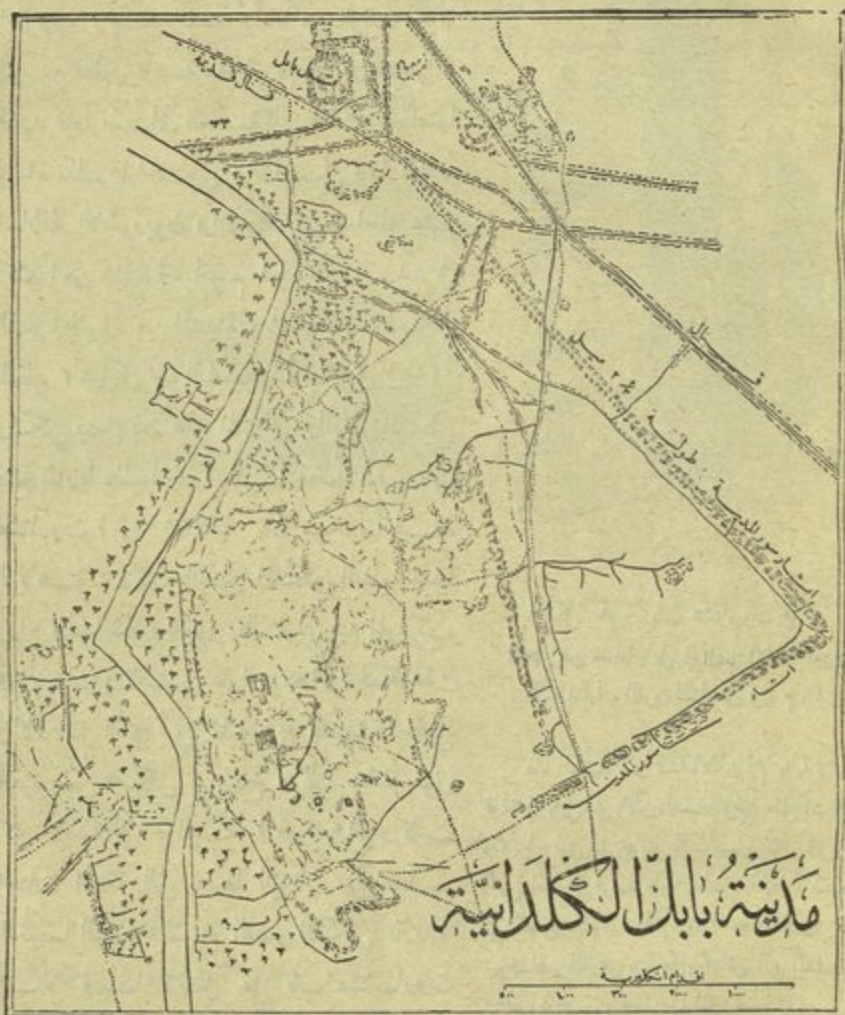
الامبراطورية الكلدانية : الامبراطورية السامية الاخيرة

انشأ الكلدانيون اسيا بابل الجدد ، امبراطورية تاريخها - على قصره - يشغل الفصل

(٢٤١٦) تمام دولة
الكلدان

- (١) ان النصول الثلاثة الكبيرة التي نعت عن بلاد ما بين النهرين هي :
- (١) مملكة بابل الاولى (القرن الحادي والثلاثون الى الخامس والعشرين ق م . سرجون الاول نحو ٢٧٥٠ ق م . وحمورابي نحو ٢١٠٠ ق م .) (ن ١٤-١٧)
- (٢) مملكة اشور (من نحو ٧٥٠-٦١٢ ق م .) (ن ١٩)
- (٣) الامبراطورية الكلدانية (من نحو ٦١٢-٥٣٩ ق م .) (ن ٢٠) وكانت هذه المرات الثلاث الا قليلاً من الاولي زمن السلطة السامية . ويمكن ان يضاف اليها في المستقبل مدة رابعة كان فيها زمام السلطة والسعادة بيد الساميين وتلك المدة هي زمن انتصار الاسلام في القرن السابع بعد وفاة النبي

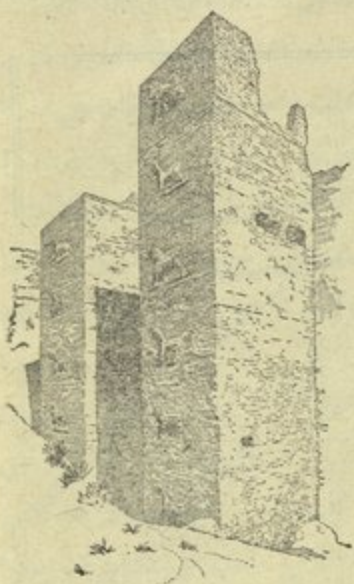
الثالث من تاريخ ما بين الافدين وهم آخر من تسلط من الساميين على بلاد بابل فاعدوا بنيان المدينة بابل التي كان سنحاريب قد دمرها وجعلوها عاصمة مملكتهم (ف ٢٢١) ودعوا البلاد كلها باسمهم فصار اسمها كلديّة . وكانت تشمل على جميع اراضي الهلال المخصب . اما الماديون فظلوا محتفظين بالبلاد الجبلية الواقعة في الشمال



(٢٤٢) ملك
نبوخذ نصر (٦٠٤-٥٦١ ق.م)
ال ٥٦١ ق.م

كان نبوخذ نصر اعظم ملوك الكلدانيين . ملك في بابل من ٦٠٤-٥٦١ ق.م وكان ملكه موصوفاً ببجالي الابهة ومظاهر القوة فحسب من افراد الرجال في تاريخ الشرق . جيود ذلك ما جاء عنه في التوراة . وكانت مصر بين حين وآخر تجرّس سكان البلاد

الغربية على شق عصا الطاعة له واضرام نيران الفتنة فغضب نبوخذنصر عليهم وعاقبهم عقاباً شديداً ولا سيما اليهود سكان مملكة يهوذا الصغيرة الذين اجلى كثيرين منهم الى بابل بعد ان دمر عاصمتهم اورشليم تدميراً (٥٨٦ ق م)



الشكل ٨٠ باب عشتاروت في حي القصر من مدينة بابل في زمن الامبراطورية الكلدانية . القرن السادس ق م .

هذا الباب الذي نبش الانان اتم بناءه لا تزال قائمة في بابل حتى الآن . ليست ترميماً مثل (ش ١٥٧) والابراج التي على جانبي الباب مزدانة برسوم الحيوانات على قرميد ملون ملين بالطين كالمستعمل في قصور اشور . وقام وراء هذا الباب قصر نبوخذنصر الفاخر متوجاً بالجنائن التي انشئت على سلوود عمت بالجنائن المعلقة (ف ٢٤٢)

ومع كل ما قام به هذا الملك العظيم من الحروب وجد لنفسه مُتسعاً من الوقت ومالاً لتوسيع نطاق عاصمة ملكه بابل وتحسينها . فشيّد فيها المباني العظيمة التي فاقت بفضامتها وأناقة مظهرها الخارجي والداخلي ، ما شاهده اسلافه الاشوريون وان كان قد اخذ عنهم كثيراً من هندسة مبانيهم الجميلة . وجدّد في القسم الجنوبي من المدينة ، في رحاب الهيكل العظيم ، هياكل آلهة البابليين القديمة (ش ١٥٧) . ولكي يصل بين هذه الهياكل والتصر الملكي فتح شارعاً عظيماً يمتدّ من باباً فحماً دُعي باب عشتاروت (ش ٨٠) لانه كان مكرساً لهذه الالهة . وكان القصر الملكي العظيم مبنيًا وراء هذا الشارع الذي كانت تمر فيه المواكب في الاعياد . وكانت في جواره دوائر الحكومة . وكان التل الذي بُني عليه برج بابل الحقيقي بالقرب من هيكل مرووخ وكان سامقاً فوق كل الابنية التي حواليه . (ف ١٥٨) وكانت الجنات المعلقة التي عدّها اليونان من عجائب الدنيا السبع ، تتوّج القصر الملكي فتريده جمالاً وبهاء وتطلّ على باب عشتاروت فتكسب الزاوية رونقاً ورؤاء . وكان الملك ينتاب

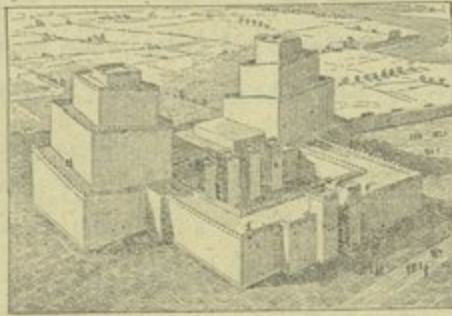
(٢٤٢) سباني
بابل ، الكلدانية
القديمة

هذه الجنات مصحوباً بسيدات قصره ترويحاً للنفس وتمتيعاً للنظر بما ينكشف لعيونهم من جمال المدينة وارباضها . وهكذا صارت مدينة بابل ذات آثار عظيمة الاعتبار كمدن اشور ومصر (ف ١١٨)

(٢٤٤) الساع
بابل العكلائية
واعمال الحفر المجدية
نبا

هذه هي المرة الاولى التي رأت فيها بلاد بابل مدينة عظيمة جداً في ارضها . فقد وسع نبوخذ نصر نطاق مدينة بابل وحصنها بالاسوار الضخمة المنيعة تأمينا لها من مهاجمة الاعداء . ومن جملة تلك الاسوار سور عند اعلى المدينة كان يمتد من نهر الى نهر . هذه هي بابل التي بناها بنوخذ نصر . هذه هي المدينة التي بهرت مجلالها وبها نفا هيروودوتس حين زارها بعد هذا الوقت باكثر من قرن من الزمان كما يتضح من وصفه لها حين كتب عنها . وهذه هي بابل التي اوضحت معروفة لدى المسيحيين بأنها مدينة سيي اليهود (ن ٣١) ولكن لم يبق لنا الا القليل من بقايا مجدها وعزها القابرين اللذين جعلها شهرتها ملء الحافقين . اما اعمال الحفر

فيها التي دامت من ١٨٩٩ الى ١٩١٧
قد كشفت لنا بناية اثر اخرى .
وما تلك الابنية الا انقاض ما
ابقت الدهور من مبانيها . وكان في ما
كشفتها اعمال الحفر ، الشارع العظيم
الذي كانت تمر في فيه المواكب ابان
الاعياد ، وباب عشاروت العظيم
(ش . ٨) وهو البناء الوحيد في جميع
بلاد بابل الذي تستحق بقاياه الذكر
والاعجاب . واما في بقية الاماكن
فلا يشاهد الا اجزاء متهدمة من
جدران الاجر التي لا تنبئ عما كان
عليه السكان من العزة ورفعة الشأن
حين كانوا يملون شوارع المدينة
والمباني العمومية غادين ورائحين



الشكل ٨١

بريفاً هذا الرسم هيكلآ اشوريا في اشور كما رسمه الذين نشوه
وراء دار الهيكل كان قدس الاقداس وعلى كل من جوانبه قام
برج برقي اليه بطريق لولية على النمط البابلي القديم (ف ١٥٨) .
ومن هذه الابراج تعلم اهل الارض قديماً بناء الابراج الذي انتهى
اخيراً ببناء قبب للكائنات وماذن للجوامع التي برج هيكل بابل
هو جدنا الاهلي (ش ٢٤)

(٢٤٥) مدينة
بابل العكلائية

والظاهر ان الكلدان تشرّبوا روح التمدن من بلاد بابل كما فعل قبلهم الذين اجتاحوا
هذا السهل من الساميين الاولين (ف ١٨٣ و ١٨١) . فزهت التجارة وراجت الاعمال
وتقدمت الفنون والصنائع وترقت الآداب والديانة . تشهد بذلك الاخبار المدونة على الاجر
بالخط الاسفيني القديم

(٢٤٦) علم التنجيم
بابل العكلائية

ولقد نجح الكلدانيون في علم الفلك نجاحاً يذكر وقد كانوا قبلاً مولعين بعلم التنجيم
لكشف اسرار الغيب بمراقبة الاجرام السماوية (ف ١٩٨) فتابروا عليه وتعمقوا فيه .

فكانت نتيجة رثابهم عليه انه ولد لهم علم الفلك . فقسوا خط الاستواء الى ٣٦٠ درجة ورتبوا الكواكب مجاميع اثني عشر دعوا كل مجموع منها برجاً وسَمَّوها كلها منطقة البروج . وهذه هي اول مرة صنعت فيها خريطة للاجرام السماوية

وكان الكلدان يحسبون السيارات الخمس المعروفة في ذلك العهد (وهي عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل) قوات ذات سلطة خصوصية على احوال البشر فحسبها آلهتهم الخمسة . وقد وصلت اليها اسماء تلك الآلهة فاذا هي اسماء السيارات . الا ان الاوريين غيروها الى اسماء رومانية فصارت عشتاروت ، الالهة الحب ، الزهرة . وصار مرووخ ، الاله العظيم ، المشتري . وهكذا قل في بقيتها ، وتقدم المنجمون في ارضهم تقدماً محسوساً وبلغوا في الرصد درجة عظيمة من التدقيق حتى توصلوا الى معرفة الإنشاء بالكسوف والخسوف . ووصلت ارضهم هذه الى اليونان . فاسسوا عليها علم الفلك الذي ابلغه درجة تذكر من الترقى . ولا تزال بقايا صناعة التنجيم بادية في احاديثنا العادية فاننا لا تزال نذكر في كلامنا طوالع السعد والنحس

(٢٤٧) اصل احوال
السيارات

ويستطيع الناظر الى المباني الجديدة في بابل ان يرى كيف رفع هذا العصر الكلداني بلاد بابل الى مستوى جديد من التمدن اعلى من المستوى الذي بلغت اليه اشور في زمانها . ومع ذلك خيل للكلدانيين انفسهم انهم ليسوا الا مجددين للتمدن البابلي الذي ازدهر في عصر حمورابي . فبال كتيبهم الى استعمال نوع من الكتابة قديم العهد جداً فاستعملوا في كلامهم اساليب في التعبير اكل الدهر عليها وشرب . وحفر ملوكهم أنفاقاً تحت اساس الهياكل وبجشوا السنين الطوال على امل ان يعثروا على الآثار الكتابية التي كان يتركها الملوك الاقدمون لمن يخلفهم على عروشهم كما يترك الان من يشيدون الابنية المهمة شيئاً من الآثار المكتوبة ، في حجر زاوية البناء (ف ١٦٦)

(٢٤٨) المجلد
الشرقي لاصحاح
الماضي

ان اعتماد هولاء الشرقيين على الماضي ومحافظتهم عليه كان علة تأخرهم . فبعد وفاة نبوخذ نصر (٥٦١ ق م) الملك الذي بلغت الحضارة الكلدانية في ايامه اوج عظمتها ظهر ان بلاد الشرق قد بلغت منتهى مداها في الحضارة فاستولى عليها الضعف بعد تلك القوة والحمول بعد ذلك النشاط العجيب . فلم يبق في طوقها ان تجري الى الامام في مضار المدنية كما جرت في مدة ثلاثة اعصر عظيمة في وادي النيل وثلاثة اعصر مثلها على الرافدين فكان ذلك نذيراً بقرب زوال السيادة من الشعوب السامية وانتقالها الى شعوب أخرى من الجنس المسمى بالهندي الاوربي (ف ٢١) ولما جاء ملء الزمان انتزعت السيادة من ايدي القوم

(٢٤٩) تاريخ
الشرق

الرحل سكان البادية وسُلمت الى شعب جبلي شديد قدم من الجبال الشمالية والشرقية .
فترك الآن الشرقيين وشأنهم ونوجه انظارنا الى هذا الشعب الجديد

مسائل

١٨

الى اين يؤدينا الفصل الثاني من تاريخ الرافدين ؟ صف البلاد التي حول اشور . من
أسس اشور ومتى ؟ من اين اخذ الاشوريون مبادئ متمدنهم ؟ هل كانت اشور معرضة
للتأثيرات من الشمال ؟ ماذا كانت النتيجة ؟ من كان خصوم اشور في الغرب ؟ اخبر ما
تعرفه عن الاراميين وعما عملوه ؟ ما هو الشيء الذي نقلوه الى اسية الغربية كلها ؟ ما منع
اشور من الوصول الى البحر المتوسط ؟ ماذا كان قد انتج التمدن الاشوري الى هذا
الوقت ؟ ماذا كشفت لنا اعمال الحفر الحديثة تحت القصر في اشور ؟

١٩

اية مدينة حالت خصوصاً بين اشور وفتحها الغرب ؟ متى وقعت دمشق بيد اشور ؟
ماذا كانت نتيجة ذلك في الغرب ؟ من هو مؤسس الاسرة الامبراطورية الاشورية ؟ صف
مدينته الجديدة . الى اين امتدت المملكة الاشورية ؟ كيف سارت حكومتها ؟ ماذا
تعرف عن الحروب الاشورية وعن صناعة البناء والتحاتة عندهم ؟ هل ذلك كله
من اصل اشوري ؟ ماذا تعرف عن ملك سنحاريب سواه ؟ كان في الحرب او في تشييد
المباني او في اشياء اخرى ذات شأن ؟ ماذا تعرف عن اشور بانبيال ؟ ما هي المخاطر
الداخلية والخارجية التي آلت الى سقوط اشور ؟ اية شعوب دمرت نينوى ؟ ومتى ؟
ماذا جرى على اخرة المدينة ؟ اي تقدم نبيهم من حكم مملكة اشور ؟

٣٠

أية مملكة مثلت الفصل الثالث من رواية تاريخ بلاد الرافدين ؟ من أسسها ومتى ؟
 من أين أتى شعبها ؟ من كان اعظم ملوك الكلدانيين ؟ ماذا عمل في حربه ؟ أي
 شعب اجلاه عن بلاده ؟ صف مبانيه في بابل . هل كان في بلاد بابل مدن كبيرة قبل
 عصره ؟ عمّن اخذ هندسة البناء في اثناء تشييده قصره ؟ ماذا جرى لمبانيه ؟ في اي
 علم تفوق الكلدان ؟ اية اسماء فلكية تحدثت اليها منهم ؟ هل قدروا ان يثبتوا
 بالحسوف والكسوف ؟ من اي جنس كان الكلدانيون ؟ اي جنس من الناس خلفهم
 في الزعامة الشرقية ؟

كبير
 والق
 الجن
 الاس
 في ا
 اور
 اراد

تصو
 ان
 ايطا

الفصل السادس

مادي وفارس

٢١

الشعوب الهندية الاوربية وتوزعها (١)

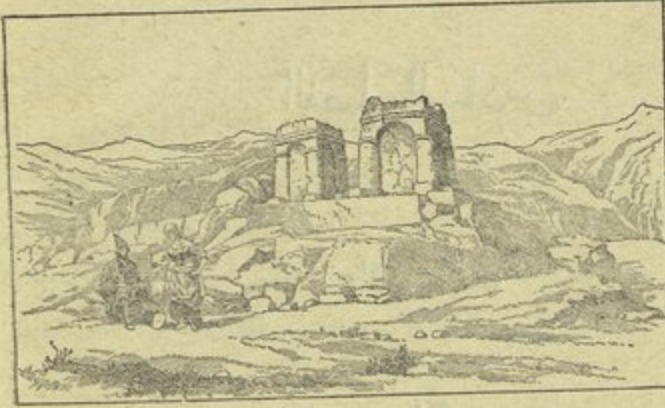
رأينا في ما تقدم معنا من الكلام ان بادية العرب او الصحراء العربية كانت مستودعاً كبيراً لشعوب غير متحضرة كانت بلا انقطاع تغادر المراعي على تخوم البادية وتأتي لتقيم في المدن والقرى وتعيش عيشة حضرية (ف ١٤١) وكانت في الشمال مراعي تحاكي المراعي التي في الجنوب (ش ٨٣) وتمتد من الدانيوب الاسفل شرقاً على طول الجانب الشمالي من البحر الاسود قاطعة جنوب روسيا الى اسية حتى سواحل بحر قزوين وكانت تلك المراعي في الازمنة القديمة مكتنزة بالرعاة الرّحل الذين كانوا بين حين وآخر ، يتدقّون على اوربا واسيا الغربية كسيل العرّم كما فعل قباهم ساميو الجنوب حين قدموا من البادية الى اراضي الهلال المخصب (ف ١٤١)

(٢٥١) الشعب
الهندي الاوربي
والشعب السامي

ان قبائل الشمال الرّحل هي نفس الشعب الهندي الاوربي الابيض ، اصل سكان اوربا

(١) هلي الامتاذ قبل ان يسبح لنلاميذه بدرس النبذة الحادية والعشرين مستقلاً ان بشرحها لهم بعد تصويرها لهم على اللوح الاسود (ش ٨٣) حتى يستطعموا ان يربسوها ثم يدورهم من الناكرة حين الطلب . ويجب ان تُعاد هذه العملية مرّة ثانية حين الشروع بدرس الامة اليونانية (ف ٢٧٦) ومرّة ثالثة حين الاخذ بدرس ايطاليا وامة الرومانية

اليوم . شرعت تلك القبائل منذ القديم تهاجر من مراعيها في الشمال الى كل الجهات . وعلى مرور الزمان تألف منها صفٌ من الخلق طويل جداً يمتد من تخوم الهند في الشرق قاطعاً اوربا الى



الشكل ٨٣

الأتلانتيكي
حيث زاهم
اليوم (ش ٨٣) .
وكان يقابل
هذا الصف
الشمالي صفٌ
آخر في الجنوب
مؤلف من
الشعوب السامية

يتمدُّ من بابل
شرقاً ماراً

ببلاد الفينيقيين
والعبرانيين

يرينا هذا الشكل مذايح المحرقة القديمة التي لا تزال منها بقية في بلاد فارس
وبالقرب منها قبور ملوك الفرس (ش ٨٨) وهي لا تبعد كثيراً عن بوساً عاصمة البلاد .
ولا ريب في ان هؤلاء الملوك كثيراً ما سجدوا امام هذه النيران المتقدة على هذه المذابح
غرباً الى قرطاجنة والمستعمرات الفينيقيَّة الاخرى الواقعة الى الجهة الغربية من البحر
المتوسط (ف ١٠٣)

(٢٥٢) النزاع
بين الشعبين
الهندي الاوربي
والسامي

ان معظم التاريخ القديم من الآن فصاعداً عبارة عن نزاع دائم بين الشعب السامي
الجنوبي الذي جاء اولاً من مراعي الجنوب وبين الشعب الهندي الاوربي الشمالي الذي جاء من
مراعي الشمال ليتصدى للمدن التي يمثلها الشعب الجنوبي المشار اليه . واذا القينا نظرة عامة
على الشكل ٨٣ وجدنا هذين الشعبين العظيمين متقابلين كجيشين كبيرين يمتدان من اسية
الغربية الى جهة الأتلانتيكي غرباً . فالحروب التي نشبت بين رومية وقرطاجنة كانت بعض
الاعمال الحربية التي جرت على ميسرة الجيش السامي . والانتصار الذي احرزه الفرس في
محاربتهم للكلدان (ن ٢٣) كان من نتائج الاعمال الحربية التي جرت في الميمنة السامية

(٢٥٢) انتصار
الشعب الهندي
الاوربي في جهة
اوربا

وكانت عاقبة النزاع الطويل بين الشعبين انتصار الشعب الهندي الاوربي انتصاراً تاماً
لانه فاز في الميمنة والميسرة والقلب وقبض على اعنة السيادة التي لا منازع له فيها في جميع
المناطق المجاورة للبحر المتوسط . وذلك في عصر اليونان والرومان . وصحب هذا الانتصار

المراعي . لم تستطع الابحاث الحديثة ان تعين بوجه القطع التام ، البلاد التي اقام فيها اسلاف الشعب الهندي الاوربي ايام كانوا لا يزالون قبائل رحلاً . الا ان لدينا بعض ادلة على ان وطنهم الاول كان السهول الفسيحة الارحاء الواقعة الى الشرق والشمال الشرقي من بحر قزوين . وهذا كله من باب الترجيح لا من باب القطع . وحين كانوا لا يزالون شعباً واحداً كانوا يتكلمون بلغة واحدة تفرع منها جميع اللغات التي تتكلم بها الامم المتعدنة في اوربا الحديثة

(١٣٥٤) اسلاف
النسب الهندية
الاوربي ووطنهم
الاول

كان اسلاف الشعب الهندي الاوربي قبل زمن تفرقهم لا يزالون ضمن نطاق العصر الحجري مع ان النحاس كان قد صار معروفاً . والمرجح ان ذلك الزمن لم يكن بعد ٢٥٠٠ ق م . وقد كانوا وقتئذ منقسمين قبائل يتنقلون بقطعانهم ومواشيهم من منتجع الى آخر . وكان لديهم كثير من الحيوانات الاهلية اخصها الخيل التي لم تعرف بين الامم المتعدنة الشرقية الا بعد عصر حوراي (ف ٢٠٣) . ولم يقتصروا في استعمال الخيل على الركوب فقط بل استخدموها لجر العجلات ايضاً . وكان عندهم بقر لحمل النير وجر السكة لان بعض تلك القبائل كان ألف عيشة الحضارة وشرع في زراعة الحبوب ولا سيما الشعير . وبما انهم كانوا يجيئون الكتابة ، فلم تكن حكومتهم وانظمتهم مما يعاب به او يؤبه له . ولكنهم كانوا في العالم القديم من ذوي المواهب الممتازة والخيال السامي

(١٣٥٥) مدينة
اسلاف النسب
الهندي الاوربي

وحين تفرقت شمل قبائل هذا الشعب بالترحل والتنقل تصرمت اسباب اتصالهم ببعض ببعض وصارت كل قبيلة منها تُعرف بخصايص تميزها عن سواها سواء في اللغات او في العادات . وعلى تادي الزمان تمازجت الفروق بينهم جداً . وكانوا قبلاً اذا تلاقحت جماعات منهم في مكان ما يستطيعون ان يتفاهموا ولكن لما وفرت الاختلافات بينهم لم يعد التفاهم في حيز الامكان . واخيراً نسوا اصلهم وما بينهم من صلوات القرى حتى قُيِّض لهم حديثاً من اماط لهم الحجاب عن تلك الصلوات وذلك بمقابلة لغات اوربا الحديثة بعضها ببعض . فاذا بدأنا من انكلترا غرباً واتجهنا شرقاً قاطعين قارة اوربا حتى نبلغ الى شمال الهند وجدنا بضع كلمات مشتركة بين لغات الشعوب المختلفة التي غرثها . فان الكلمات الثلاث اب وام واخ ، في اللغة الانكليزية والالمانية واللاتينية واليونانية والفارسية القديمة ولغات واسط اسمية وشرقي الهند ، متشابهة جداً . وكانت القبائل التي ارتحلت من مراعي الشمال في الجناح الغربي قد قطعت ، حوالي ٢٠٠٠ ق م ، الدانيوب واوغلت في شبه جزيرة البلقان بل كان بعضها قد دخل في هذا الوقت ايطاليا التي كانت تتنقل فيها من مرعى الى مرعى انتجاعاً

(١٣٥٦) تنوع
اسلاف النسب
الهندي الاوربي

للكلال وارتبياً للماء كأهل العصر الحجري الذين مر ذكرهم في كلامنا عن اوربا مدة العصر الحجري (ف ٣٥) فهذه القبائل الغربية كانت - بلا مرأه - اسلاف اليونان والرومان وستعود فيما بعد الى ذكرها واقتفاء آثارها في اثناء فتوحاتها في البلاد المجاورة للبحر المتوسط ولكننا قبل ذلك يجب ان نوجه نظرنا الى الجناح الشرقي من صفوف الشعب الهندي الاوربي العظيمة حين زحفها الى الجنوب لمصادمة ميمنة الصفوف السامية

٣٣

الشعوب الآرية والنبي الايراني زورواستر

وما لا ريب فيه الآن بل هو حقيقة مقررة ، ان قبائل الشرق الاقصى من الصف الهندي الاوربي ، بعد ان غادرت وطنها الاصلي وجَّهت خطاها نحو السول الفسيحة والرياح الغناء الواقعة شرقي بحر قزوين حيث كانت تقوم على رعاية مواشها حوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م . وفي هذا المكان أسست امة تعرف بالآريين^(١) (ش ٨٣) فاقاموا به الى حين . وبما انهم كانوا يجهاون الكتابة لم يخلفوا آثاراً كتابية نقف منها على طرف من احوالهم ولكن معتقدات انسالهم تدل على انهم كانوا يدينون بديانة ذات شأن كبير جمعت قواعد التصرف والساوك في عبارتين هما «افكار صالحة» و«اعمال صالحة» . وكان للثار مكانة عالية في ديانتهم وكان لديهم جماعة من الكههان سَمَّوهم «بوقدي النار»

ولما تفرقت الآريون نحو سنة ١٨٠٠ ق.م انشطروا شطرين اشتمل احدهما على القبائل الشرقية التي توجهت جنوباً وانتهت رحلتها في بلاد الهند . وفي كتبها الدينية المعروفة باثيدا اشارة الى الوحدة الآرية والوطن القديم شرقي بحر قزوين

والشطر الآخر بقيت قبائله محافظة على الاسم القديم «ايران»^(٢) وتقدم بعد تركه

(٢٥٨) الفاطنين
بالمسكينية من
القبائل الهندية
الاوربية

(٢٥٩) الماديون
والفرس يتقدمون
عرباً نحو الملال
الغصب

(١) يظهر انه لم يكن لاسلاف الشعب الهندي الاوربي اسم عمومي يشمل قبائلهم كلها تحت اسم واحد . وكثيراً ما كانوا يسمون باسم «آريين» وهذا ليس بصواب لان لفظة «آريين» (المشتق منها ايران وايرانيين) كانت تدل على مجموع قبائل في جزء من الشعب الاصلي انفصل عن الاصل وتوطن البلاد التي الى الشرق من بحر قزوين قروناً عديدة . فحين نسمع ان لفظة «آريين» اشتملت للدلالة على الشعوب الهندية الاوربية ، لنذكر ان هذا الاستعمال - وان كان شائعاً فهو خطأ من وجهة التاريخ . فلا يربون م ذرية شرقية للشعب الهندي الاوربي الاصلي

(٢) اطلقوا اسمهم على اتحاد الايراني المهند من جبال زاغرس الى نهر السند شرقاً . وكانت هذه المنطقة معروفة في ايام اليونان والرومان باسم «اريانة» المشتقة (مثل ايران) طبعاً «من آريان» (خريطة ١٩)

وطنه الاصيلي ، نحو الغرب والجنوب الغربي الى الجبال المتاخمة للهلال المخصب (ف ١٣٩)
وهنا التي ناسه عصا الترحال ودهوا ايرانيين ، وكانت منهم قبيلتان اشهرتا بالبأس والشدة .
وهما الماديون والفرس وقد مرّ بنا قبلاً ان الماديين زحفوا من الشمال على نينوى جنوباً في ابان
عزة ملكها

(٢٦٠) مملكة
الماديين (الهندية
الاورية) مهدد
مملكة اهل الكلدانية
(السامية)

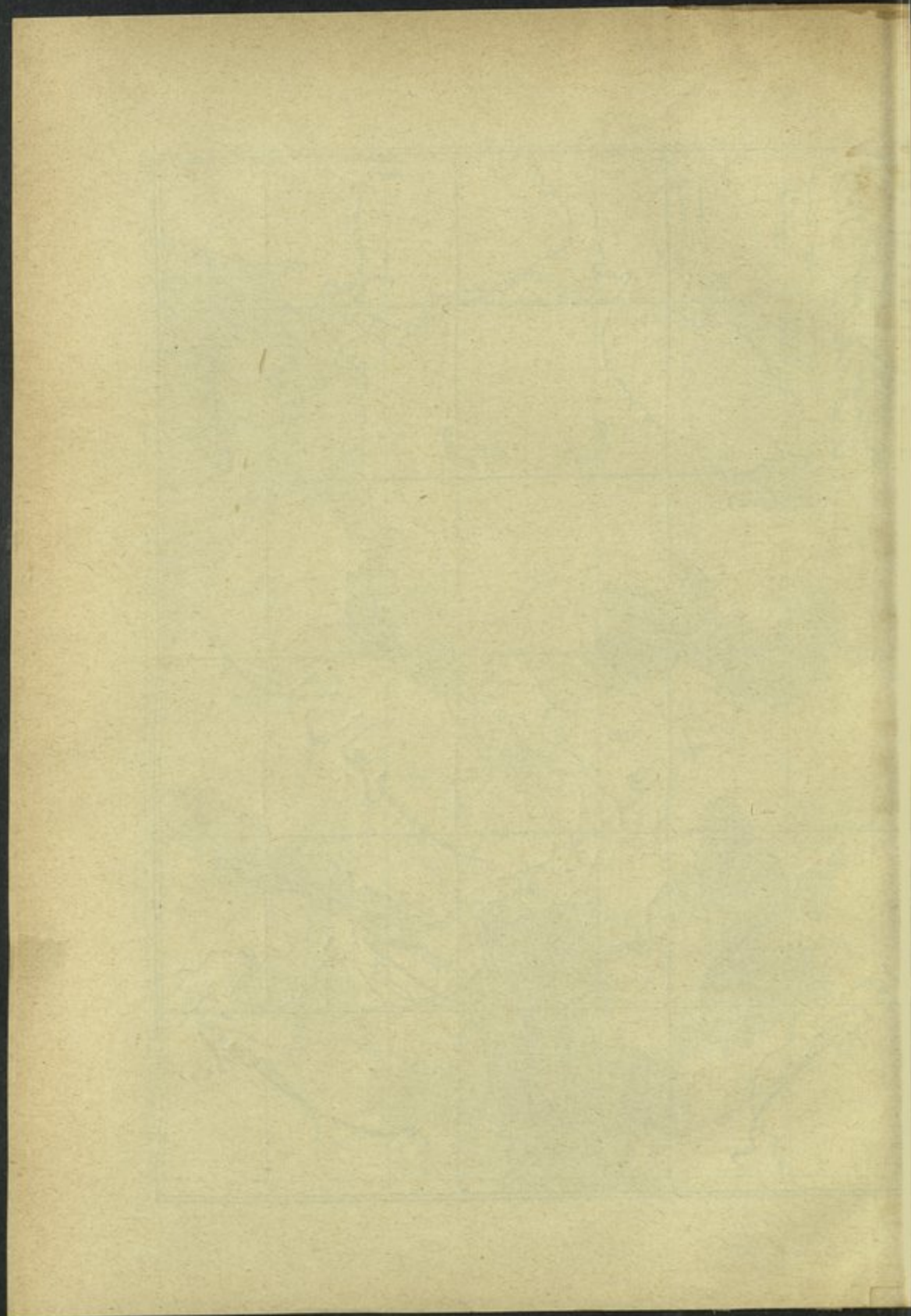
وحوالي سنة ٦٠٠ ق م - بعد سقوط اشور - (٢٣٩) كان الماديون قد شيّدوا في
الجبال الواقعة شرقي دجلة مملكة ايرانية متسعة الاطراف شديدة الخول امتدّت من خليج
فارس شمالاً بغرب على موازاة الجبال ، الى حدود البحر الاسود . فكانت بذلك
جبهة الجناح الشرقي للصف الهندي الاوربي عند هذه النقطة على موازاة دجلة تقريباً . وكان
نبوخذ نصر واعوانه من الكلدانيين ينظرون الى مملكة مادي المخيفة نظراً الحذر والوجل
لانهم كانوا لا يزالون قابضين على زمام الزعامة في هذه البقعة من الارض التي جاوا اليها
قبلاً من مراعي الجنوب والدم السامي يجري في عروقهم . والآن جاءهم قوم من مراعي
الشمال من الجنس الهندي الاوربي ينازعونهم تلك الزعامة ويحاولون تزعمها منهم (ف ٢٥٠)
ويجب الآن ننسى ونحن نراقب انهزام الكلدانيين امام الماديين ان انقلاب الزعامة وانتقالها
من يد الى يد هو انقلاب جنسي عظيم

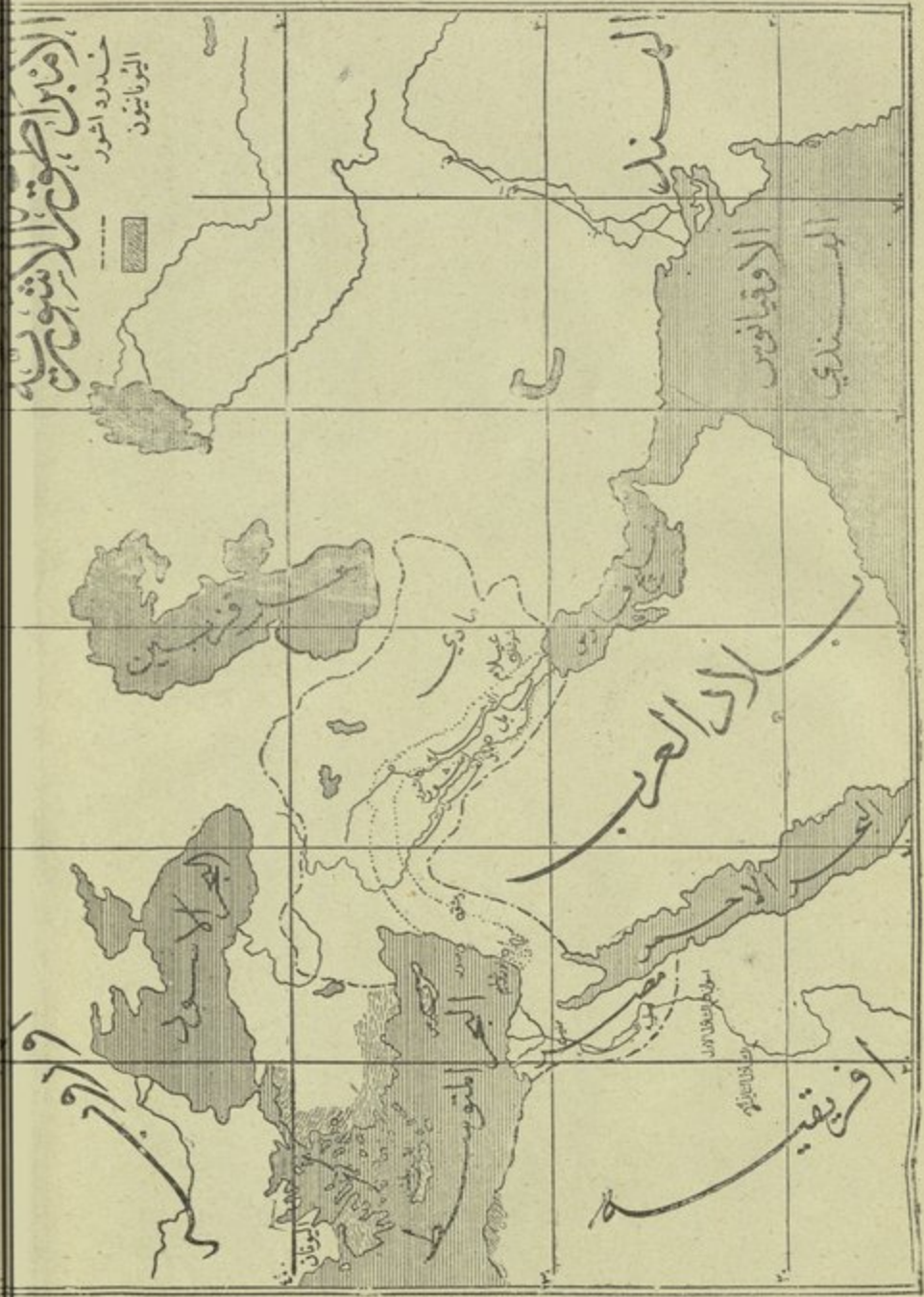
(٢٦١) ديانة
الاهراميين

كان لهؤلاء الايرانيين ديانة جميلة ورثوها عن اسلافهم الاولين (ف ٢٥٧) الا انه ظهر
في الجبال الشرقية حوالي سنة ١٠٠٠ ق م رجل ايراني المتجسد اسمه زورواستر وشرع
منذ ظهوره ينظر في حياة الناس عموماً راجياً ان يتوفّق الى ايجاد ديانة جديدة تناسب البشر
على اختلاف بيئاتهم . رأى زعماً دائماً بين الخير من جهة والشر من الجهة الاخرى فقال
بوجود فئة من الكائنات الصالحة تقاومها فئة اخرى من الكائنات الشريرة لتفسد عليها
عملها . فحسب الخير شخصاً الهيا وسماه مزدا او اهرومزدا ومعناه « رب الحكمة » وحسب
الله . واعتقد ان جوقاً من الاعوان يطيفون به كملانكة له وكان اعظمهم النور المسمّى
مئاس . اما الفئة الشريرة فكانت بحسب اعتقاده مؤلفة من ارواح رديئة تحت قيادة روح
الشر ، الزعيم الكبير المسمّى اهريمان . وهذا هو الذي اخذه عنهم فيما بعد لليهود ثم النصرى
وسمّوه الشيطان

(٢٦٢) الديانة
المسيحية

وهكذا نشأ دين زورواستر من نفس جهاد الحياة وصار قوة عظيمة فيها وكان من اشرف
الاديان التي رُجِدت قبله وفي زمانه دعا زورواستر كل انسان ان يختار احد امرين اما ان
يلاً نفسه من الصلاح والنور او يقيم في الشر والظلام . ومهما كان اختياره يجب ان يتوقف







البحر الهندي

الهند

الاندونيسيا

بلاد العرب

مقياس الكيلومترية

جزال الفوقان

جزال الفوقان

البحر الهندي

فرنيقا

Fragmentary text visible along the left edge of the page, including characters such as 9, 4, 1, 5, 7, 4, 3, 1, 1, 1, 9.

The image shows a large, faint grid structure, likely a ledger or table, occupying the majority of the page. The grid lines are very light and mostly illegible, but the structure suggests multiple columns and rows. The paper is aged and yellowed, with some staining and a vertical crease on the left side.

حساباً عنه في المستقبل . فكان هذا اقدم ظهور في اسية للاعتقاد بديوثونة اخيرة في المستقبل . وحافظ زورواستر على احترام النار الآرية القديمة كرمز محسوس للاصلاح والنور كما حافظ على الكهنة الذين كان عملهم ايقادها (ش ٨٢)

(٢٦٢) زورواستر
يشير بهيو المجدد

وجال زورواستر بين الشعب الايراني يبشر بديانته الجديدة سنين عديدة دون ان يجد من يهتم بتبشيره . واذا اطعنا على مجموعة الاغاني التي هي الاثر الكتسائي الوحيد الذي تخلف عن هذا النبي العظيم ، تجسم لنا فيها ما كان يخالج افكاره من عوامل الخوف والامل . وقد روى احد الايرانيين المولعين بالحيل ان زورواستر قبل وفاته تمكن من هداية احد ملوكهم العظام الى سراط دينه بمجرد شفائه حصاناً للملك كان مصاباً بمرض في قوائمه اقعده عن السير . وقبل ان اغمض الموت عيني زورواستر رأى ديانته راسخة الاركان . ولم تأت سنة ٧٠٠ ق م الا وقد صارت الديانة الاولى والمظمى عند جميع الماديين الجليين في انحاء الهلال المخصب وغدا زورواستر المؤسس الاول العظيم لمعتقد ديني

(٢٦٤) النسطا .
كمتساب الفرس
القدس

والمرجح ان زورواستر كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب لان الايرانيين في عصره لم يكونوا قد عرفوا الكتابة بعد (ف ٢٧٤) وفضلاً عن الاغاني المشار اليها آنفاً فقد وصل اليينا من تعاليمه شذرات مكتوبة عُني بتأليفها وجمعها معاً نقرأ من اهل القرون الوسطى المسيحية بعد موت صاحبها بالف سنة . فجاءت كتاباً مشهوراً سمّوه نُستا وهو كتاب الفرس المقدس

٣٣

قبام مملكة انفرس : كورش

(٢٦٥) ظهور
الفرس . بلادهم
وتقاليدهم

وكانت القبائل الايرانية المعروفة بالفرس اوفر اتباع زورواستر غيرةً واشدهم حماسة . وبواسطتهم وصلت معرفته اليينا . اما موقع بلادهم فكان عند الطرف الجنوبي الشرقي من جبال زاغروس شمالي الخليج الفارسي تماماً . احتلوها قبل سقوط نيثوى بمدة طويلة . وكانت اوديتها التي تتخلل جبالها الداخلية خصبة مريعة . واما الاراضي التي على ساحل الخليج فكادت تكون كالبادية . ولم تزد عن ٤٠٠ ميل طولاً . وكان سكانها من الفلاحين السذج يعيشون من الفلاحة والزراعة . فلم يكونوا اهل فنون ولا آداب ولم يكن لديهم الا بعض المؤسسات البسيطة . وكانوا يجلبون الكتابة . ولكنهم كانوا يطربون لماضيهم ويتقدون حماسة عند ذكره . وكانوا في اثناء قيامهم على رعاية مواشهم وفلاحتهم لحقولهم

يرددون كثيراً من قصص اسلافهم الآريين ومن احاديث نبيمم الذي اعتنقوا ديانتهم
كان سكان فارس يعترفون بأنهم اتباع لذوي قرباهم الماديين الذين كانوا متسلطين على
البلاد الواقعة الى الشمال والشمال الغربي منهم . ولكن قامت احدى قبائلهم المسماة انشان
التي كانت محتلة جبال عيلام (انظر خريطة ٣) وألفت مملكة صغيرة تولى زمام السلطة
فيها - بعد سقوط نينوى بخمسين سنة - رجل فارسي اسمه كورش والاه الحظ فضم تحت

(٣٦٦) كورش
الأنسال ينظم
القبائل الفارسية
امة وبهر الماديين

لوائه اشتات القبائل التي كانت تجتمعها
واياه لخدمة النسب وجعل منها امة كباقي
الامم . ولما استتب له الملك قلب للماديين
ظهر المجن وثار عليهم ونظم جيشاً من
الفلاحين حارب تحت لوائه ثلاث سنين
قهر في ختامها ملك الماديين واستولى على
مملكته . وكان النجاح الذي حازه في المعترك
باهراً جداً جذب اليه انظار اهل العرب
وملاً قلوبهم من الذهب والربح



الشكل ٨٤ جنود فارسية

وكان كورش ورجال جيشه الفلاحون
على جانب عظيم من البسالة والبطش حتى
قام في عقود العموم ان لا قوة تستطيع
مناواتهم . وقد كانوا اشهر اهل زمانهم
بالرماية . ولذلك كان معظم الجيش الفارسي
من الرماة (ش ٨٤) فكانت سهامهم تنهال
على الاعداء من مدى بعيد وتفتك بهم
الفتك الذريع قبل ان يلتجئوا بهم
ويقاتلوهم بالايدي عن كعب حين كان
فرسانهم يسيرون جيولاتهم المشهورة على
ميينة الاعداء ويمسرتهم ويردون
البقية الباقية . ويعود الفضل في مهارة
الفرس الحربية الى الاشوريين الذين اخذوا
فنون الحرب عنهم . وكان الاشوريون

(٣٦٧) الجيش
الفارسي

هؤلاء الجنود من الرماة المخصوصين (ف ٣٦٧) كما
يعرف ذلك من حجم جمعهم التي على ظهورهم وان كانوا
يمرون في الرسم حاملين رماحاً . ووقت قيامهم يحتاج
المخفارة كانوا ينطون القوس بالمتك الابسر ويبرى المحوس
الملكي حاملين رماحهم يمتنون بملك الفرس وقت معركة
اسوس (ش ١٥٠) لاحظ الحمل الفاخرة التي كان يترداها
حرس القصر . وهذه الصور المصنوعة من اجر مرصع
بالمينا وملون بالوان زاهية كانوا يستعملونها لتجميل
وزخرفة جدران القصر . ويظهر في الشكل المرسوم (ش ١٥٦)
صف من الرماة وقوفاً على طول جدار دار القصر

اعظم رجال الحرب الذين ولدوا تحت سماء الشرق

ولما رأَت الممالك العظيمة - بابل ومصر وليدية (في عهد كرييس) حتى سبارطسة اليونانية - الخطر الذي يتهدها هبتت الى الاخذ باسباب التعاضد والاتحاد لتدراه عنها . ولكن ما عم كورش

ان هاجم كرييس ملك ليدية الذي كان قوام هذا التحالف العدائي فانتصر عليه انتصاراً باهراً واستولى سنة ٥٤٦ ق

م على عاصمة ملكه ساردس واعتقله اسيراً ثم وجه قواته الحربية الى السواحل الجنوبية

من اسية الصغرى واستولى عليها . فتكون مملكة الفرس الصغيرة قد

الشكل ٨٥ كذابة على اسطوانة من اجرة فيها نبال استيلاء كورش على بابل (٥٣٩ ق . م .)

بني هذا الاثر كيف ان مردوخ (اله بابل) سجع لكورش ان يدخل بابل مدينة بلا نزاع . فنجى بابل من الضيق ، وسلم نابونادبوس الملك الكلداني الذي لم يكن يخشاه الى يد كورش . وها ان نابونادبوس لم يكن محبوباً من الكهنة ساعدوا على تسليمه

دوخت في غضون خمس سنين ، اسية الصغرى حتى البحر المتوسط وقبضت على عنان السيادة في ممالك الشرق جماعاً .

ثم وجه كورش قواته شرقاً ونازل جيش الكلدانيين فقهره وكان قائد هذا الجيش بليشاصر الشاب الوارد اسمه في سفر دانيال النبي (ص ٥) ومعا كانت عليه مدينة بابل من مناعة الاسوار التي اقامها حولها نبوخذنصر ، (ف ٢٤٤) لم يلاق الفرس اقل مقاومة حين دخلوها واستولوا عليها (سنة ٥٣٩ ق . م (ش ٨٥)

(٢٦٩) غلبه كورش على بلاد بابل

(٢٧٠) سقوط الشرق السامي امام هجوم الهندس الاوربي

وبعد سقوط نينوى بثلاث وسبعين سنة ابتداء النزاع بين من كانوا قبلاً اهل المراعي الشمالية وبين اهل المراعي الجنوبية فكانت عاقبته انكسار الشرق امام القوات الهندسية الاوربية انكساراً لم تقم له بعده قائمة . وبعد ذلك بعشر سنين ، قتل كورش في احدي المعارك (٥٢٨ ق م) التي نشبت بينه وبين بعض القبائل الرحل الضاربة في الشمال الشرقي من ايران ودُفن في ضريح نفخ أعد له في فسر جادي (ش ٨٦) التي جعلها في بادي الامر عاصمة بلاد فارس . وهكذا قضى الفاتح الأول العظيم من الجنس الهندي الاوربي بعد ان

عنت لسلطانهِ كل اسية الغربية

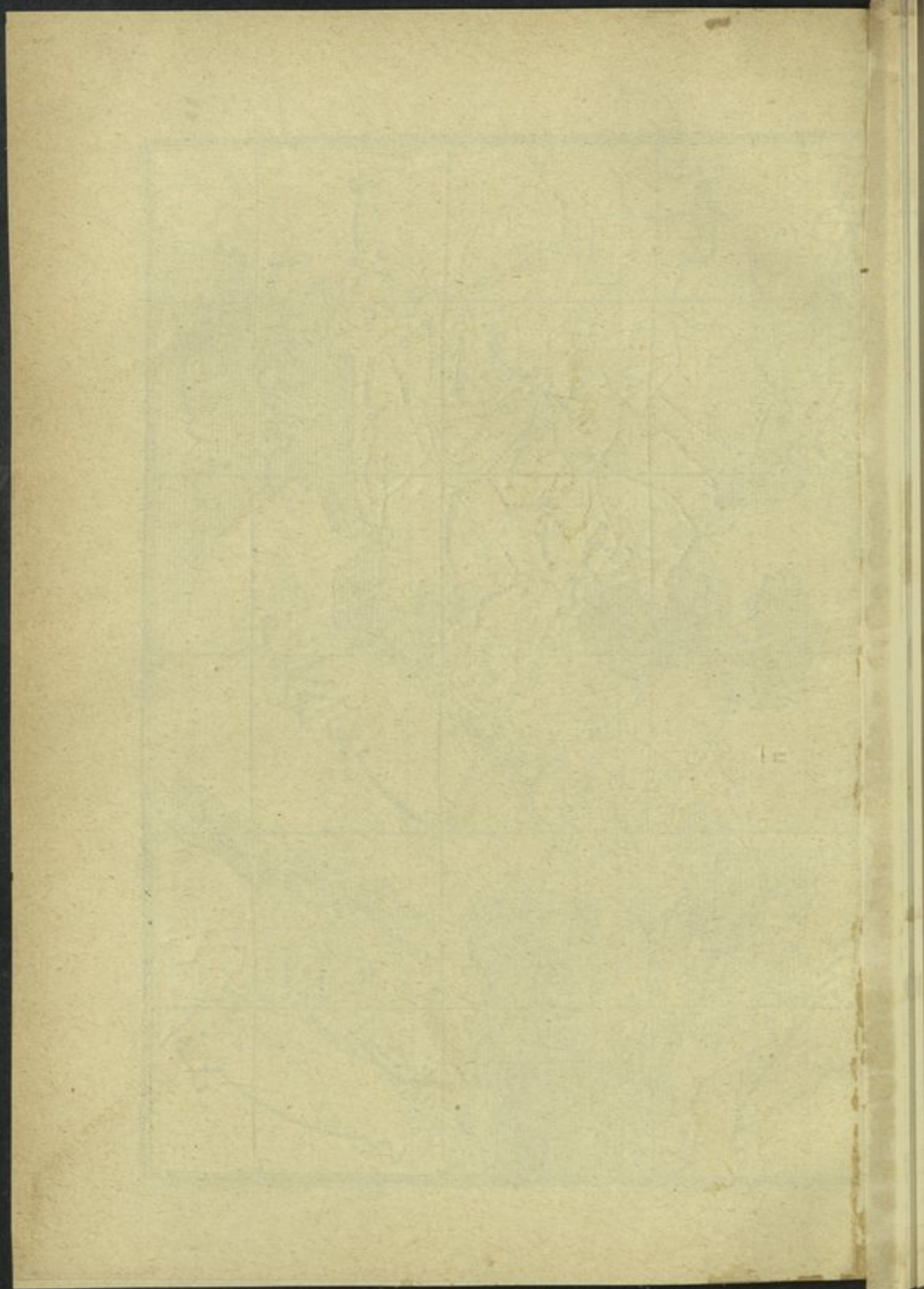
وفي سنة ٥٢٥ ق.م اي بعد موت كورش قام ابنهُ كبيز وفتح مصر فعَمَّت سيادة مملكة فارس جميع بلدان الشرق المتمدن من دلتا النيل الى الجانب الشرقي من البحر المتوسط وبحر ايجه ، ومن هذا التخم الغربي الى الهند شرقاً . وقد اقتضى القيام بهذا العمل الخطير خمساً وعشرين سنة بداءتها ستوط مادي على يد كورش . وكانت لاشور يدُ في تهيمد السبيل لانجاز هذا العمل الكبير . ولا مرأء في ان الفرس قد جنوا فوائد حمة من المدينيات التي سبقت مدينتهم

(٣٧١) فتح كبيز
للمصر



الشكل ٨٦ قبر كورش قرب بورسيبا

اقدم بناية فارسية مهمة . ويرجح ان كورش نفسه بداها . كانت محاطة برواق معبد (ذي عمُد) لاتزال اثره ظاهرة الى اليسار . وبقرب رفات داروس هنا مقبي سنة تقريباً حتى وجدته الاسكندر الكبير ملقى على ارض الصريح وقد نهب اللصوص كل الفانس الملوكة التي كانت مدفونة معه . فامر بارجاع الرفات الى مكانها وبعد القبر . وهو الآن فارغ





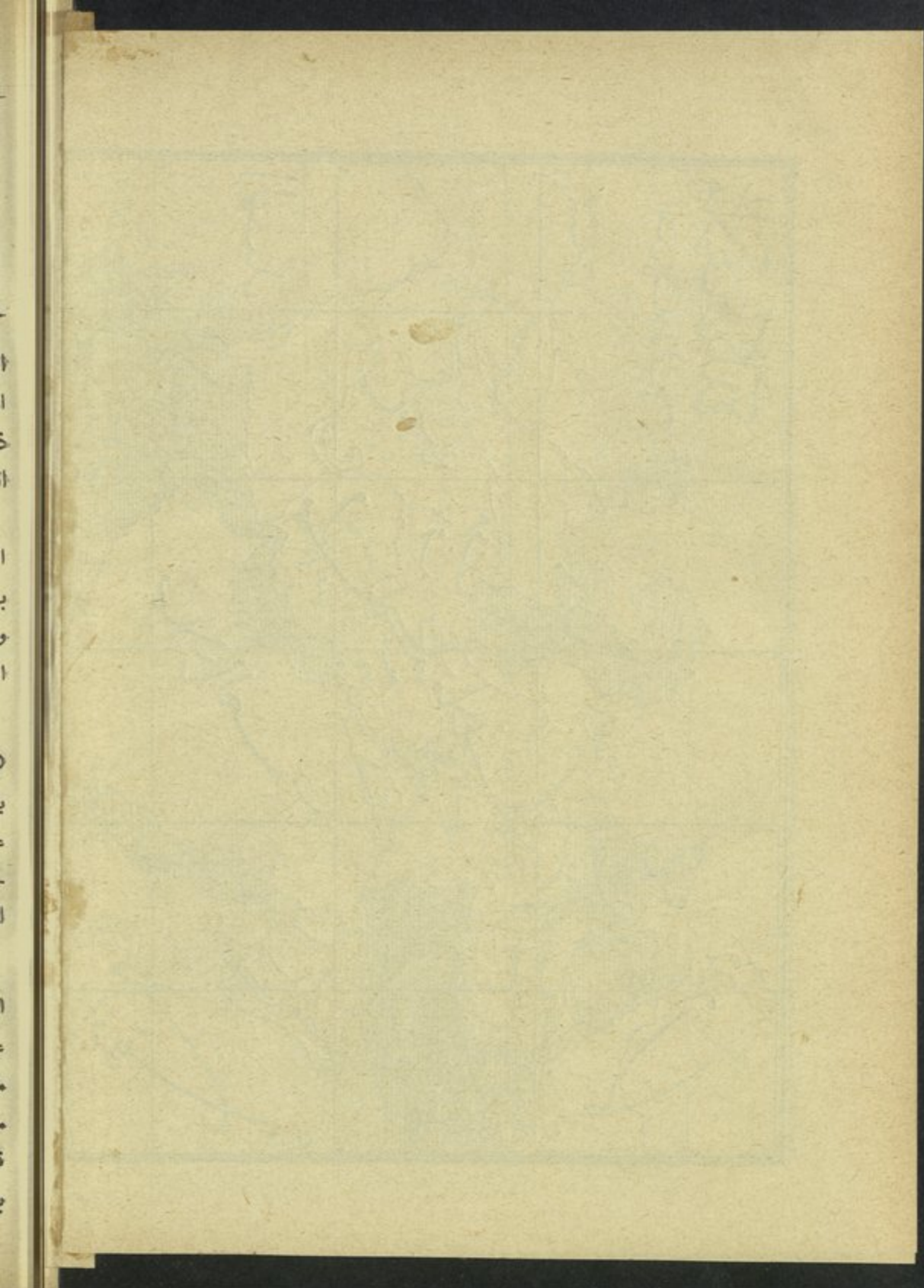
أفيداً لطوبى الفهد
٢٠٠ ق

الهند
الهند الشرقية
الهند الغربية

٢٠٠ ق

مصر
الهند الشرقية
الهند الغربية

الهند
الهند الشرقية
الهند الغربية



٣٤

مدينة مملكة فارس نحو ٥٣٠ - ٢٢٣ ق م

وجد الفرس بابل مدينة ذات عظمة ومهابة وحصون منيعة يرتد عنها الطرف وهو كليل تمتد من النهر الى النهر . شيدها نبوخذ نصر كما شيد غيرها من المباني الباذخة الفخمة التي كانت تُشاهد من مسافات بعيدة (ف ٢٤٣-٢٤٤) وكانت بابل مركزاً مهماً لتجارة اسية الغربية واعظم سوق للشرق القديم . وأستولى ملوك فارس على مدائن مصر الزاهرة ذات الأثار النفيسة . فكان للمدنية المصرية ومدنية ما بين النهرين تأثير عظيم في الشعب الفارسي

وصارت اللغة الارامية وهي لغة التجار الذين كانت تقص بهم اسواق بابل ، لغة الهلال المخصب قاطبة . فكانت الصكوك التجارية تكتب بها على ورق البردي بالقلم والحبر بدلاً من كتابتها على الاجر باخط الاسفيني والمباري الذي كانت شمسُه آخذة بالافول . واضطراً موظفو الحكومة الى استعمال الارامية في جميع اعالم فكانوا يرسلون بها اوامر الحكومة حتى الى مصر واسية الغربية (ش ٩٨)

وحذت حكومة الفرس حذو مملكة اشور بأن استعملت لغتين ، الارامية والفارسية (ف ٢١٢) حتى في كتابتهم للغتهم الفارسية كانوا يستعملون الحروف الارامية . ولم يكتبوا بالحروف الارامية بل اخترعوا ٣٩ حرفاً من النوع المباري كانوا يستعملونها في الكتابة على الاجر وعلى الحجارة التي كانوا يصنعون منها بين حين وآخر آثاراً تذكارية خالدة (ش ٨٧) . فحذق الفرس الكتابة بعد دخولهم الهلال المخصب وصاروا يكتبون بعد ان كانوا جاهلين الكتابة امداً طويلاً . وتعد الأثار التي خلفوها اقدم المكتوبات الفارسية التي وصلت الينا

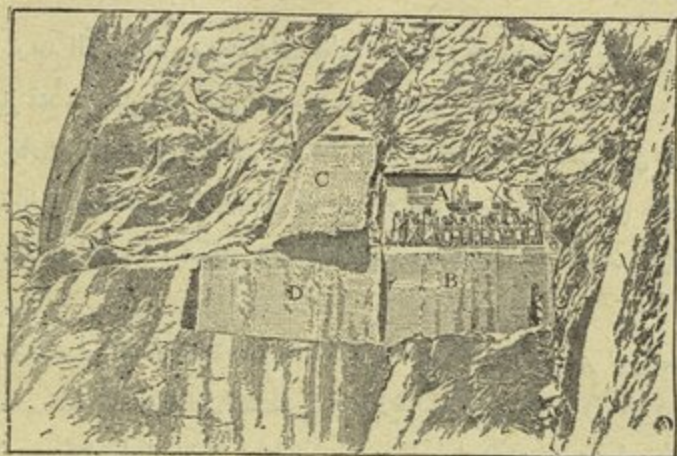
ان تنظيم مملكة مترامية الاطراف تمتد من نهر السند الى بحر الميجه ومن الاوقيانوس الهندي الى فلوات بحر قزوين لم يكن من الهنات الهينات بل كان عملاً شاقاً يتطلب رجلاً عظيماً خبيراً بالشؤون الادارية وهمة تنطج برؤيتها السحاب . ولم يُقدم قبل داريوس ملك من الملوك على القيام بالعمل الشاق الذي بدأه هو . ولما عجز عن ابلاغه الى الدرجة المرومة من التمام غادره لداريوس الكبير لكي يُتمه (٥٢١-٤٧٥ ق م) . والحق ان التنظيمات التي قام بها هذا الملك العظيم لمن اجل الاعمال الخالدة التي حفظ لنا ذكرها تاريخ الشرق القديم بل تاريخ العالم بأسره . كان داريوس ملكاً عادلاً سامي المواهب العقلية دقيق الشعور جداً

(٢٧٥) تنظيم
داريوس لمملكة

(٢٧٤) الفرس
بجزء من حروف
همبارية

(٢٧٢) متوك
نارس في بابل
ببشر بوت مدينة
الشرق الرنسيه
ببساطون عليو

ولكنه كان مستبداً قبض على ازمة الاحكام بيد من حديد، ولم يدع رعيته تتدخل في شؤون الملك. وكل ما قضي به صار شرعة يُعمل بموجبها. يؤكد لنا ذلك ما جاء في الكتابة البهستونية (ش ٨٧) وهذا نصه: «بنعمة اهرمزدا قد خضعت هذه الارض



الشكل ٨٧ اثر تذكاري لاتنصار داربوس الكبير.
حجر رشيد الاسبوي على صخرة بهستون

هذا الاثر الكتابي الجليل هو اقدم سجل تاريخي باقٍ في اسية. وهو مؤلف من اربعة اقسام مهمة: التصاویر النافذة A وثلاث كتابات (D. C. B.). B كتابة مهمة في اسطر عمودية علوها اربعة امتار سجل فيها باللغة الفارسية انتصار داربوس على اعدائهم في الثورات العظيمة التي ثارت جلوسه على السريز. والحروف المسارية التسعة والثلاثين التي ابتكرها الفرس (ف ٢٧٤) والكتابان الآخريان C و D هما ترجمتان للكتابة الفارسية B لأنها باللغة البابلية وبالخط المساري البابلي وعلاماته البالغة بضع مئات من الاشكال الاسفينية (ف ١٥٥) والكتابة الثالثة هي أيضاً مسارية بلغة جهات شوشن. ولذلك تدعى بالشوشية. وهكذا يكون الملك العظيم قد سجل انتصاره بثلاث لغات هي ام اللغات في هذا الصقع الشرقي، ونصب الاثر الذي عليه الكتابات المشار اليها في مكان يشرف على الطريق السلطاني في بهستون (خريطة ١٩) حيث يراه رجال القوافل الذين يبرون ذهاباً وإياباً بين بابل والفساطح الابراهيمية مع انه يعلو عن الطريق نحو ١٠٠ متر، والوصول اليه محفوف بالمخاطر. وقد خاطر السرهني رولنسن مخاطرة عظيمة حين نسخ هذه الكتابات المسارية عن كتب (١٨٢٥ - ١٨٤٧) واستخدم ما نخبه تمكن من حل الخط المساري البابلي القديم. (ن ٢٩٠ - ٢٩١) وتمكن المؤرخون المحدثون بواسطة هذا الاثر العظيم الذي خلفه داربوس الكبير من استعادة اللغة المنقودة وتاريخ بابل واشور. فكان نفعه لاسية الغربية كنعج حجر رشيد لمصر

(مأخوذ عن صور بعثة الخيف البريطاني)

لارادتي النية
وعملت
باوامري كما
يُلقبها.
ويتضح لنا
من هذا
الكلام حقيقة
جوهرية وهي
ان هذه
التنظيات لم
يكن القصد
منها تأسيس
حكومة
اعظم واخفم
من كل
حكومة رأها
العالم من قبل
فقط بل ان
تكون
حكومة
يديرها رجل
مستبد. ولم
ينس العالم
القديم قط
مثال مملكة

الفرس المتسعة الاطراف التي كانت تديرها قوة رجل واحد

لم تكن نفس داريوس طامحة الى التوسُّع والفتوح . فانه اكتفى بما كانت عليه مملكته من ترامي الاطراف والاحتفاظ بحدودها . فتوج ملكاً على بابل ومصر وقبض على ازمة احكامها مباشرة . واما بقية المملكة فقسها الى عشرين ولاية جعل على كل منها عاملاً يُدعى مرزباناً كان يعينه الملك العظيم . وهو اللقب الذي كان يعرف به ملك الفرس . وكانت هذه التنظيمات - وان وُجد مثلها في ممالك الكلدانيين والاشوريين والمصريين - ارقى من كل ما سبقها من نوعها من كل وجه . فكانت مملكة الفرس اول مملكة قسمت البلدان التي كان يخفق فوقها علمها الى ولايات سنَّت لها نُظماً عادلة توافقها وساست الشعوب والامم التي دانت لسلطانها بالحكمة والسداد . فكانت بذلك خير قدوة للممالك الاخرى . وكان اكل ولاية شيء من الاستقلال في ادارة الشؤون الداخلية ما دامت تؤدى الاتوات في اوقاتها وتبعث برجالها للقيام بالخدمة العسكرية في جيش « الملك العظيم » الذي اقام في كل ولاية عيوناً وارصاداً لينبثوه بكل حركة يراد بها العصيان على الملك العظيم ويضربوا على يد كل من تسول له نفسه القيام بشورة عامة على الحكومة سواه . كان من الحكم او من السوقة

وقسمت الاراضي الزراعية الى قطائع شاسعة توَّلى امرها اشراف المملكة وطائفة من المُلأك . اما صغار الفلاحين الذين كان لهم اراض زراعية فكانوا قليلين لكنهم كانوا يؤدون الاتوات كسواهم من سكان المملكة المترامية الاطراف . وكانت الاتوة في الشرق الادنى توَّدى من محاصيل الارض (ف ٧٦) واما في الغرب - وخصوصاً في مملكة ليدية وفي المستعمرات اليونانية في غرب اسية الصغرى - (ف ٣٨١) فكانت توَّدى نقوداً مسكوكة . لان سك النقود كان معروفاً هنالك منذ سنة ٦٠٠ ق م (ف ٤٥٤) . فنرى ان البلدان الشرقية - مصر وبابل وفارس - لم تسرع في سك النقود تسهيلاً للعمليات سرعة البلاد الغربية . الا ان داريوس عمد الى سك النقود الذهبية واذن لمرازبه بسك النقود الفضية . وكانت النسبة بين التقدين نحو ١٣ : ١ اي ان قيمة الذهب كانت تزيد عن قيمة الفضة ثلاثة عشر ضعفاً . وهكذا ابتدأت النقود المسكوكة - واسطة التعامل التجاري العظيمة التي اصدرتها الدولة - تدخل الشرق في العصر الفارسي

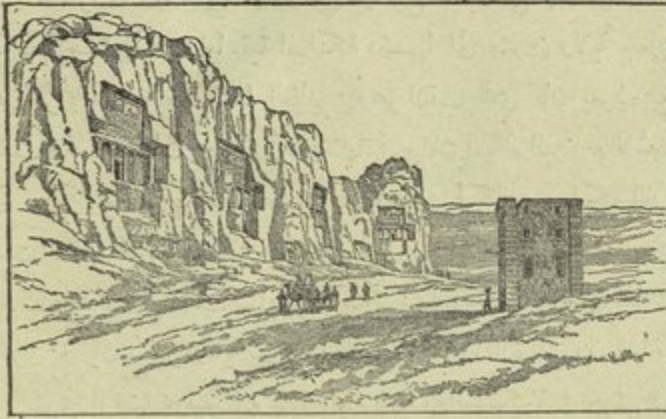
لا شيء أدل على مقدرة داريوس الكبير السياسية من اجتهاده في جعل بلاد فارس دولة بحرية عظيمة لانه ليس بالامر السهل على امة برية سكانها رعاة وفلاحون تفصلهم عن البحر

(٢٧٦) نظم
اوليات الفارسية

(٢٧٧) اراضي
والاشرافات
والمسركات

سواحل رملية ، ان يسيطروا على البحر . فمحاولة داريوس واجتهاده في هذه السبيل اشبه بمسلك امبراطور المانيا في بنائه اسطولا منيعاً الا ان داريوس اضطر ان يستخدم لذلك

(٢٧٨) داريوس
يوجه نظره الى
البحر



الشكل ٨٨ قبور ملوك فارس الاولين على بعد بضعة اميال
من برسبوليس

ويهد موت كوروش وابنه كمبرث كان الملوك من داريوس الى الذين خلفوه يتنون قبورهم في وجه هذه الصخرة التي ترى في هذا الرسم على مسافة نحو ستة اميال من قصورهم في برسبوليس (ش ١٢٢) فهنا قبور داريوس الاول (الكبير) (الثالث من اليسار) وزركبس (عند الطرف) وداريوس الثاني وارترزركبس الاول (الاول والثاني من اليسار) . فمن الملوك الستة الاولين لنا قبور خمسة منهم فقط (قبر كوروش ٨٦) لان قبر كمبرث فاتح مصر لم يعرف موضعه قط . والقبور الملكية الثلاثة الباقية التي تخص بالملوك الثلاثة الذين هم من اسرة داريوس (ارترزركبس الثاني والثالث وداريوس الثالث) منقورة في الصخر وراء قصور برسبوليس . والشكل المربع فوق الرواق المعمود (ذي اعمدة) في واجهة كل من القبور يحتوي صورة مغرقة للملك وهو يسجد لاهورامزدا امام مذبح المحرقة . وجميع هذه القبور فحقت في الازمنة القديمة ونهبت وفي جملتها قبر كوروش (ش ٨٦) وفي الداخل نوابيت هائلة دفن فيها داريوس وزركبس وسائر ملوك الفرس وعيالهم وكل اثبت مركز في نفرة مستقلة في الصخر

بجاسة

اجانب .

فلم يكن

كالامبراطور

ولم من هذا

القبيل .

وارسل من

قبله بجاراً

مخفياً من

بجارة البحر

المتوسط

اسمه

سكيلاكش

ليصفحص

بحري نهر

الهند العظيم .

وامره ان

يسافر بعد

ذلك بجراً

مقابل اسية

من مصب

نهر الهند

غرباً الى برزخ السويس شرقاً فكان سكيلاكش اول تجار غربي البحر ازاء ساحل اسية الجنوبي الذي لم يكن معروفاً الا قليلاً في ذلك الزمان

وامر داريوس بأن تكري ترعة السويس القديمة التي حفرها المصريون الاولون ليصلوا بها النيل بالبحر الاحمر لان الرمال كانت قد ردمتها منذ زمن مديد . وقد حفظت لنا

(٢٧٩) داريوس
يربط الشرق
بالغرب بمسطة
قرعة السوس

الايام كثيراً من بقايا الحجارة التي امر داريوس بأن تنصب على جانبي الطريق القديم الواقع ازاء الترتة. وعلى الحجارة المذكورة بيان يشير الى تجديد الترتة ويتضمن نطق داريوس بنصبه الحرفي : « امرت بحفر هذه الترتة من النهر الجاري في مصر المعروف بالنيل الى البحر الاحمر الذي يتأخم بلاد فارس . فم العمل بحسب امرت وجرت فيها السفن من مصر الى بلاد فارس طبقاً لامري » . وكان داريوس يعلل نفسه بالآمال يرقبها طامعاً بأن يكون للساحل الجنوبي من بلاد فارس نصيب من الاعمال التجارية التي كانت آخذة في التقدم بين الهند وسواحل البحر الرومي وما جاورها من الاقاليم . الا ان تلك الآمال لم تتحقق لعدم توافر الشروط التي تتطلبها الاعمال التجارية فقد كانت البلاد خلواً من التجار ذوي الهمة والاقدام كما كانت خلواً من فلاحين يُعتون بشؤونها الزراعية

(٢٨٠) بلاد
فارس اقدم مملكة
بحرية في اسية

وسلك داريوس في معاملة المدن الفينيقية خطة غير خطة الاشوريين فعامل سكانها باللين والرفق فهاوا اليه ومكّنوه من امتلاك اسطول حربي عظيم جميع سفنه فينيقية . ولما خلفه ابنه احشوروش وجد تحت امرته مئات من السفن الحربية فاستخدمها في الاعمال الحربية ونقل الجنود من شرق البحر المتوسط . وهكذا استطاع ملوك الفرس الذين كانوا اوفر علماء واشد حكمة من ملوك اشور ، ان يقوموا باعمال ضاق الاشوريون بها ذرعاً . فكانت بلاد فارس اقدم دولة بحرية عظيمة في قارة اسية

(٢٨١) بهله
السكك طائفة
المواصلات بين
جزء المملكة

ولكي يتمكن الفرس من ربط اجزاء مملكتهم البعيدة الاكثاف وحفظ الاتصال بين اقسامها انشأوا السكك المعبدة فكانت كسكك الحديد التي يدها سكان البلدان المتعدنة في هذا العصر ، وكان سعاة البريد يقومون بنقل المراسلات على نمط اكثر اتقاناً من النمط الذي استعمله الاشوريون في ابان ملكهم (ف ٢٢٥) . فكانت سرعة اولئك السعاة مدهشة الا ان نقلهم للسلع التجارية من شوشن الى الارخبيل الرومي اقتضى وقتاً طويلاً لا يقل عن الوقت اللازم للطواف حول الارض . وكان من جملة منافع هذه السكك ادخال الدجاج الهندي الذي لم يكن معروفاً عند سكان البلاد المجاورة للبحر المتوسط قبل ان اتى به الفرس من بلاد الهند الى جزر الارخبيل الرومي . فافرس هم الذين اتحفوا اوربا بهذا الطائر الايف التافع المعروف عندنا

(٢٨٢) العاصمة
والقصور الملكية

وكانت شوشن مدينة العيلاميين القديمة القائمة على جبال زاغرس المقام الرئيسي للملك وعاصمة المملكة (ش ١٥٦) الا ان هواء سهول بابل المعتدل كان يستنز الملك في ابان فصل البرد الى مغادرتها والذهاب الى بابل عاصمة مملكة الكلدانيين البائدة للاقامة في قصورها مدة زمهرير الشتاء . اما ملوك البلاد الاولون فكانوا يوترون للاقامة في

بلادهم بين الجبال ولو كانت قاصيةً عن السهول الدفينة . فكورش بنى قصرًا فاخرًا في جوار المعتك الذي قهر فيه الماديين في فسرjadi وداريوس شيّد قصرًا نفيسًا في بورسبا على امد اربعين ميلًا من قصر كورش نحو الجنوب . ولا تزال اضرحة كورش وداريوس واحشويروش وسائر ملوك الفرس قائمة على ارض موطنهم الاصيلي على مقربة من اناض قصورهم (ش ٨٨)

(٢٨٤) من البناء.

ورأى بنائو الفرس ان الحاجة تدعوهم ان يتعلموا اصول فن البناء من الشعوب الشرقية التي دانت لهم . فاخذوا عن البابليين اسلوب بناء السطوح العظيمة التي كانوا يشيدون عليها قصور ملوكهم واخذوا عن الاشوريين وعن العرب صناعة نحت الثيران المجنحة . واقتبسوا عن المصريين تشييد الابنية والاروقة ذات الاعمدة الهائلة وكانت هذه الاعمدة اقدم انواعها في اسية مع ان استعمالها كان شائعًا في مصر قبل هذا العهد بالنبي سنة (ش ٣٨) . وكذلك صناعة الاجر النفيس المرصع بالميثاق (ش ٧٥٦٨٤) الذي كانت ترخرف به القصور الجميلة فانها وصلت الى الفرس من مصر بطريق اشور والغرب^(١) . وهكذا امتزجت في حياة المملكة الفارسية المدنيات العظيمة المار ذكرها

٢٥

الكتابات الفارسية وهل المخط الفارسي

ان تلبس الفرس بالحضارة الشرقية المختلطة التي وجدوها في ارض الهلال المنخصب كان على جانب عظيم من الاهمية العلمية . لانه لولا الكتابات التي خطها الفرس بعد تعلمهم صناعة الخط السماري لما تمكن العلماء في بادئ الامر ، من حل رموز الكتابة السمارية في اسية الغربية (ف ١٦٨) ولما استطاع المتأخرون منهم ان يفسروا الكتابات التي وجدوها على الوف من قطع الاجر التي سبق الالماع اليها في كلامنا عن بابل واشور (ش ٥٧ و ٦٤ و ٧٩ و ٩٤)

(٢٨٤) اهمية المكتوبات الفارسية في حل المخط السماري

(١) مما يستحق الاعتبار هو ان بنائي الفرس لم يأخذوا صناعة بناء الفناطر عن اهل بابل . فان كل ابواب قصر داريوس (ش ١٥٦) كانت متوجة بججارة تشابه نيجان الابواب المصرية التي أخذت عنها

(٢٨٥) احوال الخط
المساري ونبات
بابل واشور

وبعد ما حلت اللغة الارامية محل البابلية والاشورية جاء حين من الدهر اُهملت فيه الكتابة المسمارية على الاجر بالمرة فكانت آخر كتابة من نوعها بتاريخ ٦٨ ق. م ، وتوفي

آخر انسان

يُحسَن قراءة

الخط المساري

منذ نحو الـ

سنة . وهكذا

ذُفن تاريخ

بابل واشور

تحت انقاض

المدن التي

سُتبت قديماً

على ضفاف

دجلة والفرات

1	٢	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20
𐎠	𐎡	𐎢	𐎣	𐎤	𐎥	𐎦	𐎧	𐎨	𐎩	𐎪	𐎫	𐎬	𐎭	𐎮	𐎯	𐎰	𐎱	𐎲	𐎳

٢٧

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20
𐎠	𐎡	𐎢	𐎣	𐎤	𐎥	𐎦	𐎧	𐎨	𐎩	𐎪	𐎫	𐎬	𐎭	𐎮	𐎯	𐎰	𐎱	𐎲	𐎳

٢٨

الشكل ٨٦ الكتابان الفارسيان القديمان اللذان حُلب
رموزها اولاً وفُرمنا

(٢٨٦) غرتند
متعدد اصوات
علامات الكتابة
الفارسية الازلي

كان في كتاب الفرس يفترون بين الكلمات بادخال سفين مائل بين كلمة والتي تليها . وقد زيدت الارقام الافريقية اعلاه لتمييز الكلمات المختلفة بعضها عن بعض . ويلاحظ ان هذه الارقام كانت دائماً توضع حيث يوجد سفين للدلالة على بداية كلمة جديدة (ما عدا الرقم ١) وقد يلاحظ غرتند (ف ٢٨٦) ان الكلمة الواحدة مكررة مراراً عديدة في كل من هاتين الكتابتين . قابل في الصورة E الاعداد ٢٥ و ٢٦ ف نجد انها كلمة واحدة تقع في F اربع مرات (اعداد ٢٧ و ٢٨) وبما ان هاتين الكتابتين وجدنا فوق صور ملوك فارسيين ظن غرتند ان هذه الكلمة المكررة لا بد وان يكون معناها ملكاً . وفضلاً عن ذلك بما انها تقع في الكتابتين مع العدد ٢ فالكلمة التي تنقدها (عد ١) يرجح انها اسم الملك . فتربت الكلمتان على هذا النمط : " داربوس (ال) ملك " . ثم وجد غرتند ان الالفاظ المنعملة كاللقاب لملك فارس عرفت فيما بعد من كتابات فارسية متأخرة . فلما استرشد بالالفاظ المعلومة قدر على سبيل الحدس ان ترتب الكلمات ومعانها هو كما يأتي :

٤	٣	٢	١
ملك	(ال) عظيم	(ال) ملك	اسم ملك فارسي مجهول
٨	٧	٦	٥
الابن الخ	اسم ملك فارسي مجهول	للك	للوك

(٦ و ٧) اي تعني ابن ملك كذا وكذا ، ثم بعد ذلك اجري امتحانات في الاسماء المعروفة للملوك الفرس وحكم بالنظر اني طويلاً فوجد على وجه الترجيح ان الاسم عند ١ في الصورة E هو " داربوس " . وعند F " احشوروش " ونرى النتيجة في ش ٦٠

وقبل

سنة ١٨٠٠ م

كان السياح

في بلاد

الفرس قد

اخذوا معهم

حين عودتهم

الى اوربا

نسخاً كثيرة

من الكتابات

المسمارية التي

وجدوها

منقوشة على

جدران قصور

لقد تمكن العلماء للمرة الاولى من قراءة الحظ الفارسي السامري القديم فاستنادوا منه فوائدا لا تقدر احصاها التسكن من درس الكتابة البهستونية (ش ٨٧) . نعم ان الكتابات الفارسية قليلة الا ان قراءتها من الخطورة بمكان عظيم لانها الذريعة الكبرى لفهم اللغة البابلية القديمة الممارية

اكتشف العلماء منذ القديم ان الكتابة C على الاثر البهستوني قد كتبت بنفس العلامات السامرية التي طالما رأوا مثلها على كثير من الاجر الذي هو اقدم منها عهداً (ش ٥٨ و ٦٤) وعلى الآثار الحجرية التي اكتشفت في بابل . هذا فضلاً عما كان يرد على متاحف لندن وباريس من قطع المرمر الكبيرة المنقوشة (ش ٧٢ و ٧٥ و ٧٦) التي وجدت في قصر الملك سرجون في نينوى (ش ٧٤) وعليها كتابات عديدة جميعها بلغة وخط الكتابة C التي على الحجر البهستوني (ش ٨٧) . وقد تأكد للعلماء انهم اذا استطاعوا قراءة الكتابة C على الحجر البهستوني فتكنوا من قراءة سائر الكتابات القديمة من بابلية و اشورية . وهذه اقدم كثيراً من الكتابات الفارسية التي قاوت العوامل الطبيعية دهوراً طويلاً وبقيت حتى ايامنا ان جميع الأدلة قد آلت الى نتيجة واحدة وهي ان الكتابة C البهستونية انما هي ترجمة بابلية للقسم الفارسي الذي كان قد ترجمه رولنسن . ولذلك صار الحجر البهستوني لاسية الغربية كحجر رشيد المصري لأنه مكّن العلماء من قراءة اللغة البابلية القديمة كما مكنتهم حجر رشيد من قبل ان يقرأوا اللغة المصرية القديمة :

الآثر البهستوني	حجر رشيد
عليه	عليه
(١) كتابة بابلية مسمارية لكي يجل العلماء رموزها بمقابلتها مع	(١) كتابة مصرية حل رموزها العلماء بمقابلتها
(٢) الترجمة الفارسية التي صاروا يفهمونها بعد ترجمة رولنسن	(٢) بالترجمة اليونانية التي كانوا يفهمونها

لقد حاول كثيرون من جهاذة العلماء حل رموز الكتابة البابلية ولكنهم اخفقوا سعيًا اذ وجدوها اصعب كثيراً من الترجمة الفارسية لان رموز هذه كانت اربعين ورموز تلك اربث على خمس مئة (ف ٢١٦) لكن قُيِّض لولنسن شرف القيام بهذا العبء الشاق الذي ناه به غيره . ففي سنة ١٨٥٠ نشر نتيجة اعماله وشفعها في السنة التالية بترجمة كاملة للقسم البابلي من الكتابة البهستونية

(٢٨٨) امية
المخط الفارسي
المسامري في قراءته
المخط البابلي
المسامري

(٢٨٩) اكتشافه
ان احدى الكتابات
كانت بلغة بابل
واشور وخطها

(٢٩٠) ٧٤
البهستوني هو حجر
رشيد اسم الفريسية

(٢٩١) حل
رولنسن لرموز
اللغة البابلية

(٢٩٢) علم قراءة
اللغة الآشورية

ولما استتب للعلماء قراءة ما كشف من الآثار المكتوبة بالخط المسماري القديم ، شرعوا يستنطقون ببقية الدفائن الاثرية في قلب التلال التي قامت عليها في القديم مدن بابل واشور ، فكانت النتيجة الفصول الثلاثة الكبيرة من تاريخ ما بين النهرين ٠ (ن ١٤-٢٠) المشتملة على تاريخ الفين وخمس مئة سنة من تاريخ الانسان في اسية الغربية - تاريخ ظل العالم بأسره جاهلاً له حتى دفع حب الاستطلاع نفراً من جملة علماء العاديات الاشورية فشرّوا عن ساعد الهمة وشرعوا في تحليل رموز الكتابة المسمارية التي وجدوها على الاجر والحجارة التي استخرجوا كثيراً منها من انقاض مدن بابل واشور القديمة ، ويعود الفضل في معرفة هذا العلم الجديد - علم قراءة الرموز المسمارية - الى الآثار التي خلفها ملوك الفرس ٠ فانها مكنت العلماء من وجدان تاريخ اسية الغربية بعد ان لبث في ظلمات الخفاء حجباً طويلاً

٢٦

نتيجة الحكم الفارسي وتأثيره الديني

كانت مدة الحكم الفارسي نحواً من مئتي سنة نشر فيها السلم اعلامه وضرب الامن قبابة وعمّ النجاح بلاد الشرق قاطبة ٠ وكان آخرها سنة ٣٣٣ ق م ٠ الا ان ملوك فارس لم يكونوا كلهم ككورش وداريوس حكمة وحُكمة فالوا الى القسوف والبطالة والقوا عبء الاحكام على عواتق العمال والحكام فأل الامر الى فساد الحكومة فضعفها وعجزها عن ضبط الادارة وبالتالي الى وهنها وانحطاطها

(٢٩٣) تأخر
بلاد فارس

ان الامم التي قامت بعد الفرس تمثل دورها على مسرح هذا الوجود - واخصها اليونان - حسبت ملوك الفرس شرقيين طغاة وبرايرة قساة ٠ فهذا الوصف ان صدق عليهم بعضه فلا يصدق كله ولا مرأ ان فيه شيئاً من الغلو ، لاننا نعلم ان اولئك الملوك كانوا من اصحاب الشعور الحي ، وقد كان من دأبهم العدل في جميع رعاياهم يوئد لنا ذلك ما جاء عن داريوس في الكتابة البهستونية (ش ٨٧) حيث قيل بلسانه : «وبناء على ذلك ساعدني اهر ومزدلاني لم اكن شريراً ولا كذاباً ٠ ولم اكن ظالماً لا انا ولا احد من أسرتي ٠ وقد حكمت بالعدل والحق ٠ وما لا مشاحة فيه ان مملكة الفرس ، وهي اعظم مملكة في ذلك العهد كانت افضل من سائر الممالك التي قامت قبلها في الشرق عدالة وانسانية ويستدل من كلام داريوس عن نفسه وما شاكله من الكلام الذي ورد منه شي : كثير،

(٢٩٤) اخلاق
ملوك الفرس
وحكمهم

(٢٩٥) اتمدار
الديانة الفارسية

على ان ارباب الحل والعقد في البلاد كانوا ميالين كل الميل الى تعاليم زورواستر التي بذلوا
منتهى الهمة في سبيل نشرها في اسية الغربية ، ولا سيما في الاناضول حيث ظهر ميثراس
الذي كان يعدُّه زورواستر معاوناً لاهرومزدا (ف ٢٦١) . ظهر اولاً « بطل النور » ثم
« الاله الشمس » الذي كسف بنوره الساطع - اهرومزدا نفسه . ومن اسية الصغرى عبر
ميثراس الى اوربا . وانتشر الايمان بهذا الاله الفارسي القدير في جميع انحاء المملكة الرومانية
وصار خصماً مخيفاً للديانة المسيحية

(٢٩٦) المواجهة
انتهت بين
اديان الشرق

وهدمت المملكة الفارسية الحواجز الشعبية من دينية وغير دينية ولكن ما عمَّ ان
حان الزمان الذي اشتدت فيه المواجهة بين اديان الشرق الرئيسية لنيل الزعامة بين اهم
الارض طراً . وأهم الاديان التي تزلت في هذا المعترك طمعاً بالحصول على الزعامة والمكانة
الاولى تحت الحكم الفارسي ، هي الديانة اليهودية . والآن فيما نحن نغادر الاسرة المالكة
الفارسية تتقهقر تدريجاً كسواها من الاسر المالكة التي مثلت ادوارها على مسرح الشرق
مدة ملكها الطويل ، لنتلفت قليلاً الى المملكة اليهودية التي كانت في جملة البلدان التابعة
لمملكة فارس في الغرب والتي قُيِّض لها ان تكون ذات تأثير عظيم في تاريخ البشر يفوق
تأثير اية مملكة من الممالك العظيمة التي نشأت في الزمان القديم

اسئلة

٢١

اي شعب عظيم استوطن المراعي الشمالية ؟ كيف توَزَّع اخيراً بالمهاجرة ؟ اي
شعب معادٍ تصدَّى له في الجنوب ؟ صف حياة توَزَّع الشعب الهندي الاوربي الاصلي .
اين نسلهم الآن ؟

٢٢

بمن تسلسل الآريون ؟ ماذا حدث لهم حين غادروا موطنهم الاصلي ؟ اية قبائل
عظيمة آرية جاءت الى ارض الهلال المخصب ؟ من كان نبيهم العظيم ؟ ماذا علم ؟
في اي زمان يرجح انه عاش ؟

٣٣

ماذا تعرف عن قيام كورش وفتوحاته ؟ اي شعب اخضع في الهلال المخصب ؟
اي شعب تقررت له السيادة ؟ اي مدى بلغت مملكة الفرس ؟ كم من الزمان
اقتضى فتحها ؟

٣٤

هل كان للفرس حضارة كالتي وجدوها في بابل ومصر ؟ صف تنظيم المملكة على
زمان داريوس ومملكه عليها . اي نظام كان للاراضي ؟ ماذا تعرف عن خطط
داريوس التجارية برأ وبجراً ؟ اين كانت عاصمة ملكه ؟ كيف نشأ فن البناء الفارسي ؟
قدم امثلة

٣٥

أتقدر ان تكتب العلامات الثلاث التي ابتدأ بها الفرس القديما لفظة ملك ؟ اي
اثر تذكري صار لغرب اسية بتمام حجر رشيد ؟ أتقدر ان توضح ذلك ؟ ماذا كانت
النتيجة ؟

٣٦

كم كانت مدة مملكة فارس ؟ اذكر تاريخ بدايتها ونهايتها . ماذا تقول في
اخلاق ملوك الفرس ؟ ماذا كان جارياً بين اديان الشرق ؟ اية ديانة دخلت في
المعترك ؟

الفصل السابع

العبرانيون وتأخر الشرق

٢٧

فلسطين واسلاف العبرانيين فيها

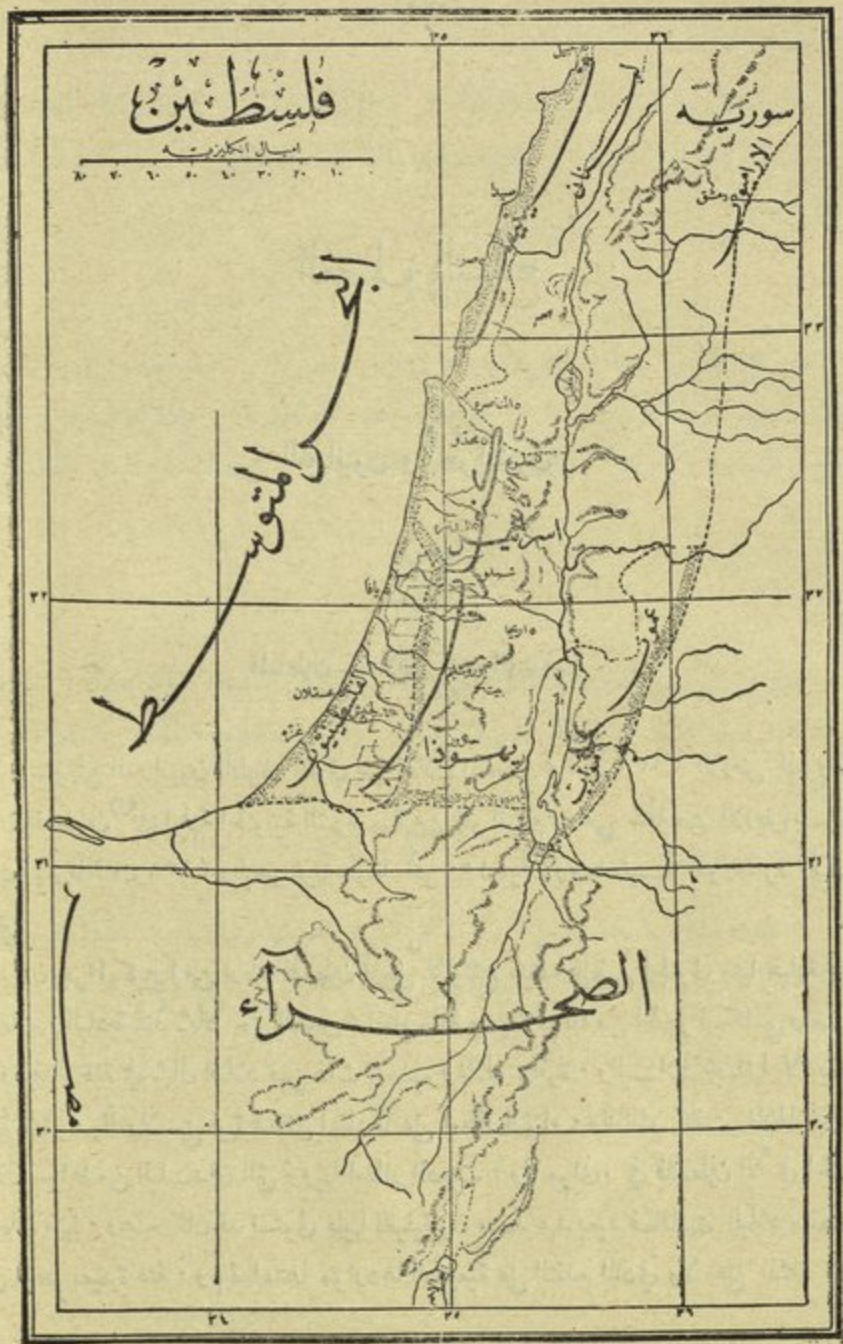
استوطن العبرانيون الطرف الغربي من الهلال المخصب، (ف ١٣٨) الارض المعروفة الآن بفلسطين^(١) في الجهة الجنوبية الشرقية من بحر الروم. وهي شتة من الارض بين البادية شرقاً (ف ١٣٩) والبحر غرباً طولها نحو ١٥٠ ميلاً ومساحتها نحو عشرة آلاف ميل

ان جزءاً كبيراً من ارض فلسطين قاحل لا ينتج شيئاً، فالقسم الجنوبي منها عبارة عن قطعة من البادية تمتد شمالاً حتى القدس، آكام جافة جديدة مؤلفة من الحجر الكلسي واما الاودية الواقعة في شمال البلاد فهي ذات خصب وغلال وافرة. والبلاد يجملتها لا يقع فيها المطر صيفاً ولا ستي فيها فكل اعتمادها على امطار الشتاء. ولذلك كانت غلالها دون غلال سواها من البلدان التي ترونها امطار الصيف. ولا مواليء في فلسطين الا في الجزء الشمالي منها. وهذه كان قد استولى عليها الفينيقيون منذ عهد بعيد فكانت البلاد منفصلة عن البحر بعيدة عنه. ولم تساعدها مواردها الطبيعية على التقدم المادي ولا على انشاء قوة

(١) للوقوف على اصل الاسم (انظر ف ٢٨٥)

(٢٩٧) موقع
ومساحة فلسطين
وطرف العبرانيين

(٢٩٨) طبيعة



سيا
ك
وف
الحا
امت
الج
الع
ال
جا
سا
الث
ال
ال
ان
با
ين
الم
ال
ال
با
ال
ه
ف
ع
ب

سياسية كالبلدان المتمدنة المجاورة لها
كمصر وما بين النهرين وسورية
وفينيقية



(٢٩٩) امتزاج
الاجناس والمدنات
في فلسطين قبل
تملك اليهود لها .
الكتابات البابلية

الشكل ٩١ كتاب من حاكم القدس المصري
به يخبر مولاه عن مهاجمة اليهود لفلسطين
(القرن الرابع عشر)

كتب هذا الكتاب على اجرة بالخط العفقي البابلي بأمر
الحاكم المصري المروّع بلنيس يو من فرعون الامداد .
وهذا نص الكتاب " ان الخاير و (العبرانيين) يستولون على
مدن الملك . ولم يبق لمولاي الملك حكام هنا . كلهم هلكت ."
وكان ملك مصر الذي وُجّه اليه هذا الكتاب اخناتون
وكانت الامبراطورية المصرية في اسية حينذاك على وشك ان
تتمزق كل ممزق (ف ١٢٧) وهذا الكتاب هو واحد من ثلاث
مئة رسالة مخطوطة بالحرف المساري وُجدت في غرفة بقصر
اخناتون في تل العمارنة فدُعيت برسائل العارنة . وهي اقدم
مجموعة مفاوضات دولية في العالم ونرى فيها افسدم ذكر
للعبرانيين . (انظر ف ١٩٢)

هنا عند الطرف الغربي من ارض
الهلل المنصب كما عند طرفه الشرقي ،
امتزجت القبائل الرحل السامية بسكان
الجبال الشمالية . يدل على ذلك ،
العلامة الفارقة التي غادرها اولئك
الجلييون - ولا سيما الحثيون الذين
جاءوا من اسية الصغرى - على وجوه
ساميي فلسطين الا وهي السّم او
التّنا . فالانف الاقنى الذي يمتاز به
الساميون ولا سيما اليهود اليوم ، هو
اصلاً من مميزات الحثيين الذين امتزجوا
بسكان فلسطين بالزواج فاورثوهم
الشكل الحثي . وقد تسمى لفلسطين
ان يتألب في اسواقها أناس من كل
بلاد وامة ولسان . فكان الواحد
يشاهد في تلك الاسواق ما صنعه يد
المصري من نفيس الحلى وضروب
الآنية النحاسية والمصنوعات العاجية
المختلفة وفخار جزر بحر ايجيه وخزف
بلاد الحثيين الاحمر ومنسوجات الصوف
البابلية . واما الحمير التي كانت تشاهد
هناك وترعى باصواتها المنكرة المرتفعة
فوق ضوضاء الاسواق فقد جبي بها من
عن ضفاف النيل والفرات حيث كانت
سائمة . وكان اصحابها يتعاطون التجارة

بيعاً وشراءً تحت أبراج هياكل بابل كما في ظلال مسلات طيبة بمصر . ومما لا بد من ذكره هنا هو ان الاتجار مع بابل علم الساميين الغربيين الكتابة المسمارية (ف ١٩٣) . وكانت فلسطين مدخل الجسر الواقع بين اسية وافريقية — بلاد امترجت فيها مدنيات مصر وبابل وفينيقية وبلاد اميج واسية الصغرى على اسلوب لا مثيل له في الشرق القديم . وكانت السلع التجارية تمثل تلك المدنيات



الشكل ٩٢ نظرة الى اسوار اورشليم من الوادي المنخفض تحفة القلعة الكنعانية القديمة

البيوت التي اى بين هذا الوادي هي بيوت قرية سلوام اما عن اليسار فنرى اسوار اورشليم العالية تحفة بالمكان الذي كان قائماً على الميكن . وفي اعلى الصورة من جهة اليسار كانت القلعة الكنعانية التي استولى عليها داود وهي تشرف على الوادي الواقع اسفلها على مائة بضع مئات من الاقدام . وقد تهدمت منذ زمن طويل وعنت اطلالها . والسور الذي نراه هو احدث منها عهداً . وقد كانت المداخلة بين القلعة الكنعانية وبين قلعة ملك سامال جار الملك داود في الشمال ، شديدة جداً

وكما التقت في اسواق فلسطين تجارات الامم المحيطة بها تتبارى في مضمار السلم كذلك تلاقت جيوشها في ساحة الوعى تتقاتل وتتطاحن لان موقعها بين جارتها القويتين ، مصر وبلاد ما بين النهرين ، جعلها معتركا حربييا قرونأ عديدة (ف ٢٢٠) ولقد مُنيت فلسطين مراراً ، في تلك الحروب ، بما مُنيت به البلجيك في الحرب ما بين المانيا وفرنسا سنة

(٣٠٠) فـ.طـ.لـ.ن
ساحة الحسروب
العظيمة في الشرق
القديم

١٩١٤ . فاستولت عليها مصر مئات من السنين (ف ١١٣) وبعد ذلك بزمان استولت عليها اشور (٢١٩ - ٣٢١) ثم تسلط عليها الكلدان (ف ٢٤٢) وآخر الكل استحوذ عليها الفرس (ف ٢٧١) ولذلك لما آل امرها الى العبرانيين لم يؤملوا ان يبقوا امداً طويلاً سالمين من الضغط الاجنبي

٣٨

توطن العبرانيين لفلسطين ومملكتهم المتحدة

ان اصل الامة العبرانية من بادية العرب . كانت هذه الامة في بدء امرها قبائل رحل تنقل بمواشيتها على هبتها من مكان الى مكان ارتياداً للماء والكلاب حتى قُبِض لها الوصول الى فلسطين فجعلتها وطناً ثابتاً لها (طالع ف ١٣٩ - ١٤٧) . ولم يتم انتقال العبرانيين من وطنهم القديم الى وطنهم الثابت الجديد الا بعد مرور قرنين من الزمان من ١٤٠٠ - ١٢٠٠ ق . م . وكان بعض قبائلهم مستعبداً في مصر يقاسي المشقة ومرارة العيش (ش ١٢١) تحت حكم طاغية من الفراعنة الى ان تسنى له الخروج من العبودية بقيادة الزعيم الباسل موسى الوطني الكبير الذي لا تُنسى ابد الدهر بطورته ولا الاعمال التي قام بها . وحين دخل العبرانيون فلسطين وجدوا فيها الكنعانيين (ف ١٤٧) يقيمون في مدن زاهرة تطوقها الاسوار الضخمة فلم يستطيعوا ان يفتتحوها منها الا المدن الضعيفة . وحينما ارسل رعاة العبرانيين الحشان رائد الطرف نحو انجاد الشمال رأوا انبساءهم منبشين فوق آكامها القاصية وشاهدوا كثيراً من الاسوار المحيطة بالحصون الكنعانية قائمة بينهم . وقد هزنت اورشليم القائمة بين جبال اليهودية بجملات العبرانيين عليها بضعة قرون

ولا يخفى ان هذه المدن التي عجز مهاجموها عن افتتاحها كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ الف وخمس مئة سنة ، ومنازل متقنة حوت كثيراً من اسباب الراحة والرفاهية ، وحكومة وصناعة ، وتجارة ، وعلم ، ومعرفة بالكتابة ، وديانة - حضارة اقتبسها اولئك العبرانيون السذج من مواطنيهم لانهم لم يستطيعوا ان يعيشوا بمنزل عن اهل المدن الكنعانية التي عجزوا عن افتتاحها ، لان الصناعة والتجارة كانتا رابطاً قوياً بينهم . وقد احدث هذا الامتزاج تغييرات جوهرية في حياة العبرانيين فغادر بعضهم سكنى الخيام وشرعوا يبتنون بيوتاً كبوت الكنعانيين وخطموا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها وهم في البادية ولبسوا

٣٠١١ هجوي
العبرانيين على
فلسطين نحو ١٤٠٠
الى ١٢٠٠ ق . م

(٢٠٢) المهرد
يتبعون المدينة
الكنعانية
ويكسبون شكله
الزجة المحلي

عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من منسوجات صوفية زاهية . وبعد زمان معين لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم ممكناً لا في المنظر الخارجي ولا في المهنة ولا في اسلوب المعيشة لانهم اقتبسوا الحضارة الكنعانية كما يقتبس المهاجرون الى اميركا في هذه الايام عادات الاميركان واخلاقهم وملابسهم وعاداتهم . وبما ان اليهود امتزجوا مع الكنعانيين بازواج واختلط الدم بالدم فقد اكتسبوا شكل الوجه الحثي

الآن هذا الاختلاف لم يجر على وتيرة واحدة في جميع انحاء البلاد . فالعبرانيون الذين اقاموا في الجنوب الماحل من فلسطين حافظوا على اسلوب عيشتهم البدوية القديمة فأثروا التنقل بقطعاتهم ومواشيهم وسكنى الخيام وحرية البادية هلى سواها . فكان الواقف على اسوار اورشليم يشاهد حياة البداوة عن كسب اذ يرى الرعاة المتبدين قائمين على رعاية قطعانهم ومواشيهم . واما الذين اقاموا في الشمال الخصيب فعاشوا عيشة الحضرة فابتنوا البيوت واقتنوا الحقول . فكان هذا الاختلاف في اسلوب العيشة باعثاً على التراع بين اليهود احقاباً متطاولة

(٢٠٣) اختلاف اليهود في اسلوب المعيشة والادوات . الداوة بين الشمال والجنوب

ولحسن حظ العبرانيين كانت مصر في طور التأخر والانحطاط (١١٠٠ ق م) . (١٣٠) . واشور لم تكن قد نشطت بعد لاكتساح الغرب (ف ٢١٥) ولكن شعباً جديداً من شعوب البحر المتوسط يُعرف بالفلسطينيين كان قد هاجر من جزيرة كريت الى الساحل البحري عند الزاوية الجنوبية الغربية من ارض فلسطين وفي سنة ١١٠٠ ق م . كانوا قد بلغوا درجة سامية من المدنية وتآلفوا امة حربية قوية او مجموع ممالك صغيرة كل مملكة منها عبارة عن مدينة واحدة وما يليها من الارياض . اما زعماء العبرانيين او قضاتهم — كما كانوا يُدعون — فلم يكن تأليف الامة امراً هيناً عليهم لشدة ما كانوا يعانون من مضايقة الفلسطينيين لهم . ولكن قبل حلول سنة ١٠٠٠ ق م . بجيل واحد نبغ فيهم زعيم كبير اسمه شاول عتوا لسلطانهم فملك عليهم وسمى نفسه ملكهم . وكان هذا الملك من اهل الجنوب الذين ظلوا متمسكين بعاداتهم القديمة موثرين عيشة البداوة على الحضارة فلذلك لم يكن له مقام ثابت بل سكن في خيام . ولما اشتبك القتال بينه وبين الفلسطينيين ودارت الدائرة عليه عمد الى الانتحار فوقم على سيفه ومات نحو ١٠٠٠ ق م .

(٢٠٤) تلمس امة العبرانية . شاول الملك الاول

وبعد ذلك بوضع سنين قام من حاشية شاول رجل باسل اسمه داود كان شاول قد هدر دمه ظلماً وعدواناً فهام على وجهه في البراري والقفار شريداً حتى موت عدوه ، فالتحاز

اليه قومه في الجنوب وانضروا تحت لوائه لما رأوا فيه من الحزم والاعتدال . وكان الحصول على قلعة حصينة يجعلها قاعدة ملكه أول ما طمحت نفسه اليه . فاختر الحصن الذي كان قائماً على رابية اورشليم وكان لا يزال في حوزة الكنعانيين فانتزع من ايديهم واستولى عليه . وملك على الجنوب بضع سنين اظهر في خلالها حنكة وبأساً في الشؤون الحربية اذ عُد له الفوز في بضع معارك فكان ذلك باعثاً على انحياز الشمال الغني اليه فدارت الدائرة على الفلسطينيين واتسع نطاق المملكة العبرانية . وكان هو المالك عليها سعيدياً . وكانت مدة ملكه طويلة بلغت البلاد في اثنائها درجة من العزة والاقبال كانت تحمد عليها . ولا تزال امته تذكر له اعماله الحربية العظيمة وبلاغته كشاعر ومرغم الى مدى الاجيال

وصار سليمان بن داود كحمورابي زعيم التجارة في الشرق . زاول الاتجار بالحيل وانشأ بالاشتراك مع ملك صور الفينيقي اسطولاً بحرياً . وقد مكنته غناه الطائل من الاقتران بكريمة ملك مصر . وصبت نفسه الى الشرف والابهة الشرقية فنقض الخيمة التي كان اليهود يقيمون فيها شعائر ديانتهم وشيد لهم في اورشليم هيكلًا فخماً جداً مبنياً بالحجر الصلد وضافه على بنائه صديقه الحميم حيرام الملك فامده بمهرة الصناعات الفينيقية . وكان حيرام قد باشر زخرفة مدينته صور بتشديد الهياكل فيها للالهة الصورية وتوسيع نطاق الجزيرة القائمة عليها المدينة . لان المدينة التي على البر كانت قد ضاقت بسبب نمو تجارتها وزيادة عدد سكانها عاماً بعد عام . وكان لدى حيرام عدد كبير من مهرة الصناعات الذين كان سليمان في حاجة ماسة اليهم . وربما كان الصناعات الذين زخرفوا مدينة صور هم الذين اشتغلوا في زخرفة هيكل يهوه في اورشليم . وبمساعدة حيرام ، حصل سليمان على جوائز (جسور) من خشب الارز والشربين لسقف الهيكل والقصر . ولا مراة في ان صداقة حيرام لسليمان كانت من دواعي تعزيز سلطة سليمان وعلو جاهه وزيادة ثروته . الا ان عزة الملك وعلو الجاه يقتضيان نفقات عظيمة ودخلاً كبيراً . فاضطر سليمان الى ان يتقل كواهل الامة بالضرائب الفادحة فناءت بعضها وسنمت حالتها وتبرمت منها . ولما تسنم رجوعاً عرش المملكة خلفاً لابيه هب اهل الشمال بنفس واحدة وانسلخوا عن جسم الامة واقاموا ملكاً عليهم مستقلين . وهكذا انقسمت الامة العبرانية الى مملكتين قبل ان يمر على انشائها قرن من الزمان

(٢٠٥) داود
(نحو ١٠٠٠ اله
٩٦٠ ق م)

(٢٠٦) سليمان
واشام ملكه
(نحو ٩٦٠ ق م)

٢٩

المملكتان العبرانيتان

لم يكن سكان هاتين المملكتين على شيء من التصافي والتوادب بل كثيراً ما كان ينشأ بينهم من النباغض والتضاغن ما يجدهم الى الخصام وامتشاق الحسام . كانت مملكة اسرائيل ، في شمال فلسطين ، غنية متقدمة تغص أسواقها بسلع الصناعات والتجارة وتتدفق ارضها بالنعيم والبركات وكان اهلها على جانب من التمدن يعيشون في سعة ورخاء مما يدل على انهم كانوا من اهل اليسار . واما مملكة يهوذا ، في جنوب البلاد ، فكانت على عكس اختها في الشمال ، فقيرة متأخرة وارضها جديبة . ولم تكن ذات مدن كبيرة لان كثيرين من سكانها كانوا لا يزالون في حال البداوة يتنقلون بواشيهم من مكان الى مكان اذ تيساداً للما والكلا

(٢٠٧) التباين
بين المملكتين
العبرانيتين

وقد آل هذا التباين بينهم الى النزاع في كثير من الشؤون ولا سيما الدينية منها . فقد كان لكل مدينة من المدن الكنعانية إله محلي يدعونهُ بعلاً . فالعبرانيون الساكنون في مدن كنعانية مالوا طبعاً الى عبادة آلهة مواطنيهم الكنعانيين ولكنهم بهذا خانوا عهد يهوه اله الامة العبرانية وخيل الى فئة قليلة من العبرانيين الورعين - ولا سيما الذين هم من الجنوب - ان الهة الكنعانيين هي حامية الاغنياء . سكان المدن معاً كانوا عليه من الانغماس في المذات والميل الى الترف والاسراف في ظلم الفقراء ، وان يهوه هو ولي الرعاة والمساكين العائشين في البادية عيشة البساطة والمهانة

(٢٠٨) تاثير هذا
التباين في دعاتهم

وكان لهذه الاعتقادات سبب قوي . فانه بعد انقسام المملكة بأقل من قرن ، قام آخاب احد ملوك الشمال وقتل نابوت احد رعيته لكي يفتصب كرمه ويوسع به فيناء قصره . فلما بلغ نبأ هذا الظلم مسمع ايليا الذي كان مقيماً في البرية شرقي الاردن ، ثار غضبه فقام وجاء الى آخاب بزي اهل البادية ووقف امامه في الكرم الذي اختلسه وعنفه تعنيفاً شديداً على فعلته المنكرة وبذلك نادى هذا الرجل الحشن القادم من البادية بحرب عوان يشب لظاها بين يهوه وظلم اهل المدن . ولم يكتف ايليا بقتل جميع افراد العائلة المالكة في الشمال بل اعملوا سيوفهم في رقاب كهنة البعل

(٢٠٩) ايليا ونسوة
الاعتقادات القديمة

وكان بين العبرانيين رجال رفق وسلام ستمت نفوسهم عنف سكان المدن فصبت

(٢١٠) أقدم
الكتابات التاريخية
عند العبرانيين
نحو ٨٠٠ ق.م
المرزخ المجهول

الى عيشة البداوة - الى حياة الهنا. والصفاء. في اكناف البادية حيث ليس من يشد الخناق على المسكين . وفي هذه الفترة ، قام منهم رجل من ذوي المواهب السامية وكتب تاريخاً بسيطاً لاسلاف الامة العبرانية وصف فيه حياة البداوة وصفاً انيقاً . ومع ان هذا المؤلف النفيس قد لعبت به ايدي البلى فلا يزال موجوداً منه جزء كبير يمثل لنا سير البطارقة العبرانيين ، ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف ، التي نعدّها انفس ما وصل اليها من كتابات العصور الغابرة واقدم الكتابات المنشورة التاريخية في العالم قاطبة (تك ٢٤ و ٢٧ و ٢٨ و ٣٧ و ٣٩ و ٤٧ : ١٢)

(٢١١) عاموس
وطرق النبي المصلح
السلب

وبعد مرور قرن آخر اي نحو سنة ٧٥٠ ق.م . ظهر في شوارع بيت ايسل ، حيث قام هيكل غم لمملكة الشمال ، رجل رث السربال على ظهره جلد شاة اسمه عاموس من رعاة جبال اليهودية كان قد تعلم في عزلة ان يرى يهوه اكثر من انه اله البادية الحربي . رأى ان يهوه هو اله الخنو الابوي لا يرضى عن المجازر البشرية ولا يسر بسفك الدماء وقد وبخ عاموس الاغنياء الظالمين من سكان المدن على ظلمهم وطعمهم . ولم يستطع ان يقاوم الدافع الداخلي الذي كان يستغزه الى ان يذهب الى مملكة الشمال ويتنادى بالويل والشبور على مترفيها ويشهر تصرفاتهم الشريرة

(٢١٢) عاموس
يؤرخ سكان المملكة
النائية بهم
نسادم

ليس بالامر الصعب علينا ان نتصور العجب الذي خامر مترفي اليهود الشماليين لما رأوا هذا الراعي الحشن اللابس جلد شاة واقفاً في زاوية الشارع يخاطب جمهوراً من اهل الحضارة معنفاً لهم على الثياب الفاخرة التي كانوا يلبسونها والمنازل الحسنة الاثاث والرياش التي كانوا يسكنونها مبالغاً في تقييدهم على تقاديبهم في الشرور وانغماسهم في الفاسد وقساوتهم على الساكنين واغتصاب اراضيهم واستعبادهم لآخوتهم واختلاس ثمرات اتعابهم - اشياء لم يكن لها وجود بينهم وهم في حال البداوة . ولا ريب في ان عاموس ببخاطبته الشعب على هذا النمط قد عرض حياته للخطر . ولكنه بذلك صار المصلح الاجتماعي الاول في اسية كيف لا وهو النبي الداعي الى العيشة الصالحة المتزهة عن محبة الذات ، والى الاخوة الحقة والديانة النضلي

(٢١٣) العبرانيون
يحملون الكتابة

وفيا كانت هذه الامور جارية في مجراها ، كان العبرانيون دائبين في تعلم الكتابة كما تعلمها قباهم اسلافهم سكان البادية في الهلال المخصب (ف ١٧٣ و ٢٠٧) فاهملوا الكتابة على الواح الاجر واخذوا يكتبون على ورق البردي بالقلم والحبر المصريين واقتبسوا حروف الهجاء من التجار الفينيقيين والاراميين (ف ٢١١) ولم يستنكف اقدم

مؤرخي العبرانيين من استعمال الكتابة التي هي من مميزات الحضارة مع شدة إعجابهم بعيشة البادية حيث الكتابة مجهولة . وكانت الدروج التي تضمّنت سير الآباء وتعاليم عاموس أوّل كتب انتجتها الأمة العبرانية . فهي باكورة كتاباتها . وكانت هذه الدروج المصنوعة من ورق البردي مثل التي كانت شائعة في مصر قبل ما يزيد عن ألفي سنة . وقد اكتشفت في مصر اوراق جماعة من العبرانيين عُرف منها شكل الكتابة العبرانية والارامية . وقد اكتسب اليهود بأداب اللغة ولم يحفلوا بسواها . فلم يكونوا يعرفون التصوير بالالوان ولا نحت التماثيل ولا فن البناء فكانوا اذا احتاجوا الى شيء من هذه يأخذونه عن جيرانهم في مصر وفينيقية ودمشق واشور

٣٠

النضال على المملكةين

وفيا كان العبرانيون في قلق واضطراب من جرى المنازعات الاهلية القائمة بينهم ، رأى عاموس واضرابه الخطر المقبل على الامّة من الخارج ولا سيما من اشور ، فانذروها بالدمار الذي كان موشكاً ان يجلب بالبلاد بسبب مفاسد سكانها وشورهم . وقد تمّ ما انبأوا به . فدوّخت اشور دمشق (ف ٢١٥ و ٢١٦) ولم يبق في طريقها حاجز يصدّها عن مملكة اسرائيل . فزحفت عليها واحتلت عاصمتها السامرة عنوة سنة ٧٢٢ ق م . (ف ٢٢٠) وأجلى الاشوريون كثيرين من اهلها الاشقياء عن بلادهم فانقضت مملكة اسرائيل في الشمال بعد ان تمتعت بعزة مدة تربي قليلاً على منتهي سنة

(٢١٤) تدمير
الاشور وسين
لمملكة الشمالية

وبعد خراب مملكة الشمال تجت أمال الامّة العبرانية الى مملكة يهوذا الصغيرة التي ناضلت عن كيانها قرناً وربعم قرن من الزمان في معترك حربي عام كان بطله المغوار اله اشور . وكان مفكرو العبرانيين حتى الآن يحسبون مقام المهم فلسطين ، وسلطته لا تتجاوز حدودها . ولكنهم اخذوا منذ الآن يشغلون افكارهم في مسائل ذات شأن تتعلق بالمهم يهوه ، منها : هل تتجاوز يا ترى سلطة يهوه حدود فلسطين وتبلغ ساحات القتال حيث تتطاحن الامم المتحاربة ؟ واذا كان الامر كذلك أفليس اشور اله الاشوريين المنتصر العظيم اشد بأساً من اله العبرانيين ؟ وكثيرون من العبرانيين الذين كادت قلوبهم تذوب

(٢١٥) التراع بين
يهوه اله فلسطين
واشور اله
الاشوريين

قرّاً حين عاينوا جيوش اشور تهاجم آكام فلسطين قالوا في انفسهم ان الهه الاشوريين اقوى من يهوه اله العبرانيين

وبينا كانت هذه الشكوك المظلمة تخامر نفوس الامة اليهودية قبل سنة ٧٠٠ ق م .
ظهر اشعيا النبي الملكي وشرع يلقى على الجماهير المحتشدة في شوارع اورشليم الخطبة تلو الخطبة وجيوش سنجاريب على ابواب المدينة والجماهير التي استولى عليها الرعب وران على قلوبها اليأس توجس خيفة كل لحظة ان تسمع هزيم آلات الحصار الاشورية تدك اسوار المدينة كما دكت من قبل اسوار دمشق والسامرة . وفيما هم على هذه الحالة من القنوط اتتهم كلمات اشعيا النبي المقدم منعمة حماسة كأنها صوت يوق الانتصار فزحزحت عن قلوبهم ما استحوذ عليها من اليأس واحيت فيهم ميت الرجاء اذ قال لهم بل . فيه ما معناه ان يهوه يملك

على مملكة اعظم جداً من فلسطين ويبيده ادارة ساحة الحرب العالمية العظمى وهو الظافر والمنتصر فيها لا آشور .



الشكل ٩٢ عبرانيون يودون الجزية الى ملك اشور

يرى هنا لمناصر الثالث ملك اشور واقفاً الى اليسار يتبعه اثنان من حصو . ويرفرف امامه قرص الشمس الممّج (ف ٢١٧) . وظهوره في منتصف القرن التاسع ق م بحارب دمشق في الغرب (ف ٢١٥) روع قلوب العبرانيين في المملكة الثمانية حتى ان ملكهم (ياهو) بعث اليه يهنايا مع رسول يرى في الشكل جاثياً عند قدمي ملك اشور . ووراه هذا الرسول العبراني ضابطان اشوريان يتقدمان صفاً من العبرانيين مولكاً من ثلاثة عشر شخصاً (غير ظاهرين في الصورة) حاملين هدايا من ذهب وفضة الخ . ومع انه مرّ قرن من الزمان قبل ان تمكن ملوك اشور من الاستيلاء على دمشق (ف ٢١٥ و ٢١٩ و ٢٢٢) فقد آرت هذه الحادثة العبرانيين ما هو امامهم . وهذا المنهد منقوش على حجر اسود ، بأمر ملك اشور ، في قصره على ضفة دجلة حيث وجدته المنقون المحدثون وهو الآن في المتحف البريطاني

واذا كان الاشوريون قد دوخوا فلسطين واعملوا فيها ايسادي التخريب فذلك لان

يهوه استخدمهم للتكثير بالعبرانيين بسبب اعلمهم الشريرة . وقد اوضح اشعيا كلامه بطريق الاستعارة على النسق الشرقي فاستعمل لفظة «عصا» يهوه للتأديب (اش ١٠: ٥-١٥)

(٢١٦) اشعيا
وحصار حصار يهوه
لاورشليم



الشكل ٩٤ سخراب ملك اشور يستقبل
بعض الاسرى العبرانيين

هنا الرسّام وهو يحاول ان يرسم تلال جنوبي فلسطين
قد جعل وجه الارض يظهر كأنه حرافف سمك . ترى ملك
اشور جالساً على عرش وفريقاً من الجنود الاشورية يتقدمهم
رئيس النظار صاعدين الى امام الملك ليقبضوه بجبي . اسرى
العبرانيين . ووراء الجنود الى اليسار يرى ثلاثة من اولئك
الاسرى راكعين على ركبهم ورائعين ايديهم يلتبسون الرحمة من
الملك . والكفاية التي فوق رأس الوزير المائل امام الملك تُقرأ
هكذا : "سخراب ملك العالم ، ملك اشور جلس على عرش وصر
امامه اسرى لخيش" . وكانت لخيش قرية حثيرة في فلسطين
الجنوبية . وقد استولى سخراب على كثير منها من قرى
العبرانيين واجلى مئتي الف اسير من سكانها او يزيد . ولكنه
لا يدعي في الآثار التي تركها انه تمكن من الاستيلاء على اورشليم .
وهذا المشهد منقوش على بلاطة من الحجر الابيض الشفاف كان
يزدان بها وبكبر من نوعها قصر سخراب في نينوى

فدالت دولة الامة العبرانية في الشمال والجنوب بعد ان خفق لوائها في ارض فلسطين زهله
اربعة قرون ونصف قرن بدؤها تملك شاول

وفيا كان الناس يتوقعون في
كل لحظة خراب اورشليم نادى
اشعيا ، غير هيا ، في مسامع الشعب
بمستقبل مجيد للعبرانيين وبهلاك
عجّل للاشوريين . ولما جاء الوبأ
من مستنقعات دلتا النيل واهلك من
جيش سخراب خلقاً كثيراً جداً
اعتقد العبرانيون ان ملاك يهوه المملك
اتى وضرب جيش اشور ٢ مل ١٩ :
٣٧-٣٢ وانقذ اورشليم

(٢١٧) مملكة
جيش سخراب
وتامسدا احوال
اشعيا

وبعد مضي قرن من الزمان
على نجاتهم من يد سخراب رأى
العبرانيون خراب نينوى (٦١٢ ق.م)
فامتلات قلوبهم بهجة واملوا ان
يكون معنى خراب نينوى خلاصهم
من ظلم الاجنبي . الا ان ذلك لم
يكن الا استبدال سيد اجنبي
باخره لان الكلدانيين دخلوا البلاد
بعد الاشوريين واستولوا عليها
(ف ٢٤١) وبما ان العبرانيين لم يعنوا
للقوة الفاتحة حلّ عليهم القضاء المبرم
الذي حلّ على اخوتهم في مملكة
اسرائيل . ففي سنة ٥٨٦ ق.م .
جاء نبوخذنصر ملك الكلدان
وخرّب اورشليم واجلى اهلها الى بابل .

(٢١٨) ندمير
الكلدانيين للمملكة
الجنوبية ٥٦٦ ق.م

٣١

اليهود في السبي ونجاتهم عن يد الفرس

هرب بعض مسيحي اليهود الى مصر وكان بين الهاربين النبي البكاء، ارميا، الذي سبق فرأى خراب اورشليم والهيكمل قبل وقوعه . وحاول اقناع شعبه بوجود اعتبار قلوبهم هياكل ليهوه تدوم ابداً طويلاً بعد ان تكون عوامل الهدم والتدمير قد جعلت هيكمل اورشليم زكماً مركوماً . الا ان اعمال الحفر والتنقيب الحديثة قد كشفت لنا اوراق جالية عبرانية في الالفانتين بمصر تبين منها ان المسلمين من اليهود لم يبلغوا المثال الاعلى ولم يجعلوا قلوبهم هياكل ليهوه لانهم بنوا هيكلاً في مصر ومارسوا فيه عبادة الههم

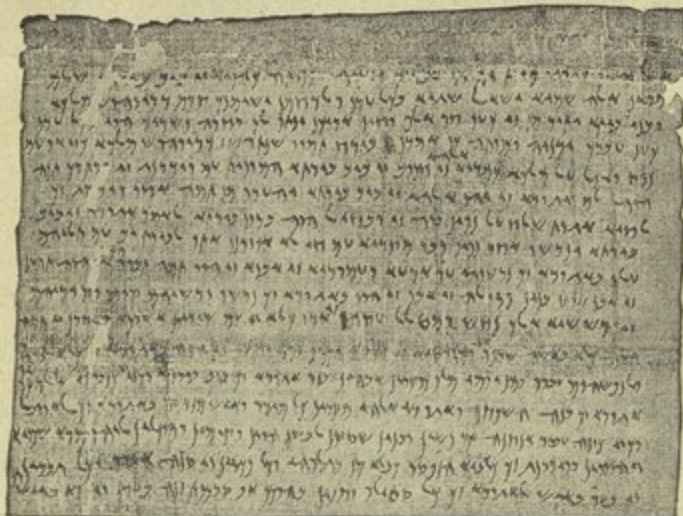
وكذلك اليهود الذين اجلاهم نبوخذنصر الى بابل لم يكونوا مقتنعين بصحة التعاليم التي تعلموها من هدايتهم الانبياء العظام، فاستولت عليهم الكتابة وتملك الحزن قلوبهم - لا خامرهم من الرب في صحة ما تعلموه بدليل ما جاء في مز ١٣٧: ١-٤ . « على انهيار بابل هناك جلسنا . بكيتنا ايضاً عند ما تذكرنا صهيون . على الصفصاف في وسطها علقنا اعدادنا لانه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة ومعذبونا سألونا فرحاً قائلين رغوا لنا من ترنيات صهيون . كيف نزم ترنيمة الرب في ارض غريبة . ألم يكونوا قد تركوا يهوه وراءهم في فلسطين حين ارتفع بينهم صوت مجهول^(١) صارخ وسط ازمنة الكرب والضيق بنم اعظم رجالهم الذي اتى على مسامعهم سلسلة من الخطب سداها الفوز ولحمها الانتصار ابان لهم فيها ان يهوه هو خالق الكائنات والهها الوحيد . وصرح لسامعيه بأجلى بيان ان المصائب والضيقات هي افضل ذريعة لتهديب الشعب واعداده خدمة العالم فالرب يجلبه عليهم الضيقات انما كان يعدتهم خدمة العالم . وانباهم بأن يهوه سوف يرجعهم من سلبهم ويمكنهم من القيام بخدم جليلة لجميع الناس . ثم حياً بفرح قيام كورش الفجائي (ف ٢٦٦) وعلم قائلان ان جميع الملوك ليسوا الا الات في يد الرب الذي سيتخذ الفرس وسيلة لتخريب مملكة الكلدان وارجاع الغبرانيين الى بلادهم

(١) ان هذا الصوت المجهول لم يكن الا صوت كارز وشاهر عظيم، احد انبياء السبي الذي فقد اسمه. الا ان الخطب التي القاها على سامع ابناهم امثو المسييين لا تزال محفوظة في الاصحاحات الستة عشر من النبوة المنسوبة الى اشعيا في العهد القديم (٤٠ الى آخر ٤٥) ويسوع لنا ان تسمية النبي المجهول

(٢٢٠) شعوره
اليهود المسمون
ونبي السبي الطير
المجهول

٥٢١٧
المصريين
الوحيد

وهكذا
ترقى اعتقاد
اليهود بيوه
عما كان ايام
سداوتهم
ازمان كانوا
يرونة اله
حرب قاسياً
تحتاً بهم
وخدم لا
يتجاوز
سلطانة تخوم
البادية موطنهم
الأول فصاروا
يرون فيه
الاب المحب
لجميع الناس
والتسلط
العادل على
كل الارض
وهذا هو
التوحيد بعينه
(ف ١٢٥) ولم
يتوصوا الى
هذا الاعتقاد
الأبعد تطور
طالت مدته



الشكل ٩٥ رقم باللغة الازامية كنبه جماعة عبرانية بمصر الى
حاكم فلسطين الفارسي في القرن الخامس ق م

اكتشف هذا الرقم النفيس سنة ١٩٠٧ واكتشف معه اوراق اخرى مثله كانت مطروحة
بين انقاض اخرة مدينة الاليفانتين في مصر العليا، حيث كانت تقيم جماعة مؤلفة من
ست مئة الى سبع مئة عبراني كان بعضهم على ما يرجح قد هاجر الى مصر قبل ان خرب
نيبوخذنصر اورشليم (ف ٢١٨). وكانت هذه الجماعة قد بنت هيكلاً ليهوه على ضفاف النيل.
وفي هذا الرقم كلام صريح أن كهنة المصريين المحمدين ألنوا عصابة من الازباش واحرقوا
هيكل العبرانيين بعد ان سلبوا ما كان فيهم من الآتية الذهبية والفضية. وبناء عليه قامت
الجماعة العبرانية تنوح على هيكلها وحاولت عينا ثلاث سنين متوالية الحصول على رخصة لاعادة
بناؤها فلم تلح. وفي سنة ٤٠٧ ق م قام زعماؤها وكتبوا هذا الرقم الى باغراس الحاكم الفارسي على
فلسطين واشسوا منه ان يستعمل نفوذه مع حاكم مصر الفارسي يسح لهم باعادة بناء هيكلهم
الحرب. وقد وردت اشارات في هذا الرقم الى اشخاص في فلسطين ورد ذكرهم في العهد القديم
من الكتاب المقدس والرقم مكتوب بالحبر والقلم على ورق البردي باللغة الازامية. (ف ٢١١)
التي كانت قد اخذت محل بسرعة محل العبرانية (ف ٢١٢) واستعملت في هذه الكتابة
الحروف الفينيقية التي كانت شائعة منذ امد طويل في جميع اسية الغربية (ف ٢١١) فهذه الورقة
المكتوبة كدابة ايقنة بالحروف التي كان يستعملها العبرانيون، (ف ٢١٢) - ومقاسها ١٢ قيراطاً
في ١٠ تريناً بالتمام كيف كان منظر صفحة من كتابهم القديمة في العهد القديم وقد قرأوا
قصص ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف (ف ٢١٢) في صفحات كده

احقاباً طويلاً قاسوا في اثنتانها من صنوف الشدة والعناء اشكالاً والواناً وكما يتعلم

الشاب ويستفيد حكمةً وفهماً مما يقع عليه من اللوم والتأديب بسبب ما يرتكبه من ضروب الخطأ ويسلكه من مسالك الضلال، كذلك تعلم اليهود الذين وقعت عليهم الضيقات والشدائد، حكمة فشَبُّوا عن طوق تصوراتهم القاصرة الناقصة فغادروها وتمسكوا بأرق منها وبذلك مثَلوا للعالم كلمات اعظم معلميم «اولاً نباتاً ثم سنبلًا ثم قحاً ملآن في السنبل» (مر ٢٨: ٤) وكان العالم بأسره مستعداً ان يستفيد في المستقبل من اختبار البرانيين الواسع في الرقي الديني

ولما دخل كورش الظافر بابل (ف ٢٦٩) استقبله البرانيون بالترحيب كمنقذ لهم وانتقلوا الى تحت حكم متسلط فارسي. وقد ابدى ملوك فارس عطفاً عظيماً على البرانيين فاطلقوا سراحهم وسمحوا لهم بالعودة الى ارض آباؤهم فشرع البرانيون اذ ذاك يغادرون ديار منفاهم تبعاً عاندين الى بلادهم ليجددوا بناء مدينتهم اورشليم على اسلوب بسيط ويرموا هيكلهم الا ان بعض الذين كانوا قد اصابوا نجاحاً في منفاهم آثروا البقاء فيه على الرجوع الى وطنهم الاصلي

وتمكن زعماء اليهود الذين عادوا من السبي، بالسلطة الممنوحة لهم من ملوك الفرس، ان يضعوا مجموعة قوانين دينية اتصل كثير منها اليهم من الازمنة الغابرة. وعرفت هذه الديانة التي تنظمت بسعي زعماء اليهود الراجعين بالديانة اليهودية. وحين تنظيهم الديانة هذه المرة لم يعيدوا نظام الملك كما كان قبلاً بل جعلوا رئيس الكهنة الذي يقيم باورشليم متسلطاً عليهم بدل الملك فاصبحت بذلك المملكة اليهودية عبارة عن نظام ديني اي جماعة من المؤمنين يرأسهم كاهن

وتخصّص زعماء الديانة منهم بدرس ما كان لا يزال باقياً بين ايديهم من الكتب القديمة المختصّة بامتهم فان كثيراً من تلك الكتب كان قد فقد فنسخوا خطب الانبياء واقوالهم وقصص السورخ المجهول (ف ٣١٠) وسائر الكتابات العبرانية التي كانت في حوزتهم ونسقوها. ومع كرور السنين احتاجت العبادة في الهيكل المرّم الى اغاني دينية فضموا ما كان لديهم منها الى كتاب واحد وهو المعروف عندنا بسفر الزامير، لكي يتروا بها في الهيكل. وكانت كتبهم المختلفة، الناموس والانبياء والزامير، يتداولها الناس امداً طويلاً بشكل دروج متفرقة، ولم يخطر لاحد منهم ان يجمعها في مجلد واحد

ولم يسع اليهود لضم كتابات آباؤهم واجدادهم في مجلد واحد الا بعد التاريخ المسيحي فجمعوها اذ ذاك ونشروها باللغة العبرانية التي كتبت بها اولاً وهي التوراة العبرانية المطبوعة

(٢٢٢) ارجاع
ملوك الفرس
المسيحيين من
البرانيين الى
بلادهم

(٢٢٣) ناموس
اليهود وديانتهم
حكومتهم الدينية
الجديدة

(٢٢٤) نشر الكتب
العبرانية. الانبياء
والزامير

(٢٢٥) العهد القديم
ومبراتها من الديانة
اليهودية

كما هي الآن . وصارت هذه الكتابات العبرانية كتاباً مقدساً لدى جميع الامم المسيحية
يعدُّ عندها من انفس ما ورثته عن الشرق القديم قبل التاريخ المسيحي ويتضمن هذا الكتاب
تاريخ جماعة من الرعاة البدو الذين جاءوا من بادية العرب ليستوطنوا فلسطين . فاقاموا فيها
وصاروا من ذوي الاختبار الواسع الذي اهلهم لان يكونوا المعلمين الدينيين للعالم المتمدن
باسره . ومنهم جاء في ملء الزمان مؤسس الدين المسيحي الذي يعدُّ جيشه واسطه عقد
تاريخهم (ف ١٠٦٧) . فللفرس فضل عظيم على العالم المتمدن لانهم ارجعوا اليهود الى
فلسطين وبذلك حفظ هذا التراث الثمين

٣٣

مآثر المدنية الشرقية وناخر زعامة الشرق القديم

كانت دولة الفرس آخر دول الشرق العظيمة . وبما انها ظلت تتقهقر بعد سنة ٩٠٠
ق م فقد آل امرها الى اليونان من الجنس الهندي الاوربي الذين لم ينشأوا في اسية بل
في اوربا التي يجب ان نعود اليها الآن . ولكن قبل ان نفعل ذلك لنلق نظرة عامة على
المدنية الشرقية لئلا نرى ماذا فعلت في مدة تربي على ثلاثة آلاف وخمس مئة سنة ولنذكر ان
هذه المدنية مثلت منذ اكتشاف المعدن واختراع الكتابة ، ثلاثة فصول تاريخية عظيمة
في بلاد النيل (٣٠٠٠ الى ١١٥٠ ق م) وثلاثة فصول أخرى في ما بين النهرين (من
القرن الحادي والثلاثين الى ٥٣٩ ق م) . ولما انتهت من تمثيل هذه الفصول الستة العظيمة
قدّر للشرق ان يقع تحت سيطرة الجنس الهندي الاوربي بقيادة الفرس

(٢٢٦٦) تأخر
الشرق وبهاية زعامة
العالم القديم . القرن
الخامس الى الرابع
ق م

ماذا فعل الشرق القديم للجنس البشري في هذه الحلقة الطويلة ؟ لا مرأى في انه جبا
العالم بالصناعات الاولى بالغة درجة عالية من الاتقان كصنع الآلات المعدنية والنسيج والزجاج
والورق وغير ذلك من ضروب الصناعات . ولتوزيع ما كانت تنتجه هذه الصناعات بطريق
التجارة ، قضت احوال ببناء اقدم السفن . وقد سبق الشرق اهل الارض طراً في رفع
الاتقال والاقدام على تشييد المباني الكبرى . فالشرق القديم قد نفع العالم باختراعات جمّة
مهمّة لا يفوقها الا اختراعات هذا العصر

(٢٢٢٧) مآثر
الشرق . الاختراعات
وغير ذلك

اخذ الغرب عن الشرق القديم اشياء كثيرة منها اقدم المباني الحجرية الفنية ، والاروقة

المعمدة والابراج اللولبية الشكل واقدام المنحوتات المحكمة الصنعة من الصور والتماثيل الهائلة من صنع مصر، الى الختم النفيسة من صنع بابل القديمة واخذ عنه أيضاً الكتابة وحروف الهجاء، واقدام الروايات المشورة المعروفة، والقوائد الشعرية والاسفار التاريخية، والمباحث الاجتماعية، حتى الروايات الشعرية التمثيلية، وتقويم السنين الذي لا يزال الغرب يستعمله حتى اليوم، ومبادئ الحساب، والفلك، والطب. وقد نظم الشرق اول حكومة كبيرة من امة واحدة عظيمة او من مجموع امم تألفت منها امبراطورية

واخيراً نقول انه في الشرق نشأ اقدم ايمان باله واحد يشمل بعنايته الابوية جميع الناس. وبذلك وضع اساس حياة العالم الدينية. فلشرق فضل كبير على الغرب لانه جاء بهذه الاشياء كلها او معظمها والغرب يتسكع في مهامه الجهل والضلال

ولننظر الآن هل قصر الشرق عن البلوغ الى اشياء مهمة له. رضي الشرق على الدوام بالحكم الملكي المطلق كأنه قضية مسلم بها. واعتقد ان الملك يجب ان يكون عادلاً رقيقاً بالرعية. ولم ينظر قط ببال احد من سكان الشرق ان الشعب يجب ان يكون له صوت في تنظيم الحكومة وادارتها. ولم يدر في حلد احد من بنيه معنى الوطني الحر الذي يشعر بحبة وطنه شعوراً حقيقياً فيستفزه الواجب الى الاشتراك في التصويت وادارة الحكومة. فالحرية كما يفهمها العالم المتمدن اليوم، كانت معدومة في الشرق والديمقراطية لم يلهم بها المشاركة. ولذلك كانت حياة الفرد في الشرق القديم مفتقرة الى الشعور بالمسؤولية والواجب نحو الوطن. وهذا الشعور لا يصدر الا عن التابعية الحرة. واي شيء يدفع الفرد الى خدمة وطنه مثل الاهتمام بمسائله العامة والاشتراك في التصويت والتجند للذود عنه. فهذه الاشياء تنبه الغافلين وتحرك فيهم سواكن الهمم الى العمل. وقد كانت اعظم الذرائع في تشيئة الرجال العظام بين اليونان والرومان

وكما رضي ابناء الشرق بالحكم الملكي المطلق بلا اعتراض كذلك رضوا ايضاً بحكم الالهة الذي لم يكن الا تقليداً قبله آباؤهم من قبلهم. فانحصرت افكارهم ضمن دائرة ضيقة وقصرت عن ادراك حقيقة العالم الذي عاشوا فيه فاذا هبت الريح زعزعا نسبوا هبوبها الى احد الالهة واذا حدث خسوف او كسوف علوه بغضب احد الالهة او الشيطان. فيستدل من ذلك على ان ابناء الشرق قلما عنوا بالبحث عن العسل الطبيعية للاحداث الجوية. وبالاجمال نقول ان ما قاسوه من البلايا يعزى الى فقدانهم الحرية العقلية

(٢٢٨) مآثر الشرق الهجاء. اقدم المباني الفخمة. حروف الهجاء. آداب اللغة. الفنون السنوية. العلم. الحكومة

(٢٢٩) مظاهر الشرق الهجاء. الالهة

(٢٣٠) احجار الشرق القديمة للحرية السياسية والمحموسية الديمقراطية والوطنية المحنة

(٢٣١) فقدان حرية الفكر في الشرق القديم

كما هي الآن . وصارت هذه الكتابات العبرانية كتاباً مقدساً لدى جميع الامم المسيحية
يعدُّ عندها من انفس ما ورثته عن الشرق القديم قبل التاريخ المسيحي ويتضمن هذا الكتاب
تاريخ جماعة من الرعاة البدو الذين جاؤوا من بادية العرب ليستوطنوا فلسطين . فاقاموا فيها
وصاروا من ذوي الاختبار الواسع الذي اهلهم لان يكونوا المعلمين الدينيين للعالم المتمدن
باسره . ومنهم جاء في ملء الزمان مؤسس الدين المسيحي الذي يعدُّ مجيئه واسطة عقد
تاريخهم (ف ١٠٦٧) . فللفرس فضل عظيم على العالم المتمدن لانهم ارجعوا اليهود الى
فلسطين وبذلك حفظ هذا التراث الثمين

٣٣

مآثر المدنية الشرقية وناخر زعامة الشرق القديم

كانت دولة الفرس آخر دول الشرق العظيمة . وبما انها ظلت تتقهقر بعد سنة ٤٠٠
ق م فقد آل امرها الى اليونان من الجنس الهندي الاوربي الذين لم ينشأوا في اسية بل
في اوربا التي يجب ان نعود اليها الآن . ولكن قبل ان نفعل ذلك لنلق نظرة عامة على
المدنية الشرقية لئلا نرى ماذا فعلت في مدة تربي على ثلاثة آلاف وخمس مئة سنة ولنذكر ان
هذه المدنية مثلت منذ اكتشاف المعدن واختراع الكتابة ، ثلاثة فصول تاريخية عظيمة
في بلاد النيل (٣٠٠٠ الى ١١٥٠ ق م) وثلاثة فصول أخرى في ما بين النهرين (من
القرن الحادي والثلاثين الى ٥٣٩ ق م) . ولما انتهت من تمثيل هذه الفصول الستة العظيمة
قدّر للشرق ان يقع تحت سيطرة الجنس الهندي الاوربي بقيادة الفرس

(٢٢٦٦) تأخر
الشرق وبهاية زعامة
العالم القديم : القرن
الخامس الى الرابع
(ق م)

ماذا فعل الشرق القديم للجنس البشري في هذه الحلقة الطويلة ؟ لا مرأى في انه جبا
العالم بالصناعات الاولى بالغة درجة عالية من الاتقان كصنع الآلات المعدنية والنسج والزجاج
والورق وغير ذلك من ضروب الصناعات . ولتوزيع ما كانت تنتجه هذه الصناعات بطريق
التجارة ، قضت احوال ببناء اقدم السفن . وقد سبق الشرق اهل الارض طراً في رفع
الاثقال والاقدام على تشييد المباني الكبرى . فالشرق القديم قد نفع العالم باختراعات حجة
مهمّة لا يفوقها الا اختراعات هذا العصر

(٢٢٢٢) مآثر
الشرق . الاختراعات
وغير ذلك

اخذ العرب عن الشرق القديم اشياء كثيرة منها اقدم المباني الحجرية الفنية ، والاروقة

المعتدة والابراج اللولية الشكل واقدم المنحوتات المحكمة الصنعة من الصور والتماثيل
الهائلة من صنع مصر، الى الحثوم النفيسة من صنع بابل القديمة واخذ عنه ايضاً الكتابة
وحروف الهجاء، واقدم الروايات المنشورة المعروفة، والقصائد الشعرية والاسفار التاريخية،
والمباحث الاجتماعية، حتى الروايات الشعرية التمثيلية، وتقويم السنين الذي لا يزال الغرب
يستعمله حتى اليوم، ومبادئ الحساب، والفلك، والطب. وقد نظم الشرق اول حكومة
كبيرة من امة واحدة عظيمة او من مجموع امة تألفت منها امبراطورية

واخيراً نقول انه في الشرق نشأ اقدم ايمان باله واحد يشمل بعنايته الابوية جميع الناس.
وبذلك وضع اساس حياة العالم الدينية. فللشرق فضل كبير على الغرب لانه جاء بهذه
الاشياء كلها او معظمها والغرب يتسكع في مهامه الجهل والضلال

ولننظر الآن هل قصر الشرق عن البلوغ الى اشياء مهمة له. رضي الشرق على الدوام
بالحكم الملكي المطلق كأنه قضية مسلم بها. واعتقد ان الملك يجب ان يكون عادلاً
رفيقاً بالرعية. ولم يخطر قط ببال احد من سكان الشرق ان الشعب يجب ان يكون له
صوت في تنظيم الحكومة وادارتها. ولم يدر في حلد احد من بنيه معنى الوطني الحر الذي
يشعر بحبة وطنه شعوراً حقيقياً فيستغزّه الواجب الى الاشتراك في التصويت وادارة
الحكومة. فالحرية كما يفهما العالم المتمدن اليوم، كانت معدومة في الشرق والديمقراطية
لم يحلم بها المشاركة. ولذلك كانت حياة الفرد في الشرق القديم مفتقرة الى الشعور بالمسؤولية
والواجب نحو الوطن. وهذا الشعور لا يصدر الا عن التابعية الحرة. واي شيء يدفع الفرد
الى خدمة وطنه مثل الاهتمام بمنازل العامة والاشتراك في التصويت والتجند للذود عنه.
فهذه الاشياء تنب الغافلين وتحرك فيهم سواكن الهمم الى العمل. وقد كانت اعظم الذرائع
في تنشئة الرجال العظام بين اليونان والرومان

وكما رضي ابناء الشرق بالحكم الملكي المطلق بلا اعتراض كذلك رضوا ايضاً
بحكم الآلهة الذي لم يكن الا تقليداً قبله آباؤهم من قبلهم. فانحصرت افكارهم
ضمن دائرة ضيقة وقصرت عن ادراك حقيقة العالم الذي عاشوا فيه فاذا هبت الريح زرعاً
نسبوا هبوبها الى احد الآلهة واذا حدث خسوف او كسوف علوه بغضب احد الآلهة او
الشیطان. فيستدل من ذلك على ان ابناء الشرق قلما عنوا بالبحث عن العلل الطبيعية
للحادثات الجوية. وبالاجمال نقول ان ما قاسوه من البلايا يعزى الى فقدانهم الحرية العقلية

(٢٢٨) مآثر
الشرق ابعث.
اقدم المباني الفتح.
حروف الهجاء.
آداب اللغة. الفنون
السوي. العلم.
الحكومة

(٢٢٩) مفاخر
الشرق ابعث.
الديانة

(٢٣٠) احطار
الشرق القديم
للحرية السياسية
والحسوسية
الديمقراطية
والوطنية الحقة

(٢٣١) فقدان
حرية الفكر في
الشرق القديم

وعبوديتهم للتقاليد (١). وبالطبع في حال كنهه يتعذر على العلوم الطبيعية ان ترتقي وتتقدم كثيراً. اما الديانة فكانت تغشاها ظلمات من الخرافات. واما الفنون والآداب فكان يعوزها تلك القوة التي تبعث في النفوس الهمة والاقدام

ولذلك بقيت على البشر اشياء لا تدخل في نطاق حصر يجب ان يقوموا بها سواء كان ذلك مما يتعلق بامور الحكم ، او باعمال الفكر في العالم الطبيعي لادراك ما فيه من غرائب وعجائب وجمال ، بالآداب والفنون وشؤون اخرى جمّة . وقد قيض لاوربا ان تقوم بما قصر عن بلوغ مداه الشرق . فلنتحول اذن الى اوربا التي تركناها عند ختام الفصل الاول ، في العصر الحجري المتأخر ، ونتتبع مسير العمران الذي ظهر في الشرق وسار منه الى اسلافنا الذين اقاموا باوربا القديمة منذ اربعة الى خمسة آلاف سنة

(٢٢٢) الصفح
الحاصل من فندان
الحرية الدينامية
والعقلية . التناول
الاوربا

مسائل

٢٧

صف موقع فلسطين واذكر ما يمتاز به . ماذا تقول عن نوع حضارتها ؟ هل كان يرجى ان تكون وطناً هادئاً ؟ لماذا ؟

٢٨

اين كان موطن اليهود الاصلي ؟ اين استعبد قوم منهم ؟ ماذا كانت نتيجة سكناهم بين الكنعانيين ؟ هل تحضر جميع اليهود متى حصلوا على ملكهم الاول ؟ ومن كان ؟ من كان عدوهم الرئيسي ؟ صف ملك داود وسليان ؟ ماذا حصل للمملكة بعد موت سليمان ؟

(١) كان اخناتون ملك مصر اقدم من جاهر بالشر من النفايد (ف ١٢٣-١٢٥) وكذلك انبياء اليهود (ف ٢١٢) ويجوز ان يضم اليهم زور واستر. واما الحرية الفكرية التامة فكان اليونان اسبق البشر اليها

٢٩

صف علاقات هاتين المملكتين العبرانيتين . عارض الواحدة بالآخرى . اي تأثير
على الديانة كان للاختلاف بينها ؟ ماذا فعل ايليا ؟ هل وُجد من هو اميل منه الى
السلم ممن يري رأيه ؟ ماذا تعرف عن المورخ المجهول ؟ إرو قصة عاموس ؟
ماذا كان عمل النبي ؟ من اين تعلم اليهود الكتابة وماذا كانت كتبهم الاولى ؟

٣٠

اي خطر تهدد العبرانيين من خارج ؟ ماذا جرى للمملكة الشمالية هل اعتقد
العبرانيون ان يهوه اقوى من الاله اشور ؟ ماذا تقدر ان تقول عن عمل اشعيا ؟ اخبر
عن حملة سنحاريب على اورشليم . صف تحريب المملكة الجنوبية

٣١

ماذا جرى لعبرانيي اليهودية ؟ ماذا افكروا عن يهوه ؟ من علمهم عنه تعليماً
احسن وماذا كان ذلك التعليم ؟ ابلّغ العبرانيون الى اسمى الافكار عن يهوه دفعة
واحدة ام كان ذلك تطوراً تدريجياً ؟ ماذا فعل العبرانيون الراجعون من السبي وباية
سلطة عمالهم ؟

٣٢

ما اهم الاشياء التي نفع بها الشرق البشرية ؟ هل كان للشعب في الشرق صوت في
الحكومة ؟ هل كان فيه وطنيون ؟ ماذا كان موقف الشرقيين بازاء الالهة ؟ ماذا
كان تأثير ذلك على العالم ؟ في اية بلاد نعتني الآن تاريخ الانسان القديم ؟

القسم الثالث

اليونان

الفصل الثامن

فجر المدينة الاوربية وقيام البلدان التي على
الساحل الشرقي من بحر الروم

٣٣

فجر المدينة في اوربا

لقد درسنا حتى الآن حياة اقدم البشر في اوربا وتتبعنا سيرهم خطوة بخطوة زهاء خمسين
الف سنة (ن ١-٤) واقتضت الحال ان نغادرهم عند هذا الحد ونتحول الى الشرق لترقب
ولادة ونشوء الحضارة فيه ازمان كانت اوربا لا تزال تتسكع في مهامه همجية العصر
الحجري المتأخر الذي كان ناسه قد بشوا قراهم ودساكرهم في طول القارة وعرضها . وكان
دخان المنازل يتصاعد من وسط الغابات وينعقد سرادقات فوق بحيرات سويسرة واوديتها
وتظهر السطوح كأنها نقط منثورة على صفحات السهول التي تتوارى عند الخلجان ثم تعود
فتتبدط متراصة على ضفاف مجاري الانهار المتعججة حتى تبلغ اواسط اوربا التي كان قد
بزغ في الجنوب الشرقي منها فجر عصر المعدن نحو ثلاثة آلاف سنة ق.م. (١)

(٣٣٣)
اوربا
العصر
الحجري
المتأخر
ومستقبلها

(١) ان عصر النحاس او البرنز لم يعقب العصر الحجري دفعة واحدة بل تدريجيا كما سنرى . وقد وصل
المعدن الى جنوب شرق اوربا بعد سنة ٢٠٠٠ ق.م بقليل بزمان طويل ولكن في غرب اوربا وشمالها لم يبدأ عصر
النحاس الذي تحول بعد قليل الى عصر البرنز حتى السنة ٢٠٠٠ ق.م تقريبا

(١٣٢٤) توزيع
السلع في العصر
الحجري في الأمازون
بواسطة تجار بلدان
البحر المتوسط

وكان الاوربيون يرتاحون كثيراً الى زيارات التجار الذين كانوا يؤمسون بلادهم من
الاماكن المجاورة للبحر المتوسط . فكانوا اذا جاءهم احدهم يتهاقون عليه ويأخذون يقيون

بضاعته ويسومونها ثم يبتاعونها منه . فهذا
يشترى جرة فخار مزخرفة بالنقوش وذلك
يقدم من الخرز الازرق البراق لامرأته او
ابنته . وكان الخرز الألمع والاطواق الرزينة
الضارب لونها الى الحمرة انفس شيء في
عيونهم . فاذا ارادوا ان يتاجروا شيئاً منها سارعوا
الى شرائه . وكان احب السلع لديهم الخناجر
(ش ١٠٠) والفؤوس المصنوعة من مادة
كانوا لا يزالون يجملونها . كانت هذه
الفؤوس ارق من الفؤوس الحجرية التي كانوا
يستعملونها . ولم تكن قصبة سريعة
الانكسار كالفؤوس الحجرية . وكان في
الامكان ارفاقها الى درجة يستحيل ان
يبليها حد الفاس الحجرية مما بلغ في شحذه
وكان المتاجر بين سكان داخلية اوربا
ياتيهم بحكايات مبهمة عن البلاد التي جاء
بسلمع منها وعن الشعوب التي تقطن في البلاد
الواقعة وراء بحر الروم . وربما كان يحظر
على بال بعض القرويين من اهل العصر
الحجري المتأخر الذين كانوا يسمعون



الشكل ٩٩

يرينا هذا الرسم القسم العلوي من اناه بشكل
كأس منحوتة من حجر بيد نخات كروني . اما القسم السفلي
فقد فقد والنقش الذي عليها يمثل لنا موكبا مؤلفاً من
فلاحين كرويين يحملون على مناكبهم مذاري . ومعهم
جوق من الاحداث مفتوح الاقواء على ملثها يرتلون
بجاسة ترنمة الحصاد اكراماً للام العظيمة الارض
(ف ١٣٦٤) التي لما كل الفضل في خصب التربة . وكان
مدير الجوق كاهناً مخلوق الراس على الزبي المصري
مسكاً يده امام عينيه آلة موسيقية جبي بها اصلاً من
مصر . وصنعت حفر هذا الرسم على الكاس غاية في الانان
حتى انه ليغفل للرائي انه يرى الموكب نفسه يسير الى الامام

(١٣٣٥) لمصدر
الشرق لبيع الفاجر
الاوربي

حكاياتهم ، حكايات أخرى كان قد رواها لهم آباؤهم مألها ان الخنطة والكتنان والبقر والغنم
جاءتهم اولاً من الشرق الاقصى مهد الغرائب والعجائب

(١٣٣٦) مصاع اهل
اوربا بالدم السنن
في النيل القاصي

وكانوا يصنعون بشغف شديد وعلى وجوههم امارات الحشية ، الى سماع حكايات التاجر
عن السفن الهائلة (ش ١٢٩) التي لو قوبلت بها زوارقهم الاوربية المصنوعة بتجويف سوق
الاشجار الكبيرة لبانت كأنها شظايا خشب صغيرة جداً بالنسبة الى تلك . وكان لتلك
السفن مجذفون كثيرون على كل جانب . وكانوا ينصبون في كل منها بضعة من جذوع شجر

الشريين لتقوم مقام الصواري في هذه الايام ويشرون عليها القواطع العظيمة من نسيج الكتان
لامسالك الريح الموافقة وتسيير السفن من بلاد الى بلاد . وكان التاجر يقول لهم ان هذه

السفن تخرج

من مصاب

نهر مصر

العظيم بل

اعظم انهار

الدينا تقيلاً

البضائع

المختلفة البالغ

وزنها قناطير

كثيرة وتقطع

بها البحر

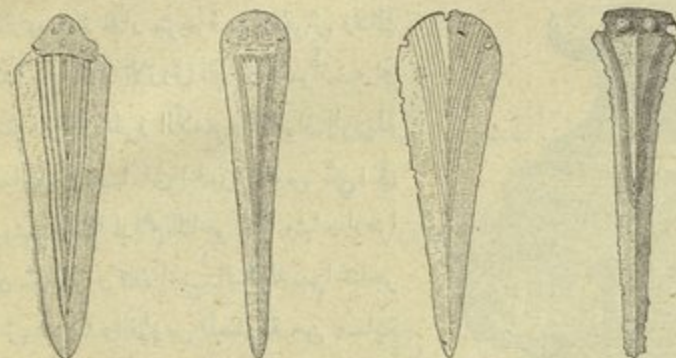
المتوسط الى

الجزر

وسواحل

جنوب شرقي

اوربا او ما



مصر

ايطاليا

جبال جورا

دفرك

الشكل ١٠٠ اربعة نصال خناجر من نحاس وبرنز تظهر انتقال
التأثير المصري الى الدفرك

المقايض المنقودة كانت من خشب وعظم او عاج ولا تزال تشاهد في النصال الثغوب التي
بواسطتها كانت تثبت في المقايض . فخرى من هذه الخناجر الاربعة كيف ان الشكل المصري
قطع من مصر ماراً باوربا الى البلدان السكندناوية . ولم تكن سوف اوربا الغربية بعد ذلك
سوى خناجر مصرية مطولة

يجاورها من اسية . وكانت اوربا الهمجية تنظر بملء العجب والدهشة الى مدينة مصر
العظيمة كما كان ينظر هنود اميركا الى الاوربيين الاولين الذين تولوا اول مرة على ساحل
اميركا مدهوشين من مراءهم مصغين الى حكاياتهم الغريبة عن الشعوب الراقية في البلدان
القاصية

تعلم اهل اوربا بالتدريج كيفية استعمال المعدن (ش ١٠٠) الا ان علمهم هذا لم
يرتفع الى درجة سامية من الحضارة معا كانوا عليه من الرقي الاجمالي . فانهم ظلوا جاهلين
الكتابة والبناء بالحجارة المنحوتة ، ولم يكن لديهم سفن كبيرة لتقل محصولاتهم التجارية^(١)

(١٢٧٧) تلخبر

اوربا حتى بعد

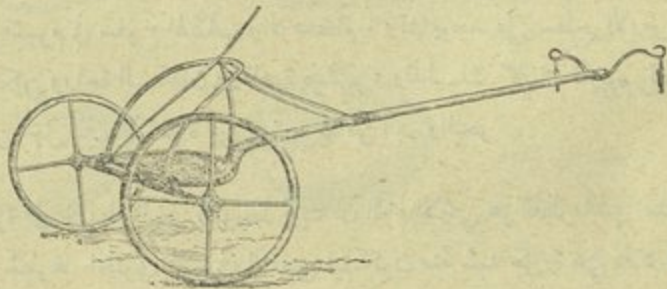
سعرتها المعدن

(١) وكان القوم المعروفون بالثاليين في مقدمة سكان القسم الشمالي من اوربا والظاهريهم حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م كانوا قد هربوا في فن سلك الحجر

وكانت حجارة مبانيهم بلا «تقصيب» كباني ستونهنج (ش ١٣) التي مر ذكرها قبلاً .
فترى ان اوربا في عصر البرنز لم تستطع ان تبنى مدينة كمدنية الشرق الا ان جزءها
الاقرب الى مصر والواقع في جوار بحر ايجه ، نشأ فيه مدينة ترقّت بسرعة عجيبة

٣٤

بلاد ايجه : الجزر



الشكل ١٠١ مركبة من عمل ايدي صناع اوربا في عصر البرنز

ترينا هذه المركبة ، العمل المنقن الذي استطاعه صناع عصر البرنز بالأمم البرتزية وذلك بينة على تقدم
التجارة في عصر البرنز . وقد جيء بتلك الآلات من مصر . وضعت في قبر منحوت في الصخر لكي يستعملها الدفين
الغني بعد موته وقد حفظت حتى ايامنا هذه حفظاً تاماً . كانت تصنع من نوعين من الخشب وتربط اجزاؤها
المختلفة بخيوط نوع نالك منه وبما ان الشجر الذي تنتزع منه الخيوط للتريبط لا يعش في جنوب البحر المتوسط يستخرج
انها صنعت في الشمال منه (ف ٢٢٧)

(٢٢٨) بحر ايجه
والبلاد المحسوبة اليه

ان بحر ايجه يكاد يكون بحيرة تحديقها الاراضي من كل جانب فالى الشمال
والغرب منه برّ اوربا . والى الشرق اسية الصغرى والى الجنوب جزيرة كريت
الفاصلة بينه وبين البحر المتوسط . ولا يزيد طول بحر ايجه في اي مكان كان من سواحل
من اربع مئة ميل . واما عرضه فيختلف كثيراً باختلاف الاماكن . ويتخلل شطوطه كثير
من الخلجان والموانئ وترصعه مشات من الجزر حتى انه يمكن السفر من جزيرة الى
أخرى بساعة او ساعتين . وكيفما توجه المسافر في هذا البحر يرى امامه البرّ من جهات
عديدة في وقت واحد . ولما دخل التمدن هذه البلاد اتصلت السواحل بالجزر بالسفن

الشراعية كما اتصلت اجزاء اسية الغربية بالسكك وطرق القوافل . ويتكوّن من هذا البحر والجزر التي ترصعهُ والسواحل التي تحددُ به منطقة مستقلة بذاتها تعرف بالعالم الايجي

(٢٢٤٦) هيا بلاد
ايجه وعاصمها

هوا بلاد ايجه معتدل . شتاؤها ماطر وصيفها جاف . تصل سهولها الصغيرة واوديتها الجارية فيها انهارها ، الى البحر ويزرع في السهول الحنطة والشعير والكروم والزيتون . وكان جل اعتماد السكان في التغذية على الخبز والخمر والزيت التي كانت قوام معيشتهم كما كانت قوام معيشة سائر البلدان المجاورة للبحر المتوسط . يؤيد ذلك ما ورد في احدى قصائد هوميروس (ف ٤١١-٤١٤) حيث يقول : « الخبز والخمر هما غذاء الجميع حتى الاولاد » . وفي فصل الشتاء ترتدي الارض جلباباً نيفساً من النباتات الزاهية فيسرح الرعاة قطعانهم فتسوم في سفوح الهضاب والآكام . ولقما يوجد على سطح الارض بلاد اصلح منها للسكن وراحة السكان ورفاهية عيشتهم . ولذلك كانت قلوبهم تطفح بالشكر للآلهة من اجل المنن الكثيرة التي حبتهم بها من البر والبحر

(٢٤٠٦) العالم الايجي
وتعرف من الشرق

نظرة الى خريطة البحر المتوسط ترىنا ان العالم الايجي هو القطر الذي منه تُولج اوربا في البحر شطرها الجنوبي الشرقي الاقصى فيتكون منه شبه جزيرة هي بلاد اليونان وما يتبعها من الجزر ولاسيا كريت الممتدة الى المياه الشرقية التي خاضت عباها قديماً السفن المصرية ذهاباً واياباً . وترينا هذه الخريطة ايضاً لماذا ظهرت في كريت قبل سواها اقدم المدن الراقية التي ازدهرت على الجانب الشمالي من بحر الروم . وما نلاحظه بمجرد النظر الى الخريطة هو ان اسية تماس العالم الايجي بواسطة شطرها الغربي الانصى (اسية الصغرى) بحيث تتقابل اسية واوربا وبينها مياه بحر ايجه . وقد كانت اسية الصغرى بطرقها التجارية حلقة الاتصال بين العالم الايجي والهلال المخصب

زى هنا ان بلاد ايجه كانت البوذة التي التقت فيها المدن الشرقية . وذلك بطريقتين اولاهما واقدمها بحرية طالما جرت عليها سفن مصر ذهاباً واياباً من مصر الى بلاد ايجه عبر البحر المتوسط وبالعكس واثانيتهما برية بين عالم الفرات والعالم الايجي قاطعة اسية الصغرى . وامست الجزر الايجية جسراً يصل الشرق باوربا . وفي العصر الحجري المتأخر صارت جزر بحر ايجه مراكز فرعية لمدن الشرق العظيمة التي وجدت قديماً في ارض النيل والفرات . فأول نشوء المدنية الاوربية لم يكن في بر اليونان بل في جزر ايجه

(٢٤١١) جزر بحر
ايجه مراكز فرعية
لشرق . تقدم هذه
الجزر ودهن البلاد
الاصيلة

ندعو اقدم سكان بلاد ايجه بالايجين . وهؤلاء اول ما ألت المدنية اشعثها عليهم كانت بلادهم آهلة بالسكان (نحو ٣٠٠٠ ق م .) وظلوا مقيمين بها بعد ذلك بضعه

(٢٤٢٦) سكان بلاد
ايجه

قرون قبل ان احتلها الشعب المعروف عندنا باليونان . وقد تحدّر الايجيون اسلاف اليونان في شمال المتوسط ، من شعب ابيض عظيم ممتاز بصفاء الذهن والذكاء لاصلة نسب بينه وبين اليونان . وقد تبسطوا كثيراً في السواحل الشمالية من المتوسط^(١) ودعوناهم بشعب البحر

المتوسط الا ان اصلهم وعلاقتهم بالشعوب الاخرى حتى الآن لا تزال مبهمه . وكانوا منذ زمن قديم - اقدم من جميع الآثار المكتوبة - محتلين ليس فقط بلاد اليونان الاصلية وجزر بحر ايجه بل سواحل اسية الصغرى المجاورة ايضاً



كربت (٢٤٣)

وكانت كريت من اول عهدا في الرتبة الاولى حضارة بين جميع الجزر الايجية . وتمتد هذه الجزيرة امتداداً عظيماً في المتوسط حتى لا يُعلم أهي لاوروبا ام لاافريقيا وكانت عند اول فجر المدنية تُعد كأنها جزء من الشرق مثل القسطنطينية اليوم . حتى ان البحارة المصريين

كربت
الشكل ١٠٢ آنية حجرية قديمة من جزيرة كريت
والاصول المصرية التي أخذت عنها

ترينا المقابلة ما بين الآنية المصرية القديمة (اك اليسار) والآنية الكريتية (اك اليمين) ان الصناعات الكريتية نقلوا الاشكال المصرية (ف ٢٤٤) في النصف الاخير من عصر الالهام (٢٧٠٠-٢٦٠٠ ق م) قديماً كانوا بعد خروجهم في سفنهم من النيل وبعثهم شمالاً بغرب اياماً فلانسل يرون جبالها . فكانت همزة الوصل بين مصر جنوباً وبحر ايجه شمالاً

(٢٤٤) نشرة
اصدق الكريتية
تحت عوامل التأثير
المصري

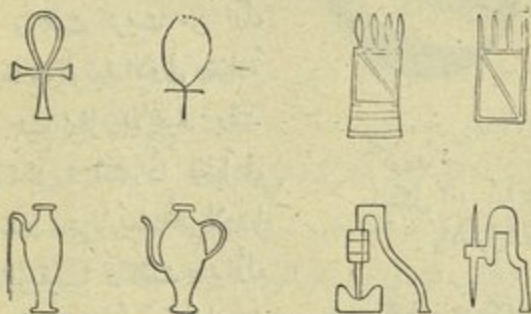
واينا قبلاً (ف ٢٣٤) ان القرى المبنية باللبن التي تألفت منها المستعمرات الكريتية في العصر الحجري المتأخر ، كانت تأخذ النحاس من المراكب المصرية قبل ٣٠٠٠ ق م . وبعد ذلك بزمان تناول الصناعات الكريتية كميات من النحاس المنزوع بالتمك مستخرجة من مناجم

(١) ارتأى بعضهم ان اصل هذا الشعب من شمال افريقية ثم تفرق حتى احاط بالبحر المتوسط من جميع جهات و ربما كان المصريون والساميون فرعين منه

واقعة الى الشمال من البحر المتوسط. والمزيج الحاصل من هذين المعدنين والمسّمى بالبرنز اصلب من النحاس. فيكون عصر البرنز قد ابتدأ في كريت بعد سنة ٣٠٠٠ ق م. ولبت الكريتيون بعد ذلك الف سنة كان تقدمهم في اثنائها بطيئاً ولكنهم ربجوا اشياء أخرى مهمّة جداً. ففيا كان المصريون يبنون اهرامهم العظيمة تعلم الصناع الكريتيون منهم كيف يستعملون دولاب الخراف والاتون المدور (الكوشة) (ش ٣٢) وتمكنوا من ان يصنعوا جراراً وكؤوساً ارقّ جداً مما صنع قبلاً ويطبخوها في الاتون. وبتحديهم للمصريين في نحت الحجارة وتجويها استطاعوا ان يصنعوا جراراً وكؤوساً وآنية أخرى حجرية (ش ١٠٢). وكان الكريتيون قبلاً يعتمدون في تدوين اخبارهم على الكتابة التصويرية الساذجة (ش ١٦) الا ان هذه الصور تحولت تدريجاً تحت تأثير مصر الى كتابة صوتية حقيقية (ش ١٠٣ و ١٠٥) وهي اقدم كتابة في بلاد ايجيه

(٣٤٥) قبا، ملوك
البحر الكريتيون
نحو ٢٠٠٠ ق م

وكان الكريتيون قد بلغوا سنة ٢٠٠٠ ق م. درجة عالية من التمدن. فكانت عندهم مدن صناعية مزدهرة بمصانعها الخزفية والمعدنية مما مكّتهم من الاتجار مع الشعوب الاخرى. وتسهيلاً للمواصلات بالسفن بنوا مدنهم بقرب الساحل. وكان في داخل البلاد كثير من الاودية المرعة المكتظة بالقرى العامرة التي كانت تقوم بحرق الارض وزراعتها ورعاية الماشية. ونشأت في كَنَسُوس قرب منتصف الساحل الشمالي



الشكل ١٠٣ المبروغليفية الكريتي والرموز المصرية التي اخذت عنها

ربما هذه النماذج في العمود الازل الرموز المبروغليفية الكريتي وفي العمود الثاني الاصول المصرية التي اخذت عنها

مصري	كريتي	مصري	كريتي
رمز الحياة		برج النصر	
ابريق السمحة		مطرقة برنز	

مملكة ربما كانت مشتملة في آخر عهدها على جزء كبير من الجزيرة. وكانت كَنَسُوس في العصر الحجري المتأخر قد عملت فيها ايدي الدمار والتخريب حتى امت

في خبر كان . ولكن بعضاً من عظامه ملوك كريت بنوا على انقاضها قصرًا فاخرًا على النمط المصري يشتمل على غرف عديدة تحيط بدار في منتصف القصر . وكان في الداخلية الى جهة



الساحل
الجنوبي
قصر
آخري في
فايستوس
جُعل مائة
للاسرة
المالكة
نفسها
او عاصمة
اخرى
للملكة

١٣٤٦ قوه ملوكة
البحر الكريتيين

١ انا من كريت ان يرى فيها التقدم في
فن الخزف والنقش

٢

الشكل ١٠٤

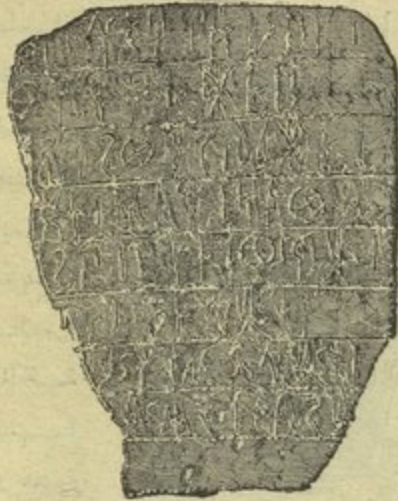
ولم
تكن
تلك

فالاناء الاول هو نموذج للخزف الاقدم رسمت على سطحه الاسود صور جميلة بالالوان
"الايض والبرتقالي والقرمزي والاحمر والاصفر" وكان الخزافون الذين صنعوا آنية كهذه يوحثون
المخوم، اول من ظهر من ارباب فن الخزف والمخمر الدقيق في كريت . وكان ذلك في سنة
٢٠٠٠ ق.م وما بعدها في زمن القصر الاول في كنسوس (ف ٢٤٥) ويجب ان نلاحظ ان رسومهم
ليس فيها ما يدل على انقائهم تصوير الاشياء الطبيعية كالازهار والمحيطات بل الصور كلها من
مواليد الخيال منقولة عن الفن المصري . ولكن الاناء الثاني الذي صنع بعد الاول بجسده
سنة برينما كيف ان ابنا "العصر الذهبي" كانوا قد تعلموا من الفن المصري ان يأخذوا الصور
التي كانت للزينة من العالم الطبيعي . لاننا نرى معظم الرسوم مؤلفا من ازهار عرائس النيل
المصرية

القصور
محصنة
ولامسورة
وكذلك
المدن
كانت بلا
اسوار .
الا ان

ملوك كريت لم يكونوا بلا وسائل للدفاع عن انفسهم لان قصورهم كانت مفعمة بضروب
الاسلحة النحاسية المخبوة فيها . فقد وجد الاثريون في اخرية غرف الاسلحة بقصر كنسوس

مئات من رؤوس السهام البرنزية والتداح الملوحة على النار تقويماً لما فيها من أودر . وتعلم
ملوك كريت كيفية استخدام السفن في الحرب فلقبوا بملوك البحر الكريتيين (١)



الشكل ١٠٥ اجزة عليها كفاية كريتية
بالخط المسمى بالطري

هذه كتابة هيروغليفية من زمن متأخر عن الكتابة
في شكل ١٠٣

المنقبون المحدثون هذه الأنية من القبور لتحدثنا بغير لسان عما كان للصناعة الكريتية من
الشهرة البعيدة والرواج العظيم في القرنين التاسع عشر والعشرين ق م . ولا ريب في ان
السفن المصرية التي كانت منذ القرن الثلاثين تمخر في مياه شرق البحر المتوسط صارت الآن
ترور بين حين وآخر المسواني الكريتية . وفي الوقت نفسه كانت الرياح الشمالية المتغلبة
صيفاً تُرجي السفن التي كان الكريتيون قد تعلموا كيف يبنونها ، الى مصاب النيل .
وكان يُعوز الكريتيين اشياء كثيرة . فلذلك كانت التجارة بين النيل وكريت رائجة جداً

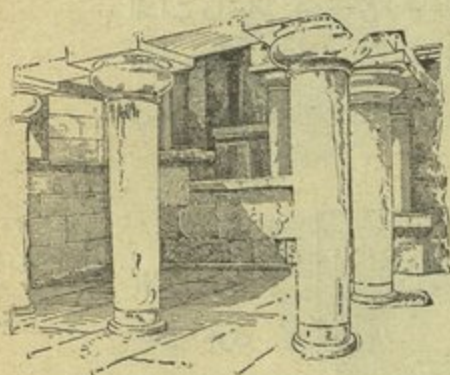
(١٣٤٢) انساع
نطاق التجارة
والصناعة في كريت

واخذت الصناعات الكريتية في هذا
الزمان تدهر وتتقدم تقدماً لم يُعلم به من
قبل . فشرع الحزافون في كنسوس يصنعون
الفناجين الانيقة الرقيقة كفناجين الخزف
الصيني الحديثة ويزخرفون الجرار بالالوان
الزاهية والرسوم النفيسة مما جعلها اجمل
خزف صنع في الشرق (ش ١٠٤) وانالها
رواجاً لدى الاغنياء في اماكن كثيرة - حتى
في مصر - اشبه برواج الخزف الصيني
الفرنساوي في الوقت الحاضر خارج فرنسا .
وكان الآنية الكريتية الجديدة ، ذات
الالوان العديدة ، قيمة عظيمة في عيون
نبلاء المصريين ، امراء الاقطاع ، حتى
انها كانت توضع لهم في رموسهم لكي
يستعملوها في العالم الثاني . وقد استخراج

(١) لقد غالى الكتاب المحدثون في وصف قوة الكريتيين اجمرة . وبناء على تقليد حديث سُجِّد احد ملوك البحر
الكريتيين مينوس . ونعت المحدث الكريتي القديم بنعت منسوب اليه فقيل انه مينوسي . وهو أشهر نعت في ايامنا
فلذا المحدثون واستعملوا لفظة "الجمي" بدل "ميكالي"

(٢٤٨) تطور
الكتابة الكريتية
الى شكل ابسط

واقترضت الاعمال التجارية الكريتية ايجاد اسلوب للكتابة يجمع بين السرعة والسهولة الامر الذي لم يكن ممكناً ايام كانت الكتابة بالصورة او الرموز القديمة . لذلك عمد القوم الى اختصارها وتحويلها الى شكل ابسط مكثفين ببضعة خطوط لكل صورة . وكانوا



الشكل ١٠٦ هو مخطط وسلم في القصر الكريتي الذي في كنوس مدة العصر الذهبي

الاهمة والسقف في هذا الهيؤ زُمت حديثاً . والهيؤ واقع في القسم السفلي من القصر والسلم الذي ينجي عن النظر الدرايزين الذي وراء الهيؤ كان يؤدي الى ارض القصر الرئيسية . درجاته اثنان وخمسون درجة كبيرة مقسومة خمسة اقسام . ولهم زخرفة هذا القصر من داخل طالع (ف ٢٤٩) وانظر (ش ١٠٧)

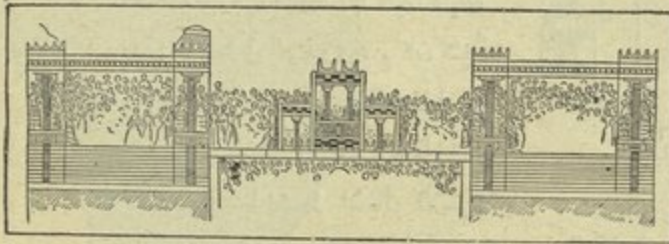
يستعملون هذه الكتابة الجديدة بسرعة (ش ١٠٥) على الاجرة . فكان من يزور المسلحة (بيت السلاح) في قصر الملك يشاهد امام كل من الصناديق اجرة مكتوباً عليها عنوان يدل على ما في الصندوق . وكان كثير من الاجرة مذخوراً في الصناديق يتضمن سجلات وفواتير وحسابات لم يكن بد منها لضبط اشغال الاسرة المالكة . وقد وجد كثير منها بين اطلال القصر المتهدم تحت الردم . ومع كل ما عاناه العلماء من الجهد لحل ما عليها من الرموز وقراءتها ، لم يفوزوا بالمرام . ولا ينبغي ان تلك الرموز الكتابية هي ، فيما يعلم ، اقدم كتابة على تخوم العالم الاوربي . هذا وملوك

كريت لم يعادروا آثاراً مبنية فخمة نُقشت عاينها اخبارهم وانباء حروبهم وانتصاراتهم والاعمال العظيمة التي أترها كالاتار التي غادرها ملوك الشرق

ومر على الكريتيين بضعة قرون ترقى في غضوننا احوالهم تدريجياً فبلغت مدنيتهم اسمى درجاتها ودخلوا في عصر جديد اصطلاح العلماء ان يدعوهُ بالعصر الذهبي ١٦٠٠ - ١٥٠٠ ق م . ومذ قامت البناية الفاخرة الفخمة (ش ١٠٦) مقام القصر القديم في كنوس اخذ الكريتيون يتقدمون من كل وجه . فالقصر الجديد ، بهيؤه المتمد وسلاله الجميلة وزخباته الفسيحة المهيبه هو اول مثال لهندسة البناء الحقيقية في شمال البحر المتوسط . وكانت جدران هذا القصر مزدانة بالتصاوير الجميلة والمشاهد البهية المأخوذة من الحياة اليومية . وبعد ان تعلم الكريتيون من المصريين صناعة الزجاج شرعوا يزخرفون الجدران

(٢٤٩) العصر
الذهبي في كريت
وقته ١٦٠٠ الى
١٥٠٠ ق م

بصور مصنوعة من الميناء . وكان الخزافون في هذا الوقت قد عدلوا عن استعمال الالوان الكثيرة في ما يصنعونه من الآنية واجتزأوا عنها باون واحد غامق على سطح فاتح . وربما جعلوا الرسم نائثاً . وكانوا يزخرفون الآنية النفيسة (ش ١٠٤) بصور ملونة مأخوذة من حياة النبات واهياناً كثيرة من الحياة البحرية التي كان قد ألفها الكريتيون اكثر من الاول وكانت الآنية الخزفية الانيقة التي صنعوها تدل جلياً على المهارة التي بلغها العالم الشرقي القديم في فن الزخرفة والتزييق الذي لم يستطع احد ان يجاريهم فيه او يدانيهم



الشكل ١٠٧ سادة وسيدات من طبقة الاشراف الكريية في العصر الذهبي على مصاطب القصر في كنوس

رسم هذا المشهد على جدران القصر وهو جزء من الزخارف الكثيرة المرسومة عليها من الداخل . وقد رسم بعض الترميم كما يشاهد اعلاه . وهو نموذج نفيس من اعمال المصور الكريي الذي مكنته مهارته في فنو من ان يرسم عن بعد صورة جمهور كهذا يجعل الناظر اليها يرى من فيها كأنهم احياه

صناعتهم كانت آخذة في الترتي ولكن كأنما كان ذلك بارشاد من مصر . فان المصريين كانوا يُعشّون جدران منازلهم بالاجر المزخرف بالمينا قبل الكريتيين بالني سنة . ولكن المصور الكريي مع احتذائه مثال المصور المصري لم يقتف خطواته كما يقتفي العبد خطي مولاه ولم يستعمل نفس القالب الذي استعمله المصري . فالمصري كان اذا صور نبتة نامية على جدار ما ظهرت جاسية كأن لا حياة فيها . اما الكريي فكان اذا رسم هذه الصور نفسها يتقن رسمها كل الاتقان حتى يجيل للناظر اليها (ش ١٠٤) انه يرى الريح تداعب افنانها فيسمع كأنها بعينيه موسيقى حفيف اوراقها . ولم يكن الكريي الخفار في العاج او الصانغ او النحاس اقل مهارة في عمله من المصور فان هؤلاء اجادوا في صناعاتهم المختلفة كل الاجادة وصنعوا اشياء نفيسة جداً تعد من اعظم اعمال الصناعة في الدنيا

(ش ١٠٨ و ١٠٩)

ان
الاسلوب
الذي جرى
عليه
الكريتيون
في اشتغالهم
بصناعة زخرفة
الخزف
والجدران
يدل باجلى
بيان على ان

١٣٥٠٦ امتثال
المصورين الكريتيين
جوفدرهم ٢ عن
القائير المصري

وكان القصر الملكي بطل على بلدة منازلها بسيطة مبنية باللبن العادي . ولكنها على بساطتها ، قد عاش فيها تجار وخزافون وصاغة ومصورون وغيرهم من ارباب الحرف

(١٣٥١) الكريستوف
في عصرم الذهبي .
العامه



(١٣٥٢) النبلاء
حول الملك

الشكل ١٠٨ ثوران بركة حفرها صانع كريتقي على كاسين من ذهب وجدت في فانجو بجزر بارطه وفرنس المكان الذي جلبنا اليه من كريت

طرق الصانع هذه الصور المدهمة اولاً بالمطرقة ثم ركبها على قالب وانتم تسويها بألة الحفر المخصوصة . وبعد همة من اعظم الاعمال الفنية التي قام بها شعب من الشعوب في كل العصور . ولا يزال الصناع الشرقيون في جميع المعامل يعولون في تزويجهم للآنية الفضية والفضية على هذه الطريقة حتى الان

الذين اقام

كثيرون منهم

بقصر الملك

واشتغلوا فيه .

اما في الارياض او

عدوات الاودية

فقام الفلاحون

لكي يحرثوا

الارض . وفي

الشكل ٩٩

يرى موكب

منهم يسير

واعلام السرور

تحقق فوقه .

والارجح ان

ذلك كان يوم

عيد الحصاد

وفي مواكب

كهنه ، كان

يُطل على الجماهير

المتألبة من الشرف

وهط من

اشراف السادة

والسيدات .

وكانت تجتمع

السيدات على مصاطب القصر بازياء لا تستكف ان تيمس بها غادات باريس او لندن الآن .

ومن على هذه المصاطب ، كنَّ يراقبنَ الابطال الملائكين وعلى رؤوسهم خوذ المعدن الثقيلة -



الشكل ١٠٩ تمثال صغير من عاج لسيدة كريتية من العصر الذهبي
(متحف الفنون الجميلة في بوستن)

تدل وقفة صاحبة هذا التمثال على الكبرياء والتعجب . فالصدر خارج والظهر داخل .
والدرعاان ممدودتان على مداها . وفي كل من يديها حبة ذهبية تثبت على ساعدها حتى
المرفق . وعلى راسها تاج ممكّم الوضع على شعرها المجمع . وعلى جديتها صدر كالمشد
تستدق تدريجاً حتى تنتهي عند خصرها الخفيف . والثوب الذي على يديها عبارة عن زي
عصري مدمش حتى لو برزت فيولابسته في شارع من شوارع المدن الكبرى اليوم ما
تصدى احد للقبل والثال عليه وعلىها التمثال مصنوع من العاج والدوائر التي ترى على
التنورة مزركشة بخيوط ذهبية . والمنطقة التي تطوق خصرها هي من نفس المادة . والتمثال
يرمز اما الى الالهة الكريتية الكبرى اولى حارية من نساء البلاط رشيقة الثوب . ومهما كانت
هذه السيدة فان صانع تمثالها جعل لها هيئة من انبل الميدات في زمانها واجملها ولم يستطع النحات
اليوناني سيق كل مجدوان يوق النحات الكريتي في البدع جوم التماثيل التي يصنعها حيوية
وجالاً فنائلاً تظهر بها كأنها اجسام حية .

وكان المجلس
الملتئم في القصر
يتم للشجعان
الذين كانوا
يصارعون
الثيران كما
رأوهم محمولين
على قرونها
(ش ١٠٨)
وهذه الثيران
هي نفس
الحيوانات الهائلة
التي كان اوربيو
العصر الحجري
التأخر قبل
الآن بالف
سنة ، يباهون
بقنصها . وكان
لاعضاء هذا
المجلس مخادع
مخصوصة في
القصر يقيمون
بها على الرُحْب
والسمة ولديهم
كل اسباب
الراحة
والرفاهية من
حمامات

ومصارف للمياه بحسب الاصول الفنية الصحية

وكان الملك متى شاء يخرج من الباب الشمالي للقصر في كنشوس ويركب عربة من عرباته ويؤم المرفأ فيصل اليه بنصف ساعة . لان المسافة بينه وبين القصر لم تزد عن ثلاثة اميال ونصف ميل . ومن المرفأ كان يرسل رائد الطرف الى الشمال فيرى جلياً جزر بحر ايجيه حمال الافق الشمالي . ومن هذه الجزر كانت سفن ملوك كريت التجارية ، وهي اقدم قوة بحرية نشأت في الجزء الشمالي من بحر الروم ، تبث الصنائع والفنون الكريتية في ارجائه . وما كان اعظم الفرق بين هذه السفن وزوارق العصر الحجري المتأخر (ش ٩) التي كانت عبارة عن جذوع اشجار كبيرة مجوفة . وكان ملوك كريت مع كل قوتهم أتباعاً لفرعون ملك مصر . يدلنا على ذلك تسمية احد قواد تحتس الثالث (ف ١١٥) في القرن الخامس عشر « بحاكم الجزائر التي في وسط البحر » هكذا كان المصريون يسمون جزر بحر ايجيه (ش ١١١)

نشأ في جزيرة كريت عالمٌ جديد . وكان الكريتيون على جانب من التهذيب والرقي الادبي لانهم احتكوا بالمصريين . وكان هولاء ارقى ، فتكبروا منهم وهبوا من سنة العصر الحجري المتأخر التي اخذت اوربا ، الى يقظة جديدة كلها نشاط ووطنية . وهكذا نشأ في شرق البحر المتوسط مدينة جديدة تعدُّ ثلاثة المدينتين القديمتين ، مدينة مصر ومدينة ما بين النهرين . وكانت هذه المدينة الثالثة الصلة بين المدينة الشرقية ومدينة بلاد اليونان وغرب اوربا فيما بعد

٣٥

العالم الايجي : البر الاصلي

وكان البر العظيم في اوربا واسيا الصغرى متأخراً كثيراً في المدينة عن الجزر التي كانت قد قطعت شوطاً عظيماً في مضارها . على ان سفن مصر وكريت كانت مشاركة على حفظ الصلات التجارية مع بلاد اليونان الاصلية وكانت بالطبع تدخلها من الحاجان الجنوبية خصوصاً خليج ارغوس المتجه جنوباً نحو كريت على خط مستقيم (خريطة ١١) وكان في تيرنس وميكاني الواقعة في سهل ارغوس وراء الخليج الحصين ، ماقبل هائلة مبنية جدرانها واسسها بحجارة ضخمة تدل على مهارة في فن الهندسة ومعرفة باساليب الدفاع . وكان

(٣٥٥) بلوغ
المدينة الكريية
الى بلاد اليونان
الاصلية . العصر
الميكاني

قصر امير تيرنس على ما يعرف اول قلعته بُنيت في اوربا . اما ضياع عامة الشعب فكانت



الشكل ١١٠ "فستلا" فخار من القصر الكريتي في كندوس

كان هذان الفستلان المصنوعان من الفخار يعاول قدمين ونصف و قطر اربعة قرار بط الى ستة جزءاً من قناة طويلة متفتحة لجر المياه والسوائل من القصر . وهي اقدم ما يكون من نوعها في العالم الاوربي . واقدم نوع منها معروف هو القناة التي كانت في هيكل المرم "ابوصبر" مصر (ش ٢٨) كانت انايبها من نحاس . وهي اقدم من التي في كندوس بالف سنة

مجموعة حول التل القائم عليه القصر . وكان القصر والقرى المجموعة حوله بمثابة نواة لمدينة تألفت منها ومن ضواحيها مملكة صغيرة في سهل ارغوس . وكان الامراء الايجيون الذين شادوا هذه القلاع بعد سنة ١٥٠٠ ق م . بامد يسير ، يستوردون فخاراً مزوّفاً ومصنوعات معدنية نفيسة من كريت ومصر (ش ١٠٨) لا تزال بقاياها منشورة بين انقاض القبور واخرية القصور . وهي اقدم الدلائل على وجود حياة راقية في اوربا ، ويثبت على الفوز الذي احرزته كريت في صناعة الخزف النفيس . وبين البقايا المذكورة ، قطع من الزجاج المصري ، وآثار من الخزاف التي ازدانت بها الجدران . ويعرف هذا العصر (١٥٠٠ - ١٢٠٠ ق م) بالعصر الميكاني نسبة الى ميكاني التي اكتشفت فيها اولاً ، مدينة كهذه (ن ٣٦)

ولكن بر اوربا العظيم ظل مختلفاً

(٣٥٦) اعتراف اوربا على الفخار

وراء الجزر لان الكتابة الكريتيّة - على ما يظهر - لم تسر جنباً لجنب مع التجارة فلم تشع الكتابة في قارة اوربا . وكانت الاقطار التي الى الشمال من بلاد اليونان كساليا ، خاصة بالقرى والدساكر التي لم تتخط مدنيته حدود مدينة العصر الحجري المتأخر الا قليلاً . فالمعدن مع انه كان معروفاً لم يدرج استعماله في ساليا حتى نحو سنة ١٥٠٠ ق م . فكان تأثير الكريتيين المتمددين في الشمال طفيفاً

اما الجانب الاسيوي من بحر ايجه فقد سبق الجانب الاوربي في مضمار التقدم زمناً مديداً ويعزى معظم هذا سبق الى الاتصال التجاري بكريت - اتصال كان قليل التأثير في سواحل اسية الصغرى . وفي الزمان الذي وصل فيه المعدن اول مرة الى كريت (بعد

(٣٥٧) السير الاسيوي . فاحس طر يادة نحو ٢٠٠٠ ق م

سنة ٣٠٠٠ ق م . قامت عند الزاوية الشمالية الغربية من اسية الصغرى قرية حقيرة من قرى العصر الحجري المتأخر تدعى طروادة . ويرجح انه قام بينائها جماعة من التجار استهوتهم التجارة الرائجة بين اسية واوربا في هذه النقطة (خريطة ١١)

(٣٥٨) اقدم
طروادة ٣٥٠٠ -
١٥٠٠ ق م

وفي سنة ٢٥٠٠ ق م . بعد دخول اول المعادن الى طروادة ببضعة قرون ، كان حكامها قد صاروا ملوك التجارة وارباب الثروة . وكانت القلعة التي شيدها اقدم حصن في العالم الايجي ، لانها بُنيت قبل ان بنيت حصون ميكاني وتيرس بالف سنة جدد في غضوننا بناء طروادة بضع مرات (ش ١١٥) واستمرت على سيرها في خطة التقدم والازدهار حتى صارت اخيراً مملكة شاسعة الاطراف في الجزء الشمالي الغربي من اسية الصغرى . ونحو سنة ١٥٠٠ ق م . اصبحت طروادة الجميلة الراقية حصناً منيعاً وخصماً شديداً قام في الشمال لمزاحمة كنسوس المتنعم في الجنوب . وكانت احدى هاتين المدينتين تناوح الاخرى على طرفين متقابلين من بحر ايجه . والارجح ان كنسوس كانت ارقى المدينتين عمراناً لانه لم يُعلم - حتى الآن - هل كان طرواديو هذا العصر قد حذقوا الكتابة

هناك في داخلية البلاد ، بنأى عن طروادة ، وراء آكام وجبال آسية الصغرى البعيدة الاكتاف ، قامت منازل قرى ومدن شعب من الجنس الابيض كان نسبياً للايجيين في المدينة لا في الدم يُعرف بالشعب الحثي . وقد رأينا قبلاً ان الحثيين كانوا منهمكين في السياسة والحرب مع جيرانهم في الجنوب (ف ١٢٨) ومع ان معظم بلادهم كان واقعاً وراء حدود العالم الايجي كان يحسب الساحل الشرقي من بحر ايجه طرفاً من اطرافها . ولهذا كان للحثيين نصيب في تاريخ المدينة الايجية . وقد رأينا في اثناء بحثنا عن تأثير العوامل الشرقية في العالم الايجي (ف ٣٤٠) كيف ان اسية الصغرى كانت حلقة الاتصال بينها وبين عالم الفرات والذي جعلها هكذا انما هو الشعب الحثي . فان الحثيين استسهلوا الهبوط من تخم بلادهم



الشكل ١١١ صحن ذهبي لحاكم جزر
بجراجمه المصري في العصر الذهبي

قدم هذا الصحن الذهبي تخميس الثالث لاحد قواده المعويين الذي كان قد نصبه حاكماً لجزر بجراجمه . وكان على الصحن كتابة منها عُرف ان هذا القائد لقب بحاكم الجزر التي في وسط البحر . وقد عني المصريون بذلك ، جزر ايجه مع سواحل اسية الصغرى

الشرقي ، ما زلنا باعالي الفرات ، الى اراضي الهلال المخصب حيث امتزجوا بالسكان تمام

(٣٥٩) الحفرون
حافة الاتصال بين
المسلال المخصب
وبلاد ايجه

الامتزاج . ولم ننسَ بعد كيف زاحموا بابل منذ القديم واستولوا على اشور (ف ٢٠٨) ولا كيف نازعوا المصريين في شمال سورية (ف ١٢٨) . وكان شعار الحثيين نفس شعار بابل القديم اي نسرًا له راس اسد او نسرًا براسين . وُجد فيها هذا الشعار منذ القديم واخذها عنها الحثيون . ثم قطع بلاد ايجس الى اوربا واتخذته النمسا وروسية شعارًا لها . ثم عبر الاوقيانوس الى الولايات المتحدة حيث تسمى بالنسر الاميركاني (ش ٦٠)



الشكل ١١٢ حثي عتيق وسليلا الارمني الحديث

راس حثي قديم كما وُجد مغنوتا على احد جدران ميكل في طيبة يد شحات مصري منذ ثلاثة الاف سنة وهو يشبه كل الشبه شكل وجوه الارمن الساكنين حتى الآن بلاد الحثيين كما يرى في الصورة التي الى اليمين . وفي حديثة العهد وقد اكتسب الالف الاقفي (ف ١٥٢) من الحثيين جيرانهم الساميون المقيمين في الجانب الشرقي من البحر المتوسط ومنهم الكنعانيون

وترك الحثيون علامتهم الفارقة في الانف الاقفي على وجوه مجاورتهم في العالم الايجي والهلال المخصب . (ش ١١٢) ووجود هذه العلامة الفارقة في وجوه اليهود دليل على ان الحثيين هاجروا من بلادهم وقطعوا الطرف الغربي من الهلال المخصب فساقتهم الاقصدار الى فلسطين (ف ٢٩٩) حيث تركوا هذا الاثر في الوجه اليهودي . وكان للحثيين تأثير عظيم في يوناني المدن الواقعة على ساحل اسية الصغرى اثره ظاهر في اليونان الذين خلفوه ولا سيما في الشؤون التجارية المهمة والديانة وفن البناء .

١٢٦٠٧ نالير
الحثيين في مجاورتهم
شرقًا وغربًا

وكان من اختلاط الحثيين بسكان الهلال المخصب ان الحثيين حصلوا على الذرائع الاولى التي ادتهم الى مدنية اعلى . من اهم مظاهرها الكتابة . فان القوافل البابلية كانت منذ ايام حمورابي (ف ١٩٣) او قبلها تؤم اسية الصغرى مارة بالفرات صُعدًا للآرب تجارية محضة ومعها صكوك ووثائق تجارية مكتوبة بالخط المماري على الواح من اجر (ش ٥٧) . وبهذه الطريقة تعلم الحثيون الكتابة الممارية كما تعلمتها شعوب اخرى غيرهم في الغرب وكان ذلك سنة ٢٠٠٠ ق م . او قبلها . وقد كشفت لنا اعمال الحفر والتنقيب في اسية الصغرى قطعًا من الاجر هي بقايا معاجم او قواميس استعملها الحثيون قديمًا في تعلمهم التهجئة والكتابة باللغة الممارية . والمرجح ان الكريتيين اخذوا عن الحثيين استعمال الواح

١٢٦١٦ ظهور
المدنية المهيمنة .
الكتابة البابلية

الاجرة للكتابة

(٢٦٦) الكتابة
المهروغليفية المحيطة

ولما اقتبس الحثيون المدنية المصرية من مدن شمال سورية لم يتلکأوا عن الانتفاع بها (ش ٦٩) فانهم بعد ان عرفوا الخط الهيروغليفي ، ابتكروا نظاماً جديداً للكتابة بان عولوا على علامات او رموز تصويرية صوتية (ش ١١٣) نقشوا بها على الصخور الكبيرة آثاراً مهمة كالتي تشاهد في مصر . ولا يزال السياح يشاهدونها على الصخور والجدران الحجرية في جهات كثيرة من اسية الصغرى ، من بلاد ايجم الى الفرات ، فضلاً عن الكتابات الجديدة التي يعثر عليها المتقنون بين حين وآخر . فنرى ان الحثيين قد عولوا على نوعين من الكتابة ، الممارية والمهروغليفية الا انه - لسوء الحظ - لم يستطع العلماء حتى الآن ان يحلوا رموز الآثار الحثية المكتوبة بالمهروغليفية . اما المكتوب منها بالخط المماري فقد حل رموزه العلامة هروزني الشيكورسلافكي . وحينئذ يمكن العلماء من قراءة جميع ما لديهم من الآثار - آثار مصر وبابل وبلاد فارس - تنكشف لنا حقائق خطيرة جمة من تاريخ العالم القديم

(٢٦٣) فنون
الحثيين



الشكل ١١٤ كتابة بالخط المهروغليفي الحثي

ان هذا النموذج من الكتابة يرينا نوع الكتابة المهروغليفية الذي اخترعه الحثيون تقليداً للخط المهروغليفي المصري (ف ٢٤٢) وقد وجدت هذه الكتابة في كركيش على الفرات ويشاهد مثلها تماماً في المشهد الذي في الشكل ١١٤

وفي الوقت نفسه كان الحثيون قد برعوا بفن البناء ، يظهر ذلك من النظر الى قصر ملكهم الذي كان مقدمه مؤلفاً من سدة في الوسط ترتكز على عمودين ، وعلى جانبيها برجان مربعان (ش ٦٩) ولذلك دُعيت «بيت البرجين» وهذه السدة اخذها عظام ملوك اشور عن الحثيين (ف ٢٣١) ووصلت اخيراً الى الفرس . وقد كانوا يزخرفونها بنصب تماثيل اسود هائلة منحوتة من حجارة كبيرة على جانبي مدخلها . وهي فكرة مستمدة اصلاً من السفنكس المصري وما لبثت ان اجتازت السدة الى بلاد اشور ايضاً . وكان

الحثيون يزینون سدة القصر بنقوش فائقة (ش ١١٤) ويرجع انهم اقتبسوا ذلك من مصر (ش ٤٣) ثم اجتازت هذه العادة من الحثيين الى بلاد اشور التي كانت قصور الملوك فيها مزدانة بصوف مستطيلة من الصور المنحوتة في الحجر (ش ٧٥ و ٧٦ B) . ولم يكن النحاتون الحثيون ماهرين كثيراً في استعمال الازميل الذي فاقهم فيه الاشوريون ولكنهم

تحت التأثير الاشوري تحسنت صناعتهم قليلاً
وزى في هذه المشاهد ايضاً بينات على وجود المؤثرات الدينية المصرية والبابلية كالنسر
البابلي المذكور آنفاً وقرص الشمس المصري المجنح . وما يجب ان نلاحظه ايضاً عبادة
الحثيين للارض كإلهتهم العظمى وكذلك سكان كريت فانهم عبدوا هذه الالهة كما عبدها
من بعدهم اليونان (ف ٤١٨)

(٢٦٤) دهبنة
الحثيين



(٢٦٥) ملكة
الحثيين

وفي ايام
عظمة ملكة
مصر حين
كانت
كنسوس لا
ترال متنعمة
بعصرها الذهبي
وطروادة

مناظرتها في
الشمال تبني
المدينة
السادسة البهية
اي نحو سنة

الشكل ١١٤ امير حثي يصطاد غزالاً

هوذا الامير واقف في مركبه الجارية يرمي غزالاً بنشاب قوسه . والغزال يعدو هارباً منه .
وبشاهد الى جانب الخيل كلب يركض . وفي أعلى هذا المشهد كتابة باللغة المبروثانية الحثية
(ف ٢٦٢) وكل ذلك مغزى في الصخر وهو نموذج جميل للكتابة الحثية النجدة

١٥٠٠ ق م ، كانت احدى الممالك الحثية الواقعة الى الشرق من نهر هاليس ترداد قوة
ومنة . وفي هذا العصر قويت شوكة ملوك الحثيين واتسع نطاق ملكهم من عاصمتهم «خطي»
الى كل جهة . فعنا لسلطانهم سائر الممالك الحثية الاخرى التي لموا شعثها وألقوا منها امبراطورية
كبيرة كانت تشتمل على جزء كبير من اسية الصغرى (ف ١٢٨) ودامت دولة هولاء الحثيين
نحو قرنين ونصف قرن (من ١٤٥٠-١٢٠٠ ق م .) ثم انقرضت . وقد اقتنى الحثيون
الفرس قبل البابليين (ف ٢٠٣) ولذلك استطاعوا ان يؤلفوا فرقة كبيرة قوية من راكبي
المركبات

ومن اهم ما يذكر به الحثيون بالحير ، هو انهم شرعوا يعمالون في مناجم الحديد قبالة
البحر الاسود (ف ٣٥٩) . وقد وجدت اجرة خط عليها كتاب من احد ملوكهم جاء فيه

(٢٦٦) الحثيون
اول من بنى العالم
القديم بالحديد

انه كان على وشك ان يرسل الى رعمسيس الثاني، بناء على طلب ورد عليه منه، سفينة مشحونة حديدًا نقيًا، وانه قد ارسل سيفًا الى ملك مصر (القرن الثالث عشر ق. م. ٠) وسنرى عما قليل ان عصر الحديد ابتدأ في بلاد ايجيه (ف ٣٩٦) وان شيوع الحديد لاوّل مرة في الجانب الشرقي من بحر الروم، نجم عن معادن الحديد الحثية. كانت المدنية الحثية دون مدينة مصر وبابل ولكنها مثلت في جوار بحر ايجيه دوراً مهماً بين المدنيات الشرقية

٣٦

الاكتشافات الحديثة في شمال البحر المتوسط وظهور عالم شرقي فيه

(٢٦٧) همل
العالم الحديث
لمدينة الايجيه

كنا حتى الآن دانين في تأليف قصة نشوء المدنية في شمال الطرف الشرقي من البحر المتوسط وتعيين زمانها، تلك المدنية التي خفق لواؤها من بلاد ايجيه الى بلاد ما بين النهرين. وكانت بلاد الحثيين بين البلادين. وقد كانت هذه القصة لسنين قلائل خلت، مجهولة. فنذّ تخمين سنة لم يكن يخطر على بال احد ان شعباً متمدناً عاش في بلاد ايجيه قبل ان دخلها اليونان. بل بالحري لم يقم في ذهن احد انه سيعثر المنقبون على الآثار التي صنعتها ايدي اسلاف اليونانيين في بلاد ايجيه. ومكتشف المدنية الايجية التي نحن بصدددها هو هنريخ شليمن

(٢٦٨) صيرة
شليمن

وشليمن هذا الماني المولد اميركي الموطن. كان قبل مهاجرته الى اميركا يفتحم المخاطر البحرية في سبيل الاتجار فانكسرت السفينة به مرة على سواحل هولاندا. ومن ذلك الوقت صار يتعاطى البيع في دكان بدال صغير وهو فتى غضّ الالهاب. وفي اوقات الفراغ بعد ان يكون قد وزع السمك المقدد والزبدة على العملاء. كان يدرس اليونانية. فلما ان قضى منها لباتته شرع في مطالعة مؤلفات هوميروس (ف ٤١٣) ففتنه ما لقيه فيها من المعاني الحسان وسحر البيان فاستعرت في صدره نار الحماسة وخيل له انه يسمع ضوضاء ابطال اليونان في سهل طروادة واختلاط اصواتهم بصلصلة قطع النقود المدنية وخشخشة الورق الذي كان يلف به الساع التي يبيعها في حانوت الهولاندي الوسخ. ولما اعتزل الاعمال التجارية، بعد ان كان قد جمع من تجارة البترول ثروة طائلة، لم تبرح من ذهنه الرويا التي رآها وهو يطالع مؤلفات هوميروس

(٢٦٩) حفر
شليمن واكتشافه
طروادة

ولما استأجر جماعة من الترك وباشر الحفر في تل طروادة سنة ١٨٧٠ كان عمله هذا تحقيقاً لاحلام شبابه. وفي اقل من اربع سنين كشف مراكز تسع مدن عاقبت الواحدة

منها الاخرى وبنيت على اطلاقا (ش ١١٥) ووُجد في البرج القائم فوق مدخل المدينة كثر نفيس يحتوي على كثير من المصنوعات الذهبية . فقام في فكر شليمن انه اكتشف طروادة اباطلر هوميروس اليونانيين (ف ٤١١) الا ان ارباب التحقيق يزعمون ان المدينة الثانية بنيت قبل طروادة هوميروس بانف سنة

ان الشعور العام الذي اثارته هذه الاكتشافات بين علماء اوربا واميركا ، كان طفيفاً بالنسبة الى ما اثاره فيهم ذهاب شليمن الى بلاد اليونان نفسها وشروعه في الحفر والتنقيب

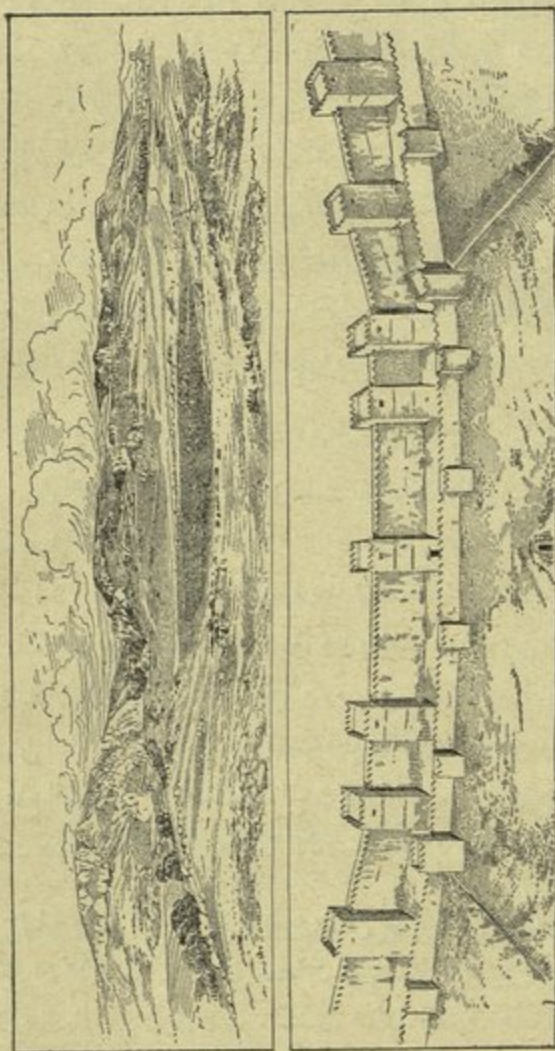
(٢٧٠) نيش
شليمن لـ برنس
وميكاني



الشكل ١١٥

هيمه التل الذي قامت عليه طروادة القديمة . تظهر فيه اسوار المدينة الثانية والسادسة والميكل الروماني على القمة وقد تقدم بيان الطريقة الصناعية التي كان يكبرها امثال هذا التل . ويظهر في هذا الرسم ان لاسبة بين العلو والعرض فرسم التل عال جداً بالنسبة الى عرضه . وسبب ذلك على ما يظهر هو انهم ضغطوا جانبي الصورة لكي تنع النحمة المحدودة ، الرسم كله . وكان علو التل حين زاره شليمن اول مرة سنة ١٨٦٨ نحو ١٢٥ قدماً . وكان الانراك حينذاك يزرعون قمته حنطة . وفي سنة ١٨٧٠ حفر شليمن منجماً على قمة التل اشبه بقوّة البركان واخترق في غضون اربع سنين اطلال تسع مدن متعاقبة بُني كل منها على انقاض ما قبله . وفي قعر هذا المنجم . وعلى عمق ٥٠ قدماً وجد شليمن قمة التل الاصلية وكانت أعلى من الارض التي حولها بنحس وسبعين قدماً . وكان اهل العصر الحجري المتأخر (ف ٢٥٧) قد بنوا عليها سنة ٣٠٠٠ ق.م. قرية صغيرة باللبن العادي وعلى اطلال هذه القرية المحفورة قامت اطلال المدن التسع المذكورة طبقة فوق اخرى وفوقها البنايات الرومانية . فالتحسسون قدماً من اعلى التل الى القمة الاصلية تشتمل على تاريخ ٢٥٠٠ سنة من تأسيس المدينة الاولى (العصر الحجري المتأخر) الى تأسيس المدينة التاسعة (رومانية) . وقد وُجد في المدينة الثانية (ف ٢٥٨) المدلول على اسوارها المائلة في الشكل باللون الفاتح المخطط ، اقدم انواع النحاس في مجموعة هذه المدن . ووراء هذه وأعلى منها بكثير كانت اسوار المدينة السادسة (سوداء) التي شيدت ايام كانت ميكالي في ايان زهوا تحمي السكان من هجمات اليونان في حرب آلك الى تدبيرها سنة ١٢٠٠ ق.م. انتهت الحرب وظلت تروى عنها التقاليد المبهمة واقاصيص البطولة في اشعارها هوميروس الى ما شاء الله (ف ٤٠٨) . واما بقية المدن الاخرى من التسع ، فاقفل خطورة من سواها . ولذلك اهل امرها حياً للاختصار والجمال . . . ولم ير شليمن قط اسوار المدينة السادسة مدينة هوميروس الحقيقية لانه فيما كان يبحر في منتصف التل ضمن الاسوار القديمة طهر الاسوار بالتراب المحفور فلم تنكشف له

عن آثار حصن ميكاني او قلعتها السابقة لعهد التاريخ حيث وُجدت تحت بلاط السوق مجموعة من قبور حجر ممتوية على جملة آنية وحلى من ذهب بينها تاج ذهبي جميل الصنعة يدل على ان



النقل ١١٦ عاصمة الكييين القديمة في اواسط اسية الصغرى
 يظهر لنا المشهد اعلاه اخره المدينة المسورة المطهرة التي كانت كروية قائمة على بقعة نلال . ويسمى موقعها الآن "بورغاز كوي"
 وهو اسم القرية حديثة العهد واقامة نيرود . لكن الكييين دعوا المكان "سخطي" والشهد السغلي يظهر لنا اسوار المدينة كما كانت قبلآ في
 القرن الثالث عشر ق . م في عصر الملوك الكييين

احد المدفونين هناك هو من العائلة المالكة . فتوم شايين حين رأى هذه النفاس انهما من آثار
 ابطال حرب طروادة اليونانيين (ف ٤١١) والواقع انها اقدم . ثم اكتشف شليمن في قلعة
 تيرنس اكتشافات أخرى لا تقل عن هذه نفاسة . فترى ان شخصاً عديم الاختبار قد كشف
 عن مدينة جديدة في بلاد ايجيه كانت محجوبة عن علم الناس وقد ازدهرت قبل ان برز

اليونان ببضعة قرون ليمثوا دورهم على المسرح الذي مثل عليه اسلافهم ادوارهم قبل ان تواروا وراء الستار شأن جميع الاحياء.

لم يستطع العلماء من مجرد الوقوف على ما قام به سليمان من الحفر ان يشبوا حكماً برماً في تعيين الموقع الذي نشأت فيه المدينة الايجية اولاً . ولكن منذ سنة ١٩٠٠ أبانت الحفريات في كريت ان تلك الجزيرة كانت مهد المدينة الايجية والمركز الذي انتشرت منه الى الجزر الاخرى والى تيرينس وميكاني في بر اليونان (ف ٣٥٥) . ويعود الفضل في هذه الاكتشافات بنوع اخص الى تنقيب الاثري الانكليزي ، السر ارثر ايفانز ، في مدينة كنسوس . فقد كشف هذا الاثري قصور كريت الفاخرة (ش ١٠٦) ورفع اطباق الانقاض عن نفاث المصنوعات التي جادت بها عقول وايدي الصناع الكريتين جيلاً بعد جيل حتى بلغ انقاض قرية من بقايا العصر الحجري المتأخر بني فوقها النصر الاول (ف ٣٤٥)

(٢٢١) اعمال
الحفر في كريت

وفي الوقت نفسه كشفت لنا اعمال الحفر والتنقيب في اسية الصغرى ، كثيراً من آثار الحثيين . واهم الاكتشافات هنا ما قامت به البعثة الالمانية في «خطي» (١١٦) ابتدأت البعثة بعملها في شتاء ١٩٠٦ - ١٩٠٧ فوجد المنقبون ، تحت قشرة رقيقة من التراب ، اللوح الحرفية التي كانت تملأ الغرف المخصصة بالسجلات في قصر ماوك الحثيين في ابان مجد مملكتهم منذ ثلاثة آلاف سنة . هنا وجدت رسائل من ماوك ، مصر وبابل واشور وسائر ماوك بلدان الشرق التي درسنا عنها . ومن جملة تلك الرسائل الكتاب الذي سبق ذكره المتضمن انباء ملك الحثيين عن شحنة الحديد . وعلاوة على ما قامت به البعثة الالمانية من استرجاع السجلات المفقودة ، فقد نضبت تدريجاً عن اسوار المدينة القديمة ومبانيها الرئيسية وابانت هندسة البناء فيها بعد ان كانت طامسة (راجع ش ١١٦)

(٢٢٢) الحفر
والاكتشافات في
اسية الصغرى بلاد
الحثيين

اننا - وان كنا حتى الآن عاجزين عن قراءة آثار الحثيين وفي بدء معرفتنا لها - لا ننكر ان الاكتشافات التي حصلت في بلادهم اماطت النقاب عن حياً اقدم حضارة في الجانب الشمالي من شرق البحر المتوسط . فاذا القنا بين هذه الاكتشافات التي حصلت على الجانب الشمالي من البحر المتوسط عند طرفه الشرقي وبين تاريخ الاكتشافات التي تمت قبلها في بلدان المشرق الواقعة شرقي البحر المذكور والى جنوبه رأينا كيف ان العلماء المنقبين عن الآثار قد حصروا اعمالهم حول الطرف الشرقي من البحر المتوسط ، من وادي النيل الاسفل الى البلاد المسماة بالهلل المخصب وبحر ايجيه

(٢٢٣) اكتشافات
جديد للمدينة
الاولى حول الطرف
الشرقي من البحر
المتوسط

ترتبت هذه الاكتشافات كيف كانت الشعوب المتعددة حول الطرف الشرقي من البحر

(٢٧٤) ق.م.م
عالم شرقي في البحر
المتوسط نحو ٣٠٠٠
الى ١٥٠٠ ق.م

المتوسط تدأب، بصناعاتها وتجارها، في ايجاد عالم متمدن لم يكن بحر ايجه الاً خليجاً الى الشمال منه. ولا تزال نذكر المرة الاولى التي لمحتنا فيها هذا العالم الشرقي في البحر المتوسط ونحن صاعدون في النيل اذ رأينا السفن المصرية ماخرة في اليم نحو سنة ٣٠٠٠ ق.م. (ش) (٢٨). والآن قد درسنا الشعوب التي كانت الى الشمال والشرق من البحر المتوسط ورأينا كيف كانت المدنية الايجية السامية آخذة بالامتزاج تدريجاً، قروناً متعاقبة، بالمدنيسات الشرقية التي هي اقدم منها وخصوصاً مدينة مصر واسية الصغرى الحثية التي بواسطتها امتزجت المدنية الايجية بمدينة الهلال المخصب

(٢٧٥) الاخلا
الشماليين

الى هذه البلاد الراقية بفتونها وصناعاتها وتجارها الواسعة اخذت بعض الشعوب الممجية تتسلل من الشمال ومن وراء جبال البلقان والبحر الاسود. وما كانت تلك الشعوب الممجية الاً أمة اليونان التي قبض لها ان تجتاح الجانب الشرقي من البحر المتوسط. فصار من اللازم الآن ان نبدأ بهؤلاء الاخلا. فصلاً جديداً من تاريخ العالم الشرقي في بحر الروم

مسائل

٣٣

اين كان قد وصل الاوربيون في مضمار التقدم حين غادروا في اوربا وتحوّلنا الى الشرق؟ اي محصولات وصلت الى اوربا في العصر الحجري المتأخر من شرق البحر المتوسط؟ كيف بلغت هذه الاشياء الى اوربا؟ هل ارتقى الاوربيون، بعد حصولهم على المعادن، الى درجة عالية من المدنية؟

٣٤

هل كان جزء من اوربا اقرب الى الشرق من العالم الايجي؟ بأي طريقين كان مرتبطاً بالشرق؟ اية جزيرة من جزر ايجه اقرب من سواها الى مصر؟ صف بزوغ المدنية هناك. هل لك شي من البيّنات على قوّة التأثير المصري هناك؟ اين قوام

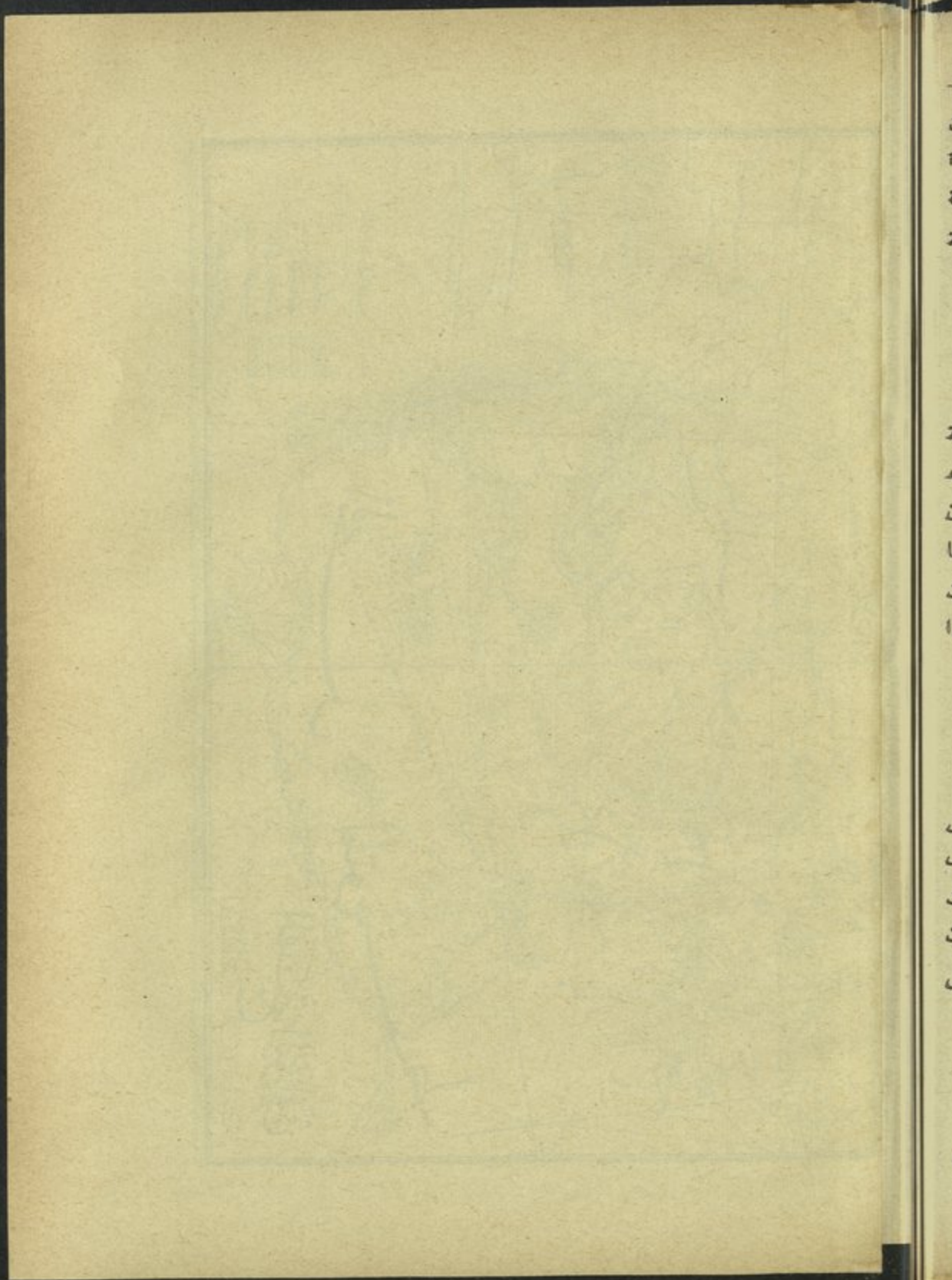
ملوك البحر الكريتيون ؟ ماذا تحالف عنهم مما يثبتنا عن سلطانهم ؟ اية صناعات ازدهرت ؟ هل عندك بيئة على تجارة كريتيية ؟ ماذا حصل للكتابة الكريتيية ؟ اذكر ما تعرفه عن فن النقش والزخرفة في العصر الذهبي وعن اعمال الصائغ والنحات ؟ اذكر ما تعرفه عن حياة سكان القصر وحياة الفلاحين ؟ تحت سلطان اية دولة اجنبية كان الكريتيون في هذا الوقت ؟ ما هي المدن الثلاث التي وجدت الآن ؟

٣٥

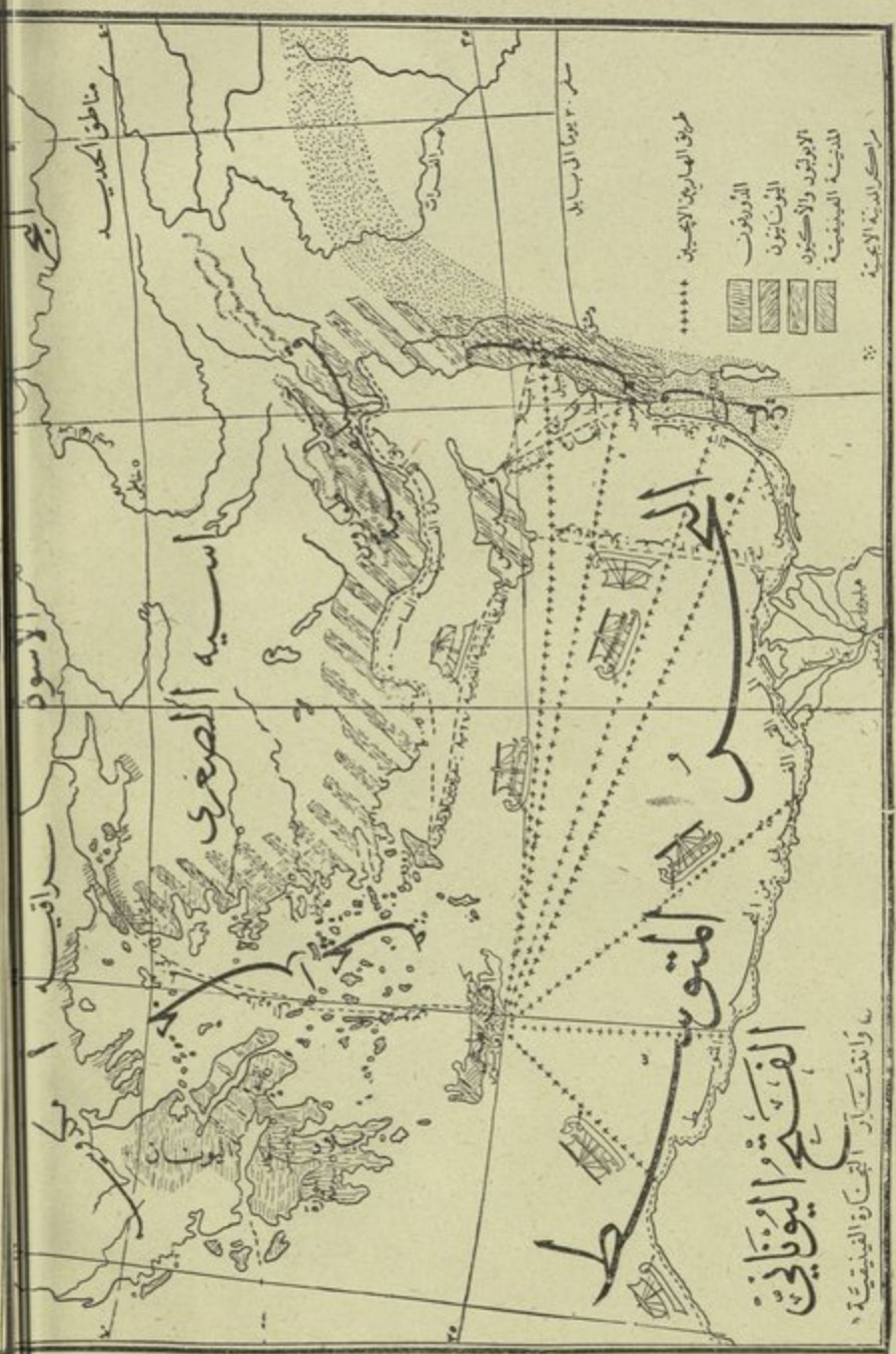
هل استطاع بر اوربا العظيم ان يجاري كريت في المدنية ؟ اين نجد بينات المدنية الاولى في قارة اوربا وما هي ؟ اين بزغت انوار المدنية على الجانب الشرقي من بحر ايجه ومتى ؟ ما الذي جذب الناس الى هذه البقعة ؟ ماذا تقدر ان تقول عن تاريخ وعمران طروادة ؟ اي شعب احتل اغلب اسيا الصغرى ؟ اذكر بعض الاشياء التي اوصلوها الى الغرب من الشرق ؟ اذكر بعض بينات عن تأثيرهم في الشرق ؟ ما هي المؤثرات التي بلغت الحثيين من الهلال المخصب ومن مصر ؟ متى قامت الامبراطورية الحثية وماذا تعرف عن نفوذها ؟ ما هو اهم شيء نفح به الحثيون الشعوب الاخرى ؟

٣٦

من هو اول من اكتشف آثار الشعب الذي استوطن العالم الايحي قبل اليونان ؟ قل شيئاً عن حياته . ماذا وجد في طروادة ؟ في بلاد اليونان ؟ ماذا برهنت اعمال الحفر منذ ذلك الحين ؟ ماذا اظهرت الحفريات باسمية الصغرى ؟ الى اي حد بلغت اعمال الحفر في الطرف الشرقي من البحر المتوسط ؟ اي نوع من البلدان اظهرت الاكتشافات في شرق بحر الروم ؟ من هم هولاء الشماليون غير المتمدنين الذين شرعوا يعتقدون على البلاد التي الى شرق البحر المتوسط ؟



قنصل عهد البورشان



الفصحى اليونانية

المتوسط

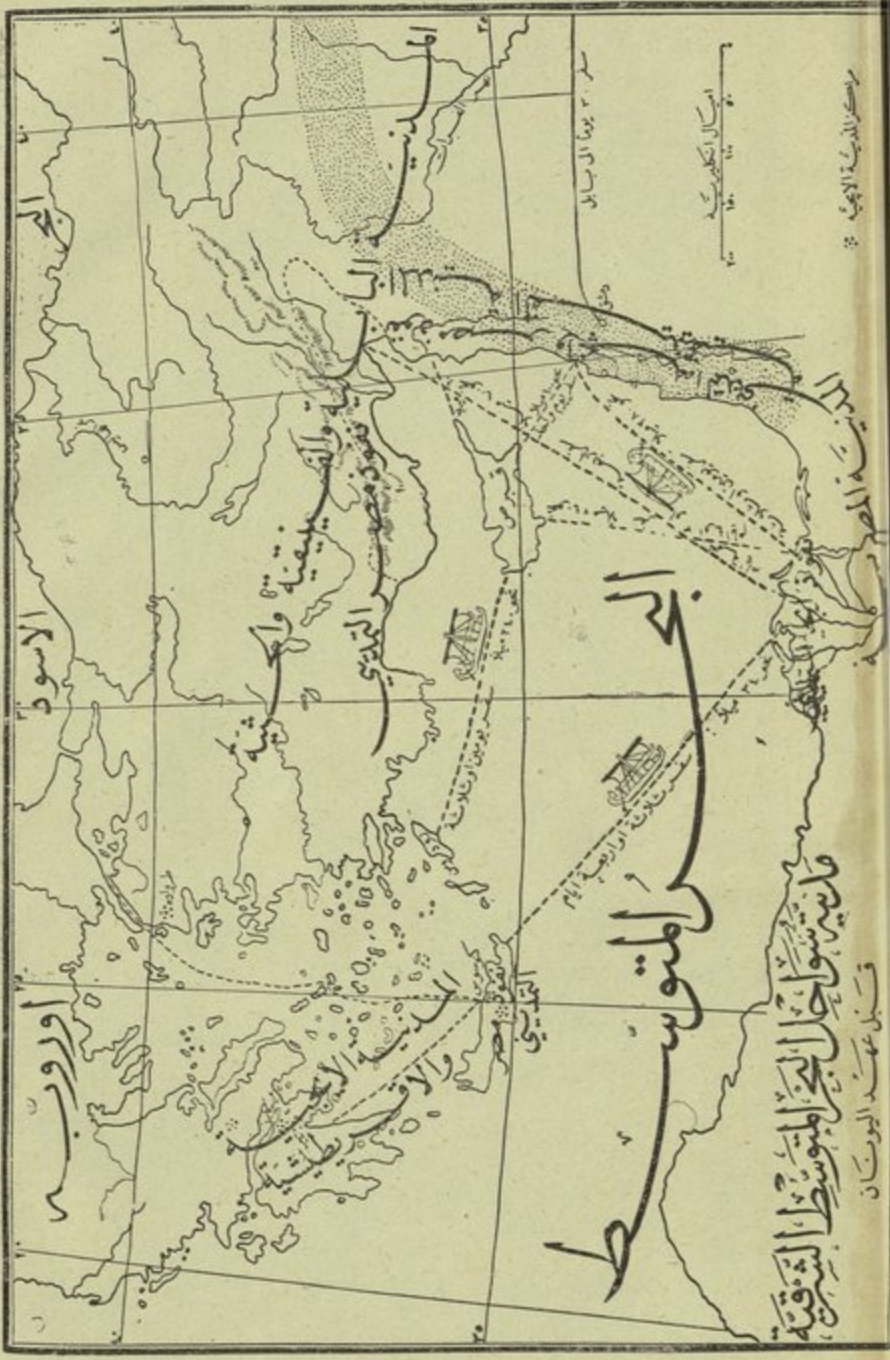
البحر الأحمر

وَأَنْتَ بَارَ الْبَحْرَةَ الْغَيْبِيَّةَةَ

موسم الذبحة الإجمالية

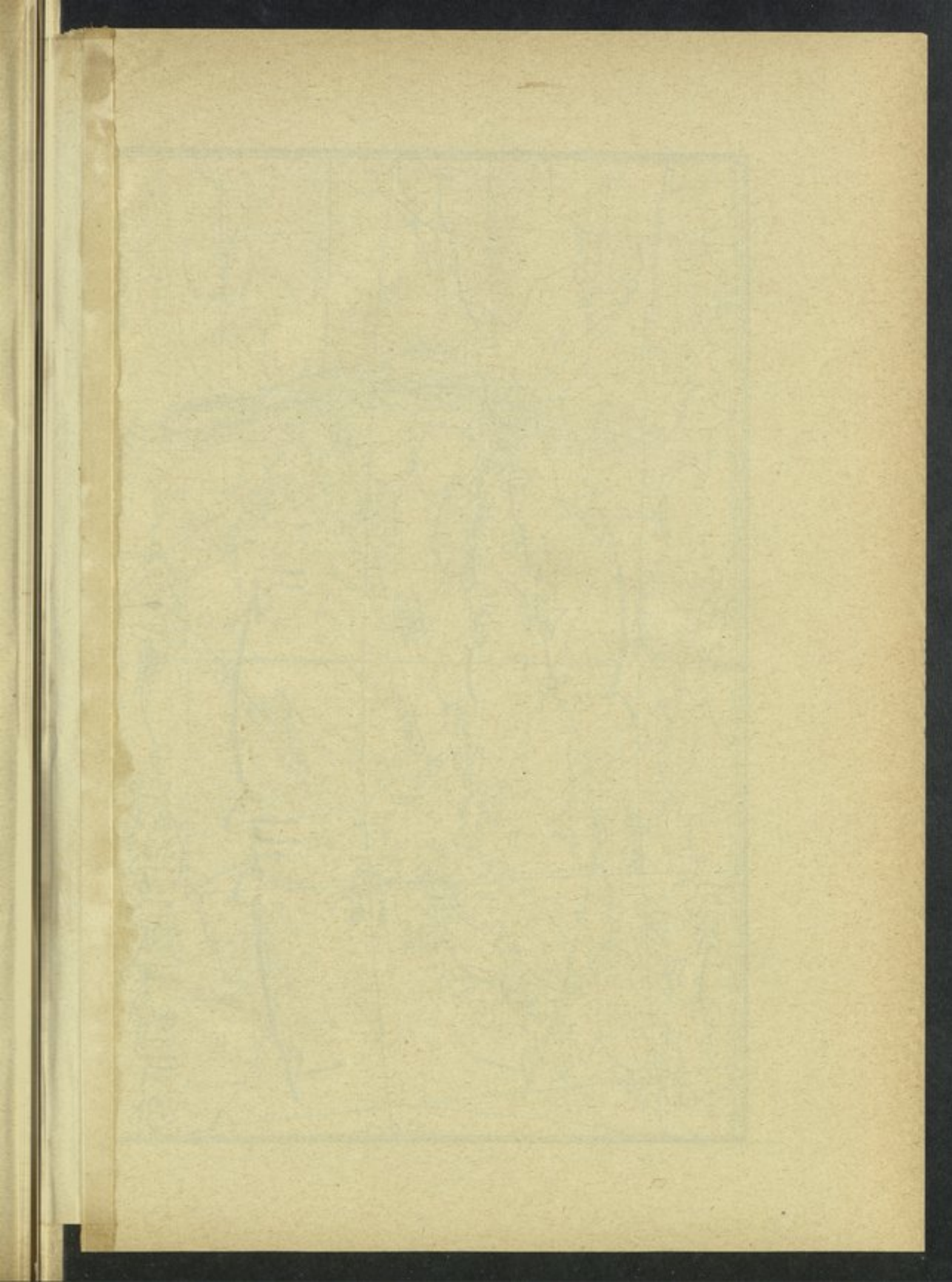
مسكن التكميلية

سنة ٢٠٠٠



البحر المتوسط

مدينة شبراخيت البحريّة
مدينة شبراخيت البحريّة
مدينة شبراخيت البحريّة



الفصل التاسع

فتح اليونان للعالم الايجي

٣٧

مجيء اليونان

ان الشعب الذي ندعوه باليونان كان في اصله مجموع قبائل من الجنس الهندي الاوربي الذي تتبعنا اسلافه الاولين الى وقت مهاجرتهم التي شعبتهم ونظمتهم اخيراً صفاً يمتد من الاتلانتيكي الى الهند الشمالية. (ش ٢٥١ وش ٨٣) وفيما كان انسابهم الشرقيون يظعنون جنوباً على الجانب الشرقي من بحر قزوين كان اليونان الذين على الجانب الغربي من البحر الاسود يرحلون جنوباً من مراعيهم الفسيحة مقابل الدانيوب (انظر خريطة ١٢)

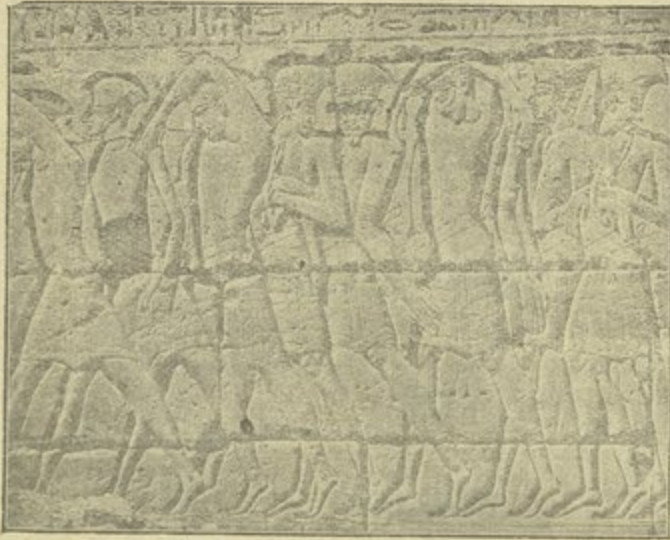
وبعد سنة ١٢٠٠ ق م . بامد غير طويل ، فيما كان رجال القبائل اليونانية المموج يترحلون بقطعانهم تصحبهم عيالهم في مركبات خشنة ، شاقهم منظر البلاد الجديدة التي دخلوها وراعهم جمال سهول ثساليا وما فيها من المراعي الخصيبة وأعجبوا بقمّة جبل اولبوس المكّلة بالتلوج الناصعة كما دهشوا ببياه بحر ايجه الزرقاء . وتبلغ مساحة شبه الجزيرة التي دخلوها خمسة وعشرين الف ميل مربع^(١) تقطعها الجبال والبواغيز ، في جميع جهاتها سهولاً

(١) صغيرة هذه المساحة حتى ان جبل اولبوس الواقع على الحد الشمالي لبلاد اليونان ، يرى من اكثر الاماكن في البلاد . والواقف على جبال سبارطة يمد نظره من جزيرة كريت الى الجبال التي الى الشمال من خليج كورنثوس مدى مئتين وخمسين ميلاً

(٢٧٧) دخول
اليونان شبه الجزيرة
الاسوية اليهم

(٢٧٦) رحله
الصف المنده
الاوربي في اوربا
الى الجنوب

صغيرة واشياء جزائر مفصولة بعضها عن بعض اما بالمياه او بسلاسل الجبال . ولا يقل عدد الجزائر المبثوثة على شواطئها المقطعة ، عن خمس مئة جزيرة . ولمعرفة نوع هوائها واصناف محاصيلها طالع (ف ٣٣٩)



٣٧٨٢ برابرة
اليونان الرجل
بالمدنية الايجية
بفرزة
ان الرعاة
الرجل الذين
رأيتهم قبلاً
مراراً يهاجمون
ارض الهلال
المخصب (ف
١٤١ و ١٧٣
و ٣٠٢) طلباً
لمستقر يقيمون
به ويعيشون
فيه عيشة
حضرية يمشون

لنا موقف
اليونان وهم
يهاجمون المدن
الايجيسية
وبعض

الشكل ١١٧ مرينا هذا الرسم صفاً من اسرى ابطال الحرب وايديهم امامهم او فوق رؤوسهم مكبلة بالحديد . وعلى رؤوسهم فلانس مزدانة بالريش دلالة على انهم فلسطينيون (ف ٢٠٤) - قبيلة من رجال الحرب الكريتيين طردهم اليونان من كريت ف ٣٨٥ - وفي اثناء هزيمتهم زين الغرور لفریق منهم ان يهاجموا مصر فكانت النتيجة ان اسرهم رمسيس الثالث آخر امپراطرة مصر بعد سنة ١٢٠٠ ق م بزمن قصير . ثم امر بوضع هذه الصورة على جدران هيكل طيبة بمصر . وتشاهد لم صوراً اخرى في الشكل ١١٨ تعرف من لباس الراس

المستعمرات ، كتيرنس وميكاني (ف ٣٥٥) . وما كادت تستقر قدمهم في البلاد الجديدة التي احتلوا حتى رفعوا ابصارهم الى مسا ورا . مياه البحر فرغ لهم بصورة ضئيلة منظر الجزائر وما فيها من المدن الزاهرة الحافلة بضروب نتاج الصناعات ولا سيما صناعة الخرف والادوات المعدنية التي كانت تشحنها سفن مصر وبلاد ايجيه وتوزعها في الاقطار المعروفة .

وكان لا بد من مرور زمن مديد على هولاء الرعاة سكان البر قبل ان يجسروا على اقتحام المياه التي رأوها الآن اول مرة . ولو استطاعت ابصارهم ان تحترق الفضاء الواسع الى ما وراء الجزر لرأوا عدداً كبيراً من الولايات الشرقية الزاهرة لان اليونان بمجرد وصولهم الى

٣٧٩٢ برابرة
اليونان الرجل
على حدود العالم
الشرقي العظيم

بلاد ايجيه كانوا قد دخلوا حدود العالم الشرقي العظيم . وتحت تأثير عوامل الشرق نهضت
بهم همتهم الشام . لانشاء مدينة اسمى من كل المدن التي كان قد جاء بها الشرق بل اسمى
المدن التي جاء بها الانسان القديم في كل زمان ومكان

(٢٨٠) اليونان
الدورين بنفارت
اسد اليونان
الاطالين في شبه
جزيرة المورة
١٥٠٠ ق م

وتقدمت طليعة اليونان الاثانيين جنوباً ودخلت شبه جزيرة المورة . واختلط بعض
افرادها بسكان القرى الايجية القائمة تحت اسوار تيرنس وميكاني وربما كان بعض قوادها
قد استولى على الحصون الايجية كما استولى دارد على اورشليم (ف ٣٠٥) الا ان معرفتنا
بحقيقة الموقف والاحوال في بلاد اليونان ضعيفة جداً لان الشعب الذي هبط البلاد كان
يجعل الكتابة فلم يترك آثاراً يستفاد منها شيء . الا اننا نعلم حق العلم ان جماعة أخرى
من اليونان الرحل وصلوا الى المورة نحو سنة ١٥٠٠ ق م . وتغلبوا على من سبقهم اليها
من انسابهم الاثانيين ومن ساكنهم في المدن من اهل البلاد الاصليين

(٢٨١) استولاه
الوران على العالم
الايجي . الدورين
في كريت وجنوبه
بلاد ايجيه

ولم يقف اليونان الدوريون عند حد البلاد الجنوبي الذي بلغوه بل قطعوا البحر الى
كريت حوالي ١٤٠٠ ق م . اذ كانوا قد اخذوا عن اسلافهم الايجيين شيئاً من علم
سلك الابحر . وبما ان مدينة كندسوس لم تكن محصنة كانت الغنيمة الاولى للدوريين
المهاجرين الذين استولوا على هذه الجزيرة كما استولوا على الجزائر الجنوبية الاخرى في بحر
ايجيه . وتوضح حقيقة المهجرم اليوناني على اسيا الصغرى بجلا . تام من الصكوك الحثية
الجديدة التي تدعى فيها بلاد اليونان باسم « اخياً » . وفي معاهدة بين امبراطور الحثيين واحد
ملوك سوريا يذكر الامبراطور الحثي المالك العظيمة التي كان يحسبها على مستوى واحد مع
ملكته وهي : مصر وبابل واسرر واخياً . وفي سنة ١٣٢٥ ق م . كان احد ملوك اخياً
المسمى ايتوكليس ابن اندريوس الاثولي ، قد استولى على شقة ضيقة من الساحل الجنوبي
لاسيا الصغرى حيث احكم الصلات الودية مع امبراطور الحثيين الذي كان يدعو اخاً له
كما كان يدعو ملوك مصر وبابل واسرر ايضاً

واذا حولنا وجه النظر عن هذه الصكوك الحثية واطلنا على اقدم الاسماء المحفوظة
في الاساطير اليونانية ، وجدنا في جملتها اسم ايتوكليس واسم ابيه اندريوس وأن ما جاء في
الصكوك الجديدة في الاكتشاف الواحد يكمل ويؤيد ما ورد في المصادر الاخرى

وبعد ذلك يجيلن اي نحو سنة ١٢٥٠ ق م . انفصمت عرى العلاقات الودية ما بين
امبراطور الحثيين وملك اخياً . فقام اثريوس - ملك اخيا لذلك العهد - بعد حرب في غربي
اسيا دارت دائرتها عليه ، واعد حملة حربية ثانية وقطع بجنوده البحر في مئة سفينة وتولوا

جميعهم على سواحل «كاريا» واقتحوها ولكن الحثيين اخرجوهم منها سريعاً وقد كشف الاثريون في الكتابات الحثية التي تبحت عن تقلب الاحوال واضطرابها باسيا الصغرى الغربية، في هذا الوقت، اسم طروادة في منطقة تدعى «اسوقا» وربما كانت هذه اللفظة اصل اللفظة «اسيا» التي شاع استعمالها فيما بعد.

ومن الاسماء المألوفة لدى من لهم اطلاع على الآداب اليونانية اسم اثريوس والد اغاممنون، قائد الحملة اليونانية الخالدة على طروادة. فالامر جلي الآن ان الحملة اليونانية على طروادة هي حادثة تاريخية. وبعد حصار طالت مدته استولى اليونان على مدينة طروادة الزاهرة وجعلوها طعمة للنار. وكان ذلك في القرن الثاني عشر ق. م. وظل اليونان يذكرون بالفخر مدى الدهر هذه الحادثة الخطيرة التي هاجت قرائح شعرائهم فنظموا كثيراً من اغانيهم الحماسية والحربية.

ومع مرور الزمان فتح اليونان جميع السواحل الايحية في اسيا الصغرى. فاقام الدورون في الجنوب والايونيون في الوسط والايوليون في الشمال. وهكذا تقلب اليونان في غضون الف سنة من ٢٠٠٠-١٠٠٠ ق. م. ليس على شبه جزيرتهم فقط بل على العالم الايحي بأسره.

واصاب اسية الصغرى ما اصاب غيرها من البلاد. فان جماعة أخرى من الجنس الهندي الاوربي بينها وبين اليونان لحمة نسب، كانت ترحف وراءهم صوب الجنوب. وآثرت ساقتها ان تقطع الدردنيل وترحف على اسية الصغرى ثم تستأنف زحفها على بلاد اليونان. ويرجح انه في سنة ١٥٠٠ ق. م. كان قد تكاثر بين الحثيين - وهم ليسوا من اصل اوربي - عدد المهاجرين لاسية الصغرى الى درجة اضطرّ عندها الحثيون ان يتكلموا باللسان الهندي الاوربي وهو لسان الفاتحين الجدد ويهملوا لغتهم الاصلية. فاننا نجد الواح الاجر الحثية المكتوبة بالحرف المسماري (ف ٣٦١) تحتوي على كلمات هندية اوربية وتراكيب نحوية تشبه تراكيب اللغة اليونانية كما ظهر من قراءة ما كتب على تلك اللوح من رموز تلك المكتوبات (ف ٣٦٢) وفي سنة ١٢٠٠ ق. م. طغت موجة ثانية من الشعوب الهندية الاوربية معظمها من الفريجيين والارمن الذين شرعوا يغزون بلاد الحثيين في اسية الصغرى

١٣٨٢٦ مهاجرة
الفريجيين والارمن
لاسية الصغرى

والتهمت الشعوب الهندية الاوربية الطرف الشرقي من شمال البحر المتوسط ففتح عن ذلك ان طار تيار جيوشها الزاحفة فأغرق الايحيين وجيرانهم الحثيين في اسية الصغرى.

١٣٨٢٦ هربت
الايحيين المرسين

وترعزت اركان المملكة الحثية وانهار بنيانها ولم تستطع المدينة الايجية بما تسنى لها من وسائل الدفاع ان تصد عنها غارات الغزاة او تسدود عن حوضها بسلاحها فلاذ الموسرون منهم والاشراف بالفرار بجرأاً . واما العامة فلم تستب لهم اسبابه لا يراً ولا بجرأاً اللهم الاً نفراً يسيراً منهم . وكانوا وهم فارون يشاهدون عن بُعد السن النار المندلعة تلتهم مدنهم ومنازلهم وقصر كنشوس وما حواه من التحف والنفائس والدخان عاقداً سرادقات واعدة في الجو



(٢٨٤) ص
المصريين للايجيين
المازيين

الشكل ١١٨ معركة بين اسطول الايجيين الفازين
واسطول مصري

هذا المشهد المنقوش على جدران هيكل مصري في طيبة (ف ١٢٠) هو أقدم صورة باقية لمعركة بحرية . نرى فيها شعوب البحر المتوسط منكسرين أمام رعمسيس الثالث آخر ملوك مصر قبالة مكان مجهول من سواحل سورية (ف ٢٨٤) بعد سنة ١٢٠٠ ق م بأمد يسير . ويرى في الشكل اعلاءً تسع سفن اربع منها مصرية موسومة على مقدمها ومؤخرها براس اسد - ثلاث منها الى اليسار وواحدة في الزاوية السفلى الى اليمين . اما الخمس السفن الباقية فابيجية موسومة على مقدمها براس اوزة . وواحدة منها في اسفل منتصف الشكل مقلبة . والابيجيون هم فلسطينيون وعلى قلائدهم ريش طيور (١١٢) . في هذا المشهد تظهر لأول مرة الكلاب التي كان المصريون يرمونها من سفنهم على سفن الاعداء لكي يمزقوا بها شرعها او يكرروا صواريخها . وهرينا هذا المشهد كيف قطعوا من كريت الى فلسطين (ف ٢٨٥) وكان سلاح الايجيين الوحيد رماحاً او سيوفاً ذات حدين وتروساً . اما المصريون فكان معظمهم من الازعجن عن القوس الذين كانوا يحطرون اعداءهم واهلاً من سهامهم ثم يطبقون عليهم ويأسرونهم . انظر اسرى الفلسطينيين جالسين في مراكب مصرية موثقين

وفي سنة
١٢٠٠ ق م
الجأ زحف
الهنديين
الاوربيين من
الشمال ،
الايجيين الى
الفرار فقطعوا
البحر وتزلوا
على الشواطئ
الجنوبية
الشرقية من
البحر المتوسط ،
من دلتا النيل
حتى مساوي
فينيقية ، وكان
لهؤلاء الايجيين
الفازين اليد
الطولى في قلب
الامبراطورية
المصرية

المتداعية الاركان . وفي الآثار المصرية مشهد من الصور الناقصة يمثل لنا اقدم صورة معروفة لمعركة بحرية (ش ١١٨) نشبت قبالة ساحل سورية وصدف فيها آخر ملوك مصر اسطولا ايجيا (ف ١١٠)

(٢٨٥) اللذظهرن
الكرتون
وطلا في فلسطين
الجنوبية

وكانت فلسطين الجنوبية البلد الوحيد الذي كان عدد المهاجرين الايجيين فيه كافياً لاحتلاله وتأليف امة منهم . وهكذا استطاعت قبيلة كريتية عرفت باسم الفلسطينيين ان تبرز لنفسها مقاماً وتبني عدداً من المدن الزاهرة في القرن الثاني عشر . ولم يضرها انكسارها في الحرب البحرية المذكورة آنفاً فاننا لم ننس بعد كيف ان الفلسطينيين كادوا يسحقون الامة اليهودية الفتية التي كانت آتخذة بالظهور (ف ٣٠٤) ومن العجب ان يكون هولاء الايجيون الفارون هم الذين اعطوا فلسطين اسمها الحالي

(٣٨٦) سقوط
المدنة الايجية

ان الهجوم الهندي الاوربي على العالم الايجي مزق شمل سكانه الذين كانوا قد بلغوا درجة سامية من الرقي والمدنية ولا سيما الكريتيون منهم ولم تأت سنة ١٢٠٠ ق م حتى كانت الهجمة الشمالية التي لم تكن ادق كثيراً من وحشية العصر الحجري المتأخر في اوربا . قد طمت وكادت تغطي المدينة الايجية . ومن الاشياء المهمة في التمدن الايجي التي اضمحلت بالكلية بعد الهجوم اليوناني ، الكتابة الكريتية . وبتى من الثقافة الايجية ما يكفي ان يكون جزءاً من الاساس الذي كان اليونان الممجم مزعمين ان يبنوا عليه اسمى مدنيت العالم القديم وارقاها

(٣٨٧) اختلاط
الايجيين واليونان

والايجيون الذين لم يهربوا من اليونان الزائفين عليهم اختلطوا بالفاتحين كما اختلط الكنعانيون المتمدون في فلسطين بالرَّحل من اليهود (ف ٣٠٢) فنتج عن هذا الاختلاط جنس جديد قام منه يونان التاريخ المعروفون لدينا . لا نستطيع ان نعين بالتدقيق كم من الدم الايجي يمكن ان يكون قد جرى الى عروقهم ولكن عبقرية فلاسفة اليونان يعزى بعضها الى امتزاج دم الكريتيين الاذكياء . بدم اليونان الذين كانت عقولهم مفتوحة للموثرات الخارجية لانه كان فيهم ميل فطري الى الفنون الجميلة

(٣٨٨) غلبة
اللدان اليوناني

لم تكن نتيجة امتزاج الدم الايجي بالدم اليوناني امتزاجاً في اللغة كامتزاج التركية بالعربية والفارسية مثلاً بل ان اللغة اليونانية التي هي لغة الفاتحين صارت بتدرج لسان العالم الايجي . الا انها لم تمنح من البلاد كل اثر للغة الايجية التي هي اقدم منها . وظلَّ اليونان يسمون المدن والانهار والحيال - كجبل برنوسوس مثلاً - باسمائها الايجية القديمة كما

فعل الاورييون الذين هاجروا الى اميركا فانهم وجدوا اسما جغرافية ، شائعة باللغة الهندية فابقوا عليها . ولا يزال ابواؤهم حتى اليوم يستعملونها كميسبي مثلا (ابو الميا) . فاسماء كهذه في بلاد اليونان هي من بقايا اللغة الايجية البائدة (١) وقد بقي من اللغة الايجية اسماء أخرى قليلة لبعض مواعين يستعملها الناس في عصر حضارتهم ولا يستعملونها في عصر همجيتهم كالفسل مثلا في اللغة اليونانية فان اسمه مأخوذ من اللغة الايجية لانه لم يوجد عند اليونان في ايام همجيتهم لكي يكون له اسم في لغتهم لانه من الكماليات . على ان ابناء الغرب قد اخذوا عن الايجيين الراقين المعامل نفسها كما اخذ عنهم اليونان اسمها . ولكن اللغة اليونانية تمست على سنة الارتقاء حتى صارت اغنى اللغات واقوى وسيلة تمكن بها الانسان ان يعبر عن افكاره

٣٨

اليونان الرحل ينقلبون الى عيشة الحضارة

(٣٨٩) قدم
مؤسك اليونان
الاجتماعية

وبقي اليونان بعد استيلائهم على العالم الايجي امداً طويلاً شعباً همجياً يعرى المواشي ويجهل التجارة البحرية جهلاً تافهاً . واذا شئنا ان نفهم حالتهم وقت افتتاحهم للعالم الايجي المتمدن فلنتذكر الحالة البدوية التي كان عليها سكان الهلال المخصب في اسية (ف ١٤٢) ايام لم يكن عندهم حكومة منظمة لعدم وجود مسائل عمومية تقتضي وجودها . فهذه هي حالة اليونان الرحل حينما ابتدأت حياتهم الحضرية في العالم الايجي . ولما تركوا عيشة التنقل من مرعى الى مرعى وجاءوا الى بلاد جديدة جلبوا معهم عدداً من الأسر التي كانت صلات القرى في بعضها واعية وأنفوا منها قبائل الأأنه كان ضمن بعضها عدد كبير من الاسر التي كانت رُبط الالفة بينها متينة فسيبت أخوات . وكان لدى اليونان وقتئذ مجلس مؤلف من شيوخ الامة للنظر في القضايا المتنازع فيها او المسائل المهمة التي تتعلق باقبايل جمع يعقد كل سنة اجتماعاً كبيراً يحضره كل من استطاع حمل السلاح لتقرير المسائل التي تتعلق بالشؤون الحربية او الهجرة . هذا هو جرثومة المؤسسات السياسية الاوربية الحديثة

(١) لا نعلم الآن في اي صف من اللغات يجب ان اللمان نضع الايجي القديم البائد . ولكننا نأمل انه مقدر استطاع العلماء ان يجلو رموز الكتابة الكريتية يسنى لهم الكشف عن هذا الامر الغامض . وحل رموز اللغة الكهنية المتباركة حديثاً (ف ٣٦٣ و ٣٨٢) لا بد ان يساعد على حل هذه القضية

(٣٩٠٧) قيام ملك
من اليونان

والمرجح انه لم يدُر في خلد اليونان ان يُنصبوا ملكاً عليهم الا بعد ان وجدوا ملوكاً في المدن الايجية كيكاني مثلاً . فحينئذٍ رغبوا كما رغب اليهود (ف ٣٠٤) في ان يكون لهم ملك . فهب زعماءهم القدماء الذين كانوا ، وهم في حال هيجيتهم ، ينضون تحت لوائهم ويأترون باوامرهم في الشؤون الحربية والدينية وقبضوا على زمام الملك مع انهم لم يكونوا سوى رعاة برابرة

(٣٩١٦) ابعده
اليونان بالزراعة

وشرع اليونان الرعاة في غضون ذلك بجراثة الارض وزراعتها تدريجاً . فكانت الحراثة باعثاً لهم على استبدال الحضارة بالبداءة فابتنوا بيوتاً واقاموا بها كالحضرين الا ان ذلك لم يستأصل منهم شأفة الغرائز والعادات البدوية بالمرّة . فبقيت مواشيهم المورد الاهم لثروتهم حتى بعد ان انتقلوا الى طور الحياة الزراعية

(٣٩٢٦) يده تلك
الاراضي وتلقب في
الحكومة بالمشة
الاجتماعية

ولما تحضرت القبائل اليونانية وابتنت كل منها عدداً من القرى اصبح اقتسام الاراضي المحيطة بكل قبيلة ، بين عيالها ، بالقرعة ، ضربة لازب . وقد كانت قبلاً شائعة بين القبائل ولكن تقلب اخيراً مبدأ التملك فامست العقارات موزعة بين العيال . ولكن قام بين العيال النزاع بسبب الاختلاف في تعيين الحدود وتقسيم الموارث (ف ٤٤٨) ومسائل أخرى شرعية فقضت ضرورة تقرير امور كهذه بانشاء حكومة . وفي غضون القرون الاربعة من ١٠٠٠ - ٦٠٠ ق م . كان اليونان يجاهدون للوصول الى معرفة طريقة للتوفيق بين مصالح الجماعات المتحضرة وعلاج حزازات الغلوب ليعدل الاغنياء والفقراء - الرتبتان اللتان نشأتا بعد تملك الارض واستتباب الحضارة - عن التباغض والنزاع (راجع ف ٣١)

(٣٩٣٦) عدم وجود
الكناية بين اليونان
القرين

قد رأينا قبلاً ان الساميين الرحل في الهلال المخصب نشبوا في هذه المشاكل نفسها (ف ١٧٣) الا ان موقفهم من وجه واحد كان اسهل . فانهم وجدوا بين اسلافهم الحضريين نظاماً للكتابة اخذوه عنهم بلا تردد (ف ١٧٣) واما الكتابة الكريسية القديمة (ف ٣٤٨) التي كانت شائعة عند الايجيين اسلاف اليونان فكانت قد امست في خبر كان . وفي العصر الذي شرع فيه اليونان يعمون في الزراعة ويتحضرون لم يكن احد قد كتب كلمة واحدة باللغة اليونانية . وعدم وجود الكتابة زاد الصعوبات التي كان يلاقيها القائمون بادارة الحكومة وتنسيق اعمالها زيادة مهمة فاوجدت الضرورة بين الجماعات المختلفة فئة من الناس سُئوا دِكيين كان من واجباتهم ان يلاحظوا ويتذكروا بالتدقيق شروط الوثائق وكميات القروض وشرائط المعاهدات مع الاقوام المجاورين واشياء اخرى لا تحصى فما يودع بطون الاوراق عند كل امة متمدنة

وعلى كرور السنين اتحدت القرى التي كانت حول كل مدينة واندغمت فيها فتكون

من هذا الاندغام مملكة صغيرة . وهذا اهم ما بلغه تطور اليونان السياسي . فكانت كل مدينة منظمة عندهم تؤلف مملكة قائمة بذاتها لها شرائعها وجيشها وآلهتها الخاصة . وكانت محبة الوطن في الافراد تنحصر في المدن التي يقيمون بها لا غير . وكان الملك حاكم المدينة والمحافظ على عبادة الالهة . كان قصره مبنياً على هضبة في وسط المدينة يُشرف عليها من جميع جهاتها . وكانت المدن مطوقة بأسوار لوقاية سكانها واسواقها ومنازلها من الطوارئ الخارجية . وكان الملك ومستشاروه يجلسون في السوق للقضاء وحسم النزاع الناشب بين الرعية ، والتوفيق بين ارباب المصالح . فتولّد من جلساتهم المتوالية دولة وحكومة وكان عند اليونان مئات من هذه الدول الصغيرة كما كان عند الايجيين . وفيما كان اليونان عائشين على هذا النمط في مدائن كل منها مملكة مستقلة بنفسها بدت تبشير حضارتهم التي اخذت تريد اشراقاً وبهاء ، ولا سيما في القرنين الاخيرين ونصف القرن الذي عقبها من حكم الملوك (١٠٠٠ - ٧٥٠ ق م)

(٣٩٥) خروج
الحضارة اليونانية
في عصر الملوك

مسائل

٣٧

من اي جنس كان اليونان ؟ هل كانوا في بلادهم من اول امرهم ؟ من اين جاؤا ؟ هل كانوا معتادين عيشة الحضارة ؟ في اية بيئات دخلوا الان بالنظر الى المدينة ؟ صف استقرارهم في العالم الايجي وفي اسية الصغرى . ماذا كانت نتيجة ذلك على اسلاف اليونان في العالم الايجي وفي اسية الصغرى ؟ اذكر بيئته على فرار الايجيين . من هم الفلسطينيين واين حلوا ؟ ماذا جرى للمدينة الايجية ؟ وفن البناء ؟ والصناعات ؟ والكتابة ؟ ماذا صار بالاييجيين الذين تحلّفوا ؟ اذكر نتائج ذلك على اللغة

٣٨

هل شرع اليونان حالاً في الاعمال البحرية ؟ هل تحضّروا حالاً ؟ اي شعوب أخرى

من الاقوام الرَّحَّل وجَدناهم في مثل هذه الحالة نفسها ؟ اية مؤسَّسات اجتماعية اتى بها اليونان حين اتوا ؟ ماذا تستطيع ان تحبِّر عن النتائج الاجتماعية التي نجت عن الزراعة وتملك الارض ؟ كيف تمَّسَّت حال اليونان بلا-كتابة ؟ ماذا جرى للضيع التي حول كل مدينة يونانية ؟ هل اتحدت المدن اليونانية وكونت امة واحدة عظيمة مشتملة على كل اليونان ؟ ماذا كانت كل امة يونانية ؟ في اي شيء انحصرت محبة اليوناني الوطنية ؟ صف مملكة مدينية . هل كانت هذه الممالك كثيرة ؟ هل وجد امة ضمت جميع العالم الايجي معاً ؟ من كان يرأس كل مملكة مدينية ؟ ماذا كان شكل الحكومة حين بزوغ الحضارة اليونانية ؟ اذكر تاريخ العصر الذي منه نستطيع ان نتبع بزوغ الحضارة اليونانية

الفصل العاشر

الحضارة اليونانية في عصر الملوك

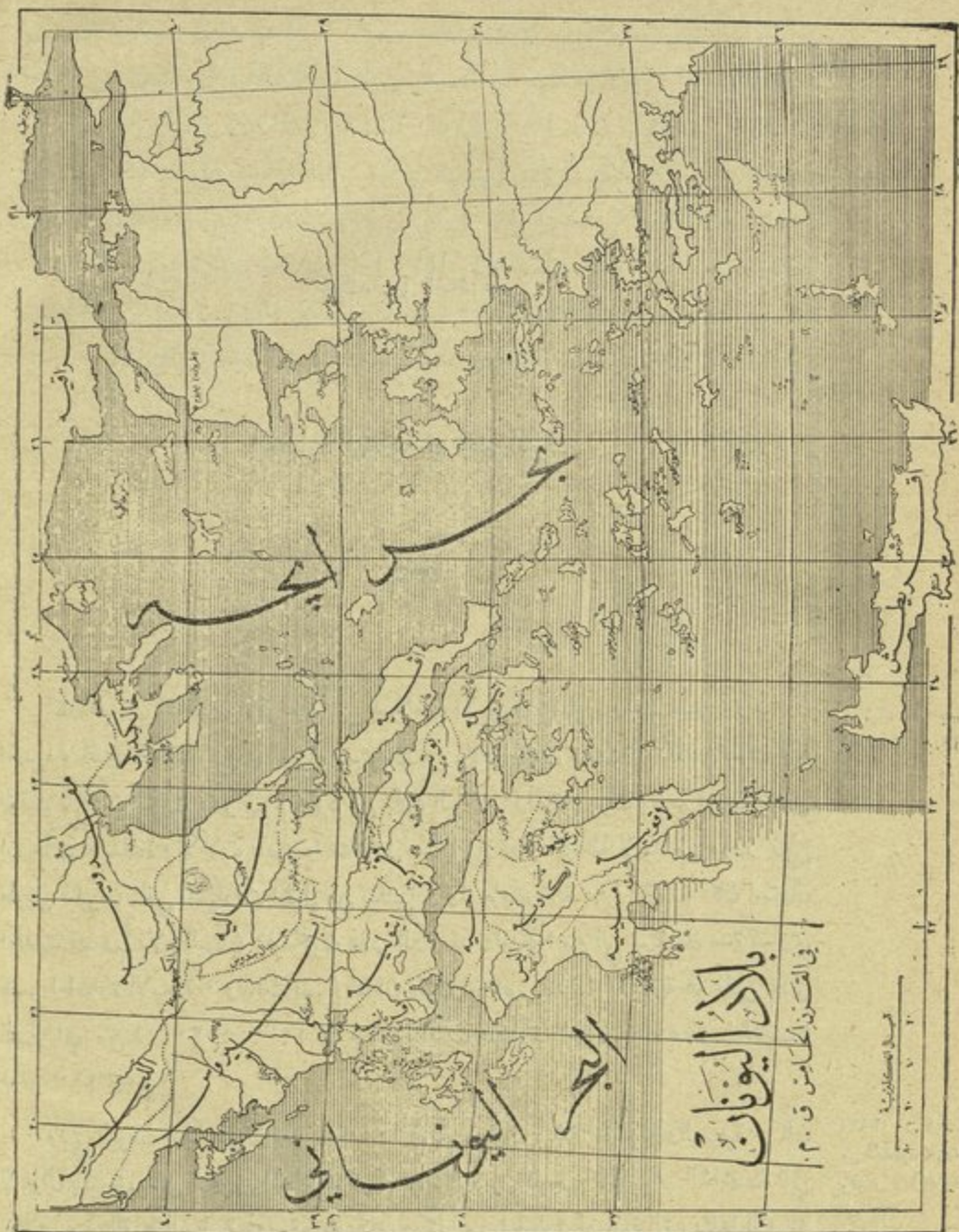
٣٩

١٣٦٦ بده عصر
الحديد نحو ١٠٠٠
ق م

كان اليونان الفاتحون اوفر حظاً من اسلافهم الايجيين في شيء واحد مهم ، وهو ان الحديد ، الذي كان قد شاع في الشرق مستورداً من بلاد الحثيين ، (ف ٣٦٦) قد اخذ في هذا الوقت (القرن الثالث عشر ق م) يرد على بلاد اليونان . ولكن مرت بضعة قرون قبل ان حلت الاسلحة والآلات المصنوعة منه محل مثلها من البرنز كما انه لا بد من مرور زمن طويل قبل ان تلغي السيارات الخيل من بيننا . ولما جاءت سنة ١٠٠٠ ق م كان استعمال الحديد قد عم بلاد اليونان . فيكون عصر البرنز قد دام نحواً من النى سنة اي مدة تساوي عصر الحضارة الايجية . ولذلك يسوغ لنا ان نقول ان عصر المدنية الايجية هو نفس عصر البرنز اي من (٣٠٠٠ - ١٠٠٠ ق م) وابتدأت حضارة اليونان بيده عصر الحديد (نحو ١٠٠٠ ق م)

(٣٩٧) تذكارات
من الحضارة الايجية
ونجس الحضارة
اليونانية

وبقي اليونان امداً طويلاً بعد سنة ١٠٠٠ ق م يعيشون عيشة الخشونة والهمجية . وكان لا يزال باقياً في سهل ارغوس اشياء تذكروهم بمجد العصر الايجي كلاسوار الشاحخة التي كانت حول القرية اليونانية في موقع ميكاني وكلها من الحجارة الضخمة التي بناها الامراء الايجيون الاولون الذين كانوا قد ماتوا منذ عهد بعيد . وكان اليونان ينظرون الى هذه الاسوار والرهبة مل قلوبهم واماراتها بادية على وجوههم . وقد عزوا بناءها الى رهط



في القسطنطينية ق ٢٠٠



الشكل ١١٩ الصناعة اليونانية في أول عهدها
كما ترى في هذه الكأس المدهونة الباقية
من عصر الملوك

هذا النموذج الجميل البالغ طوله ثلاث أقدام ونصف قدم هو من الكؤوس القليلة الباقية من الصناعة اليونانية على شكلها الأصلي. وقد ابتاعها حديثاً متحف نيويورك الكبير. وهي تمثل لنا الصناعة اليونانية في أول عهدها في القرن الثامن ق. م. وترى هنا أن دهالي اليونان الأقدمين اعرضوا عن تصوير الأزهار والنباتات العريية وإشياء أخرى طبيعية ما كان بصورة الدهانون الإيجيون لزخرفة الآنية الخزفية التي كانوا يصنعونها واعتمدوا على الرسوم الهندسية بدلاً منها. فالمشهدان المرسومان صفتين على الكأس يمثلان أعلاهما ما نرى في لوحة الجنية على نقش عال وتحتها موكب من رجال الحرب حاملين بأيديهم نروساً. وتشاهد أربع مركبات لكل منها أربعة دواب يحبرها ثلاثة أفراد. قابل الخجل الجبيلة التي صورها اليونان بعد هذا الزمان بمئة وخمسين سنة (ش ١٢٦) بالجمياد المطهية التي صورها بعد ذلك بأربع مئة وخمسين سنة (ش ١٥٥). إن المثال الذي أخذناه الخزف والدهان اليونانيان أول عهدهما بالعمل مأخوذ مبدئياً عن الأسلاف الإيجيين

من الجبارة البائدين الذين كان للواحد منهم عين واحدة قائمة في أم رأسه. وعاش بينهم تقليد تناقله السلف عن الخلف إن كريت كانت المهد الأول لحضارتهم. ولم يكن لرعاة وفلاحي اليونان شيء من الخدق في الصناعات أو الحرف. فتلكأوا عن الأقدام على البناء والصناعات الاستخراجية والتحويلية لحسابهم الخاص. وتلكأوا في أمر الكتابة التي قصروا كثيراً - كما رأينا - (ف ٣٩٣) في اقتباسها عن أسلافهم الإيجيين. وظلت منازلهم حتى قصور ملوكهم دهوراً طويلاً بُني بالبن العادي كبيوت الفلاحين في المزارع. وكانت الخنازير ترح في جنباتها وتربض في نور الشمس أمام الباب الملكي. وأول شروعهما في الصناعة كان في عمل الفخار الذي لم يقدروا أن يتقنوا صنعه ولا زخرفته بالدهان (ش ١١٩) ويظهر من أسلوب شغلهم أنهم أخذوا الصناعة عن أسلافهم الخزافين الإيجيين. ولكنهم لم يتقنوا العمل مثلهم. وأسلوبهم فيه باقٍ ولكن بصورة منحطة. فالاناقة التي بلغها إيجيو كريت في صنع الخزف قبل عهد اليونان بالف سنة لم يبلغها هؤلاء (ش ١٠٤)

وحين نتذكر ما سر على الشعوب الإيجية من الاختبار والعبء نجد أن اليونان كانوا عرضة لنفس المآثر الشرقية التي كان لها فعل كبير في الحضارة الإيجية.

فقد ترك اليونان في هذا العهد الجلود الكثة الشعور التي كانوا يلبسونها على ابدانهم ولبسوا بدلاً منها اثواباً من نسيج الصوف. ولما لم يكن لها اسم في لغتهم اخذوه اسماً عن التجار الاجانب الذين جاءوهم بها فدعوا الواحد منها « كيتون »

وكان اليونان كلما ارادوا ان يتبعوا سلعاً كهذه ليست من صنع بلادهم يذهبون الى شاطئ البحر ويتجمعون رجالاً ونساء حول سفينة قريبة من الشاطئ. كان نوتيتها السود اللحي يُغرون اليونان لشراء سلعهم باراتهم قوارير من زجاج او من حجر ناصع البياض، مائة روائح عطرية من مصر (ش ٣٣) وآنية من الخزف الصيني الازرق الفاخر. فاذا كانت النساء يُعرضن عن هذه فانهن لم يستطعن الاعراض عن الامشاط العاجية الجميلة

(٣٩٩) صنع الخمار
الفيثيون



المحفور عليها أسود بطريقة « التخريم او التقوير » حتى تظهر الاسود من الجانبين (١٢١) وكانوا يُجيدون صقلها حتى كانت تتألق كلما اصابتها نور الشمس. وكان اغنياء اليونان ينجذبون الى الاثاث المرصع بالعاج ترصيعاً انيقاً (ش ٧٨) ولا سيما الى الاطباق الكبيرة المستديرة الفاخرة المصنوعة من البرنز او الفضة والمنقوشة نقشاً نفيساً. وكانت الخلل الارجوانية الفاخرة المنشورة على مؤخر السفينة تكسب الحلى والمجوهرات المعروضة بها، وجمالاً بما تعكسه عليها من تألق الوانها الزاهية. وكان من جملة السلع « الكيتون » وهو الاسم الفيثيقي للثوب الجديد الذي اخذه اليونان من التجار الفيثيون ولم يكن له في لغتهم اسم

الشكل ١٢٠ حلة فيثيقية اخذها

اليونان لباساً

سمى اليونان هذه الحلة اولاً « كيتون » باسمها الفيثيقي ثم حرفوها فقالوا خيتون (انظر ص ٢٩٨-٢٩٩)

وهكذا انتقلت الى الفيثيقيين السيادة البحرية على الساحل الشرقي من البحر المتوسط. وقد وجد رقيم باللغة الحثية كُتب قبل سنة ١٢٠٠ ق.م وجهه كاتبه الى احد احفاد رعسيس الثاني وفيه هذه العبارة « ان اسطول الجوب المصري يجب ان يذهب كما دتبه كل سنة الى الساحل الجنوبي من اسية الصغرى » ولكن بعد انقضاء جيل واحد لما سقطت

(٤٠٠) الساع
فطالق الخسارة
الفيثيقية

المملكة المصرية توارى اسطولها من بحر ايجه وما يجاوره من المياه. فاغتم الفيثيقيون منذ سنة ١٠٠٠ ق.م هذه الفرصة السانحة للانتفاع بها. كانوا قبلاً، من سكان البادية، كاليسود في اول امرهم، فلما انتزحوا عنها احتلوا المدن البحرية على سواحل سورية

(ف ١٤٧) فأصبحوا ملاحين ماهرين. ولما كان اليونان عاجزين عن مجاراتهم في اصطناع السلع التي كانوا يأتونها بها لبيعها منهم، راجت تجارة الفينيقيين الشرقيين في جميع الأرجاء التي توجهوا إليها

ولم يكتفِ الفينيقيون بالتجارة في بلاد ايجيه، بل طلبوا لسلمهم اسواقاً أخرى في الغرب وبذلك اكتشفوا الجهة الغربية من البحر المتوسط حيث اسسوا بعد ذلك مستعمرات بلغوا بها الى سواحل الاثلاثينيكي بجزوار اسبانيا (ش ١٢١). وصارت مستعمرتهم قرطاجنة اهم بلاد تجارية في الجهة الغربية من البحر المتوسط واشد خصوم رومية كما سنرى (ن ٧٧) وظلوا ثلاثة قرون بعد سنة ١٠٠٠ ق.م اعظم تجار البحر المتوسط. وكانت نتيجة امتداد تجارتهم في الآفاق بدءاً تكون عالم تجاري عظيم على سواحل البحر المتوسط. الا انه لم يكن لدى الفينيقيين جيوش ولا كانت انظمتهم السياسية شيئاً يُعتدُّ به. ومستعمرتهم الوحيدة التي صارت فيما بعد دولة شديدة الحول عظيمة الصولة هي قرطاجنة

تعلم الفينيقيون كيفية صنع سلمهم التجارية - في معظم الاحوال - من مصر. فعنتها اخذوا طريقة صنع الزجاج والحزف ونسج الكتان وصبغ وسبك المعدن وتطويره ونقشه الا ان الرسوم التي كانوا يستعملونها في الحفر والتصوير لم يأخذوها عن امة واحدة فقط فالتى على الاطباق المعدنية (ش ١٢٢) كانوا يأخذونها تارة عن

مصر وطوراً عن اسية. وهكذا كانت الفنون الفينيقية مركباً شرقياً عناصره الاصلية من بلاد النيل وبلاد الرافدين، وكان ملوك اشور يستخدمون صناعات فينيقيين كما رأينا قبلاً يُعدُّوا الاثاث والآتية المعدنية اللازمة لقصورهم الملكية (ش ٧٨). والملك سليمان نفسه استخدم صناعات فينيقيين لبنوا له هيكل اورشليم (امل ٥) (ف ٣٠٦) وبعد سنة ١٠٠٠ ق.م اصبح الفينيقيون الصناع الفنيين لعالم شاسع الاطراف يمتد من نينوى شرقاً الى بلاد

(٤٠١) الفينيقيون
اول رواد غرب
البحر المتوسط



الشكل ١٢١ مشط فينيقي قديم
مصنوع من قطعة عاج

وزع الفينيقيون سلماً كهذه من صنع صداد صور، في جميع أنحاء البحر المتوسط (ف ٢٩٩) حتى اسبانيا غرباً حيث وجد المقيون هذا النوع من الانشاط في بعض القصور القديمة، والاسد الذي يزدان به هذا المشط الذي تراه في الشكل، هو النوع الذي ابدع في سررية. وكان ملوك اشور يستخدمون في عاصمتهم، نينوى، صناعات فينيقيين. وقد وجد الاثريون قطعاً من شغلهم عليها علامات فينيقية (ش ٧٨)

(٤٠٢) تقدم
الفنون والصناعات
الفينيقية

اليونان غرباً

(٤٠٣) انتقال
فن السلووني
الشرقي الى اوروبا

وقد وجد الصناع اليونانيون على اطباق المعدن وقطع الاثاث العاجية المنقوشة ، زخارف كثيرة كأشجار النخيل ، وزهرة النبات المسمى بالهندقوق ومشاهد الصيد على ضفاف النيل « وشجرة الحياة » الاشورية . وما يرتاح اليه الناظر بنوع خاص تلك المخلوقات العجيبة المجنحة التي ولدتها المخيلة الشرقية في العصور الخالية كالسفنكس مثلاً والغريفون والفرس ذي الجناحين . وما لبث اليونان ان اخذوا يقبلون هذه الاشياء . وشاع فن الزخرفة والتزييق الشرقي بين اليونان وحل محلاً رقيقاً بين الشعوب المتعدنة في الغرب . ويرجع كل الترجيع ان اليونان جاروا الصناع الفينيقيين واشتغلوا معهم جنباً لجنب ، في



الشكل ١٢٢ طبق فينيقي . شغل حنر وقطريق

ان هذا الطبق النضي المحفوظ في متحف برلين جميل الصنعة جداً في منتصفه وردة حوطا مجرى ماء مستدير يحيط بها فوق الماء اربعة من زوارق النيل (احدها على شكل وزه عراقية) ورامها حنار (برواز) من ازهار الوردية . وكان الفينيقيون ماهرين جداً في نقش الصفائح المعدنية التي كانوا يزخرفونها بالرسوم المصرية والاشورية . وقد وجدوا قطعاً من هذا النوع من الشغل في عدة اماكن من نينوى شرقاً الى اسبانيا غرباً كان قد نقلها تجار فينيقية

دكاكين فينيقية يجزر بحر ايجيه ، وتعلموا كيف يصنعون قوالب مجوفة من البرنز واشياء أخرى كثيرة كانت تعود على التجار الفينيقيين بالارباح الطائلة . الا انه لم يبق من آثار الفن الايجي الراقي في العصر الذهبي ، الا بقية زهيدة لا تستحق الذكر ولذلك كانت اشغال اليونان الفنية في هذا العصر ، من سقط المتاع لا تكاد تضاهي اشغال اهل العصر الحجري المتوسط (قابل الحيل في ش ١١٩)

٤٠

الفينيقيون يجلبون الى اوربا حروف الهجاء الاولى

لم تكن ازياء الملابس ، وفن الزخرفة والتزييق ، والاساليب الصناعية العملية ، الاشياء الوحيدة التي جاء بها التجار الفينيقيون الى بلاد اليونان . بل كان هنالك شيء اثن من كل مصنوعات الشرق اخذه اليونان عن الفينيقيين وهو حروف الهجاء . وهي اهم ما وصل الى اوربا من خارجها . وكان الفينيقيون في سنة ١٠٠٠ ق م قد هجروا منذ امدٍ مديد استعمال اجر بابل في الكتابة (ش ٥٧) لانهم كانوا قبل هذا التاريخ بقرن من الزمان قد استوردوا كميات كبيرة من ورق البردي المصري . واخترعوا اسلوباً للكتابة خاصاً بهم استعملوا فيه اثنين وعشرين حرفاً (ش ١٢٣ عود ١) ولم يكن في هذا الاسلوب علامات للمقاطع بل كانت كل علامة تمثل حرفاً واحداً صامتاً . ولم يكن علامات للحركات فبقيت غير مكتوبة . فكان الفينيقيون اول شعب ابتكر اسلوباً للكتابة ليس فيه الا العلامات الهجائية اي حروفاً حقيقية . وكان للمصريين وتأثيرهم معظم الفضل على الفينيقيين في ابتكارهم طريقة الكتابة هذه

ورتب الفينيقيون حروفهم الجديدة على اسلوب موافق بحيث تألف من الاثني عشرين والعشرين حرفاً مجموعة حروف خالدة (ش ١٢٣ عود ١) سهلة التعلم ولو لم يسم كل حرف منها باسمه لما كان حفظها ممكناً . فسوّوا الحرف الاول من اجديتهم بما معناه « ثور » لان اللفظة الفينيقية للثور اي الالف تبتدى بالحرف الاول عندهم وسموا الحرف الثاني بما معناه « بيت » لان اللفظة الفينيقية « بث » للبيت تبدأ بالحرف الثاني وهكذا الى الآخر . وكان اولاد التجار الفينيقيين اذا تعلموا حروفهم الهجائية وسئلوا ان يسردوها قالوا هكذا

ألف بث الخ

وتدل قرائن الاحوال على انه لم يكن للفينيقيين الا القليل مما يعرف بأداب اللغة . اما معاملتهم التجارية فقد دونوها على ورق البردي بموجب الاسلوب الجديد السهل . وكما حمل الاراميون الحروف الفينيقية من سواحل البحر المتوسط شرقاً الى اسية حتى الهند (ف ٢١١) كذلك حملها الفينيقيون عبر البحر المتوسط الى اوربا . وكان اليونان الذين رأيناهم قبلاً يزدهمون حول السفن الفينيقية ، يشاهدون بايدي الفينيقيين قطعاً من ورق

(٤٠٤) اختراع الفينيقيين لحروف الهجاء نحو ١٠٠٠ ق م

٢٠٣

(٤٠٥) ترتيب الحروف الهجائية وسميتها

(٤٠٦) قول روية اليونان للحروف الهجائية الفينيقية

Α	A	A	A	A
Β	S & B	B	B	B
Γ	1	Γ	CG	C.G
Δ	Δ	Δ	D	D
Ε	Ε	Ε	E	E
Υ	Υ	Υ	FV	F.V.U
Ζ	Ζ	Ζ	...	Z
Η	Η	Η	H	E.H
Θ	Θ	Θ	...	TH.PH
Ι	Ι	Ι	I	I
Κ	κ	κ	...	K.KH
Λ	Λ	Λ	L	L
Μ	Μ	Μ	M	M
Ν	Ν	Ν	N	N
Ξ	Ξ	Ξ	X	X
Ο	Ο	Ο	O	O
Π	Π	Π	P	P
Ρ	Ρ	Ρ	...	S
Q	Q	Q	Q	Q
R	R	R	R	R
S	S	S	S	S
T	T	T	T	T

البردي الاصفر عليها علامات غريبة سوداء . ومع ان تلك النسخ لم تكن سوى قوائم تجارية واوراق لا غنى للتاجر عنها ، فقد راىهم امرها باذى ، بديء وحسبها رموزاً غامضة تتضمن خطراً قريباً . وقد جاء في احدى اغانيهم في ذلك العصر ، إلماع الى تلك العلامات التي كانوا يدعونها بالموذية . وبتكرار الاطلاع على قوائم حسابات التجار الفينيقيين ، تعلم تجار اليونان حروف الهجاء التي كتبت بها . وبالتدريج صاروا يكتبون الالفاظ اليونانية باحرف فينيقية

٤٠٧١ تكمل
اليونان الحروف
الفينيقية بزيادة
الحركات عليها

لقد اظهر اليونان من قديم الزمان تفوقاً عقلياً امتازوا به فانهم لاحظوا انه لم يكن مع حروف الهجاء الفينيقية ما يقوم مقام الحركات كما لاحظوا وجود احرف قليلة في الفينيقية تدل على انها احرف صامتة لا وجود لها في اليونانية . فاخذوا هذه الاحرف واستعملوها للحركات اليونانية وبذلك خطوا الخطوة الاخيرة في اكمال اسلوب الكتابة المبتكر الذي انتشر في الولايات اليونانية مبتدأً من ايونيا . وظل استعمال الكتابة امداً طويلاً محصوراً في المعاملات التجارية والشؤون الحكومية . وبما ان اكبر البلاد ظلوا

الشكل ١٢٢ جدول يبين كيف مرت الحروف الفينيقية في اشكال يونانية ورومانية حتى بلغت اشكالها الانكليزية الحاضرة

بجنوبي العمود الاول من اليسار حروف الهجاء الفينيقية وكلها صامتة (ف ٤٠٤) . كان الفينيقيون يكتبون من اليمين الى اليسار . وتابعهم في ذلك اليونان في اول الامر فكتبوا مثلهم من اليمين الى اليسار ولذلك يشاهد الناظر في العمود الثاني احرفاً كالحرف B على غير وضعه الحالي . ثم عدل اليونان عن هذه الطريقة تدريجياً واخذوا يكتبون من الشمال الى اليمين كما يظهر من العمود الثالث الذي تظهر فيه الحروف كما هي في اللغات الادرية (انظر B في العمود الثالث) وكان الانتقال من اشكال الحروف اليونانية الحديثة (بالنسبة الى ما كان قبلها) (عمود ٢) الى الاشكال اللاتينية (عمود ٤) سهلاً جداً . وقلما اختلفت الاشكال اللاتينية عن الاشكال المستعملة حتى في ايامنا هذه

احقَاباً طَوَالاً أُمَيِّينَ، كانوا ينظرون الى الكتابة نظرة المرتاب الحذِرِ، مع ان مزوَجِي الآتية الحُرَفِيَّة كانوا في سنة ٧٠٠ ق.م قد تعلموها كما يشاهد على كؤوس الحُرَف المنقوشة (ش ١٢٤). وبعد هذا الزمان بأمد يسير شاع استعمال الكتابة بين جميع الطبقات . اما آداب اللغة فكانت امرأ تتناقله الاسن زمناً طويلاً قبل ان قَبِضَ لها ان تُودع بطون الصحف

(٤٠٨) الاصل
الذي هو الحروف
هجاء العالم المتقدم

وكان اولاد اليونان في تعلم القراءة يستنون الحروف بنفس الاسماء التي كان يستعملها الفينيقيون . ولما كان اليونان يجولون معنى تلك الاسماء الغريبة، حرقوا لفظها قليلاً . فصار يقرأها اولادهم بحسب ترتيبها الفينيقي المعلوم « ألفا بيتا الخ » بدلاً من الف با (ف ٤٠٥) وكما يقال عن ابن هذه الايام انه يتعلم الف با الخ كذلك كان يقال ان الولد اليوناني يتعلم الف با بيتا الخ التي منها جاءت اللفظة الاوربية (Alphabet) وهي اثر باق من الدين العظيم المدين به الغرب للشرق ولا سيما للفينيقيين الذين نفعوه بعطية لا تشتمن وهي الكتابة بالحروف الهجائية التي وصلت الى ايطاليا من بلاد اليونان ثم امتدت الى سائر جهات اوربا . والحقيقة التي لا مرأ فيها هي ان حروف هجاء بلاد الغرب والشرق الادنى متسلسلة من حروف الهجاء الفينيقية

(٤٠٩) الاصل
الشرقي للفظني
(ورق) و(نوراء)
في اللغة الانكازية

وجاء الى اوربا لأول مرة ، مع حروف الهجاء ، القلم والحبر والورق . وجاء مع الورق اسمه الشرقي . لان اليونان اخذوا لفظة « بايبروس » المصرية وهي اسم الورق الذي كانوا يكتبون عليه . وكثير من الورق الذي كان يستعمله اليونان نقله اليهم تجار فينيقيون من « بيبيلوس » التي عرفناها قبلاً باسمها الفينيقي جُبيلة (جيبيل الحالية) من مدائن فينيقية المشهورة . وكما نستعمل الآن لفظة « صيني » لنوع من الحرف المستعمل على الموائد لانه جاء اولاً من بلاد الصين ، كذلك كان اليونان يستعملون للورق لفظة « بيبيلوس » اسم المدينة الفينيقية التي جاءهم منها ولما شرعوا يكتبون مؤلفاتهم على لفات ورق كهذا (ش ١٤٤) سموها ما كتبوه عليها « بيبيليا » ومنها اخذت اوربا لفظة « بيبيل » التي معناها « كتاب او كتب »

٤١

رجال الحرب اليونانيون واغاني الابطال

كان رجال الطبقة النبيلة من اليونان مُرَمَّين جداً بالحرب حتى انهم كانوا يقضون حياتهم

في القتال والكفاح والسلب والنهب . وكان عتادهم الحربي الذي يتقون به طعن العدو مصنوعاً من البرز . أما الاسلحة التي كانوا يقاتلون بها فكانت في الغالب من الحديد . وقليل منها كان من البرز . ولما كانت عُدَّة الحرب غالية الثمن لا يستطيع شراءها الا الاغنياء ، كان القواد بحكم الطبع من الطبقة الغنية . وكان عليهم المعول في الكبر والفرة . ولم يكن للاعزل شيء من الاهمية في معترك القتال الذي لم يكن يقاتل فيه عدد كبير من الجنود دفعة واحدة ، بل كل بطلين على حدة . فكانت الحرب عبارة عن سلسلة مبارزات بين اثنين اثنين من الابطال . وكان الفوز في معارك كهذه يتوقف على حذاقته الفرد واختباره في فن الحرب اكثر مما على تمرين وتدريب عدد كبير من الجنود معاً . وكان الظافر يجرد خصمه الساقط في ساحة الوغى من سلاحه ثم يشد جسده المعرى الى مركبته ويجره في ساحة القتال من جانب الى جانب ثم يطرحه فريسة للجوارح . وكثيراً ما كان ينشب بين المتحاربين عراك هائل لتخليص جسد البطل الساقط من ايدي الاعداء . وكان الظافرون اذا دخلوا قرية من قرى اعدائهم يستبيحونها نهياً وقتلاً ويضرمون النار في منازلها طمعاً باحراز الشهرة والفخر

(٤١٠٦) عتاد رجل
الحرب اليوناني في
عصر الملوك

وكان للشعب اليوناني شغف شديد بالتعني باعمال البطولة التي كان يقوم بها رجالهم الاشداء في ساحات الوغى ، وترديد فعال ابطاهم الصناديد ايقاداً لنار الحماسة في الصدور واستنفاراً للقاعدين عن الانضواء تحت لواء الوطن . وقد نظم كثير من الاغاني التي تتضمن وصف بطولة الآلهة وعظماة رجال الحرب في مراعي تساليا التي كان الناظر منها يرى قمة جبل اولبوس ، مسكن الآلهة ، معتمة بالثلوج الناصعة البياض . وكانت تلك الاغاني اقدم ما كتب من آداب لغة اليونان . وقد احتوت على كثير من ذكريات الحروب القديمة التي وقعت فعلاً ، ولا سيما حرب طروادة الشهيرة (ف ٣٨١) وما جاءت سنة ١٠٠٠ ق م حتى كانت تلك الاغاني قد بلغت الى سواحل وجزر آيونيا على الجانب الاسيوي من بحر ايجه ونبغ طائفة من الشعراء الذين اتخذوا انشاد الاغاني حرفة فكانوا ينشدونها في المآدب الملكية ومنازل الاشراف مرددين فيها على صوت القانون ذكري المعارك والمغامرات التي خاض عبها ابطاهم المقدفون . ولما كانت هذه الاغاني الحماسية مصوغة في قالب من البلاغة ومسبوكة سبكاً بديعاً بأوزان تحوّل للسمع وتعذب في الذوق ، بقيت تردد اصداءها جدران القاعات الملكية وتتجاوب بها ارجاء البلاد امداً طويلاً . ولا بدع فأنها ايكار مواليد القرائح في آداب اللغة في اوربا . ولما توافر عدد هذه الاغاني ضمّ سملها المتفرقة « الشعراء » الذين سبق الينا اليهم والقوا منها مجموعة من الشعر القصصي ولا سيما الروايات التي تتعلق بالحملة

(٤١١٦) بداية اغاني
الابطال

(٤١٢٦) المندون
الايونون

اليونانية على طروادة . ولم تكن تلك الاغاني نتاج قريحة رجل فذّر بسل قرانح شعراء كثيرين قاموا على الاتعاقب في احقاب متطاولة . وبقي كثيرون منهم احياء حتى الى ما بعد سنة ٧٠٠ ق م . وهي السنة التي دُوّنت فيها تلك الاغاني على الورق

(٤١٣) هوميروس

ونبع بين اولئك المنشدين القدماء شاعر طائر الشهرة اسمه هوميروس يُظنّ انه هو ناسج برد القصيدتين العظيمتين الايلاذة^(١) الخاوية نبأ الحملة اليونانية على طروادة والوديسي ، رواية تيهان البطل اودسوس وهو عائد من طروادة . هاتان هما مجموعتا الاغاني اللتان بقيتا كاملتين الى ايامنا هذه . وقد ارتب اهل الزمان القديم في صحة نسبتها الى هوميروس

(٤١٤) الاغاني

الموسيقى اقدم اثر

ادبي اليونان

ولم يكن اولئك الشعراء الاوّلون اوّل من نفع العالم باعظم شعر قصصي في الايلاذة فقط ، بل اقدم جماعة من اليونان سبكوا افكارهم فيما يختص بالآلهة والبشر في قالب ادبي خالد وقدموا الامة اليونان المقطعة الاوصال آداباً في لغتها . مشتركة بين طوائفها تُذكي في الافراد روحاً طيبة لانها تشير الى اتحادهم فيما خلا من الزمان في حرب عامة مع اسيّة

٤٢

بدء ديانة اليونان وتطورها الاوّل

(٤١٥) اغاني

هوميروس والديانة

لم يكن في هذا الزمان كتبٌ مقدسة عن اليونان فكانت اغاني هوميروس كتابهم المقدس . وكما تعلّم اتقياء العبرانيين مما كتبه لهم المؤرخ المجهول كذلك تعلم اليونان من اغاني هوميروس الانيقة اشياء كثيرة عن آلهتهم وبذلك صار هوميروس المعلم الديني لليونان تعلّم اليونان من اغاني هوميروس والاساطير القديمة ان آلهتهم تقيم في بهاء محجوب عن الابصار بين السحب فوق قنّة جبل اولبوس وان زفس اله الجو الذي بيده عنان البرق يملك عليها كلها من مقرّ سناه . وكان كل واحد من بقية الآلهة متسلطاً على جزء من الطبيعة . وكان ابّلون الاله الشمس رامياً عن القوس قتلاً . الاّ انه كان يحسي قطعان الرعاة وحقول الفلاحين . وكان موسيقياً بارعاً ، فضلاً عن انه كان يعرف المستقبل الذي حتم به زفس .

(٤١٦) زفس

وسكن الآلهة على

جبل اولبوس .

اللون

(١) نسبة الى الابلوم وهو اسم طروادة اليوناني

فكان الذين يرغبون في معرفة مستقبلهم يذهبون الى مزاره في داني ويستعلمونه امر مستقبلهم فينبئهم بما خبأت لهم الاقدار فارتفعت بذلك منزلته في عيون اليونان وصار احب الالهة اليهم

(٤١٧) اثينا حامية
الارض اليونانية

والظاهر من قرائن الاحوال ان اثينا الالهة اليونان ، كانت الالهة حرب . فكان اليونان يحبون ان يتصوروها حاملة اسلحة برأفة تحمي بها المدن اليونانية . الا انها كانت في اوقات السلم ايضاً تبسط يديها فوق رؤوسهم وترعى بعنايتها الخزاف وهو يصنع جواره والحداد والنحاس والصانغ وهم يعملون في دكاكينهم ، والنساء وهن يغزلن الصوف . هكذا كانوا يمتدنون فيها . وصارت حامية الامة والمحسنة اليها في حياتها السلمية سواء في الشؤون الصناعية او الفنية . ولم يكن بين رفيقاتها الالهات من هي احص منها رايأ ولا اسد مشورة . وقد جاء في احدي الاساطير القديمة انها ولدت من دماغ والدها زفس وخرجت من رأسه مسلحة بالعدة الكاملة . وكوالدة لهية حربية لاجل ما في الحياة اليونانية كانت احب الالهات اليهم . فزفس وابلون واثينا - هولاء الثلاثة - اعظم آله العالم اليوناني

وكانت في الوقت نفسه طائفة أخرى من الارواح القديمة التي توهموا انها منتشرة في الطبيعة قد بلغت درجة الالهة العظيمة الذين كان كل منهم متسلطاً على جزء معين من هذا الكيان . فكان بوسيدون على زعمهم يقيم في قصره النحاسي في اعماق اليم ويتسلط على المياه . وكانت الامم القديمة ، الارض ، التي سموها ديمتر تهب لهم محاصيل تربتها سنة فسنة . وكان عندهم اله اخر منسوب الى الارض اسمه ديونيسوس . فهذا كان مالكاً على الكروم . وكان اليونان يفرحون بما يقدمه لهم من نتاج الكرمة . وصارت روح القمر القديمة ، هرمس . فهذا كان رسول الالهة المجنح الرجلين ومنفذ اوامرها وقد جعل مسيطراً على معاملات الناس بعضهم مع بعض فدعي اله التجارة والصناعة . وعانين بعض اليونان القمر - وهو في لغات ابناء العرب موث - ساجماً في عرض السماء فاعتقدوا انه الالهة صيادة ترث في مركبتها ليلاً فوق غاباتهم فدعوها ارطاميس ورآها البعض الآخر منهم فقالوا انها زوجة زفس فدعوها هيرا . وصارت عندهم ولية الزواج . وكانت الالهة الحب السامية المماة عشتروت (ف ١٩١) قد غادرت مدن سورية وجاءت بلاد اليونان مارة بقبرص لتصبح الالهة الحب اليونانية فسورها افروديت

(٤١٨) بوسيدون
وديمتر
ارطاميس وهيرا
وافروديت

وصور اليونان آلهتهم بهيئات بشرية وحسبها ذات صفات انسانية صالحة وردية . وقد حبل هو ميروس ان الحسام العائلي بين زفس وزوجته هيرا هو كالذي كان يقع بين

(٤١٩) الاخلاق
الكلمة اليونانية

العيال اليونانية . ولم تكن آلهة كهذه ، لتتوقع من البشر^(١) تصرفاً احسن من تصرفها هي .
خَيْرِي من هذا ان الديانة عند اليونان لم تكن قد صارت بعد عاملاً يُوَدِّي الى السلوك الحسن
والاخلاق السامية . فكان اليونان من هذه الجهة لا يزالون في الدرجة السفلى من التطور
الديني . وهذا عين ما رأيناهُ في مدنيات الشرق تماماً

مسائل

٣٩

اي معدن مهم شاع عند ظهور التمدن اليوناني ؟ ماذا كان قد جرى لفنون الايجيين
وصناعتهم ؟ هل كان من اليونان صنّاع ؟ ماذا تظنُّ في الخيل التي على الكاس
اليونانية الباقية من عصر الملوك ؟ قابلها بنقوش العصر الحجري المتوسط . ثَمَّ ابتاع
اليونان بنوع خصوصي اشياء مصنوعة ؟ ماذا تعرف عن هذه التجارة ؟ ماذا تعلم
اليونان منها ؟

٤٠

بماذا جاء الفينيقيون علاوة على السلع المصنوعة ؟ قل ما تعرفه عن الحروف الهجائية
الفينيقية . كيف وصلت الى اليونان ؟ ما هو اصل لفظة « ألفا بيتا » ؟ الى اين بلغت
حروف الهجاء الفينيقية ؟

٤١

صف اسلحة اليونان الاولى واسلوهم الحربي . ما هي العلاقة بين اعمال البطولة
والاغاني ؟ حرل آية حادثة تجبمت هذه الاغاني ؟ قل ما تعرفه عن هوميروس والقصائد
المنسوبة اليه

(١) كانت الديانة اليونانية نتيجة تطور طويل الابد ابتدأ في المراعي وبين الايجيين الذين ورث اليونان
بعض معتقداتهم ودام مرافقاً للتاريخ اليوناني

٤٣

ماذا كان تأثير اغاني هوميروس على الديانة ؟ ماذا تقول في الديانة اليونانية قبل ان
 ظهرت اغاني هوميروس ؟ هل اتى اليونان ببعض الآلهة حين دخلوا بلادهم الجديدة ؟
 اذكر اسماء اعظم الالهة اليونانية واذكر شيئاً عن كل منها . اذكر بالاسهاب معتقدات
 اليونان من جهة الاموات وعاداتهم في عبادتهم واماكن العبادة

الفصل الحادي عشر

عصر النبلاء والتوسع اليوناني في بحر الروم

٤٣

سقوط الملوك وزعامة النبلاء.

رأينا قبلاً ان المدينة اليونانية نشأت تحت تأثير عوامل شرقية . ولكن اليونان في تطوّرهم السياسي لم ينسجوا على المنوال الشرقي . ففي الشرق رأينا ان الممالك المدينة التي كانت الواحدة منها عبارة عن مدينة وضواحيها ، قد اتحدت اخيراً فتألف من اتحادها ائمتان عظيمتان احدهما على النيل والاخرى على الرافدين . واما في بلاد اليونان فخال دون اتحاد اليونانيين ، امة واحدة ، موانع قوية اخضاها تقسم البلاد الطبيعي بجبالها وخليجانها اقساماً متعددة مما جعل جواليها المختلفة منفصلة بعضها عن بعض فوق انفصالها عن مدائن اليونان الاخرى في الجزر واسبية الصغرى

وعلاوة على ما ذكر من العوامل المانعة للاتحاد ، نقول انه لم يبق ، حتى في اقدم تقاليد اليونان ، ما يذكرهم باتحادهم في سالف الزمان ايام كانوا لا يزالون في مراعيهم القديمة . وقد مرت عليهم الآن حقب طوال وهم عاشون جماعات منفصلة الواحدة عن الاخرى فنشأ بينهم من جراء ذلك ، عادات واهجات يختلف بعضها عن بعض كما هي الحال بين سورية ومصر . وكان كل من تلك الجماعات شديد الوأع بمدينة وائتمسك بعبادة آلهته حتى امسى اتحادها امراً مستصعباً جداً ان لم نقل مستحيلاً . وكان من نتائج هذا الانقسام انه وُجد في بلاد اليونان بعد سنة ١٠٠٠ ق.م عشرات من الممالك الصغيرة المستقلة التي كان كل

(٤٢١) عوامل
أخرى معاكسة
للوحدة الهلنستية

منها عبارة عن مدينة صغيرة وارباضها . واذا اضفنا اليها مدن الجزر واسية الصغرى بلغ عدد تلك الممالك مئات



الشكل ١٢٤

(٤٢٢) الاتحاد
الرابعي
ارغوس
وسبارطة

كان في
بلاد اليونان
اربع مناطق كل
واحدة منها
كانت مستقلة
بحدودها
الطبيعية -
كشبه جزيرة
سبارطة وشبه
جزيرة اتيكا -
(خريطة ١٣)

ومخالفة لسائر
المناطق الاخرى
في اتحاد مدنها
التي كانت قبلاً
ممالك صغيرة
مستقلة .
فتكرن من
مدن كل
منطقة منها

تمثل لنا هذه الصورة معركة بحرية قديمة في عصر الملوك . وتمثل لنا النصارى اليونانية التي على الكاس ، اشراف اليونان ايام كانوا لصوص بحر (قرصاناً) (ف ٤٢٧) . ورجال الحرب منهم مسلحون وهم في البحر كأنهم على البر . ولمعرفة شكل سننهم انظر (ش ١٢٥) وقد ادخل اريستونوس ، مصور هذه الصورة التي على الكاس ، اسمه فوق العلم الى جهة اليمين في الصف الاسفل حيث نوه بالحروف اولاً الى اليمين ثم تحرف الى اسفل . وهذه هي ترجمة الكتابة "ارستونوس عمل هذا" وليست هذه الكاس اقدم الكؤوس المضادة فقط بل في اقدم اعمال النصور في اوربا ايضاً وان كانت ليست في شيء من الانثان . وهي نرى ان المصور اليوناني كان يزداد اعجاباً بعمله . وتعد هذه الكاس من اقدم الادلة على الاستقلال الفردي في تاريخ اليونان نحو ٧٠٠ ق م

مملكة كبيرة . واقدم تلك المناطق عهداً هي ارغوس (خريطة ١٣) التي استولت على قلاع ميكاني وثيرنس وقلاع أخرى في جوارها وألفت الامة الارغوسية ودعت السهل الذي هناك باسمها . وتغلب ملوك سبارطة على شبيها الجزيرة الى الجنوب منها وعلى ارض الميسينيين الواقعة غربيها . فكان في حوزة مملكتي ارغوس وسبارطة جزء كبير من شبه جزيرة المورة (البلوبونيسس)

وضمت اثينا في شبه جزيرة اتيكيا ، جميع الممالك الصغيرة التي كان كل منها عبارة عن مدينة وضواحيها وبسطت سلطتها على كل شبه الجزيرة . وكان على حدود اتيكيا من الشمال منطقة بيوتيا . فهذه وقعت تحت سيطرة ثيبة . واما المدن الاخرى التابعة لبيوتيا فلم يكن اخضاعها في حيز الامكان فبقيت ممالك صغيرة مرتبطة بتحالف ترأسه مدينة ثيبة ولذلك لم يتألف في بيوتيا مملكة كبيرة . ولم يكن في بلاد اليونان اتحاد ثابت الا الاتحاد الاثيني الذي كانت ترأسه مدينة اثينا ، والاتحاد السبارطي الذي كانت ترأسه مدينة سبارطة . وبقيت في البلاد مدن اخرى مستقلة بذاتها . وعرفت الامة التي في شبه جزيرة اتيكيا بالامة الاثينية وتسلطت حكومتها على كل شبه الجزيرة . ودعي كل فلاح فيها اثينيا

(٤٢٤) التطور الداخلي لثورة اليونان

وبلغ اليونان حوالي سنة ٧٥٠ ق م درجة جديدة من الارتقاء في ادارة احكام مدنهم الصغيرة التي كانت كل واحدة منها مملكة مستقلة بذاتها خلافا لما كانت عليه الحال في الشرق . فان الشرقيين مها كانت تبلغ سآمتهم من احد ملوكهم فانها لم تكن تدفعهم الى اكثر من خلع الملك الذي سثموا ملكه ، وتنصيب آخر مكانه مع المحافظة على الحكم الملكي الذي لم يدر في خلد احد منهم الغاؤه

(٤٢٥) المدركة اليونانية والجهاد في سبيل الجمهورية

ونفض عامة الشعب اليوناني وجاهدوا قروناً عديدة لتحسين مركزهم وحالتهم الاجتماعية فكانت نتيجة جهادهم ، في بعض الممالك الصغيرة ، انهم نالوا نصيباً مهماً في ادارة الاحكام حتى صار يصح القول ان الحكم قد تحول عما كان وصار ديمقراطياً اي « حكم الشعب » . وكان اليونان اول شعب في العالم القديم حصل على هذا النوع من الحكم

(٤٢٦) قيام النبلاء المشتركون

ولم يكن الباعث على هذا الجهاد حكم الملوك الفاسد فقط بل ظلم النبلاء ايضاً الذين بلغت منهم القحة الى ان صاروا يهتضمون حقوق الفلاحين دون رأفة . وتمكن ذرو القوة واصحاب الدهاء . منهم من توسيع نطاق املاكهم بالخداع والاعتصاب والزواج والنفوذ الشخصي فصاروا اصحاب ثروات طائلة وعقارات شاسعة يتوارثها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل . ولقبوا انفسهم بالمشترعين

(٤٢٧) فتوة المشترعين الساسة والمحربية

وامتدت اراضيهم بضعة اميال حول مدنهم والقرى المجاورة لها . ولكنهم كثيراً ما كانوا يغادرون اراضيهم ويسكنون المدينة لكي يكونوا قريبين من الملك ويحصلوا على عضوية المجلس فيكون لهم نصيب في ادارة الاحكام . وكانوا على جانب عظيم من الجور حتى باتت اعضاء المجلس كلهم من طبقتهم . وفي زمن الحروب كانوا هم الذائدين بسلاحهم عن المدينة لان ثروتهم مكنتهم من اقتناء اثن الاسلحة كما مكنتهم ايام الفراغ من المراتة على حمل السلاح والتدرب باستعماله

(٤٣٨) ضعف
الفلّاحين ونبشاه
سالم

وكان الفرق بين سكان المدينة والفلّاحين القرويين عظيماً جداً . كان الفلاح مضطراً ان يقم اراضي العائلة بينه وبين اخوته فامست حقوله بهذه القسمة صغيرة وامسى هو فقيراً لباسه من جلد المعزى لا غير وكان يعمل طيلة نهاره ليقوم بجاجاته الضرورية . فلم يكن له متسع من الوقت ليتدرب على حمل السلاح بل لم يكن لديه شيء من المال ليبتاع به السلاح الضروري . ولذلك لم يحسب له حساب في الحرب . وكان يعد نفسه سعيداً اذا استطاع باجتهاده وكدحه المتواصل ان ينتج من حقوله الصغيرة ما يقوم بنفقة عائلته . وكثيرون من اولئك الفلاحين غرقوا في لجة الدّين وابترّتم النبلاء اراضيهم فامسوا فعلة فيها يعملون لسادتهم الاغنياء بل وصلوا الى حالة اسوأ من هذه فانهم باعوا انفسهم من دائنيهم ايفاء للدين فصاروا عبيد من اشدهم . ولم يكن للعبيد نصيب في الحقوق السياسية

ولاحق التصويت في المجلس

(٤٣٩) ضعف
المجلس

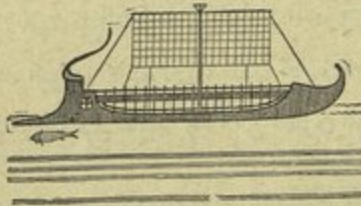
وكان الفلاح اذا رغب في ان يكون له شيء من النفوذ في المجلس يضطر الى المجيء الى المدينة لحضور جلساته . ولكنه متى حضر لم يكن يرى فيه الا عدداً قليلاً من القرويين رفقاءه اللابسين على ابدانهم جاود المعزى الوسخة . اما الطبقة الغنية التي كانت قوام هذا المجلس فكانت تلبس اغر الملابس الشرقية وتتفكّر اجمل الاسلحة البراقة التي تدربت باستعمالها

ولكن ما لبث هذا المجلس ان عراه الضعف بعد القوّة . فصار يجتمع فيه عدد قليل من الفلاحين القرويين وعدد اقل من اهل المدينة ثم هجره الفلاحون وعادوا الى حقولهم الصغيرة وضعف ميلهم الى الاجتماع فيه سنة بعد سنة قال امره الى التلاشي ولم يعبث النبلاء بحق عامة الشعب فقط بل تطاولوا على الملوك ايضاً فحسبوا انفسهم مساوين لهم لان الملك لم يكن في وسعه ان يثير حرباً بدونهم ولا ان يدير الاحكام دون مضافرتهم له . ونحو سنة ٧٥٠ ق م صارت وظيفة الملك في بعض الممالك اسماً بلا معنى . واذا كان الملك في بعض الممالك يخلع بالقوّة ، فقد كان النبلاء في معظمها ينتخبون من بينهم بعض الضباط ليديروا شؤون الحكومة التي كان امر ادارتها منوطاً بالملك نفسه . ففي اثينا عينوا منهم قائداً حربياً وارخوناً او حاكماً ليعاون الملك في ادارة اعمال المملكة . وبالتدريج جرد الملك ، بلا حرب ، من السلطة والنوذ الذين كان يتمتع بها فامسى مديراً للشعب في الشؤون الدينية . اما السبارطيون فاضعوا ملكهم بتعيين ملك ثان يشاطره السلطة . وهكذا احتفظت سبارطة بملوكها واما في الاماكن الاخرى فما جاء القرن الواقع بين ٧٥٠ و ٦٥٠ ق م حتى كانت وظيفة الملك قد زالت منها اجمالاً وان كانت في بعض الممالك

(٤٣٠) تهنر الملك
ورطام

الآخري قد دامت بعد ذلك وقتاً طويلاً . وكانت عاقبة هذا الجهاد السياسي والاجتماعي فوز النبلاء الذين قبضوا على أئمة الحكم في كثير من الممالك

(٤٣١) الاحتفاظ
بالخاطر المقدسة
في الصور القديمة



٢

١

الشكل ١٢٥ سفينة يونانية قديمة وسفينة فينيقية صنعت على شكلها

ان أقدم سفن بحر الروم أي المصرية كان معطوفاً من طرفيها إلى الأمام (ش ٢٠) وسفن
الايجهيين الأولى كانت على طرز السفن المصرية (ش ١١٨) ولكن الفينيقيين غيروا الشكل الأصلي
بأن جعلوا لمقدم سفنهم مقاراً ثابتاً تحت الماء . ونرى في هذه الصورة (١) سفينة منها ذات منقار
مقلوبة عن رسم ناني في قصر سخاريس ملك اشور الذي استقدم السفن الفينيقية لأغراضه . أما
اليونان فلم ينجحوا في بناء سفنهم على منوال الايجهيين الذين كانت سفنهم منعطفة من الطرفين بل
على منوال الفينيقيين فكانت سفنهم ذات مناقير ثابتة تحت الماء كما يشاهد في النماذج التي على
الكوروس المأخوذة عنها الصورة أعلاه (٢) . وهي صورة سفينة يونانية من القرن الثامن ق م .
رسمت هنا كاملة

وبزوال
المساوك
أخليت
القلمة
الملكية .
ولما مدت
اليها ايدي
الحضراب
حافظ
الشعب على
الاماكن
المقدسة التي
فيها وصانوا
الذخائر
الثمينه التي

ضمنها . واحترموا تلك الاماكن احتراماً شديداً كبنان مقدسة . ثم صارت هذه المباني
فيها بعد - كما سنرى في درسنا لفن البناء - هياكل لهم . وهكذا تحولت قلعة ملوك
اتيكا القدماء ، التي قامت على تل الاكروبولس باثينا ، الى هياكل مقدسة

٤٤

التبسط اليوناني في عصر النبلاء

(٤٤٣) بدء التجارة
وبناء المدن عند
اليونان

وحدث في عصر النبلاء تغيير آخر عظيم في الحياة اليونانية . فان التجار اليونانيين قبضوا
تدريجياً على ازمة التجارة البحرية . ولما كانت هذه التجارة تقتضي سفناً انتدبوا لبنائها اهل

الصناعة من اليونان، فنوها على النمط الفينيقي (انظر ش ١٢٥ A و B) ولم يكونوا يعرفون من اشكال السفن الفينيقية سوى هذين الشكلين . ولما دخل التجار الفينيقيون المواني الايجية وجدوها مكتظة بالسفن اليونانية . وكالت التجارة قد بلغت درجة مهمّة في المدن اليونانية على الشط الاسيوي شرقاً ، وفي اتسكا ويوبيا غرباً . وكانت في مقدمة المدن التجارية عند اليونان الاسيويين ، المدن الايونية . وبرع اليونان في الاسفار البحرية حتى صارت الطرق البحرية اسهل عليهم جداً من الطرق البرية

وكان حكم النبلاء الجائر الذي آل الى افقار الفلاحين عاملاً مهماً استفزهم ان يهاجروا الى اراض جديدة وراء العالم الايجي . ولم تنحصر التجارة اليونانية في البلاد الايجية بل امتدت الى البحر الشمالي العظيم الذي دعوه « بنطس » وهو المعروف بالبحر الاسود . وكانت مراكز اليونانيين التجارية بين جماعات اهل العصر الحجري في هذه الاصقاع البعيدة مما مهد السبيل لفلاحى اليونان ، غير القانعين بجاتهم ، للمهاجرة من بلادهم وتلك الاراضي الشاسعة في هذه البلاد النائية وبدء حياة جديدة . وقبل سنة ٦٠٠ ق م كانوا طوّقوا البحر الاسود بشراهم ومستعمراتهم وبلغوا الى الحقول الشاسعة على الدانيوب الاسفل ، والى معادن الحديد في بلاد الحثيين على الساحل الجنوبي الشرقي من البحر الاسود (ف ٣٦٦) . الا ان العبقرية اليونانية لم تترق في الاصقاع الشمالية القاحلة ولم تبد شيئاً من الانتاج العقلي الذي سنقف عليه في العالم الايجي . فبلاد بنطس مع انها صارت اهراء بلاد اليونان ومخازن لغلالها لم تتحف الحياة العقلية اليونانية بشيء اكثر من ضروريات الحياة الحيوانية

(٤٢٣) مستعمرات
يونانية في نواحي
البحر الاسود

وتصادمت قوأت سنجاريب (ف ٢٢١) ملك الشرق العظيم بقوة يونانية في كيليسية سنة ٧٠٠ ق م فتدارت الدائرة على اليونان وكانت نتيجة هذا التصادم الاول بين اليونان ودولة شرقية عظيمة ، وقف اليونان عن التبتسط شرقاً في السواحل الجنوبية من اسية الصغرى . وظلت قبرص اليونانية زمناً طويلاً ، اقصى مستعمرات العالم اليوناني شرقاً . واما في الجنوب فلتى اليونان في مصر صدوراً رجسة وأذن لهم ان يشيدوا بدلنا النيل مدينة متجرية سموها نوكراتيس ، (سيدة السفن) جدّة الاسكندرية . وأسسوا اخيراً غربي الدلتا ، القيروان (خريطة ١٤)

(٤٢٤) المستعمرات
اليونانية في الشرق
سنة الصغرى
المجموعه وفهرس

وصار الغرب المجهول اميركا اليونانيين المستعمرين الاولين . وكثيرون منهم حذوا حذو كولمبس فاتحموا البحر معرضين انفسهم للاخطار العظيمة طمعاً بالوصول الى بلاد غريبة عند اقصى حدود العالم حيث - على زعمهم - يعيش الابطال في جزر المغبوطين السعداء .

(٤٢٥) اكتشاف
الغرب

وكان تجارة اليونان اذا سرّحوا انظارهم من ساحل بلادهم الغربي الى جهة الغرب رأوا سواحل ايطاليا الجنوبية لانها لا تبعد عنهم اكثر من خمسين ميلاً . وكانوا حين بلوغهم اليها يدورون حول سواحل صقلية . ثم يتقدمون الى الغرب الذي كانوا يحسبونه عالماً جديداً . ومع ان الفينيقيين كانوا قد سبقوهم اليه (ف ٤٠١) فقد عدّوا اكتشافهم له امراً مهماً كما عد بعد ذلك اهل اوربا اكتشاف اميركا (انظر خريطة ١٤)

(٤٣٦) . مستعمرات
يونانية في الغرب -
ايطاليا الجنوبية

وفي سنة ٧٥٠ ق م بدت طلائع مستعمراتهم في العالم الغربي الجديد . ولم يمر عليهم قرن من الزمان حتى كانوا قد طوّقوا جنوب ايطاليا من العقب (الكعب) الى نقطة فوق ظهر القدم ^(١) وعلى مسافة من شمال نابولي ، فصار القسم الجنوبي من ايطاليا يُدعى « بلاد اليونان العظيمة » (انظر خريطة ٢٣) ولما كان اليونان في ذلك الزمان ارقى مدنية من الايطاليين ، كان تاريخ تمدن ايطاليا يبتدىء من دخول اليونان اليها لانهم أوّل كل شي اتوها بالكتابة والآداب وهندسة البناء والفنون (ن ٧٧)



(٤٣٧) صقلية
والغرب الاقصى

وعبر المستعمرون اليونانيون الى صقلية ايضاً وطرّدوا الفينيقيين من مراكزهم التجارية الا عند طرف الجزيرة الغربي حيث بقوا محتفظين بها . وشارك المستعمرون في الغرب اخوانهم

(١) ان هيئة بلاد ايطاليا كارجل البشرية او "الجزيرة"

في الوطن الاصلي بعلاومهم وآدابهم . فصارت سرقوسه عند الطرف الجنوبي الشرقي من الجزيرة . قراً للعلوم كما صارت معقلاً حصيناً بل امنع مدينة في العالم اليوناني . وأسس اليونان الغربيون في مَسِيْلِيَا (مرسيليا) ، على ساحل فرنسا الحديثة ، مدينة قبضت على ازمة التجارة من جانبي وادي الرُّون . وبلغوا سواحل بحر الروم في اسبانيا مندفعين اليها بجاذبية الفضة التي في معادن طرسوس

(٤٢٨) الاستعمار
قدماً في بحر الروم .
اختلاف جنسي .
المجلس الهندسي
الاوربي شاملة
والجس السامي
جنوبية

وتبسط اليونان في المهاجرة والاستعمار تحت حكم النبلاء ، حتى امتدت مستعمراتهم من البحر الاسود الى الساحل الشمالي من بحر الروم ، وكادوا يبلغون الى ساحل الاطلانتيني . فزرى في هذه الحركة الخطيرة جزء الجناح الغربي من الصف الهندي الاوربي مبسوطاً على طولِه (انظر ف ٢٥١) ولكننا في الوقت نفسه نرى الصف السامي ، بواسطة مملكة قرطاجنة الفينيقية ، قد بسط جناحه الغربي على الساحل الجنوبي من بحر الروم مقابل الشعب الهندي الاوربي على ساحله الشمالي . (ش ٨٣ وف ٤٠١ انظر خريطة ١٤)

وقد آل تبسط اليونان والفينيقيين (٤٠١) اخيراً الى تكوّن عالم عظيم في بحر الروم . ولكن لأية مدينة ستكون السيادة فيه ؟ المدينة اليونان ومستعمراتهم ام لمدينة شرقية تحملها السفن الفينيقية وتنشرها في الحافقين بواسطة مستعمراتها ؟ هذه هي المسألة العظمى . وجوابها يتوقف على كيفية نمو المدينة اليونانية وترقيتها في وطنها الاصلي اي العالم الايجي الذي نوجه اليه افكارنا الآن

(٤٢٩) عالم جديد
في بحر الروم

٤٥

المدينة اليونانية في عصر النبلاء

قد عرفنا فيما مرّ الاسباب التي ابقت الممالك اليونانية منفصلة بعضها عن بعض بجيولتها دون اتحادها امة واحدة (ف ٤٢١) . والآن نأتي الى ذكر العوامل التي حدثت الى الوحدة . ومن جملتها المباراة بالاسلحة والالعاب الرياضية التي نشأت عن عادة قديمة عند اليونان وهي تكريم ابطالهم عند دفنهم بإقامة مثل هذه الالعاب . ولكنهم صاروا فيما بعد يارسونها في اوقات معلومة معينة اكراماً للالهة . ومنذ سنة ٧٧٦ ق م شرعوا يحتفلون باعياد عمومية في

٤٤٠٦ . عوامل
باعتة على الوحدة .
الاعاب الرياضية

أولمبيا^(١) يارسون في اثنتائها تلك الالاب. ولما كانوا يارسونها مرة كل اربع سنين أولع بها جميع اليونان واشتركوا فيها

(٤٤١) عهد
المجالس الذهبية
للوحدة اليونانية

وصارت الديانة أيضاً عاملاً قوياً على الاتحاد لانه وجد عندهم آلهة كان اليونان عموماً يؤمنون هياكلها ويشتركون في عبادتها مما دعا الممالك المدنية اليونانية الى تأليف مجالس دينية يُختار أعضاؤها من المدن اليونانية المختلفة. وكان اولئك الاعضاء يجتمعون في اوقات معينة وبهذه الطريقة كان لكل مدينة صوت في ادارة الهياكل العمومية. فكانت هذه المجالس من اقرب السبل التي اختطها العالم القديم للوصول الى الحكم التمثيلي. وكان اشهرها المجلس الذي كان يُعنى بادارة الالاب الاولمبية، ومجلس حرَم ابُلون الشهير في داني (ش ١٣٢) ومجلس العيد السنوي العظيم الذي كان يُقام في جزيرة ديوس تكريماً له

(٤٤٢) تقوية
ربط السرحنة
بواسطة اللغة

وكان اعضاء تلك المجالس يتكلمون في اجتماعاتهم بلهجات يونانية مختلفة. ولكن كان الواحد منهم يفهم كلام الآخر. وكانت لغتهم المشتركة مساعداً قوياً على ربط سكان مدن اليونان الكثيرة المختلفة بعضها ببعض. وتوَلد في اليونان عاطفة جديدة وميل قوي الى الوحدة بتأثير الاغاني الهومرية (ف ٤١٣) التي كانت مألوفة عند كل يوناني - ارث مشترك يثقل جميع اليونان متحدنين على مدينة طروادة الاسيوية

(٤٤٣) السهارة
والهينون

ولما وجد اليونان انفسهم مرتبطين برُبط العادة والدين واللسان والتقاليد العمومية، توَلد فيهم الشعور بالوحدة الجنسية الذي افرزهم عن سائر الاجناس الاخرى فدعوا جميع من لم يجز في عروقهم الدم اليوناني «برابرة» دون ان يقصدوا بهذه التسمية امتهان من لم يكن يونانياً. ودعوا انفسهم «هيلينيين» وهو اسمهم الاول الشامل لهم كلهم. وكانوا يرتاحون الى الاعتقاد أنهم تسلسلوا من جد واحد هر هَلين. الا ان هذه التسمية الجديدة لم تدل على امة يونانية معروفة بل على مجموع شعوب او ولايات تتكلم باللغة اليونانية واكنها في الوقت نفسه كانت تثير حروباً بعضها على بعض

(٤٤٤) الرحلة
اليونانية بالتجارة

وكان عدم وجود الوحدة السياسية الذي تدل عليه حروب كهذه، ظاهراً تمام الظهور في الشؤون التجارية. فلم يكن لتاجر من احدى المدن حق من الحقوق الشرعية في مدينة اخرى غير مدينته حتى حياته لم تكن في امن. لانه لم تكن قد سنت بعد شرائع للمحافظة

(١) كل طالب من طلاب المدارس يعلم بان الالاب الاولمبية قد صارت عمومية الآن في الدنيا بأسرها

على حياة الغرباء . فلم يقدر احد ان يحصل على حق الحياة الا بالاستناد الى «الضيافة» ،
عادة البادية القديمة ، بشرط ان يثبت الغريب انه ضيف على احد سكان البلدة او المدينة .
ولا إضافة من لم يكن له صديق في المدينة يقبله في بيته ، كانت المدينة تعين احد ابناها
ليكون مُضيفاً رسمياً عنها . فهذه الترتيبات التي كانت مرعية في عهد خشونة الانسان
القديم هي بيئة على التعامل المحلي في كل مدينة يونانية . وكان العيب الشائن اكثر من
سواه في اخلاق اليونان كافة تقصير الولايات المختلفة في نسيان ما بينها من المنازعات المحلية
وارتباطها بمحافة عمومية او انضمامها أمة عظيمة تجمع شمل جميع اليونان

(٤٤٥) البناء
والعامة

وكانت المعيشة اليونانية في عصر الاشراف لا تزال خشنة ساذجة مع ما كان عليه اليونان
من سعة العيش وتردي الملابس الشرقية الفاخرة والتباهي بالشعور العارية الخافقة (ف ٣٩٩) .
ولم تكن المدن اليونانية التي سبق الائمة اليها الا مجموعات بيوت قذرة مبنية باللبن
العادي ، وشوارع ضيقة يضل فيها الساري ويده مصباح . وقامت على الرابية التي كان
مشيداً عليها قصر الملك او القلعة ، بناية من اللبن شبيهة بيوت المدينة التي تحتها وكان في
مقدم البناية سدة او سقيفة لها صف من الاعمدة الخشبية وسقف يستدق من اعلاه فيكون
شكل مثلث . فهذه البناية غير المتقنة كانت اول هيكل يوناني . واما النحاتة في هذا العصر ،
فيُعرف ما بلغ اليه اليونان فيها من انهم كانوا يصنعون تماثيل احد آلهتهم من قطعة خشب
يُنحت رأسه في اعلاها نحتاً خشناً ساذجاً ثم يلبس حلة اخفاء للخشونة

(٤٤٦) بدء كتابة
آداب اللغة . التقدم
الادبي . محبة الوطن

وفيا كان عدد الذين يقرأون لا يزال قليلاً في البلاد اجمالاً ، وُجد في بعض الاماكن
افراد كان لديهم نسخ من هوميروس يحسنون قراتها . وكان الناس في هذا العصر يرون
لاولادهم اساطير غريبة عجيبة يصورون لهم بها العجاوات تفعل افعال العقلاء . وكانوا
بجكايات كهذه ذات مغائر ادبية ، يوضحون لاولادهم ما يجب على الانسان ان يعمل وما
يجب عليه ان يمتنع عن عمله . فيستدل من هذا على ان اليونان شرعوا يفكرون في كيفية
التصرف او السلوك الانساني فلم تعد الكلمة اليونانية القديمة «فضيلة» تعني الشجاعة في
الحرب فقط بل الحنو وانكار الذات في معاملة الغير ايضاً . وبدت تتجلى الآن واجبات
المرء نحو بلاده بصورة العاطفة التي نسيها محبة الوطن . وعلم بعضهم ان السلوك القويم مطلوب
حتى من الآلهة

(٤٤٧) تحويل
الاهنام الادي من
الماضي الى الحاضر

انه لا امر طبيعي تحت هذه الاحوال ان ينشأ ضرب جديد من آداب اللغة لان اليونان
اخذوا الآن يدققون في امر انفسهم وتصرفهم الخصوصي . فان الذين كانوا يتغنون بالاشعار

في عصر هوميروس لم يبدو اقل اشارة الى انفسهم ولا قالوا شيئاً عن حياتهم بل كانت افكارهم بجمليتها منصرفه الى وصف اعمال ابطالهم ذوي البأس والشدة الذين كانت قد طوتهم العبراء منذ احقاب بعيدة. ولكن الزمان تغير فأخذت مسائل الحاضر تكون الشغل الشاغل لعقول الناس. ولما رأوا الفلاح المسكين يجاهد جهاداً شديداً حفظاً لكيانه (انظر ف ٤٢٨) شعروا بلزوم الاهتمام بجاجاتهم الزمنية واصبح امر الحياة الموضوع الحي المهم لديهم

(٤٤٨) هسيود
داوول نداء لاقامة
العدل الانجاعي في
اوربا

هجمت الاصوات التي كانت قبلاً تتغنى باغاني الابطال وطرق مسامع الناس اول صوت ارتفع في اوربا انتصاراً للمسكين والذليل فأشد هسيود الفلاح الحامل اغاني اباان بها معيشة الفلاح الكئيبة المحفوفة باليأس ومعيشته وهو يجاهد ليقوم بجمل ناء به منكيهاه . وروى كيف ان اخاه وضع يده على الاملاك التي خلفها والده كلها برشو القضاة ايسبتوا حق امتلاكها له . واتفق انه لما تفاقم جور الاغنياء المترفين من سكان المدن المنغمسين في الشهوات والملذات وارتفع لأول مرة في اوربا صوت المحتجين على طغيانهم ، كان العبرانيون في فلسطين واقعين في المأزق الحرج نفسه . فكان صوت هسيود المطالب بانقسط في الرعية كأنه صدى آت من وراء البحر يردد شكوى العبرانيين ، الا ان الجهر بوجود اجراء القسط والعدل كانت نيجته في فلسطين ديانة تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر لا قلب الحكومة المستبدة . وكانت نيجته في بلاد اليونان قلب الحكومة الغاشمة وتنظيم حكومة ديمقراطية . مكانها اي حكومة الشعب الذي ابى ان يبتى كالأذلين مقيماً على الحسب والضميم خانعاً للاقلية الطاغية . وسنتبع في الفصل التالي سير الاجتهاد الذي ادّى الى الحكومة الشعبية

مسائل

٤٣

هل كان شكل البلاد الطبيعي موافقاً لضم شمل اليونان كلهم واتحادهم اتحاداً سياسياً؟
كم اتحاداً مهماً نشأ بينهم؟ ستمها واشرح الاثنيين الرئيسيين منها . كيف اختلف تطور

الشرق السيامي عن تطور بلاد اليونان ؟ ماهي الديمقراطية ؟ اين نشأت اولاً ؟ ماذا كان موقف النبلاء تجاه الديمقراطية ؟ صف قوتهم السياسية والحربية ؟ كيف كانت حالة الفلاحين ؟ ماذا حدث للمجلس ؟ وماذا حدث للملوك ؟ وماذا لالماكن المقدسة التي في القصر ؟

٤٤

على أية قواعد بنى اليونان سفنهم الاولى ؟ قل ما تعرفه عن استعمار اليونان في الشمال والشرق . والجنوب والغرب ؟ اي جنس منافس لهم كان قد انشأ مستعمرات في الغرب ؟ الى اية درجة بلغ بذلك ؟ اي مدى بلغت التجارة البحرية بذلك ؟

٤٥

أين كيف أدت الالعاب الرياضية الى الوحدة ؟ ماذا كان موقف الديانة تجاه وحدة اليونان ؟ واللغة ؟ اي تسميتين نشأتا جديداً لليونان ولغير اليونان . ماذا كان موقف المدن اليونانية تجاه من لم يكن من تبعها ؟ صف اقدم الهياكل اليونانية ؟ هل كانت آداب اللغة والقراءة من الامور المألوفة عند الجمهور ؟ ماهي الافكار التي كانت آخذة بالنشوء من جهة السلوك ؟ اي تأثير كان لاهتمام الناس بامر انفسهم بدلاً من الاهتمام بابطالهم ؟ ماذا كان تأثير ذلك على آداب اللغة ؟ ماذا تعرف عن هسيود ؟ الى اي شيء كانت تتجه حاسات هسيود ومن لف لفته ؟

الفصل الثاني عشر

الانقلاب الصناعي وعصر الطغاة

٤٦

الانقلاب الصناعي والتجاري

ان تبسط اليونان الاستعماري العجيب مصحوباً بتقدم صناعاتهم في مدن الوطن الاصلي ادى الى تغييرات جوهرية مهمة لان المستعمرات الجديدة ، فضلاً عن حاجتها الخاصة ، كانت ذات علاقات تجارية مع داخلية البلاد زادت مع الايام . ففتح ذلك اقاليم متسعة الاطراف من اوربا صارت سوقاً للسلع اليونانية . وشرعت مدن اليونان الاصلية تقدم المطلوب من البضاعة على اختلاف انواعها . وكانت المدن الايونية المجلية في هذا الميدان كما كانت في غيره قبلاً . الا ان الجزر وبلاد اليونان الاصلية شعرت بالدافع الجديد ونزلت الى ميدان الجهاد التجاري فانبرت اولاً كورنثوس ثم تلتها اثينا للاشتراك معها في تعزيز التجارة التي كانت آخذة في النمو والتقدم . وقبل ان يمضي رده من الزمان صارت سفن الهلينييين تؤم جميع سواحل البحر المتوسط شمالاً وغرباً وجنوباً بشرق حاملة الى الجوالي الفاصية الساع اليونانية من معدنية وصوفية وخزفية . وكانت في عودتها تشحن إما مواداً او آية كالكهرباء او مواداً للاكل كالخنطسة والسماك او مصنوعات البلدان الاخرى كآنية البرنز من صنع الاترسكيين في شمال ايطاليا (ش ١٨١) فكان اليوناني اذا ذهب الى السوق السنوية التي

(٤٤٦) تقدم
اليونان في التجارة
والصناعة

تقام في جزيرة ديولوس او الى العيد السنوي يشاهد مصنوعات البرنز المجلوبة من اترسكا في الغرب والبسط الزاهية من الشرق مرتبة جنباً الى جنب

وبذل الصناع اليونانيون جهودهم في تحسين شغلهم تحسیناً يُذكر ، قياماً بطالب التجارة

(٤٥٠) تجرور
الصناعة اليونانية
من المؤثرات
الشرقية



الشكل ١٢٦ كاس اثينية من ازل القرن السادس ق. م. مزدانة بالصاوير

المتزايدة ومجارة لمنافسهم الفينيقيين في مضارها . فلم تكن الصنائع اليونانية في القرن السابع ق. م تظاهي صنائع الشرق في الجودة والاتقان بل كانت دونها بمراحل من هذا التيبيل . ولكن بعد سنة ٦٠٠ ق. م اخذ اليونان يتفوقون على اساتذتهم الشرقيين . ففي ساموس تعلموا صنع سبائك مجوفة من البرنز كاتي كان يسبكها المصريون . واتقنوا زخرفة الخزف بتصوير مشاهد وطنية عليه مأخوذة عن سير الآلهة والبشر . وقامت هذه المشاهد مقام الصور الشرقية التي كان منها ما هو نصف حيوان ومنها ما هو نصف انسان . (ش ١٢٦)

وعلى هذا النمط اخذت صنائع اليونان تتحرر من الاستعباد للشرق

(٤٥١) ادخال
اليونان للعبيد في
الصناعات

واضطرر اتساع التجارة كل يوناني ان يكبر دكانه الصغير الذي ربما لم يكن قبلاً اكبر من ان يقوم بلوازم دسكرة صغيرة . ولما لم يجد العملة اللازمين له عمد الى شراء العبيد وتربيتهم على العمل . ثم حوّل دكانه الى معمل يشتغل فيه عشرات منهم اذا مكنته احواله المادية من ذلك . واصبح عمل العبيد في المعامل منذ الآن امراً مهماً لا مناص منه في حياة اليونان الصناعية

هذه القطعة النفيسة التي برني علوها على ثلاثين قيراطاً وُجِدت في قبر رجل اترسكي بايطاليا (انظر خريطة ٢٣) في المكان الذي نقلت اليه من قبل صانعيها الاثينيين في زمان صولون (ف ٤٦١) . وقد كتب عليها اسم صانعيها الخزاف ارغوتيموس ، واسم الذي زخرها بالصور كليوناس الذي صور يده الماهرة الصاوير الاثينة التي عليها . ولمعرفة مقدار انتشار مصنوعات هذين الرجلين طالع ف ٤٥٢ . وهذه الصاوير دليل على تحرر المصور اليوناني من المؤثرات الشرقية واعتماده على خياله في تصوير مشاهد منقولة عن سير الآلهة والابطال . وقبل نهاية هذا القرن (السادس) كانت قد شرع مزخرفو الكؤوس يدهنونها اولاً كلها باللون الاسود ثم يدهنونها فوق الاسود باللون الاحمر . وهذا مكتمل من تحسين شغلهم كبيراً حتى صار اليونان احسن رسامي الدنيا . لاحظ هنا التقدم في غضون مئتي سنة (قابل النخل في هذه الصورة والتي في شكل ١١٩)

(٤٥٣) اعتاد
التجارة الاثينية

دخلت اثينا معترك الصناعة بعد جميع المدن الايونية بوقت طويل، ولكنها غلبت دخولها فازت فوزاً مبنياً لا يقل عن فوزها في مضمار الفنون والآداب والفلسفة والحرب. ولا بد ان معامل اثينا كانت بالغة درجة من الفخامة لم يبلغها معمل آخر في بلاد اليونان باسرها، لانه وجد ان نصف الكوروس اليونانية المزخرفة بالنقوش والتصوير التي اكتشفها المنقبون وعليها اسم صانعها، كان قد صنع في ستة من معامل اثينا. وما يزيد اعجابنا بقدماء الصناع الاثينيين وارباب الفن فيهم هو ان المنقبين عن الآثار في عصرنا، سواهم كانوا ممن نقبوا في قلب اسية الصغرى او في مقابر مدائن اترسكا بايطاليا (ش ١٢٦). قد اكتشفوا كثيراً من الكوروس ذات التصوير والنقوش وعليها اسماء صانعيها وناقشها الاثينيين الذين تشاهد اسمائهم ايضاً على كوروس وجدها المنقبون في دلتا النيل. فنرى من ذلك كله انه كان للصانع الاثيني صلة تجاوية ببلدان بعيدة تمتد الى العالم القديم

(٤٥٣) تحسين
السنن وتكبيرها

وتلبية لداعي التجارة التي كانت تتزايد مع الايام هب بشاة السفن من اليونان لبناء سفن جديدة اعظم من سفنهم القديمة ذات الحزمين مجدافاً. وكانت هذه السفن الجديدة شرعية تسير بقوة الرياح فقط (وقد سبق المصريون غيرهم الى هذا الاختراع) (ش ٢٩). وكانت ضخمة يتعذر جرها الى الشاطئ، كما كانوا يجرون السفن القديمة. فكان لا بد من بناء موانئ مصنونة من فعل الرياح، والاعتماد على مراسد دعت الحاجة الان الى اختراعها كما دعت حاجة السفن التجارية الى اختراع سفن حربية لحماية اولى السفن بين السفن التجارية والسفن الحربية. وتبججت كورنثوس بانها صنعت اولى السفن الحربية ذات الظهر وهو تحسين في بناء السفن ذو فوائد جمة. فانه يزيد مساحة السفينة ويسهل حركة رجال الحرب الذين فيها ويبقي المجذفين الذين في الطبقة السفلى منها لان اعتماد السفن الحربية كان في هذا الزمان على المجاذيف لا على الريح. فكانوا يرتبون المجذفين في ثلاثة صفوف كل ثلاثة منهم على مقعد ويبدل كل منهم مجداف. وبهذا الترتيب تمكنوا من زيادة القوة ثلاثة اضعاف دون اقل زيادة في حجم السفينة. وفي سنة ٥٠٠ ق. م. كانت هذه الاختراعات قد شاعت كثيراً. وهكذا اخذ اليونان، بما لديهم من المعدات البحرية الممتازة وبتحسّن صناعاتهم، يفوزون على الفينيقيين في اسواق البحر المتوسط

(٤٥٤) المعادن
الكريمة ولك
التفود في الشرق

وفي اثنا ذلك كانت الحياة التجارية اليونانية قد دخلت عصرًا جديدًا ابتدأ بادخال التفود المسكوكة. كان الايونيون من سكان داخلية اسية الصغرى يستعملون المعادن الكريمة وزناً لتأدية ديونهم عملاً بعبادة جرى عليها الشرقيون منذ القدم (ف ١٩٥) وكانت

وَحَدَّةُ الْوِزْنِ عِنْدَهُمُ الْمَنَّا الْبَابِلِيُّ • وَكُلُّ سِتِينَ مَنَّا (لَيْبَرَة) كَانَتْ تَسَاوِي وَزْنَ • وَكَانَتْ قِيَمَةُ الْوِزْنَةِ مِنَ الْفِضَّةِ ٥٦٢٥ فِرَنْكٍ ذَهَبٍ • وَبَعْدَ سَنَةِ ٧٠٠



ق ٠ م • بِأَمْدٍ يَسِيرٍ، شَرَعَ مَلُوكُ لَيْدِيَةِ بَاسِيَةِ الصَّغْرَى (أَنْظُرْ خَرِيْطَةَ ١٣) يَقْطَعُونَ الْفِضَّةَ قِطْعًا ذَاتَ وَزْنٍ مَعْيَنٍ وَحِجْمٍ وَقِيَمَةٍ مُتَنَاسِبِينَ وَيَطْبَعُونَهَا بِطَابَعِ الْمَلِكِ أَوْ الْمَمْلَكَةِ دَلَالَةً أَنَّ الْمَمْلَكَةَ كَافِلَةٌ قِيَمَتِهَا لِخَامِلِهَا • وَهَذِهِ هِيَ أَقْدَمُ أَنْوَاعِ النُّقُودِ الْمَسْكُوكَةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَنَا



وَاعْتَمَدَتِ الْمَدَنُ الْإِيُونِيَّةُ عَلَى هَذَا التَّسَهِيلِ الْجَدِيدِ فِي الْمَعَامَلَاتِ وَسَرَى اسْتِعْمَالُ النُّقُودِ الْمَسْكُوكَةِ إِلَى الْجَزْرِ وَيُونَانَ أَوْرِبَا • وَقَبِمِ الْإِيثِنِيِّونَ مَنَّا الْفِضَّةِ مِثَّةَ جِزْءٍ كُلِّ جِزْءٍ



(٤٥٥) استعمال
اليونان للمسكوكات
في أوائل القرن
السابع ق. م.



مِنهَا يَسَاوِي نَحْوَ خَمْسَةِ غُرُوشٍ ذَهَبٍ وَصَارَ الْجِزْءُ مِنَ الْمِثَّةِ مِنَ الْمَنَّا وَحَدَّةٍ الْقِيَمَةُ الصَّغِيرَةُ الْعَادِيَّةُ، وَلَا يَزَالُ وَحَدَّةٍ فِي أَقْسَامٍ كَبِيرَةٍ مِنْ أَوْرِبَا • فَالْفِرَنْكُ فِي فَرَنْسَا وَاللِّيْرَا فِي إِيطَالِيَا وَالْكُورُونُ فِي أَوْسْتْرِيَا • وَدَعَا الْإِيثِنِيُّونَ هَذِهِ الْقِطْعَةَ مِنَ النُّقُودِ «دِرَاخِمَةً» وَمَعْنَاهَا «قَبْضَةٌ»

الذكل ١٢٧ نماذج نوضع بداية سك النقود

لِأَنَّهَا كَانَتْ مَسَاوِيَةً لِقِيَمَةِ قَبْضَةٍ مِنْ «الْفِرْط» • وَالْفِرْطُ عِبَارَةٌ عَنْ قِطْعَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الْحَدِيدِ أَوْ النُّحَاسِ كَمَا يَسْتَعْمَلُهَا عَامَّةُ الشَّعْبِ • وَكَانَتْ قُوَّةُ الدِّرَاخِمَةِ الشَّرَائِيَّةِ قَدِيمًا أَعْظَمَ جَدًّا مِنْ قُوَّتِهَا الْآنَ لِأَنَّهَا كَانُوا فِي الْقَدِيمِ يَشْتَرُونَ بِهَا رَأْسَ غَنَمٍ وَبِحُمْسَةِ مَنَّا رَأْسَ بَقْرَةٍ • فَكَانَ الْمَلَّكُ إِذَا بَلَغَ دِخَالُهُ خَمْسَ مِثَّةٍ دِرَاخِمَةً (مِثَّةٌ رِيَالٌ أَمِيرِكِيٌّ) عُدَّ مِثْرِيًّا

هذه قطع بسيطة من الفضة كالتي كان يستعملها أهل الشرق قديماً (ق ١٩٥) ترقت بضبط الآلة الطابعية (السكة) وتشاهد على النموذجين ١ و ٢ علامة الآلة التي ارتكزت عليها قطع الفضة حين سكّت. وكانت السكة قبلاً مربعة الشكل ولكنهم جعلوها فيما بعد مستديرة. وصارت النقود المسكوكة بها كذلك. فالقطعة ١ وجهها فلس من ضرب مملكة ليدية والقطعة ٢ وجهها فلس من ضرب جزيرة خيوس (صافس) اليونانية (٥٠٠ ق. م). ومنها بين أن اليونان أخذوا مثال مملكة ليدية في سك نقودهم. والقطعة ٢ وجهها فلس من نقود كبرديوس (٦٥٠-٥٥٠ ق. م) نموذج السكة المربعة والقطعة ٤ وجهها فلس من نقود أثينا قديمة أربع درخمت (القرن السادس ق. م) وعليه صورة رأس الآلهة ويومنة وغصن زيتون (سكة مربعة) وتضمن هذه الكتابة الأحرف الثلاثة الأولى من اسم «أثينا»

وَكَانَتْ ثَرَوَةٌ قَدِيمًا تَقَاسُ بِمَا فِي حَيَازَتِهِ مِنَ الْعَقَارَاتِ وَالْمَوَاشِي • وَأَمَّا الْآنَ فَصَارَ النَّاسُ يَحْتَشِدُونَ الْأَمْوَالَ

(٤٥٦) قيام طبعة
من المايلين

بصورة نقود مسكوكة يتخذونها راس مال لهم ويعقدون قروضاً بفائدة معلومة . وهذه عادة مكسوبة من الشرق . وكانوا يحسبون معدل الفائدة السنوي ١٨ بالمئة . فالذين لم يستطيعوا قط ان يجمعوا ثروة من الزراعة اخذوا الآن يثرون . لان تقدم الصناعة والاقدم على الاسفار البحرية بغية الاتجار اوجد ثروات بايدي طبقة من السكان كانوا قبلاً مُعْدمين فكانت نتيجة ذلك ان قام من الطبقة الوسطى صنف من الناس تجار وصناع وطلبوا ان يكون لهم صوت في الحكومة . وما لبثوا ان صاروا من ارباب السياسة واهل النفوذ فاضطرّ النبلاء الى احترامهم . فاستغز ذلك صولون في مستهل القرن السادس ق م . الى الجهر بالقول ان الدراهم تصبر رجالاً

٤٧

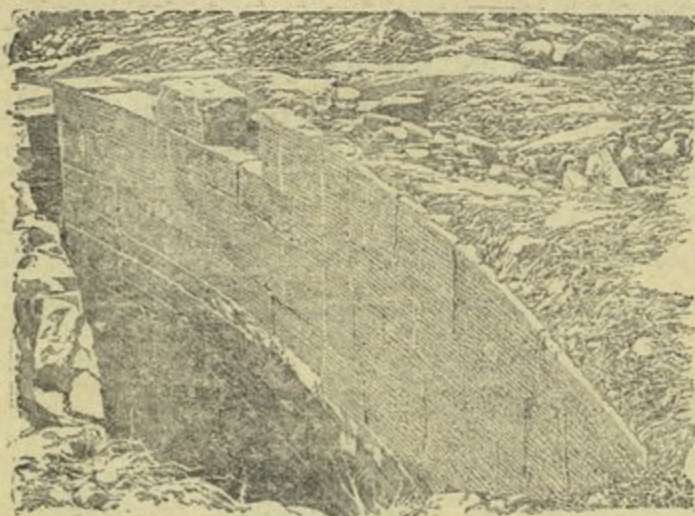
قيام المحكم الديمقراطي وعصر الطغاة

وفيا كان المليون يزدادون رقياً وفلاحاً كان الفلاحون يزدادون بؤساً وشقاء لانهم كانوا يستدينون الاموال من اربابها ويرهنون عندهم اراضيهم فاذا استحقت الديون وعجز الراهنون عن الايفاء في الآجال المضروبة غلقت الرهون فاستولى عليها المرتهنون وباعوا اصحابها عبيداً في بلاد اجنبية مالم يركنوا الى الفرار من بلادهم تخلصاً من هذا القضاء الجائر المبرم . وكان النبلاء انذين بايديهم زمام الاحكام يبذلون قصارى مجهودهم للانتفاع من ضعف الفلاحين وصغار المزارعين (ف ٤٢٨)

(٤٥٨) قوة الشعب
وقدم الطغاة

وقام في هذا الوقت اعداءُ جدد يناهضون النبلاء . وكان اولئك الاعداء من الاغنياء (ف ٤٥٦) ومن عامة الشعب الذين اصبحوا قادرين على اقتناء السلاح لرخصه . فارتفعت بذلك منزلتهم وزادت اهميتهم في الجيش خلافاً لما كانوا عليه قبلاً وهم عزل بلا سلاح . وما زاد في طينة النبلاء بلة قيام بعضهم لمناوأة البعض الآخر مما جعل اتحادهم مستحيلاً . وآلت المشاهدات بين الأسر النبيلة في كثير من الاحوال الى تشعث شملها وتقسمها احزاباً . وكثيراً ما كان رئيس حزب من النبلاء يظهر يملكه الى الشعب الساخط ومبادئه مرانياً او مخلصاً فيجعل نفسه زعيماً عليه . فينضوي تحت لوائه الفلاحون والتجار . وحين

كان يرى نفسه مردياً بهذه القوة لم يحجم عن التنكيل بخصومه من الطبقة النبيلة وطردهم من البلاد والاستئثار بالحكم بلا منازع



الشكل ١٢٨ اخرة دار المحكومة في غورثينا والشرائع اليونانية القديمة

والحاكم
الذي من هذا
النوع كان في
الواقع ملكاً
الآن أنه يختلف
عن الماوك
الأوليين في أنه
ليس من
الاسرة المالكة
لأنه اغتصب
الملك اغتصاباً
بالقوة الناشئة
فلم يكن له

(٤٥٦) الطاغية
والراعي العام نيو

موقع هذه النار في غورثينا بجزيرة كريت . وهي من آثار الجبل السادس ق م . مستديرة الشكل طول قطرها ١٤٠ قدماً . وفيها كان مجلس القضاء الاستثنائي . فإذا حكم على احد حكماً غير عادل كان المحكوم عليه يستأنف دعواه - اذا شاء - الى هذا المجلس فتبرى وتطبق على الشرائع المكتوبة حرراً على الجدار الحجري من داخل في اثني عشر عموداً . وتشغل هذه الكتابة ملك متحدث مساحة ١٠ امار وارتفاعها عن الارض معتدل بحيث يستطيع القارىء ان يقرأها كلها . وكانت هذه القوانين عادلة من جهة الدائن والمديون وقد حظرت على الدائن ان يبيع ادوات حرفة من اسرة ملكية . وفيها ثلث لنا صورة فكر الشعب او الميل العمومي في عصر صولون ملكية (ف ٤٦٣)

شيء من
الاحترام الذي
كان عادة
ملك متحدث
من اسرة
ملكية .
وكان الشعب

اذا قرأه بجويله واحسانه لا يشمر بوجود ولانه وامانته له . ولذلك كان مركزه غير مضمون الثبات . واصطالح اليونان على ان يستأوا حاكماً كهذا بالطاغية الآن انه لم يكن في هذه التسمية شيء من التحقير او المهانة في ذلك الزمان ، كما هي الحال الآن ، لان «الطغيان» لم يكن الا اسماً للمنيب السامي الذي كان حاكم كهذا . ومع ذلك كان الشعور الطبيعي العام في صدر كل يوناني ان الانسان تحت حكم كهذا ليس حراً ، ومن فتنك بطاغية كان يحسب بطلاً منتقداً لشعبه . وكان هولاء الطغاة مع سوء ظن الشعب فيهم ، حمة الديمقراطية

الذائدين عن حياضها . وكثيرون منهم كانوا يهتمون كل الاهتمام بمصالح الشعب ويُعنون كل العناية بالاشغال العمومية كتشديد الهياكل وبناء المرافق . وتنشيط الفنون الجميلة كالموسيقى والتصوير وفي سنة ٦٥٠ ق م . اخذوا يظهرن الواحد تلو الآخر . ولكن عصر الطغاة يطلق بنوع اخص على القرن السادس (من ٦٠٠ - ٥٠٠ ق م)

و كانت الشرائع في بلاد اليونان يتناقلها آئند الخلف عن السلف مشافهة مع انها في الشرق كانت قد كتبت منذ امد طويل (ش ٦٥) فكان من اسهل الامور على القاضي ان يعرج القضاء لمصلحة من يقدم له اكبر رشوة (ف ٤٤٨) فهب الشعب اذ ذاك يطالب بوجوب تدوين الشرائع الموروثة عن السلف في كتاب مخصوص (ش ١٢٨) وبعد جهاد طويل حصل الاثينيون على قوانين مكتوبة نسق موادها ورتبها رجل يدعى دراكر - وذلك نحو ٦٢٤ ق م . وكانت في منتهى التساوة حتى نسبت اليه فقيل شريعة دراكوية واتصل هذا النوع الى اللغات الارربية وصار مرادفاً للفظه « قاس »

وتصعب موقف اثينا من جراء تفاقم العداوة بينها وبين الحكومات المجاورة لها لان تجار مَقرا استولوا على جزيرة سلاميس المشرفة على ميناء اثينا فخمي غضب الاثينيين من جرى خسارتهم لسلاميس وعجز النبلاء عن استرجاعها . فقام فيهم رجل من نسل ملوك اثينا الاوين اسمه صولون كان قد جمع ثروة طائلة من مغامراته التجارية فاضرم نار الحماسة في صدور مواطنيه مستنهضاً همهم بايات حماسية من الشعر الى استنكار معرفة الحسارة فاسترجع الاثينيون سلاميس واصبح صولون معبود الشعب على اختلاف درجاته

و كانت النتيجة انتخاب صولون ارخوناً وتحويله السلطة المطلقة لاصلاح حال الفلاحين . ولما ان قبض على زمام السلطة كان اول عمل باشره الغاء الرهون العقارية وجميع مطالب الدائنين التي تمس حرية الوطنيين الشخصية . وكان صولون سياسياً مهنكاً فلما قام العامة يطالبون بتسمة الاراضي التي في حيازة النبلاء . قسمة جديدة ابى ان يلي طلبهم ولكنه حدد مساحة الاراضي التي يحق للنبيل اقتناؤها

وسن صولون قانوناً يخول كل من حكم عليه في دعوى كما حكم على هسيود (ف ٤٤٨) حق الاستئناف الى محكمة تحقيق ينتخب اعضاؤها من الوطنيين بالاقتراع على شريطة الا يكون الواحد منهم دون الثلاثين سناً . وبهذا الاصلاح وما ضارعه من الاصلاحات تحسنت حال الشعب لان كل فرد منهم امسى حاصلًا على حقوقه . وكانت

(٤٦٠) اقدم
الشرائع اليونانية
المكتوبة

(٤٦١) عرائس
اجنية في وجه اثينا

(٤٦٢) انضمامه
صولون ارخوناً
اصلاحاته المالية

(٤٦٣) قوانينه
صولون الجديدة

قوانين صولون كلها مكتوبة . وهي اول مجموعة قوانين يونانية . وقد اتصل بعضها اليانا في هذا العصر ولا يزال معمولاً به حتى الآن

وعلاوة على ذلك ، سنَّ صولون دستوراً جديداً جعل بموجبه لكل من افراد الشعب صوت في الحكومة . وكانت التغييرات التي طرأت اثر سنَّ هذا الدستور طفيفة . قسم الشعب اربع طبقات على نسبة الدخل وحُصرت الوظائف العليا بالنبلاء الاغنياء فقط وأجيز للفلاحين اذا شاؤوا ان يُعيّنوا في الوظائف الدنيا . وبموجب هذا القانون بقيت ادارة الاحكام بيد النبلاء . ولكن كان لافقر انسان في الشعب حق التصويت في مجلس الامة

(٤٦٤) دستور
صولون المجدد

ان صولون هو اول سياسي يوناني لدينا صورة حقيقية لاخلاقه . منتزعة من قصائده الخالدة . وقد امتاز باعتداله واصالة رأيه . وفيما كان الجميع يتوقعون له الانتظام في سلك الطغاة اذا هو يستقيل من منصبه بلا تردّد عند انتهاء المدة المعينة له ويتعيّب عن اثينا بضع سنوات لتكون في غضونها فرصة للعمل بموجب شرائعه

(٤٦٥) اعبار
صولون

وانقذ صولون اتيكا من ضائقة اجتماعية عظيمة ولكنه بالشرائح التي سنّها والاصلاحات التي اجراها منع اثينا من ان تنجح في الصناعة والتجارة . وفوق ذلك لم تحوّل شرائعه طبقة التجار المتقدمين التربع في دست الوظائف العليا في الحكومة فظاوا يجاهدون طمعاً بالوصول اليها . فشرائح صولون - وان كانت رفعت معرّة المهانة عن الشعب - لم تقدر ان تحلّص حكومة اثينا من تعديات الطغاة

(٤٦٦) قصير
شرائح صولون في
منع قيام طائفة في
اثينا

واخيراً قبض بيسستراتس ، احد اعضاء أسرة قوية من النبلاء ، على اعنة الحكم في اثينا . وكان في احكامه حازماً . وفقاً فشدّ ازره كثيرون من اهل اثينا واخلصوا له . وبني اسطولاً حروبياً مؤلفاً من ثمان واربعين قطعة . واستولى على مدخل الدردنيل . فكان في عمله هذا نفع كبير لاثينا فيما بعد لانه جعل في يدها مدخل البحر الاسود . وازدهرت الصنائع والتاجر في اثينا ازدهاراً لم يسبق له مثيل ولما مات بيسستراتس (في نفس السنة التي مات فيها كورش الفارسي ٥٢٨ ق م) كان قد وُضع الاساس الذي بني عليه معظم العظمة التي بلغتها اثينا فيما بعد

(٤٦٧) استراتس
طائفة اثينا

وهما كان عليه هبارخوس وهيباس ابنا بيسستراتس من الدهاء والمقدرة لم يستطيعا ان يتغلبا على تحامل الشعب على حاكم لم يقلدوه السلطة . ومن اقدم مجالي محبة الوطن اليونانية

(٤٦٨) منيرط
ولدي بيسستراتس

انفجار بركان الحماسة في اثينا حينما هبَّ شابان هرْمُودِيوس وارسْتُوغيتن (ش ١٣١) وضجيا بجياتيها وقتلا احد الطاغيتين هپارخوس واما هيباس الطاغية الآخر فاضطرَّ ان يلوذ بالفرار ويسلم . وهكذا تحررت اثينا من طغاتها بعد سنة ٥٠٠ ق.م. بقليل

(٤٦٦) اصلاحات
كلستينس تحط من
قوة النبلاء

وصار الشعب الآن قادراً بمساعي كلستينس ، احد النبلاء ، وصديق الطبقات الدنيئة ان ينال قوَّة جديدة لمناوأة النبلاء . فانه ابطل القسمة القديمة المبنية على قاعدة القرابة الدموية وجعل مكانها قسمة مبنية على الفوارق المحلية . فزق شمل العشائر النبيلة وعيَّن قطعها في محلات مختلفة حيث كرتوا اقلية . فكان هذا سداً حائلاً بينهم حتى لا يتمكنوا من العمل معاً وبذلك خضت شوكتهم

(٤٧٠) الصلبي
الاقتراع

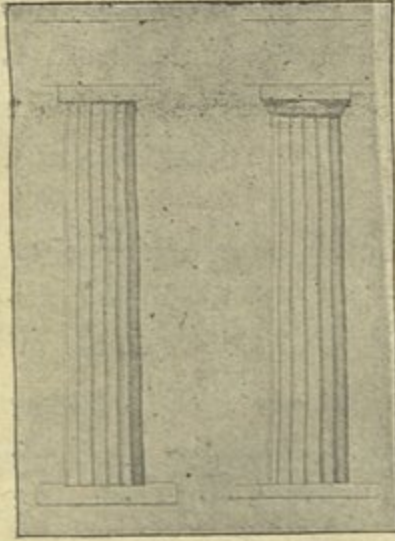
ومنعا لقيام طاغية آخر سنَّ كلستينس قانوناً يحوّل الشعب مرةً في كل سنة حق التصويت لابعاد اي شخص اوجسوا منه شراً على الحكومة مدة عشر سنين . وما على الواحد منهم الا ان يلتقط شقنة (قطعة خبز) عن الارض ويكتب عليها اسم الشخص المستحق الابعاد ثم يلقيها في وعاء الاقتراع . وبما انهم كانوا يكتبون الاسم على شقنة ، فقد صاغوا منها في اليونانية فعلاً عنوا به نبي المرء لتعطيل خططه السياسية . وبهذه الوسيلة وسواها حصلت اثينا نحو سنة ٥٠٠ ق.م. على نوع من الحكومة أعطي فيها الشعب درجة عالية من السطة اي ان الحكومة كادت تكون ديمقراطية مضمرة

(٤٧١) انواع
سبارطة . ماسيس
العصبة السبارطية

وكانت سبارطة في اثناء ذلك قد بلغت درجة عالية من السرّدد . فان السبارطيين قاموا باعمال عسكرية عُقد لهم فيها الفوز فدان لهم ثلث شبه جزيرة المورة . وكانت عاقبة ذلك انهم قبل حاول سنة ٥٠٠ ق.م. كانوا قد اكرهوا الحكومات المجاورة لهم على عقد تحالف (العصبة السبارطية) ضمَّ كل شبه جزيرة المورة . وكانت سبارطة ، زعيمة هذه العصبة ، اقوى حكومات اليونان . ولما لم يكن في سبارطة صناعات لم يقيم فيها كما قام في غيرها طبقة من اغنياء التجار قلبوا للنبلاء . ظهر المجن وقذفوا بهم من حالي مجدهم ومهدوا السبيل لقيام الطغاة . فلماذا السبب واسباب أخرى نجت سبارطة من قيام طاغية يتولى زمام الحكم فيها . وكانت تنظر الى ديمقراطية اثينا الراقية بعين الحسد والسخط لانها كانت مناوئة لهذا النوع من الحكم ، حكم الشعب . واقامت ملكين يحكمان في وقت واحد إضامافاً لهما بقسمة السلطة بين اثنين

٤٨

مدنية عصر الطغاة



١

الشكل ١٢٩ عمود مصري قديم والعمود
الدوري المنقول عنه

٢

(٤٧٣) بنا. الرعامه
الاجتماعية بايديه
النبلاء . الالعب
الرياضيه

وظلّ النبلاء قابضين على زمام الزعامه
الاجتماعية مع ما كان عليه العامة من زيادة
القوة والنفوذ . كيف لا وهم منشئو الهيئة
الاجتماعية ولهم التقدم والامتياز في جميع
الاحتفالات العامة . وكان اولادهم قبلة
انظار الجماهير المحتشدة للتفرّج على المتبارين
في الالعب الرياضية (ف ٤٤٠) . ولذلك
كان الاغنياء منهم يُنزلون الى ميدان سباق
المركبات اشدّ خيولهم جرياً لاحتراز
قصب السبق ومدائح الشعراء الذين كانوا
يصوغون قلانداً اقريض ليطوقوا بها اجياد
الفائزين (ف ٤٧٤)

(٤٧٣) التهذيب
والموسيقى

وكان الشبان ينفقون معظم ساعات
النهار في مزاوله الالعب الرياضية ولكنهم
مع ذلك لم يكونوا يجمعون عن تعلم
الكتابة . اما المرأة فلم يكن لها قسطها
من التهذيب ولا شركة في حياة الرجل
الاجتماعية . وكان من اعظم مواطن الضعف
في المدنية اليونانية حظُّها على المرأة
التدخل في شؤون حياة الامه . وكان
تهذيب الشبان يُعدُّ ناقصاً . سالم يتقنوا
فنّ الموسيقى . ولذلك عُنت الامه بتعاليمه
لهم ولا سيما في عصر الطغاة الذي ترقّت

اندم اشكال الاعمدة التي استعملها اليونان كرت
اسطوانة مضلعة او مقلّدة (٢) تشبه ايسط شكل (١) ووجد
في مصر وتاريخه نحو ٢٠٠٠ ق.م. الآات اعمال الحفر
والنقش في سفارة بيجوار القاهرة كشفت لنا عن اعمدة
مضلعة فاخرة تاريخها نحو ٢٠٠٠ ق.م. ولا يمكن ان تقع
العين عليها الا ويشعر رائيتها بقيمتها العظيمة ومهارة ناحيتها
ولم يأخذ اليونان عن مصر فكرة تنظيم هذه الاعمدة فقط
بل اخذوا عنهم ايضاً شكل كل عمود منرده . ولكنهم زادوها
انفاناً وجمالاً بوضعهم تيجاناً على رؤوسها وناقنهم في فئتها .
اما في الشرق الاسيوي فلم تستعمل هذه الاعمدة حتى
ادخلها اليو الفرنس (ش ١١٧)

فيه الموسيقى حتى صارت علماً قائماً بنفسه ووضع لها علامات مخصوصة بمثابة حروف الهجاء لآداب اللغة . واخذ اليونان عن الكريتيين الآلة المعروفة بالفلوت كما اخذها هولاء قديماً عن المصريين . ونظّم اليونان اجواقاً من صبياتهم وبناتهم كانوا يتغنون معاً على صوت الفلوت او القيثارة او الاثنين معاً

(٤٧٤) النمر
الفناني، هذا لروصانو



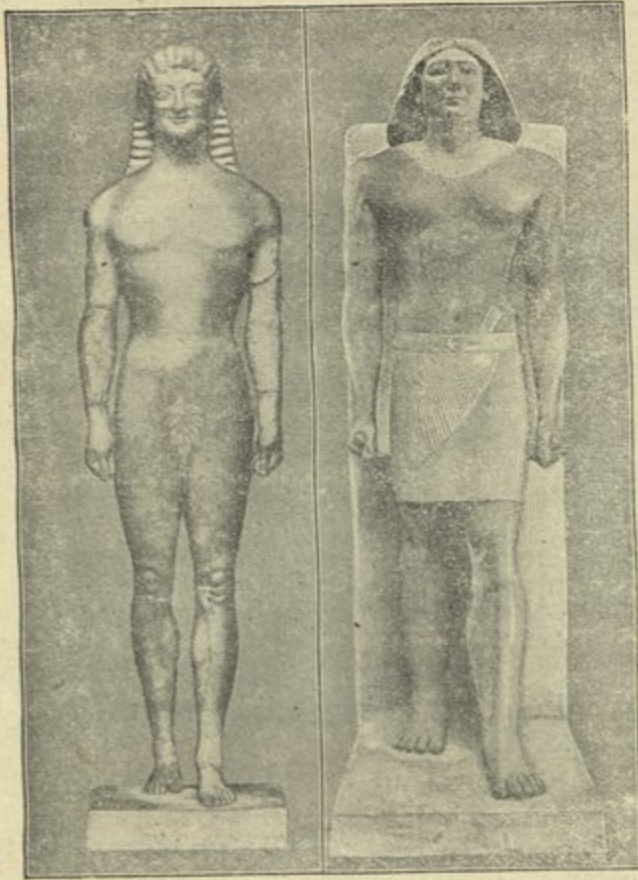
النكل ١٢٠ اثر تذكاري لفناني الطاغيتين في اثينا هرمودوس
واريستوغين كما يرى من مرقنين

على مفدرات اربوس باغوس (س ١٢٩) المطلقة على السوق العمومية نصب الاثينيون هذا الاثر التذكاري الذي يمثل لميون الناظرين هيئة هذين البطلين الشاين اللذين ضحيا بحياتهما حين عمدا الى قتل ابي بسترانس الطاغيتين (٥١٤ ق.م) (ف ٤٦٨) ولما هب الفرس هذا الاثر بعد معركة سلاميس، اقام الاثينيون آخر منلة في مكانه بدلاً منه. الا ان الاسكندر الكبير او احد خلفائه اعاد التمثال المنهوب من بلاد الفرس فنصب بجانب خنوب . وهذه الصورة نسخة عتيقة من الرخام يرجح انها نالت عن التمثال الاحداث عهداً

وانفعالاتهم الشديدة . فكان لكل منهم مندوحة لان يصور بالشعر ما يخالف فؤاده من العوامل المختلفة فنجم عن ذلك ترانيم قصيرة كل منها يمثل عاطفة من عواطفه . وربما كان يتدار الشبي اعظم اولئك الشعراء . وكانت صافو الشاعرة بل اعظم شاعرة برزت على مسرح هذا الوجود ، ومنشدة من اعظم المنشدات في عصرها واقدم سيدة نالت شهرة خالدة في آداب اللغة

وكانوا يحبون الاغاني ذات القرار . فهذه كان يتغنى بها القرويون في حفلات اعيادهم

وكان
للموسيقى تأثير
عظيم في آداب
هذا العصر
بدليل ان
الشعراء اخذوا
منذ الآن
ينظمون الاغاني
لكي يترنم بها
الناس على صوت
القيثارة . وصور
الشعراء في
منظومتهم
احوالهم
ورغائبهم
واحلامهم
وامانيهم



التمثال ١٣١ تمثال يوناني قديم ودرسم التمثال المصري الذي كان له تأثير على صانع التمثال اليوناني

التمثال المصري (٢) أقدم من التمثال اليوناني (١) بأكثر من ألفي سنة يرى التمثال (٢) وهو أحد الذين زورنا دسأكرم على النيل (ف ٨٢) وأثناء الوقفة الاعتيادية في صور كهذه في الصناعة المصرية أي الذراعان مدلان إلى أسفل والرجل اليسرى مقدمة قليلا إلى الأمام وفي الصورة اليونانية (١) نشاهد الوقفة نفسها . والرجل اليسرى إلى الأمام قليلا . وكلا التمثالين ناظران إلى الأمام في خط مستقيم كما كانت الحال قبل ترقى الفن . وتدل الصورة اليونانية دلالة واضحة على تأثير الفن المصري

(٤٧٥) تحوّل
الآغاني القديمة
إلى روايات تهيبة

الريفية (ش ٩٩) وهم سائرون في مواكب تظم عددا كبيرا من الرجال اللابسين على ابدانهم جلود معزى وعلى وجوههم براقع مسدولة . وبعض تلك الآغاني كان يتزعم بها الجوق ومديره بالتناوب . ومن الشعراء الذين جادت قرائنهم بتلك الآغاني ستيسيكروس الصقلي . فإنه نظم عددا من تلك الآغاني التي ضمتها حكايات عن الآلهة كماوردت في اساطيرهم . وكان المدير ، بمركاية الرشيقية ، يفتبر للحضور ما تضمنته

تلك القصص من المعاني والمغازي . فاصبح بذلك ممثلا ورائد ممثلي هذه الايام . وحسين كان

يحضر مدير ثانٍ مع المدير الاول كانت تقع بينهما محاوره تمثيلية والجوق قائم بعمله فنشأ عندهم نوع من التمثيل الروائي الغنائي كان يقوم به الجوق بمساعدة اثنين آخرين من الممثلين . وسمى اليونان هذا الضرب من التمثيل مأساة (تراجيدي) اي رواية المعزاة لان الممثلين كانوا في اثناء التمثيل يتكفرون بلبس جلود المعزى . وكانت حفلات الاعياد التي كانوا يعقدونها في العراء اساس المراسح اليونانية فيما بعد

(٤٦٧) عن البناء

وكان للطغاة شغف شديد بفن البناء . نجم عنه تقدم عظيم في تشييد المباني . وكانت منازل المدن اليونانية ومباني الحكومة حتى بدء عصر الطغاة مبنية باللبن لان المباني الحجرية كالتي شاهدناها في مصر لم تكن معروفة في اوربا منذ عهد الايجيين . واما في هذا العصر فان جميع الهياكل التي كانت مبنية باللبن قد جدد الطغاة بناءها بالحجر الكلسي وشيدوا مقدم هيكل ابولون في دلفي من رخام نقي

ولم يشيد من الهياكل في عصر من العصور ، في العالم اليوناني باسره ، لا قبل عهد الطغاة ولا بعده ، ما شيد منها في ايامهم ولا يزال بعض الهياكل في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ماثلاً حتى الآن يتجلى فيه جمال البناء اليوناني وبساطته قبل عهد ارتقائه . فبدلاً من العُمد الخشبية التي كانت شائعة الاستعمال في عصر النبلاء صاروا يحيطون الهياكل بصفوف من عُمد الحجر البسيطة على النمط المعروف بالدوري نسبة الى الدوريين (ش ١٢٩) . ومع ان بنائي عصر الطغاة قد اخذوا فكرة تنسيق هذه الاعمدة عن المصريين ، فاننا نراهم قد دأبوا في تحسينها حتى صارت اجمل ما ابدعته ايادي النحاتين والبنائين الاقدمين قاطبة . وكانت الهياكل اليونانية تدهن باللوان الزاهية كهيكل اهل مصر

(٤٧٧) التمدد

وكانت الهياكل مزدانة عند اطراف جدرانها المثثة بصور الالهة منقوشة نقشاً ناتئاً ومنسقة في مشاهد تدل على حوادث معلومة جاءت في اساطيرهم . وكان النحات اليوناني في بادى امره ينجح تماثله متحدياً الصور الشرقية النائفة ولكنه صار بعد هذه يصنعها مستقلاً عن كل تأثير شرقي فتجى آية في الجمال الحقيقي (ش ١٣١) ولكنه في نمطه تماثيل الفاترين في الالعب الرياضية كان للصور المصرية النائفة التي كان قد رآها قبلاً تأثير كبير عليه . وقد كانت صورة الاولى المنقوشة في الحجر بلا هندام ولا جمال (ش ١٣٠) . ولكن نحاتي اليونان لم يقفوا عند الدرجة التي بلغوها اولاً بل تجاوزوها الى ما هو ارق وحاولوا صنع نوع من الشغل لم يحظر قبلاً في بال احد في الشرق . وقد صنعوا اثرأ تذكاريأ ضخماً من البرنز للشابين الذين بادرا الى تحرير اثينا من تسلط ابني بيستراتس . وكان هذا الاثر جامعاً لتمثالي

الشابين معاً على شكل يمثلها للناظر حين مهاجتها للطاغيتين . وهذا الاثر وان كان يبدو عليه شيء من الحشونة القديمة ، فإنه يُرينا تقدماً يُذكر للنحاتين في كيفية اظهار حرية الحركة والعمل على الجسم الانساني ان منحوتاً او مسبوكاً (ش ١٣١) وتقدم المصريون في هذا العصر تقدماً يضاهاى تقدم النحاتين . فان كوثوس هذا العصر معرضٌ عجيب للمشاهد الجميلة المأخوذة من العيشة اليونانية التي تعيد الينا ذكرى ما رأيناهُ من مشاهد العيشة المصرية قبل ذلك بالفين وخمس مئة سنة - تلك المشاهد العجيبة في معابد القبور بوادي النيل

يستدلُّ من آداب اللغة ومن فن التصوير على ان يوناني هذا العصر اصبحوا يهتمون اكثر ممّا كانوا يهتمون قبلاً في كيفية الساوك الذي يجب ان يسلكوه ولا سيما ما تعلق منه بأسر الحرام والحلال بحيث صار التمييز بينها واضحاً تماماً ، وغدوا لا يصدقون ان الآلهة تعيش العيشة الشريرة الموصوفة في اغاني هوميروس . وكان لامانة المرأة وشرفها مثلة سامية لدى استيسيخورس حتى انه لم يقدر ان يصدق الحكاية التي تعزو الخيانة الى هيلانة الجميلة فرواها في اغانيه بأسلوب آخر . والناس في الجملة صاروا يشعرون بان زفس ورهط الآلهة الاولمبية يجب عليهم ان يسلكوا بالاستقامة والحق وبان البشر قاطبة يجب ان يسلكوا هذا المسلك لانهم صاروا يعتقدون ان عتاباً شديداً سيقع في العالم الآتي على جميع عمّال الاثم . واصبحت الهاوية مكان تعذيب الاشرار الذين كان سربيروس (كلب هائل بثلاثة رؤوس) خنزيراً عليهم . وسربيروس هذا هو احد الحيوانات التي ازلع بها الشريقون للخفارة واقدم مثال لها ابو الهول في الجزيرة

(٤٧٨) قرني روح
النحور بالحلال
والحرام . الغناب في
العالم الآتي

وكما قالوا بوجود مكان لتعذيب الاشرار قالوا ايضاً بوجود مكان لاثابة الابرار في العالم الآتي . وبناء على ذلك كان الكهّان يمثّلون في هيكل الوسيس فصلاً من حياة ديمتر وديونيسوس على الارض امام المقبولين في الديانة . وكل من نظر اليها وعدّها من الغوامض أثير بالحياة الخالدة ورخص له بالدخول الى جزر المغبوطين التي لم يكن يقبل فيها قبلاً سوى الابطال الاولين

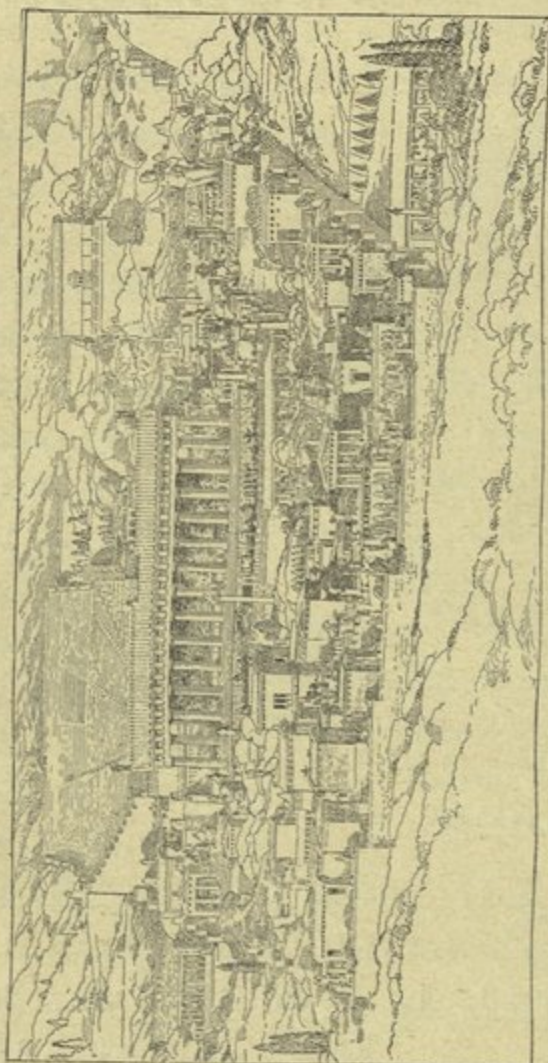
(٤٧٩) العادة
المستفلة غلامس
الوسيس

وصار الناس يوجهون انظارهم الى الآلهة اكثر من قبل لكي يعرفوا مستقبلهم في هذه الحياة وكانوا في كل مكان يعتقدون ان صوت ابّلون يعان للخلق نتائج اعمالهم قبل الاقدام عليها حتى صار مزاره في داني المركز الديني الوطني الذي كان يؤمّه العالم اليرناني بأسره للاستشارة

(٤٨٠) العرانة

(٤٨١) طالهر
 وأبناؤه بانخوفه
 (٥٨٥ ق.م)

وقام بعض المفكرين واخذوا يشذون المعتقدات الاولى خصوصاً ما تعلق منها بالعالم وإدارة الآلهة له٠ وكان سكان المدن الايونية في مقدمة المفكرين بهذه القضايا الجديدة كما كانوا زعماء التجارة في بلاد ايجة امدًا طويلاً ولاتصلهم الدائم بصر والمدن الفينيقية، تعلموا



الشكل ١٢٢ ترميم من في دلفي

صار هذا المكان معداً قريبا لليونان يخلف الناس اليو من يونانيين واجانب ليهيوا وهي اليون الجبل منذ القرن السابع ق.م (٤٨٠) وقد جدد بها هيكل البورت مرارا على النمط الدوري . ويرى الهيكل في النسخة المصورة سابقا الى العلاء . وقد انشئت طريق متعرجة صعدا من الزاوية اليمنى السفلى . وكان على جانبيها عدد من خزائن تادم اليونان وتدرج للاه العظم - تماثيل وتذكارات النصر وكثير منها مصوغ من ذهب وفضة قدسها ملوك ومالك وانفراد . وقد وجد ان غلام اثنان كان شوتا على اصحابها لايها كانت مطبخ لانتظار واخيرا تبها الرومان . ولكن وان يكن زعمون (٥٤١ - ٦٨٠ م) قد نقل منها خمس مئة تماثيل فقد كانت الباقي منها في البلاد ايام تاروا بليزوس ، بعد ذلك بسنين قليلة ثلاثة الاف تماثيل . واخذ الرومان من هنا ك التسطيطية قدسها من ركيزة مثلية القوائم ليرتفع بها المدينة ويشاهد ذلك في (ش ٢٢٠)

مبادئ الرياضيات والفلك بحسب معرفة اهل الشرق لها . وقام احد المفكرين منهم ونصب ساعة شمسية مصرية (ش ٥٣) . وكان في ميليس ، سيدة المدائن الايونية ، سياسي قدير يدعى طاليس فهذا ساح كثيرا في العالم الذي كان معروفا في زمانه ، وحين كان في بابل

أخذ عن علمتها جدولاً بارصاد الاجرام السماوية . وكان البابليون قد تعلموا من جداول كهذه ان الكسوف يقع في فترات دورية (ف ٢٤٧) . فتمكن طاليس بما في يديه من هذه الجداول من معرفة الوقت الذي يقع فيه الكسوف التالي فانبأ اهل ميليتس بوقوعه وعين زمانه فلما وقع في الوقت الذي سماه طارت شهرته



خريطة ١٥

العالم (٥١٧ ق. م.) كما عرّف هفاناثيوس

كان قبلاً نسر زفس قابضاً على زمام الحكم . ولما ساح طاليس في بلاد الشرق ورأى مبانيه الفخمة التي من جملتها اهرام الجيزة وكان قد مرّ على بنائها اكثر من التي سنة ، ادرك حالاً ان الآلهة لم تكن قبل زمانه ببضعة اجيال تجول في الارض . وهذه الحقيقة نفت الآلهة من الزمان الماضي كما نفتهم من بدء العالم

وقام رجل آخر من ميليتس - ربما تلميذ طاليس - وابان اصل الحيوانات مدّعياً ان الصور العليا منها نشأت من الصور الدنيا بطريقة شبيهة بنظرية النشوء والارتقاء الحديثة . ودرس هيئات البحار والبلدان ورسم خريطة العالم . وهي اقدم خريطة للعالم معروفة لدينا . نعم كان عند المصريين والبابليين قبل ذلك خرائط كثيرة لكنها كانت صغيرة الحجم

لم يكن الانباء بوقوع كسوف ، وقد سبق اليه البابليون (ف ٢٤٧) ، بالامر الخطير جداً بالنسبة الى ما عقبه من النتائج المهمة في عقل طاليس . فقد كان الناس يعتقدون حتى قيام هذا الفيلسوف ان علة الخسوف والكسوف وسائر الاحداث الجوية هي غضب احد الآلهة غضباً مؤقتاً . اما طاليس فنادى على رؤوس الاشهاد ان حركات الاجرام السماوية خاضعة لنواميس طبيعية مقررة . وهكذا اخرج الآلهة من دائرة التسلط على العالم الجوي حيث

٤٨٢٦ ، التاموس
الطلمي ضد الآلهة .
بروغ شمس العلم
والفلسفة
الابونان

٤٨٢٦ ، المجرانية
الانوية والشارح

تحتوي فقط على رسم بعض اقسام الارض . وبعد ذلك قام في ميليتس رجل من علماء الجغرافية اسمه هقاتايوس اءمن في السياحة في الارض التي كانت معروفة في عصره . فجاء مصر وساح في وادي النيل وأف كتباً في جغرافية العالم جاعلاً البحر المتوسط مركزاً كما جعل في الخريطة المذكورة أنفأً وكانت البلاد المحيطة به وعلى امدٍ قريب من ساحله كل ما كان يعرفه المؤلف من الارض (انظر خريطة ١٥) وأف هقاتايوس تاريخاً سده أساطير اليونان القديمة وأصنعت حكايات الاجيال الغابرة التي كان قد سمعها في الشرق . وهو - بعد المؤرخ العبراني المجهول - اقدم مؤرخ من ابنا العالم القديم

(٤٨٤) الرياضيات

والعلوم الطبيعية
عند الايونيين

وهاجر من ايونيا الى جنوب ايطاليا رجل حكيم ومفكر كبير اسمه فيثاغورس اواع بالبحث في الرياضيات والعلوم الطبيعية . واليه او الى تلاميذه يُعزى اكتشاف ان مربع الوتر في مثلث قائم الزاوية يساوي مجموع مربعي الضلعين الآخرين . والايونيون هم الذين اكتشفوا ان الارض كورة متحركة . وقام آخر منهم و اشار في اثناء تعليقه عن اصل الارض الى وجود نباتات بحرية متحركة واحافير اسماك في الصخور مما يدل على ان البحر كان في عصر من العصور مغطياً الارض او ان الصخور التي زهاها قد تكوَّنت في قايه

(٤٨٥) الخطورة

العظيمة التي خطاها
المفكرون الايونيون

وكان هولاء المفكرون الايونيون بُشراً بين يدي العلماء الطبيعيين والفلاسفة المتأخرين لانهم اجتهدوا في ان يعرفوا ماهي النواميس الطبيعية التي كان لها يد في تكوين العالم منذ بدايته ولا تزال متسلطة عليه . وعند وصولهم الى هذه النقطة من تفكيرهم فتحوا عالماً جديداً من عوالم الفكر يُسمى علماً وفلسفة - عالماً لم يُنظر على بال اعظم ابنا شرقنا القديم . فهذه الخطوة التي خطاها طاليس وعظما رجال المدن الايونية لا تزال ، ولن تزال الى الابد ، اعظم ما عملته العقل البشري - عمل يبدو الى الاكبار والإعجاب في كل زمان ومكان

(٤٨٦) خلاصة

عصر الطغاة وخطاها

عند عصر الطغاة من اعظم ازمنة تاريخ العالم لانه نبغ فيه اعظم الرجال واكبر قادة الافكار . فكان العقول حلت فيه من عقلمها او انبثت من رقادها تحت عوامل الجهاد الشديد لاحراز قصب السبق في التجارة والسياسة والمهنة الاجتماعية ، ودخات عالماً جديداً - عالم العلم والفلسفة . فكان جميع القوى الخفية في حياة اليونان الملوثة نشاطاً قد برزت من مكانها وتجلت في السياسة والآداب والدين والحفر والتصوير والمهندسة وفن البناء . وزى ان قادة الافكار في هذا العصر بوجه الاجمال - وكثيرون منهم كانوا طغاة - قد

احدثوا تأثيراً في بينتهم لم تقوَ على محوه الايام وأقبلوا بالحكام السبعة . وهم اول سياسي اليونان ومفكرهم . ولذلك سُفِّف الناس باقتباس امثالهم الحكيمة التي منها « ايها الانسان اعرف ذاتك » - عبارة نفيسة نُقِشَتْ فوق باب هيكل ابلون في دلفي (ش ١٣٢) . ومنها قول صولون الحكيم « لا تُفِرط في شيء » . ولكن بعد خلع ابني بيسستراتس اخذ نجم هولاء الطغاة بالافول وانتقضي عصرهم ، ولو بقيت منهم بقية مبعوثه في اماكن متفرقة بأسية الصغرى وصقلية

مسائل

٤٦

ماذا كان تأثير المستعمرات الجديدة اليونانية في الصنائع في الوطن القديم ؟ ماذا تعرف عن التجارة والمصنوعات ؟ اية خطوة نحو التحرر من المورثات الاجنبية خطتها المصنوعات اليونانية ؟ اية بينة لنا على اتساع نطاق تجارة اثينا ؟ اي تأثير كان لهذا الاتساع على بناء السفن ؟ اي تسهيل جديد للتجارة جاء من الشرق ؟ كيف نشأ سك النقود ؟ ماذا كان تأثيره على التجارة وتجميع الثروة ؟ هل كان لليونان من وجهة نظرنا شيء من المدن الكبيرة او الحقول الفسيحة ؟

٤٧

اي شيء كان جارياً الآن على فلاحي اليونان من وجهة الثروة ؟ ومن وجهة القوة السياسية والعسكرية ؟ هل كان النبلاء يداً واحدة ؟ اي موقف كان في

الغالب يقفهُ زعيم النبلاء نحو العامة ؟ ماذا كانت النتيجة ؟ ماذا كان شعور اليونان نحو الطاغية ؟ ما هو تاريخ عصر الطغاة ؟ كيف كانت الشرائع اليونانية حتى الآن ؟ ماذا طلب الشعب ؟ ما هي مجموعة القوانين التي سُنت في اثينا ؟ من هو الذي حمس اثينا لكي تحل مشاكها الاجنبية ؟ ما الذي اتاهُ صولون بعد انتخابه ارخوناً ؟ ماذا تقول في اخلاقه ؟ هل نجح بعمله اثينا من حكم طاغية ؟ ماذا عمل بيبستراتس ؟ متى مات ؟ ماذا جرى لابنيه ؟ كيف ساعد كلستينيس الشعب ؟ ما المراد من النقي ؟ ماذا كان جارياً في سبارطة في هذه الاثناء ؟ ماذا كان شعور سبارطة نحو اثينا ؟

٤٨

صف مركز النبلاء في الهيئة الاجتماعية مدة عصر الطغاة ؟ ماذا كان موقفهم من جهة الالعب الرياضية ؟ ماذا تقول في التهذيب بهذا العصر ؟ قدم ملاحظاتك عن الموسيقى . ماذا كان الشعر الغنائي ؟ من كان امير الشعر الغنائي ؟ من كانت عظمى الشاعرات ؟ كيف آت اغاني الاعداد الى الروايات التمثيلية ؟ هل كان لليونان مبان جميلة في هذا العصر ؟ ماذا كانت مادة البناء ؟ ألم يكونوا قد رأوا قبلاً مباني من حجر ؟ على اي غنط هندسي بُنيت الهياكل ؟ اين نشأ شكل العمود الدوري ؟ هل حسن اليونان في هذه الاعمدة ؟ هل لوونها ؟ اي زخرفة أخرى استعملها المهندس اليوناني لهيكله ؟ تحت اي عوامل نشأت صناعة النقش اليونانية ؟ اي تقدم يظهر من الاثر التذكاري الذي اقيم اكراماً لقاتلي الطاغية ؟ قل ما تعرفه عن التصوير على الكروس في هذا العصر ؟ اي مواضيع انتقى مصورو الكروس ؟ قابل بين الهيئات البشرية في شكل ١٧٠ وبين التي في شكل ١١٩ وأعط رأيك في التقدم الذي حصل في قرنين ونصف قرن . اي تقدم حصل في الافكار من جهة السلوك ؟ قدم ملاحظاتك عن العالم الآتي . وعن هياكل الوحي . ماذا عمل طاليس ؟ هل كان اول من اشتغل بمسائل كهذه ؟ الى اية نتائج توصل من جهة الآلهة وادارتها لشؤون العالم ؟ ماذا تعرف عن خرائط العالم الاولى ؟ اي عالم جديد فتحه المفكرون الايونيون ؟ ماذا تستطيع ان تقول عن عصر الطغاة بوجه الاجمال

الفصل الثالث عشر

صد مملكة فارس

٤٩

مجيء الفرس

بسم الدهر للمدن الايونية في عصر الطغاة وما لها السعد ردحاً من الزمان فتبوءت من السودد اسمى منصب بين أترابها واكن الدهر الحورون ما لبث ان قذف بها من اوج زعامتها اذ قيض لها في اسية الصغرى من جيرانها ابناء الحثيين (ف ٣٥٩) ومن انضوى اليهم من الغزاة الفاتحين (٣٨٢) ، من تصدى لمناوأتها فصدوها صدمة قوية صدتها عن التقدم في المضار الذي كانت قطعت منه شوطاً بعيداً . وتمكنت ايديها من قهر كل المدن اليونانية على الساحل الايجي من اسية الصغرى الاً ميليتس فانها عجزت عن الاستيلاء عليها عنوة . وجعل ملوك ايديه ساردس ، امنع مدن اسية الصغرى ، عاصمة ملكهم ومباةة عزهم . وكان من ملوكها كريسس الغني المشهور (قارون) الذي تقدم ذكره . (ف ٢٦٨) وعن لسيدي اخذ اليونان طريفة سك النقود (ف ٤٥٤)

(٤٨٧) قيام بلدية
في اسية الصغرى

كان لدى الليديين قوة كافية لصد هجوم الماديين واكن لما هاجمهم كورش الفارسي في عقر دارهم قهر ملكهم قارون واستولى على عاصمتهم ساردس (ف ٢٦٨) فققدت المدن الايونية حريتها فجأة وامست تحت حكم مملكة الفرس الفاشمة بعد ان كانت راته . في حضارة بلغت في ظلها اوج التقدم والفلاح . (ف ٤٨١ - ٤٨٦)

(٤٨٨) سقوط
بلدية
الندرس على بلاد
٤٩

(٤٨٦) النزاع المقبل
وفورة الايونيين

كان الفرس كلما علمنا قبلاً بمثلي حضارة سامية وحكومة راقية ولكن الشرق كانت تعوزه الوطنية الحرة ويفت في ساعده تسلط الاوهام والخرافات على عقول ابناءه تسلطاً مطلقاً بدلاً من سلطة العلم . ولذلك كانت السيادة الفارسية في بلاد اليونان حاجزاً قوياً في سبيل ترقى الحضارة اليونانية . ولم يكن يالوح امام اليونان بارقة امل بالفوز اذا هم هبوا هبة واحدة وتبأوا المنازلة دولة الفرس المترامية الاطراف التي عنت لسلطانها بلدان الشرق القديم . ومع ذلك كله فقد قلب اليونان للفرس ظهر المجن ورفعوا لواء الثورة



(٤٩٠) هجوم الفرس
الاول على اوربا

الشكل ١٢٢

يرى في اعلى هذه الصفحة مشهد معمر حفرنا نائفاً على باب قصر اشوبروش في بورسبا يمثل لنا هنا الملك في الهيئة التي كان يظهر فيها حين يتنوأ العرش بحضور اشراف مملكته يحف به حشمه وحاملو مراوحه . ولما كان في سلايس اتخذ لنفسه مركزاً على احدى هضاب ابغالوس المشرفة على الخليج (ف ٥٠٢) . وحين كان جالساً هناك يشارف المعركة الناشبة تحت المضبة كان منبوقاً عرشاً كما نراه في هذا الرسم

تحطمت وهي تحاول ان تدور حول رأس جبل ائوس (٤٩٢ ق م) فعدل الفرس عن خطة الهجوم مجراً بطريق بحر ايجه

(٤٩١) هجوم
الفرس الثاني

وفي اوائل صيف سنة ٤٩٠ ق م اقع من جزيرة ساموس اسطول كبير من السفن الحربية الثقالة يقل الجنود الفارسية في بحر ايجه ، ودخل المضائق بين جزيرة يوبيا (افية) وايتيكا وبعد ان جعل الجنود اديريا طعمة للشار تزلوا على سواحل ايتيكا عند خليج مرثون قاصدين الزحف على ايتيكا المجرمة الكبرى

وعرت اليونان الدهشة واستولى الاضطراب على كل بلادهم لان انكسار المدن الايونية

الثائرة ، واستباحة الفرس ميليتس سلباً ونهباً ، كانا قد احداثا تأثيراً عظيماً في نفوسهم . وكان هذا العدو الذي سحق المدن الايونية معسكراً وراه التلال على قيد بضعة اميال من شمال شرق اثينا . فارسل الاثينيون بملء السرعة ، رسلاً الى سبارطة يستظهرون بها على مهاجميهم واخذوا يفكرون في موقف مدينتهم المحبوبة المحفوف بالخطر والاسى ملء جوانحهم

(٤٩٣) الذعر في
اثينا واليونان

وظن داريوس ان اليونان غير مستعدين للحرب فلم يرسل عليهم جيشاً كبيراً بل اكتفى بارسال نحو عشرين الف مقاتل . ولم يكن لدى الاثينيين اكثر من نصف هذا العدد الا انه لحسن حظهم كان في عدد اقوادهم قائد محنك وبطل مجرب اسمه ملتياسداس عرف بالحزم والعزم والثبات في مواقف النضال وقد قضى شطراً من حياته في الدرديل وكان له الامام النام باساليب الفرس الحربية . ولذلك عهد اليه غلياخوس القائد العام ، في ادارة شؤون الحرب . ولما احتشدت الجنود القادمة من اتيكيا في مدينة اثينا ملية الدعوة الى حمل السلاح اقنع ملتياسداس زملاءه القواد ان لا يترتبوا ريباً يهاجم الفرس اثينا بل ان يهرعوا الى ملاقاتهم ويصدوهم عن التقدم بين التلال المشرفة على الشاطئ الشرقي وعلى السكة المؤدية الى المدينة . فانار هذا الرأي الحاسم والشجاعة في صفوف اليونانيين الذين كاد يتولأهم اليأس والوجل

(٤٩٣) المجهوش
والقيادة اليونانية

ولما تدقق اليونان من بين التلال ووقع نظرم على جند الفرس المعسكرو في سهل مرتون يحببه اسطول ضخيم يبلغ عدد سفنه مئاة خامر قلوبهم الشك في مقدرتهم وجمد الدم في عروقهم لما عراهم من الوهن والقنوط لقلّة عددهم ، الا ان القائد ملتياسداس قبض على القواد الذين تحت امرته بيد من حديد . ولما وصلت اليهم من بلانيا نجدة مؤلفة من الف مقاتل انتعشت الشجاعة في صدور الاثينيين وبعث فيها الرجاء . وكان موقف اليونانيين يشرف على الطريق العام المؤدي الى اثينا فلم يكن في وسع الفرس ان يتقدموا دون ان يتعرّض جيشهم الزاحف لهجوم الاثينيين من هذه الجهة

(٤٩٤) موقف
اليونان

ولما رأى الفرس بعد تربص سبعة ايام في مكانهم أنهم لم يتمكنوا من اغراء اليونان بالانسحاب من مركزهم الحريز ، اجمعوا على ان يزحفوا على اثينا من السكة المؤدية اليها . ويتخذوا الحيلة في الوقت نفسه بتعزيز قوتهم المعرّضة لجيش العدو وذلك باضافة قوات أخرى متأهبة للكفاح . وكان ملتياسداس عالماً حق العلم بان الفرس معظم جنودها في القلب فذلك عزز ميمنة جيشه وميسرته بالعدد الكافي من الجند وغادر القلب ضعيفاً . وكان الفرس مسلحين باقسي واليونان بالرمح فلما دارت رحى القتال انهالت سهام الفرس على الاثينيين

(٤٩٥) معركة
مرتون

انهيال السيول الهتانة فتلثاها جند الجيش المحارب غير هيأب ولا ووجل . ثم هجمت ميمتهم
وميسرتهم هجوم الاسود على جنود الفرس الذين كانوا جاثين على ركبهم ومتوارين وراء
تروسهم . وفي الوقت نفسه هجم قلب جيش الفرس على قلب جيش اليونان الضعيف فردّه
الى الورا .



الشكل ١٢٤ نل أقيم تذكارا للفتلى اليونانيين الذين سقطوا في
ساحة الوغى في سهل مرثون

علو هذا النل ٥٠ قدماً تقريباً . وقد كشفت حفريات سنة ١٨٩٠ فيو روم المئة والاثنين
والثمين اثنيًا الذين قتلوا في المعركة ، وبعض الخنم والكؤوس التي دفنت معهم وقت
الاحتفال بدفنهم ستة آلاف
قتيل او

تردد . واما اليونان فلم يُربِ عدد قتلاهم على المئتين (ش ١٣٤) . وقد برهنت هذه
الحرب على ان الرماح اليونانية كانت اصلح للقتال من القسي الفارسية . ولما كان قائد
الفرس يستكبر الاعتراف بالانكسار اقلع باسطوله الى ميناء اثينا ماراً حياش شبه جزيرة
اتيكا . ولما بلغ الى المرفأ لم يرَ من الحكمة او السداد في الراي ان يتزل بجنوده الى البر لان
جنود الاثينيين الظافرين كانوا لا يزالون معسكرين في ضواحي المدينة

٤٧

صد الاثينيين للفرس والفيلقبيين

وكان بين الذين شهدوا وقعة مرثون ثيمستكليس ، اعظم سياسيي اليونان قاطبة .

الاسطول في هذه الاثناء قد رُمم وعُزِّزَ باضافة سفن جديدة اليه . فبلغ عدد سفنه الحربية ثلاث مئة سفينة . ولكن حين التفث الاثينيون من سلاميس شمالاً وعابتوا جنود الفرس الزاحفة ورأوا الدخان صاعداً من اثينا مدينتهم المحبوبة والسن اللهب مندلعة من منازلها ذابت قلوبهم فرحاً وفقدوا شجاعتهم وحماسهم الا ان ثيمستكليس ضبط بحكمته الفائقة قواد اليونان المتقلي الا افكار وبجيلة مدبرة زين لاحشوروش الهجوم . فانه بعث اليه برسالة كذب قائلاً له ان الاسطول اليوناني على أهبة الفرار من الخليج

فببناء هذا الاسطول القوي أنجبت اثينا بلاد اليونان من عسف المستبدين وبرهن ثيمستكليس على انه اعظم رجال اليونان حنكة وسياسة

على الهضاب المشرفة على خليج سلامس جلس عاهل الفرس على عرش يحف به رجال بلاطه بلباسهم الشرقية الزاهية يشارف العراك (ش ١٣٣) وكان الاسطول اليوناني راسياً بين براتيكيا وبين الرؤوس الناتئة الى البحر من ساحل جزيرة سلاميس حيث لم تكن مندوحة كافية لان يقوم اسطول كبير بعمل حربي عظيم . ولما كان موقف الاسطول الفارسي حرجاً اختلط جابله بنابله حين هاجمه الاسطول اليوناني وسد عليه منافذ النجاة . ودام القتال النهار بطوله ولما ارخمى الليل سدوله على خليج سلاميس كان اسطول الفرس قد امسى اثرأ بعد عين الأبقية زهيدة منه . فاصبح الاثينيون وهم ارباب السيادة البحرية . وغدا قيام الفرس في المستقبل بعمل حربي ضد اليونان ، في عداد المستحيلات

(٥٠٣) معركة
سلاميس ٤٨٠ ق م

واضطربت الآن افكار احشوروش مخافة ان يكون فوز الاسطول اليوناني ذريعة لقطع خط الرجعة عليه . وهذا ما كان في نية ثيمستكليس اجراؤه فعلاً لوتوفق الى اقتناع سبارطة بالانضمام الى اثينا . ولكن السبارطيين كانوا ايقظ واحذر من ان يستولي احد على افكارهم ويدفعهم الى ركوب هذا المركب الحشن المحفوف بالمكاره . ولومت خطة ثيمستكليس فعلاً بارسال اسطول يوناني الى الدردنيل لكانت تحلصت بلاد اليونان من متاعب حرب سنة أخرى مع الفرس . وبعد ان كابد احشوروش خسائر جمة في جيشه من جرأ قلة المون وتفشي الامراض فيه ، تقهقر الى الدردنيل ثم عاد الى اسية تاركاً مردونيوس احد قواده الممتازين في الشؤون الحربية مع جيش يبلغ عدده - على ما يظن - خمسين الف مقاتل لكي يشثوا في ثاليا . وفي اثنا ذلك جاء نبا الى اثينا من صقلية مفاده ان اليونان ، بقيادة جيلون طاغية سرقوسة ، كسروا جيش قرطاجنة الذي كانت قد ارسلته من افريقية الى صقلية ، شرراً كسرة . فخطت اعمال الفرس الحربية ضد اليونان في الشرق والغرب في سنة واحدة

(٥٠٤) تقهقر
احشوروش في
الشرق واسدحار
قرطاجنة في الغرب

ان حنكة ثيمستكليس السياسية التي يراها ابنا اليوم واضحة كالشمس لم تكن

كذلك في عيون الاثينيين حينما ولى الشتاء وايقنوا ان فوزهم الباهر في سلاميس لم يُنجح بلاد اليونان من وجود جيش فارسي فيها بامرة مردونيوس ينوي اعادة الكرة على اتيكا في الربيع القادم . فقامت الاحزاب المختلفة وعزلت ثيمستكليس من القيادة مبرهينين بذلك على انهم ناكرو الجميل . وهم لو انقادوا الى رأيه وعملوا باشارته ونفذوا خطته الرشيدة بارسال حملة بحرية الى الدردنيل لطردهوا الفرس من بلادهم ودرأوا عنها خطباً كان شره مستطيراً

وبعد ان انقطعت امطار الشتاء ، زحف مردونيوس بجيشه على اتيكا . فاضطر الاثينيون الى الفرار كما فعلوا قبلاً . ومعظمهم فر هذه المرة الى سلاميس . اما سبارطة المعروفة بالتردد والتذبذب في الاوقات العصيبة التي تستدعي الى الاقدام والسرعة ، فلما رأت حرج الموقف اقتنعت بوجود ارسال جيشها الى ساحة العراك . ولما رأى مردونيوس الذي كان وقتئذ في اتيكا ، ان بوسانياس مالك سبارطة زاحف بجيشه على طريق برزخ كورنثوس يهدد ساقه جيش الفرس ، ارتد الى الشمال بعد ان كان قد اجتاح اتيكا وغادرها قاعاً صغيفاً . وتبعه على الاثر بوسانياس الى بيوتيا وبامرته جيوش اثينا وسبارطة وبعض الحلفاء وكان عدد جنودها ثلاثين الف بطل مدجج . ودارت رحى القتال فانكسر الفرس شر انكسار وتمزق شملهم كل ممزق فان صفوف اليونان الرماحة اختزقت صفوفهم كما فعلت قبلاً في مرثون واعلمت جنودها الاسنة في الاعداء الذين لم تجدهم قسيهم في هذا الاتحام نفعا فباءوا يتعثرون باذيال الحية والفشل . وفيما كان مردونيوس يحاول لم شعث جيشه وملء صدره اليأس خراً صريعاً على الارض فسارع الفرسان وحمو ساقه الجيش فانجوه . من الهلاك التام

ولم يحصل الخلاص ، من طموح سيل الجنود الاسيوية ، لبلاد اليونان فقط بل شمل ايونيا ايضاً لان السفن اليونانية لما عبرت الى شبه جزيرة ميكالي شمالي ميليتس حطمت البقية الباقية من الاسطول الفارسي وتمكن الاثينيون من احتلال سستوس في الجانب الاوربي من الدردنيل وبذلك سدوا مدخل الدردنيل في وجه الفرس فامسى العبور من اسية الى اوربا لا يتسنى لاحد الا باذنهم فحالوا دون هجوم الفرس عليهم في الزمن الآتي . فوقف حفدة اولئك الذين رأوا بعيونهم جيوش الفرس تجتاح بلادهم ، سداً يحول دون تقدم الفرس الى الغرب . وبذلك طردوهم من اوربا طرداً مؤبداً لانه لم يظأ بعد ذلك قط جيش فارسي ارض اليونان في اوربا

(٥٠٧) انحصار
اسطول الفرس في
ايونيا والشمالي

مسائل

٤٨

اية مملكة كانت العظمى في اسية الصغرى وراء المدن اليونانية التي يزدان بها الساحل؟
 ماذا كان قد حدث لهذه المدن في منتصف القرن السادس ق م؟ من كان آخر ملوك
 ليدية؟ من سحق مملكة ليدية؟ ومتى؟ اية دولة شرقية عظيمة على الجانب
 الشرقي من بحر ايجه؟ ماذا تظن في نتائج المقاومة من جانب اليونان؟ ماذا عملت
 المدن الايونية في اسية؟ ماذا كانت حصص اثينا من هذه الثورة؟ ماذا فعل الفرس
 من باب الجزاء؟ ومتى؟ من كان ملكهم؟ اين تزلوا في بلاد اليونان؟ كم
 تبعد مرثون عن اثينا؟ ماذا فعل الاثينيون؟ اذكر عدد الجيشين؟ هل تربث
 اليونان في اثينا حتى يصل الفرس اليهم؟ من كان قائدهم؟ اي موقف وقف اليونان
 وما هي المنافع التي جرؤها؟ صف معركة مرثون

٤٩

اي سياسي كبير حارب في مرثون؟ ماذا كانت خطته في الدفاع المستقبل عن اثينا؟
 صف خطط احشوروش لاختضاع اليونان. ماذا فعل الاثينيون؟ اشرح خطة
 ثيمستكليس للحملة الحربية. ما هما المعركتان اللتان نشبتا؟ صفها. ماذا
 كانت الخطة التالية لجيش الفرس؟ صف معركة سلاميس؟ اي خطة حض
 ثيمستكليس عليها؟ ماذا كانت نتيجة رفض اليونان نصيحة ثيمستكليس؟ اي
 غلبة حازها اليونان في صقلية في الوقت نفسه؟ اي عراك جنسي تمثل هاتان الغلبتان؟
 ماذا جرى لثيمستكليس؟ ماذا فعل الان قائد الفرس؟ من كان ذلك القائد؟
 اين جرت المعركة الاخيرة؟ صفها. ما هي الفوائد الاخيرة التي جناها اليونان في
 البحر؟

الفصل الرابع عشر

اشتداد المنافسة بين اثينا وسبارطة وقيام الامبراطورية الاثينية

٥٥

بدء المنافسة بين اثينا وسبارطة

ولما عاد الاثينيون الى مدينتهم ورأوا كَوْمَ الرماد التي استعالت اليها اثينا الجميلة ، وشاهدوا التلّ الذي قام عليه الاكروبولس وقد كساه الدخان حلة سوداء ، أدركوا عظمة نجاتهم وخطورة العمل الذي قاموا به بسحقهم دولة اسية القديمة ، وشعروا بانهم سادة العالم ، فبان لهم الماضي ضيق النطاق ، وتجلّت لهم اثينا الجديدة بصورة اعظم وايهي جداً من القديمة

وكان السبارطيون ذوي مزاج بارد يختلفون جداً عن الاثينيين في رقة الشعور ودقة الفكر . ولم يكن اهتمام حكومتهم الا في الشؤون الحربية ، ولا كانت بلادهم الا عبارة عن سُكْنَة حربية . وكانوا يقيمون في مجموعة من القرى لا تستحق ان يطلق عليها اسم مدينة . وكانوا شديدي المحافظة على عاداتهم وتقاليدهم القديمة لا يجيدون عنها قيد شعرة . ولذلك ظلوا ماثرين على استعمال الحديد نقوداً وبقية مدينتهم بلا اسوار . وكانوا ينظرون الى العالم الفسح المفتوح امام الحياة اليونانية الجديدة نظرة الريب والحذر . ومع رغبتهم في ان يكونوا زعماء اليونان في الشؤون الحربية فانهم كانوا يستكفون من تحمّل مسؤولية الزعامة . وبالاختصار انهم كانوا يمثاون العهد البائد وامتيازات الاقلية في البلاد وكانت اثينا تمثل المستقبل وحقوق الاكثرية . فانقسمت بذلك أمة اليونان الى حزبين

(٥٠٨) شعور
الاثينيين ببدء
معركة سلاميس

(٥٠٩) سبارطة
المحافظة على القدم

كبيرين ، سبارطة موطن التقاليد القديمة والامتيازات المخصصة بطبقة الجنود ، واثينا نصيرة الرقي والحرية والشعب . ومات في صدور اليونان ذلك الميل الى الاتحاد الذي تولد فيهم ايام جهادهم في سبيل الحرية وكان يرجي ان يكون الذريعة لضم شتاتهم وتأليفهم امّة واحدة . وخلفه نزاع مستمر بين زعيمتي «هلاس» ، دام قرناً من الزمان ، وكانت عاقبته وبالاً على اليونان اجمالاً لانه خسرهم زعامة العالم القديم

(٥١٠) المناقشة
عن سبارطة واثينا

(٥١١) ثيمستكليس
ومحصون اثينا

واصبح ثيمستكليس حياة اثينا وروح سياستها وقلبها النابض بحب التقدم والتوسع . فارتأى الا تكون اثينا فيما بعد تابعة لسبارطة . وخذع بدهائه السياسي السبارطيين واكمل بناء اسوار منيعة حول اثينا الجديدة غير عابى . باحتجاجهم ومقاومتهم . وحصن ايضاً بيديه ميناء اثينا . ولما احجم السبارطيون ، بعد انهزام الفرس ، عن تولى قيادة الاسطولين المتحدين تحوّلت السيادة في بحر ايجه الى اسطول اثينا القوي

٥١

قيام الامبراطورية الاثينية وفوز الديمقراطية

وبما ان المدن اليونانية الاسيوية كانت لا تزال تخشى إثارة ملك الفرس ، اغتتم الاثينيون هذه الفرصة السانحة وانشأوا اتفاقاً دفاعياً بينهم وبين انسبائهم في اسية والجزر الايجية . وكانت المدن الغنية تقدم للاتفاق المذكور سفناً . وغيرها يقدم كميات معلومة من المال للخزانة . وتولت اثينا قيادة الاسطول المتحد وجباية الاموال وعهدت في ذلك الى الوطني الحر ارستيدس . وهو عمل خطير جدير بان يتولاه رجل عرف باستقامة السيرة كارستيدس الملئب بالعدل . وكان ارستيدس قد تصدّى قبلاً لمناوأة ثيمستكليس في ما كان ينوي القيام به من المشاريع البحرية ولما اخفق مساعاه نفي ، ولكنه عاد فلمع بعد ذلك في سلاميس وبلاطيا . ومع انه قاوم قبلاً مساعي ثيمستكليس ومشاريعه البحرية ، زاه الان يودي الى الوطن خدمة مهمة ببذله الجهد في تنظيم الاتفاق البحري الجديد الذي اشتهر «بالاتفاق الديلوسي» نسبة الى جزيرة ديلوس الصغيرة ، مركز هيكل ابالون حيث كانت تحفظ التبرعات والتقدمات صيانة لها من السرقة . وقد تم هذا الاتفاق في غضون السنوات الثلاث التي عقبّت معركة سلاميس . ولم يكن صعباً على من اوتي نظراً بعيداً ان يرى ان من

(٥١٢) اتفاق الديلوسي

الهبات الهينات تحول هذا الاتفاق الى امبراطورية تشتمل على حكومات اليونان المختلفة . وكانت سبارطة تنظر الى ذلك كله بعين ماؤها الحسد والحذر

(٥١٣) قسماً
كيمون

ان اسطول الاتفاق المعقود اللوا . لكيمون بن ملتياذس ، بطل مرثون ، طرد الفرس من منطقة الدردنيل طرداً تاماً الا ان كيمون لم يفقه تماماً معنى تفوق اثينا وتسأطها في بلاد اليونان . فمال الى سياسة غرضها مصادقة سبارطة . ثم عقد معها معاهدة . فأدى ذلك الى عراك سياسي في اثينا اذ جنح الاشراف وارباب الثروة والجماعة القديمة من الشعب الى كيمون والى عقد عهد صداقة مع سبارطة . ومال الاثينيون العصريون الاحرار الى ثيمستكليس وخطته التي غرضها مناوأتها

(٥١٤) سقوط
كيمون



الشكل ١٢٦

يرى في هذا الشكل قطعة خرف بيد احد الوطنيين عليها اسم ثيمستكليس (ف ٤٧٠) وكان هذا الوطني احد السنة الآلاف الذين اجمعوا على نفي ثيمستكليس . وقد تم لم ما اجمعوا عليه سنة ٤٧٢ ق.م . وربما كانت هذه القطعة قد كتبت قبل نفيه هذه المرة حين قاموا عليه لكي ينهوه واخفق معهم

ولما لم يكن ثيمستكليس قادراً ان يستميل المجلس اليه حكم عليه بالنفي (ش ١٣٦) وقدمت عليه سكاوى زور بانة خان الوطن حكم عليه واضطر ان يغادر البلاد حرصاً على حياته ففر الى بلاد الفرس وقضى بقية ايامه في خدمة ملكها . ولم يعد يرى المدينة التي انقذها من الفرس وجعلها عاصمة الامبراطورية فخرت اليونان خدمة اعظم رجالها سياسة وحكمة

(٥١٥) سقوط
كيمون

وسحق كيمون ، في معركة فاصلة ، قوة الفرس البحرية في الغرب (٤٦٨ ق.م) وعاد الى اثينا ظافراً بجر ذبول الفخر . ولما شبت نار الثورة في سبارطة والتمس السبارطيون مساعدة اثينا لاخذها ، الخ كيمون بارسال جيش الى سبارطة اجابة للتمسهم . وفي هذا ، احسن كيمون ظنه بالسبارطيين وعيّلهم الى اثينا اكثر مما يجب ، فكان ظنه اثماً فان السبارطيين طلبوا منه باسلوب فظ ، ولسان الثورة لا يزال مندلعاً ان ينسحب هو وجيشه من البلاد . فبحر هذا التصرف الشائن شعور الاثينيين فحكموا بنفي كيمون الذي جلب عليهم هذه الاهانة بيميله الى مصادقة سبارطة (٤٦١ ق.م)

وكان سقوط كيمون انتصار العامة على النبلاء . فسن العامة شرائع انتزعوا بها القوة

السياسية من المجالس القديمة ونشأ في غضون ذلك مجلس كان احب المجالس الى الشعب وكان مؤلفاً من خمس مئة عضو قبضوا على زمام السلطة وادارة معظم اعمال الحكومة . وفي الوقت نفسه اتسع نطاق مجالس التحقيق التي ادخلها صولون لتكون محاكم استئناف (ف ٤٦٣) ولم يكن في طاقة الوطنيين الفقراء ان يغادروا اسغالهم وينتظموا في سلك هذه المحاكم لان الخدمة كانت مجانية . فسنَّ الشعب قوانين تقضي بتعيين رواتب لاعضاءها . وقويت شوكة هذه المحاكم جداً حتى صار سنَّ القوانين من جملة الامتيازات المنوطة بها وبالمجلس الكبير . فكانت السلطة في الواقع بيد الشعب وايدها القانون الجديد القاضي بوجوب انتخاب ارباب اللوظائف العليا بالقرعة ما خلا وظيفة واحدة ، وظيفة قائد الحرب

(٥١٦٧) انقلاب
المجلس الاروپايي
وسيطرة مجلس
السامنة ومجلس
التفتيق الوطني

ولم يكن الاً موظف واحد حُظر تعيينه بالاقتراع ، وهو قائد الحرب الذي كان يُنتخب انتخاباً من ارباب النفوذ والمقدرة فكان في ذلك مندوحة لاي كان من النبلاء ان ينتخب لهذه الوظيفة المهمة بشرط ان يكون ملماً بالتهذيب العسكري ومن ذوي الوجة والسطوة فاذا كان ممن انقادت اليه الفصاحة بزمام وأوتي قوة الاقتناع وسحر البيان بسط للشعب خطته وامانيه واستمال المجلس الى قبولها

(٥١٧٢) فالدهرب
مكتب بالا فرعة

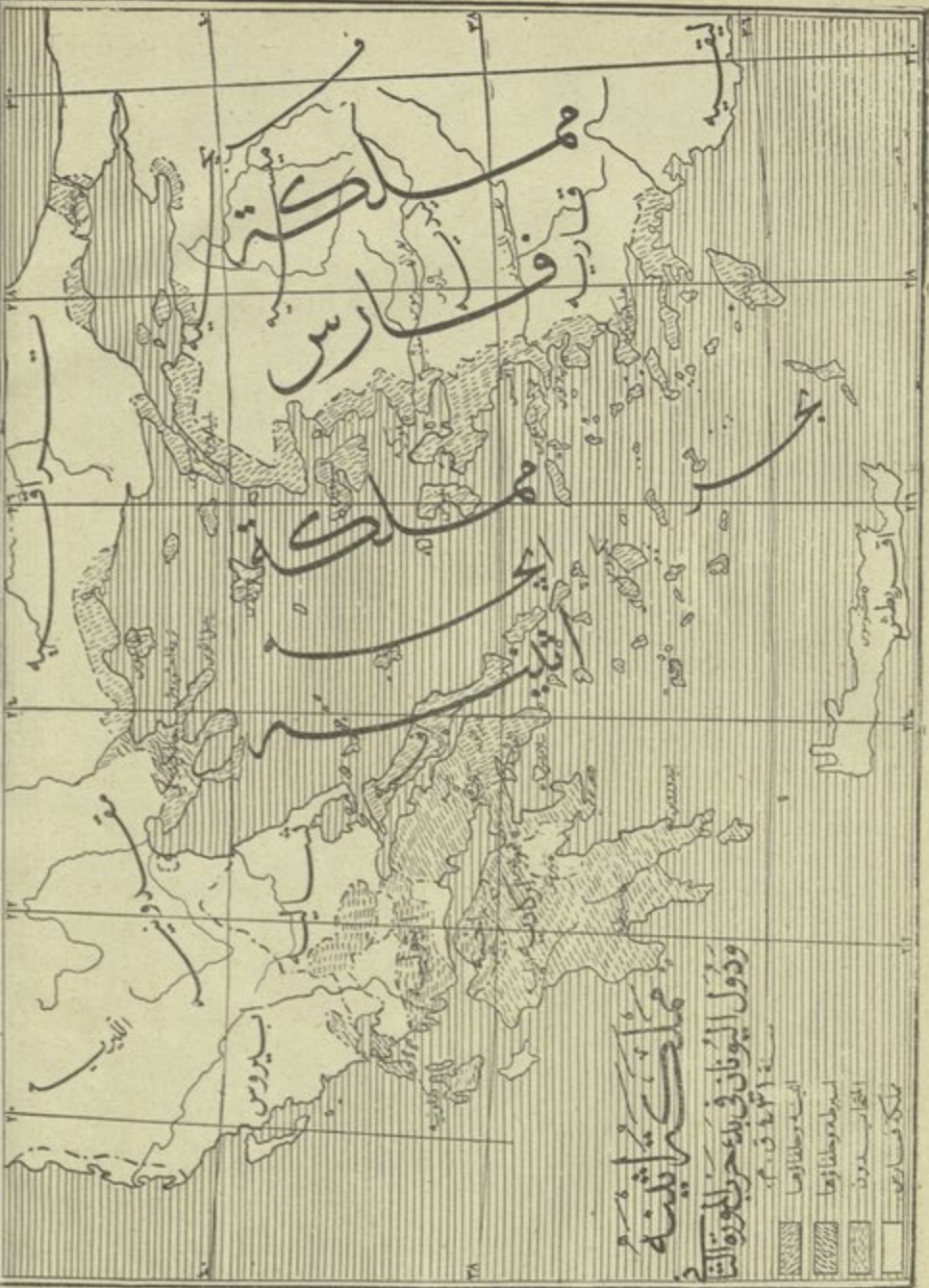
وبعد سقوط كيمون برز الى ميدان السياسة شاب بهي الطلعة ذكي القواد من سكان اثينا يُدعى بريكليس وهو من اسرة قديمة عريقة في النبل يتصل نسبها بكليستيس . فهذا عقد النية على تشييد اركان امبراطورية اثينية سامية كانت من جملة احلام ثيمستليس التي لم يقبض له تحقيقها فرأس الحزب الحزب الذي كان شعاره « التقدم وزيادة قوة الشعب » ونال ثقته فاعاد هذا الحزب انتخابه للقيادة العظمى مرة بعد مرة سنة بعد سنة . وكانت نتيجة تكرار انتخابه انه صار رئيس الحكومة الحقيقي . وبكلام آخر اصبح الزعيم السياسي لاثينا غير مدافع من سنة ٤٦٠ ق م الى حين وفاته ، قبل الاوان ، بعد ذلك بثلاثين سنة

(٥١٨) زعامة
بريكليس

٥٣

التقدم التجاري وبده النزاع بين اثينا وسبارطة

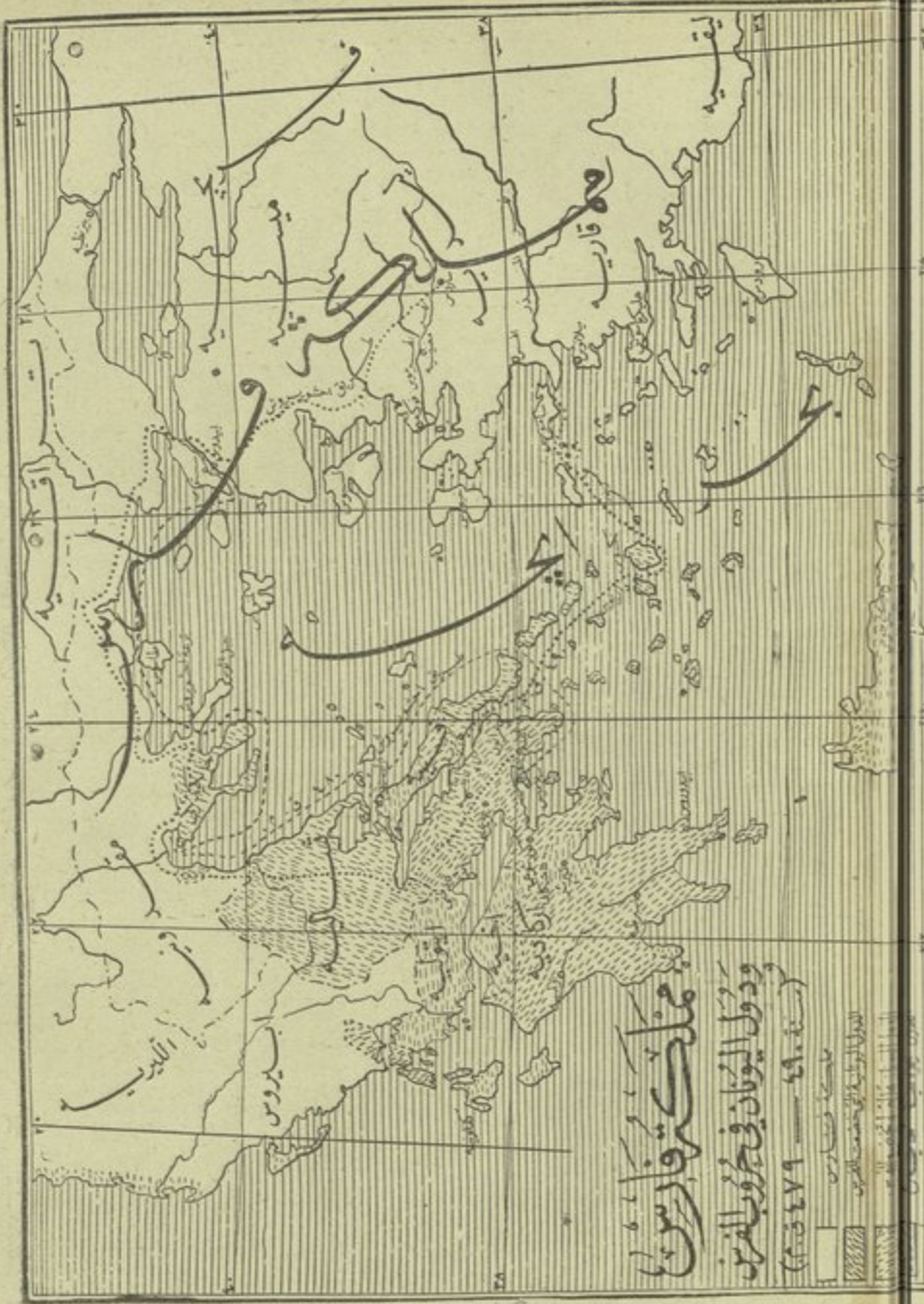
وعقب الحروب الفارسية زمن تقدمت فيه التجارة على اختلاف ضروبها فقبض اليونان



مملكة كبريتية
ودول اليونان في بلاد بحر العوزة الثالثة

- البيزنطية
- سبروس
- الجزيرة
- مملكة كبريتية
- دول اليونان
- مملكة القدس
- مملكة صقلية

البحر المتوسط في سنة 1192



مملكة قاريا

ودول اليونان في حروب الفرنس

على
القائد
الى
مش
على
على
الى
الس
الس
عظ
الي
كا
تو
كا
اص
في
فان
هذ
بال
اج
كا
فر
الد
الم

(٥١٩) نفوذ
اليونان التجارية
بمسد الحبوب
الفارسية . نهوض
بيرس ميناء اثينا
الجلية

على ازمته كزملانهم الانكليز قبل الحرب الكبرى (١٩١٤) . فكانت السفن اليونانية القادمة من جميع انحاء العالم اليوناني مائة حياض بيرية ، مرفأ اثينا ، على الدوام ، لان انكسار الفينيقيين في الشرق والغرب ذهب بسفنهم التجارية فانقل جزء مهم من تجارتهم الى ايدي اليونان . هنا في بيرية ، كانت ترسو المراكب اليونانية القادمة من البحر الاسود مشحونة حنطة او سمكاً جنباً لجنب مع السنن المصرية الموسوقة حنطة ومحاصيل سرقوسة على اختلاف اجناسها . وكانت البضائع الصادرة من معامل اثينا منضدة بعضها فوق بعض على المرفأ حيث كان يشاهد الحماله صفوفاً صفوفاً يتقاون الرزم ، والعرق يتصب منهم ، الى السفن التي كانت تنقلها الى سائر موانئ البحر المتوسط . وكانت السفن الحربية تملأ السواحل البحرية

(٥٢٠) السفن
اليونانية . ارباح
التجارة والصناعة

ومع كل التقدم العظيم الذي بلغه اليونان في الملاحة لم تكن سفنهم كبيرة الحجم بل كانت السفينة التي محمولها من مئتين وخمسين الى ثلاث مئة طن تمد عند يونان القرن الخامس ق م عظيمة (ش ٤٤) . ولم تكن السفن تعمر كثيراً كما تعمر الآن . لانه لم يكن لدى اليونان الزيت المخصوص الذي تطلّى به السفن . وطريقة المصريين في طليها بالشمع المذوّب كانت عظيمة النفقة جداً . اما ارباح التجارة البحرية فكانت فاحشة . فالسفينة التي كانت تؤم سواحل البحر الاسود الشمالية او بحر ادريا حيث كانت لصوص البحر تسرح وتفرح ، كان بوسعها ان تبيع شحنتها بما يساوي ضعف ثمنه الاصلي بعد خصم جميع النفقات فيربح اصحابها ارباحاً طائلة . وكانت ارباح اصحاب معامل الصناعة عظيمة ايضاً لا تقل عن ثلاثين في المئة

(٥٢١) الدوله
والاجور

اذا زُمننا ان نقيس ثروة اثينا وجب علينا الا نعتمد على مقياس عصرنا الحاضر للثروة فان من كان يملك في ذلك الزمان خمسين الف فرنك ، كان يعد غنياً . ومن كان يملك ضعف هذه القيمة كان يحسب مثيراً كبيراً . لان اجرة العامل كانت من ربيع فرنك الى نصف باليوم الواحد واجرة الصانع الماهر فرنكاً . وكان الجندي اليوناني يخدم في جنديه اي بلاد اجنبية براتب ليرة بالشهر وثمان سلاحه من جيبه . وكانت اجرة ارباب المواهب العقلية كالمهندسين مثلاً فرنكاً او فرنكاً ونصفه باليوم ، وكان المدرس يستأجر لتدريس اي فرع من العلوم كاليان مثلاً بقيمة تتراوح بين اثنتي عشرة ليرة وست عشرة ولو طالت مدة الدراسة بضع سنين

(٥٢٢) الفسره
والاعمار

ونج عن نمو تجارة اثينا زيادة كمية النقود فيها زيادة فاحشة . فكان لنقود اثينا الفضية المتزلة الاولى في جميع اسواق البحر المتوسط . وكان في عداد نقود تلك الاسواق الدارك

الفارسي وقيمتها ليرة انكليزية . ولما كثرت النقود قلت قيمتها كما هي الحال في اي مكان فنقصت قوتها الشرائية عما كانت عليه قبلاً ، وبكلام آخر ارتفعت الاسعار . ولكن مع ارتفاعها لم يكن الموسر مضطراً ان ينفق على اطعام عائلته اكثر من غرشين او غرشين وربع غرش باليوم الواحد . وكان المثري اذا انفق على تأثيث منزله اكثر من اربعين ليرة مصرية يعد مبدراً

واصبحت النقود من الحاجات الماسة للقيام بهام الحكومة التي كان في محاكمها الوف من الاعضاء (ف ٥١٦) وفي مجلس شوراها خمس مئة عضو . وكانت الخزينة مضطرة ان تدفع لهم رواتب سنوية يبلغ مجموعها نصف مليون فرنك . وكان تشييد هياكل الالهة الرخامية الفاخرة يقتضي مبالغ تعد جسيمة حتى في ايامنا هذه فضلاً عن النفقات الطائلة التي كانت تقتضيها التقادم للهيكل والولائم والحفلات الرسمية التي كانت تقام فيها . وكانت نفقات الحرب تفوق سائر النفقات الاخرى في المملكة ، وكان معظمها على سفن الاسطول البالغ عددها اثني سفينة في كل منها متارجل ما بين بخار ومجدف . وكانت اجرة كل واحد منهم باليوم نصف دراهمة (نصف فرنك تقريباً) فيكون مجموع اجرتهم الشهرية ست مئة الف فرنك . وكان دخل حكومة اثينا السنوي من جميع الموارد - من المعادن والاثارات ومكوس الجارك والضرائب المضروبة على الحكومات التابعة لها - لا يكاد يبلغ ثلاثة ملايين وسبع مئة وخمسين الف فرنك في ايام بريكليس

(٥١٣) نفقات الحكومة

ان القيمة المذكورة آنفاً ، وان ظهرت طفيفة في عيون ابنا . هذا الزمان ، كانت في وقتها عظيمة بحيث لم تستطع حكومة اخرى يونانية ان تجمعها . وكانت سبارطة خصوصاً عاجزة عن مجاراة اثينا في هذا المضمار لانها ظلت شديدة التمسك بتقاليدها القديمة ، فلم تنزل الى ميدان السباق التجاري ولا عدلت عن اصدار نقودها الحديدية القديمة ، ولم يكن لديها نقود فضية قط . والامر الذي لا ريب فيه هو ان الخدمة في جيشها النظامي كانت بلا بدل على الاطلاق . ولما سادت جحافل الاتحاد البلبونيبي الى ساحات الوغى لم يكن في وسعها ان تتحمل نفقاتها اكثر من بضعة اسابيع . فاذا كانت قد ناءت بهذه النفقات فكيف تقدر ان تقوم بنفقات اسطول حربي تربي كثيراً على نفقات تلك الجحافل . ولما كانت الحروب لا تقوم الا بالمال كان نجاح تجارة اثينا واتساع نطاقها سبباً بؤاًها الميزة العليا بين سائر الحكومات اليونانية . فاتمدت من جرأ ذلك نار الحسد في صدر سبارطة وتملكها الحذر والحشية منها

(٥٢٤) سبارطة
دوت اثينا في
سالتها

واكتسب بريكليس رضى العامة وميلهم ، بانتهاجه خطة عدائية نحو سبارطة (ف

(٥١٣) واذ سبق وراى بصيرته الثاقبة وقوع العراك المقبل مع اثينا جدًّا في تقوية حصونها باغرائه الشعب بوصول حصون اثينا بحصون مرفأها بيرية ببناء سورين مستطيلين بحيث يصير الطريق المؤدى من المدينة الى الميناء محاطاً بهذين السورين احاطة تامة

وبعد ان نال بريكليس زعامة الشعب بامدٍ غير طويل ، نثبت بين اثينا وسبارطة الحرب التي لم يكن مناص منها ، ودامت خمس عشرة سنة سجالاتاً بين الفريقين . وساء الاثينيين مزاحمة الجيخيا التجارية لهم في جوارهم بل في عقر دارهم فقهرها بعد حصار طويل واستولوا عليها . ثم عمد بريكليس الى مناوأة كورنثوس ، المنافسة الشديدة ، من الوجهة التجارية لاثينا والصديقة الحميمية لسبارطة . فكان عمله هذا مجلبة لافلاس تجارها وتدميرها مالياً

وفي الوقت نفسه وجهت اثينا اسطولها المؤلف من مئتي سفينة لمساعدة مصر التي كانت قد ثارت على الفرس . فكان الاثينيون يجارون سبارطة والفرس في وقت واحد سنين عديدة . وهلك الاسطول الاثيني في مصر على بكرة ابيه ولم تنج منه سفينة واحدة ، قال هلاكه الى ضعف قوة اثينا البحرية وتعريض خزائنه الاتفاقي الديلوسي للخطر ، لانه كان يخشى ان يقوم الفرس بهجوم بحري على جزيرة ديلوس الصغيرة مركز الخزينة . فاحتاط بريكليس للامر ونقلها الى اثينا فصير المدينة عاصمة الامبراطورية الاثينية حقيقة

ولما انعقد الصلح (٤٤٥ ق.م) لم يبق في حيازة اثينا سوى جزيرة ايجينا الا انها في الوقت نفسه تولت ادارة الحكم في جزيرة يوبيا الكبيرة . وتم الاتفاق على ان تكون مدة الصلح ثلاثين سنة . وهكذا انتهت هذه الحرب البلبونيسية الاولى التي نهكت قوة اثينا وقوات اعدائها في المورة نهكاً تاماً . ولم يُظهر بريكليس في هذه الحرب انه القائد المحتك والبطل المدرب لا بحراً ولا برّاً . وكان الاثينيون قد عقدوا مع الفرس ، بعد حرب مرثون ، صلحاً مدته اربعون سنة . على ان المنافسة بين اثينا وسبارطة على زعامة اليونان لم يكن قد انتهى امرها بعد ولا وُضع لها حد . فكان لا مناص لها من امتشاق الحسام واستئناف القتال مرةً اخرى في حرب عوان دامية . وقبل ان تطلق للقلم العنان في وصف هذه الحرب لتلق نظرة عامة على اثينا الجديدة البهيبة الآخذة بالتقدم والنمو تحت زعامة بريكليس

(٥٢٥) تحصينات جديدة في اثينا . اسوار مستطيلة

(٥٢٦) الحرب الاولى بين سبارطة والها (٤٥٩ - ٤٤٦)

(٥٢٧) الحرب مع الفرس . الحملة المصرية

(٥٢٨) عند الصلح مع سبارطة والفرس

مسائل

٥٠

صف حكومة سبارطة • ماذا تعلم عن اسباب المنافسة بين سبارطة واثينا ؟ ماذا فعل ثيمستكليس الآن ؟

٥١

اي اتحاد عملته اثينا الآن مع المدن اليونانية الشرقية ؟ اي دور مثل ارستيدس فيه ؟ الى اي شي . كان في الامكان ان يؤدي هذا الاتفاق الديلوسي بسهولة ؟ الى اي سياسة مال كيمون ؟ كيف كان موقف ثيمستكليس بالنظر الى سياسة كيمون ؟ ماذا حدث لثيمستكليس ولكيمون ؟ اي انتصارات جديدة نالها الشعب ؟ اي مجلس جديد قام الآن وكيف حكم ؟ بآية وسيلة استطاع السياسي ان يحافظ على الزعامة ؟ من صار زعيم الشعب الآن ؟

٥٢

ماذا حدث للتجارة اليونانية بعد حرب الفرس ؟ قل ما تعرفه عن الملاحة والارباح التجارية ؟ ماذا تقول في قيم الاشياء بالنسبة الى ما هي عليه الآن ؟ ماذا اثر ذلك في الاسعار ؟ ماذا كانت نفقات الحكومة الاثينية الرئيسية ؟ هل استطاعت حكومة أخرى مضاهاتها في ذلك ؟ اذكر باختصار حوادث الحرب البلبونيسية الاولى

الفصل الخامس عشر

اثينا في عصر بريكليس

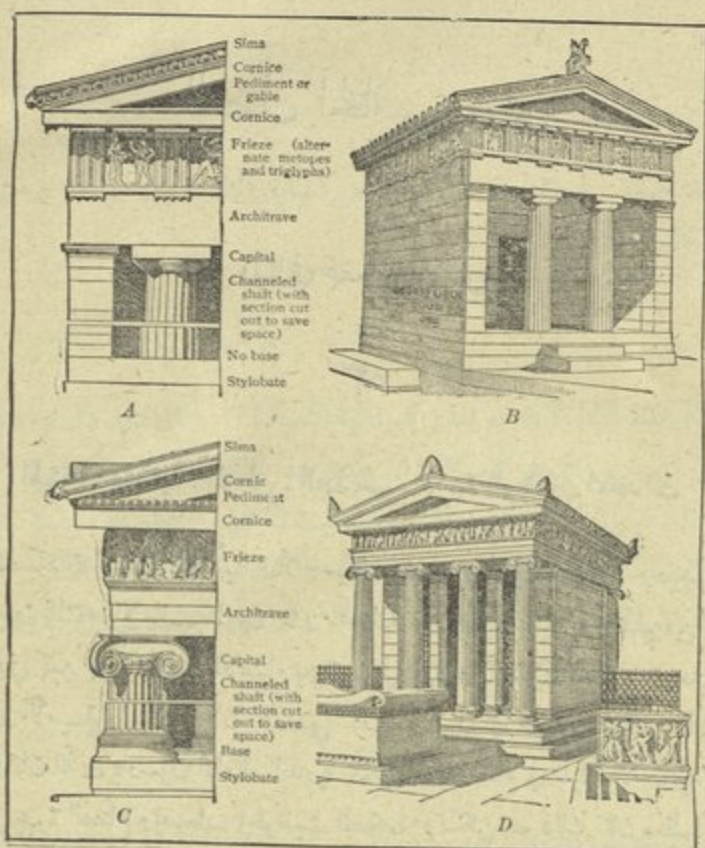
٥٣

الهيئة الاجتماعية . الوطن . التهذيب . تربية المواطنين الاحداث

كان سكان اثينا - كما رأينا قبلاً - مؤلفين من وطنيين واجانب وعبيد . فكان العبيد اربعين بالمئة والاجانب ما بين ١٠ و ٢٠ بالمئة ، والوطنيين البقية ، وكلهم من الاحرار . وكان فريق كبير من الوطنيين الاغنياء يعيشون في اثينا من دخل املاكهم . ومنهم تألفت طبقة اكبر الامة واعيانها . لان الاراضي كانت لا تزال في عيونهم اعظم مظهر للثروة والجاه . وكان الذين يارسون الاعمال اليدوية محقرين وبلا مقام في الهيئة الاجتماعية . وكانت اثينا تغص بمهرة الصناع واصحاب الحوانيت الصغيرة . ولكن مع ذلك كان معظم الاثينيين لا يزالون يتعاطون الفلاحة والزراعة في جميع انحاء اتيكا مع ان اكتساح الفرس لبلادهم وتخريبهم لها قد احدث نقصاً مهماً في الاراضي الصالحة للزراعة (ف ٥٠٢ و ٥٠٦)

ان ترميم مباني اثينا بالسرعة المقتضاة بعد احراق الفرس لها ، لم يحدث تغييراً محسوساً لا في شكلها ولا في حجمها بل ظلت كما كانت لا كبيرة ولا مزخرفة . ولم يكن في اوربا كلها منازل تظاهي بجملها المباني التي كانت في وادي النيل (ش ٣٥) حتى « واجهات » منازل الاغنياء ، كانت عبارة عن جدار بسيط مبني بالاجر . وكانت المنازل ذات طبقة واحدة . والباب الذي كان في الغالب النافذة الوحيدة في الجدار ، كان يؤدي الى دار غير مسقوفة يحيط بها رواق ذو عمد على النمط المصري كانت العائلة تستعمله غرفة للجلوس في

معظم اركانها نظراً لاعتدال الهراء في بلاد اليونان. وكان في الدار بضعة ابواب تؤدي الى
غرف مختلفة، منها للاقامة نهاراً ومنها للامانة ليلاً ومنها للهايدة وحفظ المؤونة. وكان في
عداد الغرف مطبخ صغير.



الشكل ١٢٧ يرى هنا رسم الطرازين اليونانيين المهمين في هندسة البناء الطراز
الدوري (A و B) والايوني (C و D)

البنية الصغيرة الدورية (B) هي خزينة الاثينيين في دلفي (ش ١٧٣) وهي تحجري على نفادام الشكر التي
كانوا يقدمونها لابلون. وعلى القاعدة الواضحة الى الجنب اليسار من البنية كان موضوعاً ما غنموا في معركة
مرثون من تذكارات الانتصارات. وكان منحوراً على الجدران فوق هذه التذكارات اغالي لابلون مع علاماتها
الموسيقية وهي اقدم علامات موسيقية باقية من الزمن القديم. والبنية الايونية الجميلة (D) هي مرمم هيكل النصر
الذي تم على الاكروبولس الاثيني (ش ١٨٣ B والصورة على صفحة ٢٧٨). عارض الامممة النخبة باعمدة الطراز
الدوري النخبة فترى ان الطراز الايوني انحف واجمل وفي A و C تفاصيل الطرازين

(٥٢١) حاجة
منازل اهل ثيبين
الهكلية من اسباب
راحة المعيشة

ولم يكن في منازل اليونانيين شي - تقريباً - من اسباب الراحة وهناك العيش فلم يكن فيها مداخن لخروج الدخان حين اضرام النار في المواقد . نعم كان في السقوف كوى او روازن معدة لخروجه ولكنه لم يكن يخرج منها بل كان يلا البيت الى درجة يكاد يخنق عندها من فيه من السكان ثم يخرج من الباب . وفي الشتاء كانت تهب الرياح الباردة وتدخل البيوت بلا مانع اذ لم يكن شي يصدّها ، لان معظم المداخل كانت بلا ابواب . والبيوت التي كان لمداخلها ابواب ، كان اصحابها مضطرين الى ابقائها مفتوحة ليدخل منها النور لانه لم يكن للبيوت رواشن او شبايك مزججة تسمح للنور بالدخول وتصد الامطار والرياح عنها كما هي الحال الآن ، لان الزجاج لم يكن قد عُرف بعد . وفي بلاد معتدلة الهواء كبلاد اليونان ، كان يكني السكان ، لتدفئة منازلهم ، بايقان قليل من الفحم في كانون او موقد اعتيادي حتى تصير حرارة داخل البيت ارفع قليلاً من حرارة الهواء خارجه وكل ما كان لديهم من ذرائع الاستصباح ، السرج الاعتيادية التي كانوا يضعون في الواحد منها قدرًا معيناً من زيت الزيتون ويغمسون فيه فتيلة تبرز قليلاً من قناة صغيرة فيه وحين كان الليل يرخي سدوله كانوا يضيئون الفتيلة فيصدر منها نور ضئيل لا يكاد الجلوس في البيت يرون به بعضهم بعضاً . ولم يكن للمنازل انابيب لجر المياه منها او اليها ولم يكن للقرى او المدن اسراب ولا شي من المرافق التي يتمتع بها ابناؤنا هذا الزمان . فكان العبيد يستقون الماء على ظهورهم من اقرب بئر او نبع جار . وكانت المنازل اليونانية غاية في بساطة اناها لان اصحابها اقتصروا على الضروري منه فقط حتى كادت تظهر عارية مع ان الصناع اليونانيين في هذا العصر كانوا يصنعون انفس الاثاث واجمله . وقد رأينا قبلاً ان الفخار اليوناني كان اجمل فخار صنعه القدماء . (ش ١٢٦)

(٥٢٢) الشوارع
الها

وكانت شوارع اثنينا ضيقة معوجة عرضها نحو ميل وطولها يزيد قليلاً عن ذلك تنعرج بين منازلها المنخفضة المبنية بالاجر المجفف بالشمس . ولم تكن تلك الشوارع مرصوفة ولا مبلطة . ولم يكن لها برازيق (ارصفة على جانبيها) يمشى عليها المارة . فاذا ما رام انسان ان يتمشى في احد الازقة بعد مطرة خفيفة اضطر ان يخوض الوحول خوفاً . وكان الناس يطرحون قمامات منازلهم ونفايات مطابخهم في الشوارع العمومية . ولم يكن للمدينة اسراب او مجاري تتنقل بها مياه المراحيض والبلايع الى البحر

(٥٢٣) الازياء

وكان اهل الشرق قديماً يباهون باللباس الفاخر الزاهي الالوان . اما في بلاد اليونان - في هذا العصر - فقال معظم الناس الى البساطة في اللباس ورغبوا عما كان يرغب فيه اسلافهم من الازياء الزاهية الالوان كما يرغب عنها معظم رجال اوربا في القرن الماضي . ولكنهم وان

كانوا قد اقلعوا عمارغب في اسلافهم من الازياء النفيسة الزاهية لم يقلع من كان منهم صناع
اليدن عن هندمة لباسه وتجميده وتثنيته . وكان المتأنقون منهم في لباسهم يفاخرون بعدد
خطوط الثنيات او الطيَّات في اثوابهم . اما النساء حافظن على القديم وابقين على زينتهنَّ
وزخرفة ازيائهنَّ لانهنَّ - لسوء الحظ - لم يكن لديهنَّ شيء يوجهنَّ اليه عقولهنَّ وافكارهنَّ
سوى الملابس واعمال المنزل . ذلك لان الرجال مالوا اكثر من قبل الى ابقاء المرأة في حالة
الانحطاط لكي تظلَّ في بيتها تقوم بالشؤون المنزلية . ولم يكن عند اليونانيين مدارس
للبنات . اما الصبيان فكانوا حين بلوغهم سنّاً معينة يُرسلون الى المدرسة بجراسة عبد قديم
في البيت دعوه مؤدباً او رفيقاً للولد . ولم يكن للحكومة مدارس ولا مبانٍ مخصصة
لتهذيب نشئها فكان يقوم على تعليم الاحداث بعض الافراد المحاييج الذين فقدوا ما كان
لديهم من حُطام الدنيا او سُدت في وجوههم ابواب الارتاق . فبدلاً من التسوّل في الاسواق
كان الواحد منهم يفتح بيته ويقبل فيه بعض الطلبة ثم يشرع في تعليمهم . وكان يقوم
احياناً بهذه الخدمة الشريفة الجنود المتقاعدون او بعض الاجانب . ومع شرف هذه الخدمة
كان الجمهور ينظرون الى القايمين بها نظرة الازدراء والاستخفاف . اما اجور التعليم فكان
يؤديها الآباء عن ابنائهم . ومع ان الحكومة لم يكن لها مدارس فقد كانت تعين من
قبلها مراقبين او مفتشين على المدارس الخصوصية لكي تمنع بذلك كل تعليم محظور لا يليق
ان يتعلمه الاحداث

(٥٢٤) مراجع
القدوس

كانوا قديماً يعلمون الولد القراءة والكتابة والموسيقى (ف ٧٣ ، وش ١٣٨) ثم اضافوا
عليها مقاطع كثيرة من منظوم قداماء الشعراء للاستظهار . فاذا كان التلميذ قوي الذاكرة
حفظ كثيراً من الاياداة والاولدسي . الاّ أنهم لم يعلموه شيئاً من الرياضيات او الجغرافيا
او العلوم

(٥٢٥) نيل
الهندسة اليونانية

وكان الفتى الاثيني اذا ما بلغ الثامنة عشرة من عمره وغادر المدرسة يمنح الحقوق الوطنية
على شريطة ان يكون ابواه حائزين لها . وكانت اليمين الشرعية التي يخلف بها « خير
مذكّر له بالواجب عليه لبلاده وامته . وواضع صورة اليمين هذه هو وصولون الذي اوجب
بها على الشاب « ان لا يُبين سلاحه المقدس ولا يخذل رفيقه في الجندية ساعة التزال بل
يجاهد في سبيل الذود عن حرمة الهياكل المقدسة والخير العام سواء كان وحده او مع غيره ،
وان يغادر بلاده في حال احسن من الحال التي وجدها عليها ، وان يطيع حكام البلاد
وشرائعها ويدافع عنها اذا اقتضت الحال ذلك ، وفي الحتام كان عليه ان يحترم ديانتها »
وكان على من نال هذه الحقوق ان يخدم سنة في حماية ثغور البلاد في بيرة حيث كان

٥٣٦) ناقل
المحتوق المدونة
والخدمة العسكرية

يُدرَّب في الفنون العسكرية . وكان الذين أدوا هذه الخدمة عند بلوغهم التاسعة عشرة من

العمر يعطون رُحاً وترساً
من المسلَّحة (بيت
السلاح) ثم يتوجهون
تواً الى المسرح ويدخلون
دائرة الاركسترا حيث
كانوا يُقدمون الى
ابناء وطنهم المجتمعين
هناك قبل الشروع
في التمشيل . وكان
الشاب بعد ذلك يُخدم
سنة أخرى في ثغور
اتيكا تنتهي في ختامها
مدة خدمته في الخدمة



٥٣٧) الرياضة
البدنية

وكان الشاب متى
اتمَّ خدمته في الخدمة ،
يتفرَّغ أكثر من قبل
للألعاب الرياضية في
الملاعب الجميلة التي
كانت في العراء ، خارج
اسوار اثينا هذا اذا
كان مركز أسرته في
الهيئة الاجتماعية وغناها
يساعدان على ذلك .

الشكل ١٢٨ المدرسة الاثينية في عصر بريكليس

هذه المشاهد مصوَّرة حول قاعدة قُدح قليل القدر ولذلك اكتسبت هذا
الشكل المخصوصي . نرى الى يسار الصورة اعلاء معلم الموسيقى جالساً امام قيثارة
يعلم النقي الذي امامه مثالته ونرى في الوسط معلم القراءة والآداب ماسكاً درجاً
مفتوحاً (ش ١٧٤) يتعلم منه الصبي الواقف حواله ، قصبه وقد جلس خلف الصبي
العبد الذي يرافقه الى المدرسة اي المؤدب (ف ٥٢٢) الذي اتى يواي المدرسة
حاملًا له كتبه . وفي الصورة ادناه نجد مثاله غنام مع الفلوت لضبط العلامات
الموسيقية . ونرى في الوسط المعلم جالساً يصلح تمريناً ناوله اياه الولد الواقف امامه .
وراء الولد يري العبد اي (المؤدب) جالساً كما مرَّ آنفاً

كان الى الشمال من اثينا خارج السور ملعب للرياضة يُعرف بالا كاديمية والى الشرق منها
ملعب آخر شبيه به يعرف ببنْدوة الفنون (Lyceum) وكانت الاكاديمية والندوة اولاً
مكانين مخصَّصين للألعاب الرياضية ولكنها اكتسبت - بما كان يُلقى فيها بعد ذلك من
المحاضرات التعليمية - المعنى الذي لها في الغرب . واقدم سباق أنشيء في اولمبيا ، كان

سباق مئتي اليرد الذي دعاهُ اليونانيون «بالتاديون» اي ست مئة قدم . وكانت الالعاب الرئيسية التي يارسونها هناك ، الملاكمة والمصارعة والخُضْر (الركض) والقفز والوثب ورمي الحراب وقرص الحديد . ثم زادوا على هذه الالعاب العاباً أُخرى اخصها سباق المركبات وسباق الخيل . وقام بعد ذلك بجيل من الزمان ، بعض الفلاسفة وانتقدوا اليونانيين انتقاداً عنيفاً لانهم خصّصوا كثيراً من وقتهم واجتهادهم بالالعاب الرياضية

٥٥

التهذيب العالي والعلوم والتربية المكتسبة من خدمة الحكومة

وقام بين اليونان جماعة من اعمل الرزانة وجهوا افكارهم الى الامور العليا فكان الشاب اليوناني اذا ما اتمّ تعلم الموسيقى والقراءة والكتابة في مدارس البلاد القديمة (ف ٥٣٣) وكان على جانب من الذكاء ، يُعِين اباهُ بالاحصاف عليه بان يقدم له المال اللازم ليتمكن من شهود محاضرات المعلمين الجدد والاصفاء الى تعاليمهم الجديدة لان ما تلقاهُ من العلم في المدارس القديمة لم يكن كافياً . وكان هؤلاء المعلمون الجدد امهر ممن تقدمهم . يطوفون في البلاد متنقلين من مكان الى آخر لنشر تعاليمهم

(٥٣٨) قسم
المعلمون

هذه هي اول مرة انفتح فيها باب التهذيب العالي للشبان الذين لم يكونوا - حتى الآن - يحافون بشي . سوى نيل قصب السبق في الالعاب الاولمبية او الظهور بهيئة تجذب الابصار حين عرض الفرسان في اثينا . ظهر هولاء المعلمون الجدد وشرعوا يعلمون الاحداث البيان والخطابة فنجحوا نجاحاً عظيماً . وما كان اعظم سرور الاب الذي لم تكن له موهبة الخطابة حين كان يرى أن ابنته قد صار من الخطباء الذين تهتروا لذكورهم المنابر وتسحر بلاغتهم الالباب . ولم يقتصر هولاء المعلمون على تعليم البيان فقط بل مرّوا تلاميذهم على كتابة النثر فنبغ منهم فريق كان اول من كتب نثراً بليغاً في اللغة اليونانية ووضعوا للغة قواعد تتمسّى عليها وعلّموا الرياضيات والفلك ومبادئ الطبيعيات اول مرة . فالحقائق التي ابتداءً فلاسفة اليونان يكتشفونها من عهد طاليس (ف ٤٨٢-٤٨٣) اخذت بعد قرن ونصف قرن من الزمان ، تنتشر بين عامة الشعب

(٥٣٩) قسم
النظام سوت
بالتهذيب العالي

(١٥٤٠) انقلاب
العقلي . الموهب بين
الاحداث والشيوخ

ولم يستطع الآباء ان يجاروا اولادهم في مظهار هذه الافكار الجديدة . فكان الاباء اذا رأى في يد ابنه كتاباً من تأليف احد السفسطيين مبدوءاً بعبارة يُشتمُّ منها رائحة الشك او التشكيك بوجود الآلهة ، عدّ تعليم ذلك الكتاب الجديداً كفرةً . وجل ما كان في وسعه ان يفعله انتقاماً من اولئك المعلمين المعطلين ، هو ان يستدعي نفبهم واحراق مؤلفاتهم ، وان كان يعلم بانها تتلى جهاراً في منازل اعظم رجال اثينا . فاشورة الفكرية التي كانت قد حصلت في عقل طاليس (ف ٤٨٥) كانت الآن ناشبة في عقول عدد غفير من اليونانيين الذين كانوا يزدادون عدداً على كرور الايام . وكان الموقف في راي الطراز العتيق من الناس ، يزداد حرجاً والحال سوءاً حيناً بعد حين

(١٥٤١) حاجة القوم
الى معرفة عميقة
في العلوم كما يظهر
من تباينهم لوقت

ومع انتشار المعارف الذي نجم عن تعليم السفسطيين بقيت معرفة الاثينيين العمومية بالمعلوم ضئيلة محدودة اورثتهم تبعاً عظيماً في قياسهم للوقت . فكانوا يسمون الوقت الذي قبل الظهر « وقت حور السوق » اذ لم تكن الزوالة المصرية قد ارشدتهم بعد الى ذكر الساعة بعدها كما كان يفعل المصريون قبل الف سنة . وكان اليونانيون لا يزالون يستعملون الشهور القمرية يزجون بينها شهراً في كل ثالث وخامس وثامن سنة (١٥٦) . ولا مرأه في انهم كانوا قد رأوا مراراً كثيرة في المكان الذي كان يلتئم فيه المجلس (ف ١٨٥) بلاطة غريبة الشكل عليها تقويم (ورنامة) اقامها هناك المهندس ميتون . فهذا كان قد احصى طول السنة ولم يقع خطأ في حسابه سوى نصف ساعة لا غير . وقد اعتمد في تقويمه على الشهور القمرية ونسّقه على اسلوب بديع بحيث يقع آخريوم من الشهر القمري الاخير في كل سنة تاسعة عشرة ، اليوم الاخير من السنة الشمسية . الا ان هذا الاسلوب في قياس الوقت كان فوق مدارك العامة . والاراخنة انقضوا عليه الراس ولم يكتثروا له على الاطلاق وعولوا على التقويم القمري القديم المتعب وغير المضبوط الذي بوجهه كانوا يجعلون من كل ثاني سنين ثلاثاً كل واحدة منها موافقة من ثلاثة عشر شهراً . وظنوا هذا التقويم خيراً من سواه

(١٥٤٢) تقدم
الفلك والجغرافية

وثابر بعض علمائهم على القيام باكتشافات مهمة فارتأى احدهم وجاهر بما ارتآه ان الشمس كتلة متقدة اكبر من البلبونيسس وان القمر يستمد نوره منها وان فيه جبلاً واودية كالارض وانه مأهول بالخلوقات الحية . وكان السفر في ذلك الزمان شاقاً لانه لم يكن عند اهل ذلك الزمان البعيد سفن للركوب ولا وسائل للتقل برّاً الا عجالات ساذجة وبلا هندام . وكانت الطرق وعثة وعرة المسلك فاضطرّ المسافر ان يقطعها ماشياً او راكباً على متن ركوبة . ومع وجود هذه الصعوبات شرع الموسرون منهم يكثرنون الآن

من الاسفار قصد الاستعلام والاكتشاف . واما الاسفار التي غيبتها ترويح النفس والتزهُه
فلم يشرع فيها الا بعد هذا الزمان بمئة وخمسين سنة . فسافر هيرودوتس سفرات طويلة
في بلاد مصر وبلدان أخرى في الشرق وآب وممل ، راسه حقائق تاريخية وعلمية عن الاراضي
التي زارها . وظهر من خريطة رسمها بيده ان البحر الاحمر متصل بالاقيانوس الهندي . وهذه
حقيقة لم يعلمها سلفه هقاتيوس ولكن ظل العلماء في حيرة من جهة زمهرير الشمال وحر
الجنوب لانهم لم يفقهوا علة هذا الفرق العجيب



خريطة ١٨

العالم كاهرفة هيرودوتس

ومع عدم وجود مكرسكوب وكيمياء نجد الطب قد خطا خطوات مهمة الى الامام .
فاؤل كل شيء ، انكر اطباء اليونان الاعتقاد القديم ان علة الامراض هي الارواح
الشريرة ، وبدلوا جهدهم في البحث عن عللها الطبيعية . ولكي يتسكنوا من ذلك اكبروا على

(٥٤٦) تقدم
عن الطب

درس اعضاء الجلم وتفهمها جيداً . وكانوا قد اكتشفوا قبلاً ان الدماغ آلة الفكر . واما الجهازان الوريدي والعصيبي والدورة الدموية فكانت لا تزال مجهولة عندهم . ومعلوم انه بدون معرفة الدورة الدموية يتعدّر اجراء عملية البتر . واذا استئينا هذه العملية ، قلنا ان الجراحة كانت متقدمة في هذا العصر . وكان اعظم اطباء ذلك الزمان ابقراط واضع اساس الطب على القواعد العلمية الراهنة . وقد استطارت شهرة الطب اليوناني في الافاق حتى ان ملك الفرس استقدم اليه طبيباً يونانياً

(٥٤٤) القديم
في كتابه التاريخ .
مير ودولس

وعند ختام حياة بريكليس ، وفي ايام الكوارث والارزاء الوطنية ، قام المؤرخ هيرودوتس ونشر كتابه - تاريخ العالم - الذي قضى سنين عديدة في تأليفه وقد توخى فيه ان يجعل اثينا المجيدة بارزة من خلال سطورهِ وان يبين لابناء وطنهِ طراً انهم مدينون لاثينا بخلصهم من براثن الفرس . فكان لكلامهِ وقع حسن وتأثير شديد في صدور اليونان ولا سيما الاثينيين حتى انهم مع فراغ خزانتهُم من المال من جراء تواتر الحروب عليهم ، ففجوهُ بمشروقات اي بما يساوي اثني عشر الف ريال اميركاني

(٥٤٥) الفذهب
والتهريب المكسبان
من خدمة حكومة
البلاد

وكان تدخّل الشبان في الشؤون العامة يكسبهم - علاوة على ما كانوا يكسبونهُ من العلم على ايدي الفسطين - خبرة واسعة تجعلهم رجالاً يقتخر بهم ووطنهم . ففي «مجمع الخمس مئة» تعلّموا كيف يقومون باعباء اشغال الحكومة اذ كان - في بعض الايام - ستة الاف منهم يمارسون القضاء كاعضاء محاكم (ف ٥١٦) . فهذه الخدمة وحدها جعلت مندوحة لخمس شبان البلاد ان يقوموا باعمال ارهفت عقولهم وخرّجتهُم في المسائل الشرعية وادارة الاعمال فضلاً عن انها كانت ذريعة لتذكيرهم دائماً بواجباتهم نحو حكومتهم وامتهُم

(٥٤٦) تبرعات
الوطنيين

وكان ما ذكر من اخدم التي قاموا بها للحكومة والامة ، دافعاً لبعضهم لان يجود على حكومتِهِ بالمال الجزيل تبرعاً . وكثيراً ما كان يقوم بعضهم بتجيز سفينة حربية وتقديم سائر ما يلزمها من تلقاء نفسه غير مكرهٍ على ذلك ولكن كان بعضهم يُكرهُ عليه اكرهاً . وكان بعض المثريين منهم يأبسون ، في الاعياد الوطنية ، المآدب الفاخرة لجميع افراد «القبيلة» كما كان غيرهم يقوم باعداد الاجواق الموسيقية للمراسم والانفاق على تعليمها وشراء الثياب اللازمة للتمثيل . وروي ان احد اولئك الوطنيين انفق في تسع سنين على الولاثم والمآدب والاجواق ما لا يتل عن اربعة عشر الف ريال اميركي وهذه القيمة كانت تعدُّ في تلك الايام كبيرة جداً

(٥٤٧) مآدب
الحكومة

وكان للمآدب النفيسة التي كانت تادبها الحكومة تأثير كبير في حياة الشعب الاثيني .
ففي كل ربيع عند حلول عيد ديونيسوس كان اعظم كتبة الروايات التمثيلية يقدم كل منهم
ثلاث مآسٍ ومهزلة لتمثّل في المسرح وكانت الحكومة تؤدّي الجائزة للفائز . وكان
الاثينيون يُقبلون على شهود تمثيلها ايّما اقبال . وكان عندهم عدد كبير من الاعياد التي كانت
تحتفل الحكومة بتذكارها بالتمناء والطرب فكان سدس او سبع ايام السنة اعياداً . اما
عيد الحكومة العظيم المسمّى بنائينيا فكان يقع مرّة كل اربع سنين . وكان يسير فيه
موكب فخم الى الاكروبولس حيث كان يهدى للالهة حلّة فاخرة وتقدّم الضحايا وتقام
الاحتفالات الدينية المؤثرة . وكانت تقام ايضاً مُباراة في الموسيقى والالعاب الرياضية والرقص
الحربي وسباق الزوارق في خليج سلاميس تسليمة للجواهر العظيمة التي كانت تحتشد في اثينا
لشهود الاحتفالات بهذا العيد العظيم

٤٧

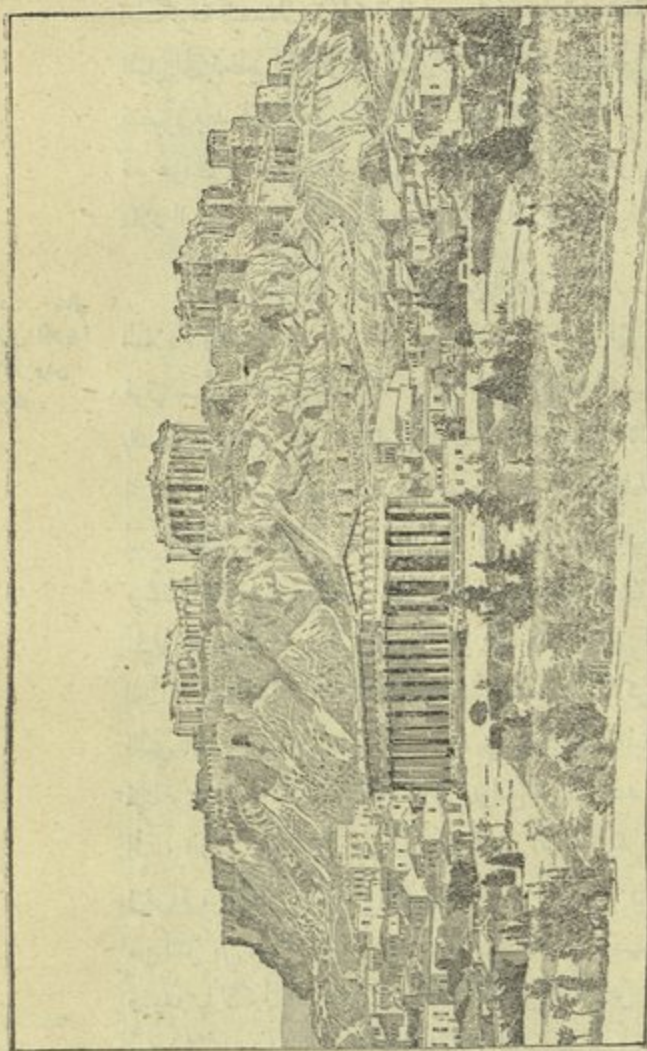
الفنون والآداب

(٥٤٨) الفنون
والآداب في العاصمة
اثينا

ورأى الناس تحت تأثير عوامل كالمذكورة آنفاً، عظيمة الحكومة وأبهة الملك بصورة
لم يحلم بها العالم قبل هذا العصر . فكانت نتيجة ذلك تنبه خيال الشاعر والمصور وافكار
النحاتّ والمهندس البناء . واحقر الصناع وصغار الباعة . وما ذلك الاّ لأن كل طبقات الشعب
صارت الآن تشترك في جميع شؤون الهيئة الاجتماعية على اختلاف ذروبها . ولم يقتصر تأثير
النظر الى الحكومة بعين الاجلال والاحترام على النتيجة المذكورة فقط ، بل تناول
الموسيقى والتشيل والفنون والهندسة ولا يخفى ما ليا تنتج هذه الاشياء من التأثير الكبير
في حياة افراد الامة

(٥٤٩) العمود

وكان الوطني الاثيني حيثما اتجهت خطاه في اثينا الجديدة التي اوجدها بريكليس تتع
عيناه على آثار نفيسة انيقة الصنعة فاذا جال في السوق رأى كثيراً من الاروقة ذات الاعمدة
وفي جملتها الرواق المصوّر الذي اهدته أسرة كيمون الى المدينة . وسُمّي بالرواق المصوّر لان
الجدار الذي وراء الاعمدة كان مزدياناً بتصاوير جميلة رسمتها ريشة بولغنوتس احد ارباب
الفن الذي نبغ في الجزر التابعة لاثينا . وقد مثّل بتلك التصاوير الفوز المجيد الباهر الذي



الشكل ١٢٩ مهكل نيسوس داربوس باغوس واكر وبولس

انما في هذا المشهد واقفون داخل سور نيمستكليس بالقرب من باب ديبلون في حي الخزامين . نرى في مقدم الرسم نيسوس موجد اثينا - على ما جاء في الاطرابير اليونانية - الذي احترمه اليونان كأحد الالهة وشيدا هذا المهكل على ما نظن اكراتاله . حجازته من الرخام وبنائه تم بعد وفاة بريكليس بستين قليلة . ولكنه لا يزال ، بعد مرور الفين وثلاثمائة سنة اراكثر على بناءه ، على رونق وجلال اكثر من سائر المباني اليونانية القديمة . وفوق السور وعلى اقصى يده من جهة البين ، ترى زاوية من الالهة المروفة باربوس باغوس التي كثيرا ما تصور على المرح حيث تقف بولس الرسول عطفة على مسامحة من اهل اثينا (انظر سفر الاعمال ص ١٧) ، والبنائات التي تشاهد على الاكر وبولس في اخره المباني التي شيدت بعد تدمير القدس لهذا المكان (ص ٥٠٢) ويظهر في البرونزون (٥٥١) القائم وسط الليل ، النقرة التي حصلت من انفجار عمود البارود التركي . يعل قبله من قبائل البسادقة (البييسيين) سنة ١٦٨٧ وأطارت القسم الاوسط من البناية كلة . وكان سوق اثينا يشغل الموضع القائمة بين مهكل نيسوس داربوس باغوس وبين الاكر وبولس

حازته جنود اثينا في معركة مرثون والتضحية العظمى التي قام بها الاباء الابطال . ويرى الناظر الى هذا المشهد البديع صورة فلول الفرس المنهزمين يدوس لاحقهم سابقهم ، وصورة ثيمستكليس وماتياسدس وكاياخوس الذين جندلوا في ساحة الوغى ، وصورة الشاعر استخوس ناظم المأسى المشهورة

وكان وراء ذلك الرواق المصوّر تلّ قليل الارتفاع يعرف بتل السوق تحديق به مباني الحكومة البسيطة المبنية بالطوب او بججارة بسيطة (دبش) كبيوت الاهلين . ومع ان الميل الى تعظيم الحكومة كان يتزايد في الشعب فقد كانت فكرة تشييد المباني الفخمة لم تتصوّر بمدى عقولهم ولا في عقول سكان بلدان البحر المتوسط . ولم تكن مباني كهذه قد عرفت في اوربا حتى الآن . وكانت الهياكل تقوم مقام المباني العمومية العظيمة في جميع بلاد اليونان . فلم يكن للحكومة مباني خصوصية تقيم بها دوائرها المختلفة

(٥٥٠٦) مباله
الحكومة

وكان الوطني اذا حوّل طرفه عن الرواق المصوّر يرى فوقه تل الاكروبولس سامقاً الى العلاء . وقد كانت قننه مسكن الالهة اثينا التي كانت على الدوام باسطة ذراع الحماية فوق سميتها المدينة المحبوبة . وكان هذا التل منذ اعمل الفرس في مبانيه النار ، لا يزال مُعْتَمَى بالدخان ومبانيه تحربة مع ان منازل المدينة اسفله كانت قد رُمت . فهض بريكليس يهتبه السماء لترميم المزارات القديمة الحربة على غمط يجعلها افخم واجمل مما كانت قبلاً وطراز لم يُعرف مثله في العالم اليوناني قاطبة . فتمّ له ما اراد دون ان تشبّه همته جسامة النفقات وشدة المقارنات من لدن اعضاء المجلس القديم الذين هاتهم ضخامة النفقات . وجاءت المباني الجديدة آية في الرونق والبهاء . فكان الوطني اذا التفت الى شمعات الرخام الصقيلة البراقة يشعر بان هذا الجلال الذي يتّوج هامة الاكروبولس هو نتيجة اجتهاد شعب اثينا الذي كان لكل فرد من افراده يد في ايجاد تلك المباني الفخمة النائقة برونقها وجمالها الفنّان فهنا يرى امامه اروقة مدخل الاكروبولس ذات العمدة الرخامية الفخمة النفيسة ويلاحظ ان البناء قد شرع يستعمل طرازاً جديداً من الاعمدة يُعرف بالايوني (ش ١٤٠) وهو اكثر زخرفة من الطراز الدوري الفخم واخف منه وزناً . وكان صوت آلات البناء العديدة الآتي من التل من مسافة بعيدة يدل على ان هنالك قطعاً عين يقطعون الحجار ونحاتين ينحتونها ويعدونّها لاكمال البرثيون الهيكل الفاخر المكرّس للالهة اثينا الذي لم يكن قد اكمل بعد (شكل ١٤١) . وكثيراً ما كان الناس يشاهدون بريكليس هناك يشارف اعمال البناء بجد واهتمام وفيدياس النحات الشهير واكتينوس المهندس المعماري يتمشيان صاعدين نازلين ضمن المكان يوضحان له تقدم العمل . وفي هذه المباني اليونانية المدهشة كان يعمل البناء والنحات معاً أخذاً احدهما بيد الآخر

(٥٥١٦) مباله
بريكليس الجديد
على الاكروبولس
البرثيون

ان فيدياس يُعد اعظم نحّاتي اثينا . وقد نقش هو وتلاميذه على زنّار من حجر الرخام يحيط بجوانب البرثيون الاربعة ، صور ارباب المناصب العليا في المدينة وهم ساترون في موكب فخم نهار عيد الالهة اثينا (ف ٥٤٧) . وكان تمثال هذه الالهة الذي صنعه

(٥٥٢٦) فيدياس
واعمال النفيسين
والنحات في البرثيون

فيدياس النحات الماهر من العاج والذهب ، يتألق من داخل الهيكل الجديد . حتى من

المدينة ، بأسفل التل ، كان

يستطيع الاثيني ان يرى صور

ابطال الالهة المزخرفة

بالالوان الزاهية التي ملأ بها

فيدياس جناحي البناية الذين

كانا عبارة عن مثلثين وفي

اصطلاح بنايى اليوم

«ترسين» (ش ١٤١) وكان

وراء المدخل التعمد تتمال

للالاهة اثينا من صنع

فيدياس هائل جداً ومرتكز

على قاعدة عالية يبلغ ارتفاعه

معها سبعين قدماً . وكانت

الالاهة الحارسة لاثينا تحمل

ترساً وريحاً يرى سنانه متألقاً

من مسافة بعيدة في البر حتى

من البحر كان البحارة يرونه

وهم يدورون حول راس

ايتيكا الجنوبي عائدين الى

بلادهم

وكان الاثينيون ، مع

وجود السفطيسين بينهم ،

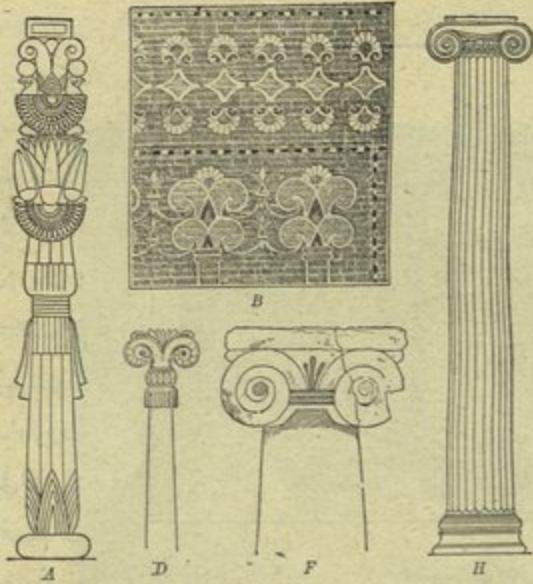
وثنيين قلباً وقالباً يعبدون

آلهة مختلفة ويقدمون لها

الاکرام معتقدين انها هي التي رفعت اثينا الى مقامها السامي الذي تتبوأه ويدكرون

بل . الفخر انتصارهم المجيد في سلاميس كما ورد في رواية اسخلوس التي . موضوعها «الفرس»

وقد خلد بها هذا الشاعر الكبير ذكرى الخلاص العظيم في الفتح الفارسي ، بصورة

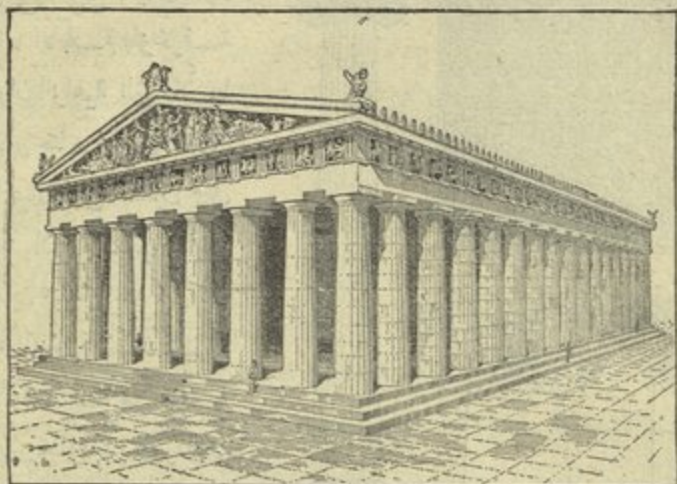


الشكل ١٤٠ العمود الايوني واسلافه في بلاد الشرق

A عمود من خشب كلالهبة المستعملة في البيوت والمزارع بمصر
(القرن الخامس عشر ق م) لاحظ عند قمة A الزينة واطراف البنات
ملفنة التناقف حلزونية و B جزء من جدار عليه صور جميلة من الاجر الملون
مأخوذاً من الغرفة التي كانت فيها عرش نوبختصر في بابل . وعلى هذا
الجدار ترى الزينة نفسها مصورة مرتين و D راس عمود كان مستعملاً عند
اليونان في اول عهدهم ببن البناء في اسمة الصغرى وبنات زهر الزينة ملفنة
الى مدى اهد ولكنها لا تزال العلاقة بينها وبين A بينة وهذه العمارة تعظم
اكثر واكثر في F وهو تاج عمود في الاكروبولس باثينا حتى ننسى ان
هناك زينة واخيراً يرونا العمود الايوني H بعد التطور الكامل ان الانقافات
التي فيها قلما تشبه الزينة التي اخذت منها اصلاً . والعمود المذكور مأخوذ
من صف اعمدة هيكل النصر في الاكروبولس باثينا

(١٥٥٢) الرطبات
الذهر يا الصهبوية .
اسخلوس

من الشعر مثلت فيها عبقريته يوم سلاميس المخيف وحسرت اللثام عن مقصد الآلهة من
انقاذها «لهلاس» (بلاد اليونان)



١٤١ ترميم البرثينون كما كان في القرن الخامس ق م
(نقل تيرش وميخائيليس)

هذا هو ميكل اثينا الفاخر العظيم المشيد على اكروبولس اثينا بهمة بريكيليس ومعاوضة
المهندس إكثينوس واللغات فيدياس (ف ٥٥١) وبرينا الترميم جمال الاروقة الدوربة المعمدة
كما كانت حين تركها ايدي البناء الذين شيدها. والآن نستطيع ان نلقي نظرة على نفس الاروقة
المعمدة بعد التجار مخزن البارود التركي (ش ١٨٢) وعند كل طرف من اطراف "التموس"
(Gable ends) كانت مجبرعة مثلثة الشكل من الصور المغرقة تمثل لعين الناظر ولادة
اثينا وعرا كما مع بوسيديون اله البحر للاسلاف على اثينا. وافرني فيدياس المدمش (ف ٥٥٢) كان
يحيط بالبنية داخل الاعمدة عند القسم الاعلى من الجدار

وكان
المرسح عند
سفح التل
القائم عليه
الاكروبولس
وكان
الاثينيون
يتقاطرون
اليه في الاعياد
زرافات
ووحداً
لشهود
الاحتفالات
العظيمة التي
كانت تقام
فيه وكلهم
شاعر ان
المرسح وما
فيه ملك

له وكان الواحد منهم اذا سرح طرفه في ارجاء المرسح رأى كثيرين من جيرانه وذوي
قرباه وابنائهم وشاهد بعضهم في عداد الجوق الذي يقوم بالتمثيل. ومن اعيادهم المشهورة
عيد ديونيسيوس (ف ٥٤٧) الذي كان يتألب فيه الناس من كل حدب وصوب لشهود
التمثيل الثنائي في المرسح والاشترك في افراح العيد وسماع ما يتخلها من المحاورات التي
كانت تقع بين الممثلين الذين كانوا يتنكرون بالوجوه المستعارة (ف ٤٧٥). واما المرسح
فكان عارياً من الستر المزخرفة التي تزدان بها مراسح هذا العصر
وفيما كان الممثلون مرة يثلون رواية سوفكليس (ش ١٨٠) اذا برجل من الذين في

المرسح ينحني على المقعد الذي امامه ويهمس في اذن جاره قائلًا انه منذ سنين كثيرة لما كان فتى غضّ الاهداب كان واقفًا على ساحل جزيرة سالاميس حيث كانت قد هربت أسرته، (ف ٥٠٢) يشاهد مع من شاهد تحطيم مراكب الفرس، كان سوفكليس هذا وهو في السادسة



الشكل ٤٢: تمثال هرملير يلعب الولد ديونوسوس
(من صنع بركليستس)

أكتشف هذا التمثال البديع في اخرية مبرك في اوليا وهو واحد من التماثيل القليلة الاصلية التي وجدت في بلاد اليونان من صنع اعظم اعمالين لان معظم التماثيل الاصلية قد فقدت او نلت ولا نعرفها الا من التماثيل الرومانية المنقولة عنها طبق الاصل . ويرجح ان هذا الاله كان ممسكًا بيده اليمنى (وهي مقطوعة الآن) عنقودا من العنب كان يلعب به الولد ويملؤه

عشرة من عمره، واقفاً بين الجماهير ينظر الى ذلك المشهد المخيف ويمي في صدره حوادثه
المخزنة التي نقتت صورها في اعماق نفسه. ومن يطالع روايات سوفكليس يرى في تضاعيف
السطور ان كاتبها كان يرى اصبع الالهة في الشؤون التي يتعرض لها البشر وينادي على
رؤوس الاشهاد ان قضاء زفس الذي لا يرذ هو كسيف مُصَلَّت فوق هام الناس ولكنه
وهو ينوه بهذا كان يستفزهم الى عبادة زفس مها كان قضاؤه قاسياً والمصير الذي يؤذيهم
اليه داجياً مكتمراً. ذلك لان سوفكليس كان لا يزال راسخاً في ايمان القديم بالالهة
ولم يكن على شيء من الولا. للفسطين الذين كانوا يهزؤون بها. وقد جعل سوفكليس
عدد الذين يمثون رواياته ثلاثة بدل اثنين كما كانت العادة سابقاً لانه اعتقد ان ذلك يعمل
تمثيلها اوقع في نفوس السامعين. وقد كان لهذا الابتداء وقع حسن حتى استخلص الشيخ اظهر
استحسانه له قبل وفاته. ولكن متى زادت البدع خرجت عن المؤلف ولم تستجب

(٥٥٦) اوربيدس

وكان شعور العامي بعدم الاستحسان يزيد متى كانت الرواية المراد تمثيلها للشاعر
يوربيدس الذي كان ابن فلاح من سكان جزيرة سلاميس وصديقاً عسيراً للفسطين.
وكانت الشكوك الدينية تعقبي عقله. وكل من طالع رواياته الجديدة كان يرى بين
سطورها شبح تلك الشكوك ماثلاً امام عينيه يدفعه الى التسأل عن اشياء كثيرة والى
الارتباب في امور ألفها وهو لا يجد مهرباً او وسيلة لاقضاء الشكوك عن دائرة عقله.
ولذلك كان سوفكليس اكثر ملاءمة للذين هم من الطراز القديم. ولم يستطع يوربيدس ان
يجاربه مع ما كان عليه من القدرة العظيمة في نظم القريض وكان الاثيني يعرفه شيء من
قلق الفكر اذا تحقق لديه ان ابنه ومعظم اترابه هم من المعجبين بيوربيدس ومحبيه مخافة
انهم يطالعون رواياته ويتباحثون مع الفسطين في امرها

(٥٥٧) الروايات
المزجة

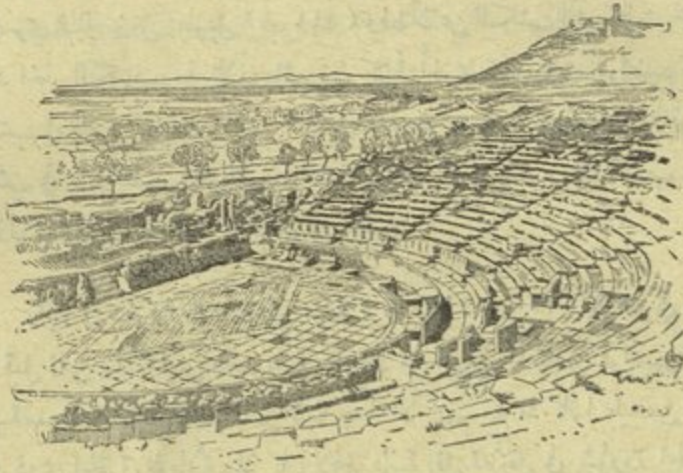
كان اليونان يمثون قبل الظهر المآسي المهمة واما بعده فكانوا يوثرون الروايات الهزلية
على الجلدية. وقد كان من عادتهم ان يتجمعوا في اوقات معلومة للاحتفا. والابتهاج باعيادهم
وعلى كروور الايام تولد من هذه العادة تمثيل الروايات على دكات المراسح. وكان مؤلفوها
لا يجمعون عن ان يُدجوا فيها اسماء اكبر ارباب المناصب في المملكة حتى يريكليس نفسه
لم يتحاشوا عن ذكر اسمه في مهازلمهم ولا راعوا حرمة الفلاسفة الكبار ولا فحول الكتبة
الجديين كيوربيدس بل مثلهم على دكات المراسح بهيشات مضحكة جعلت المتفرجين
يققهرون ويصفقون ويضحون

وفي غضون الفترة الطويلة بين عيد والذي يليه في ايام الربيع، لم تقتر رغبة الناس في
الروايات وانتياح المراسح لان المنافسة كانت تستفزهم على الاقل، الفين من الرجال

(٥٥٨) ثغف
الناس السلام
بالروايات الشعرية
الشعبية والآداب
واعشارها

والاحداث في اثينا الى استظهار الادوار التي سيمثلونها . مكتوبة على ورق البردي ، وتحذوم

الى التمرن
على القائها ،
كل جوق على
حدته . وكان
في اثينا شارع
مخصص برمته
لاقامة الاثار
التذكارية
للوطنيين
الذين برزوا
في تمسين
الممثلين لكي
يجيدوا تمثيل
ادوارهم



الشكل ١٤٢ مسرح اثينا

كان هذا المسرح المركز الذي نشأ فيه فن التمثيل اليوناني ونما . وكان التمثيل بادى
بدم جزءاً من الاحتفال بعيد ديونيسوس الذي كان يقع في زمن الربيع . وكان ديونيسوس
هذا اله الكروم والخمب . ويرى هنا هيكل الاله قائماً عن اليسار . وقيل ان يعرف الناس
المرايح بزمان طويل ، كانوا يتألمون في هذا المكان من كل صقع لشهود الاحتفال بعيد الاله
الريبي فيمدقون بالمجوق من كل جانب ليسمعوا من اقواب اعضاءه انشاد قصص الالهة (ف ٤٧٥)
وكانوا هم يمدقون في دوائر سورها اوركسترا وجعلوا لها بعد ذلك حدوداً ثابتة بان اقاموا
مكانها على الجانب الواحد مقاعد من خشب للفرجين على شكل نصف دائرة . واما الغناء
والتمثيل فكانا يجريان على مستوى الارض ضمن الدائرة . وعلى الجانب الآخر المقابل للجمهور
المنفرج كان خيمة او مظلة مخصصة بالممثلين تغير شكلها مع الزمان حتى صارت دكة المسرح
وهي تقطع القسم الخلفي من الدائرة او الاوركسترا . وكانت المقاعد من الحجر تحق تقريباً سبعة عشر
الف جالس . وكانت المقاعد الامامية من الرخام جميلة جداً . والمقاعد التي قدام الكل كان
يجلس عليها عظام اثينا . وكانت المقاعد القديمة التي كانت تستعمل في ايام البغلس وسوقيكليس
ويوريديس لا تزال موجودة (ف ٥٥٢ - ٥٥٧) . وكان المنفرجون يرون الجروم جاوس
على مقاعدهم ويرون ايضاً منافسهم القديمة جزيرة ايجينا (ف ٥٦٦) حتى جبال ارغولس
كانوا يرون مع انها على بعد ٤٠ ميلاً منهم لان الاوركسترا او مل المقاعد لم يكونا مسنوفين
بل مفتوحين فكان السقف الوحيد لها السقف . وفي زمن الرومانيين اضيف الى المسرح دواق
معهد يقطع مؤخر دكة التمثيل

(٥٥٩) العشب
والمعالجة

وكان
الرف من
العشب
يطالعون
الروايات التي
تكون قد
مثلت ، لان
العشب
كانت قد
اصبحت في
متزلة سامية
لدى الشعب

الاثيني . فكان في مكاتب اهل الادب مؤلفات هوميروس وسائر مشاهير الشعراء القدماء

وكلها مخطوطة على دروج مستطيلة من ورق البردي يبلغ طول الواحد منها مئة وخمسين او مئة وستين قدماً . فكان الاثيني المتعلم يجلس امام الدرج ويطلع كما كان يفعل المصري قبله بزمن طويل (ف ١٤٤) وفضلاً عن الكتب التي كانت تحفظ في المكاتب فقد اخذ الكتاب منذ الآن ينشرون كتباً أخرى تعليمية في مواضيع شتى . فالنحّات كتب في فنّه واكتينوس نشر كتاباً في هندسته ورسمه للبرثينون وابقراط كتب سلسلة كتب في علم الطب والرياضيون كتبوا في الرياضيات وعلماء الادب في البيان حتى ربة المنزل استطاعت ان تجد كتاباً في فن الطبخ

وأينا في سفرتنا النبيلة التي مرّ ذكرها قبلاً (ف ١٢٠) انه قام في عصر الامبراطورية - قبل زمن بريكليس بالف سنة - رهط من الرجال الممتازين بواجبهم وانشأوا في مركز طيبة مدينة ملكية ذات مبان ضخمة جداً . الاّ أنهم مع ما كانوا عليه من الامتياز لم يكونوا من ذوي الحقوق الوطنية ولا كان لاهل طيبة اقل تدخل في شؤون الحكومة ولا يدي في ايجاد المدينة الانيقة بخلاف ما كانت عليه الحال في اثينا في زمن بريكليس اذ قام طائفة من ارباب العتول الناضجة الذين علمتهم التجارب وحكمتهم الايام فكانوا ركن الحكومة التين وقوام الهيئة الاجتماعية ورافعي منار العاوم والآداب وعاضدي فن التمثيل والتصوير والنحاتة ومروجي هندسة البناء . وبالاجمال لم ير العالم القديم لاني اليونان ولا في بلاد مشرق الشمس جماعة كهؤلاء

(٥٦٠) الثباين
ما بين الثبا وطيبة
الحرية

وكانت اثينا الحديثة تختلف كل الاختلاف عن اية مدينة من مدن الشرق القديم بل عن اثينا القديمة قبل الحروب الفارسية لان روح بريكليس نفخت فيها نسمة حياة جديدة جعلتها خلقاً جديداً فرأى شبانها رؤى وحلم شيوخها احلاماً وغدوا ينظرون الى انفسهم بنور حياتهم الجديدة فوجدوا انهم اعظم مما كانوا قبلاً ولم يقتصروا على النظر في امورهم الخاصة وفي ما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات بل تحطوا ذلك الى النظر في مطالب الحكومة وعمّالها وفي تطبيق ذلك على قواعد العدالة بحيث لا يقع شيء من الحيف او الظلم على افراد الامّة ولا تناقض بين الحق والواجب . وصار الشعب يتداول المسائل العامّة بالغة ما بلغت . وقد كان تداولها في اثينا القديمة منوطاً بافراد قلائل . وكما تصدّى افراد الشعب لشؤون الحكم كذلك تصدّوا للنظر في امر الديانة القديمة فحارهم من الشكوك ما حارهم ولكنهم ظلوا على القديم مع ما كان يخالجهم من الريب في صحة ما يعتقدون . وصارت اثينا معاملة اليونان قاطبة كما رام لها بريكليس نافخ روح الحياة فيها . بقي علينا ان ننظر في

(٥٦١) اثينا القديمة
والحديثة . وحال
الديمقراطية

مسئلة جديرة بالاهتمام وهي هل يستطيع هذا الشعب القابض على ازمة الامر والنهي ان يثابر على تسيير المدينة في مناهج الحكمة والسداد بحيث تتمكن من المحافظة على قرنتها وسيادتها ؟ اننا فيما نحن زقب هذا الشعب ينتهي الاكفياء للقبض على زمام الحكم في المدينة والسير بها في السبل المؤدية الى فلاحها اذا بالجانب المظلم من حياته يبدو امام عيوننا

مسائل

٥٤

ماذا تقول في الطبقات الاجتماعية في اتيككا ؟ هل كان في اوربا في عصر بريكليس ، مبان جميلة ؟ صف بيتاً من بيوت الاثينيين في هذا العصر واذكر مرافقه ؟ كيف كانت شوارع اثينا ؟ صف زي اللباس اليوناني في هذا العصر . صف المدرسة العادية ومعلمها . اي فروع كانت تعلم ؟ ماذا كان يفعل الشاب حين يغادر المدرسة ؟ ما هي اليمين التي كان يقسم بها قبل ان يمنح الجنسية الوطنية ؟ قل ما تعرفه عن الخدمة الجندية التي كان يقوم بها وعن تربيته بالالعاب الرياضية . ما هي الالعاب الرئيسية التي كانوا يمارسونها ؟

٥٥

اي معلمين جدد بدأوا يظهرن الآن ويعلمون على حسابهم الشخصي ؟ ماذا علموا ؟ هل تعلم منهم الاحداث شيئاً لم يتعلمه آباؤهم ؟ كيف حسب الآباء تعليم السفستين ؟ هل كان الناس ملتئين بالعلم الماماً عاماً ؟ كيف كان يُعَيَّن الوقت ليوم من الايام ؟ كيف كان يقاس الوقت في يوم معين ؟ وفي اثناء السنة ؟ اية صعوبات وُجدت في ذلك ؟ اية اكتشافات جدت في علم الفلك ؟ وفي الجغرافيا ؟ اي تقدم حصل في علم الطب ؟ وفي كتابة التاريخ ؟ كيف رقت اشغال الحكومة سكان اثينا الوطنيين ؟ قل ما تعرفه عن تدركات اهل اثينا . ماذا تعرف عن اعياد الحكومة الرسمية في اثينا ؟

(٥٦٣) بدس
عصوم اليانما

خارجيتها تريد شوماً وخطراً بسبب حسد حسادها لها على عظمتها الظاهرة وتقدمها التجاري وازدياد قوتها . أضف الى ذلك موقفها العدائي تجاه خصومها ، وجنوحها الى الديمقراطية . جميع هذه الاسباب اوقدت نار الغيرة والحسد في قلب مناظرتها سبارطة التي كانت دولة حربية متفجرة مبدؤها ابقا . القديم على قدمه . ولذلك بقي سكانها اميين وظلوا يستعملون النقود الخديدية . ولبثت مدينتهم بلا اسوار ولا تحصين . ولم تنحصر العداوة لاثينا في السبارطيين وحدهم بل عمت سائر اليونان . فتجار كورنثوس وجدوا مزاحمة اثينا سبب اغتياض دائم لهم . ولما شبت نار الثورة في البلدان الموالية لاثينا في شمال ايجه ، زادت اضطراباً بالمساعدة التي اذنتها كورنثوس وسبارطة الى الثوار ولم تمنع هدنة الثلاثين سنة من نشوب الحرب مرة ثانية مع انه لم يكن قد مر أكثر من نصف مدة الهدنة (ف ٥٢٨)

(٥٦٤) بدس
الحرب البلبونيسية
القائمة (١١٤٣ ق.م)
وراي بريكليس
في الحقبة

وظهر الآن ان يونان اوربا كلهم قد قاموا قومة واحدة واتحدوا على اثينا لان سبارطة كانت متسلطة على البلبونيسس كله ما خلا ارغوس . وكان سكان شمال اتيكا وبيوتيا وثيبة وما جاورها في الجهة الغربية جميعهم معادين لاثينا . فكان جل اعتماد اثينا في هذه الحرب على المدن الايجية التي تالفت منها مملكتها وعلى بعض الحلفاء البعيدين ممن لا يعتد بقوتهم . وابتدأت بالقتال وخزانتها مفعمة بالاموال ولديها اسطول حربي جعلها سيدة البحر لا ينازعها في ذلك منازع ولكنها كانت عاجزة عن مصادمة قوات العدو البرية البالغة ثلاثين الفاً من الاشداء الذين كانت خطتهم الحربية ان يتلاقوا معاً عند البرزخ في ربيع سنة ٤٣١ ق.م . ولذلك كانت خطة بريكليس في هذه الحرب انفاق ما كان لدى اثينا من المال في سبيل مشاريع بحرية تاركاً الدفاع عن اتيكا براً للاقدار . ولما اكتسحت جيوش البلبونيسس اراضي اتيكا ، امر بريكليس سكانها ان يغادروها الى اثينا ويحتموا ضمن اسوارها واسوار مينائها ففعلوا . وكانوا وراء تلك الاسوار المنيعة في حرز حرز . وكل ما استطاعت اثينا ان تفعله لكي تنتقم من سبارطة بسبب ما ارتكبه جيشها من العسف في اجتياحه اراضي اتيكا هو تنظيم غارات بحرية لتخريب سواحل البلبونيسس او لمحاصرة التجارة الكورنثية والقضاء عليها كما كانوا يفعلون

(٥٦٥) الطاعون
في اليانما

وزحف جيش الطاعون ، قادماً من الشرق ، على الجموع المتألمة ضمن اسوار اثينا وفتك بهم فتكاً ذريعاً وظل مدة طويلة يهجع ثم يُعيد الكرة مرة بعد مرة حتى جرف ثلثهم فيما يرجح . وبعد وقوع هذه الكارثة الشديدة على اثينا لم تعد اليها القوة التي فقدتها . ولما رأى الاثينيون ان الضرورة تدعوهم ان يكونوا دائماً تحت السلاح دون ان تسنح لهم فرصة يتمسكون فيها من ضرب عدوهم ولو مرة واحدة تولاهم الضجر وتطرق الى قلوبهم اليأس

لانهم كانوا يرون جنود الاعداء يجتاحون بلادهم ويعملون فيها ايدي التخريب . ولا لوم عليهم ولا تثر يب اذا عراهم اليأس لان النفوس الابية تأنف من الاقامة على الضيم والحسيف

(٤٦٦) صفرط
بريكليس وموتها



الشكل ١٤٤ شاب اثيني يقرأ
من درج

يُرى هذا الشاب ممسكاً بالدرج بطريقة يتمكن بها من ان يلف جزءاً منه باليد الواحدة بينما هو يفتح جزءاً آخره باليد الاخرى وبوقت يسير يصبح في كل من يده ملفٌ ودرجٌ وبين الملتين قطعة مبسوطة بسطاً تاماً وهي الجزء الذي يقرأ منه عموداً من الكتابة التي يتضمنها . وهي كالكتابة التي تراها مصورةً هنا عن اقدم كتاب يوناني باقٍ لنا (درج) في شكل ١٧٤ وكل عمود من هذه الكتابة كان عندئذٍ بمثابة صفحة عندنا . وبعد ان تُقرأ الصفحة كانت تلفُ لداً الى الجانب الايسر بدلاً من ان تقلب قلباً ثم ينشر عمود آخر من الملف الذي الى الجانب الايمن

وكان نفوذ بريكليس آخذاً في التضائل حتى ظهرت قبل نشوب الحرب امارات تدلُّ على ذلك لان بريكليس كان مصرياً في افكاره يكثر من معاشره السفستيين ومخالطتهم حتى ظهر للملايحه يعتقد اعتقادهم فكان لذلك تأثير غير حسن في الشعب عموماً آل اخيراً الى انتراع السلطة من يده ومحاكمته بتهمة سوء استعماله لاموال الحكومة ، والى وضع غرامة ثقيلة عليه . وبعدما أقصي عن القيادة والادارة شعر الشعب بالفراغ العظيم الذي تركه . ولم يجدوا شخصاً آخر جديراً بتولي منصب الزعامة مكانه مع كثرة الذين تقدموا لتوليهِ من صغار رجال السياسة الذين كانوا يناظرون بعضهم بعضاً وكل منهم يأمل ان يتيَّض له القبض على زمام الحكم والادارة في مجلس الامة . ولما تبين الشعب عجزه وضعفه عاد فدعا بريكليس لتولي القيادة من جديد . ولكنه أصيب بالطاعون بعد انتخابه بايام قلائل (٤٢٩ ق.م) فمات مأسوفاً عليه جداً مذكوراً بخدماته الجليلة لامته . ومع انه كان سياسياً مخنكاً وادارياً كبيراً فانه غادر حكومة اثينا تحت نظام لم يُحفظ فيه لاستمرار القيادة كما تولاها هو . وبدون قيادة كهذه ، كان مصير مملكة اثينا الى البوار

(٥٦٧) الحاجة الى
فقد بعد موت
بريكليس

مات بريكليس وبرز الى ميدان الصنائع المثلون الا انهم لم يكونوا من ذوي المقام السامي في الهيئة الاجتماعية ولا من اهل الحُصنة السياسية ولا على شيء من الاوصاف التي تتطلبها الزعامة لكي يحصلوا على ثقة الشعب واحترامه لهم . وفوق ذلك كله لم يكونوا

جنوداً مدربين حتى يستطيعوا ان يتولوا قيادة الاسطول او الجيش . الا انه يستثنى واحد منهم وهو شاب من اهل النجابه يدعى الكيبباس وهو من اقرباء بريكليس وقد تربى في بيته . وكان ابنا بريكليس قد ماتا بالطاعون . ولو أتيح لالكيبباس بضع سنين يتدرب فيها تحت ارشاد مربيه لكان تأهب لان يكون . منقذ اثينا واليونان . ولكن قدر ان يكون على الكيبباس اكبر مسؤولية في تحريب امبراطورية اثينا وسقوط اليونان

(٥٦٨) فبراير
الجلسة الثالثة

وكانت اثينا في اشد حاجة الى سياسي محنك خبير يرسم لها الخطة التي يجب ان تسير عليها ولكن لسوء الحظ لم يقبض لها رجل كهذا فساءت حالها وصارت امورها الى الفوضى وعمت فيها سياسة التقلب والتذبذب بدلاً من سياسة السداد والثبات والحكمة . وكان القواد يسرون في سياستهم كائناتاً على وجه الماء . وفي الغالب من الرديء الى الابداء . واستحال عليهم ان يستعيدوا القيادة الرشيدة التي فقدوها . ولما كالت مدة الحرب قد طالت كثيراً اضطرت الحكومة ان تتحمل نفقات الجيش والاسطول حتى كادت تنضب خزائنها . وكان كليون الدبأغ ، احد القواد الجدد الذي اختير من عامة الشعب ، اذا عزم شديد ومقدرة مالية فضرب على الرعية ضريبة الدخل (التمتع) وزاد الجزية على المدن الايحية . ولكنه لم يكن على شيء من الخبرة العسكرية لانه كان من طبقة الصناع

(٥٦٩) ملخ نيكلاس

لم تقع في غضون الحرب كارثة حربية تفتت في ساعد اثينا او سبارطة وتوهي قواها . ولكن الضربة العظمى على اثينا جاءت من الطاعون الذي اضعفها ونهك معها العالم اليوناني بأسره وافقدها قواها المعنوية . وقد ابدى المحاربون في هذه الحرب من ضروب التوحش والقساوة البربرية ما لم يُعرف له مثيل من قبل . فلم تأخذهم في العدو رحمة ولم تعطفهم عليه عاطفة ، الامر الذي غطى كل الحسنات اذا كان للحرب حسنات . ولم يسقط كليون في ساحة الوغى آل امر القيادة الى نيكياس الذي لم يكن من قبل اهلاً لان يتولى هذا المنصب الخطير . وبعد ان دامت الحرب عشر سنين سجلاً بين الفريقين عقد صلح مدته خمسون سنة وتعاهد الفريقان المتحاربان على ان يغادر كل منهما الفتوحات الجديدة ويحتفظ بالقدية فقط اي المدن التابعة لكل منها (خريطة ١٥)

٥٨

الحرب البلونيسية الثالثة وسقوط الامبراطورية الاثينية

ونشأت بعد عقد الصلح مشاكل خطيرة حالت دون القيام بشروطه . لان نيكياس الذي كان دائماً يحضُّ قومه على اتباع خطة المسالمة مع سبارطة اخفق سعياً في اثناء الانتخاب فلم يعين قائداً . ولما رأى الكيبيادس ان الجوّ قد خلا له والفرصة سانحة لاجراز شهرة بعيدة اخذ يثير الحماسة في صدور افراد الحزب النازع الى الحرب في اثينا فانتخبوه للقيادة . وانتقاد الى رأيه وخططه الحربية اعضاء المجلس الكبير فعقد محالفة بين اثينا وارغوس على سبارطة . وجرّ اتيكّا التي كان الطاعون وحرب السنين العشر قد انهكا قواها ، الى خوض غمار حرب فاصلة عاقبتها اما الحياة او الموت

نشبت هذه الحرب ومضت عليها بضع سنين دون ان يقع فيها شيء سوى بعض تدابير برية وبحرية كانت عقيمة . لان الذين قاموا بها لم يحسنوا ادارتها . اما السبارطيون فلم يسارعوا الى الشروع باعمال عدائية ولا ارسلوا جيشاً لاكتساح اتيكّا . واخيراً نجح الكيبيادس في اغرائه الاثينيين بوجوب ارسال حملة مهمة برية بحرية الى جزيرة صقلية للانتقام من سرقوسة مستعمرة كورنثوس العاتية التي كانت قد تمادت في ظلمها لبعض المدن الغربية الموالية لاثينا . فاعد الاثينيون الحملة وعقدوا لواءها لالكيبيادس ونيكياس

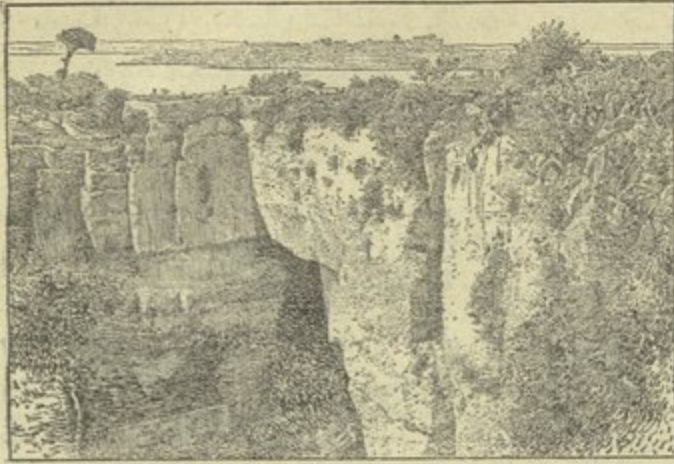
وفيا كان الاسطول على أهبة الاقلاع من المينا . ووجد بعض قائمات الالمة في اثينا مشوّهاً ووجهت تهمة تشويها الى الكيبيادس احد قائمدي الحملة . فالح على الذين اتهموه بما كتمه قبل سفره ولكنهم آثروا ، بالرغم من الحاحه ، تأجيل المحاكمة الى ما بعد رجوعه . وما كاد الاسطول يلبّي مراسيه في مياه ايطاليا حتى عنّ للاثينيين المتقلبين ان يأخذوا الكيبيادس على غرة فاستدعوه الى المحاكمة . ولكنهم بهذه السياسة الخرقاء لم يجرموا الحملة قائدها التقدير فقط بل اوجدوا له سبباً لان ينضم الى اعدائهم السبارطيين دون

(٥٧٠) المسرام
الكبيادس تدوران
الحرب من جديد

(٥٧١) المحرب
البلونيسية الثالثة
الحملة على صقلية

(٥٧٢) القيس
على الكيبيادس
وفزاره الى سبارطة

ادفي تلثوه . وكانت ارشاداته في ذلك الوقت للسابارطين الضربة القاضية على آمال
الاثينيين والمحبطة لمسايعهم



الشكل ١٤٥ مقلع الحجارة التي طرح فيها الاسرى الاثينيون

نرى عبر المقلع والمينا الصغير الجزيرة القديمة ارثيبيا وهي الآن راس منند الى البحر قائمة
عليها المدينة الحديثة التي نستطيع ان نرى منازلها . واما المقلع فيغطيها نبات اللبلاب والاوراق
الخضراء . هنا سجن سبعة الاف من اسرى الاثينيين بدون ما يمكنهم من الزاد والماء فمات
معظمهم جوعاً وعطشاً

الربيع ، ويستعدوا لمقاومته والدفاع عن مدينتهم . وبعد حوار وجدال مع رصيفه
القائد الثاني للحملة اقتنع بلزوم مباشرة حصار المدينة ولكن الفرصة السانحة كانت قد
فانت وعادت الى السرقوسيين شجاعتهم ورباطة جأشهم وتبأوا للدفاع عن مدينتهم

وارسل السبارطيون ، عملاً بنصيحة الكيببىادس ، قائداً قديراً امروه على شزيمة من
الجند لمساعدة سرقوسة التي كان لها ملء الثقة بجليفتها الجديدة . ولما رأى نيكياس ان
النجاح لم يكن حليفه في الحصار استصرخ اثينا طالباً منها ان تنجده باسطول ثان وقوات
برية جديدة . فلبت طلبه بلا امهال . ولم تكن حكومة يونانية ، حتى هذا الوقت ، قد
ألبت قوة كهذه وارسلتها فوق متن البحر . وكانت بلاد اليونان باجمعها ترقب تلك القوة
والذهول آخذ منها مأخذه . وبعد ان وصلت النجدة من اثينا وانضم الاسطول الثاني الى
الاول بيئت الاثينيون اعداءهم ولكنهم فاؤوا بالحياة وكانت خسائزهم فادحة وغدا موقف

ولما رأى

السرقوسيون

عن بُعد

اسطول اثينا

ذابت قلوبهم

فرقاً واستولى

عليهم الربيع

ولكن لم يدر

في خلد

نيكياس ان

يفاجئهم

بهجوم معجل

قبل ان

يزول عنهم

ما كان قد

تولاهم من

(٥٧٣) عهد
نيكياس

(٥٧٤) حيوط
الحصار

الحملة مخفوقاً بالمخاطر

ولما رأى الاثينيون ان الكارثة تهددهم لم يبقَ امامهم الاّ التقهقر واكن في تلك الليلة خسف القمر . ولما كان نيكياس ممن استولت على عقولهم الخرافات آتساءم من الخسوف واصراً على التريث شهراً آخر قبل ان يتقهقر . فكانت العاقبة ان سدّ السرقوسيون عليه منافذ النجاة وحصروا اسطولاً في الميناء . ولما حاول الفرار به لم يفلح . وصمم جيش اثينا اليائس على ان يلجأ الى الداخلية تاركاً المرضى والجرحى حيث كانوا . ولكنة قبل ان يتمكن من ذلك ادركه العدو واكرهه على التسليم فسلم . وبعد ان اعدم السرقوسيون القوادى اخذوا الاسرى - وعددهم سبة آلاف جندي - فباعوا بعضهم عبداً وطرحوا البعض الآخر في مقالع الحجار (ش ١٤٥) حيث ماتوا موت الشقاء . فبادت الحملة الاثينية على بكرة ايها (٤١٣ ق م) . فهذه الكارثة واجتياح الطاعون لاثينا قبلاً ، كادا يذهبان بكل ما كان لديها من موارد الثروة والقوة

ولما رأّت سبارطة ان اثينا قد امتست بعد ارسال الحملة الى صقلية بلا حامية تدفع عنها هجمات اعدائها اغارت على اتيكا واحتلت مدينة ديكيلية^(١) التي كانت تشاهد من اثينا ، وانشأت فيها حصناً منيعاً وضعت فيه حامية قوية فصارت بها اثينا في حالة حصار مستمر . فتوقفت اعمالها الزراعية رامست معيشة الاهلين موقوفة على الجوب التي تستورد من الخارج . فادرك الشعب الآن جهالته بارساله السفن والرجال في حملة حربية الى اصقاع قاصية دون ان يُبقي في الوطن قوة كافية لصد هجمات عدو مدهم لم يُصَب مثلهم بكارثة تضعف قواه . وما زاد في طين مُصاب الاثينيين بلاء ، العراك الدوي الذي نشب في مدينتهم بين النبلاء والعامّة طمعاً بالقبض على زمام السلطة وادارة الحكم في البلاد

وزيادة الشدائد والضيقات على الاثينيين ، هبّ مرزبان الفرس في غرب اسية الصغرى لمعاوضة السبارطيين . وكان قد مرّ زمن طويل والمفاوضات جارية مع الفرس من قبل اثينا بشأن طلب مساعدتها الاّ ان سبارطة سبقت واعترفت بسيادة الفرس على المدن اليونانية في اسية فتوجهت المساعدة اليها دون اثينا . وهبت الآن الجزر اليونانية ومدن اسية الصغرى التي كانت قد انضمت قبلاً الى اثينا في المحالفة الديلية لكسر نير الفرس . واتحدت مع سبارطة والفرس على اثينا . فترى ان اتحاد اليونان السابق في العراك الشديد مع العدو

(١) ولهذا السبب كثيراً ما تدعى الحرب التي نشبت بين اثينا وسبارطة ودامت تسع سنين (من ٤١٣-٤٠٤

ق م) بالحرب الديكيلية

(٥٧٧) معاودة
الفرس لامتلاك
البلوبونتيس في
الهند

(٥٧٥) اسر
اسطول الهند
وجعلها قبائمه
سرقوسية (٤١٣
ق م)

الاسيوي قد تمزق كل ممزق ، وقام اليونان يترضون بذلة وجه ذلك العدو ملتسمين
مساعدته

(٥٧٨) استرجاع
الكيبادس وسفوطه
وموته

وفي اثناء ذلك قام الاثينيون وطلبوا مساعدة الكيبادس فلبى . وبهارته وحذقه
تمكنوا بعد مناوشات عديدة من تحطيم اسطول البلونيسيين واسترجاع سيادة اثينا البحرية .
وعاد الكيبادس الى اثينا محفوقاً بمجالي النصر ومظاهر الفخر وانتخب قائداً . وكان الحال
يستدعي وجود رجل حاذق مدرب كالكيبادس يلم شعث الحكومات اليونانية التي
كانت قد تولتها الحيرة ويوحدها ويؤسس امة يونانية عظيمة . ولكن الكيبادس كانت
تعوزه الشجاعة لكي يتقدم في هذه الفرصة السانحة الى الامام ويقبض على ازمة الاحكام .
فقاتته الفرصة ، والفرص قد لا تعود . وقد خسر فوق ذلك كله ميل الاثينيين المتقلبين اليه
ومحبتهم له لمجرد انكسار طفيف ألم بالاسطول في غيابه . فتلكأوا عن اعادة انتخابه
لاقيادة العامة فاعتزل في قلعة على الدردنيل كانت دائماً على تمام الاهبة لتزوله فيها . فاقام فيها
بقية حياته ولم يتسن له بعد ذلك ان تكتحل عيناه برأى ارض ميلاده وموطن آبائه
واجداده واخيراً مات في منفاه بطعنة خنجر فارسي

ولم يكن النجاح الطفيف الذي احرزه اسطول اثينا ليذكر في جنب المصاب الكبير
الذي حل به ادم تحتي قواد ماهرين يتولون قيادته . فكانت الخسارة التي آلت به اكبر
من كل خسارة وقعت عليه من قبل . ولم يكن تلافياً قبل وقوعها في حيز الامكان .
كان الاسطول راسياً للمبيت بمكان في الدردنيل قرب نهر ايجسيمي وعدد سفنه ١٨٠
سفينة فباغتته ليساندر القائد السبارطي القدير وامر جميع سفنه سالمة

(٥٧٩) امر
الاسطول الاثيني
في ايجسيمي (نهر
البحر)

وكانت اثينا بعد مرور سبع وعشرين سنة منذ اثار بريكليس الحرب على سبارطة
قد نضبت مواردها وتلاشت قواتها . ولما بلغ نبأ هذه الفاجعة الكبرى مسامع الاثينيين
هالهم الحظب واكبوا المصاب فلم تكتحل عيونهم تلك الليلة غمضاً . ولم يلبث هذا
النبأ الصادع للقائوب ان تحقق بظهور طليعة اسطول ليساندر في ميناء بيرية لانه جعل دخول
السفن الواسقة الحنطة من البحر الاسود الى ميناء اثينا مستحيلاً . وظل قواد اثينا
الديمقراطيون بضعة اشهر على عنادهم فلم يسلموا بشروط الصلح التي عرضها عليهم العدو لان
عاقبتها تدمير امبراطورية اثينا تدميراً كاملاً . ولكن لما عضهم ناب الجوع اضطر المجلس
الكبير الى التسليم تحت الشروط الآتية : هدم اسوار بيرية وحصونها ، وتسليم ما بقي من
سفن الاسطول لسبارطة ، والتخلي لها عن كل المستعمرات الاجنبية ، ودخول اثينا مكرهة

(٥٨٠) تسليم
البحر ومقدونيا
امبراطوريتها

في العصابة السبارطية . وكان قبول هذه الشروط القاسية الوسيلة الوحيدة لنجاة اثينا من الانقراض التام الذي كانت كورنثوس تريدُه وتروم وقوعه فالقرن الذي استهل بفوز اثينا فوزًا مجيدًا على الفرس يوم ردتهم على اعتابهم - هذا القرن الذي بلغت فيه اثينا تحت زعامة وارشاد ثيمستكليس وبريكليس درجة سامية في كل ما هو حسن وشريف في الحياة اليونانية - انتهى بسقوط الامبراطورية الاثينية (٤٠٤ ق م)

مسائل

٥٧

كيف عاملت اثينا الحكومات التابعة لامبراطورتها ؟ ماذا كانت سياستها من جهة التابعة الوطنية ؟ كيف كان شعور تلك الولايات من نحو اثينا ؟ كيف شعرت الحكومات الخارجة عن الامبراطورية ؟ ماذا كانت العاقبة ؟ من كان اعداء اثينا في هذه الحرب ؟ ماذا كان لديها من الموارد ؟ ماذا كانت خطة بريكلليس للحملة المنوية ؟ اية كارثة التت باثينا ؟ ماذا كان تأثير ذلك على بخت بريكلليس ؟ باية معاشرات اغضب الشعب ؟ ماذا نتج عن ذلك ؟ اي قائد شاب برز الآن الى الميدان ؟ ماذا كان نوع الزعامة التي دبرها المجلس الكبير الآن ؟ قدم مثلاً على ذلك . اي رجل اداري حاول الآن ان يقود الامة ؟ اي فوز حالقه ؟ هل كانت الاجراءات الحربية متمعة النطاق ؟ ماذا كانت عاقبة حرب عشر سنين ؟ من عقد الصلح ؟ ومتى ؟

٥٨

من كان مسؤولاً عن استئناف الحرب من جديد ؟ اية حملة وضع الاثينيون خطتها ؟ من كان قوادها ؟ ماذا منع الكيبيادس عن الذهاب ؟ ارو حكاية هذه الحملة .

وعاقبتها . ماذا فعلت سبارطة الآن ؟ كيف كانت الاحوال الداخلية في امبراطورية
 اثينا ؟ اي دور مثلت دولة الفرس في هذه الحرب ؟ ماذا تستطيع ان تذكر عن
 اعادة الكيبيادس الى مركزه ؟ ماذا كانت العاقبة ؟ كيف كان موقف اثينا بعد
 خسارة اسطولها ؟ اية شروط عملتها سبارطة ؟ قارن بين استهلال القرن الخامس
 وانتهائه في تاريخ اثينا

الفصل السابع عشر

المنازعات الاخيرة فيما بين حكومات اليونان وحياتهم العليا
بعد موت بريكليس

٥٩

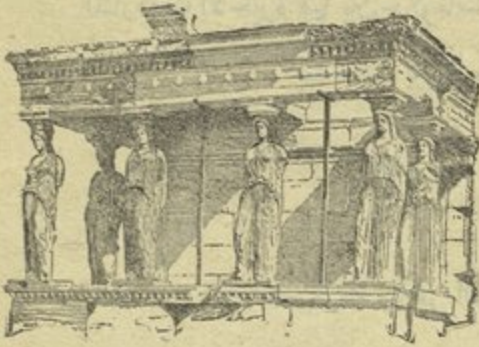
زعامة سبارطة وتأخر الديمقراطية

وكانت عُقبى جهاد اثينا المديد للفوز بالزعامة السياسية، الخيبة والفشل. ولكن هل
برهنت مناظرتها سبارطة يا تُرى على انها اجدر منها بتولي الزعامة؟ ان بلاداً كسبارطة
قصرت همها على ترقية جنديتها فقط لا تصلح ان تتولى زعامة الحكومات المجاورة لها
وادارة شؤونها ولا يتوقع على يدها نجاح. فقد اقامت سبارطة في كثير من المدن حاميات
من جندها بإمرة ضباطها وعيّنت في كل مدينة فئة قليلة من الخاصة قلدتهم زمام الاحكام
وعزّزتهم بقوة عسكرية، وتندّعت بسياسة العنف والجور في كل مكان نكايه بزعماء
الديمقراطية الذين جاھروا بعداوتهم لها. وقد تمادى الخاصة في بعض المدن في جورهم
واسرفوا في اذلال خصومهم السياسيين فنفوا بعضهم وفتكوا بالبعض الآخر وابترخوا
الاموال فكانت الخطة التي تمّت عليها سبارطة تأييداً لحكمها وتعزيراً لسلطتها شراً من
كل ما اتته اثينا قبلاً من المظالم التي عزّرت اليها. ولكن لما استعاد الشعب قوته كال
لظلام الصاع بالصاع ونفاهم من المدينة. لقد كابدت اثينا الاهوال والشدائد في حروبها
الخارجية ولكن المنازعات الداخلية التي نشبت بين طبقتي شعبها كانت اشدّ هولاً واعظم

(٥٨١) حكم
سبارطة والدمار
بين حكومة الخاصة
والديمقراطية

ضراً من جميع ما قاسته من أهوال الحروب الخارجية
وكان المفكرون من الشعب في كل مكان، على ما كان عليه حكم الحاصّة من
التقصير وخيبة الآمال، يحسبون الحكم الشعبي فشلاً بيناً. وما اتته الوطنية الحقة من
جلال الأعمال في عهد بريكلس (فصل ١٥) يجب ان لا يعيننا عن مساوي الديمقراطية
الاثينية التي المعنا الى بعضها في تتبعنا مجرى الحروب البلونيسية. وكانت تلك المساوي.
نفسها ظاهرة تام الظهور في تولى الشعب ادارة الشؤون الداخلية في اثينا. ولنفحص الآن
عن بعض القضايا الرئيسية التي كان قد ظهر فيها تقصير الحكم الشعبي وظلّ مقصراً فيها
بعد ذلك

(٥٨٢) فطيرة
الحكومة الديمقراطية
وضعاها



الشكل ١٤٦

نرى في هذا الشكل رواق العذارى الجميل الذي بني ليزدان في
المبني القائم على الأكروبولس والمشهور باسم إركيوم. كان مقدساً
للإلهة اثينا ويظن ان سبب تسميته بهذا الاسم هو انه كان في الأصل
مزاراً في قلعة الملك أركيوم السابق لزمان الفارخ - التي كانت قائمة
على الأكروبولس. وكانوا يعتقدون انها بنيت على البقعة التي فيها غلبت
اثينا بوسيدون يوم نشب بينها وبينه العراك لامتلاك أتيكا. وهنا كانت
علامة صولجان اله الهير مثلث الشعب الذي دقة في الأرض. وهنا
نشأت الزيتونة الأولى التي استندعتها اثينا من الأرض لتكون هبة للآثينيين
(ف ٦٠٣). وقد شيد هذا البناء في أثناء الحرب البلبونيسية الأخيرة
معا كانت عليه اثينا من الضيق المالي في ذلك الوقت وهو من
اجل المباني التي خلفها اليونان

كان الآثينيون قد شرعوا
منذ امد طويل ينفقون بطريق
الاقتراض من الكنوز التي
كانت على تمادي الايام، قد
حشدت في هيكل الالهة
اثينا. وقد نقش الوعد بتأدية
المال المقترض على لوح حجر نصب
على الأكروبولس لا تزال قطعه
الباقية حتى الآن شاهدة على
اثينا بالدين الذي لم يؤد إلى الالهة
لانه بعد انتهاء العراك المديد
بين اثينا وسبارطة، وجدت
الحكومات اليونانية في حالة
الافلاس فعلاً. فلم يستطع القواد
في البر والبحر تأدية رواتب
الجنود الذين تحت قيادتهم
حتى القوات الضرورية لم يكن
في وسعهم ان يقدموه لهم لكي
يستطيعوا ان يشبوا امام العدو.

(٥٨٢) استناد
كوز الماسل
والفلاس الحكومات
اليونانية

وكانت الحكومة الديمقراطية في الوقت نفسه تقتص منهم وتعاقبهم جزاء تقصيرهم اذا

قصروا في محاربتهم العدو . وكانت المحاكم تتوقف احياناً عن عقد جلساتها القانونية لعدم وجود المال اللازم لدفع مرتبات القضاة فاذا كانت لانسان دعوى كان يضطر الى اهمالها لعدم وجود قضاة ينظرون فيها ويحكمون بها

تحت هذه الاحوال شرعت حكومات البحر المتوسط تدرس لاول مرة طرق جباية الاموال اللازمة لنفقات الحكومة . فكان ذلك بداية علم المالية الوطنية والاقتصاد السياسي الآن ان الضرائب والائاتات ظلت تجبي بطريق الالتزام بالمزاد العلني . وكان الالتزام يرسو للزائد الاعلى . فكان الشرق في هذه القضية لا يزال ارقى من الحكومات التي كانت الى شمال البحر المتوسط (ف ٥٣) وصارت ادارة مالية الامة من هذا الوقت فصاعداً تقتضي استعداداً خصوصياً . واصبح امر القيام بوظائف الحكومة المالية اصعب مما كان قبلاً على من لم يكن مستعداً له

ومع ما تجسّمته اثينا من الخسائر الفادحة في المال والرجال في اثنا الحروب البلبونيسية ابتدأت في ملء الزمان تستعيد قواها . ولكن مزارع اتيكا التي كانت قد خربت جيوش سبارطة تكراراً لم تستعد خصبها السابق تماماً فذا ذلك بكثيرين من اصحابها على ان يبيعوها ويتعاطوا الصناعات في المدينة . ولا بدع في ذلك لان الاعمال الصناعية في اثينا جمعت امامهم فرصاً سانحة للثراء ، وكفى بالثروة جاذباً لاولئك الفلاحين . وفي الوقت نفسه كان الذين جمعوا ثروات من الاشتغال بالصنائع يتعاونون مزرعة اثر مزرعة . وعلى كروور السنين اصبحت اراضي اتيكا اخيراً في حيازة نفر من كبار الملاكين في المدينة لم يكونوا هم انفسهم فلاحين ولكنهم استخدموا عبيداً ليعملوا في عقاراتهم المترامية الاطراف واقاموا وكلاء يشارفون العمل الجاري فيها . وآل امر الفلاحين الملاكين ، الذين كانوا يعملون في مزارعهم بايديهم ويميشون بعرق جبينهم ، الى الاضمحلال من البلاد . وصار امر العقارات الكبيرة في بلاد اليونان مثلما كان في جارتها اسيا الصغرى في عهد الفرس (ف ٢٢٠)

وكانت اثينا لا تزال اهم مركز للتجارة واعظم مدينة في بلدان البحر المتوسط . وفيما كانت الاعمال الزراعية تتقهقر فيها كانت الصناعة تزدهر وتتقدم . وقام ارباب الاموال وتماضدوا على انشاء اول مصرف يوناني . وبذلك اصبحت اثينا المركز المالي للعالم القديم - كنيويورك ولندن في هذا الزمان - وصارت صيارفتها في ذلك الزمان مضرب مثل في الاثراء والرخاء

(٥٨٧) قيام
المجد الاختصاصي
كلية للسرور
البلونسية

وامست الخدمة العسكرية ايضاً حرفة تقتضي استعداداً خصوصياً . اما سابقاً فكان اليوناني يترك عمله مها كان ويذهب ويتقعد السلاح مدة قصيرة يرافقه في غضون حملته حربية واحدة ثم يُؤوب الى عمله الأ في سبارطة . ولكن الحروب البلونيسية الطويلة اضطرت كثيرين من اليونان ان يبقوا ردهاً مديداً من الزمان تحت السلاح حتى غدا كثيرون منهم يؤثرون الحياة العسكرية على سواها فاتخذوا الجندية مهنة لهم يُنقدون عليها راتباً معلوماً . واصبحوا على اتم استعداد لتأدية الخدمة العسكرية حيث وجدوا الفرصة سانحة . والشبان الذين لم تسنح لهم فرصة للخدمة في بلادهم كانوا يقصدون الى مصر واسيا الصغرى وبلاد فارس للاستخدام هناك . وبذلك صار دم الشبيبة اليونانية المهرق في ساحات القتال ذريعة لتقوية الحكومات الاجنبية وشد ازرها بدلاً من ان يكرن وسيلة لتعزيز البلاد اليونانية نفسها

(٥٨٨) قيام قواد
حرب الاختصاصيين
اكرنيفون والعترة
الالاف

وامست القيادة الحربية في غضون الحروب البلونيسية ايضاً مهنة من المهن المألوفة وقد انجبت اثينا طائفة من القادة الاختصاصيين كان انبغهم اكرنيفون الذي ذهب حوالي سنة ٤٠٠ ق.م الى اسية الصغرى حيث حظي عند كورش الامير الفارسي الشاب الذي كان ينوي خلع اخيه من مملكة فارس فاستخدمه وزحف بعشرة آلاف يوناني قطع بهم اسيا الصغرى ولما بلغ الى الفرات اتبع مجرى النهر الى بابل تقريباً . وهنا واقع اليونان عساكر الفرس وكسروهم ولكن كورش قتل فاضطر اليونان الى التمهقر بقيادة اكرنيفون الذي سار بهم صعداً على محاذة دجلة مارين بثنونى . وبعد حروب دامت اشهرًا بين مضايقت الجبال المخطرة قاسوا في غضون منها من الزمهرير والجوع الواناً وصل من بقي منهم احياء الى البحر الاسود ثم الى بيزنطية سالمين . وترك اكرنيفون نبأً موجزاً عن هذه الحملة المدهشة على قلب مملكة فارس سماه (Anabasis) اي (الصعود) وهو من الكتب النفيسة التي تحدت الينا من العصور السالفة

وكان القواد - كالمذكورين آنفاً - يبحثون الآن في نظريات الخطط الحربية وادارة الجيوش وعن افضل الآلات الحربية . وقد مرّ معنا قبلاً ان السبارطين في عصر بريكليس لم يحاولوا ان يهاجموا اسوار اثينا لان اليونان في ذلك الزمان كانوا لا يزالون يجلبون كيفية مهاجمة الحصون ولكن فينيقي قرطاجنة كانوا قد حملوا الى الغرب اساليب الاشوريين في الحصار (ش ٦٨) فاخذها عنهم اليونان الذين كانوا في الغرب واستعملوها في صقلية . ومنها اتصل استعمال المنجنيق والابراج المنتقلة واضرابها الى بلاد اليونان نفسها . فلو هوجمت اثينا في ذلك الزمان بمعدات حربية كهذه لتمدرت سلامتها بل لاستعالت . فالغرب الذي تقضت عليه ازمان وهو يأخذ عن الشرقت صناعات السلام شرع الآن يتعلم استعمال آلات الحرب

(٥٨٩) لغزو
الطوم الحربية .
ادعـال آلات
الحصار وسنن
حربية اكبر

والتدمير وبناء السفن الحربية العظيمة البالغة مقاعد مجاذيفها خمسة صفوف بدلاً من السفن القديمة التي كانت مقاعد مجاذيفها ثلاثة صفوف فقط ولذلك غدت غير صالحة للحرب بعد اختراع السفن الجديدة

(٥٩٠) الحرب
بين سبارطة وبلاد
فارس (٣٩٥ ق م)
٣٨٧ ق م صلح
الملك

ان الاعمال الخطيرة التي قام بها العشرة الآلاف بقيادة اكرزيفون حركت مطامع السبارطين للشروع في اعمال الفتح في الولايات الفارسية باسيرة الصغرى فاستأجروا الثلاثين الذين بقيا في قيد الحياة من العشرة الآلاف يونانياً . ولكن اليونان في الوطن كانوا قد سموا ابيه الحكم السبارطي فثار سخطهم ورفعوا لواء العصيان . فذهبت الثورات الوطنية بثار الانتصارات التي احرزتها سبارطة في اسية الصغرى وادت الى عقد تحالف بين اثينا وثيبة لمناوأتها . وكان المحرك لهذا التحالف عمال دولة الفرس الذين قصدوا الفت في ساعد سبارطة . ومن المضحكات المبكيات في هذه الاحوال التي كانت كلها مدعاة للاسف ، ان اسطول اثينا ناصر الفرس على تأييد استبدادهم بالمدن اليونانية في اسيا . ولكن الفرس طفقوا ينجشون استفحال امر اثينا وصيرورتها خطراً على سيادتهم في اسية . فهد ذلك للسبيل لسبارطة لكي تعقد معهم صلحاً . والحكومات اليونانية التي كانت تحاربها صالحتها ايضاً . وتم عقد الصلح في بلاد اليونان على يد ملك الفرس تحت شروط مجحفة بشرف اليونان . ولكنهم رضوا بها صاغرين . ويُعرف هذا الصلح « بصلح الملك » (٣٨٧ ق م) وكانت نتيجة بقاء زعامة الحكومات اليونانية بيد سبارطة وترك المدن اليونانية التي باسيرة الصغرى للفرس . وفي ذلك ما فيه من العار والشنار

٦٠

مدعوط سبارطة وزعامة ثيبة

(٥٩١) ثيبة وتحالفها
المجهد مع اثينا على
سبارطة

وكان الناس يكرهون سبارطة كرهاً شديداً لم يبلغه كرههم لاثينا في عصر من العصور . وكان هذا الكره مدعاة الى قيام فئة من محبي الوطن البواسل وقتكهم برجال الحكومة غير هيأين وكان اولئك الرجال من الخاصة فسلمت الحامية السبارطية وانشئت على اثر ذلك حكومة ديمقراطية قبضت على عنان الزعامة في بيوتيسا كلها . وتسنى لاثينا

وثيبة ان تعقدا تحالفاً آخر على سبارطة كانت عاقبته شوماً وبلاء عليها في البر والبحر فطلبت
بلا تزد ولا امهال ان تعقد صلحاً معها

والتأم رجال الحكومات اليونانية في سبارطة لعقد الصلح . وكانت نتيجة اجتماعاتهم
المتوالية انهم اكتسبوا خبرةً ودرايةً في ادارة شؤون بلادهم واهتمهم على اسلوب يعود بالخير
على هلاس كلها . وقد كان في وسع سبارطة ان تلمّ شعث اليونان وتولّف منهم امة واحدة
لو جعلت لكل حكومة من حكومات البلاد صوتاً في الحكومة الرئيسية ولكنها قصرت
في ذلك . وبعد ان تمّ الاتفاق على شروط الصلح ابى السبارطيون ان يسمحوا لثيبة بان
تكون ممثلة بيوتيا كلها . وابت ثيبة ان ترضى غير ذلك فتمّ الصلح بدونها وكانت العاقبة
بقاء سبارطة وثيبة في حالة حرب

(٥٩٣) عند مؤتمر
صلح في سبارطة
لجميع حكومات
اليونان

وكانت الامة اليونانية تتوقع ان تكون الحرب وبالأعلى ثيبة فتقهرها صفوف سبارطة
الرّماحة التي برهنت في الحروب السابقة على انها لا تقهر ولكن ابيمننداس قائد الثيبين
الجديد المعروف بدهائه وتفانيه في محبة وطنه ، وضع لجيوش ثيبة خطةً حربيةً جديدةً بان
صمّمها على اسلوب لم تكن فيه على موازاة جيوش سبارطة اذ جعل الميمنة ابعد عن صفوف
السبارطيين من الميسرة وحشد في الميسرة عدداً كبيراً من الجنود بحيث جعلهم كالبناء
المرصوص في خمسين صفّاً الواحد خلف الآخر وبايديهم المجان والتروس

(٥٩٣) ميثاق
عربي جديد
ابيمننداس النبي

أضيفت هذه المعركة الى المكان الذي نشبت فيه جنوب بيوتيا ولما دارت رحاهم لم
يستحرّ فيها القتال على طول الجبهة دفعة واحدة لان ميسرة الثيبين المتراسة كانت ادنى
الى السبارطيين من الميمنة فاشتبكت معهم اولاً الميسرة وحدها فحملت على ميمنة العدو
حملة عنيفة ابلت فيها بلاء حسناً فزّقت شملها كل ممزق في مثل لمع القبس او رجع النفس .
ولما هجم قلب الجيش الثيبي وميسرته على الاعداء انهزم هولاء امامهم لا يلوون على شيء .
تاركين على اديم الارض اشلاء قتلاهم البالغ عددهم نصف الجيش المقاتل . وكان الملك
في عداد القتلى فدارت الدائرة على سبارطة وجنودها البواسل واضاعت شهرتها الحربية التي
سار ذكرها في الحافقين امداً طويلاً . فسقطت من حائق عزها وواج مجدها بعد ان تولّت
الزعامة مدة تربي على ثلاثين سنة (من سنة ٤٠٠ ق م . م) وكان سقوطها عظيماً (٣٧١
ق م . م)

(٥٩٤) معركة
فكسيرا وسندوط
سبارطة

كانت اثينا وسبارطة زعيمتين مشهورتين في بلاد اليونان وكان بينهما من التنافس على
الزعامة ما كان مما امره معلوم ومشهور فافتتا قواهما في مناوأة احدهما الاخرى وبالتالي عجزتا

عن رأب صدوع البلاد وضمَّ حكوماتها الى حكومة واحدة كبرى ، وجعل شعبها المنفترق
 امة واحدة . وكان في البلاد زعيمة ثالثة وهي ثيبة التي كانت قد احزرت فوزاً مبيئاً في
 البر . ولكن هل استطاعت يا ترى ان تقوم بالعمل الذي عجزت عنه اثينا وسبارطة ؟
 ولما تبوأ ايسينداس منصب الزعامة في ثيبة اقنعا بازوم بناء عمارة بحرية ففعلت
 وحاربت بها اثينا بحراً فغلبتها واضعتها وفازت بزعامة اليونان . الا ان هذه الزعامة التي
 نالتها بنيت على عبقرية رجل فذ . فلما قضى في ساحة الوغى وهو يواقع السبارطيين في منتينيا
 (٣٦٢ ق م) وهنت قواها وتهدم صرح عزها فامسى ركلاماً مرمكوماً

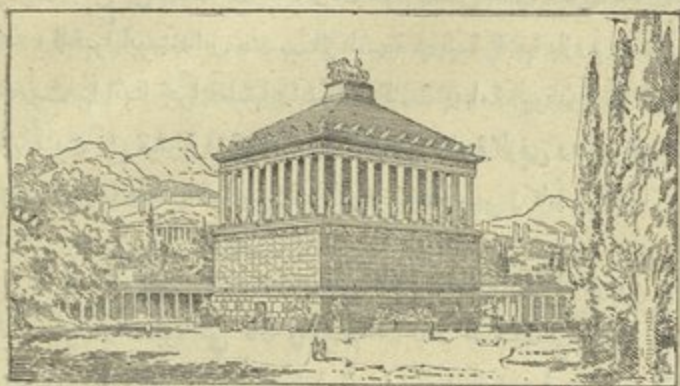
لا غرو ان قلبت الايام لليونان ظهر المجن وقذف بهم الدهر من حائق لان دولهم المهمة
 ذات الحول والسطوة التي كان في وسعها ان تضم العالم الهليني وتجعله امة واحدة ، افنت
 قواها في مواجهة بعضها بعضاً فعرضت نفسها اخيراً للوقوع فريسة لفتاح اجنبي . فالليونان
 بلغوا في تمدنهم الى الارج ولكنهم في سياستهم ظلوا في الحضيض . وما كاد يمضي على وفاة
 بريكيليس جيلان - اذ كان بعض الذين عرفوه في صبوتهم لا يزالون احياء - حتى كانوا
 قد تقهقروا كثيراً في شؤونهم السياسية . ولكنهم تقدموا في اشياء اخرى ولا سيما
 الاثينيون الذين برزوا في الفنون وهندسة البناء والآداب والافكار ما جعل هذه الحقبة
 اعظم الحقب شأناً في تاريخ البشر . وعليه فانه يجب علينا الآن ان نوجه افكارنا الآن الى
 ما اتوه من جلائل الاعمال وبدائع الاشغال

هندسة البناء والحفر والتصوير

وفيا كانت اثينا قد صارت الى حالة من الضنك المالي لا تمكنها من تشييد الهياكل
 الفخمة ، كان غيرها من الحكومات اليونانية الاخرى التي لم تُنن بمثل هذا الضنك قادرة
 على تشييد المباني الفخمة . ففي اسية الصغرى خصصت ارملة ملك كاريا اموالاً طائلة لتشييد
 ضريح من الرخام الفاخر لزوجها المتوفى فشيّد وكان انفس آثار العالم القديم حتى عهد من
 عجائب الدنيا السبع . وكما كان هذا الضريح من وجهة هندسة بنائه فخماً مهيباً (ش ١٤٧)

(٥٦٧) الموصوفوم
 في اسية الصغرى

كذلك كان له تأثير عميق في نفس رائيه نظراً الى النقوش والزخارف التي كان مزدياناً بها .
وقد دعت الملكة للقيام بهذا العمل الجليل اشهر نحّاتي اليونان



الشكل ١٤٧

نرى في هذا الشكل ضريح موصول ملك كاريا المعروف "بالموصولوم" نسبة الى اسم صاحبه موصول، بالهيئة التي ظهر فيها بعد ترميمه بعناية "ادكر" وقد شاعت لفظة موصولوم في بلاد الغرب حتى أطلقت على كل ضريح فخيم وبذلك عاش الاسم المحني القدم لهذا الملك. ولما بني الموصولوم (في القرن الرابع ق م) كان في ذلك الزمان انحراف في شمال البحر المتوسط . وبناءه على الشهرة البعيدة التي نالها بقي اسمه حتى الآن اما بناؤه فكان على هذه الصورة، وضعت اولاً قاعدته المستطيلة المربعة الزوايا ثم بني عليها رواق معبد بني فوقه هرم مدرج وتوق الهرم - ككعاب لهذا الاثر التذكاري - قامت مركبة فاخرة بجزءها اربعة من جواد الخيل وقد جلس فيها الملك والملكة . وقد قام مهندسة هذا الاثر النفيس وبنائه اللغات بينوس وزخرفة بالنقوش سكوباس وجماعة من النحاتين الاثينيين الذين استفدتمهم الملكة لهذه الغاية (ف ٥٩٧)

(٥٩٨) نقش
بركستليس
وسكوباس
وبعد
وفساة
فيدياس
وتلاميذه
شعر
النحاتون
الذين
خلفهم
يظهرون في
شغلهم
عواطف
واختبارات
الحياة البشرية
اليومية أكثر
مما كان
يظهره
النحاتون
الذين قبلهم

وبذلك صارت الاشياء التي توخوا تصويرها في النحت والنقش ادنى الى افهامنا مما كانت قبلاً . وكان من الذين لهم منزلة عالية في النحاتة والنقش بل كانت له المنزلة العليا فيها ، بركستليس . فكانت الالهة التي نحتها اقرب اليها من التي نحتها فيدياس معاً كانت عليه تلك من الجلال والسناء . فمن مجرد نظرة واحدة اليها يشعر المرء في اعماق نفسه انها بشر مثلنا ولها اهتمام بحياة كحياتنا . فاذا كانت واقفة على هيئتها وقفة من يستريح تمثل لنا فيها جمال لم تستطع النحاتة اليونانية ان تمثله في الزمن السابق (ش ١٤٢) . اما سكوباس فكان بعكس رصيفه بركستليس فلم يكن يميل الى جعل صورته المنحوتة تمثل اصحابها في حالة السكون والدة بل في حال العنف والتهيج الشديد كرجال الحرب في ساحة القتال (ش ١٤٩)

وهكذا لم تعد الوجوه التي نحتها برستيلس وسكوباس كما كانت النحاتة قديماً جامدة خالية من المعاني (ش ١٣٠ و ١٣١) لان ارباب الفن اخذوا يودعونها شيئاً من حياتهم الروحية الداخلية . وكان المصورون قادة النحاتين في هذا السبيل

وكان لعملهم تأثير عظيم في عقولهم

ان ادخال فن التصوير على الواح الخشب حتى يمكن نقل الصور من مكان الى آخر سهل على المصورين اتباع عواطفهم الشخصية اذ حررهم من ضرورة تصوير مشاهد عظيمة على جدران مباني الحكومة (ف ٥٤٩) . ولم يكن أناس العالم القديم يعرفون شيئاً عن التصوير بالزيت . ولكن المصورين من اليونان اخذوا عن المصريين مزج الالوان التي كانت لديهم ، بنذوب من الشمع ثم دهن الالواح الخشبية بهذا المزيج بواسطة فرشاة . فهذه الطريقة صار في وسع المصور ان يجلس في مصوره (Studio) ويشغل لمجرد ارضاء محبته ثم يبيع صورهُ اذا شاء . لمن شاء ان يشتريها . وشاعت بين الاغنياء عادة اتباع الصور وتعليقها على جدران المنازل فكان ذلك ترويحاً لفن التصوير خطأ خطوات مهمة في مضار التقدم والارتقاء .



الشكل ١٤٨ رأس عمود كورنثي

قُطعت شمعة هذا العمود في الرسم بين القاعدة والرأس اقتصاداً في النسخة وهو مثل رؤوس الالهة المصرية (ف ١٦٤) يمثل العين اوراق نباتة الاكنثوس المعروفة بطابة الشوك التي تترادف فيها الاوراق في صفيح حول الرأس يتوجها لفات حلزونية الشكل ترتفع حتى الزوايا الاربع من حجر كبير مسطح يرتكز عليه الحجر الذي فوقه . ووضع هذا الرأس على جسم الهودا كسبة بها وجه الآلهة هين الناظر ويأخذان بمجامع ليد

وكان مصور اثيني يسمّى ايلودورس . فهذا اخذ يلاحظ ان النور في الغالب يقع على الجسم من جانب واحد تاركاً الجانب الذي لم يقع عليه مظلماً بحيث لا يرى عليه الا قليل من اللون حال كون الجانب المنير تبدو عليه الالوان الزاهية . فلما صور بهذه الطريقة ذراع انسان بانث مستديرة وحين لرائها انها بارزة على وجه الصورة (ش ١٥٠) . اما في الرواق المنحرف بالصور الملونة لجميع الاطراف البشرية في صورة مرثون (ف ٥٤٩) تظهر مسطحة تماماً . وبتصوير

ايلودورس اشكالاً وهيئات في مؤخر صورهِ اصغر من التي في مقدمها ، ادخل ما يُعرف الآن بفن رسم المناظر . وكان من نتيجة ذلك ان صورهُ صارت تظهر كأن لها عمقاً وحين كان يصور داخل احد البيوت كان الناظر الى الصورة كأنهُ يرى البيت نفسه من الداخل .

(٥٩٦) ظهور الصور على الخشب

(٦٠٠) اكتشاف كيفية تصوير النور والظل ومن رسم المنظر كما يرسدو لعين فعلاً

ولكن لسوء الحظ قد فقدت الصور الاصلية . وما يشاهد منها في بيباي بايطاليا قد نقل عنها في زمان متأخر (ش ١٥٠)



الشكل ١٤٩ مشهد معركة سنوكهوترة البرزخية (ف ٥١٧) على منوال سكراباس

ان نشاط رجال الحرب اللدنام واعلم المنيمة مائة على خط مستقيم للهدوم والعهدة ثمانية الباديين على هور بر كيناس (ش ١٤٢) ولكن لسوء الحظ قد تلاشى كل ما صنعه سكراباس لم يبق منه شيء مع انه كان كبيراً . الا انه يوجد عدد كبير من الكسر بجان اها من شعاعه . وربما كان بعض ما يشاهد من الافانيز او العنقوف الباقية من البرصولوم هو من عمل يد يد . واما المنهد الذي في هذا الشكل فغير منسوب اليه ولا يكتب بخط الحجاب عن تأريخ الشخصي . والمنهد المذكور مثال نيس لصور اعمال النعمة والاعف في فن العانة (ف ٥١٨)

وبعد نهضة عجيبة في تصوير الكورس مدة الحرب البلبونيسية الاخيرة ، اخذ هذا الفن يتقهقر وظل كذلك حتى تلاشى بالمرّة . وفي الوقت نفسه قام جماعة من صغار الفنانين وشرعوا - تلبية لرغبات الشعب - في ان يصنعوا صوراً مصعرة انيقة منقولة عن صور قديمة شهيرة او صوراً هزلية مبهجة مأخوذة عن صور قديمة مشهورة (ش ١٥١) حتى المشتغلون

(٦٠١) مزغولو
الكورس وفنانون
اهرون

بتقطيع الحجار صنعوا حجارة للضرائح عليها صور نازئة يستشف الناظر اليها من تحت براقع الاسى والكآبة جمالاً بارعاً وحيرة ناجمة عن نظر يوناني هذا العصر الى عالم الاخيلة والاشباح بروح الشك وعدم اليقين

٦٢

الديانة والآداب والفكر

(٦٠٢) حصر النزاع
الذي تلا موت
بريكليس



الشكل ١٥٠ صورة على جدار في بهاي تظهر تضحية افيجينيا

قد ثلاثت اعمال جميع الفنانين العظام الذين عاشوا في القرن الرابع . وأكثه بظن ان الذين اشتغلوا بعدهم في زخرفة البيوت وتزيين المباني باطاليا قد نقلوا ما صوروه عن انفس الصور القديمة . فالشهد الذي يرى في هذا الشكل ينقل الى اذهاننا شيئاً من تأثير التصوير اليوناني القدم ويري بنا النقاء افيجينيا محمولة على الايدي لتقدم ضحية . والصورة المبرقعة الوجه التي الى يسار الشكل كثيراً ما نرزم في الصناعة الحديثة الى كارتة قادمة تستنكف العين البشرية ان تراها . وفي الختام لنتبهه للهاراة التي صنعت بها الاطراف ، الايدي ، والاذليل ، حتى ظهر فيها الخلق والاستدارة (ف ٦٠٠)

كل
شاب اثيني
وُلد حوالي
الزمان الذي
مات فيه
بريكليس
وجد ذاته
أني اتجهت
خطاه في زمن
نزاع : نزاع
في الخارج -
في إساحة
القتال وهو
يحارب في
جيش اثينا
مدة سنين
الحروب
الطويلة التي
نشبت بين
المدن الثلاث ،
اثينا وسبارطة

وثيبة، وتزاع في الداخل، في نفس مدينة اثينا - في اسواقها وشوارعها - بين حزب العامة وحزب الخاصة - بين الطبقات السافلة من الشعب والنبلاء، لان كلاً من الحزبين كان يبغى الحصول على الزعامة والقبض على زمام الحكم في الدولة، فضلاً عن نزاع داخلي في نفسه بين المبادئ الدينية التي شبَّ عليها وربي فيها وبين الآراء الجديدة التي كانت آخذة في الشيع والانتشار



(٢)



(١)

الشكل ١٥١ صيني يوناني يفتلح شوكة من رجله (١)
وصورة هزلية لمتفلس شوكة صنعت بعد ذلك

يرجح ان هذه الصورة الانيقة للصبي المشوق للنوام والباذل جهده اهتماماً بفتح الشوكة، صنعت بعد الحروب الفارسية بوقت غير طويل وكما كانت مسخرة ومشهورة في القدم لدى الجميع كذلك كانت لدى المتأخرين. ومع ان الصورة الهزلية المضحكة (٢) المصنوعة من الصلصال المشوي، بعوزها رجل واحد، فانها مثال لطيف للفحاح اليوناني معبراً عنه بطريقة ميكيدية مضحكة (ف ٦٠١)

على الارض. وحين كان يذهب الى المسرح ويشهد تمثيل روايات ارسطوفنيس اعظم روائي زمانه كان يرتاح جداً الى ما يرى ويسمع هناك. وكان ارسطوفنيس يهزأ كثيراً ببيوريدس والسفسطيين الذين خامر عقولهم الشك بوجود الآلهة. ولم يكن للشباب الاثيني شي من ذرائع الحصول على التعليم الديني لانه لم يكن عند اليونان في ذلك الزمان شي يقوم مقام

كان الشاب الاثيني يتذكر الحكايات التي كان يسمعا عن الآلهة وهو جاث امام مربيته. ولم ينس حين كان يسألها عن هيئة الالهة اثينا وعن هيئات الآلهة الاخرى انها كانت تشير باصبعها الى انا جميل في بيت ابيه كانت ترى عليه صور الآلهة بهيئات بشرية فيحسبها كباقي الناس الذين في اثينا. ورسخ في ذهنه هذا الفكر سنين كثيرة. ولما انتقل الى المدرسة واستظهر كثيراً من المقاطع الشعرية من نظم هوميروس اطلع اكثر فاكثر على اعمال بطولتهم - على المخاطر التي اقتحموها والمغامرات التي خاضوا عابها

(٦٠٣) ديانة
الاثيني ولومن
الصورة

الكنيسة او مقام خدمة الدين في ايامنا ولم يكن عندهم كتاب مقدس يحترمه الجميع كالتوراة والانجيل والقرآن . ولم يتعلم الشاب ان الالهة تحفل به او يهتمها امر سلوكه او انها تريده ان يكون صالحاً او طالحاً . بل كان عنده انه متى اتم الطقوس والفروض التي تطلبها الالهة دون اهل شيء منها ، فقد اكمل الواجب ولا خوف عليه . واذا عاش عيشة شريرة كان على يقين من انه يقضى عليه عند الموت بان يسكن تحت سطح الارض ، في مكان مخيف يسود فيه الظلام الدامس (ف ٤٧٨) واما اذا كانت عيشته صالحة فصيره الى جنات النعيم الجميلة (ف ٤٧٩)

(٦٠٤) الآلهة
الاجنبية التي من
الشرق



الشكل ١٥٢ بلاطة صرخ اثيني تظهر فيها صورة ابنة نودع والديها

ان حجر صرخ ابنة صبية يكشف لنا عن شعور لطيف كان في امكان قطاع الحجارة ان يعبر عنه . فقد شخص وداع الالدين الاخير حين نشبت المنيه فيها اطفالها . تشاهد الامم جالسة الى اليسار قابضة على يدي ابنتها الصبية والاب واقفاً يبخل لحيته باصابعه وهو يتأمل منقبض النفس مستهتماً للاقدار

(٦٠٥) ظهر الملك
واتصار اور يهدس

وكان الاثيني اذا انحدر الى بيرية ، ميناء مدينته ، يجد الشوارع غاصة بالتجار الاجانب من مصر وفينيقية واسيا الصغرى وكلهم موقن بمساعدة الالهة له وانعامها عليه . وكان اولئك التجار يأتون بألهتهم الغريبة معهم - الام العظيمة من اسية الصغرى ، وايسيس من هيكلها الجميل القائم عند الشلال الاول في النيل (ش ١٥٨) ، وعمون من مزاره السري في الصحراء . ورا . مدينة القيروان اليونانية . وكان الشاعر اليوناني الشهير بنسدر قد نظم قصيدة من مدحه واقام له تمثالاً . وقد ذاعت شهرة هذا الاله المصري بين اليونان لانه كان كأبلون الدلي (ف ٤٨٠) ينبيء الناس بامور مستقبلهم . وكانت سفينة يونانية تسير بين بيرية والقيروان سيرا مطردا لتقل اليونان الى مزار عمون الثاني في قلب الصحراء . وكثيراً ما كانت تشاهد رموز مصرية على الضرائح اليونانية

وكان لبعض هذه الاعتقادات الاجنبية تأثير عظيم قبلاً على الاثيني في حياته . وحين

كان يغادر معلم صبوتيه ويذهب ليرسم محاضرات احد مشاهير السفسطيين (ف ٥٣٨) لم

يجد من يعلم بالتحقيق هل الآلهة موجودة ولا من يعلم ماذا تشبه . فلم يقدر ان يتبع خرافات الفقراء الجبهة ولا كان قد بلغ الدرجة التي يستطيع عندها ان يطرح الآلهة ويرفضها رفضاً باتاً كما كان يفعل بعض المثهبين من جيرانه . ومهما اشبهت الآلهة فإنه كان على يقين من انها ليست كائنات كالتي وجدها مصورة عند اسلافه الابطال في اشعار هوميروس وكان قد طرح هوميروس جانباً واصبح هو واخوانه المتعلمون يقرأون مآسي يوريبديس النفيسة (ف ٦٦) ويطلعون على ما فيها من شكوك وريب وعدم يقين من جهة الحياة والآلهة . ويوريبديس هذا الذي كان موضوع سخريه ارسطوفنيس وهزله والذي قلما اعترف له الاثينيون بالفوز مدى حياته (ف ٥٥٦) قد انتصر الآن . ولكن انتصاره كان خذلاناً للمعتقدات القديمة وفوزاً للشك ونبذ الآلهة وبدء عصر جديد في الافكار والاعتقادات

وحينما كان الشاب الاثيني يمر بالشارع كان يرى ما يذكره بمصدر آخر للشك وهو صورة بسيطة لرجل اثيني فقير الحال اسمه سقراط ابن نخات من صغار النحاتين . وكانت هذه الصورة منذ بداية الحرب الثانية مع سبارطة مشهورة لدى جميع سكان اثينا بقبح منظر صاحبها وراثته برديه . وكان سقراط يقف في السوق طول النهار يحدث كل من يمر به ويسأله مسائل جمّة تغادر المسؤول في حالة اضطراب عقلي لانه - على ما يظهر - كان يُلقي في عقول الناس بذار الشك في كل ما كانوا يحسبونهُ حقائق مقررة

(٦٠٦) سقراط

ولكن كانت صورة هذا الرجل ابن النحات ، الدميم الخلفة تمثل افضل واسمى ما في العبقرية اليونانية . وكان لسقراط اهتمام كلي بشؤون الحكومة ولكنه لم يرغب في نيل منصب فيها ولا جنح الى السياسة قط . وكان يعتقد ان الحكومة المولفة من رجال البلاد يمكن تمحيصها وصيانتها باصلاح حال الافراد العاملين فيها ولكن ذلك لا يستتب الا بتهديب عقولهم حتى يعرفوا ما هو الحق وما هي الفضيلة

(٦٠٧) الحكومة
اهتمام سقراط
المختصر

هنا يتجلى اسمى ما جاءت به حكمة سقراط وهو اعتقاده الذي لم يتزعزع في وقت من الاوقات ، ان العقل البشري قادر ان يميز ويعين بالدقة التامة ما هي الفضيلة ، والصواب ، والحق ، والجمال ، والامانة ، والافكار العظيمة التي لها تأثير كبير في حياة الناس . وكان يعتقد ان الانسان الذي عرف هذه الفضائل ولو مرة في حياته يقدر ان يطبق كل عمل يأتيه على ما تقتضيه . وكان سقراط يبين قسوة الفضيلة وما شاكلها من الفضائل بقوة البرهان والمنطق . ولم يشر في تعليمه الى ان الديانة هي من الذرائع المودية الى حسن السلوك والسيرة . ولكنه في نفس الوقت كان رجلاً دينياً مؤمناً بالآلهة من كل قلبه ولكن ليس

(٦٠٨) اعتقاده
آث الامانة
يستطيع ان يعرف
الحق ويطبق سلوكه
طوبى

كما كان يؤمن بها اسلافه بل كان يشعر - كما كان يشعر انبياء العبرانيين - بصوت الهي داخله يدعوهُ الى عمله الشريف

(٦٠٩) الراي العاني
في سقراط



(٦١٠) محاكمة
سقراط وموته

الشكل ١٥٢ رسم سقراط

هذا الرسم ليس احسن رسوم سقراط
العديدة الباقية ولكنه يمتاز على الرسوم
الاخرى بنوع خصوصي لانه يتضمن تسعة
اسطر تحت اسم الفيلسوف محذوي قسماً
من دفاعه العاني كما رواه افلاطون

كان سقراط وهو اعظم معلمي اليونان بسيطاً
في طريقه كبيراً بعقله واتساع مداركه ففتحت له منازل
الانبياء والشرفاء وطارت شهرته في الآفاق . ولما
سُئلت كاهنة دلفي (ف ٤٨٠) من هو اعظم الاحياء ؟
اجابت «سقراط» . والتف حول سقراط فريق من التلاميذ
اشهرهم افلاطون ولكن الجمهور لم يفقه كُنْه مقاصده
ومساعيه الشريفة من جهة الحكومة فظهر من خلال المسائل
الدقيقة التي كان يسألها انه مرتاب في جميع المعتقدات
القديمة

فاستدعى الاثينيون سقراط للمحاكمة لانهم
اتهموه بانهُ يفسد عقول الشبان متذرعاً الى ذلك بجميع
ضروب الشكوك والتعاليم الكفرية . وكان في
استطاعته ان يفر من اثينا حالما علم باقامة الدعوى
عليه . ولكنه لم يفعل بل حضر الى المحكمة ودافع
عن نفسه دفاعاً مجيداً . وبعد صدور الحكم عليه بالاعدام
كان يقضي ايامه الاخيرة في المحادثات الرصينة مع
خلانهِ وتلاميذه الذين شرب بمرأى منهم كأس السم
القتال برباطة جأش (٣٩٩ ق م) . حكومة اثينا

الديمقراطية التي اساءت تدبير شؤون الامة في اثناء الحرب قد جلبت على نفسها اشدَّ
الملامة والعار بحكمها بالاعدام على اطهر واعظم شخص بين رعاياها وان كان حكمها
بموجب نص الشريعة

(٦١١) تاذير
سقراط بعد ما

ان رباطة جأش سقراط في الساعات الاخيرة من حياته كما جاء وصفها في رواية افلاطون
عن ذلك المشهد الرهيب ، كان لها تأثير عميق ووقع عظيم في العالم اليوناني طراً . ولا تزال تعدُّ
حتى الآن من اشرف ما تتصف به الانسانية . فقد كان اعظم يوناني . وبه بلغت مدنية
اليونان اسمى درجاته . ولكن يظهر ان تأثير شخصية هذا الحكيم الكبير كان بعد مهاته

اعظم منه في حياته

ويرى ايضاً التغيير العظيم الذي طرأ على اعتقاد اليونان بادياً في كتاب تاريخ جديد يستحق الاعتبار مؤلفه ثوسديدس وهو اول من كتب تاريخاً على نمط علمي . كان تاريخ هيرودتس الذي كان قبله يجيئ من الزمان ، يعزو مقدرات الامم وحظوظها الى ارادة الالهة . واما ثوسديدس الذي كان ينظر الى حقيقة الاشياء كصرفائه المؤرخين العصريين ، بالبصر الثاقب ، فقد تتبع الحوادث التاريخية وودها الى اسبابها الطبيعية بين الاقوام الذين حدثت في وسطهم . وكانت مكاتب المهذبين من الاثينيين تحتوي هذين الكتابين اللذين كُتِب احدهما قبل الآخر بثلاثين سنة لا غير . ولكن ما اعظم الفرق بين اعتقاد كل من هذين المؤرخين القديم والحديث . فتاريخ ثوسديدس كان ولا يزال معدوداً من انفس كتب النثر في العالم كله

(٦١٢) كتابة
التاريخ بالسلوب
هلي

(٦١٣) تهنر النهر
واعصار النهر

ان رواج مؤلف ثوسديدس بيئة ناصعة على ان شغف الاثينيين بالشعر لم يبق كما كان قبلاً بل تحول الى النثر الجديد القوي . وقد تأخر القريض تأخراً بيئاً حتى في تأليف الروايات التمثيلية واصبحت الخطب التي تُلقى في الاندية العمومية تُجبر وتتمق عباراتها قبل القاها اذا توقع لها اصحابها قبولاً وارتياحاً اليها من قبل الجمهور . وكانت شدة الاقبال على الخطب البليغة دافعاً قوياً مستمراً لاتقان النثر والتأنيق فيه وامتلاك ناصية الخطابة

وغدا اساتيد الفصاحة والبيان في اثينا الذين خلفوا السفسطيين القدماء . طازري الشهرة في كل مكان حتى اصبحت بهم المدينة مركزاً لتهديب العالم اليوناني بأسره . وكان في طليعتهم أيسقراط ابن صانع الآلة الموسيقية المعروفة « باقلوت » فهذا تخصص بدرس المسائل السياسية المهمة في عصره ونبغ فيها . ولما لم يكن خطيباً ذرب اللسان حسن البيان أكب على الكتابة وشرع يجبر الخطب ويدبج المقالات ثم ينشرها تحت عنوان « رسائل سياسية » . وكان اليونان يتهافتون على مطالعتها تهافت الجياع على القصاص فاصبح موشي برودها لسان حال اثينا السياسي بل لسان حال بلاد اليونان بأسرها

(٦١٤) انها مركز
علم والتهديب

ومع شدة شغف الناس عموماً بالعلوم الطبيعية الحديثة ، كانت المسائل التي لها مَساس بالشؤون العمومية الشغل الشاغل للاثينيين فالوا اليها اكثر مما مالوا الى العلوم الطبيعية . وكان اهم تلك المسائل عندهم اثنتين : كيف يجب ان تدار احوال الهيئة الاجتماعية بالنظر الى علاقتها بالحكومة ؟ وماذا يجب ان يكون شكل الحكومة الحرة ؟ هاتان هما المسألتان اللتان بحث فيها الاثينيون طويلاً وعالجها سقراط جهده بغية ايجاد جنسية

(٦١٥) لدوه علم
ادارة الحكومة

راقية مهذبة . أجل بحث اليونان عن المثال الاعلى للحكومة لعلمهم يجدونه واما المفكرون من الشرقيين فلم يحظر لهم في بال ان يبحثوا عما يسئونه المثال الاعلى للحكومة بل قنعوا بما كان لديهم عملاً بقول المثل « احفظ عتيقك » وقبلوه كأنه حقيقة مقررة ومسلم بها من الجميع مع انهم كانوا قد بلغوا في الشؤن العمرانية والاجتماعية مبلغاً عظيماً . ولكثرة ما كان يدور بين اليونان من الجوار والجدال فيما يتعلق بشكل الحكومة ما بين ان تكون ملكية او جمهورية او ارستقراطية نشأ عندهم علم ادارة الحكومة

كان افلاطون اعظم تلاميذ سقراط مقاماً لانه كان اوفرهم عتلاً واسماهم ادراكاً . عمد (٦١٦) افلاطون الى كثير من مباحث وتعاليم استاذه سقراط فنقحها ونشرها على نمط محاورات متوخياً ان يقدم لمعاشر القراء من ابناء بلاده ما فاه به ذلك المعلم العظيم . وكان افلاطون يصبو كثيراً الى السياسة ولكنه لما قنط من الديمقراطية اعتزل السياسة واقام في اثينا وتخصص بالتعليم . وكانت مدرسته في حرجة (حرش) الاكاديمية (ف ٥٣٧)

بسط افلاطون في كتابه المرسوم بالجمهورية ، المثال الاعلى للحكومة واهب في كيفية ادارتها ، ولم تكن تلك الحكومة الا ما قد كان من قبلها - حكومة مؤلفة من مدينة وارباضها منفردة بذاتها مستقلة عن سواها . ولم يفتن افلاطون الى ان المسألة الحيوية الضرورية لليونان في هذا الزمان كانت النظر في علاقة هذه الحكومات المدينية بعضها ببعض . ولا خطر بباليه ان تأشير المملكة الراقية لا يمكن ان ينحصر ضمن حدودها السياسية بل لا مناص من تجاوزه الى ما وراء تلك الحدود بطريق مبادلة السلع التجارية بينها وبين سواها . ولكل بلاد حدود سياسية معينة واما حدودها التجارية فتمتد الى حيث تصل سلعا بلا تعيين . فكل بلاد تستورد ما هي في حاجة اليه من محاصيل غيرها وتصدر اليها ما هي في غنى عنه من محاصيلها فيحصل من هذه المبادلة بين البلدان المختلفة ، التأثير المذكور آنفاً

لا يمكن ان توضع حدود فاصلة تمام الفصل بين الامم المختلفة لان حياة كل منها تتجاوز الحدود كما تقدمت وبتخرج بحياة الامم المحيطة بها وتؤثر فيها . هكذا كانت الحال بين بلاد اليونان والمناطق النائية عنها التي تمدنت وأولع سكانها بطلعة المؤلفات اليونانية ، وباستعمال الادولت اليونانية والاثاث اليوناني في منازلهم وبزخرفتها بالتصاوير اليونانية ، وبينما مراسم على انماط يونانية ، وبتعلم فنون الحرب اليونانية . وكانت تلك المناطق تكون عالماً شرقياً كبيراً مؤلفاً من شعوب شتى شرقي البحر المتوسط تربطها معاً رباط التجارة والسياحة والمصالح الاقتصادية المشتركة بينها . فهذا العالم الذي كان مزعماً ان يولف

(٦١٨) بز العالم
الهنساني بروسو
الذين احفظوا مثاله

وَحدة سياسية تعامى عنه افلاطون معاً كان عليه هذا الفيلسوف من سمو الفكر ورجاحة العقل والاختبار الناجم عن اسفاره الكثيرة . وقد نفع اليونان العالم الشرقي الذي كان قديماً خاضعاً للثقافة الشرقية ، بأشرف المبادئ . واسمى الافكار التي بلغ اليها عقل الانسان المتمدن فكان عليهم ان ينفحوه بالزعامة السياسية

كان اهل الخبرة الواسعة من اليونان كابقرات يرون جلياً موقف البلاد ومصيرها في هذا الوقت . فقام ابقرات يحضُّ الشعب اليوناني على ان يدفنوا احقادهم ويُقلعوا عن منازعاتهم التافهة ويوسعوا نطاق محبتهم الذي كان حرجاً ويوحدوا تلك المحبة المجزأة حتى تشمل الامة بأسرها فيلتئم العالم اليوناني المقطع الاوصال ويتكوّن منه جسم واحد مرتبط الاعضاء ارتباطاً مكيناً لا ينفصم . وقد صرّح لهم قائلاً انهم اذا كانوا متحدّين معاً استطاعوا ان يقبلوا بسهولة مملكة الفرس المتداعية ويجعلوا انفسهم سادة العالم . واما اذا ظلوا متبايرين على مناوأة بعضهم بعضاً فان ملك الفرس يستطيع ان يتصرّف بهم كيف يشاء . وكان ضعف مملكة الفرس بادياً امام كل يوناني وقف على حكاية اكزنيفون عن زحف العشرة الالاف اليوناني تحت قيادته . فترى ما تقدم ان البواعث على الوحدة كانت مستتبّة

(٦١٩) اسيراب
الوحدة . ابقرات
ماكزنيفون

ولكن لم تكن مدينة واحدة يونانية تميل الى ان تخضع لزعامة مدينة أخرى لان المحبة الوطنية المكائبة وروح الانقسام الذي لا يزال حتى الآن شاملاً للشرق تغلباً على بواعث الوحدة فكان الانقسام الدائم عاقبة هذا التطور السياسي اليوناني . قال ذلك الى مجي . سلطة من الخارج لم يكن لها يد في ترقية الحضارة اليونانية لكي تخضع اليونان لسلطوتها

(٦٢٠) الانقسام
الدائم غاية تطور
اليونان الهاسي

ولكن مع تفهقر قوة اليونان السياسية لا نستطيع الا ان نعترف على رؤوس الاشهاد بان الحضارة اليونانية التي حاولنا تصويرها لذهن القارىء . بالكلام ، كانت حضارة مجيدة لا يمثّل لها . لان المنافسات التي قامت بين اليونان قد آلت الى قتل الزعامة السياسية واصبحت كل مدينة تبذل منتهى جهدها لتفوز على سواها في مضمار الفنون والآداب وسائر الاشياء . التي تُعدُّ من مقومات الحضارة . ومهما حسبنا عصر بريكليس عظيماً فان العصر الذي عقبه كان اعظم منه لانه نبغ من مملكة اثينا الصغيرة التي لا يربي عدد سكانها على خمسة وعشرين او ثلاثين الف نفس ، طائفة من عظام الرجال تفوقوا في جميع ما اتاه الانسان تفوقاً لم يسع بمثله في التاريخ في اية بلاد مساحتها وعدد سكانها بقدر مساحة وعدد سكان بلاد اليونان . واذا عُدد رجال التاريخ العظام كان هولاء كواكب متألقة

(٦٢١) سيادة
العبرة اليونانية
ولم القراط الهاسي

بينهم • ويتألف من الاعمال الخطيرة التي قاموا بها اعظم فصل في تاريخ حياة الانسان العليا .
وفضلاً عن ذلك فقد كان امام العبقريّة اليونانية انتصارات أخرى مستقبلية بعد فقد الزعامة
السياسية التي نزاها الآن قد اخذت تنتقل ازمتهما الى ايدي أخرى

مسائل

٥٩

لماذا لم تكن سبارطة جديرة بتولي الحكم في البلاد اليونانية ؟ ماذا كان اسلوبها
في توليها للاحكام ؟ ما المراد بحكومة الاقلية او الخاصة ؟ كيف كانت وهل نجحت ؟
هل نجحت الحكومة الديمقراطية اكثر منها ؟ صف تأثير الحاجة الى النقود في اعمال
الحكومة . ماذا فعل اليونان لكي يفهموا المالية الوطنية ؟ ماذا كان جارياً على صغار
الفلاحين ؟ اسهب في وصف الاشغال والدخّل في هذا الوقت . ماذا كان تأثير
الحروب اليلبونييسية الطويلة على جنود اليونان الوطنيين ؟ كيف كانت تتطور الزعامة
الحربية ؟ اذكر قصة اكرنيفون والعشرة الآف الذين كانوا معه ؟ اي علم كان في
طور النشوء الآن ؟ من اين تعلم اليونان استعمال آلات الحصار ؟ الى اي عمل
استفزّت غارة العشرة الآف سبارطة ؟ ماذا كانت النتيجة ؟

٦٠

اي اتحاد تأتف لاسقاط سبارطة من الزعامة ؟ ماذا جرى في مؤتمر الصلح ؟ ماذا
كانت النتيجة المتوقعة للحرب التي نشبت بين سبارطة وثيبة ؟ ماذا كانت خطة ابيمننداس
التي قابل بها فن سبارطة الحربي ؟ اين التقت الجيوش المحاربة ومتى ؟ ماذا كانت
النتيجة ؟ كيف نجحت ثيبة في تولي زعامة الحكومات اليونانية ؟ كيف كانت
حال العالم اليوناني باسره من الوجهة السياسية

٦١

اي نوع من هندسة البناء دخل البلاد حديثاً ؟ باي شيء كان يختلف عن النوعين
القديمين الدوري والأيوني ؟ صف الموصوليسوم ؟ اي نوع من الاشكال او الصور
احب سكوباس حفرها ؟ اي اسلوب جديد دخل الآن لصنع صور يمكن نقلها من
مكان الى آخر ؟ اي طريقة جديدة للتصوير ادخلها ابلودورس ؟ هل بقي شيء من
تلك التصاوير ؟ من اين تعرف كيف كان منظرها ؟ اي نوع من الاشغال الصغيرة
صنع صغار ارباب الفن ؟

٦٢

من اي وجه كان العصر الذي عقب زمن بريكليس عصر منازعات ؟ ماذا كان
الولد الاثيني يتعلم في هذا العصر عن الآلهة ، في بيته ؟ وفي الحفلات العمومية ؟ ومن
روائع الفن ؟ هل كان يحصل على شيء من التعليم الديني ؟ ماذا كان يمتد من جهة
سلوكه وعلاقة الآلهة به ؟ اية آلهة غريبة بدأت الآن تدخل البلاد ؟ قل ما تعرفه
عنها . ماذا كان يظن الوطني المتهدب في اعتقادات العامة ؟ كيف كان يشعر قبلاً
من جهة الشك الديني ؟ روايات من الروائيين كانت تهزأ بشك كهذا ؟ من
تعلم هذا الوطني ان يشك ؟ مآسي من كان يقرأ هو واصحابه ؟ أقمع الشك كان في
ذلك ام انتصاره ؟ كيف كان ستمراط يصرف معظم اوقاته ؟ ماذا قصد بذلك ؟
هل تقدر ان تلخص تعاليمه ؟ هل كان رجل شر ؟ أكان مستخفاً بالدين ام بلا
دين ؟ ماذا كان راي العموم من جهة فلسفته ؟ ومن جهة اخلاقه ؟ ماذا فعل
الاثينيون اخيراً ليسكتوه ؟ قل ما تعرفه عن محاكمته وموته . هل زال بموته تأثير
شخصيته ؟ كيف كان تاريخ ثوسديس يختلف عن تاريخ هيرودتس ؟ ما هي الفترة بينها ؟ ماذا

تقول من جهة النثر والشعر في هذا العصر ؟ من كان زعيم معلمي البيان وكتابة النثر في
اثينا ؟ ماذا تقول في كتابته ؟ اي علم كان الآن في طور نشوئه ؟ ماذا تعرف
عن حياة افلاطون ؟ ماذا علم عن ادارة الحكومة ؟ اية مسئلة عظيمة قصر عن
ادراكها ؟ اي عالم متمدن كان الآن آخذًا في النشوء ؟ لماذا لم يتجف اليونان العالم
الذي اعتنق الحضارة اليونانية وحدة سياسية ؟ كيف شعر اهل الاختبار والعمل امثال
ابقراط من جهة هذه القضية ؟ هل اتبع اليونان نصحه ؟ ماذا كانت النتيجة ؟

ف ١٧
منازعات
بريكليس

ف ١٧ المنازعات الاخيرة فيما بين حكومات اليونان وحياتهم السيميا بعد موت بريكليس ٣٣٩
تقول من جهة النثر والشعر في هذا العصر ؟ من كان زعيم معلمي البيان وكتابة النثر في
اثينا ؟ ماذا تقول في كتابته ؟ اي علم كان الآن في طور نشوئه ؟ ماذا تعرف
عن حياة افلاطون ؟ ماذا علم عن ادارة الحكومة ؟ اية مسئلة عظيمة قصر عن
ادراكها ؟ اي عالم متمدن كان الآن آخذًا في النشوء ؟ لماذا لم يتجف اليونان العالم
الذي اعتنق الحضارة اليونانية وحدة سياسية ؟ كيف شعر اهل الاختبار والعمل امثال
ابقراط من جهة هذه القضية ؟ هل اتبع اليونان نصحه ؟ ماذا كانت النتيجة ؟

ف ١٧
منازعات
بريكليس

الفصل الثامن عشر

الاسكندر الكبير

٦٣

قيام مكدونية

وظلَّ قَبَس الحضارة اليونانية في تخوم جبال البلقان يتضاءل تدريجياً حتى توارد في دياجي البربرية التي يتصل نسبها باوربا العصر الحجري . وكان هولاء الشماليون المنحطون - كالثراكيين مثلاً - ينطقون بالسنة هندية اوربسية الاً أن ذوي قرباهم في الجنوب لم يفهموا ما كانوا يراطنونهم به . وبعد زمان اخذت خشونة البربرية التي كان يتصف بها المكدونيون الفلاحون تحتجب تحت طلاء رقيق من الحضارة اليونانية في الجنوب وذلك مذ شمّر ملوك مكدونية عن ساعد العزيمه واخذوا في غرس الآداب والفنون اليونانية وتعميدها بعنايتهم لكي تنمو وتنضج في بلادهم . وكانت والده فيليب الملك مرتاحاً جداً الى تمكنها من تعلم القراءة والكتابة في شيخوختها

(٦٢٢) مهبه
وليات
البلقان
والعال

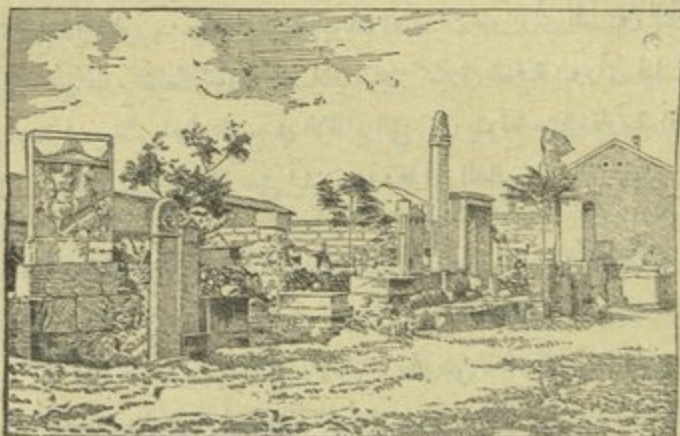
وكان من حسن حظ فيليب انه تربى في بلاد اليونان لانه باقامته فيها علم بما كان عليه العالم اليوناني من تفرق الكلمة وتقطع الاوصال . فلما تبوأ سرير مكدونية اعزم ان يسط نفوذه عليه وشرع للحال في التأهب لتنفيذ الخطة التي رسمها لتحقيق امنية نفسه متدرعاً بخنكته السياسية والعسكرية فبادر قبل كل شي . الى ايجاد قوة حربية كافية . وكان قد تدرب ايام كان رهينة في ثيبة ، على قيادة الجيش تحت نظر ايمنداس الشهيد قاهر السبارطين . والمروي انه فاق استاذهُ فيها

(٦٦٢) فيليب
المكدوني وجنود
الى التوسع

(٦٢٤) ابداع
فيلبس للفلسفة
الغويانية المعروفة
بالمالكنس

واختار فيلبس من فلاحي مملكته عدداً كبيراً من الشبان الذين آثروا الخدمة في
الجندية مدى الحياة على الفلاحة ورعاية المواشي . ونظّم منهم جيشاً عاملاً ساعه بالعدة
الكاملة على النمط الذي كان قد رآه في بلاد اليونان . ولكن كانت صفوفه اكتف
ورماحه أطول

(٦٣٥) الفرمان
المكذوبون . ضمّ
فيلبس المشاة المم
الفرمان في الاممال
الحربية الموحدة



الشكل ١٥٤ برينا هذا الشكل احد الشوارع حيث اعتاد اليونان والرومان
(ش ١٦٦ هـ و K) ان يدفنوا موتهم

كان هذا الشارع خارج باب ديلون على السكة المقدسة الى ألبوسين . وكانت حجارة
الارضحة تبطن جانبي السكة مفاة قصيرة . مثال ذلك (ش ١٥٢) . ولما كان سلاً الروماني
يحاصر اثينا في اثناء حربه الشرقية ، اصدر امراً بتكوير التراب حتى بلغ ارتفاعه عند هذه
القطعة مستوى اسوار اثينا . فكان عملة هذا واقياً لهذا القسم من المقبرة من الدروس والاضمحلال
فتمكن المنقبون في عصرنا من تبش القبور التي كانت مغمورة تحت التراب وهو القسم الوحيد
الباقى من سوق يونانية قديمة فيها قبور . في هذه المقبرة دُفن الذين عاشوا في ايام سقراط
الحكيم . ويرى على الاثر التذكاري الذي الى يسار الشكل تمثال شاب اثيني باسل منتصباً صهوة
جواده . يطارد الاعداء الساقطين امامه وقد قُتل في الحرب الكورنتية (ف ٥٩٠) ودُفن هنا
بعد موت سقراط (ف ٦١٠)

ولم يكن
للفرسان حتى
الآن عمل
في الحرب
يستحق
الذكر .
كانت
الخيول
كثيرة العدد
ولكن لم
يكن يتطليها
الأشراف
الذين كانت
تتألف منهم
كتيبة بلا
نظام ولا
ترتيب لان
كلاً منهم
كان يجارب
مستقلاً بنفسه

كيفما شاء . ومتى شاء . اما فيلبس فقد نظّم هولاء الفرسان ودرّبهم في الفنون الحربية حتى
اصبحوا قادرين على العمل معاً كأنهم جسم واحد . وكان هجوم عدد كبير من الفرسان
دُفعة واحدة يُلتي رُعباً في قلوب الاعداء . يكاد يكني لجعل المعركة فاصلة . وادخل فيلبس
تحسناً آخر في فن المجاربة اهم من كل التحسينات السابقة وهو انه كان يؤلف قلب الجيش

من صفوف المشاة المترأصة وجناحيه من الفرسان . وكانت القوة المرَّجبة من القلب والجناحين
ترحف على العدو وتحارب كوحدة عظيمة كأنها آلة حربية لا تُقاوم ، كل قطعة منها
تعمل مع سائر القطع الاخرى على اتم ترتيب ودقة

ولو لم يتولَّ ادارة الشؤون وضبطها عقل رجل فذلما امكن ادماج هذا الفصل الجديد
في تاريخ فن الحرب . وقد استتب لليونان الآن ان يروا رأي العين التأثير الفعلي المحسوس
لتوآمي زعيم حازم ضبط شؤون البلاد سنين كثيرة متعاقبة . ورأى فيلبس بعين فراسته
السياسية ان يباشر اعمال الفتح في الاقاليم التي كان يتوقع منها مقاومة اقل فتأبر على توسيع
نطاق مملكته شرقاً وشمالاً حتى ابغ حدودها الى الدانيوب والدردينيل

(٦٢٦) الفئدة

العمالية من حصر
السلطة في شخص
واحد . فتوحات
فيلبس في الجبهات
التي

وكان امتداد فتوحات فيلبس الى الشمال من بحر ايجه سبباً لتحرُّشه بمصالح الحكومات
اليونانية التي كان لها بعض المدن في تلك الاصقاع الشمالية ، فلما بلغت انباء تلك الفتوح الى
اثينا نشأ فيها حزبان حزب تلقاها بالارتياح والرضي لانه رأى في فيلبس شخصاً مخلصاً لاثينا
شديد الاعجاب باليونان واعتقد انه الموحد لشمالي اليونان لمتفرق والمتقد للعالم اليوناني طراً .
وكان زعيم هذا الحزب ابقراط (ف ٦١٩) الشيخ الذي كان الآن قد طعن في السن . وحزب
آخر تلقاها بالاستياء والسخط لانه حسب فيلبس قاسياً سفاهاً دائماً في استعباد مدن اليونان
الحرَّة قطعن فيه طعناً جارحاً

(٦٢٧) حزبان

في اثينا . ابقراط

وكان زعيم الحزب المناوي . للمكدونيين ، ديمستريس الخطيس المصقع الذي اتى على
مسامع الاثينيين خطبه الشهيرة الخالدة المعروفة بالفيليبيات مظهرًا بها الاثينيين الخطر الذي
كان يتفانم باتساع فتوحات جيش فيلبس الباسل التي كان كل فتح منها تهديداً لكيان
الحكومات اليونانية . فاستطاع ، بما أوتيهُ من قوة العارضة وسحر البيان ، استمالة المجلس
الاثيني الكبير اليه . وصارت خطب ديمستريس هذه التي القاها على مسامع الشعب اليوناني
مضرب مثل في البلاغة في كل مكان وزمان حتى في الامة اليونانية نفسها لم يكن لها
ضريب في بلاغتها . والسُرُّ في ذلك كله ان الدافع اليها كان غاية شريفة ولدتها محبة
وطنية صادقة . الا ان صاحبها حمل حملة شديدة على الحزب المعارض في اثينا وجاوز الحدود
في الطعن عليه . ومن عجيب امرها انه لا يُلَمَّح من خلال سطورها ان موثني برودها كان
ينظر الى الاحوال نظرة السياسي المحنك ايرى ما وصلت اليه حكومات بلاده من سوء
الحال بسبب انشقاقها وتزاعها بعضها لبعض حتى لم يبق عندها اقل امل بالاتحاد

(٦٢٨) ديمستريس

وكان عاقبة القتال ، الذي لم يكن بدُّ منه بين فيلبس وحكومات اليونان ، حَسْرًا

الغتاب عن حقيقة جوهرية وهي ان آراء ابقراط - وان لم تجب من الوجهة البيانية مسبوكة في قالب من البلاغة - كانت تدل على حكمة بالغة وحُكمة سياسية اكثر مما دلت خطب ديمستريس التي كانت آية في سحر البيان . وبعد سلسلة مناوشات حربية كسر فيلبس قوات اليونان في معركة فاصلة في كيرونيا (٣٣٨ ق م) وتبوأ منصب الزعامة في حكومات اليونان كلها ما خلا سبارطة التي اقامت على عدائه ومناوئته ولم تدخل عصبة الحكومات اليونانية التي رأسها . وكان فيلبس قد شرع في تحرير المدن اليونانية حين هجمت عليه شرذمة من اعدائه طمئنته بخناجرها فمات متأثراً من جراحه في اثنا . الاحتفال بزفاف كريمة وذلك غب معركة كيرونيا بستين

(٦٣٠) خلفه
فيلبس المكثولي

وخلف الاسكندر اياه فيلبس في الملك وهو ابن عشرين سنة لا غير . وخلف فيلبس في البلاط المكثي رهطاً من المكثونيين المشهورين بالدراية وحسن الادارة والاخلاص للعائلة المالكة والذين اليهم يُعزى معظم النجاح الذي احرزه الاسكندر في اوائل ملكه . ولكن مع كل ما كان عليه هولاء من الامانة والاخلاص والمقدرة على ادارة الشؤون ، نجد ان نزاعاً شخصياً نشب بينهم وبين الملك الشاب وكانت عواقبه مؤلمة جداً

(٦٣١) مهدم
الاسكندر واخلاقه

وما كاد الاسكندر يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى كان ابوه الملك قد استقدم الى البلاط ارسطوطاليس الفيلسوف العظيم ليتولى تثقيف وتهذيب ولده الامير الشاب . وكان في جملة ما صحت اليه نفس الامير في اثنا تحصيله علوم زمانه ، الاعلاق النفيسة من آداب اللغة اليونانية ولا سيما اتاشيد هوميروس التي استظهر كثيراً منها . وكان لاعمال الابطال القدماء تأثير عظيم في اعبان نفسه الفتية ظهرت نتيجة في تصوراته واخلاقه . ولما كبر ونضج عقله كان قد اشرب قابه حب العبقرية والثقافة اليونانيتين

٦٤

حملات الاسكندر الكبير

(٦٣٣) اغضاع
الاسكندر للحكومات
اليونان وسورورث
زعيمها لخالف
يوناني

وكانت الحكومات اليونانية لا تزال تأبى الخضوع لزعامة مكثونية اذ قام في وهما انها تستطيع خلع حاكم كالاسكندر لا يزال في طور الشباب . ولكنها ما لبثت ان ادركت انه كان بين منكبتي ذلك الحدث رأس شيخ مملوء حكمة . فلما ثارت ثيبة على مكثونية مرة ثانية بعد موت فيلبس رأى الاسكندر - وكان قد وُطن النفس على محاربة الفرس -

انه ليس من الحكمة ولا من أصالة الرأي ان يزحف بجشوده على اسية قبل ان يؤدب الحكومات اليونانية ويعلمها درساً لا تنساه في امدٍ قصير فاستولى على ثيبة المدينة القديمة واعمل فيها ايدي التخريب والتدمير حتى جعلها قاعاً صفصفاً . ولكنه ابقى على منزل واحد فيها وهو منزل الشاعر الكبير بندار . فعلم اليونان بذلك مثلثين . الاولى ان يخافوه ويحترمونه والثانية انه يُجلُّ العبقرة اليونانية ويحترم النبوغ اليوناني . ولما شعرت الحكومات اليونانية الا سبارطة بانها القائد الطبيعي لها عقدت تحالفاً وانتخبته زعيماً له وقائداً لجيوشها وامتدته للحال بالجنود لتعزيز جيشه

(٦٢٣) الامكندو
جبل هلاس وحامي
ذ.ارها

وكان الغرض من الحملة الاسيوية التي كان الاسكندر ينظم الآن خطتها ، تأييد منصبه الجديد كحامي ذمار اليونان من اسية . وعقد نيته على ان يتولى بذاته قيادة جيوش اليونان المتحدة تحت لوائه ويزحف بهم على ملك الفرس سيد اسية كما زحف اسلافهم من قبل بقلب واحد على طروادة الاسيوية . فسار في طليعة جنوده المكدونيين واليونانيين المتحدن الى اسية الصغرى . ولما ان بلغوا طروادة وقفوا عن السير ونصبوا مضاربيهم في سهلها حيث قاتل ابطال اليونان الذين اشاد هوميروس بذكورهم ومدحهم في اشعاره . ودخل الاسكندر هيكل اثينا وسجد وابتهل الى الالهة من اجل نجاح قصده بالزحف على الفرس . وقد توخى بفعله هذا ان يضرب على نفسه قبعة من بطولة حرب طروادة لكي يرى جميع سكان هلاس صورة البسالة متجسمة في الشاب المكدوني الذي اعاد اليهم ذكرى ذلك العصر المجيد القديم الذي توحدت فيه ، منذ عهد بعيد جداً ، قوات اليونان الحربية جميعها لمناوأة اسية

(٦٢٤) مرسك
غرايكس ٢٢٤ ق.م
وقم اسيا الصغرى

وكان ملك اسيا العظيم قد استأجر الوفاً من مشاة اليونان المدججين لكي يحاربوا اخوتهم وابناء بلادهم ، اليونانيين . فلما بلغوا الى نهر غرانكس لم يجد الاسكندر اقل صعوبة في تزيق قوات عمال الفرس في الغرب . وعملاً بالعادة المكدونية خاض الملك الشاب ، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة لا غير ، غار القتال يقود جنوده غير هيأب من تعريض ذاته الملكية للخطر . ولولا مساعدة جاءتة في حينها من لدن اكلئس اخيه في الرضاع ، لكان الملك الشاب المتهور قد قُتل في تلك المعركة . وزحف بعد ذلك بعساكره الى الجنوب واستولى على المدن اليونانية الواحدة تلو الاخرى وحرر كل اسيا من نير الفرس الى الابد

وكان في هذا الزمان اسطول فارسي ضخم في مياه البحر المتوسط وله فيه السيادة

المطلقة . في هذا الموقف الضَّنك شرع الشاب المكدوني يظهر تفوقه في الفنون الحربية التي



الشكل ١٥٥ هاجمة الاسكندر الكبير لحرس وضباط ملك الفرس في معركة اوسون
ان الفنان الذي وضع رسم هذا العمل العظيم قد اخار ذلك التهمة الخطيرة حين كان الفرس (البيهن) يحهبون في انقاذ ملكهم
من هاجمة الكنديزيين (اليسار) . الاسكندر حاصر الراس في الصورة منظر جيواديه (عن اليسار) هجوم جيواديه على ملك الفرس
(داريوس الثالث) وهو واقف في مركبته (البيهن) . وكان الهجوم الكندي في شديدا جدا حتى كانت حياة الملك ، من جزائره في خطر .
فترجل احد اشراف الفرس وقدم له جيواديه ليطلبه هلا وبطلان له العمان طالبا للثأر . وكان اشراف الفرس الانبياء منظر جيواديه وحاملين
بين ملكهم وهجوم الكنديزيين لكي يكون لداريوس فرصة للركوب والحرب ولكن ربح اسكندرا عنده في صدر احد اشراف الاشراف الذي انقضى
الملك بنشو . فهدأ ذلك داريوس بنده مرعوبا حروبا لموت صديقه الشريف على هذه الصورة . اما سابق العربة الملكية (وراء الملك)

فانه اعمل الوسط في ظهور المجداد الثلاثة محاولاً ان يخطف الملك ويهربه (ف ٢٢٦) . صنع هذا المشهد
النيس للمعركة في الاصل من قطع زجاج ملون (فيساء) واكتشف سنة ١٨٢١ في ارض احد المنازل بمدينة
بهاي الرومانية (ش ٢٠٩) ولكنه وجد بعض اجزائه مشوهة وخصوصاً عن اليسار حيث زالت بعض الاجزاء من
صورة الاسكندر وجيواديه . مدت هذه الصورة في الاصل على الارض بالاسكندرية ولما نقلت الى ايطاليا بعد نزوعها
من مكانها بالقوة حصل فيها التشويه المذكور . وهذه ايضا نسخة منقولة عن صورة يونانية اقدم مما صورت
بالاسكندرية (ف ٦١٤) وهي من اعظم مشاهد البطولة في ساحة القتال يبين منها نفاسة الفن الروماني

(٦٣٥) زحف
الاسكندر بجيشه
وسط اوما العفرى

دعت الحال اليها في هذا الوقت العصيب . وكان قبل يراحه لوطنه قد غادر فيه قوة عسكرية وأيقن كل الايتان ان العبرة التي رآها الناس في سحق ثيبة ستكون مازعاً قوياً للاسطول الفارسي في بحر ايجيه من ان يجرأ على بلاد اليونان الى ايقاد نيران الثورة في غيابيه . ولذلك لم يتكأ عن الجد في المسير شرقاً سالكاً الطريق التي سار عليها العشرة الآلاف يونانيا وبسالة رائده . فقطع بجنوده المضيق الشاق المسمى بابواب كيليكية ودار حول الزاوية الشمالية الشرقية من البحر المتوسط . ولما رفع عينيه ورأى اراضي الهلال المخصب تمثل لديه العالم الاسيوي الشاسع الاطراف البعيد الاكثاف الذي يُقل أربعين مليوناً من السكان الخاضعين منذ منتي سنة ، لأسرة « الملك العظيم » وايقن انه سيكون في العشر السنين التالية بطل هذا المعتزك الخطير

(٦٣٦) الكسار
داريوس الثالث
في معركة اسوس
٢٣٢٦ ق م

في هذه النقطة المهمة عند خليج اسوس التي الاسكندر جيش الفرس الرئيسي يقوده داريوس الملك العظيم ، آخر الاسرة الماكية الفارسية بنفسه وسار الاسكندر الآن في ادارة الحركات الحربية على منهاج ابيه وابيمنتداس ، وهو ان يكون البادى . بالهجوم مع ما كان عليه العدو من مناعة المركز وراء النهر . فصف جنوده في خط منحرف جاعلاً الفرسان الذين تالف منهم الجناح الايمن من جيشه ادنى الى صفوف العدو من سائر الجيش ثم هجم هجوماً عنيفاً يتبعه فرسانه المكدونيون قاطعين النهر (ف ١٥٥) فانهمز الجناح المقابل من جيش العدو . ثم جرت المحاربة في القلب والجناح الآخر ، والحجاسة آخذة من المتحاربين كل مأخذ ، ولكنها كانت سجالاً فلم تقع معركة فاصلة بين الفريقين . الا ان الفرسان المكدونيين الظافرين في الميمنة ارتدوا على قلب الجيش الفارسي وهاجموه من كل جانب فزقوه كل ممزق وشرّدوا الاسيويين من ساحة العراك ففرّوا مع مليكهم لا يابون على شيء حتى قطعوا الفرات حيث وقفوا وتنفّسوا الصعداء . وبعث الملك الفارسي العظيم برسالة الى اسكندر يلتمس بها منه ان يبعث اليه بشروط الصلح . وعرض عليه ان يكون الفرات الحد الفاصل بينها . فكل ما كان من اسية واقماً غربي ذلك النهر يسلم الى المكدونيين

(٦٣٧) المرفق
بمسد اسوس
واصدقاه الاسكندر

وحين وصول رسالة ملك الفرس تناولها الملك الشاب بيده وفيما كان يتلوها كان محفوقاً برهط من نجب الشبان المكدونيين واشدهم ياساً الذين شبوا معه وكانوا اقرب المقربين اليه ، وبرهط آخر من كبار المستشارين الذين كانوا قبل ادى ابيه يعول على آرائهم ويعتمد على مشورتهم في الخطوب . وكانت اخطار المعارك ومشاق الزحف والمعاشرة اليومية في المضارب وسهر الليالي على اديم الارض في العراء قد ابرمت امتن رُبط الولا . والمحبسة

الخالصة والعطف بين هؤلاء المكدونيين الامناء المخلصين وبين مليكهم الشاب المتقد
حماسة

وبعد ان انعم القائد الكبير پرمينيوس النظر في رسالة الملك داريوس قدّم نصيحة مهمة .
وكان پرمينيوس هذا من قواد فيلبس وقد تولى هذه المرة قيادة ميسرة الجيش المكدوني في
المعركة الاخيرة التي عُقد الفوز فيها للاسكندر . ويكاد يُخيّل لينا الآن ان هذا الرجل
الجليل يتساند بلا كُلفة الى منكب الملك الشاب المتعطر - وكان قد بلغ الآن الثالثة
والعشرين من عمره - يحدّثه مشيراً بيده في اثناء الحديث الى البحر المتوسط قائلاً له «تذكّر
ان وراءك اسطول الفرس الذي لا يبعد انه يحرك اليونان الى الثورة عليك» ثم اضاف الى
قوله «بما ان داريوس هو من وراء الفرات فيبلاد فارس في مأمن من جهة اوربا والعالم اليوناني
نظراً الى بُعد المسافة . وفوق ذلك كله ان الحملة على ملك الفرس العظيم قد جاءت بحكم
العقل بكل ما يُنتظر الحصول عليه منها . ولا مراة في ان اباك الملك لم تكن خطته لتتعدى
الحدود التي بلغت اليها هذه الحملة الظافرة»

وكان الحكم الفاطح الذي صدر بعد معركة أسوس الحدّ الفاصل وبتعبير آخر مُتوقّ
الطرق . فظهر لعيني الاسكندر الشاب - كما برؤيا - منظر امبراطورية عظيمة الشان
تشمل العالم بأسره تحت سلطة الحضارة اليونانية - رؤيا لم ترها عيون الرجال الذين معه لانها
ضعيفة فاقصاهم عنه ، وهم مستشارو والده المحنكون ، لانهم لم يروا ما رآه . وعقد النية
على الزحف لفتح مملكة الفرس برمتها فاما هذا الحكم الفاصل ، البعيد النتائج في المكان
والزمان ، الحجاب عن شخصية قوية مثلت عصرًا جديداً . وهكذا قام النزاع بين العصر
الجديد والقديم ، نزاع لا نهاية له كما رأينا في اثينا (ف ٦٠٢) واكنه بلغ معظم شدته
بين الاسكندر ورهطه المخلصين من المكدونيين الذين جرّهم الى القيام باعمال شاقّة ينوء
بها اعظم الابطال ألا وهي فتح العالم بأسره

ان الخطر الذي كان يخيى وقوعه من الاسطول الفارسي قد زال الآن بطريقة دُبرّت
بالتأني والحزم وهي الزحف جنوباً مقابل الطرف الشرقي من البحر المتوسط والاستيلاء على
جميع الموانئ الفينيقية . ولولا آلات الحصار التي كان ابو الاسكندر قد اخذها عن اليونان
الغريبيين لحبطت مساعي حملة ابنه جوبطاً تاماً . فاستخدم الاسكندر في محاربتة لمدينة صور
وتدمير اسوارها الآلات التي اخترعت اصلاً في الشرق (ش ٦٨) وقد أُعيدت اليه الآن
مع بعض تحسينات اضافها اليها اليونان . وقد كانت صور حتى الآن في مأمن من عدو مفاجىء .
بالنظر الى موقعها البحري لان المياه من حولها اسوار لا تقوى عليها آلات الحصار . وقد

(٦٣٨) نصيحة
پرمينيوس بقى - ولد
شروط الفرس بعد
معركة اسوس

(٦٣٩) الحكم
البات عن معركة
اسوس والاعتلاف
بين الاسكندر
واصحابه في الرمي

(٦٤٠) فتح فيلقية
ومصر . تبليد
الاسطول الفارسي

عجز الاسكندر بادىء بدءه عن الاستيلاء عليها ولكن فتقت له الحيلة ان يبني سدًا في المياه يصل البر بالجزيرة الصغيرة القائمة عليها المدينة . ولما انجز العمل اتى بالآلات حصار وتعر بها الاسوار واستولى على المدينة . ولكن هذا السد طمر بما سفته عليه الرياح من الرمال على مر السنين فتكروّن من ذلك برزخ تحوّلت به الجزيرة التي كانت قائمة عليها مدينة صور الى شبه جزيرة كما ترى الآن . ثم استولى المكدونيون على مصر غنيمته باردة بعد ان لبثت امدًا طويلًا ولاية فارسية ضعيفة . واما الاسطول الفارسي فلما أخذت جميع الموانئ التي كانت في حوزته وانقطعت الصلة بينه وبين بلاده تفرقت سفنه ايدي سبا ولم يبق لها في مياه المتوسط عين ولا اثر

(٦٤١٧) زحف
الاسكندر على بلاد
فارس . معركة
اربيلا

وبعد ان مرّق الاسكندر شمل ساقه العدو عاد من مصر الى اسية وسار بجيشه في الاراضي المعروفة بالهلال المخصب وقطع ذجلة بقرب الآكام التي كانت في قلبها اخربة نينوى . وكان ملك الفرس قد حشد جنوده للمرة الاخيرة في مكان بالقرب من اربيل . ولم يكن الفرس يعلمون شيئًا عن التقدم الذي بلغه اليونان والمكدونيون في فن الحرب . وكانوا هم من هذه الحيثية متأخرين عن ابناؤهم كما كان اهل الصين متأخرين عن اليابان مراحل ايام نشبت بين البلادين حربها الاخيرة . الا ان الفرس ابتكروا حيلة حربية جديدة وهي هياؤا عددًا من المركبات وربطوا الى جزوعها مناجل حصاد بارزة من الجانبين ليحصدوا بها الاعداء . ولكن حياتهم هذه لم تدفع عن جيشهم مقدورًا لان المكدونيين بطشوا به وسحقوه على بكرة ابيه فلاذ ملك الفرس العظيم بالفرار ولسان حاله يقول ارضى بالفرار واسلم . وبعد ايام قليلة احتل الاسكندر قصر ملك الفرس في بابل (ف ٢٨٢)

(٦٤٢٢) موت
داريوس الثالث
(٣٣٠ ق م)
الاسكندر يهد
الشرق القديم

وفيا كان داريوس هاربًا الى الجبال الشرقية طعنه بعض حشمه الحونة بخنجر فمات (٣٣٠ ق م) فلما علم الاسكندر بذلك امتطى جواده يصعبه بعض اركان حربه وذهب لكي يرى جثمان آخر امبراطرة الفرس وسيد اسية الذي قد انتقلت الآن مملكته المتراصة الاطراف اليه . واقتصر الاسكندر من القتل وارسل جثمان الملك القتيل محفوظًا بمجالى التكريم ومظاهر الأبهة الى والدته وشقيقته اللتين كان قد قدّم لها حمايته وضيافته . وهكذا آل امر السلطة في وادي النيل والهلال المخصب ، مهد اقدم المدن ، الى دولة ذات مدنية احدث عهدًا واسمى درجة من المدن التي سبقتها . وقد مرّ معنا تاريخ وادي النيل والهلال المخصب ووصف الادوار التي مثلها هذان البلدان على مرّسح التاريخ القديم .

اما المدة التي مرت منذ دخول الشاب المكدوني الى اسية حتى هذا التاريخ فاقل من خمس سنوات



الشكل ١٥٦ زاوية فناء قصر دار يوس الأول في شوشن الذي استولى عليه الاسكندر الكبير (حسب رسمه يوله)

ان اعمال الحفر والنقيب التي قام بها الفرناويون في شوشن قد كشفت عن النقش البارز المدهش المخصص بنارام سن (ش ٦٣) والعمود المنقوشة عليه شرائع حورابي (ش ٦٥). وفي الوقت نفسه كشف الفرناويون اخرية القصر الذي بناه دار يوس الأول في ايام مرثون وكنل في ملك احشوربرش في زمن سلاميس قبل ان فتح الاسكندر شوشن بئمة وخمسين سنة وهبل الترميم الذي قام به المهندس الفرناوي بظهر لنا الامبراطور الفارسي وحشمه آتين الى احد انبيسة القصر. ونرى على طول قاعدة المجدار الزخارف الفاخرة من اللون المدهون بمائل الزجاج يمثل لنا منها صفوف الجنود الفارسية كما في (شكل ١٨٤). ولا بد ان كان بنفس هذه الهيئة حينما دخله اسكندر اول مرة ليستولي على مقام ملك الفرس المتوة الذي كان فاخراً نفياً

وكان لا بد للاسكندر من القيام ببعض امور ترسيخاً لاركان مملكته في اسية مع انه لم يبق شي يخشاه من الفرس فاستأنف المسير ووجهته مملكة الفرس الصغيرة الاصلية التي خرج منها كورش منذ ما يزيد عن مئتي سنة ظافراً منصوراً فلما بلغ الى شوشن وقف عن السير (ش ١٥٦) وذهب الى زيارة ضريح كورش في برسسيولس ولما بلغ اليها اضم النار في قصر ملوك الفرس بيده كما فعل الفرس من قبل بميليتس وهياكل الاكروبولس في اثينا جاعلاً ذلك بيتة محسوسة على سيادته وتسلطه في اسية ولكنه امر باطفائها قبل ان تستخدم وتلتهم القصر لانه لم يقصد بفعله هذا الأرمز فقط

ولما وصل الاسكندر الى اكبنتا في الشمال غادر فيها برمينيو الذي اتتمته على كنوز الذهب والفضة التي كان ملوك الفرس قد قضوا السنين الطوال في جمعها وتكويها ووجد في السير شرقاً وبعد مرور خمس سنين فيما كان العالم اليوناني ينظر الى هذه الامور الواقعة بعين الدهشة والاستغراب كان هذا الشاب المكدوني قد بلغ الى اطراف العالم المعروف في ذلك الوقت زحف اولاً الى جهة الشمال يذلل الصعاب ويمهد

(٦٤٣) امنبلا
الاسكندر على المدن
الملكية الفارسية

(٦٤٤) غزوات
الاسكندر في الشرق
الانص ٢٢٠ -
ق ٢٢٤

العقاب حتى وصل الى انجاد ايران فقطعها وعبر نهري جيحون وسيجون ثم جعل وجهته
الجنوب فقطع نهر السند وتخوم الهند وبلغ الى وادي الكنغ وهنا اصاخ الى تذمر
جيشه الباسل واضطرتة الحال الى النكوص على الاعقاب

(٦٤٥) رجوع
اسكندر من الهند
الى بابل ٣٢٣ ق.م.
وهو تلخخ غرماً
في النرق

ولم يرجع الاسكندر في الطريق التي اتى بها الى الهند بل في نهر السند الذي كان قد
بنى عليه اسطولاً . ولما بلغ النهر في الاقياونس الهندي قسم جيشه الى قسمين قسم سافر
بجراً في السفن التي كان قد بناها وقسم سافر معه برأً ووجهة الجميع بابل . وقاسى هو والذين
معه من الشدائد والمشقات والجوع والعطش في اثنا . قطع المفاوز والفلوات ما لا يحيط به
وصف حتى ان كثيرين من جنوده كانوا يعمون على جانبي الطريق إعياء . ووصل الاسكندر
الى بابل العظيمة بعد غياب سبع سنين عنها . وقد تلبث في اسية اثنتي عشرة سنة نقل في
غضونها الحضارة اليونانية الى قلب الفارة . وكان في اثنا . حملانه الحربية يؤسس في الاماكن
المهمة مدناً يدعواها باسم الاسكندرية نسبة اليه وانشأ على تخوم الهند ممالك لتكون في
المستقبل مراكز للنفوذ اليوناني . وبواسطة هذه المراكز دخلت الفنون اليونانية بلاد الهند
وصارت اساساً للفنون التي لا تزال موجودة فيها حتى الآن واتصلت ثمرات الصناعة اليونانية
- ولا سيما قطع النقود القديمة - بواسطة رعايا الاسكندر في هذه الارحاء القاصية من
الشرق ، الى بلاد الصين فكانت تنشيطاً للصناعة الحديثة فيها وفي اليابان . ولم يحصل هذا
الاختلاط بين الشرق والغرب في زمن من الازمان كما حصل في اثنا غزوات الاسكندر
المدهشة في النرق

٦٥

سياسة الاسكندر العمومية وعواقبها الشخصية

(٦٤٦) ساهي
الاسكندر العلية

وفي اثنا القيام بهذه المهام الخطيرة كان عتل هذا الشاب الذي أوتي قوة هرقل لا
يكف عن الاشتغال بالف مسألة ومستلة ذات وجوه مختلفة . فارسل بعثة الى اعالي النيل
للبحث عن اسباب فيضانه السنوي وبعثة أخرى الى سواحل بحر قزوين لتبني سفناً وترود
يها ارجاء ذلك البحر الذي كان طرفه الشمالي لا يزال مجهولاً وكان قد احضر معه من بلاد
اليونان رهطاً من العلماء الذين تمكن بمساعدتهم من ارسال مئات من نافع التاريخ الطبيعي
الى استاذة الكبير ارسطوطاليس الذي كان يعلم الآن في اثنا

واكبَّ بعد ذلك على تنظيم البلدان التي افتتحتها وتدير شؤونها وادارة احكامها ولا مراة في ان هذه الامور سامته نصباً شديداً لانها اضطرته ان يعانى مطالعة اوراق الحكومة التي كانت توضع امامه كوماً لمطالعتها فضلاً عن إملائه على كتابه واركان حربه الرسائل المتعلقة بخطه العظيمة ومشاريعه الجسيمة . وكانت ثقته بقوة الحضارة اليونانية وتفوقها على سواها لا يشوبها اقل ريب . ولذلك عقد نيته على ان يجعل العالم بأسره يصطبغ بالصبغة اليونانية وان يمزج اسية باوربا ببيته جوالي يونانية ومكدونية في اماكن مختلفة من البلدان التي عنت لسلطانه . فكان في جيشه المكدونيون واليونان والاسيون جنباً جنباً . وادرك بفراسته انه لا يستطيع ان يسود العالم كمكدوني بحت وان لا بد له من ان يمنح الفرس بعض الامتيازات . فاقترب بر كسانا ، اميرة من اسية . وكانت حفلة العرس مما بهر الابصار . واجبر ضباط جنده ان يفتنوا بكرامهم اشرف اسية فاحتذى مثاله الوف من المكدونيين وتزوجوا نساء اسيات . وعين كثيرين من الفرس في مناصب عالية في الحكومة وجعل منهم عمالة في الولايات وقيل انه احتذى مثال الفرس في بعض ملبسه

(٦٤٧) اجتاده
في مزج المصارفين
الاوروبية
والاسية

وفي اثناء هذه الامور المذكورة آنفاً نظم الاسكندر خطة لفتح الجزء الغربي من البحر المتوسط . وكان في جملة ما اختطه لها ، بناء اسطول ضخم جداً يتألف من الف سفينة حربية لاختضاع ايطاليا وصقلية وقرطاجنة ، ومد سكة عمومية على طول ساحل افريقيا الشمالي تنفق عليها البدر الكثيرة من الاموال ، وبناء طريق ساطاني لجيشه يمتد من مصر الى قرطاجنة ومنها الى اعمدة هرقل (جبل طارق) وهنا مجال للانتقاد سياسة الاسكندر . فقد كان الاحزم ان تقم هذه الامور كلها على اثر القضاء على مملكة فارس بلا امهال . والظاهر ان الاسكندر لم يستطع ، على ما اوتيه من صدق فراسة وبعده نظر ، ان يرى ان توحيد سواحل البحر المتوسط وضمتها معاً امبراطورية يتولى امرها حاكم واحد ، سهل جداً من توحيد وتنظيم بلدان متفرقة مترامية الاطراف في الشرق الاقصى

(٦٤٨) خط
الاسكندر لفتح الجزء
الغربي من البحر
المتوسط

ترى ما هو المنصب الذي كان يحلم به الاسكندر وتطمح نفسه اليه في هذه المملكة الكبرى التي تشتمل على العالم المعروف بأسره ؟ ان تصورات الاسكندر بهذا الصدد لم تكن لتتخصر ضمن حدود معينة . فقد خطر له مرة ان يأمر بنحت جبل اثوس تمثالاً له هائلاً يمثله مسكاً يمينه بلدة يبلغ سكانها عشرة آلاف نسمة . واعتزم ان يدعي الالهية لان ارادة الالهة ، على ما كان يعتقد اليونان ، كانت لا تزال امرأ واجب التسليم به بلا جدل . فكان الواحد منهم يعني رأسه امامها دون ان يخامرهم اقل شعور بان في عمله هذا شيئاً من البغي عليه او الخنوع . وقد وجد الاسكندر في هذا النوع من العقيدة اليونانية حلاً

(٦٤٩) تأليف
الاسكندر وتبني
الالهية

موافقاً لقضية مركزه الخاص في مملكته . فان كثيرين قبله من عظماء اليونان قد اعترف لهم بالالوهية . ولم يكن في معتقد اليونان خط فاصل بين مركز الالهة والبشر . فالاسكندر تزعت نفسه الى ان يُعد في مصاف الالهة لكي يتحكم بالمدن اليونانية بلا اثم ولا حرج وقد ماله على ذلك عادة قديمة كانت شائعة قروناً عديدة لدى المصريين وهي النظر الى الملك كأنه من اصل الهى ، وابن الاله الشمس . ولم تكن هذه العادة شائعة في مصر فقط بل في سائر الشرق ايضاً

لما كان الاسكندر في مصر قبل هذا الوقت بسبع سنين وظن نفسه على زيارة معبد عمون في الصحراء (٦٠٤) مصحوباً بشرذمة من اتباعه مع انه كان لا يزال في اسية جيش من الفرس لم ييطش به بعد ، يتوقع زحفه اليه . هنا في هذه المغازة الشاسعة البعيدة عن العمران التي قلما تسمع فيها نامة انسان ، دخل الاسكندر حجرة المعبد وحده . ولا يعلم الا الله ماذا جرى له هناك ولكنه يُقال انه لما خرج من المعبد حياً ، رئيس الكهان كان زفس عمون . وبذل الاسكندر جل العناية ليلبغ بلاد اليونان بأسرها حكاية هذا الامر العظيم الذي وقع له في هذا المكان . الا انه مرّت حقبة طويلة قبل ان فقه اليونان معنى ذلك كله

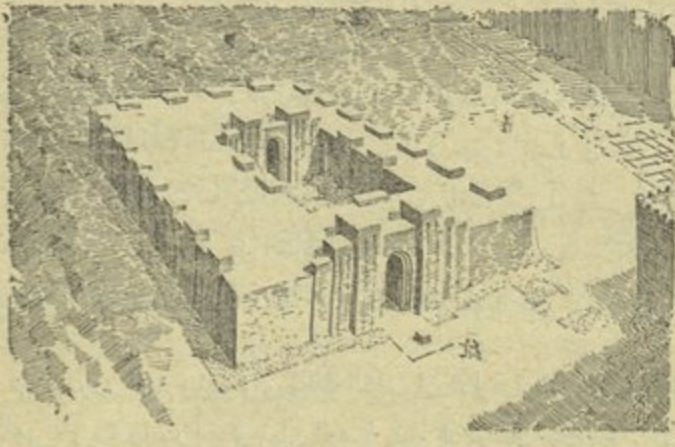
وبعد مرور اربع سنين رأى الملك الشاب ان الالهية التي ادعاهما تفنقر الى اعلانات ومظاهر خارجية وامور أخرى تعلن الوهية للعالم الذي كان يملك عليه . فعول في ذلك على عادات شرقية من جملتها ان كل الذين يدنون منه في الاوقات الرسمية يجب عليهم ان ينحنوا امامه حتى تمس جباههم الارض ثم يقبلوا رجليه . وارسل بلاغاً رسمياً الى جميع المدن اليونانية ماله ان التحالف الذي كان يرأسه اصبح منحللاً ، وانهُ من الآن فصاعداً اضحى في عداد آلهة كل مدينة . فصار يحق له ان يأخذ جميع التقدّم التي كانت تؤديها المدن المختلفة

وبهذه الطريقة دخل اوربا الحكم الملكي المطاق وحق الملوك الالهى كما دخلها شيء كثير من روح الشرق الذي كان قد غاب وطرد في مروتون وسلاميس . الا ان هذه التدابير التي لجأ اليها الاسكندر لم تنجم عن عقل بسخيف ارضاء لخيلاء اسكرتها السالطة حتى صارت تكتمني بالامجاد البشرية بل هي تدابير حكمة قضت بها سياسة الدولة وتمتت على سنة الارتقاء . سنين عديدة

ولم يلبغ الاسكندر ، ملك العالم الآن ، الى تلك المستزلة السامية الا بعد ان حمل الاسكندر ، الشاب المكدوني ، واصدقائه واتباعه الاخصاء . ثمناً باهظاً (ف ٦٣٧) . وكان

لا يزال ينفق تحت المطارف الفارسية التي كان يلبسها الاسكندر، إله المملكة، قلب ذلك الشاب المكدوني المملوء حماسة. رفع الاسكندر ذاته الى درجة ممتازة من السمو حتى لم يعد في طاقة الذين تبعوه الى اطراف الارض ان يتبعوه اكثر ولم يقدرُوا ان يُدرِكوا كنهته تلك التدايب التي قطعت رُبُط الألفة التي كانت تربطهم معاً في ساحات الوغى. وما زاد في طينة تلك الحال بلّة معاملة الاسكندر للدخلاء من الفرس كماوين لاخذانه الاخضاء من المكدونيين او افضل. بل افضل ولم يكن بدّ من العواقب المحزنة لحال كهذه

(٦٥٣) جمع
شخصية وقعت على
الاسكندر كشيخة
تألق وسجاستو
الدولة



الشكل ١٥٧ مهكل بجانب القصر الملكي في بابل حيث كان الاسكندر
يقدم قرابين كل يوم

ان اعمال المخمر التي قام بها الاثان كشفت عن خرائب مهكل عند باب القصر العظيم. وقد رسم مدير العمل الامتداد كلدوني هذه الصورة التي تمثل المهكل بشكليه الاصلي. وبسناد من الانبياء القديمة التي انصلت اليها ان الاسكندر كان معنقاً ان يقدم محرقة كل يوم على مذبح هذا المهكل الذي يشاهد امام الباب ومات كلدوني وهو يرمم ما في بابل ولا سيما برج المهكل المتهدم وقد وجد مقادير كبيرة من التراب كان الاسكندر قد امر برفعها

(٦٥٤) اعدام
فيلوتاس وبرمينيو
اصحابها
وفي اوائل
تلك الاسفار
المخيفة الى
الشرق بعد
مسوت
داريوس
اتصل بعلم
فيلوتاس ابن
برمينيو
عقد مؤامرة
لاقتيال
الاسكندر

ولكن
بعضه له
ونفوره منه
منعاه من
ان يعلن

الواقع. فحُرِّم المتآمرون محاكمة عادلة بموجب القانون. وكما اشجى فواد الاسكندر حين رأى زهطاً من اصحابه ورفقائه سابقاً وفيهم فيلوتاس يُحكّم عليهم بالاعدام ويُتمدّد الحكم بمرأى من الجيش. وأثمهم برمينيو الامين بأن له ضلعاً في المؤامرة وكان لا يزال مقيماً باكبنتا محافظاً على الخزينة الفارسية فارسل الاسكندر رسولاً بيده امرٌ بوجود اعدام ذلك القائد الشيخ الامين بوجه السرعة. ولم تكن هذه الامور الاً بداية فقط للمجنن التي كان على

الاسكندر ملك العالم ان يجتازها قبل ان يتبرأ عرش الالهية

واكليتوس ايضاً الذي انقذ حياة الاسكندر في غرانكس امتلاً حزناً وغبضاً من المسلك السياسي الذي سلكه مولاه ولما جاء ذكر هذه الامور في احدى المآدب الملكية لم يتحفظ في انتقاده له ولم يقدر ان يضبط نفسه بل لامه وعنفه تعنيفاً شديداً فغضب منه الاسكندر وتهيج جداً حتى انه تناول رجلاً من احد رجال حرسه وطعن به صدر الرجل الذي كان له الفضل عليه بتخليصه حياته من الموت . ولكنه ندم على فعلته وانفرد في سرادقه ثلاثة ايام صامتاً ينوح ويبكي من شدة حزنه وتبكيته ضميمه . وقد ابى ان يذوق طعاماً او شرباً مكافئاً بحزنه طعاماً وبدموه شرباً . وعزم ان يتنحر ولكن اركان حربه حالوا دون ذلك . فهذا بعض الثمن الباهظ الذي اداه الاسكندر في سبيل السياسة الحرقاء التي سلكها

وكذلك طلبه من كل من يريد مقابلته ان يسجد امامه ويعثر جبينه في التراب ويقبل قدميه فانه خسر صديقه المؤرخ كلستينس الذي اتهم بعد هذا الوقت بقليل بأن له خلطة في مرامرة على الملك قام بها اتباعه من نبلاء المكدونيين فكان جزاؤه الاعدام وكان هذا ابن شقيقة ارسطوطاليس مهذب الاسكندر فانقلبت الصداقة بين المعلم وتلميذه الملك الى عداوة مرة

ولما عاد الاسكندر الى بابل وجد ان صديقه (ش ١٥٧) هفستيون الذي كان احب خاصته اليه قد مات لحزن عليه حزناً شديداً واني ان يتعزى اياماً واحتني بجنازته احتفاء لم يسبق له مثيل . وفيما هو يتأهب لحملة على بلاد العرب لكي يخضعها ويتفرغ لفتح البلدان التي في الجهة الغربية من البحر المتوسط مرض اثر افراطه في رشف الخمر ونهمه ومات بعد ايام قلائل في الثالثة والثلاثين من عمره والثالثة عشرة من ملكه (سنة ٣٢٣ ق.م)

مسائل

٦٣

ماذا كانت سياسة فيلبس المكدونى ؟ اي تحسينات جديدة ادخلها على فن الحرب ؟
ماذا افكر اليونان من جهة خطته ؟ من كان الحزبان الرئيسيان ؟ ماذا تستطيع
ان تقول في ديمستينس ؟ ماذا كانت نتيجة قتال فيلبس ليونان ؟ من خلف فيلبس ؟
كيف تأدب خليفة فيلبس ؟

٦٤

أبن علاقات الاسكندر مع اليونان . ماذا نتج عن ثورتهم ضده ؟ حامى ذمار
من حاول ان يظهر نفسه ؟ صف فتحه لاسية الصغرى . اين لاقى جيش الفرس الاعظم
ومتى ؟ ماذا كانت النتيجة ؟ ماذا عرض ملك الفرس عليه ؟ اية نصيحة قدمت
للاسكندر ؟ ماذا فعل ؟ اي نزاع قام ؟ كيف تحلص من الاسطول الفينيقي ؟
الى اين ذهب الاسكندر بعد فتح مصر ؟ صف مصادمته التالية للفرس . ماذا
جرى لداريوس الثالث ؟ ماذا جرى بسبب ذلك لمصر وغرب اسية ؟ اية مدن عظيمة
من بلاد فارس زارها الاسكندر وقتئذ ؟ ماذا حدث هناك ؟ صف الاسفار البعيدة
التي شرع فيها الآن . هل تقدر تتبعا على الخريطة ؟ ماذا كانت نتيجة هذه الاسفار ؟

٦٥

اي مشاريع عامية قام بها الاسكندر ؟ أين الخطط التي عول عليها في مزج المدينتين
اليونانية والاسيوية ؟ اية خطط أخرى عظيمة كانت لديه من جهة الفتوح ؟ ماذا كان
مركزه في الامبراطورية الجديدة ؟ كيف استعد لهذا المركز وهو بعد في مصر ؟ كيف
طلب تعديل هذا المركز من جديد ؟ اي تأثير كان لهذا الامر في اصداقائه الاخصاء ؟
ماذا جرى لبرمينيو ؟ وأكليتس ؟ وكاستنيس ؟ اين مات الاسكندر وكيف
ومتى ؟



الشكل ١٥٨

يرينا هذا الرسم الامد الذي نصبه الثيبون في ساحة معترك كبرونيا تذكارا لابناء مدينتهم الساتلين في
حومة الوعى وقد كشفت المحفرات جثثا وبقايا نار الجنازة

القسم الرابع

بلدان البحر المتوسط في العصر الهليني

الاسكندر وجمهورية رومية

الفصل التاسع عشر

خلفاء الاسكندر

٦٦

الخلفاء على مملكة الاسكندر

لقب الاسكندر «بالكبير» وما اجدره بهذا اللقب اقليلون اهل العبقرية ان الذين تركوا آثاراً خالدة في مجرى الحياة البشرية دامت بعدهم آماداً طويلاً دون ان يقوى الزمان على محوها . ولكن لم يقيم من نسل آدم كليله شخص واحد كان له في وقت يسير تأثير خالد في شؤون البشرية كالاسكندر في مدى حياته القصيرة . فانه بفتوحاته العظيمة قد أنال اليونان تفوقاً في السياسة كانوا قد بلغوا الى مثله في الحضارة قبل ذلك بزمن طويل كما رأينا في ما مرّ علينا من تاريخ أمتهم . فوفاته في إبان وضعه وتنسيقه الخطط التي كان ينوي القيام بها كان ضربة قاضية على الآمال الخطيرة التي كانت تخرج في ذلك الصدر الكبير

(٦٥٨) ما عتبه
موت الاسكندر من
النتائج

وامسى توحيد اليونان وسائر البلدان بقوة ذلك الشعب الممتاز الذي كان عاملاً على تمدن العالم ، ضرباً من المستحيل الى الابد . وهو لو فُسح له في الاجل عشرين سنة أخرى لتمكّن من بلوغ الانقلاب العظيم الذي كان يروم احداثه في العالم . وقد وجد قواده بين اوراقه في بابل رسم الحطاط الحربية التي كان قد وضعها لحملة الغريبة العظيمة ولكن لم يُوتَ احدٌ منهم عبقريته ليقوم بتنفيذها . ولم يكن بينهم واحد متحلّ بالصفات التي تكسبه ثقة الجميع ليجمعوا على انه جديرٌ بالملك واهلٌ لان يكون خليفة للاسكندر . هذا من هذه الجهة . ومن الجهة الاخرى لم يدر في خلد احد منهم العود الى الحالة التي كانت قبل عهد الاسكندر اذ كان العالم منقسماً الى يونان وبرايرة ، لان الاسكندر كان قد قضى عليها قضاءً ، برماً ، ولا سلّموا بقسمة المملكة بينهم قسمة نهائية ما دام يوجد عضوٌ واحد من الأسرة الملوكية المكدونية يطالب بالعرش . وكان لا يزال باقياً من تلك الاسرة شاب معتوه هو اخو الاسكندر لابيّه ثم زيد عليها بعد وقت قصير الابن الذي ولدته رُكسانا ارملة الاسكندر في اسيا بعد وفاة زوجها ودُعي بالاسكندر الثاني . وبناء على ما تقدم انتخب الجيش احد القواد ليقوم بنيابة الملك عن الوارثين الشرعيين الاسكندر وبذلك احتفظ بنظرية وحدة المملكة واقُتسمت ادارتها الفعلية بين عدد من القواد الذين كانوا اعظم اقتداراً وحُكمة من سواهم . ولكن دوام الوحدة على هذه الحال التي كان اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة كان من المحال بالنظر الى المطامع المتضاربة التي كانت تحتك في صدور عُقال المملكة ومرازبتها الاشداء ممن كانت تتزع بهم انفسهم الى العليا .

ونشب عنّا قليل بين القواد الاقوياء ، الذين اقتسموا ادارة امبراطورية الاسكندر فيما بينهم ، عراكٌ هائل لم يكن يجمد قليلاً الاً لينشب من جديد اضمحلت في اثنائها اسرة الاسكندر ووالدته معها . وكان اشد المتبارين في هذا العراك انتغونس القائد العظيم في جيش الاسكندر الذي وطّن نفسه على الاستيلاء على كل الامبراطورية المكدونية المترامية الاطراف . وقامت بين الطامعين بالملك حروب دامية مهلكة برّاً وبحراً كانت معاركها اعظم المعارك التي قامت بها جيوش اوربا حتى الآن قتل فيها انتغونس وهلك كثيرٌ غيره من المطالبين بالسلطة . وانقسمت مملكة الاسكندر الى ثلاثة اقسام في اوربا واسية وافريقية رأس كل قسم منها احد قواده او خلفائه فاستولى على مكدونية في اوربا انتغونس حفيد انتغونس القائد الكبير المذكور آنفاً وحاول الاحتفاظ بالسلطة على اليونان . وكان نصيب القائد سلوقس ، معظم ما كان يُعرف قبلاً بمملكة الفرس في اسية ونصيب بطليموس ، ادهى قواد الاسكندر المكدونيين ، بلاد مصر بافريقيا

٢٦٥٩٦ خلداء
الاسكندر مملكتهم
اللات في اوربا
واسية وافريقية

(٦٦٠) ملحمة
البطالة العربية

وبالتدريج جعل بطليموس نفسه ملكاً على مصر فأصبح مؤسس أسرة ملوك تولوا شؤون المملكة على التعاقب واشتهروا باسم البطالسة . وكان بطليموس مؤسس الدولة معروفاً بعد النظر وصدق الفراسة فرأى ان الحال ستضطره في المستقبل الى ان يأتي بجنود



الشكل ١٥٩ يرى في هذا الشكل صورة انطاكية الحديثة في سورية

من المرتقة من بلاد اليونان فدفعته اصاله رأيه الى بناء اسطول لتكون له السيادة على بحر الروم . فتم له ما اراد واتخذ الاسكندرية المدينة البحرية العظيمة التي اسسها الاسكندر عند الطرف الغربي من دلتا النيل . مقاماً له فاصبحت اعظم المسرافى على سواحل المتوسط . وصار الجزء

الشرقي منه من بلاد اليونان الى سورية ومن بلاد ايجيه (سفيد) الى دلتا النيل . بحراً مصرياً فعلاً ، مدى قرن من الزمان (القرن الثالث ق.م على وجه التقريب) . واستولى البطالسة ايضاً على منطقة فلسطين وجنوبي سوريا لتكون حجزاً حصيناً بينهم وبين مناظريهم الاسيويين . وهكذا نشأت امبراطورية مصرية في الجانب الشرقي من المتوسط مثل الامبراطورية التي شاهدناها حين زرنا مباني طيبة الفخمة قبل هذا الوقت بالف سنة . وحذا البطالسة حذو القراعة بأن باغوا بساطيهم الى البحر الاحمر . وكانت تلك الاساطيل تقشى البحار بثوثة فيها من الاقيانوس الهندي الى الدردنيل ومن صقلية الى سورية تحمل ثروات الامم الى خزائن ملك مصر

(٦٦١) مملكة
البطالمة الشرقية
القديمة

ومع ان حكام مصر الجدد كانوا اوربيين، لم يشيدوا مملكتهم على نمط يوناني او اوربي بل حسبوا انفسهم خلفاء الفرعنة القدماء فسلطوا على مملكة مصر بالقوة المطلقة بلا قيد . الا انهم منحوا ثلاثاً من المدن اليونانية التي على النيل - ومنها الاسكندرية - الحق بادارة شؤونها المحلية كأنها في بلاد اليونان . وفي ما سوى ذلك لم يكن لاحد من الرعايا في كل بلاد مصر حق التصويت فيما يتعلق بادارة الحكومة ولا الاعتراض على شيء من تصرفاتها او تصرف حاكم البلاد جرياً على ما كانت عليه الحال في ايام الحكومات الشرقية القديمة . فكان الغرض الرئيسي من وجود الحكومة ، ان تجمع للمسيطر على البلاد ما تستطيعه من الحاصل (الايرادات) ليملاً بها الخزائنة ويتمكن من القيام بنفقات اساطيله الحربية العظيمة وجيشه من مرتقة اليونان . وقد جرت مصر على هذه الخطة آفاً من السنين فعينت موظفين محليين دربتهم على اساليب فرض الضرائب وجبايتها . لم يكن في حكومات اليونان مثل هذا التنظيم ولكن البطالسة رأوا منه خيراً حافظوا عليه . وكانت سلطة هؤلاء الموظفين تمتد حتى احقر بيوت الفلاحين الصغيرة المبينة باللبن . فكان حكم البطالسة من النوع الشرقي القديم المطلق وكان لهذا الضرب من الحكم القديم الذي لم نقو على ملامسته الايام ، تأثير عظيم بعيد في بلدان البحر المتوسط بأسرها حتى انه اخيراً قلب الحكومات الشعبية اليونانية والرومانية وحل محلها

(٦٦٢) مملكة
السلوقيين بأسرها

وكان السلوقيون اهم خلفاء الاسكندر وان كانوا اقل من البطالسة حولاً وشدة لان القمم الاكبر من مملكته كان في حيازتهم . وبعد حروب عديدة طويلة اوشك سلوقوس ان يشيد ثانية اركان البناء السياسي العظيم الذي أسس من قديم بقوة السلاح المكدونى فانه بعد ان وطد اموره في اسية وجه فكره الى اوربا ولكنه قتل فيما كان على وشك ان يقرر امر سلطته على تراكية ومكدونية . وبموته قضى على الامل بالوحدة السياسية قضاء مبرماً . وكانت تخوم مملكته غير محكمة الوضع والتعيين . ونظراً لتمامي اطرافها ، من بلاد ايمه الى الهند ، كانت ادارة احكامها وضبط شؤونها من الصعوبة بمكان . وعلى تماذي الايام نهضت الولايات النائية من مملكة السلوقيين واعلنت استقلالها . اما الهند فبهمة حكامها الوطنيين الاقوياء الذين اشهرهم تشندراغوبتا واسوكا ظلت على استقلالها ولم تدن للسلوقيين قط . وقد كان للتقاليد اليونانية مدة يسيرة تأثير بين في تطور الجزر الشمالي الغربي من الهند . ويمزى الى الفتح الاسكندري تحول بلاد البنجاب من مقاطعات عديدة صغيرة لا صلة بينها يتولى حكمها نفر من صغار الحكام الى مملكة كبيرة متحدة يرأسها حاكم فذ كبير . وكان من اكبر الاسباب التي ادت الى فقد الولايات الشرقية ، نقل عاصمة

المملكة السلوقية من بابل الى انطاكية سورية المدينة الجديدة التي أسسها سلوقوس في جوار مصب العاصي ودعاها باسم ابيه انطيوخوس. وعلى تقادي الايام نجحت انطاكية نجاحاً باهراً واصبحت تنافس الاسكندرية في تجارتها. بل غدت اهم مركز تجاري في شمال البحر المتوسط (ش ١٥٩). وكان نقل عاصمة الحكومة مما جعل ضبط شؤون الولايات الشرقية البعيدة اصعب جداً مما كان قبلاً وجعل النفوذ اليوناني يزيد في سورية وينقص سريعاً في الشرق. وعاد النفوذ الشرقي في المنطقة الواقعة شرقي دجلة الى عزة السابق. ولما تقلصت سلطة السلوقيين عن تلك البلاد شعر اهلبا بانهم احرار وهربوا لاعلان استقلالهم واغتمسوا الفرصة وأسسوا المملكة المعروفة بالقرتبية في منتصف القرن الثالث ق.م. (ف ٦٦٤) وخلفوا الفرس في تقليدهم فصاروا قادة القوات الحربية التي تناوى اليونان. وما لبثت المملكة السلوقية ان لاقت في الغرب نفس ما لاقت في الشرق من الشدائد والمصاعب لان اسطول البطالسة عرقل سير تجارتهم وحال دون تقدمها وجعل اتصالها ببلاد اليونان للاتجار او جلب الجنود المرتقة او المستعمرين صعباً جداً. وفوق ذلك كله كانت السلطة الرومانية الآخذة في الرقي قد شرعت تتدخل في سياسة الشرق الذي لم يستطع، مع وجود هذا الخطر امامه، ان يترك المنازعات التي كانت ناشبة فيه. وظل السلوقيون والبطالسة يتحاربون ويتطاحنون حتى افنوا قواهم واموالهم. واخيراً حاول انطيوخوس الثالث ان يحالف فيلبس الخامس ملك مكدونية على رومية ولكنه قهر في بلاد اليونان ورد على اعقابيه الى اسية الصغرى. واخيراً اجبرته رومية على ان يتخلى لها عن المنطقة الواقعة الى الشمال من جبال طورس ويتنازل عن كل ادعاء بها في المستقبل. وظل نفوذ رومية يزداد في الشرق حتى امتست على كرور الايام الحكم المستبد بين المتحاربين. ومن منتصف القرن الثاني ق.م حتى فتحت سورية تحت إمرة پمبيوس القائد الروماني وأدجت في الامبراطورية الرومانية سنة ٦٤ ق.م تعاقب على عرش انطاكية عدة ملوك ضعفاء الواحد تسو الآخر في فترات متتابة قصيرة الامد فابتلعت فرتيا جزء المملكة الواقع شرقي الفرات وعمت الفوضى وتفاقم الاضطراب في الجزء الذي بقي للسلوقيين وظهر زعما. محلثون في اجزاء مختلفة من سوريا. وادت محاولة السلوقيين لمد النفوذ اليوناني في فلسطين الى ثورة اليهود سنة ١٦٧ ق.م وعقدت رومية نكايه بالسلوقيين معاهدة مع الثوار واعترفت باستقلالهم لكنها لم ترفدهم بشي. وبرهن زعما الثورة على انهم فرسان الميدان وانهم اكفيا للموقف الذي وقفوه. وفي سنة ١٤٢ ق.م. جعلوا السلوقيين يعترفون لهم باستقلالهم الاداري ويعفونهم من تأدية الجزية. وبعد ذلك بامد يسير اعترفوا لهم ايضاً بسمعان المكابي رئيس كهنة واميراً على اسرائيل. وتألفت

القبائل العربية التي على التخم الشرقي مملكة محاولة النظام عاصمتها البتراء واتسع نطاق سلطتها شمالاً حتى احاط بدمشق . وقام في اماسيا (حمص) وجبيل وايدسا (اورفه) وفي لبنان زعماء من ارباب الاقطاع وانشأوا حكومات لانفسهم تعترف بسيادة سلوقي انطاكية الذين كانت سلطتهم على اتباعهم وحكوماتهم اسمية فقط . ولما رأت رومية تفاقم الشقاق في البلاد وان اوصالها آخذة بالتفكك حلت بها ضيفاً غير محتم

وكانت الحطة التي انتهجها السلوقيون لادارة شؤون الحكومة تختلف جداً عن خطة البطالسة اذ كان سلوقوس على رأي الاسكندر في نقل جماعات من اليونان الى اسية ومزجهم بسكانها . ولذلك زاه قد اسس عشرات من المدن الجديدة في اسية الصغرى وسورية وما بين النهرين وبلاد الفرس وتقوم الهند^(١) ومنحها استقلالاً ادارياً على النمط اليوناني القديم اي ان كل مدينة كانت تعتبر جمهورية مستقلة بذاتها يتولى ادارة الحكم فيها جماعة من سكانها . وكانت هذه المدن المستقلة ماثورة في جميع ارجاء مملكة السلوقيين ولكنها كانت طبعاً خاضعة للملك وتؤدي الجزية للخزانة . وانتهج السلوقيون نفس الحطة القديمة التي تمسنى عليها الاسكندر لاجل سطاوته وسلطانه وهي النظر الى الملك كإله وتقديم الاحترام والطاعة له . وكان الناس يقدمون هذا الاكرام للملك دون تردد او امتعاض مع انهم كانوا احراراً مستقلين . وتخلق الاسيويون باخلاق اليونان واقتبسوا الكثير من عاداتهم وعلومهم وفنونهم الجميلة التي امتدت حتى انتهت الى اواسط القارة العظيمة . الا ان التأثير اليوناني في حياة الاسيويين ، مع عظم انتشاره ، لم يسر على السواء في جميع انحاء البلاد بل كاد ينحصر في المدن فقط . فلم يتأثر به كثيراً سكان القرى والداكر الذين اتروا البقاء على عاداتهم السامية القديمة والنطق بلغات آباؤهم والاحتفاظ بتقاليدهم وافكارهم . وسنرى بعد قليل كما رأينا قبلاً كيف ان الساميين ابتلعوا غير الساميين الذين حلوا بينهم وطمسوا آثارهم

(٦٦٢) دولة
السلوقيين . المدن
الحرّة ووشيت
الملك

(١) نذكر بين اشهر المؤسسات التي عني بشيئها السلوقيون ما يأتي : في سوريا ، انطاكية وسلوقية (السويدية) الى الشمال من مصب العاصي وهي فرضة انطاكية ، وافاميا (قلعة المضيق قرب حمص) التي كانت المركز الكبير للقوة البحرية السلوقية حيث كان الملوك يجتمعون بقطعان الافعال التي كانوا يستقدمونها في حروبهم ، ولأردكية (اللاذقية الآن) ، وفي اسية الصغرى ، افاميا الأخرى ولأردكية اخرى على السكة التي كانت تصل سوريا بساحل بحر ايجة في جوار انفس . وفي بلاد بابل سلوقية على دجلة وعلى مسافة ٦٥ كيلومتراً الى الشمال من مدينة بابل . وقد خلفت بابل في عظمتها بعد ان خربت هذه في العراق الذي نشب لاعتلاكها وانتاز به صدر العصر السلوقي . وكانت هنالك مدن أخرى قدمته العهد بدلت اسمائها ونسبت باسماء يونانية حين كان يسخها الملوك السلوقيون امتيازات خصوصية او يحددون بنائها

(٦٦٤) المناطق
الرائعة الى الشرق
من مملكة
السلوقيين فردوا
واربعها

وكانت الاسباب التي مهدت السبيل لقيام مملكة فرتيا (ف ٦٦٢) نفس الاسباب التي ادت الى الثورة اليهودية وهي محاولة الملوك السلوقيين «يوننة» الاسيويين في اخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم ولسانهم وديانتهم . وكنوا تمهيداً لذلك قد نبهوا هياكل الفرس واستهانوا بعبادة الاله ميثراً . فأل ذلك الى حركة وطنية غايتها الاستقلال والاستماتة في سبيل دفاع القوم عن حريتهم وتقاليدهم ولغتهم ومناوأة كل من يروم التعرض لهم فيها . فكانت هذه الحركة عوناً لمملكة فرتيا الحديثة النشأة وشداً لازر للقائمين بالخطط العدائية ضد السلوقيين . وكان الفرقيون من ارفر الشعوب عدداً في مملكة فارس . وفي نحو سنة ٢٥٠ ق م فازوا بشبه استقلال تحت زعامة الاسرة الطورانية من سلالة الارساكيين . وتبتدى عظمة مملكتهم الحقيقية من ملك مثردياتس الاول (١٧٥ - ١٣٦ ق م) الذي مد سلطته الى بسلاذ بابل . ولم يمنع الفرقيين من اتهام مملكة السلوقيين برمتها الاضطرابات الداخلية في مملكتهم والقلاقل المستمرة من جهة البرابرة على تخومهم الشمالية والشرقية . وما عاق تقدم فرتيا حيناً من الزمن قيام ارمينيا التي كانت قد مزقتها المنازعات الداخلية منذ انقلاب مملكة الاسكندر ولكنها الآن قد اتحدت تحت قيادة تغرانس الاول (ديكران) الذي بعد ان بسط سلطته فوق الجزيرة (مسيوتاميا) وشمال كردستان واذريجان حول نظره الى الغرب فرأى وسط التشويش والاضطراب الضاربين اطناها في مملكة السلوقيين بسورية فرصة سانحة لتوسيع نطاق سلطته فاعتنمها وبسط سلطانه على كيليكية الشرقية وسورية الشمالية وفينيقية الى عكا . جنوباً . وجعل انطاكية من جملة المقامات الملوكية وسورية ولاية . اما مقر سرير سلطته الجديدة فأسس له مدينة تغرانسرتا على التخم الواقع بين ارمينيا والجزيرة ونقل اليها عدداً كبيراً من سكان البلدان التي قهرها فتمت المدينة بسرعة واتسع نطاقها حتى صارت تضاهي مدينتي نينوى وبابل القديمتين . وظلت المملكة الارمنية زاهرة حتى فاجأتها قوة رومية في اثنا زحفها . فلأذ ملكها في اول الامر بسياسة المراوغة والتقلب الى ان غلب على امره اذهاجمته القوات الرومانية واستظهرت عليه وارغتمه على التخلي عن جميع فتوحاته وتأدية غرامة حربية باعظة . فكان قيام تغرانس الاول تمة اضمحلال مملكة السلوقيين . وخلف الرومان الارمن في سورية

كانت مقاطعة مكدوننية في اوربا صغيرة بالنسبة الى مناظر تيسها في مصر واسية . وكانت حكومات اليونان لا تزال تردد ذكرى استقلالها في غدواتها وروحاتها ولذلك كان احتفاظ مكدوننية بسيادتها على شبه جزيرة البلقان امراً شاقاً جداً . ولكن لما هبت الحكومات المذكورة آنفاً للحرب بعد موت الاسكندر لاستعادة حريتها برهنت على

(٦٦٥) الامبراطورية
المكدونية . ثورة
الحكومات اليونانية
بعد وفاة الاسكندر

ضعفها في مواقف القتال ولم تستطع ان تواقف الجيش المكدوني او تواقعه فاجلأتها الحال الى التسليم مكرهة ٠ اما ديمستيس الجري. (ف ٦٢٨) فلما رأى ان المكدونيين ملغون بطلب تسليمه وتسليم زعماء آخرين معه من الديمقراطيين آثر الموت على الحياة فعمد الى الانتحار وصَرمَ حبلَ حياته بيده.

وفيا كان انتيفونس الثاني حفيد انتيفونس احد قواد الاسكندر يجاهد ويعارك حتى يشبواً منتصب السيادة على مكدونية واليونان فاجأه من جهة الشمال الاقصى ومن الغرب خطرٌ لم يكن في حسبانهِ ٠ فان طائفة عظيمة جداً من برابرة الجنس الهندي الاوربي تعرف بالكلتيين او الغالين ، كانت قبلاً تحتل البلاد الواقعة بين فرنسا والدانيوب من قارة اوربا ولكنها بعد السنة ٤٠٠ ق م كانت قد اوغلت في ايطاليا وبعد ذلك بئنة سنة هبطت شبه جزيرة البلقان وفي سنة ٢٨٠ ق م قطعت الجبال الشمالية وغزت مكدونية ثم هاجمت بلاد اليونان وبلغت الى موحى دلي ٠ ثم طاسيل هولاء البرابرة على اسية الصغرى واحتل جماعة منهم منطقة فيها دعوها غلاطية ولكن انتيفونس ما لبث ان قام عليهم وواقهم فكسروهم في ثراقية وطردهم من كل مكدونية وملك هو عليها (٢٧٧ ق م) ولكن بقي تأثير هولاء البرابرة الشماليين ظاهراً على اليونان وعلى صناعاتهم كما سنرى (ف ٦٨٢)

(٦٦٦) صد
انتيفونس الثاني
بموجم العالمين
الكبير بارثقار
الى عرش مكدونية

وبعد انكسار الغالين عقد انتيفونس النية على استعادة ملكته وتوطيد سلطته فيها ٠ ولكن كان للاسطول المصري حينئذ السيادة المطلقة في بحر ايجة فوقف له بالمرصاد واحبط جميع مساعيه التي بذلها في سبيل القبض على زمام الحكم في بلاد اليونان ٠ وبما ان انطيوخس في اسية كان يقاسي من هذا الاسطول ما قاساه انتيفونس (ف ٦٦٢) تحالف المليك ان على مصر وشرع انتيفونس النشيط يبني اسطولاً حربياً وينفق عليه عن سعة ٠ وبعد حرب بحرية طويلة متقطعة دامت خمس عشرة سنة كسر انتيفونس الاسطول المصري مرتين ٠ وبما ان نسل البطالسة الاولين لم يكفروا على شيء من اقدام اسلافهم الاقبال بل كانوا كسالى مترخين ، لم يرمموا الاسطول بعد نكبه مرتين فكان تقاعسهم عن ترميمه نفعاً لمكدونية واسية لان الملاحه في الجزء الشرقي من البحر المتوسط اصبحت حرة ٠ ولكن لم يمر زمن طويل على انتصارات المكدونيين بجزراً حتى بدأ الاضطراب في البلاد اليونانية فاضطرت مكدونية ان تخوض غمار حرب طويلة أخرى ضد الحكومات اليونانية

(٦٦٧) الجهاد
تخطت النورث
في الجهة الشرقية
من البحر المتوسط

٦٧

تأخر البلاد اليونانية

ولم تبقَ بلاد اليونان سيدة التجارة في بحر الروم كما كانت قبلاً لان فتوحات الاسكندر الكبير كانت قد فتحت لتجار اليونان المستعمرين مملكة الفرس المثرامية الاطراف فانبروا من كل حدب وصوب يتسابقون اليها كخيل الطراد لاحتلال المراكز التجارية التي توسوا فيها خيراً ونجاحاً . فكانت هذه المهاجرة سبباً لنقصان مهم في عدد سكان بلاد اليونان وزوال التفوق التجاري منها والزعامة وانتقالها الى الاسكندرية ، وانطاكية ، وافسوس ، وروودس المشهورة باقدام تجارها . ولما نضبت ينابيع الثروة من مدائن اليونان لم يعد في طوقها القيام بنفقات الاساطيل والجنود المرتقة ثم ما لبث اليونان ان وجدوا انفسهم اعجز من ان يقوموا بالدود عن حياضهم

واضطروا بطبيعة الحال التي وصلوا اليها الى عقد محالفات حبا بالمصاحبة المتبادلة فكان لديهم بعد سنة ٣٠٠ ق م تحالفان على جانبي برزخ كورنثوس . على الجانب الجنوبي التحالف الاثيني وعلى الجانب الشمالي التحالف الايتولي . وكان تحالف كهذا ضرباً من اتحاد ولايات صغيرة تدعى « بالولايات المتحدة » . وكان للتحالف قائد ينتخب كل سنة ليرأس الجيش المؤلف من جنود جميع المدن الداخلة في التحالف ، ومن ضباط ينظرون في امر الدفاع والعلاقات مع الحكومات الاجنبية الخارجة عن دائرة التحالف وكانت كل مدينة تُعنى بشؤونها المحلية كتقريب الضرائب وجبايتها وما شاكل ذلك . ولكن كانت حلقات العداة بين اعضاء التحالفين قد استحكمت وزمان عقد تحالف عام لجميع حكومات اليونان قد فات . ولذلك لم يكن في بلاد اليونان في زمن من الازمان ما يسمى بالولايات المتحدة

وكان سبب ذلك تمتع سبارطة واثينا عن الانضمام الى التحالفين المذكورين . وحاول الاثينيون اكراه سبارطة على الانتظام في سلك تحالفهم ولكن الملك كايومنيس ، داهية سبارطة ، قاومهم وانتصر عليهم نصراً مبيئاً في سلسلة معارك الواحدة تلو الاخرى . فكانت انتصاراته هذه ، مشفوعة بتنظيم المعاكمة تنظيمياً جديداً ، الذريعة التي اعادت الى

(٦٦٨) طهر
بلاد اليونان
التجارية

(٦٦٩) نسوة
الغارات

(٦٧٠) سبارطة
واثينا

سبارطة بعض نشاطها القديم . واضطرّ الاخاثيون الى الاستغاثة بمكدونية فسارعت الى اغاثتهم وكسرت كليومثيس وسحقت قوات السبارطيين سحقاً كاملاً . فاصبح التحالف الاخائي تابعاً لمكدونية فاقدًا الحرية التي كان يتمتع بها قبلاً . وصار المكدونيون منذ الآن سادة اليونان جميعاً ما خلا التحالف الايتولي . وفي غضون ذلك ظلت اثينا بعمد دخولها احد التحالفين محتفظة باستقلالها . وقد تسنى لها ذلك بحصولها على اعتراف مصر اولاً ورومية ثانياً بجيادها وحرّيتها (ف ٨٧٠) ورغماً عن ضعفها السياسي بقيت موطناً لكل ما هو شريف وجليل في الحضارة اليونانية التي عرفنا عنها شيئاً في ما مرّ بنا من الكلام عنها وسنعرّف اشياءً أخرى فيما بعد

مسائل

٦٦

ماذا كانت اهم عواقب موت الاسكندر ؟ من بقي من اسرته ؟ ماذا فعل قراده ؟ ماذا كانت نتيجة حرب جيل كامل بينهم ؟ الى اية اقسام رئيسية انقسمت مملكة الاسكندر ؟ من تولى الحكم فيها ؟ ماذا كانت سياسة بطليموس الاول ؟ ماذا كانت النتيجة ؟ الى اين امتدّت سلطة البطالسة اولاً ؟ اي نوع من الحكومة انشأوا في مصر ؟ أحسبها شرقية ام يونانية ؟ هل كان تنظيمها من الوجهة المالية احسن من تنظيم الحكومات اليونانية ؟ بأي اعتبار ؟ الى اين امتدّت مملكة السلوقين اولاً ؟ كيف آشوشت حالهم في بحر الروم ؟ الى اي منطقة وجّها افكارهم ؟ اية مدينة أسسوا ؟ اي نوع من الحكومة انشأوا ؟ ماذا تعرف عن مدنهم اليونانية ؟ هل كانت هذه المدن حرّة كما كانت اثينا ؟ اية صورة اتخذت السلطة السلوقية ؟ ماذا كان العائق الاول المهم في سبيل السيادة المكدونية في شبه جزيرة البلقان اليونانية ؟ ماذا عمل انتيغونس الثاني براً وبجرأ ؟ الى اين امتدّت المملكة المكدونية ؟

٦٧

ماذا كانت المدن التجارية الرئيسية الآن؟ الى اية جهة انتقلت السيادة التجارية؟
 وما هو السبب؟ ماذا فعل اليونان؟ ماذا حدث لليونان من الوجة التجارية؟
 والسياسية؟ هل وجد تحالف ضم اليونان كهم عصابة واحدة؟



الشكل ١٦٠

يرى الى يمين هذه الصورة نموذج جبل لصناعة السفن في الاسكندرية . والنيسابا هي عبارة عن تركيب قطع صغيرة ملونة من زجاج او حجر معاً بحيث يتكون من تركيبها صور او اشكال مختلفة كما يفعل الاولاد حين يهطون صورة مقطعة اجزاء ليركبوا القطع معاً كل قطعة في مكانها الحقيقي . واصل هذه الصناعة من مصر اخذها يونان الاسكندرية ورقوها كثيراً واستعملوها في التليط الجميل (ف ١٨٤) حتى انهم نقلوا رسوماً مصرية الاصل كهذه المرة التي في الصورة (الى اليمين) فانها مأخوذة من صورة مصرية ملونة (انظر الى يسار الصورة) يرى فيها عصفور في تم المرة وعصفوران اخران احدها بين يديها والاخر بين رجليها . فهذه القطعة المعدودة انفس نموذج للنيسابا منقولة عن صورة معركة اسوس (ف ١٥٥)

الفصل العشرون

مدينة العصر الهليني

٦٨

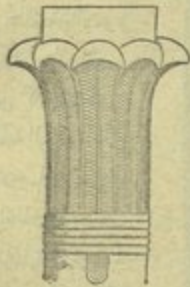
المدن وهندسة البناء والفنون

يُراد بالعصر الهليني القرون الثلاثة التي عَقَبَت موت الاسكندر او المدة التي شَرَت فيها المدينة اليونانية اعلامها في العالم القديم طرّاً ولا سيما الشرق الذي كان لثقافته تأثير كبير عليها . فان فتوحات الاسكندر جعلت زمام السلطة في اسية ومصر بايدي حكام مكدونيين اسماً يونانيين مدنية يتكلمون باليونانية التي كان يتكلم بها اهل اتيكا . فوجد المشاركة ان اليونانية هي اللغة التي تُدار بها مصالح الحكومة (ش ١٦٢) وان اعمالهم التجارية انما هي مع عدد كبير من التجار اليونانيين وان بين ايديهم كثيراً من الكتب اليونانية الجذابة النفيسة فاقتضت الحال ان تكون اللغة اليونانية التي يستعملها اهالي اتيكا في قضاء شؤونهم المختلفة، اللسان المعوّل عليه والمطلوب من كل مهذب امتلاك ناصيته . وبناء على ذلك اضطرّ اليهود الساكنون في الاسكندرية في هذا العصر الى ترجمة العهد القديم من العبرانية الى اليونانية لكي تستطيع الطبقة المتهدبة منهم مطالعة اسفاره . وصارت اليونانية اللغة الشائعة في المدن وفي عالم شاسع الاطراف يمتدّ من صقلية وجنوب ايطاليا شرقاً على جانبي البحر المتوسط الى الشرق . اما في القرى الصغيرة فكانوا يتكلمون بلغة يونانية مكسرة غير اللغة الصحيحة التي كان يتكلم بها سكان المدن ولا سيما الطبقة المتهدبة

(٦٧١) العصر
الهليني . سادة
اللغة اليونانية

(٦٧٢) سارل
مرقبة وقائق في
المعينة

وتوافرت لدى سكان المدن في هذا العصر اسباب الترف والرفاهية واستتب لهم كثير من وسائل الراحة والهناء ما لم يكن له مثل قبلاً . فكان الاغنياء منهم يشيدون منازلهم بالحجر بدل المدر ويحيطون دورها بأروقة معتدة من جهاتها الاربع (ش ١٦٣) ولكنهم ابقوا معظم الغرف على النمط القديم صغيراً وبلا تخطيط . واما قاعة السكن فكانت كبيرة مفروشة بالفسيساء الجميلة (ش ١٦١) وجدرانها مرقبة ومزخرفة بالتصوير او بلاط الرخام اذا كانت ثروة صاحبها تمكنه من ذلك . وكان الاثاث آتق من ذي قبل يدل على رقي في الذوق . وفي بعض الاحيان كان يُزاد على ذلك بُسُط وتعليق وزخارف . وقد جرؤوا لأول مرة لوازم المنازل



من الماء بانابيب . وكنوا قبلاً يستقونهُ بأوانٍ من اماكن بعيدة ومُدَّت تحت بلاط الشوارع انابيب تجري اليها مياه المطابخ والمراحيض - شيء لم يكن معروفاً في عهد لاكليس

الشكل ١٦١

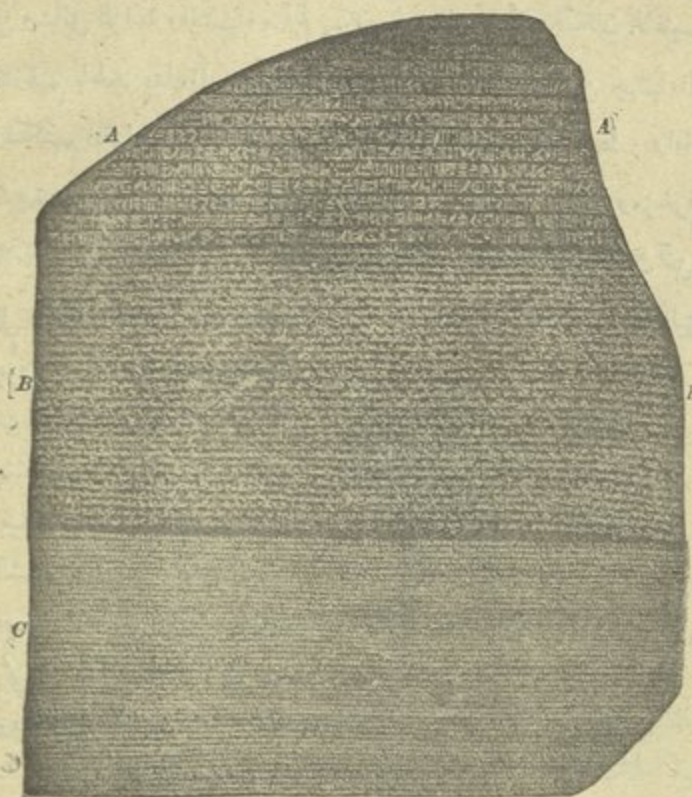
(٦٧٣) اوراق
عائلة وتجارية
منوطة في مصر

زينا هذه الصورة تاج العمود الذي يحاكي شجرة النخيل في شكله (الى اليسار) وقد رأينا مثله كثيراً برادي النيل (ش ٢٨) فان المصريين كانوا اول من اخذ نماذج من الطبيعة بنحدها المصورون وينسجون على منوالها . فكان لغدوتهم تأثير عظيم في فن التصوير من ذلك الحين . فهنا العمود المشبه بالنخلة الى اليمين مأخوذ عن مثله عند المصريين نقله نختانوبرغام اليونان في العصر الهليني ابي غناب زمان الاسكندر فيرينا هذا الامودج ان فكرة نقل الصور عن عالم النبات قصد الزخرفة اقتبسها اليونان من الخارج وعمود الكورنثي ايضا لم يتدعه هم انفسهم بل نقلوه عن غيرهم

وقد أميط الحجاب عن حياة القوم اليومية وطرق معيشتهم في ذلك العصر البعيد بحافظته الايام من الاوراق الكثيرة الباقية من آثار الامر التي عاشت وانقرضت منذ عهد عبيد . كان العامة يكتبون مفكراتهم التجارية والوصولات العادية بحجر على قطع الخرف

(ف ١٦٤) دون ان يسومهم هذا الضرب من الكتابة شيئاً من النفقة . اما الصكوك المهمة فكانوا يكتبونها على ورق البردي (ش ٢٠٧) وكانت مکتوبات كهذه تتراكم في منازلهم كما تتراكم لدينا المكاتيب بين قديمة وحديثة . وفي بسلاذ كعصر جافة الهواء ليس

بمعجب ان تحفظ هذه الاوراق من التلاشي والفناء. فبقي منها شيء كثير تحت انقراض منازل



الشل ١٦٣ حجر رشيد بمصر المنقوشة عليه كتابة باليونانية C في ترجمة
الكتابة المصرية القديمة (A و B)

ان هذه الكتابة
الشهيرة في بلغتين.
كثرت باليونانية
لانها لغة الحكومة
ولان المنكبين بها
كانوا كثرًا جدًا
في مصر (٦٧٣)
وكتبت ايضا
بالمصرية لتكون
انرا عمومًا خالدا
وطلع عليها العموم
وكيف يطالع عليها
من كان يجهل
اللغة اليونانية اذالم
ترجم الي المصرية.
ولذلك كتبت هذه
الكتابة الاثرية
نفسها اولًا بالفلم
والحبر بالمخط
المصري العادي
الذي كان يسمى
المصريون
(ديموتيك)

(للايضاح انظر ش ٢١) ثم نشئت في الحجر الذي تشغل منتصفه (B) ثم كتب الكهان نفس الكتابة بالمخط الهيروغليفية
المتقدم على القسم الاثلي من الحجر (A) لانه اهل الاشراف ولكن - كما يظهر من الرسم - قد انكسرت زاويتا
الحجر وفقدتا. فالكتابة ان اذن مصريان العليا (A) مثل الطبع عندنا والسفلى مثل المخط الهيروي. ونرى ترجمة
الكتابة المصرية الي اللغة اليونانية اسفل الحجر (C). وقد قصد الكهنة المصريون الذين نشروا هذه الكتابة ان
يكون الحجر المنقوشة عليه انرا خالدا ليطالع عليه الناس عامة وقد ضموا بعض عبارات التناء والتكريم لاحد ملوك
اليونان البطالنة (سنة ١٩٥ ق. م) وسقط الحجر بعد ذلك وانكسر وطهر تحت التراب والقمامة. وظل مطبورا
قرونا كثيرة حتى اكتشفه جنود نيولون اتفاقا اذ كانوا يجهزون خنادق بيجوار مصب النيل عند مدينة رشيد سنة
١٧٩٩ ولذلك دعي بحجر رشيد. وقد استولى عليه الانكليز وهو الآن في المتحف البريطاني. وبعد ان عرف
شبه يونان الرموز التي في اسماها كليونيرا و بطليموس وآخرين غيرها (ش ٥٥) تمكّن من قراءة الكتابة الهيروغليفية
على الحجر نفس (A) لان الترجمة اليونانية انبأت بهي الكتابة المصرية. وبذلك صار حجر رشيد المتفاج الذي هو
حلت الكتابة المصرية القديمة (الهيروغليفية). وحجر رشيد عبارة عن بلاطة سميكه من الحجر الباري الاسود عرضه
٧٢ سنتيمترا وطوله اكثر من متر

هذا العصر (١) . فاذا تصفحنا بعضها وجدناه اما دعوة والدير او والده الى عرس ابنتها ، او كتاباً من والديه الى ابن صالح متغيب عن البيت في المدرسة ، او اعتراف ولديه كان قد شرد

من بيت ابيه

ثم تاب ورجع

فادماً ، او

رسالة تعزية من

صديقتي عن

فقد ابن او

أبي او أم

او اخر . فهذه

الاوراق تميظ

لنا الحجاب عن

المعاشرات

اليومية بين

الاخسوان

والاقارب كما

تميظ المكاتب

المتبادلة بيننا

وبين اصداقنا

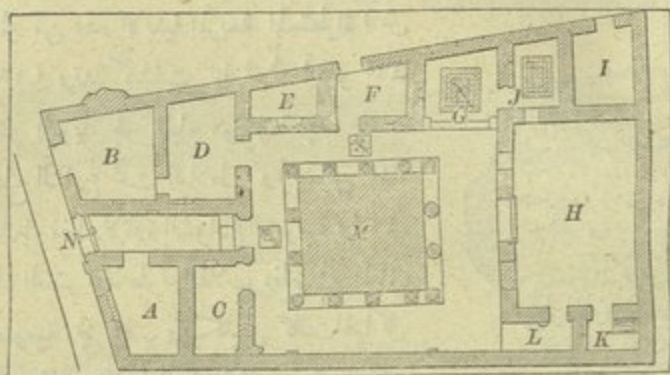
في هذه الايام .

والسرور

والصورى التي رسمتها دون تفكير اصابع يدي بليت تحت الثرى منذ آمار عهدة مُدني الينا

بطريقة مدهشة شكل الحياة التي توارت في طيات الدهور حتى نزاها كأنها قريبة منا حقيقية

لا وهمية (ش ١٦٥ و ٢٠٧)



الشكل ١٦٣ رسم منزل احد اغنياء اليونان في العصر الملبني

نرى الغرف مرتبة حول دار في الوسط (M) متوحة من اعلاها محيط بها رواق ممدد (قابل ش ٢٨) فمدد (N) المدخل الكبير وعن اليمين (A) غرفة البواب وعند الزاوية دكان (B) والحلات C و D و E اهراء وقد يستعمل بعضها لادارة الشؤون المنزلية و F مدخل باب خلفي كانت تُدخَل منه الذخائر والمون ومنه يصعد بدرج الى الطبقة الثانية من المنزل و J غرفة للسكن كان مبنيًا فيها ديوان او متكا جانبه المهادي للرواق كان متوحة على طولها واجل غرفة في المنزل (H) مقامها ٨X٥ امتار وكانت ارضها من الفسفاس (ش ١٦٠) المركبة من سبعة الوان وجدرانها مزخرفة بالصورة الجميلة . وكان النور يدخلها من باب وشبابكين . و (K) غرفة نوم صغيرة وفيها جرن رخام كبير للحمام . واما بقية غرف النوم في المنزل فكانت كلها في الطبقة الثانية التي لا يمكن الآن ترميمها و (I) دكان ثانٍ صغير كشف الفرنسيون في هذا البيت في جزيرة ديلوس

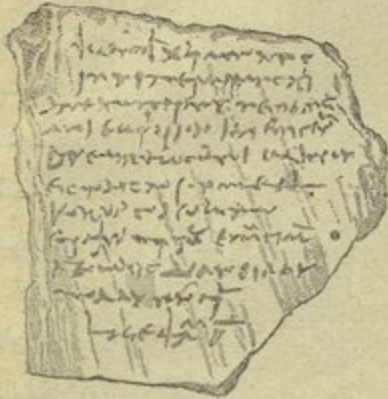
الصورى التي رسمتها دون تفكير اصابع يدي بليت تحت الثرى منذ آمار عهدة مُدني الينا بطريقة مدهشة شكل الحياة التي توارت في طيات الدهور حتى نزاها كأنها قريبة منا حقيقية لا وهمية (ش ١٦٥ و ٢٠٧)

(١) قد وُجد في النجوم كبر من هذه الاوراق والصكوك الباقية من العصر الملبني كما وُجد في اماكن اخرى كجزيرة الالينتين مثلاً صكوك واوراق من عصر الاهرام الى عصر الاوراق التي وجدت في منازل الجالية العبرانية مكتوبة باللغة الارامية (ش ٩٨) . ووجدت اوراق اخرى باللغة اليونانية كاتي في شكل ٢٠٧ وقد كتبت بعد العصر المذكور آنفاً

١٦٧٤) معاد
لندن الملكية. لشوه
المباني العمومية
الطالبة

وكانت المدن الجديدة الكثيرة التي بُنيت في العصر الهليني العظيم حسنة الهندسة والترتيب جداً فكانت شوارعها قائمة الزوايا ومنازلها ومحازنها يتصل عدد معين منها بعضها ببعض بحيث يتكوّن من اتصالها بناية ضخمة مربعة الشكل مستطيلة. وكان في كل مدينة

كثير من هذه الابنية المربعة المستطيلة (ش ١٦٦) وقد كشفت لنا اعمال الحفر احد عشر انبواباً لجرّ المياه موضوعة جنباً لجنب تقطع الشارع تحت البلاط. ولم يكن عند القدماء نظام لانارة الشوارع العمومية واما في هذا العصر فقد طرأ انقلاب عظيم في المباني العمومية. ففي عصر بريكليس كانت الهياكل تقوم مقام مباني الحكومة العمومية ولكن مهندسي العصر الهليني شرعوا يهندسون مباني ضخمة فاخرة لتكون مكاتب لادارة اعمال الحكومة



الشكل ١٦٤ صك على شقفة خرف
من اخرة مدينة مصرية

لقد حفظت لنا مصر الوقفا من الصكوك والاوراق الشخصية من العصر الهليني مكتوبة بالقلم والحجر على قطع من الخرف المكسر التي لا تسوم كأنها نفقة فهذا النموذج صورة وصل استعمار ارض مملكتهم بهذه العبارة: "كتبه عنه أواموس بن هرمابوس لانه لا يحسن الكتابة". والارجح ان معطي الوصل كتب بمجهل الكتابة جهلاً تماماً ففراراً من هذا الاعتراف الشائن بالأمية قبل انه كان لا يحسن الكتابة اوهو "بطلي اليد في الخط". والخط الذي كتب به أواموس عنه هو من نوع الخط الفخاري السريع يختلف جداً عن الخط بالحروف الكيرة التي كان يستعملها مزرقوا الآتية الخرفية قبل هذا الصرخة قرون (ش ١٦٤) وقراءة هذا الخط صعبة حتى على الذي يحسن قراءة الكتابة اليونانية المحدثه

على شكل مرشح لان المجلس لم يعد يجتمع في العراء كما كان يفعل قبلاً بل صار يجتمع فيها. وحذا حذوه مجلس الشورى ايضاً. وهياً المهندسون محلاً للالعاب الرياضية وحماماً وميداناً للسباق ومرسحاً للتمثيل. لان هذه

كانت هذه المباني العمومية الجميلة واقعة في وسط المدينة حيث كانت تشيد قديماً في المدن اليونانية والشرقية، قلاع الملوك وكان في جوارها ارض فسيحة مربعة الشكل فيها مباني السوق العمومية تحيط بها اروقة مستطيلة الشكل لان اليونانيين شرعوا الآن يشيدون المباني الفسيحة العالية الجدران الحسنة التهوية التي اقتبسوا هندستها من مصر. وكان كثير من المعاملات التجارية الشخصية يتم في هذه السوق. وفضلاً عن ذلك كانت في المدينة بناية عمومية جميلة على شكل مرشح لان المجلس لم يعد يجتمع

١٦٧٥) المباني
العمومية في احدى
المدن الملكية

الاشياء. اصبحت من الضروريات حتى ان مدينة صغيرة لم يزد سكانها عن اربعة آلاف نفس كمدينة بريان باسية الصغرى مثلاً كانت تحتوي كل هذه المباني (ش ١٦٦) فضلاً عن بضعة هياكل بني احدها الاسكندر نفسه



الشكل ١٦٥ رسالة على ورق البردي مطوية ومخلومة لكي يرسل

وكان على احد جوانب السوق بناية مستطيلة الشكل للاجتماعات العمومية سموها باسيليكاً يدخلها النور من نوافذ في سقفها يدعى مجموعها منوراً (٢٣٢) وكان بناؤو العصر

وجد المنقبون عن الآثار كثيراً من هذه الرسائل تحت انقاض مدن مصر القديمة (ش ٢٠٧) وبشاهد منظرها منشورة في شكل ٢٠٧ وفي تعرب لنا عن احوال حياة الناس في ذلك العهد البعيد

الهليني قد شاهدوا هذا الضرب من المباني في مصر (ش ٤٨) كما كانوا في اثناء ذلك قد رأوا في اسية الصغرى القناطر التي كانت قد اتصلت اليها من الهلال المخصب (ش ٥٩ و ١٥٧) وقد اخذوا من الآن يُدخون القناطر بين حين وآخر في مبانيهم مع انهم لم يكونوا قبلاً يستعملونها مطلقاً. فالشرق الذي نفع قبلاً فن البناء اليوناني بالاروقة المعسدة، زاه الآن ينفعه بشئين آخرين هما القنطرة والباسيليكاً الآن اليونان لم يستعملوا القنطرة كثيراً في مبانيهم

فاذا كانت مدينة صغيرة في مديرية كبريان مثلاً تشتمل على مباني عمومية بالغة حد الفخامة والاناقة فكيف كانت مباني عاصمة تجارية مهمة كالاسكندرية. انها بلا ريب كانت الخم وأنق من سواها لانها كانت الآن اعظم مدن العالم القديم طراً في عدد سكانها وغناها وتجاريتها وقوتها وفي جميع الفنون التي كانت قد بلغت المدينة في ذلك الزمان. وكانت مرافئها المتقنة ممتدة الى مسافات بعيدة على ساحلها وذات حياض ترسو فيها السفن القادمة من الغرب آمنة بعد ان تكون قد قاست اهوال العواصف والامواج وهي تتخرق في عباب الاطلانتينيكي على سواحل اسبانيا وافريقيا- ترسو جنباً لجنب مع المراكب القادمة من الشرق بعد ان تكون قد اخترقت ابواب الاوقيانوس الهندي (ف ١٠٦) وجمعت سلع الشرق المترامي الاطراف وراء الاوقيانوس. هنا على ارضة هذه المرافي. كانت تقع العين على قضبان القصدير المجالوبة من جزر بريطانيا وعلى اثواب الحرير الموسوقة من الصين وأقوات القطن من

(٦٧٦) دخول المسور والقنطرة من الشرق

(٦٧٧) الاسكندرية تجارياً ومناصبها العظيمة



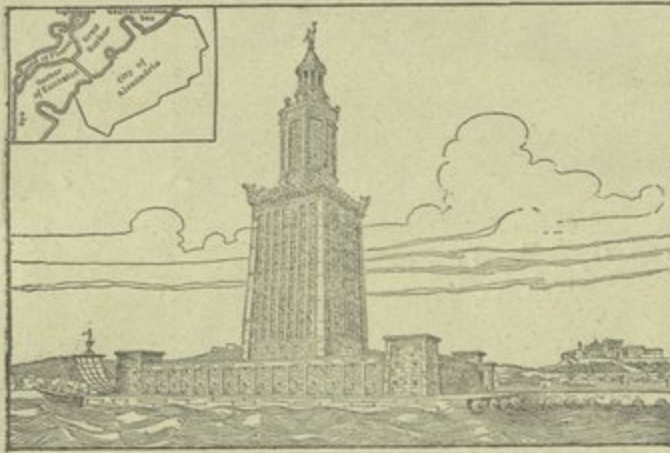
الشكل ١٦٦ تزييم مدينة برهان الغلبانية بأسيه الصغرى

حين نيشه
 هذه المدينة خيل
 لرائها اها تكاد
 تكون بومبا أخرى
 الأنا اقدم (ش)
 ٢٠٦. على الصغر
 الكبير فوق الحرف
 (A) قامت القلعة
 وكان هناك شعيب
 (طريق في الجبل)
 يوتي الهيا (B)
 ويرى عند (C)
 قناة مبنية بالحجر
 يجري فيها الماء الى
 المدينة. وكان
 الداخل الى المدينة
 من الرناج
 (البوابة) عند (K)
 الى باحة مربعة
 الشكل حيث كانت
 تقام سوق تناع فيها
 الميرة او الزاد (L)
 وكان فوق السوق
 وعلى مقربة منها
 هيكل اثينا (J)
 بناء الاسكندر وبعد
 ذلك يصل الداخل

الى سوق التجارة الشهية المجوانب (M) التي تكنتها أروقة معمدة خلفها مخازن إلا من جانب واحد (N) حيث
 أقيم نادر فحم للاختبار وإقامة حفلات الأعياد وهو شبيه بالاندية الباسيليكية التي كانت أخذة الآت في الشروع بين
 اليونان (ش ٢٢٢٣). وكان وراء هذا النادي (عند N) مكاتب موظفي حكومة المدينة والنادي الذي كان
 يلتمس فيو مجلس النورى والمجلس الكبير والمرح (E) وكان عند (G) هيكل أبس (ف ٦٤) وإمامة ساحة
 الألعاب الرياضية (F) والمسقى (Q) ولا يزال هنا في الفصل الاجران الرخامية وتيجيات المياه بشكل رؤوس
 أسود وكان يتصل بذلك نادٍ مكشوف لاقاء المحاضرات (ف ١٧٥). وكان فوق مقاعد المسقى رواق جميل
 ممدد طوله ١٨٠ متراً يتسمى فيو المتفرجون بين لعبة رياضية وقاليها والبحر منبسطة امامهم كأنه دهباجة زرقاء يقر
 براءه الناظر. وكانت المنازل التي ازالها السوق مثل المنزل الذي في الشكل ١٦٣. وأما المنازل الأجل الواقعة
 في جوار المرشح (E) وهيكل اثينا (J) فكانت مبنية بناءً متقناً بالحجارة ولم يكن ازالها ذكاً كين. وكانت المدينة
 كلها مطوّقة بسور متين مني بالحجارة له رناج من جهة الشرق (H) وآخر من جهة الغرب (K) وكانت تشاهد
 على طول الشارع خارج الرناجين قبور الاسلاف كما في اثينا (ش ١٥٤)

الهند • ولما استبحر امر التجارة فيما اقتضت الحال انشاء مصارف من قبيل الحكومة • وكان النوتية وهم قادمون ليلاً في سفنهم يرون نوراً متألّقاً صادراً من منارة هائلة في ثغر الاسكندرية سامقة الى العلاء تكاد تنطح برؤسها السحاب يتدفق منها النور الى كل الجهات لهداية السفن الماخرة ليلاً في عُباب اليم (ف ١٦٧) • فهذا البرج العجيب الذي كان اعلى بناء شيده مهندسو اليونان بعد زمان الاسكندر كان سليل برج هيكل بابل (ش ٨١) الذي كان يتصل به بلحمة النسب

وكان
القادم الى
الاسكندرية
على احدى
السفن
التجارية
الكبرى
التي كان
محمول
الواحدة
منها اربعة
آلاف طن •
اذا وقف



الشكل ١٦٧ منارة مرفأ الاسكندرية في العصر الهليني
اي بعد زمن الاسكندر

كان مرفأ الاسكندرية (انظر زاوية خريطة ١٩) مرفأ لوجود جزيرة امامه تدعى فاروس (المنارة) تنصل بالمدينة بحجر من الحجر وعلى هذه الجزيرة قامت منارة عظيمة بنيت (بعد سنة ٣٠٠ ق.م) بالحجر بعلو ١١٠ امتار وتسمت باسم الجزيرة التي شيدت عليها • وتدل هذه المنارة على اتساع نطاق تجارة الاسكندرية وغناها بعد مضي جيل واحد على تأسيس الاسكندر الكبير لها • فكانت للعالم القديم بمنزلة نيويورك اولنبرول في هذا العصر اعظم مرفأ على البحر المتوسط (ف ٦٧٧) وكان تأثير عمل المهندسة الشرقية ظاهراً في هندسة هذه المنارة القائمة على جزيرة فاروس التي صارت نيبا بعد مثلاً اخذها السجيون في بناء ابراج كائسهم والمسلمون في بناء ماكن جوامهم (ش ٢٢٤) وبقيت قائمة في مركزها كأعظم منارة في الدنيا نحو ١٦٠٠ سنة ولم تسقط حتى السنة ١٣٢٦ م

الحرابي (ف ٦٦٠) الذي بناه البطالسة راسياً صفوفاً في الميناء ورأى من خلال الصواري مجراً آخر من الادواح الغناء والرياحين الخضراء النابتة في الحدائق الملكية الانيقة وشاهد القصر الملكي

(٦٧٨) حذيفة
نصر البطالسة •
الاصل الشرقي لهذه
المنارات

المبني بالرخام الناصع البياض قائماً على نقطة من الارض ناتئة الى البحر يتكوّن منها الجانب الشرقي من المرفأ . وقد تعلم ملوك العصر الهليني من الحدائق الملكية التي انشأها



الشكل ١٦٨ ترميم مباني برغام العمومية مدينة هليونية
باسية الصغرى

صارت برغام الواقعة على الساحل الغربي من اسية الصغرى ، في القرن الثالث ق.م حكومة مدينة زاهرة تحت تسلط خلفاء الاسكندر الكبير (ف ٦٨٣) وكانت منازل الاهلين قائمة في القسم الاسفل منها امام مجموعة المباني الظاهرة هنا في الرسم . وكانت المباني العمومية قائمة على ثلاث مصاطب - سفلى ووسطى وعليا . وكانت المصطبة السفلى الكبيرة (A) السوق الرئيسية بزيتها مدبج مربع الشكل مبني بالرخام لزمن له ثلاثة صفوف من الاعمدة على ثلاثة من جوانبها الاربعة . واسفلها زنازل طويلة مفتوح في صور الآلة والجارية في حالة حرب (B) (١٧٠) وكان على المصطبة الوسطى (B) وراء صفوف الاعمدة ، مكتبة برغام الشهيرة حيث لا تزال قائمة قواعد رفوفها الحجرية . وكان قصر الملك مشيداً على المصطبة العليا (C) . والمبني الموجود هناك الآن بناء الامبراطور الروماني تراجانوس في القرن الثاني للمسيح

وبالآثار الخالدة المنحوتة ، حق قدرها . فنرى من ذلك ان الاوربيين صاروا يُعنون بهندسة الجنائن والتأثيق في اتقانها وتخطيط المدن بقتضى القوانين الفنية - امور كان قد الفها مهندسو البناء الشرقيون منذ القديم

وكان عند طرف الحديقة الآخر عن جانب القصر مجموع بنايات المتحف الملكي الرخامية وفيها مكتبته الكبيرة وقاعات المحاضرة وغرف المعرض وابهاء واروقة وغرف لسكن الفلاسفة ورجال العلم الذين كانوا يقيمون ضمن المتحف . وكان بجوارهِ هيكل سيرابيس الفخيم اله المملكة الجديد (ف ٧٠٨) وفضلاً عن ذلك ، كانت في المدينة مباني عمومية

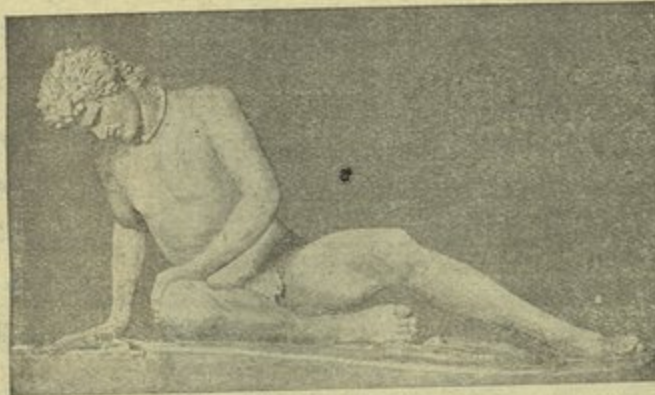
(٦٧٩) مسال
الاسكندر العمومية

حفيسة كبنائيات الالعب الرياضية والحمامات واماكن السباق والمنتدى الكبير ودار الموسيقى والاسواق والمباني المرتفعة من الوسط (باسيليكسا) تحفُها منازل الاهلين مقسمة احياء.

ولسوء الطالع لم تُبق لنا عوامل الطبيعة وعوادي الدهر شيئاً من تلك المباني الفاخرة حتى الاخرية القليلة الباقية يتعدّر نبشها لان معظم الاسكندرية الجديدة قد بني عليها

ولكن لدينا من هذا العصر مدينة أخرى جميلة نشأت تحت موارث وعوامل اثينية (ش ١٦٨)

اسمها برغامم التي كسر احد ملوكها قبائل الغال الرجل التي قدمت من اوربا (ف ٦٨٣)



(٦٨٠) برغامم
وتقريباً ١٥٥٠

الشكل ١٦٩ والشكل ١٧٠ منحوتات برغامم الهلينية

في اعلى الشكل ١٦٩ ترى صورة المبتوق (بورجى) الغالى وهو يسلّم الروح وبوقه عند رجله. (ف ٦٨٣) وفي اسفل الشكل ١٧٠ قسم من النطاق الذي كان يحيط بهذبح زفس العظيم في برغامم (ش ١٦٨) وهو يمثل العراك الخيالى بين الآلهة والجبابرة والى اليسار يشاهد جبار تدهي اطرافه بجبات رانعا فوق راسه حجراً كبيراً ليفسّف به على الالاهة التي الى اليمين (ف ٦٨٣)

٦٦٦) وهزمتها شره هزيمة . فكان لما أتاه هذا الملك من خضد شوكة هولاء الرّجل تأشير
عظيم على الفن الذي كان يدّأب في ابتداعه النحاتون من اهل اتيكا يضافرهم في ذلك ملوك

برغامم .

فانهم نحتوا

في الرخام

صوراً تتّثل

ابطال البرابرة

الشمالين

ساعة احتضاهم

المفجع على

اسلوب

مؤثر جداً لم

يفقههم فيه

احد من قبل

واحيوا

ذكرى هذا

العراك مع

الغاليين بزّار

هائل من

صنع النحت

التّالي . يتّثل

لعين الرائي

المعركة

الحياوية بين

الآلهة

والجبابرة

(ش ١٧٠)

وكان هذا

الزّار الهائل



النكّل ١٧١ موت لأركون وابنيو

صنعت هذه الصورة في غضون القرن الأوّل ق.م. وصانها أجستدر من رودس بمساعدة
نحاتين آخرين رءا كانا ابنيو برى فيها الكامن لأركون خائر القوي ساقطاً على المدح الذي كان
يقدم عليه الخدمة الدينية من جرّاء عراك سميت بينا وبين الحيات القتالة التي التفتت عليه وعلى
ابنيو وهذه الصورة تمّصّب احد الرسوم المدهشة التي ابتدعها الفن لتمثيل الآلام البشرية (ف
٦٨٢). ويضاهي هذه الصوّر (ش ١٦٩-١٧١) الصوّر المحفورة حفراً بارزاً على ثابت الاسكندر
الكبير وصورة معركة اسوس (ش ١٥٥) بالنفساء . فهذه الاشكال المشار اليها هنا هي اسمى
واعجب ما ابتدعه الفن القديم

يحيط تقريباً ، بمذبح عظيم (ش ١٦٨) شيده ملوك برغامه اكراماً لرفس وترييناً لسوق المدينة

(٦٨١) اهمت
الاثيني . نايوتد
الاسكندر . النصد
السرودي .
لاكون

وكان لما صنعه نحاتو اثينا من بدائع المنحوتات تأثير عظيم في نحأتي برغامه حتى كأنها كانت وحيأ لهم بان يولفوا بين عدة رسوم يجفرونها في حجر واحد بحيث يتكون من مجموعها صورة مركبة لها وقع عظيم في النفس ، ودبيب في اعماقها واناقة تأخذ بمجامع اللب . وقد حفظت لنا الايام شيئاً من تلك البدائع الاثينية التي اجملها تمثيلاً لمجموعها تابوت الاسكندر الكبير الذي حوى من النقوش الجميلة المدهشة ما يكل عن وصفه اللسان . وهو يمثل لنا الاسكندر - وقد فاز في معركة أسوس - منهمكاً في صيد اسد من كبار الاسود . وقد حذا حذو الاثينيين في تصوير مشاهد العراك ومواقف الاهوال التي ترتعد منها الفرائص ، رهطاً من مشاهير نحأتي جزيرة رودس تلك الجمهورية الزاهرة في العصر الهليني الذي عقب موت الاسكندر (ف ٦٧٠) . ولكن قد عفا الدهر آثار معظم ما صنعه من البدائع والروائع الأبقية زهيدة منها تعد اليوم من انفس اعمال الحفر والنقش التي ابقت عليها عوامل الطبيعة . واحدى تلك البدائع الباقية تمثل الكاهن الطروادي لاكون وابنيه حين التفت عليهم حيتان ميمتتان وسحقتهما سحقاً

(٦٨٢) التصوير
والسيفاه

ان عظماء مصوري هذا العصر من اليونان يظهرون في صورهم نفس الاميال الظاهرة في النحاتة فانهم احبوا ان يمثّوا الحوادث المخيفة المحزنة في معظم شدتها . الا ان تراخي العقب قد درس آثارهم الاصلية جميعها فلم يبق لنا سوى تقليد بعضها مرسوماً على جدران بعض المنازل الفاخرة المزخرفة من الداخل او ممدوداً على ارضها بصورة الفسيفساء بدلاً من التبليط . وصناعة الفسيفساء هذه هي التي ابقت لنا صورة الاسكندر الرائعة وهو هاجم على ملك الفرس في أسوس . وصانها مصور اسكندري مجهول الاسم ، من العصر الهليني ، وهو العصر الذي اختلط فيه اليونان بالاجناس الاخرى التي تحلقت باخلاقهم واقتبست عاداتهم وبكلام آخر « تيوننت » (ش ١٥٥)

(٦٨٣) تصوير
الاشخاص

وقد برز النحاتون والمصورون كل في المضمار الذي جرى فيه . واعمالهم الخالدة فيما صوروه تمثل لليوننا الآن الهيئات والملامح الحقيقية للاشخاص الذين صوروهم حتى اذا القينا نظرة على تلك الصور ادركنا للحال كيف كانت تقاطيع وملامح اصحابها . ومن سوه الحظ ان هذه الصور جميعها هي من صنع الحفارين في الحجر او المعدن اما بشكل تماثيل كاملة او نصفية او ناتئة خصوصاً على الوشم (التياشين) وقطع النقود (السجاتيت) واما

التي من صنع المصورين فقد اضمحلت كلها . وكان مصور الاسكندر المحبوب رجلاً يسمّى
ابلاس قيل انه مرّة صور الاسكندر ممطياً جواده واحكم تلوين الجواد إحكاماً مدهشاً
حتى ظهر كأنه حي تماماً يدل على ذلك انه مرّة ، مرّ بتلك الصورة حصان فلما رآها ركض اليها
وحمّخهم . وبقيت نماذج من هذه الصناعة احدث عهداً من المذكورة آنفاً ، بين الجثث المحنطة
في مصر

٦٩

الاختراعات والعلم . المكاتب والآداب

وكانت نباهة وحذق ابناء هذا العصر العجيب باديين في كل مكان ولا سيما في
تطبيق العلم على اعمال وحاجات الحياة اليومية . كان العصر عصر اختراعات مثل عصرنا
الحالي . فكان الرجل العصري الراقي يبتدع طريقة لانفتاح وانغلاق باب منزله من نفسه
دون ان تمتد اليه يد بشرية ويصنع مغسلاً يقدم الصابون والماء . بقدر اللزوم . ويعصر الزيت
من الزيتون في مزوعته بمكبس يديره لولب للضغط المقتضي . ونصب الكهّان موزعين
خارج الهيكل لتوزيع الماء المقدس بجرّة ذاتية كما نصبوا رشاشة يحركها ضغط الماء لتخفيف
خطر النار بما ينبعث من رشاشها على السن اللهب المندلعة . واستعمل الاحمال ، وسواعد
الدواليب واللواكب والدواليب المسنّنة في الاعمال اليومية قد انتجت لهم الطرق السلكية او
التجليّة لحدود الحجارة من المقالع العالية ، ودواليب لنشل المياه بتقدير وافرة . وعلى هذا
المبدأ اخترعوا جهازاً مؤلفاً من سلسلة موصولة الطرفين لرفع المقذوفات الصخرية الثقيلة بسرعة
كافية الى الآلات الحربية المخصوصة بقذفها . وبعض هذه الآلات كان يُدار بضغط الهواء
لا غير . وكما انتهت في هذه الايام على « السينما » كان الناس في ذلك الزمان يزدحمون في
السوق ليشاهدوا المرسح المتحرك من نفسه الذي كان فيه مهندس ميكانيكي يمثل
للحاضرين مأساة حرب طروادة في خمسة فصول او مشاهد يُظهر في خلال تمثيلها بناء السفن
وانزالها الى البحر ، والسفيرة البحرية ، والدلافين (ج دُلفين) ترح عن جوانب السفن ،
وطلوع نوء شديد يصعبه برق ورعد ثم غرق ابطال اليونان في اثنائيه وهبوطهم الى قعر اليم .
وكانت ربّات المنازل تروي قصصاً عن بساطة العيش في زمان جدّاتهنّ ايام لم يكن بعد في

١٦٨٤٦ الفندم
المصنعي
والاختراعات
السليمة

المنازل مياه جارية اليها بل كانت النساء يذهبن الى اقرب المناهل ليستقين

وكان اليونان يتصبون في السوق العمومية ساعة إما شمسية كالتي كان يستعملها المصري
مسدة تربي على ألف سنة (ش ٥٣) او مائية يونانية الاختراع (ش ١٧٢) لكي يعرف
بواسطتها اهل المدينة او البلدة الوقت في اية ساعة كانت من النهار . وحاول البطالسة او
الكهنة الذين كانوا في ايامهم ان يُدخلوا شيئاً من التحسين على التقويم باضافة يوم عليه كل
سنة رابعة كبيسة ولكن الشعب ابى الاقلاع عن عادة تأصلت في نفسه واعتادها حتى
صارت طبيعة ثانية لم فاحتفظ بالحساب



(٦٨٦) ارخميدس

الشكل ١٧٢
ساعة ايتنا الكبيرة

ان هذا البرج الذي كثيراً ما يدهى "برج الرياح"
فانم الآن بين البيوت الحديثة وكان فيها سلف من الزمان
بشرف على السوق (ف ٥٤١) . اما القناطر التي تشاهد
الى يسار الشكل فكان فوقها قناة قديمة يجري فيها الماء
لادارة ساعة مائية كانت في البرج . وكانت هذه الساعات
المائية تشبه على نوع ما الساعات الرملية فكان الماء الجاري
يملاً وعاء معلوماً في وقت مفروض كما يملأ الرمل في الساعة
الرملية وعاء معلوماً في وقت معين . وقد بني هذا البرج في
انقرن الانخرق ق م . اذ كانت رومية مستولية على ايتنا

القمرى على ما فيه من عدم الضبط كما
احتفظ به اليونان من قبل . ولم يكن
نظام لعدّ السنين الا في سوريا وحدها .
ففيها جعل السلوقيون لكل سنة عدداً
مبتدئين من تاريخ اول تسلطهم عليها

وكان اعظم رجال العلم في هذا العصر
- على ما يرجح - ارخميدس الذي كان
موطنه سرقوسة ومن اشهر ما ابتدعه من
الاعمال الخطيرة نظام البكرات والامحال
التي تعظم بواسطتها القوة التي تحركها الى
درجة تفوق التصديق حتى ان الملك بمجرد
ادارته لساعد دولاب خفيف تمكن من
ان يحرك سفينة كبيرة بثلاثة صوار كانت
راسية في المرفأ مملوءة شحناً . ويدفعها الى
البحر . وبعد ان رأى الناس من ارخميدس
اعمالاً عظيمة كهذه صدقوه حين قال
مفاخرأ « اعطوني مكاناً اقف فيه اذحرح
لكم الارض » وابتدع آلات حربية قوية
جداً وقتالة . فكان اختراعه ذريعة مهمة
للدفاع عن مدينته وصد الرومانيين عنها .

ولكن لم يكن ارخميدس مخترعاً لامثال هذه الآلات فقط بل كان عالماً بخاتمة من الدرجة

الاولى . ولما عهد اليه ملك مرقوسة في امتحان التاج الذهبي الجميل ليعرف هل هو من الذهب الخالص كما ادعى صائغه ، استطاع ان يبرهن للملك ان التاج كان مغشوشاً . والطريقة التي توصل بها الى معرفة الغش ومقداره مشهورة لدى كل من له إلمام بالفلسفة الطبيعية والثقل النوعي . فكان ارخميدس الفيلسوف اول من اكتشف المبدأ الذي يسميه العلماء اليوم بالثقل النوعي . وكان فضلاً عن علو كعبه في الطبيعيات اعظم الرياضيين القدماء (ف ٦٩٠)

وكانت المراسلات تجري بلا انقطاع بين ارخميدس واخوانه العلماء في الاسكندرية الذين ألفوا جمعية علمية في العالم القديم . وكانوا يعيشون معاً في المتحف يتبضون رواتب شهرية ويقوم البطالسة بجميع نفقاتهم . فكُونُوا اول معهد علمي شيدت اركانه حكومة وقامت بالنفقات كلها . ولما لم يكن على اولئك العلماء ان يهتئوا بامر معيشتهم والشؤون المالية ، تفرغوا بكليتهم الى الابحاث العلمية وكانت عُرف المعهد ومختبراته ومكتبته المجهزة بكل ما هو لازم لها تحت مطلق تصرفهم . وبذلك صار علماء العصر الهليني ، وخصوصاً هذا الرهط الاسكندري العظيم ، مؤسسي البحث العلمي القانوني واصبحت كتبهم موسوعة للمعارف العلمية . ودامت هكذا مدة التي سنة حتى نهضة العلم في هذا العصر

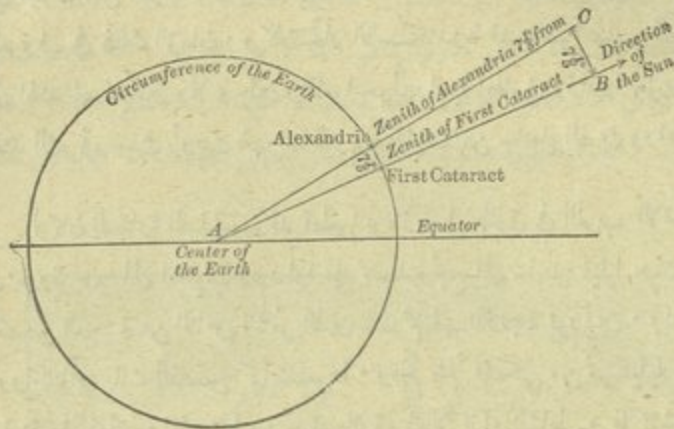
(٦٨٧) علماء
الاسكندرية

كان الجيل الاول من رجال العلم في المتحف الاسكندري يفاخرون بأن اقليدس ، اعظم الرياضيين ، هو واحد منهم . ولا يزال اسم اقليدس معروفاً ومشهوراً حتى اليوم . وكتابه في الهندسة المبني على امتن البراهين المنطقية لا يزال يدرس في مدارس بلاد الانكليز الحديثة . وهو الآن اقدم كتاب مدرسي . وشرح ارخميدس يبحث في الرياضيات ويدقق حتى رقها وجعل منها فرعاً مهماً دُعي بالرياضيات العليا لم يسبقه اليه احد من قبل يشتمل على قضايا وعمليات صعبة جداً . وفرط صعوبتها ندر من تصدى لها . فضعف شأنها وآل امرها الى النسيان حتى قام في الازمنة الحديثة من اعادها الى مكانتها التي فقدتها . فكأنها اكتشفت اكتشافاً . ومن العالوم التي خطت خطوات مهمة الى الامام علم الهيئة ، لان البطالسة عُنوا به كثيراً فبتوا له مرصداً بالاسكندرية ليتمكنوا به من الحصول على ارصاد مهمة واكتشافات جمة مع انه لم يكن عندهم مراقب للرصد . وقد قام باعظم اكتشافات هذا العصر فلكي من جزيرة ساموس ضئيل الشهرة اسمه ارسترخس . فهذا أبان بالبرهان القاطع ان الارض وسائر السيارات تدور حول الشمس . ولكن الناس عموماً لم يكثرثوا لما ادعاه واجمع يونان العصر الهليني ومن قام بعدهم من العلماء القدماء . على القول خطأ بان الارض هي المركز وان الشمس وسائر السيارات تدور حولها (ف ٩٤١) . وقام فلكي

(٦٨٨) الرياضيات
والفلك . اقليدس
وارخميدس
ارسترخس

من العصر الهليني وألف - بعد ان عانى نصباً شديداً - جدولاً يحتوي على ثنائي او تسع مئة من النجوم الثوابت لتكون قاعدة يُعتمد عليها في تعيين التغيرات التي تطرأ في المستقبل على العالم المألوي

(٦٨٩) حبان
ارانشيس نجم
الارض



الشكل ١٧٣ يدل هذا الشكل بوجه التفريب على الطريقة التي توصل بها العلماء الى معرفة حجم الارض بالحساب

اذا كانت الشمس وقت الظهر فوق الشلال الأول من شلالات النيل تماماً فمن المعروف انها تشاهد من الاسكندرية . وهذا نفس ما كان يحصل لو وقف رجل عند الشلال الأول ورفع يديه عموداً او عملاً كالدبى برفعه معاون مهندس التخطيط او المصح بشرط ان يكون طول العلم او العمود كافيًا حتى يرى من الاسكندرية . وكان ارانشيس قد نصب في الاسكندرية آلات الرصد اللازمة قبل ان صارت الشمس عمودية فوق الشلال . وما بلغت النقطة العمودية فوقف شرع في الرصد فوجد ان الشمس في تلك النقطة التي فوق الشلال الأول (المخطاب) كانت منحرفة $\frac{1}{2}$ الى الجنوب من سمت آلة الرصد والاسكندرية (المخطاب) فمقدار انحراف الخطين ا ب و ا ج $\frac{1}{2}$ عند كل نقطة فيها سواء كان في المجدل من فوق ام في الارض من اسفل . فعرف ارانشيس ان الشلال الأول يبعد عن الاسكندرية $\frac{1}{2}$ درجة من درجات محيط الارض وبكلام آخر ان المسافة بين الاسكندرية والشلال الأول هي $\frac{1}{2}$ من محيط الارض او جزءاً من خمسين من محيطها الذي هو ٢٦٠ . والمسافة الحقيقية بين الاسكندرية والشلال الأول كان يظن انها اقل قليلاً من ٨٠٠ كيلومتر وكانت هذه المسافة وتعدل بحسب جزءاً من خمسين من محيط الارض البالغ ٢٠٠٠ كيلومتر الا تبضع مشات من الكيلومترات . اما قطرها فيبلغ على هذا التعديل ١٢٥٦٠ كيلومتراً والفرق بين هذا التعديل والتعديل المضبوط هو ٨٠ كيلومتراً لا غير

وكان علم
الفلك مساعداً
قويًا على التقدم
في علم
الجغرافية . فان
العالم الفلكي
والرياضي
الكبير
ارانشيس
الاسكندري
تمكّن من معرفة
حجم الارض
بملاحظته ان
الشمس في
الصيف ، وهي
تنتقل شمالاً
من برج الى
برج متى بلغت
نقطة الانقلاب
الصيفي ، كان
نورها يقع
عمودياً على قعر
بئر عند اول
شلالات النيل

واضافوا الى معرفة حجم الارض معارف أخرى تتعلق بمساحة المناطق المسكونة منها
توصل اليها اهل هذا العصر بالاسفار بجرأ وارتياح الاماكن المجهولة والتنقيب عنها بجرأ .
فتصدى احد علماء الجغرافيا ببلاد اليونان الى قياس علو الجبال مع انه لم يكن لديه بارومتر
اي ميزان ثقل الهواء . وكانت غزوات الاسكندر للشرق الاقصى قد وسعت حدود العالم
المعروف في ذلك الزمان . وكان تجار الاسكندرية قد خاضوا عباب اليم في سفن شراعية
الى الهند غير هيابين ولا وجيلين واقلعوا حول راسها الجنوبي وزاروا جزيرة سيلان ثم ساحل
الهند الشرقي حيث رويت لهم اساطير وحكايات عن ساحل الصين وراء الهند

(٦٩٠٢) تنقيبات
وابحاث جغرافية في
الشرق

وكان البحارة الفينيقيون قد قطعوا بوغاز جبل طارق في الغرب الاقصى منذ سنة ٥٠٠
ق م وتوجهوا الى الجنوب ووصلوا على ما يرجح الى ساحل غينيا حيث سمعوا كثيراً من
القصص العجيبة عن الناس الشعر الذين ساءم لهم التراجمة غورلين . ولما عادوا الى بلادهم
رووا للناس تلك القصص كما سمعوها . وقام عالم فلكي من مرسيليا اسمه بيثياس وجيّر
سفينة على نفقته واقلع بها من جبل طارق شمالاً ازاء الشاطىء . فاكتشف شكل جزيرة
بريطانيا المثلث . ثم اخترق بسفينته البحر الشمالي . فكان اول متمدن سمع قصصاً
وحكايات عن الاقيانوس المتجمد الذي وراء البحر الشمالي وجزيرة ثول (ايسلندا) العجيبة
الواقعة عند تحفه واكتشف تأثير القمر العظيم - وهو بدر - في المد والجزر وعاد الى بلاده
وملأ راسه انباء شتى عن اشياء عجيبة غريبة كان يرويها للناس فاطلقوا عليه اسم تاجر
الحكايات الغريبة

(٦٩١١) تنقيبات
جديدة في الغرب
والشمال . بيناس
والمد والجزر

ولما كان قد تهيأ لاراتستينس ان يجمع حقائق ومعلومات لم يتسن لغيره ان يجمع مثلها
استطاع ان يؤلف كتاباً مستوفى في علم الجغرافية . ولم يقتصر في الخريطة التي رسمها للعالم
المعروف ، اوربا و اسيا وافريقيا ، على ان يظهر فقط مواقع الاقاليم المجاورة للبحر المتوسط
بشيء من التدقيق ، بل رسم عليها خطوط الطول والعرض وبذلك اصبح مؤسس الجغرافية
العلمية

(٦٩٢٢) اراتستينس
مؤسس الجغرافية
العلمية برسم اول
خريطة لها
خطوط الطول
والعرض

اما علماء النبات والحيوان فظل ارسطوطاليس وتلاميذه قادة الافكار فيها اذ لم
يستطع احد من رجال العالم القديم ان يتخطى الحد الذي بلغوه هم من معرفة هذين العلمين .
نعم كانت المعرفة التي بلغوها في علم النبات ، بلا ميكروسكوب ، محدودة يازجها شيء
من الخطأ ولكنهم اكتشفوا كثيراً من الحقائق العامة التي نستقوها وبؤبؤها احسن تبويب .
وكان عندهم في متحف الاسكندرية مختبر للتشريح كان البطالسة يقدمون له العدد الكافي

(٦٩٢٣) النبات
والحيوان والتشريح
والطب

من المحكوم عليهم احكاماً جنائية لاجراء التجارب العلمية على اجسادهم وهم احياء .
وبذلك اكتشف ان الاعصاب هي الاسلاك التي تؤدي الى الدماغ رسائل اللذة والألم من
اجزاء الجسم المختلفة . وتبيّن أيضاً ان الدماغ هو مركز الجهاز العصبي . ومع ان اجثاشاً
كهنه كادت توصل علماء هذا العصر الى اكتشاف الدورة الدموية ، بقيت معرفتهم بحقيقة
الشرايين مشوبة بالخطأ فحسبوا انها ييب لدوران الهواء الآتي من الرئتين . اما الاسكندرية
فصارت اعظم مركز في العالم القديم للابحاث الطبية يتقاطر اليها الشبان من كل حدب
وصوب لكي يدرسوا العلوم الطبية مطولاً ويصيروا من نطس الاطباء . كما يفعل شبان
هذا الزمان



خريطة ٢٢ العالم كما عرّفه ارانسئس

ومع شدّة شيوع العلوم الطبيعيّة وشغف الناس بها الآن ، كان الميل الى دراسة اللغة
وأدائها القديمة عظيماً . وكانت المكتبة الاولى التي استبتها حكومة يونانية وقامت بنقنائها ،
هي التي اوجدتها مدينة هرقلية على ساحل البحر الاسود في زمن صبوة الاسكندر (ليس
بعد سنة ٣٥٠ ق م بزمن طويل) اما في الشرق القديم فكان امر المكتاب الملكية (ف
٢٣٣) شائعاً معروفاً قبل هذا العهد بزمن مديد . وقام بعد ذلك ملوك برغامه وأسسا
مكتبة شهيرة جداً ولكن البطالسة في الاسكندرية فاقوا سواهم من هذا القبيل فانهم
شيدوا وراء حديقة قصرهم مكتبة الحقوها بالمتحف بلغ مجموع الدروج فيها نصف مليون
درّج

(٦٦٤) اقدم
مكتاب الحكومة
عند اليونان . مكتبة
الاسكندرية

(٦٦٥) نونون
ادارة المكتاب
وبرسها

ان صناعة فهرسة مجموعة عظيمة من الكتب كالمذكورة آنفاً وادارتها كان لا بد من الاخذ فيها من اول الامر . فاختر بطليموس الاول فيلسوفاً وشاعراً اسمه كليماخوس وجعله مديراً للمكتبة فشرع للعالم في فهرسة كل الكتب المعروفة بانها من الكتب الشينسة المشهورة ذاكراً اسماءها واسماء مؤلفيها . فبلغ عدد كتب البرنامج الذي حوى اسماء الكتب التي في مكتبة الاسكندرية مئة وعشرين كتاباً . وبعد ان انجز هذا العمل الشاق شرع يقسم الدروج الكبيرة التي يصعب رفعها وحطها الى اقسام او اجزاء تسهيلاً لحملها عند من يستعملها (قابل ش ١٤٤) فكان اول من ادخل طريقة تجزئة المؤلفات الكبيرة التي كانت قبلاً على شكل دروج الى سلسلة من اللغات او الدروج الصغيرة فقد دُعيت كل حلقة فيها كتاباً . وعلى هذا النمط شرع في تقسيم قصائد هوميروس وتاريخ هيرودتس ومؤلفات أخرى الى كتب

(٦٦٦) نانسو
مكتبة الاسكندرية
على صناعة التقرير
والفهرس

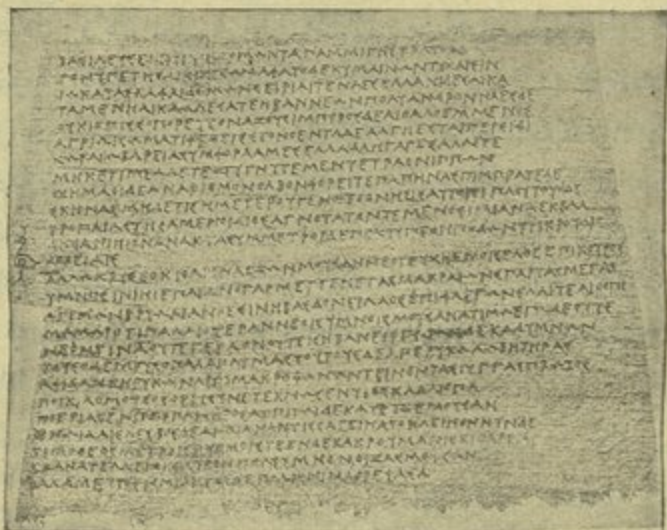
ان شدة الحاجة الى نسخ الكتب للحصول على نسخ مضبوطة منقولة عن مؤلفات شهيرة لتوضع هذه في المكتبة ادى تدريجياً الى ايجاد علم جديد غاية العناية بنشر الكتب القديمة بعد تصحيحها وضبطها ولا سيما المنسوخ منها بخط سقيم . وصارت النسخ التي يصدرها مديرو مكتبة الاسكندرية وعلماؤها هي المعول عليها لدى سائر المكتاب الاخرى وجماعة النساخ . فكانت النسخ الاسكندرية توزع في كل مكان من العالم الهليني . ومن هذه النسخ تسلسلت المخطوطات المحفوظة في مكاتب اوربا التي نسخت عنها طبعات كتب هوميروس واكزنيفون ومؤلفين يونانيين آخرين . ولكن لسوء البخت احترقت مكتبة الاسكندرية وراحت طعمة للنار (ف ٨٧٠) واقدم نموذج من كتاب يوناني حفظته لنا الايام درج وجدده منذ سنين قلائل بعض المنقبين العصريين في ضريح مصري

(٦٦٧) درس
اللغة ظهور المعاجم
وكتب الصرف
والفجر

ان الصناعة الجديدة - صناعة تحرير الكتب وتنسيق مواضعها اقتضت طبعا تعتقا في دراسة اللغة . فحيثما وجد اختلاف بين نسختين قديمتين كان لا بد من السؤال عن ايتها هي الصحيحة . هذا فضلا عن ان كثيرا من اللفاظ كان حوشيا يقتضي تفسيراً يبين معناه . كبعض اللفاظ العربية القديمة المهجورة التي لا يفقه لها ابن هذا العصر معنى ما لم يلجأ الى القاموس كالمعوج والأملوج والرهمم والجهام والعكّل والنهل والقارض والقريش وما شاكل من هذه اللفاظ التي اكل الدهر عليها وشرب . اما الامر الذي كان لا ينقطع السؤال عنه فهو التهجئة . فكان ذلك حادياً لعلماء الاسكندرية على تأليف معاجم للغة . وكثيراً ما كانت تنشأ مجادلات ومباحثات صرفية ونحوية مهمة حتى قام في سنة ١٢٠ ق م عالم اسمه ديونيسيوس وتصدى لوضع اول كتاب يوناني في صرف اللغة ونحوها تضمن اهم المصطلحات

والحدود الصرفية والنحوية كالماء اقسام الكلم التي لا تزال تستعمل في اوربا حتى الآن .
وبما ان ديونيسيوس بذل جلاً عثايته في تنسيق كتابه اجمل تنسيق وايضاح ماورد فيه من
الاصطلاحات والحدود احسن ايضاح ، راج كتابه رواجاً عظيماً وظل الناس يتداولون
استعماله قرناً بعد قرن حتى صار فيا بعد اساساً لكل ما ألف من كتب الصرف والنحو في
جميع لغات شعوب اوربا الغربية المتعددة

(٦٦٨) الادابه



الشكل ١٧٤ صفحة من أقدم كتاب باللغة اليونانية
بأق إلى عهدنا

ووجد هذا الكتاب مطروحاً بحيث يجنب جثة رجل مدفون في مقبرة مصرية وقد حفظ من
العطب مع انه مكتوب على ورق البردي لان هوا مصر جاف فلا يقع فيها المطر الا نادراً
(اشكال ٤! و٦ و٧ و٢١٧ و٢١٧) وما سميته اعادة بالصفحة هو بالتحفة هو ككتاب . والكتاب
مؤلف من سلسلة اعمدة كلده مرتبة على الدرّج جنباً لجنب (ش ١٤٤) . ويشتمل هذا
الكتاب على قصيدة تدعى "الفرس" حبرها ونظم فلاندها الشاعر اليوناني تيموثيوس التوفى سنة
٢٥٧ ق.م. ويشاهد اسمه في السطر الثالث من الاسفل في اول السطر . وموضوع هذه
القصيدة معركة سالاميس وقد كتبت هذه النسخة من الكتاب في حياة الاسكندر . والعمود
المعروض هنا للنظر هو كسائر الاعمدة على الدرّج التي كانت فيها بعض من الزمان مائة رفوف
المكتبة الاسكندرية . وهذا العمود مثال للصفحات التي كان يكتب عليها رجال العلم العظام
يضمون فيها النظر

وكادت
الآداب تكون
محصورة بين
العلماء الذين
كانوا في
الاسكندرية
فكان
كلياخوس ،
مدير المكتبة
العظيم ، شاعر
زمانه . ولم
يعد هؤلاء
العلماء يختارون
لكتاباتهم

مواضيع عظيمة
تتعلية بالحرب
والقضاء
والقدر
والنوازل بل
آثروا في
كتاباتهم
مواضيع أخرى

كصوير راع مثلاً عند نبع ماء يصفى الى موسيقى حفيف العصون التي فوق راسه

ويسير الهورثا . في اثر قطيعه يرقب حركات غنمه وسكناتها ويطيير على اجنحة الخيال حتى يستقر فكره عند فتاة قروية فتأنة خلبت له بجبالها الطبيعي ولكنها نكثت عهده وازدرت وده . صور كهنه تمثل بساطة العيشة القروية بين التلال والادوية الجميلة التي كان يرغب شعراء هذا الزمان في تصويرها بالشعر المطرب . الى الكتابة بمواضيع كهنه كانت ترتاح الطبقة الراقية المتهدبة في مدينة كالاسكندرية طبقت شهرتها الآفاق . لا الى المواضيع القديمة التي كتب فيها الادباء . في العصر الساقفة معا كانت عليه من النفاسة والجلال . وكان المجلي في مضمار هذا النوع من القريض ثيوقريطس الصقلي الذي كانت لمنظوماته الانيقة المتزلة الاولى في آداب العالم مدة التي سنة . وكانت حياة العصر اليومية تمثل على ذلك المراسح بصورة روايات عصرية عرفت « بالروايات الجديدة » . فكان الذين يشهدون التمثيل يرون ما فيهم من عيوب ونقائص يمثل امام عيونهم باساليب تضحكهم وتسرهم . ونال التذح المعلى بين فرسان هذا الميدان في اثينا الروائي ميناندر ، لانه كان صادق الفراسة يعلم من احوال بني زمانه ما لم يكن يعلمه غيره ولو رآه بام العين ويدرك ما فيهم من مغامز وينتقدها في ما يجتره من الروايات البليغة بصورة خلابة رشيقة قد يعز منالها على سواه

٧٠

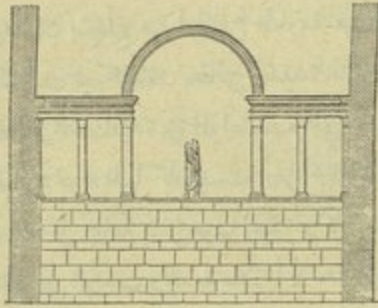
التهديب والفلسفة والدين

لا بدع اذا خطا التهديب خطوات مهمة الى الامام في عالم نال من المدنية والرقى سهماً وافراً وقامت فيه المدن الفاخرة والمنازل الباذخة والمباني العمومية النفيسة واحتوى على كثير من الروائع والبدائم الفنية والمكاتب الملكية . ونبع فيه علماء شغفوا بالمباحث العلمية والتقصي فيها . وقد كانت المدارس الابتدائية في اول عهدا خصوصية ولكنها في هذا العصر الذي بلغنا اليه صارت عمومية تهتم بامرها الحكومة وتقوم بتفقاتها . وحين كان الولد يكمل مدة الدراسة فيها كان والده يرخص له بأن يواظب على سماع المحاضرات للبيانية والفلسفية والرياضية في غرف المحاضرة بناية الالعب الرياضية . ولا يزال احد الجدران في هذه البناية في بريان (ش ١٧٥) مغشي باسماء الاولاد الذين خطوا اسماءهم بايديهم منذ التي سنة لكي يثبتوا ادعاهم بالمقاعد القريبة من الجدار

(٦٦٦) التهديب .
المدارس الابتدائية
ومدارس الالعب
الرياضية

(٧٠٠) تأسس
مدرسة الألعاب
الرياضية في
الدروس العليا

وصارت مدرسة الألعاب الرياضية ذريعة للتنبه العقلي . فان الوالدين حين كانوا يبلغون السن التي لا تعود فيها حركاتهم رشيقة كما كانت في صباهم للقيام بالألعاب الرياضية كانوا يجلسون في الأروقة المعمدة يراقبون المباراة الجارية او يقتاتون الوقت بالتسقي فرقاً فرقاً والتباحث في موضوع المحاضرة العلمية



الشكل ١٧٥ جدار غرفة المحاضرات بمدرسة الألعاب الرياضية في بريان لا يزال مغشى بأصباغ صغار الفلاميد

الأخيرة او في احدث اكتشاف ظهر في محتبر دار المتحف . وكان الاحداث وهم خارجون من حمامات هذه الدار ليحيوا والديهم ويصحبوهم الى بيوتهم ، يسمعون عرضاً او اتفاقاً كثيراً من البراهين العلمية والفلسفية . فينبه كنهه لا بد من ان تولد في المرء شغفاً بالعلم والفلسفة . وكثيراً ما كان الشاب يلحف على ابيه بأن يسمح له بضع سنين يتلقى في غضونهما الدروس العالية في المتحف او في اثينا

(٧٠١) انحصر
بالعلوم

كانت غرفة المحاضرات تنفتح على الرواق المعمد الذي كان يحيط بهار هذه المدرسة (ش ١٦٦) وكانت جدرانها الرخامية مخدشة بكثافة بأصباغ صفراء من الطلبة الذين كانوا يحضرون المحاضرات والصفوف قبل القرن ومئتي سنة . ولكن يحفظ الواحد منهم على نحو في المقعد الذي كان يجلس عليه كان ينقش على الجدار الهادي المقعد المنصص بهذه الكلمات مثلاً "مقعد كلبون بن كليارخوص" . حين كان يتلى الجدار من هذه الاصباغ كان الطلبة ينفون على المقاعد ثم على ظهور رقعاتهم حتى يتمكنوا من وجود نسخة فارغة يسجلون فيها ادعاهم بالمقاعد

واصبح التخصص الآن امراً لا مناص منه لكل من رام من الشبان ان يتعاطى احدى المهن وينجح فيها . فكما يستعد طالب الطب لمهنته بالدرس والاكباب على مطالعة الكتب الطبية كذلك كان يستعد من رام ان يكون بناء ، بالدرس والانصباب على دراسة الكتب التي تبحث في فن البناء لكي يعرف كيف يبني قنطرة متينة مثلاً ويعلم ماهي النسبة بين اجزاء العمود

- بين القاعدة والشمعة والتاج . والذين صبت انفسهم الى ان يكونوا في مستقبل حياتهم مهندسين كانوا يشاربون على درس الميكانيكيات ليتقنوا معرفة بناء الجسور وابتكار الطرق لجر الاثقال . فكان هذا العصر يوجه الاجمال عصر تهذيب في الفنون والصنائع . وقد جنى المتخصصون منافع جمّة من تفردهم بفرع واحد حتى الفروع العلمية كالفلك او الرياضيات او الجغرافيا . وكان الراغبون في التخصص يتصدون المتحف الاسكندراني

مقام كبار الاساتذة الممتازين

وحين كان الطالب يثبي الهويتا، وسط الحدائق الجميلة قاصداً المتحف، كان يجد هناك رهطاً من العلماء والحكماء يلقبون محاضرات مختلفة في الفلك والجغرافيا والطبيعات والرياضيات والنبات والحيوان والتشريح والطب والبيان والصرف والنحو والآداب . وبعد ان يتضلع من الحقائق المعلومة عن هذه المواضيع، كان ينصرف بجميع قواه الى البحث والتنقيب ليكتشف حقائق جديدة عنها ويضيفها الى الحقائق المعلومة . وبعد تمتعه بجماع المحاضرات المفيدة في المواضيع التي يريدها كان اذا شاء يتر بالدار الى الغرف الاخرى . وقبل دخوله اليها كان يسمع صُراخ الحيوانات المتألّمة تحت السكين والشراط فيعلم ان في الداخل جماعة يشرحونها حيّة . وكان مباحاً له ان يتساقّ سلمُ برج المرصد الفلكي ويقم هناك على الرُحْب والسعة ملازماً لاحد مشاهير علماء الفلك ليلة بعد ليلة او يعاون اراتشيس حين ينتصب قسطاس النهار، على رصد الشمس توصلاً لمعرفة حجم الارض (٦٨٩) او يميل الى غرف المكتبة حيث تسود السكينة ويعاون القائمين بادارتها على تنظيم قوائم بالكتب القديمة التي فيها لكي تضم بعد تنظيمها الى البرنامج الكبير الذي أعده كلياخوس فاذا بدأ منه شيء من النبوغ او الامتياز سمح له فياً بعد باقواء محاضرات على الطلبة ثم الانتظام في سلك اساطين العلم والفضل في هذا المعهد الطائر الشهرة

(٧٠٣) المتحف
الاسكندري كجامعة

لم تكن الاسكندرية بداية ذي بدء تحفل كثيراً باسر الفلسفة التي كان قد نشأ منها العلم (ف ٤٨٤) فظلت اثينا المتجع الاعظم للفلسفة يؤمها الطلاب من مختلف الاصقاع لتلقي الدروس الفلسفية على خافاء افلاطون الذين تاروا على التعليم في حرجة دار العلوم (ف ٦١٦) حيث كانت تسود السكينة وينجم السلام ويُذكر اسم افلاطون بالنجاة والاحترام . ولكن ارسطوطاليس تلميذ افلاطون ابى ان يقبل تعاليم استاذِه وكان - بعد ان اتم تهذيب الاسكندر - قد عاد الى اثينا وانشأ بها مدرسة خصوصية في المكان المعروف بالليسيوم (ف ٥٢٧) حيث كان قد احتل مصطبة فيه تُعرف بالمشى . هنا كان يدرب الطلبة المتقدمين صفّاً بعد صف في كيفية تنسيق العلوم المتنوعة ودرسها . وكان في عداد تلك العلوم التشريح والنبات والحيوان . وكان الطلبة على اختلاف فرقمهم يجمعون كثيراً من الملاحظات العلمية فيويوتنها وينسقونها تحت مراقبة الاستاذ وارشاده . فكان لهم مما جمعوه وبؤبؤه موسوعة كبيرة صحيحة جمعت حقائق المواضيع المختلفة بين قديمة وحديثة . الا ان هذا العمل الحظير لم يكمل بل فُقد الكثير من الرسائل والمقالات التي كانت جزءاً من الموسوعة . ولما مات ارسطوطاليس على اثر موت الاسكندر اخذت مدرسته في التقهقر

(٧٠٣) دار العلوم
بأهرسة المتأه

(٧٠٤) مؤلفات
ارسطوطاليس
ومقرنها بين الكتب

كانت مؤلفات ارسطوطاليس اعظم مشروع قام به الانسان في العصور القديمة لجمع المعارف البشرية بجذافيرها وبسطها باسلوب واضح شائق . ولذلك بقيت على مرور الاجيال في منزلتها الاولى من الخطورة ورفعة الشأن . واكسبت مؤلفها شهرة سارت مسير النبرين وطبقت الخافقين وجعلت الناس في كل مكان وزمان يعترفون بأن عقل ارسطوطاليس اعظم عقل ظهر في العالم القديم . وكان بعد ذلك لمؤلفاته مكانة رفيعة في عيون اهل اوربا وكانت المرجع الاعلى لدى اهل القرن الوسطى كلما ارادوا ان يفتشوا عن جواب او حل لمسئلة من مسائل العلم . فعوضاً عن ان يندفعوا بكليتهم الى اكتشاف حقائق جديدة في الطبيعة كانوا يعولون في حل ما يعثرون عليه من القضايا العلمية على مؤلفات ارسطوطاليس . ولم يرقم في العالم باسمه شخص نالت مؤلفاته الشهرة البعيدة والثقة الاكيدة التي لا يشوبها ريب ، كارسطوطاليس

(٧٠٥) فلسفة
الحياة العلمية :
السرديات
والابيكورية

لم ترق مباحث افلاطون العلمية كثيرين من اليونانيين ولا راقتهم مدرسته المعروفة بالاكاديمية ولم تعجبهم حكمة ارسطوطاليس ومدرسته المشاءة بل صبت عقولهم الى نوع من الفلسفة يكسبهم هناء المعيشة وراحة البال والنجاح في الاعمال . وتحقيقاً لهذه الرغائب أنشئ في اثينا مدرستان أخريان للفلسفة مؤسس الاولى منها رجل شرقي سامي الجنس قبرصي المولد اسمه زينون كان يعلّم في الرواق المصور القديم الشهير بسوق اثينا (ف ٥٤٩) ولذلك تقيت مدرسته بالرواقية . وقد علم بأنه يوجد شيء واحد صالح هو الفضيلة وشيء واحد طالح هو الرذيلة وبان غاية الحياة العظمى يجب ان تكون طمأنينة النفس الحاصلة عن الفضيلة والتي يستوي لديها الألم واللذة . واشتهر اتباعه بشدة الجلد . ولذلك شاع استعمال لفظة «الرواقية» مرادفاً لعدم المبالاة بالألم . وذاع صيت المدرسة الرواقية واشتهر امرها فمال اليها عموم الناس واصبحت واسطة عقد المدارس التي من نوعها . والمدرسة الاخيرة - وهي التي أسسها ابيكورس في حديقته باثينا - كان جوهر تعليمها ان الخير الاعظم هو اللذة سواء كانت عقلية او جسدية بشرط ألا تخرج عن دائرة الفضيلة . فاصبح الابيكوري مضرب مثل للانغماس في المذات ولا سيما التهم او الافراط في الاكل . فكل من اشتهر به كانوا يسمونه ابيكوريا . وفشا ذكر هذه المدرسة بعد ازدهارها فاقبل عليها الطلاب من كل فج سحيق حتى غصت بهم على رُحباها الا ان الناس ما لبثوا ان حرقوا تعاليمها وافسدها لكي يجدوا لانفسهم مبرراً من الانغماس في المذات الشهوانية التي ذهبوا فيها كل مذهب حتى طُبق عليهم المثل الشرقي القائل «لنأكل ونشرب ونفرح لاننا غداً نموت» فاصح شعاراً لحياتهم

وكانت نفقات هذه المدارس من دخل الاملاك التي وقفها لها تلاميذها واصدقائها
الاغنياء . وكان رئيس المدرسة يقيم هو ومعاونوه واتباعه في منازل ذات غرف مخصوصة
بالمحاضرات والكتب والمطالعة . وكانت مدرسة ارسطوطاليس اعظمها تقدماً ونجاحاً ولا
سيا في حياته . ونظمت دار التحف الاسكندرية على منهاج المدارس الاثينية التي
اصبحت منذ ذلك الحين نموذجاً للاكاديميات والجامعات بحيث صار يصح القول ان اثينا في
العصر الهليني صارت مركزاً لجامعة مؤلفة من اربع دوائر الاكاديمية والليسيوم والرواق
وحديقة ايكورس . وهكذا غدت في الوقت الذي فيه فقدت مركزها السياسي اعظم
مما كان يربحي لها پريكليس . فلم تكن معلمة جميع بلاد اليونان فحسب بل اصبح
الطلاب يؤمنونها من جميع اطراف العالم المتمدن لكي يقتبسوا علماً وحكمة

(٧٠٦) جامعة
الهند وتأثيرها
الغاري

وصارت تعاليم الرواقيّة والايكورية تقوم عند الفئة المتهذبة مقام الديانة . واصبحت
الآلهة عندهم كأنها لم تكن . واذا اعترفوا بوجودها عدوها كائنات بشرية ممجدة لا غير .
قيل ان احد كتبة الروايات الخيالية في ذلك العصر واسمه أهيريوس - ألف قصة جميلة
موضوعها سفرة خيالية في الاوقيانوس الهندي حيث وجد مجموعة جزائر غريبة . وهناك في
هيكل زفر وجد صحيفة منقوشة عليها قصة مألها ان الآلهة العظيمة التي كان يعبدها
اليونان كانت في الاصل ملوكاً من ذوي الخول والدهاء . بذلوا جهدهم في تمدن الجنس
البشري . وبعد وفاتهم ألهوا . فهذه الحكاية المحكمة التركيب التي ولدتها قريحة روائي
خيالي عاش بعد عصر الاسكندر ، صدقها الناس في كل مكان ففقدت الآلهة ، بتصديق
الناس لها ، ما كان لها من الاحترام والمثلة السامية في عيون المتعبدين . ولم يكن محظوراً
على احد ان يصرح بما يكنه قلبه عن الآلهة مها كان اعتقاده فيها بل كانت الحرية مطلقة
للجميع وفاقت الحرية التي منحها بعد ذلك ملوك اوربا لرعاياهم . ولو عاش سقراط في هذا
الزمان لم يقض عليه مواطنوه الاثينيون بالاعدام

(٧٠٧) سقوط
الآلهة اليونانية القديمة

وكان السواد الاعظم من الشعب غير متعلمين ليفهموا الفلسفة وغير قادرين لضيق ذات
اليدين يذهبوا ويتلقوا في المدارس التي تعلمها . ولكن كان لا بد لهم من آلهة مها كان
شكلها . ولما ضعف ايمانهم بالآلهة القديمة مالوا الى تكريم الآلهة الشرقية التي كانت - كما
راينا قبلاً - قد دخلت بينهم وأثرت في حياتهم (ف ٦٠) حتى جعل البطالسة احدها
المسمى سيرابيس ، اله المملوكة العظيم ، وشيدوا له هيكلًا فآخرًا بالاسكندرية .
وكانت عاوم المنجمين الكلدانيين الغامضة الصادرة من بابل تقطع البحر المتوسط وتنتشر
انتشاراً عظيماً . كان لها مكائنها السامية بين المصريين ولم ينج من تأثيرها اليوناني .

(٧٠٨) المثل
المتراكم الى الآلهة
الشرقية

وكانت العقائد الشرقية قد شاعت في كل مكان . ومن هذا الوقت اخذ الناس يألفون الآلهة الاجنبية ولم يعودوا ينظرون شزراً الى البدع الغربية في الديانة . ففي عصر مثل هذا اجتازت الديانة المسيحية الشرقية من بلاد الى بلاد بسهولة كلية

٧١

تكوّن عالم جديد هليني مدنيّة يونانية شرقية . زوال الجنسية والحكومة المدنية

من الخطأ العظيم ان يُظن ان معركة ميثون وسلاميس قد نفتنا نفياً موبداً المؤثرات الشرقية من سواحل البحر المتوسط ووقتاً سداً يحول دون رجوعها . فاننا بيننا نرى من الجهة الواحدة انتصارات الاسكندر وفتوحاته تلاشي قوات الشرق الحربية والعسكرية نرى من الجهة الاخرى ان الحياة الشرقية والحضارة الشرقية ظلّتا تضغطان بقوة مستمرة على حياة سكان السواحل الشرقية من البحر المتوسط وتحدثان فيها تأثيراً محسوساً سواء كان في التجارة او في شكل الحكومة او في العادات والاصطلاحات والفنون والصناعات والآداب والديانة . ولذلك لما خرجت الديانة المسيحية من فلسطين - كما سنرى - (ف ٩٤٩) كانت من جملة العوامل الكثيرة التي جاءت من الشرق ووجهتها الغرب . وهكذا فيما كانت المدنية اليونانية بلغتها وفنها وآدابها ومراسمها ومدارسها التي انشأتها ، عاملة على « يوننة » الشرق ، كان الشرق بهذه الطريقة عينها عاملاً بقوة عظيمة في الغرب لجعل العالم الواقع الى الجانب الشرقي من البحر المتوسط شرقياً وعلى هذا الاسلوب تكوّن تدريجياً على الجانب الشرقي من هذا البحر عالم جديد ذو حضارة يونانية شرقية

وفي هذا العالم الاكبر ، لم يكن لليوناني القديم الذي ابلغ الحضارة اليونانية الى ما بلغت ، من عمل او تأثير الا قليلاً جداً لانه شعر بانّه فردٌ من عالم مؤلف من كل امة وقبيلة ولسان واعظم بما لا يُقاس من المدينة التي كان يقيم بها . الا ان هذا العالم الاكبر لم يجعل الناس يفقهون للجنسية معنى لانه لم يكن في الحكومات الكبيرة بعد عصر الاسكندر ما يُعرف بالجنسية . ولم يكن لابن المدينة نصيب في ادارة شؤون الامة او المملكة الكبرى التي كانت حكومة مدينته جزءاً منها . ولم يكن له حق في التصويت الا في الانتخابات التي

(٧٠٩) اشهرار
دخول المؤثرات
الشرقية في المجانس
الشرقي من البحر
المتوسط

(٧١٠) العالم الهليني
شرقي المتوسط
وتصان الجنسية
منه

تجوي في مدينته لتعيين الموظفين فيها ولم يتعدَّ حقّه في التصويت هذا الحدّ . ولم يكن من اسم لمملكة السالوقيين فكان رعاياهم أنّي ذهبوا ينتسبون الى مدنهم^(١) او بلدانهم فكانت فكرة الوطن معدومة ومحبتة غير معروفة

(٧١١٦) المنافع
التحدياد لبلد الحكومات
المدينة للعمران
اليوناني

كانت الحكومات المدنية مراكز القوة والتقدم في العمران اليوناني ولكن افضل تلك القوات التي كانت تعمل في تلك الحكومات من الداخل ولها التأثير الاعظم كانت قد اضمحلت الآن . فالآلهة القديمة التي كانت احدى تلك القوات كانت قد تلاشت والجندي الوطني الذي كان يزود عن مدينته لم يبق له عين ولا اثر حتى في بلاد اليونان نفسها . وقد حلَّ محلّه الجندي الاجنبي المأجور ليدافع عن بلاد ليست بلاده . ولم يعد اليوناني يقف وسلاحه في يده ليصدّ الأعداء عن مهاجمة وطنه او مدينته . ولما وجد ان تولي المناصب اصبح من جملة المهن التي يتعاطاها الناس فقد ميله القديم الى وطنه وامسى لا يهتم الا بشؤونه الخاصة وترقية حاله غير شاعر بالمسؤولية التي كانت تولدها في صدره محبتة لمدينته فتولّد فيه حماسة شديدة تدفعه الى الاقدام على كل ما هو جليل وشريف سواء كان في السياسة والفنون او في الآداب وفن البناء والابداع . ولما قامت قبلاً المباراة بين الحكومات المدنية على قدم وساق ، آلت الى نشوء مدينة فيها فاقت سائر المدن الاخرى التي كان قد عرفها العالم منذ وجد . وكما كانت هذه المباراة سبباً لترقي البلاد الى اوج الحضارة كانت المباراة السياسية التي قامت بين الحكومات المختلفة سبباً لانحطاطها بل تلاشيها سياسياً . وبعد المهجرة الى اسية (ف ٦٦٨) لم يبق في المدن اليونانية من الوطنيين الحقيقيين الا بقية زهيدة تولاها اليأس ووهن العزيمة . وامست تلك الرّحاب الفسيحة امام البنائات العمومية في المدن اليونانية ، بعد ان كانت تنصّ بالخلق ، مسرحاً للامشية . وهكذا مرّ علي اليونان الزمان دون ان يتحدوا امة واحدة حتى في بلادهم الاصلية لم يعرفوا للاتحاد معنى

ان الحكومات المدنية اليونانية القديمة كان قد ابتلعها عالم اكبر منها ولكن هذا العالم الهليني في شرق البحر المتوسط لم تجي . عليه سنة ٢٠٠ ق م الا كان مجرّوبه ومنازعاته الداخلية قد وصل الى نقطة من كيانه عرض عندا نفسه للوقوع تحت صولة قوة حربية جديدة عظيمة جاءت من عالم بعيد في غرب البحر المتوسط وقبضت عليه بيد من حديد .

(٧١١٦) شرق
البحر المتوسط تحت
مملكة ايجريو

(١) كانوا ابناء سوريا مثلاً الى مدنهم المختلفة . فيقول الواحد انا يبروني او شوبري او شامي بدلاً من ان يقول انا سوري

وبعد ان وصلنا الى هذه النقطة من التاريخ (٢٠٠ ق م) لا نستطيع فهم ما بقي من تاريخ البلاد التي في شرق البحر المتوسط حتى نكون قد درسنا تاريخ البلدان التي في غربيه حيث كانت مدينة رومية قد قامت منذ ثلاثة قرون خلت تنشى قوة قيص لها ان تضم الشرق والغرب معاً وتولف منها امبراطورية شاسعة الاكفاف مترامية الاطراف دخلت في حماها بلدان البحر المتوسط جميعها

مسائل

٦٨

ما هي اللغة التي كانت شائعة في العصر الهليني اي العصر الذي عقب موت الاسكندر الكبير؟ كيف كان حجر رشيد مثلاً لهذه الحقيقة؟ صف ما حصل من التحسين او الاصلاح في المنازل . اية مكتوبات تنبئنا شيئاً عن هذا العصر وكيف حُفظت؟ صف المدن الهلينية الجديدة ولا سيما بريان؟ اي اشكال جديدة في البناء دخلت الآن؟ صف تجارة الاسكندرية وحدائقها ومبانيها العمومية . صف النماذج المهمة في النحاتة التي تظهر فيها الاعمال الفظيعة المفجعة . ماذا تعرف عن مواضع كهذه في التصوير؟

٦٩

ماذا تعرف عن الاختراعات في العصر الهليني؟ وعن التقدم في معرفة قياس الوقت؟ وعن اعمال ارخميدس العظيمة؟ قل ما تعرفه عن حياة العلماء الاسكندرانيين؟ اي منهم اُلف في الهندسة ولا يزال مؤلفه مستعملاً حتى الآن؟ اية حقيقة عظيمة اكتشفها ارستارخس؟ كيف توصل اراتستينيس الى معرفة حجم الارض بالحساب؟ اخبر عن التقدم الذي حصل في معرفة الجغرافيا . صف خريطة العالم التي رسمها اراتستينيس وأين التقدم في درس حياة الحيوان وعلم الطب . ماذا تعرف عن نشوء المكاتب؟ من كان اول مدير مكتبة عظيم؟ وماذا عمل؟ اي تأثير كان للمكاتب في نشر الكتب؟ وفي درس اللغة؟ اشرح التغييرات التي طرأت على الآداب .

٧٠

أسهب في الكلام عن مدرسة الرياضة كمصدر للتهذيب . اي مهن كان مباحاً للصبيان ان يتعلموها ؟ كيف كان يمكنهم الجمع بين الدروس العلمية والبحث والتنقيب عن الاشياء الغير المعروفة ؟ اين كان يدرس الشبان الفلسفة ؟ ما هما مدرستا الفلسفة اللتان نشأتا اولاً في اثينا ؟ ماذا فعل ارسطوطاليس ؟ ماذا كانت منزلته بين المفكرين ؟ اذكر اسمي مدرستي الفلسفة اللتين ظهرتتا بعد ذلك في اثينا . ماذا كانت غايتها ؟ ماذا حدث للالهة القديمة ؟

٧١

ماذا كان نوع العالم الذي نشأ في مشرق البحر المتوسط ؟ ماذا تقول عن الجنسية او التابعة هناك ؟ تحت اي نوع من الحكومة تطوّرت المدنية اليونانية بنوع خصوصي ؟ ماذا حدث الآن للحكومات المدنية ؟ ماذا كان مزعماً ان يحل بالعالم الهليني في شرق البحر المتوسط ؟

الفصل الحادي والعشرون

عالم البحر المتوسط الغربي وفتح الرومان لاطاليا

٧٣

عالم البحر المتوسط الغربي

(٧١٣) المجزء
الاهم من العالم
القديم بما فيه من
البحر المتوسط
وبلدائه والساحل

اننا في تتبعنا تاريخ البلدان التي في الجانب الشرقي من البحر المتوسط والشعوب التي تجتمعت فيها لم نكن نوجه النظر الى تاريخ الجانب الغربي منه الاً لمحا أو اختلاصاً وقبل ان ننتقل الى النظر في تاريخ الجانب الغربي نجد باننا ان زعم صورة اجمالية لعالم البحر المتوسط تمثله لليوننا كما هو . ان هذا البحر جسم كبير جداً من الماء يكاد طوله البالغ ٣٨٠٠ كيلومتر يساوي طول اوربا بأسرها . وبهئنا ان نتذكر الآن ان معظم العالم القديم كان يتألف من البلدان المحيطة به مضافاً اليها البحر الاسود والبلدان الشرقية . وقد كان هذا البحر وسواحله المرسح الذي مُمثلت على دكتته معظم حوادث التاريخ القديم

(٧١٤) انقسام
البحر المتوسط الى
حوضين شرقي
وغربي

ليس البحر المتوسط جسماً من الماء متصل الاجزاء بلا فاصل بينها مطلقاً فانه يمتد من برّي ايطاليا وصقلية عبر هذا البحر العظيم جسراً يكاد يفصله الى حوضين كبيرين شرقي وغربي . وبما انه ليس لدينا اسمان جغرافيان مقبولان لدى العلماء يسميان بهما ، رأينا ان نسمي احدهما بعالم البحر المتوسط الشرقي وصنوه بعالم البحر المتوسط الغربي . وبما اننا قد تتبعنا في ما مررنا به تاريخ الانسان المتمدن في عالم البحر المتوسط الشرقي فالضرورة تقضي الآن بوجود درس تاريخ العالم الغربي

بدأ تاريخ الحضارة في عالم البحر المتوسط الشرقي تحت زعامة الشرق القديم ، وكانت

الشعوب المقيمة في العالم الغربي منه أبعد من ان تشعر بتأثير العوامل الشرقية مع ما كانت عليه تلك العوامل من الشدة والقوة الدافعتين الى مرابع الحضارة وال عمران فبقي الغرب من الوجهة العمرانية متخلفاً جداً عن الشرق . الا أن جزءاً كبيراً من الغرب كان قد خطا بضع خطوات في سبيل العمران وتقدم عما كان عليه سكان القرى السويسرية في العصر الحجري . واذا دققنا النظر في الخريطة التي على الصفحة المقابلة رأينا ان عالم البحر المتوسط الغربي غير مفصول تماماً عن الشرقي الذي كان يستطف عليه عند تحمه الغربي . ولا يخفى ما كان عليه العالم الشرقي من الحضارة اليونانية القديمة والهلينية . وسنرى في ما يأتي كيف يبدن الجزء الشرقي من المتوسط الجزء الغربي منه مبتدئاً بايطاليا وصقلية

(٧١٥) انتشار
(الحضارة من شرق
علا البحر الى غرب)

كانت ايطاليا قديماً اهم بلدان عالم البحر المتوسط الغربي . وبما ان ارضها تتحدّر الى الغرب مُقابل العالم الغربي من البحر المذكور فهي منه . وتمتد شبه جزيرة ايطاليا في البحر الى مدى بعيد . ويبلغ طولها ٩٦٠ كيلومتراً ومساحتها اربعة امثال مساحة بلاد اليونان . ولا تقطعها الجبال الى اودية متمعجة وسهول مقتضبة . فسلالة الابنين الرئيسية ، وان كلت تحترق شبه الجزيرة بانحراف من جهة الشمال ، فهي موازية للسواحل ، ورؤوسها المنفصلة منها والبعيدة عنها هي كذلك ايضاً . وليس من مثيل لسهولها الكبيرة الزراعية في كل بلاد اليونان . وفي انجادهما وهضابها مراعى خصيبة للانعام والمواشي لا تضاهيها مراعي بلاد اليونان في رحابتها ولا نضارتها . وفي وسع سهولها ان تقوم بمجاعات عدد من السكان تعجز عن القيام به بلاد اليونان . وسواحلها غير مفألة او مشرشرة كسواحل بلاد اليونان ولكن موانئها الصالحة لرسو السفن اقل . ولهذا اتقن اهلها الزراعة وتربية المواشي قبل ان اتقنوا التجارة

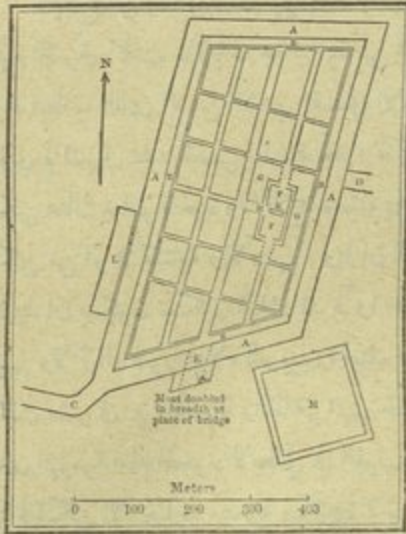
(٧١٦) ايطاليا .
جغرافيتها ومنازلها

كانت سهول ايطاليا ومنحدرات جبالها التي تكسوها الغابات الغضة ، جاذباً قويا جداً لشعوب اوربا الشمالية حداثهم الى مغادرة بلدانهم الشديدة الزمهرير والمهاجرة الى شبه الجزيرة الشامسة الدافئة في البحر الجنوبي فخوالي سنة ٢٠٠٠ ق .م قدم نحو الجنوب سكان بحيرات سويسرة العصر الحجري المتأخر (٢٧-٣٤) وقطعوا مضائق جبال الالب واستولوا على بحيرات شمال ايطاليا . وقد وجد المنتقبون عن الآثار بقايا منازل اكثر من مئة جالية من جواليهم في وادي اليو . كان هذا الوادي مستنقعات فسيحة جداً فتملكوها وبنوا فيها منازلهم التي كانوا يركزونها على عمد مغروزة في الماء . والوحل ، وتبسطوا في تلك المستنقعات بقدر ما شاؤوا . ولا تزال منازل مدينة البندقية قائمة على عمد ، وان كان جزء كبير منها مبنياً بالحجر . وهي النموذج للطريقة التي كان يمتد بها سكان البحيرات في بناء بيوتهم

(٧١٧) المهاجرات
اولى الى ايطاليا

الحشبية الصغيرة على عُمد في هذا المكان نفسه . وكان لطريقتهم هذه تأثير في الرومانيين الذين عاشوا بعد هذا الزمان لانهم بنوا معسكراتهم على نمط القرى التي قامت على عُمد في وادي الپو

لما هبط هولاء الشعوب وادي الپو كان المعدن معروفاً عندهم وقد وجدت بقايا منه في جميع محاثهم . وكونه من اصل شرقيّ ظاهر من الاسماء التي جاء بها النحاس والبرنز من الشرق الى ايطاليا فان اللفظة الانكليزية للنحاس «Copper» كانت تُكتب بالاطالية «Cuprum» اخذاً عن جزيرة قبرص «Cuprus» التي كانت معادنها الفنية تقدّم لجميع بلدان البحر المتوسط حاجتها من النحاس منذ اقدم الازمنة . واللفظة الانكليزية «Bronze» مشتقة - على الارجح - من الجزء الأوّل من اسم المدينة «Brundesium» (المعروفة الآن ببرندزي «Brindisi») التي تقرب موقعها من بلاد ابيج اخذت منها البرنز منذ زمان عريق جداً في التّقدم



(٧١٨) اقدم المعادن بايطاليا واسماؤها الشرقية

الشكل ١٧٦ الرسم الهندسي الارضي لقرية في شمال ايطاليا قائمة على عُمد

كانت هذه القرية محاطة بخندق (A) عرضه تقريبا ١٠٠ قدم مملوء ماء من نهر متصل به (C) وكان داخل الخندق حائط ترابي (B) سمكه عند القاعدة ١٥ متراً . وكان طول هذه القرية ٦٠٠ متر . وهي قائمة في اراضي وادي البو الغنية ، على عهد مثل قرى الهجرات التي مر ذكرها قبلاً وكانت هندسة الشوارع كهندسة معسكرات الجند الروماني المأخوذة عنها

(٧١٩) دخول جناح النحاس الهندسي الاوربي الغربي الى ايطاليا

وفيا كان سكان القرى القائمة على عُمد مغروزة في الوحل والماء يهبطون وادي الپو ، كانت القبائل التي يتألف طرفها الغربي من الجوالي الهندية الاوربية

(ش ٨٣) قد اخذت تشعير بجاذبية آكام ايطاليا وهضابها الخضراء الدافئة . ويرجح انه بعد مجيء اليونان من الشمال الى جزيرتهم (ف ٣٧٧) بزمن غير طويل كانت القبائل الغربية الهندية الاوربية الندم قد دخلت عالم البحر المتوسط الغربي الجميل الذي تمتد اليه شبه جزيرة ايطاليا . جاؤوا اليها جالية بعد أخرى تدريجياً . وكان اهم تلك الجوالي التي احتلت الاقسام الوسطى والجنوبية من شبه الجزيرة وتُعرف بالقبائل الايطالية او الايطاليين الاولين . واسمهم

الذي اطلقه اليونان اولاً على القسم الجنوبي من شبه الجزيرة قسط، عاد فشمّل البلاد كلها فصار اسمها « ايطاليا » ويرجح انه في غضون بضعة قرون عاد فقط سيل مهاجرتهم على صقلية ايضاً

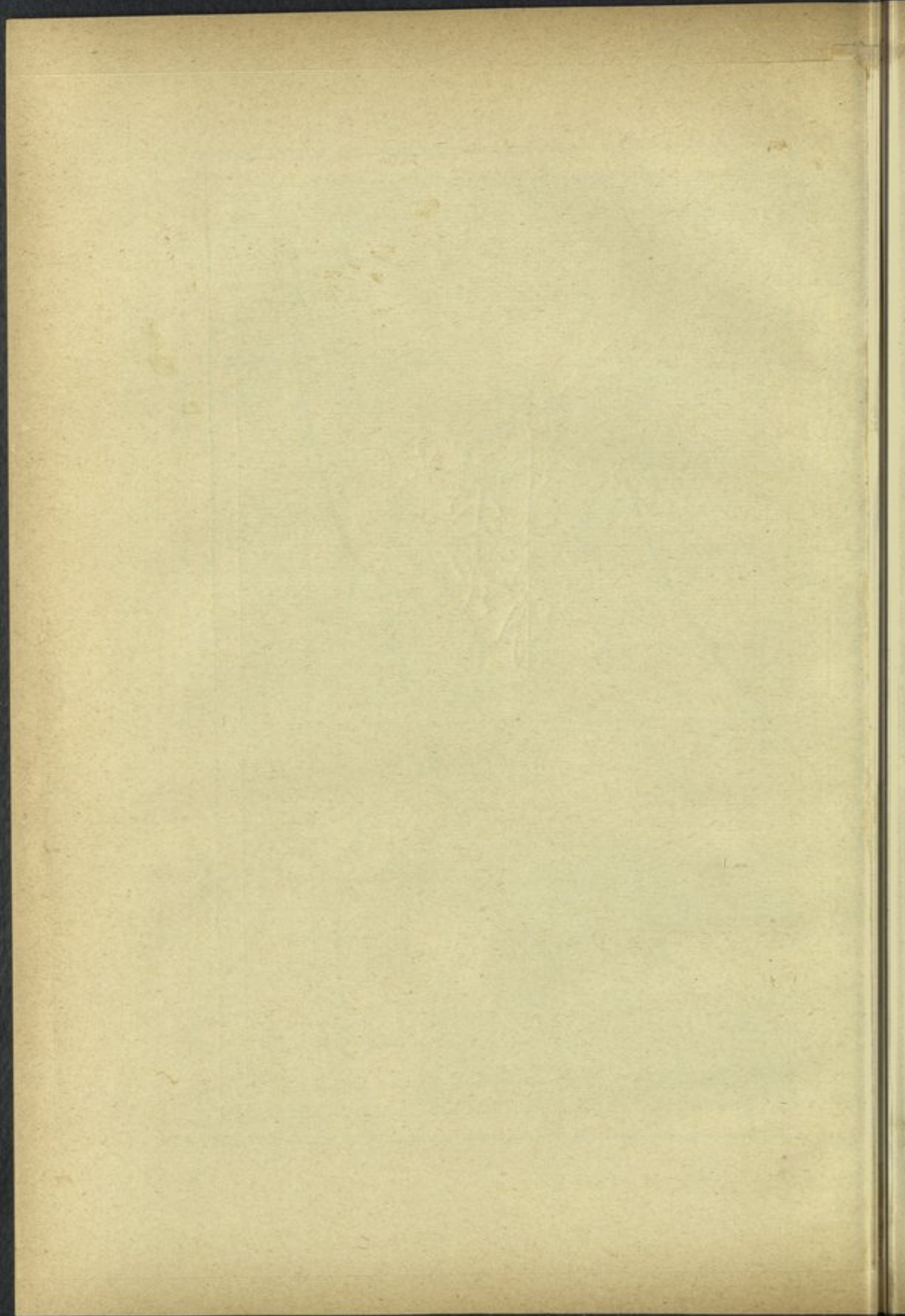
لم يبرح من بالنا بعد ان اليونان عند فتحهم لبلاد ايجيه استولوا على منطقة واقعة على تخوم الشرق كانت حائزة درجة سامية من الحضارة . ولكن لم يكن الامر هكذا مع غزاة ايطاليا الذين هم من الشعب الهندي الاوربي ، فانهم وجدوا ان عالم البحر المتوسط الغربي لم تشرق عليه شمس المدنية بعد . فكان فن البناء لا يزال غير معروف فيه . لم تكن هناك مبانٍ فاخرة ولا قلاع حصينة بل كانت الفنون والصناعات في ابسط حالاتها . ولم يكن من اثر للكتابة والآداب . وبما ان القبائل الايطالية كانت تحارب في اثنا زحفها فلا بد ان يكون سكان البلاد قد فرّوا امامها كما فرّ الايجيون امام اليونان الذين قدموا عليهم ولا تزال صور هولاء الغربيين ، ابناء اوربا في العصر الحجري ، محفوظة على آثار القرن الثالث عشر ق . م . المصرية والظاهر انهم خدموا في الجيش المصري وربما كانوا هم الهاربين الذين انهزموا امام الهجوم الايطالي في الغرب وكان سلاحهم سيوفاً هائلة من البرنز . والحقيقة انها لم تكن الا خناجر مصرية مكبّرة (ش ١٨٤) كالتي كانوا قد ادخلوا مثلها الى البلاد . وكان هولاء الغربيون الذين عاشوا قبل زمن التاريخ ماهرين في صنع الادوات المعدنية فاخترعوا السيف ^(١) الذي لا تزال اوربا تستعمله حتى الآن

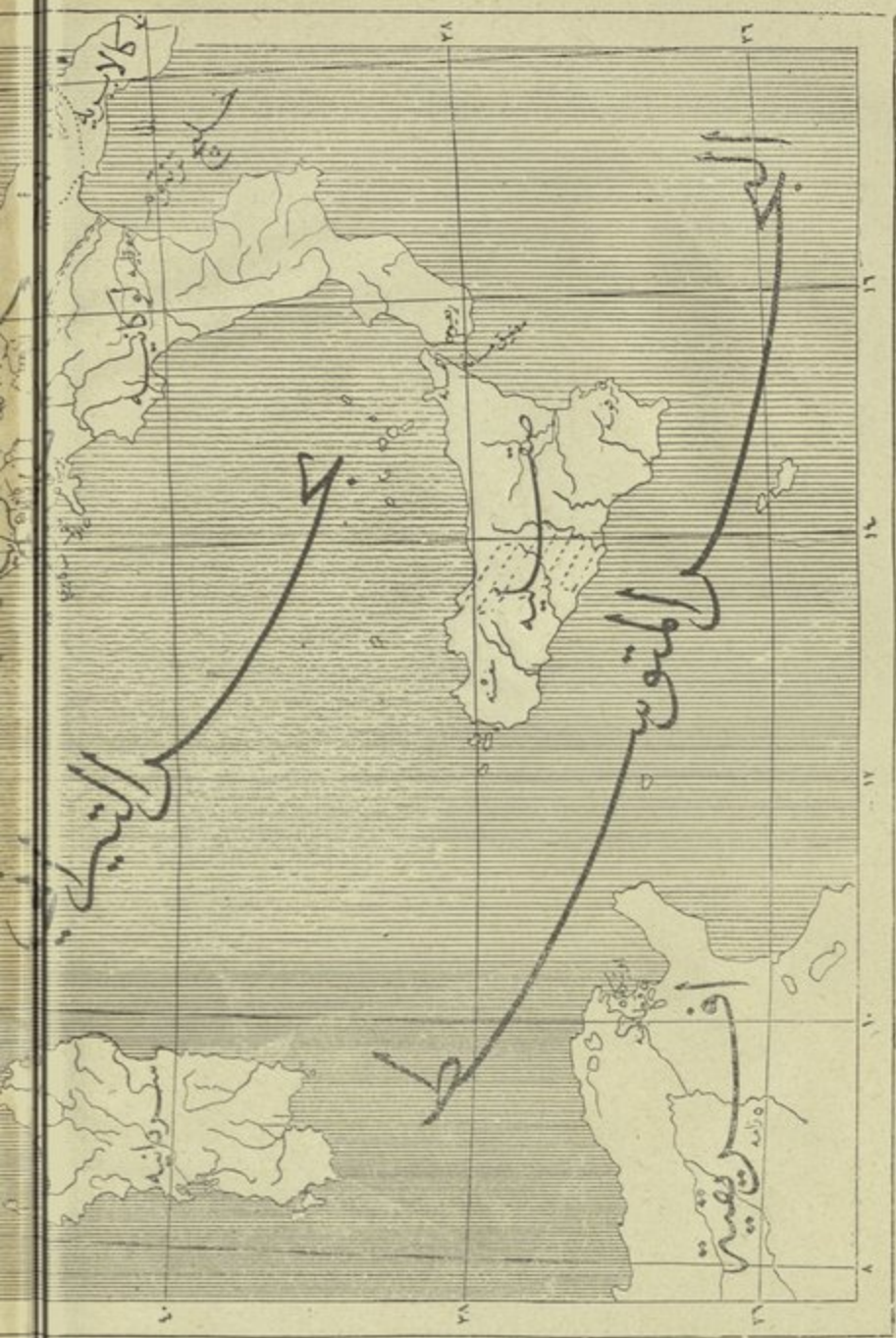
(٢٢٠٦) ايطاليا
والغرب قبل مجدها

كان في عالم البحر المتوسط الغربي ثلاثة شعوب بينهم مناخرات ومنافسات وكلهم جاء من عالم البحر المتوسط الشرقي . وبينما كان الايطاليون يتحاربون بعضهم مع بعض ابصروا جماعة من لصوص البحر البواسل المعروفين بالانترسكيين وهم شعب لا يعرف لهم منبت أسلة يرجح انهم كانوا يستوطنون اسية الصغرى الغربية . والآثار المصرية تبيننا بما قاموا به من الغارات البحرية على شاطئ الدلتا منذ القرن الثالث عشر ق . م ، في الوقت الذي ربما كانوا فيه يفادرون اسية الصغرى للتفتيش عن وطن جديد بايطاليا . وقد وجدوا هذا الوطن الجديد نحو سنة ١٠٠٠ ق . م فصدّوا القبائل الهندية الاوربية الى الوراء واستولوا اخيراً على ساحل ايطاليا الغربي - من خليج نابولي تقريباً الى جنوا يتبع ذلك قسم كبير من داخلية البلاد حتى حدود جبال الابينين ووادي الپو . فكأنه قُبِضَ لهم ان يكونوا هم المتسلطين

(٢٢١٧) انغريون الثلاثة
بعضهم لشمال
ايطاليا . الاول
الانترسكيون

(١) كان النصل المنغني ذو المجد الواحد معروفاً في الامبراطورية المصرية كما كان معروفاً في الامبراطورية الاشورية لكنه لم يستعمل الا قليلاً ولم يصرف في عداد الاسلحة التي كانت تستعملها جيوش الشرق . واما السيف ذو المحدثين ، وولد الخنجر ، الذي كان يستعمله الجيش الروماني فمن اصل غربي





البحر المتوسط

العراق

أفغانستان

الهند

البحر الأحمر

١٤٢٠

٧٨

٧٦

٧٦

٧٦

٧٦

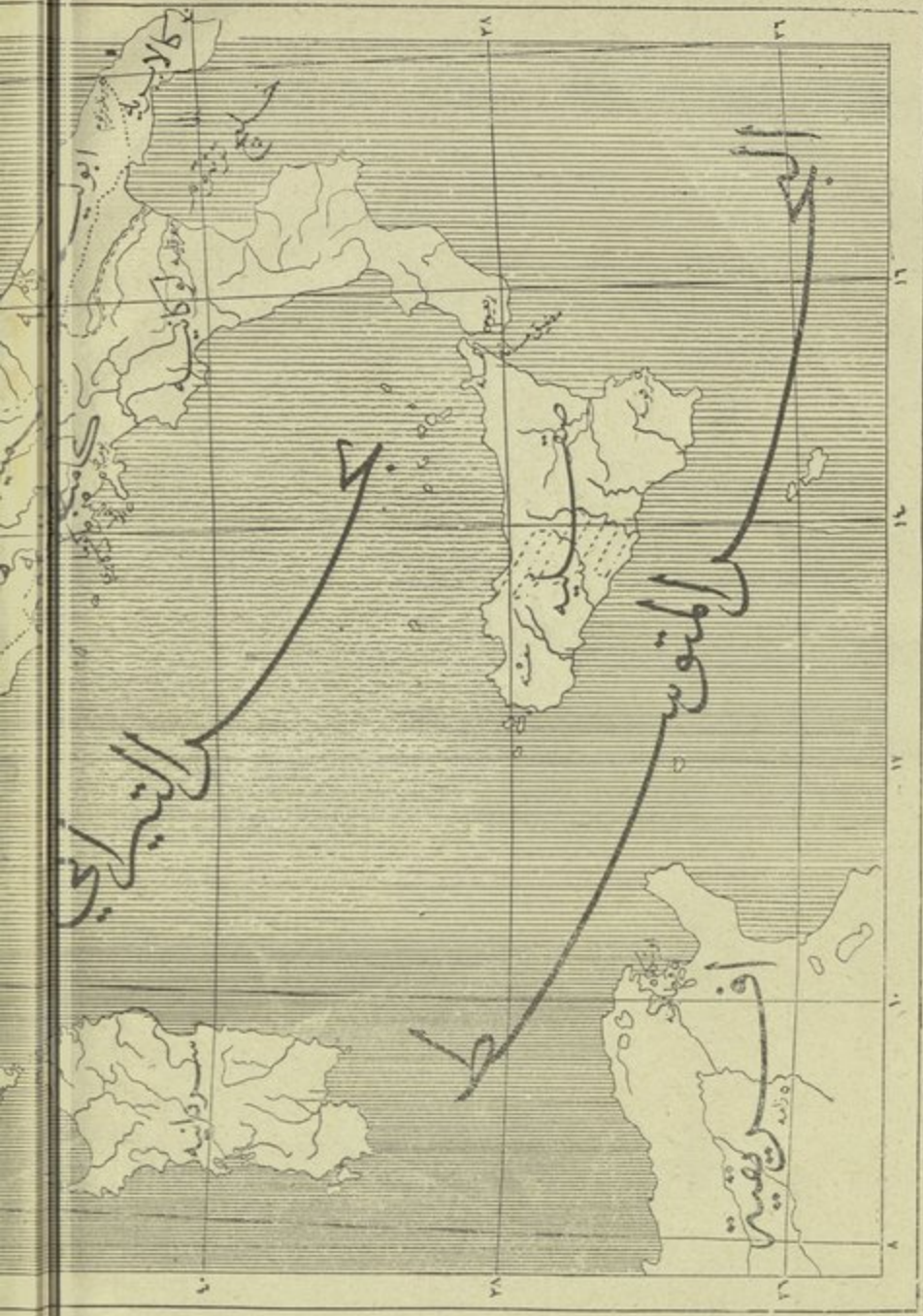
٧٦

٧٦

٧٦

٧٦

٧٦

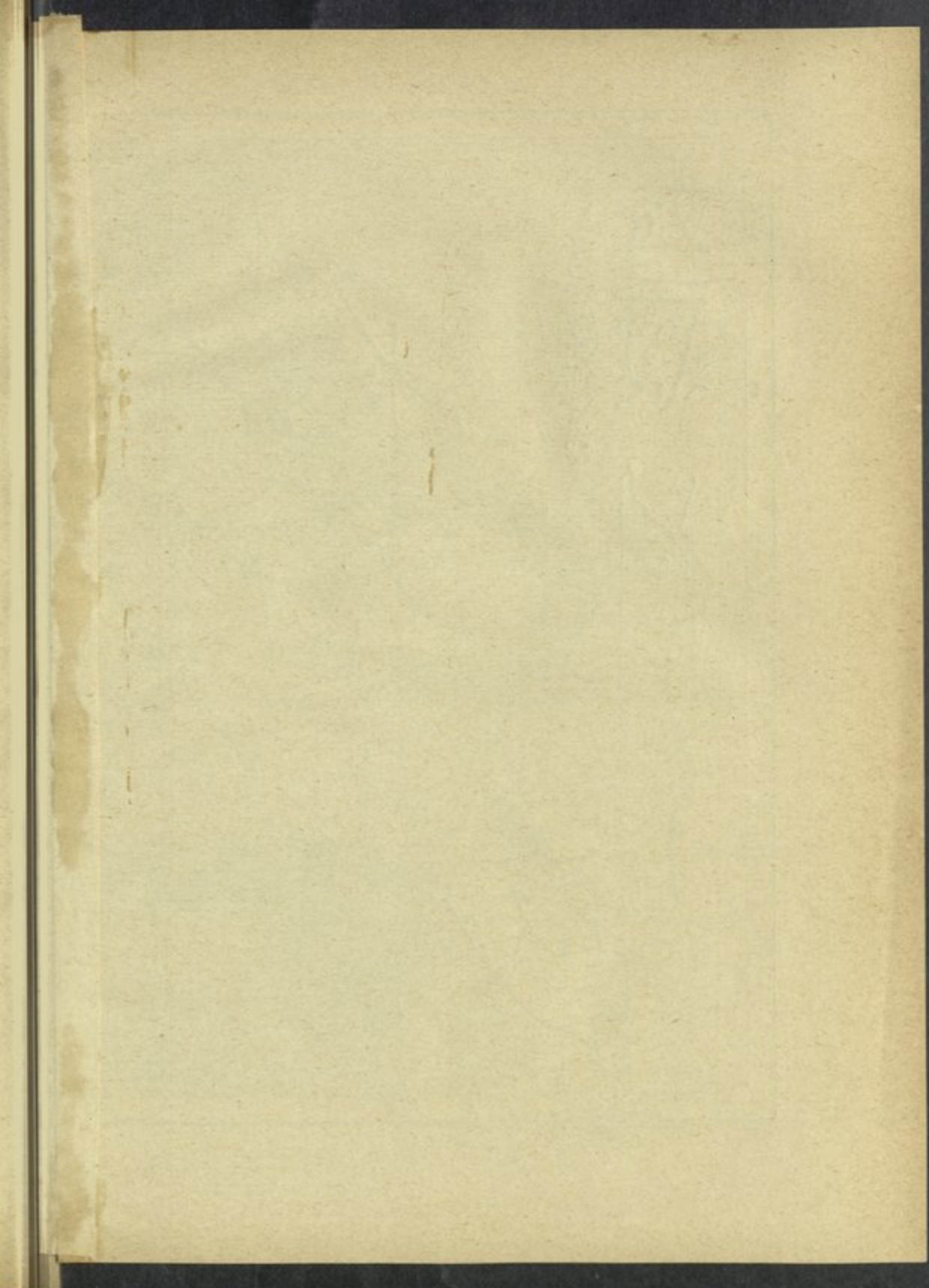


التبرك

البحر المتوسط

أفريقي

ح



على ايطاليا . وبقوا شعباً مهماً في الغرب حتى عصر التاريخ

كان القرطاجيون ثاني المزايمين الثلاثة الذين تصدّوا للقبائل الايطالية في اثناء المدة التي بلغ فيها الفينيقيون اوج نجاحهم التجاري اي سنة ١٠٠٠ ق.م. وخرجوا بتجارهم الى البحر المتوسط الغربي كما ذكرنا سابقاً (ف ٣٩٧)

وشيدوا على الساحل الافريقي مقابل صقلية مدينة تجارية هوهما قرطاجنة . ولم يضر عليها ربح من الزمان حتى صارت اهم مرفأ تجاري في الجزء الغربي من البحر المتوسط (ف ٢٣٩) وبعد امد قصير دخل في حيازة الفينيقين ساحل افريقيا الشمالي حتى حدود الاثلاثينيكي غرباً . فضلاً عن استيلائهم على جنوب اسبانيا طمحت ابصارهم الى ابتلاع جزر الجزء الغربي من البحر المتوسط ولا سيما صقلية



الشكل ١٧٧ خوذته اترسكية غنمها يونان سرقوسة لما عقد لم النزول على الاترسكيين في كومي سنة ٤٧٤ ق.م.

(٧٢٣) المصم الثالث اليونان

ان هيرودوتس اليوناني حاكم سرقوسة الطاغية كرس هذه الخوذته في اوليا كجزء من الغنمة التي غنمها من الاترسكيين في انتصاره ايجري العظيم في كومي (ف ٧٢٦) وهي الآن في المتحف البريطاني ولا تزال باقية عليها الكتابة التكريمية التي امر بنقشها عليها الطاغية السرقوسني مند الفين واربع مئة سنة تقريباً

وفيا كان القرطاجيون يحسبوا ان يستولوا على الجزء الغربي من البحر المتوسط ، رأى الايطاليون خصمهم الثالث ، اليونان ، يهاجم الغرب . وقد تبعتها قبلاً توسع اليونان ايام كانوا يؤسسون حكوماتهم الصغيرة ، التي كانت الواحدة منها مؤلفة من مدينة وارباضا ، على سواحل ايطاليا الجنوبية وفي صقلية في القرن الثامن ق.م. (ف ٤٣٣-٤٣٩) و لم تستطع هذه الحكومات ان تتحد معاً وتكون حكومة كبيرة

لان التراع الذي نشب بينها كان مانعاً قوياً كما كان مانعاً للاتحاد في بلاد اليونان الاصلية . وكانت سرقوسة اشد المدن اليونانية الغربية حولاً فتولت الزعامة عليها غير مرة ولم ننس كيف حاول الاثينيون ان يفتحوا الغرب بمجرد الاستيلاء عليها

(٧٢٤) طرد اليونان القرطاجيين من صقلية والاترسكيين من بلاد اليونان العظمى في الغرب

ذكرنا قبلاً ان هولاء الشعوب الثلاثة - الاترسكيين والقرطاجيين واليونان - هم خصوم القبائل الايطالية في الغرب ولكن يجب الا ننسى ان هذه القبائل لم تكن في بادى امرها شيئاً يعتد به فانحصرت المزاخمة بين هولاء الشعوب الثلاثة فكان اليونان في صقلية وجنوب ايطاليا ضد الاترسكيين والقرطاجيين ولم يبرح من انسا بعد ، كيف فاز اليونان في سرقوسة سنة حرب سلاميس الشهيرة فوزاً مبيئاً على القرطاجيين (ف ٥٠٤) وحلّصوا

صقلية من فتحهم لها (٤٨٠ ق م) وبعد ذلك ببضع سنين قامت سرقوسة ايضاً وهاجمت قوات لصوص البحر الاترسكيين حالما بدت طليعة اساطيلهم في البحر الجنوبي فكسرتهم ومزقتهم كل ممزق. فزى ان اليونان الغربيين قد ابلوا في الموقف السياسي بلاء حسناً اولاً بمنعهم القرطاجنيين من الاستيلاء على صقلية وجنوب ايطاليا، وثانياً بكسرهم قوة الاترسكيين البحرية



خريطة ٢٤ الشعوب المتنافسة في غربي البحر المتوسط

ان المدن اليونانية الغربية وان كانت كالمدن اليونانية الاصلية لم تستطع ان تتحد معاً وتؤلف مملكة باذخة الشأن راسخة البنيان فان تأثير عوامل مدينتها في الغرب كان من الاهمية بمكان. وما كانت هذه المدينة الا كتلك التي وقفنا على تاريخها في ما مر بنا من الفصول التي درسناها (١١-٢٠) وفي نفس الوقت الذي كان فيه لواء النصر معقوداً لسرقوسة في مواقعتها للقرطاجنيين والاترسكيين في جبهتين مختلفتين، كانت تشيد في هذه المدان الغربية الخم المباني اليونانية. وبتشديد مثل هذه المباني في عالم البحر المتوسط الغربي تجلّى فن البناء باهية مجالية. وما قيل في المباني يُقال في سائر الاشياء الاخرى التي حبتها المدينة اليونانية لهذه الاصقاع ما هو معروف لدينا الآن وغير مجهول عند غيرنا. وهكذا بعد مرور خمس عشرة سنة على استقرار القبائل الايطالية بايطاليا، نشأت الى الجنوب منها مدينة ظلت تتطور وترتقي حتى بدت بمظهر كما لها بصورة المدينة الهلينية التي انجبت ارخميدس في سرقوسة. والآن نعد الى درس الخطة التي ساكنها القبائل الايطالية في اواسط ايطاليا تحت سيادة

(٧٣٥) المدن
اليونانية الغربية
فاني عالم البحر
المتوسط الغربي
بالمدينة

رومية ونزقبتقدمها البطي في تنظيم شرونها ونمو قوتها وترقي عمرانها باحتكاكها
بالاترسكيين في الشمال ثم باليونان في الجنوب

٧٣

رومية في أول عهدها

٧٢٦) قبائل
لاتيوم على ماغسا
المدنية اللاتينية
الرئيسية

على الضفة الجنوبية او الشرقية من نهر التيبر الذي يصب في البحر عند منتصف الساحل
الغربي من ايطاليا (خريطة ٢٣) ، كان يقيم فريق من القبائل الايطالية المعروفة باسم اللاتين .
ولما جاء الغزاة الاترسكيون واحتلوا اول مرة الشطوط التي الى الشمال من التيبر كانت هذه القبائل

اللاتينية قد

احتلت سهلاً

اقل من ٦٤

كيلومتراً

طولاً في ٤٨

عرضاً ودعتة

لاتيوم التي

اشتق منها

اسمها ،

«اللاتين»

وعاش اللاتين

كجيرانهم

الايطاليين

جوالي صغيرة

متفرقة

يزرعون

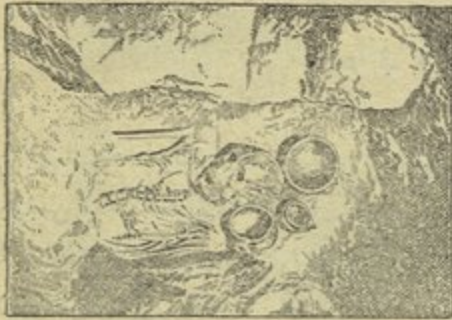


الشكل ١٧٨ النهر وجريته برومية

ليس التيبر نهر كبير ولكن حين تمدد سبيل الربيع تفيض مياهه - حتى في هذه الأيام -
على جزء من رومية وتوقع بها ضرراً جسيماً والبيوت التي تشاهد على الجزيرة بعضها قدم العهد
لكمنا ليست كرومية القديمة التي ندرس عنها الآن ولكن الجسور قديمة جداً . فالبحر القائم الى
مين الجزيرة بناءً بجارة ضخمة المالك فوريشوس سنة ٦٢ ق.م وظل ثابتاً في مكانه مدة تزيد
على التي سنة وقد عبر عليه مراراً كبرون من مشاهير الرومان المألوفة عندنا الساقم كبولوس
قيصر وغيره من مشاهيرهم

الجوب ويرعون القطمان على الانجاد والهضاب . ولما لم تكن ارضهم شديدة الحصب اضطرتهم
الحال الى الجد والاجتهاد لحفظ كيانهم . وكانت عاقبة ذلك انهم صاروا شعباً نشيطاً

قويًا . وكان مركزهم بلدة اسمها ألبانغا كانوا ينضون تحت لوانها كلما دعت الضرورة الى ذلك . وكثيراً ما كانت تدعوهم الحال الى صذ غارات جيرانهم المعادين لهم في كل الجهات وكانوا يرقبون نحو المدن الاترسكية الزاهرة على الجانب الشمالي الآخر من نهر التيبير ، وهم موجسون منها شراً . وبذلوا جهدهم ليمنعوا الاترسكيين من العبور الى الجانب اللاتيني



الشكل ١٧٩ قبر قروي قبل عصر النارنج وجد تحت
الساحة المعروفة بالقورم في رومية

ان اعمال التنب تحت هذه الساحة قد كشفت مقبرة حوت كثيراً من القبور كهذا القبر . وهيكمل العظام الذي تشاهد في الصورة هو هيكل رجل عاش قبل زمن النارنج في القرى المشيدة على قم التلال المجاورة التي اتحدت فيما بعد فتكون منها مدينة رومية (ف ٧٢٠) وترينا الادوات والاسلحة والآنية المنحوتة التي وجدت في هذه القبور ان الذين ثوبوا فيها عاشوا بعد سنة ١٠٠٠ ق.م باجمال ليست عديدة في الزمان الذي فيه شرع الحديد يحل محل البرنز (ف ٧٢٩)

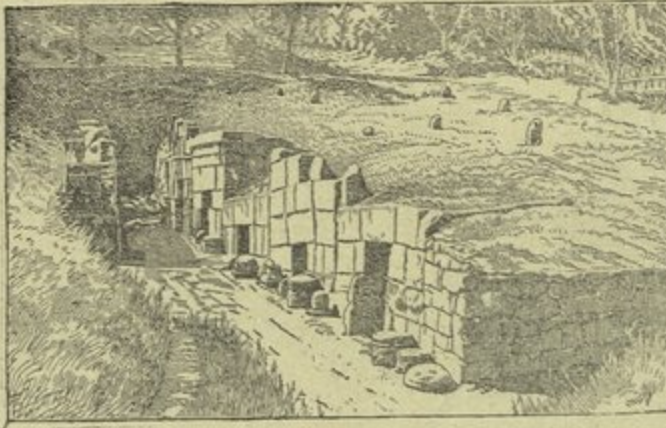
تلال اخرى مبثوث عليها بعض القرى ولكن اهمها اتل الذي شيدت عليه القلعة . والنهر الوحيد الصالح لسير السفن بايطاليا هو التيبير ولكن حين كان يصل اليه احد المراكب كان يضطر بسبب الرقارق والجسر ان يقف عن مسيره ويسو هناك . وكثيراً ما كانت تشاهد احدى السفن الاترسكية راسية . مشدودة بجبل الى الشاطئ . وهناك في العراء ، على المنخفضات العميقة التي تمدق بها الآكام ، كانت تقام سوق بجوار مقبرة قديمة لاهل القرى المذكورة (ش ١٧٩) . وهنا في هذه السوق ، بجانب المقبرة ، كان يجتمع الفلاح اللاتيني بالتجار الاترسكيين ويستبدل بقمحه او ثوره الآلات المعدنية او الاسلحة التي كان يحتاج

وحين كان اولئك الفلاحون اللاتينيون يرون انفسهم في حاجة الى شراء اسلحة او بعض الادوات الاخرى كانوا يضطرون ان يحملوا كمية من الخبطة او يأخذوا ثوراً الى سوق كانت تقام في الجانب الجنوبي من نهر التيبير فوق المستنقعات المجاورة للساحل والممتدة الى الداخل مسافة تتراوح بين عشرة اميال واثني عشر ميلاً من مصب النهر . والذي سهل عليهم عبور النهر رقة الماء ووجود جزيرة صغيرة عند هذه النقطة . وكان هناك فوق النهر جسر متين بنوه بما كان لديهم من الآلات . وكان يُشرف على الجسر رابضة شاهقة تُعرف باللاتينية كانت على قمتها قلعة مربعة الشكل لحراسة مخاضة الجسر . وكان في جوارها

(٧٢٧) ظهور
رومية القديمة

اليها. وهكذا كانت على الأرجح حالة مجموع القرى المدعومة برومية سنة ١٠٠٠ ق.م (ش ١٧٩).
ان مخاوف القبائل اللاتينية من هجوم الاترسكيين تحققت أخيراً. فان احد امراءهم
عبر التيبير ربما حوالي سنة ٧٥٠ ق.م وطرد آخر رئيس من سلسلة الرؤساء اللاتين، واستولى

على القلعة
القائمة على
الرابيسة
اللاتينية. ومن
هذا المكان
حيث كان
قصره وقلعته
ضبط شؤون
القرى القائمة
على التلال فوق
التيبر والتي
امتزجت



الشكل ١٨٠ شارع قبور انرسكية في سيربي القديمة التي لم تكن
بعيدة كثيراً الى الشمال من رومية

تدريجياً بمدينة
رومية وصارت
منها. وبسط
هولاء الملوك
الاترسكيين
سلطانهم على
القبائل
اللاتينية
حجرة الضريح او بضع حجر مثلها احياناً كانت تحنوي على تابوت موضوح فيه جنان الميت.
وكان يوضع فيه أكثر الاجيان مصوغات من الذهب والفضة واثاث وآلات والحلقة (ش ١٨١)
فضلاً عن بعض اوان للزينة (ش ١٢٦) وكثيراً ما كانت جدران الحجر مصوراً عليها مشاهد
مزخرفة مأخوذة من حياة الاترسكيين ومن اساطير يونانية كان قد تعلمها الاترسكيون من
مخالطتهم لليونان. وكان الاترسكيون الثاؤون في هذه الضرائح قبل وفاتهم ساكنين في مدينة
ذات اسوار منيعة لا تزال اخر بقاياها في الجوار. وكانوا ماهرين في صنع الادوات من البرنز
خصوصاً وكانوا يناجرون مع بلدة اسفل مدينتهم ويرمحون رمحاً طائلاً وقد وجد في احد
القبور اسم الميت منقوشاً على الجدار هكذا ترخيص الذي لا يمكن الا ان يكون طركوينوس الاسم
الذي حفظته التقاليد الرومانية كأخر ملوك رومية

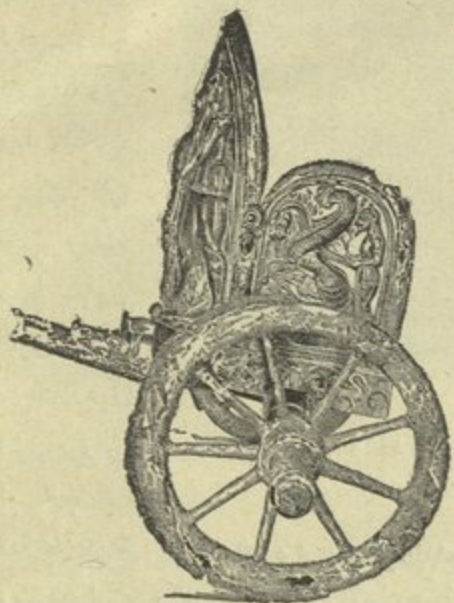
المقيمة في سهل لاتيوم. وتوارت مدينة البانفسا عن العيان بعد ان لبثت مدة من الزمان
زعيمة الفرق اللاتينية. وهكذا اصبحت رومية مملكة مؤلفة من رومية وارباضها وعليها
ملك اترسكي كباقي المدن الاترسكية التي كانت تمتد من كبوي في الشمال الى ميثاء جنوي.
ومع ان رومية بقيت قرنين من الزمان تحت تسلط الملوك الاترسكيين، ظل سكان

(١٧٩) (ش ١٧٩)
الاترسكيين على
رومية نحو ٧٥٠
ق.م

لاتيوم - وهم تحت حكم هولاء الملوك - لاتيناً وتكلموا باللغة اللاتينية (١)
 كانت السفن الاترسكية قد عرفت المياه اليونانية منذ العصر الميكانيكي وكان
 الاترسكيون يزاولون التجارة في الموانئ اليونانية وفيها تعلموا ان يكتبوا لغتهم بحروف
 يونانية . ولا يزال في ايطاليا كثير من ضرائحهم الحياوية كتاباتهم ولكن العلماء لا يزالون

١٧٢٩٦ ترسكيون
 ببلوت الذهب
 اليونانية

عاجزين عن فهم تلك الكتابات وان
 كانوا يعرفون الحروف التي كتبت بها
 ويحسنون التلفظ بكلماتها . وكان من
 نتائج اختلاطهم باليونان دخول الاواني
 الحرفية الى بلادهم (ش ١٢٦) وتعلمهم
 بوقت قصير كيف يصنعون صوراً
 مزخرفة مثلها . ولا يزال كثير من
 مثل هذه الصور يغني جدران الضرائح
 الاترسكية ويرينا كيف كان المظهر
 الخارجي للاترسكيين وللصالح الذي
 كانوا يحملونه . وبما انهم تعلموا طريقة
 استخراج النحاس من معدنه استطاعوا
 من اول عهدهم ان يجيدوا صنع
 الادوات البرتزية (ش ١٨١) حتى انهم
 فاقوا اليونان بدقة الشغل في المعدن
 امدأ يسيراً فازدهرت تجارتهم بتساج
 هذه الصناعة



الشكل ١٨١ مركبة اترسكية من البرونز

ان هذا الشغل النفيس هو اجل اثر باق يدل على المهارة
 التي بلغ اليها الاترسكيون في شغل البرونز (ف ٧٢٩) وقد
 وجدت هذه المركبة في ضريح اترسكي (ش ١٨٠) وهي الآن محفوظة
 في متحف مدينة نيويورك. وقد صنعت في القرن السادس ق م

وادخل الملوك الاترسكيون
 الى رومية تحسينات واصلاحات جمة

١٧٢٠٣ حكم
 الملوك الاترسكيون
 في رومية وطردم
 سها

(١) ما تقدم آنفاً يستحق ان الملوك الذين ملكوا على رومية (من نحو سنة ٧٥٠-٥٠٠ ق م) كانوا اترسكيين
 بلا استثناء . وما روثه التقليد عن تأسيس رومية قبل سنة ٧٥٠ ق م بقليل ينطبق على استيلاء الاترسكيين عليها
 وانشاءهم دولة منبعا الجباب . ليس لدينا اثار مكتوبة عن رومية في هذا العهد البعيد . والضرورة تقضي علينا ان
 نتي احكامنا بهذا الصدد على درسنا بقايا العاديات التي خلفها لنا الزمان في رومية ولاتيوم والجوار . ولو كانت
 هذه البقايا مع ما اقتبس الرومانيون من الحضارة الاترسكية مستندنا الوحيد فيما نقول لما قام من يتعرض على القول
 المأثور ان ملوك رومية كانوا اترسكيين . ولكن الرومانيين بعد ذلك الزمان ادعوا عملاً بتقليد اشاعه فيما بينهم

ولكن عسف الحكام حمل الناس أخيراً على رفع لواء الثورة يقودهم فيها نبلاءه الاترسكيين أنفسهم . وكانت العاقبة طرد ملوك رومية منها . وهكذا حوالي سنة ٥٠٠ ق . م . انتهى الشوط الذي جرت رومية تحت سلطة الملوك . ولكن التأثير الذي غادره الحكم الاترسكي في رومية مدة قرنين ونصف قرن ، ظلّ بعد اضمحلال الدولة بادياً في المباني والديانة وتنظيم القبائل وبعض اشياء أخرى

٧٤

الجمهورية الاولى . التقدم والحكومة

كان تأثير العوامل اليونانية - في غضون العصر الاترسكي - في لاتيوم كتأثير العوامل الاترسكية . وكانت السفن القادمة من مدن الجنوب اليونانية الى المرفأ الواقع تحت محاضة التير ، تزيد عدداً حيناً بعد آخر . وقبل ان تُطرد الملوك بامدٍ طويل ، كان التاجر الروماني قد تعلم تدريجياً معرفة اسما . بعض السلع التجارية من القوائم التي كان يسلمه اياها التجار اليونان ، وبعد امدٍ قصير صار التجار الرومانيون يقيدون مذكرات بسلمهم التجارية بالحروف اليونانية نفسها التي صارت ، بعد تغيير طفيف فيها اقتضته اللغة اللاتينية ، حروفاً رومانية ايضاً . وهكذا تقدمت حروف الهجاء الشرقية مرحلة أخرى في سفرها نحو الغرب . واخيراً صارت الحروف التي تكتب بها معظم لغات اوروبا وسائر لغات اميركا الشمالية والجنوبية . وهكذا على ايدي القرطجيين والرومانيين في الغرب ، والاراميين في الشرق (ف ٢١١) انتشرت الآن حروف الهجاء الفينيقية والحروف الاخرى التي تسلمت منها ، من الهند الى الاتلانتيكي (ش ١٢٣)

لم تكن اولاً سفن رومانية في احواض التير ولكن مع مرور الزمان تعلم بعض الصناع الرومانيين ان يبثوا سفناً مثل السفن اليونانية الراسية في مياههم . ولما اتسع نطاق

(٧٢٢) التأثير
اليوناني في بناء
اللغة . التجارة
والفنون والمباني
في رومية

بان ملوكهم الاولين كانوا من اصل روماني لانهم أنما من ان يكون ملوكهم الاولون من جنس غير جنسهم . وهذا التقليد مع ما مزجه من الحكايات المجبلة والحكايات اللذيذة أدمج في آداب اللغة ولا يزال كبيرون يعتقدون صحته . وقد يمكن ان يكون في هذا التقليد شيء من الحقيقة الا اننا لا نميل كثيراً الى ترجيح نظرنا لما لنا من البيئات المعروفة التي يتورث منها غير ذلك

التجارة الرومانية وُجد ان تأدية الحسابات المطلوبة حنطة وثيراناً، مشفة كبيرة في حين كان اليونان يودون اثنان السلع التي يبتاعونها عند المرفأ قطعاً من النقود النحاسية والفضية . وظلّ الرومان مدة طويلة - بعد ان عدلوا عن استعمال الثيران في تأدية حساباتهم - يستعملون قطعاً ضخمة بلا هندام على كل منها صورة ثور (ش ١٨٢: ١) ولم يسكّ الرومانيون نقوداً من النحاس الاّ بعد طرد الملوك الاترسكيين بمئة وخمسين سنة او تزيد (ش ١٨٢: ٢) . وبعد ذلك حين زادت علاقتهم مع المدائن اليونانية شرعوا يضرّون نقوداً فضية متخذين دراهمة اتيكا قاعدة لهم . وابتدريج اخذوا المقاييس الشرقية للطول والحجم . وهي نفس المقاييس التي كان يستعملها اليونان حين كانوا يكيلون لهم ما اشتروه منهم



(١)



(٢)

الشكل ١٨٢ نماذج من النقود النحاسية الرومانية القديمة

في زمن الاسكندر الكبير (النصف الثاني من القرن الرابع ق م) وجد الرومان ان الطريقة التي كانوا يوفون بها ديونهم شاقة جداً لانهم ولاسيما متى كانوا مضطرين ان يودوها مواشي (ف ٧٢٩) لان تأديتها سلماً اخف مشقة . ولذلك صبوا النحاس قطعاً كالتي ترى في الشكل وعليها صورة ثور بقراً (انظر القطعة (١)) للدلالة على قيمتها . وكانت هذه القطع ضخمة ولذلك حذا الرومان حذو اليونان فصبوا قطعاً صغيرة مستديرة من النحاس (انظر (٢)) وهذه ايضاً كانت ثقيلة لا ينقل وزنها عن ثلث الكيلو تقريباً فقسبوا الي اثني عشرة قطعة اصغر منها دعواً كلاً منها اوقية (uncia) وفي الرومانية (ounce) وكان لديهم قطع من النقود من وزن اوقية واوقيتين وثلاث اواق واربعة اواق وست اواق . وبعد جيلين من الزمان (سنة ٢٨٨ ق م) شرع الرومانيون يسكبون نقوداً فضية (ش ١٨٥) وعدلوا عن استعمال النحاس في تأدية الدفعات الكبرى . وصغروا حجم القطع المستديرة الثقيلة فصار وزنها سدس ما كان قبلاً

ولم ينحصر تأثير اليونان في الاعمال التجارية فقط بل تحظاها الى اشياء أخرى ايضاً . فان الفلاح سمع عن آلهة غريبة عند اليونان فقبل له انها قسيمة لهته . اما هو فكان يعتقد ان لكل قسم من الطبيعة الهماً متسلطاً عليه وكذلك كان لكل اله شأن من شؤون الحياة البشرية . فالمشترى (جوبتر) كان اله الجالد العظيم

(٧٢٢) المونرات اليونانية - الالهة

وملك جميع الآلهة والمريخ ولي ابطال الحرب ، والزهره ملكة الحب ، ويونو إلهة قديعة للجناد وحامية النساء في الولادة والزواج ، وقيستا حارسة الحياة العائلية وكانت نار موقدها

دائمة الاضطراب منذ ايام بداوة الآباء في السهول الاسيوية قبل التي سنة (ف ٢٥٧) ،
وسيريس الآلهة التي توتت امر خصب الارض وانتاجها وخصوصاً حقول الحنطة . وكان
عطارد رسول الآلهة وكانت عثائه تتجه الى حفظ المواصلات والشؤون التجارية .
وكانت الشوارع مملوءة من الحكايات اليونانية عن المغامرات والمخاطرات التي قامت بها
هذه الآلهة لما كانت على الارض وتعلم الروماني ان الزهرة (ثينس) هي افروديت
اليونانية ، وعطارد هريرس ، وسيريس ديتر وهلم جرأ

التكهنات (١٧٢٤)



الشكل ١٨٤ مثال من الرترز لكبد كان يستعملها الاترسكيون للعرافة
بحسب الطريقة البابلية القديمة

ان سطح هذه الصورة ينقسم اقساماً عدة بواسطة خطوط فيتكون منها شكل يدلنا
كيف كانت مثل الاكباد المصنوعة من الصلصال المطبوخ التي كانت شائعة بين البابليين
(ش ٦٦) فلا بد ان يكون الاترسكيون قد اخذوا هذه الصناعة عن الشرق وبرجح
انهم تعلموها في اسية الصغرى قبل مهاجرتهم الى ايطاليا

وقد رَسَخَ
فيهم هذه
الاعتقادات تأثيرُ
التكهنات
اليونانية في
عقولهم .
فالتكهنات التي
كانت تنطق بها
سبيل ، نبيه ابلون
الداني (ش ١٣٢) ،

وقعت موقعاً
سامياً لدى
الايطاليين وعداً

الرومان الكتب السيلية المجموعة ، اعلانات مدهشة عن احوال المستقبل .
وكان لديهم طريقة أخرى لمعرفة الغيب والكشف عن المستقبل جاء بها الاترسكيون من
اسية الصغرى الى ايطاليا وكانت قد اتصلت الى اسية من البابليين . فادعى الاترسكيون
انهم يرون في كبد الشاة الذبيحة علامات ورموزاً تيمط لهم الحجاب عن احوال المستقبل

الديانة (١٧٣٥)
الرومانية والفنل
الروماني
الميكانيكيات

وكان لهذه الصناعة التي ادعى اصحابها انها تكشف لهم احوال المستقبل وقع حسن
لدى العقل الروماني الرزين الذي كان يعوزه الخيال اليوناني السامي — ذلك الخيال الذي
ولدت الاساطير اليونانية الجميلة . وكان الروماني يحسب الديانة مجرد عقد او اتفاق بين الآلهة
والبشر فاذا قام هولاء بشروط العقد وجب على الآلهة ان تسبغ عليهم النعم والبركات .

فكان الديانة قائمة واجبات - كتقديم الضحايا والتقدمات - يجب لقيامها وكان القيام بها سهلاً عليه . فادراكه الدين على هذه الصورة جعله أهلاً للقيام بأعمال خطيرة في الشؤون السياسية والامور الشرعية . الا أنه لم يكن مستعداً بالطبع للابتداع في الفنون والآداب والدين ولا للاكتشافات العلمية . ولتنظر الآن في كيفية اشتراك العقل والحكمة السياسية الرومانيين لايجاد الدولة الرومانية

لما طُرد الملوك الاترسكيون من رومية سنة ٥٠٠ ق.م . قبض على ازمة الحكم النبلاء الذين كانت لهم اليد الطولى في طردهم . وتم الاتفاق فيما بينهم على ان ينتخب اثنان منهم يتوليان ادارة شؤون الحكومة ويسميان قنصلين . ويكونان متساويين في الرتبة والمقام وتدوم خدمتها سنة كاملة يتخليان في ختامها عن منصبها لاثنين غيرها ينتخبها مجلس كانت سلطة النبلاء فيه نافذة وسيطرتها عليه تامة . وقد عرفت هذه الحكومة الجديدة بالجمهورية مع انه تولى زمام الحكم فيها قناصل كانوا ينتخبون على التعاقب سنة بعد سنة من الفئة النبيلة . وبما ان حق الانتخاب للقنصلية كان محصوراً في الاشراف محظوراً على العامة كان الحكم جائراً وابتى العامة خصوصاً بين القبائل اللاتينية ان يقيموا على الضيم او يرضوا بالذل وحكم الظالمين

(٧٣٦) انقصاب
قناصل بدلاً من
الملوك . تقرير امر
الجمهورية

ولما كان الاشراف عاجزين عن القيام باعباء الدولة وحدهم دون مساعدة الفلاحين الذين كانوا يقومون بالخدمة الجندية في حروبهم المتواترة ، اتفقوا على ان يجعلوا لهم نصيباً كبير في وظائف الحكومة فمنحهم الحق بأن ينتخبوا للمجمع المختص بهم ، مجمع العامة ، فريقاً من الموظفين الجدد الذين سموهم تريبونين . وكان لهؤلاء سلطان على ان يكسروا حكم اي كان من ضباط الحكومة حتى حكم القناصل انفسهم . وما كان على المظلوم الا ان يستأنف الى التريبونيين فينظروا في دعواه فاذا وجدوه محقاً كسروا الحكم وانقذوه من الظلم ولو كان الحكم قد صدر من القنصل نفسه حتى كان في طاقتهم ان يلغوا حكم الاعداد ويخلصوا المحكوم عليه من الموت

(٧٣٧) التريبونيون
حماة الشعب

وكان في البدء جميع اعمال الحكومة تقريباً بيد القناصل . فكانوا قواد الجيش اذا استعرت نار الهيجاء ، ونظار مالية الدولة ، وقضاة المجلس في جميع الدعاوي . ولم يكن الجمع بين هذه الوظائف العديدة من الهنات الهينات فوجدوا في الاضطلاع بهذه الاعباء الثقيلة التي كانت تزيد عاماً بعد عام ، مصاعب جمّة ورأوا الحاجة ماسة الى تعيين ضباط للاشغال المتنوعة فبيّنوا موظفين لادارة المائة ستمي الواحد منهم «إكوستر» ومأمورين اثنين

(٧٣٨) زيادة
عدد موظفي
الحكومة

لاحصاء نفوس الشعب وحفظ قوائمها، ولتخمين الضرائب المختلفة على الافراد، وتعيين حقوق الاقتراع او التصويت في الانتخابات العمومية، ولمراقبة تصرف الشعب حتى لا يقع منهم شيء محظور. وعين قاض سُمِّي «بريتورا» ليسانع القنصل في رؤية الدعاوي المرفوعة اليه. ثم زاد عدد القضاة تدريجياً. وحين كانت تشتد على الامة الخطوب كانت تعين قائداً تضع كل ثقها فيه تنصبه رئيساً للدولة وتسميه «دكتاتوراً» جاعلة سلطته مطلقة فوق كل سلطة أخرى ولكن كانت مدة توليه السلطة قصيرة الامد

(٧٣١) مجلس
الاشيوخ ونسوة
البلاد

وكان للقناصل سلطة ونفوذ عظيمان في جميع شؤون الحكومة ولكنهم كانوا تحت سيطرة مجلس الاشراف المعروف بمجلس الشيوخ (السناتوس) الذي وجد منذ عهد الملوك الاترسكيين وكان مرجعاً لهم يستشيرونه في كثير من مشاكلهم. وكان للاشراف وخدمهم الحق بتولي منصب القنصلية والترتب في مجلس الشيوخ والتعيين في اية وظيفة في الحكومة (ف ٧٣٨) فالسلطة التي كان الاشراف قابضين على زمامها كانت اعظم جداً من سلطة العامة. وهذا هو الظلم بينه

(٧٤٠) النزاع
بين العامة والخاصة

راينا (ف ٧٣٧) قبلاً انه كان للتريبونيين سلطان على حماية العامة من بعض المظالم وانقاذ من كان قد حُكم عليه بالاعدام ظالماً ولكنهم لم يكونوا ذوي سلطة تمكنهم من ان يضمنوا لاحد من العامة الحصول على جميع ما له من الحقوق. فلم يكن في وسعهم مثلاً ان يعيدوا لمواشي العامة العشب بعد ان تكون قد رعته قطعان الخاصة من المراعي العمومية ولم يستطيعوا ان يكفوا لاحد من العامة الحصول على منصب القنصلية او العضوية في مجلس الشيوخ او التزوج من ابنة احد الخاصة. ولذلك عاد النزاع الذي كان قد انتهى بتعيين التريبونيين - نزاع غرضه الخصوصي ان يحصل العامة على حقوقهم من الخاصة - ذوي الثروة والقوة. وقد كان نزاعاً اشبه بالذي كان في اثينا وسائر الحكومات اليونانية الاخرى. الا انه في رومية حُسم باسلوب افضل واحكم. هنا اعتصب الرعايا الرومانيون معاً ووقفوا كرجال يطالبون بحقوقهم المهضومة فنالوا معظمها في غضون القرنين الاولين من تأسيس الجمهورية بدون حرب اهلية ولا سفك دم على الاطلاق

(٧٤١) كتابه
الشرائع القديمة
وسأله الشرائع
الجديدة

والخو اطلب كتابة الشرائع لكي يعلموا متى حوكموا بآية شريعة يحاكون، فكان لهم ما ابتغوه فكتبت الشرائع الرومانية القديمة اولاً ثم حُفرت على اثني عشر لوحاً من البرنز (٤٥٠ ق.م) بعد تأسيس الجمهورية بنصف قرن. ولم يكتف العامة بذلك بل طلبوا ان يكون لهم نصيب في سن شرائع جديدة وان يكون لهم مجمع يحق له ان يقرر شرائع جديدة

وبعد ان رفعت مجامع الشعب سلطة مجلس الشيوخ عنها وسيطرتها على اعمالها صارت هي تسنُ الشرائع للدولة الرومانية . وبذلك حصل العامة تدريجياً على نصيب عادل من الاراضي العمومية وعلى حقوق اجتماعية اكثر من ذي قبل . واهمُّ من كل ما ذكر ان هذه القوانين الجديدة فتحت لهم الابواب لولوج الوظائف التي كانت موصدة في وجوههم فصار ينتخب منهم مديرو المال ، ومأمورو النفوس ، والقضاة حتى القناصل صار يجوز انتخابهم منهم وصار منهم اعضاء في مجلس الشيوخ

(١٧٤٦) سلطان
بجامع العامة على
سن القوانين .
سهم فواين لساواة
بين الخاصة والعامة

وصحب زيادة قوة العامة تطورات مهمة في الهيئة الاجتماعية والحكومة . كان الرومانيون يحترمون الحكومة وموظفيها احتراماً شديداً . وكان القنصل الروماني اذا برز امام الجمهور يصحبه اثنا عشر من الحجاب يحملون شارات الدولة ويبد كل منهم حزمة عصي . اشارة الى ان للقنصل سلطاناً ان يجلد المحكوم عليهم بجرائم . وكان يتأ من بين العصي فأس رمزاً الى سلطانه ان يحكمم بالاعدام على مستحقه . وكان يتبع ارباب الوظائف العليا الاخرى عددٌ من الحشم اقل من عدد حجاب القناصل . وكان القناصل وكبار الموظفين يرتدون حلاً بيضاء حواشياً من الارجوان . وكان التردّي بهذا النوع من اللباس محظوراً على سواهم . وكان اذا عزل احد الحكام من منصبه يحتفظ بجلته الرسمية ويحقي له التردّي بها ايام الاعياد . وبعد امديسير ، نشأت طائفة من الأسر من طبقات العامة ولكنها امتازت بما قامت به من الخدم الجليلة للامة والبلاد فصار ينظر اليها الرومان نظرة التجلة والاعظام . وحين كان يدعى الذين لهم حق التصويت لانتخاب المرشحين للوظائف ، كانوا يؤثرون اعضاء هذه الاسر الممتازة بفضلاها على غيرهم . وهكذا تألفت طبقة جديدة من الاعيان قوامها الاسر النبيلة القديمة وهذه الاسر العصامية الجديدة

(١٧٤٦) طبقة
جديدة من نواب
وامام الاحكام قنلاً

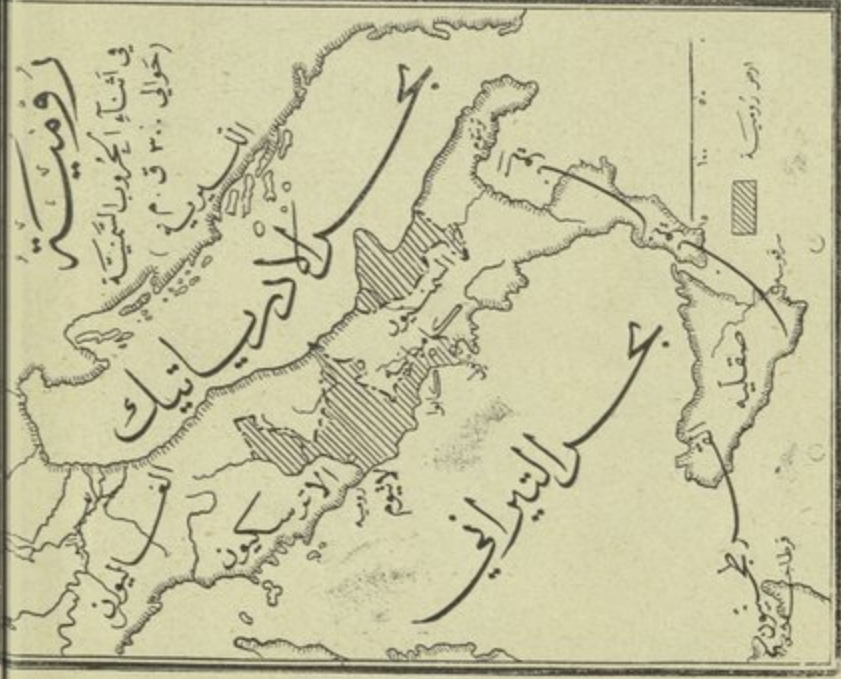
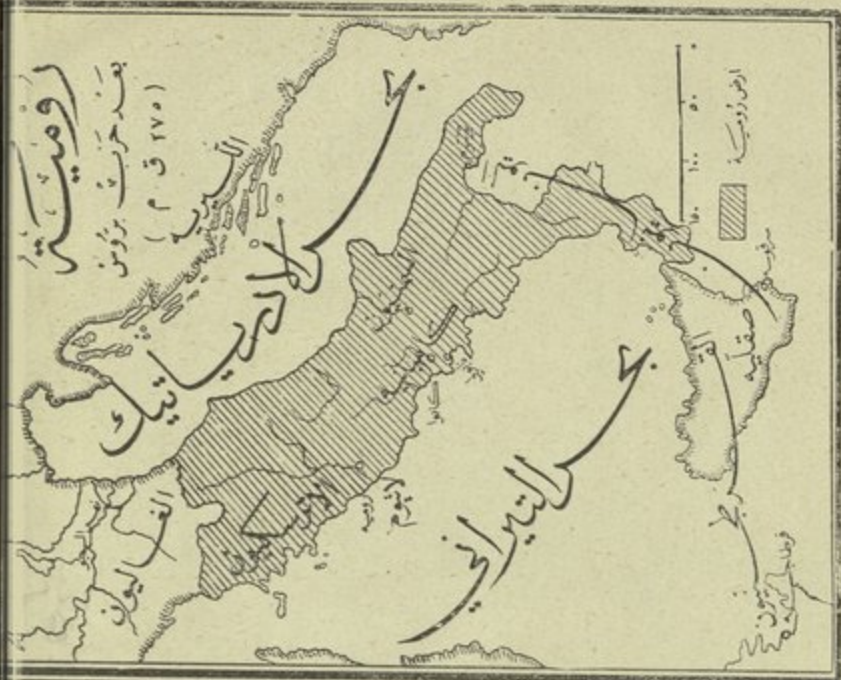
وكان لهذه التطورات الجديدة تأثير ظاهر في حالة مجلس الشيوخ الذي كان اعضاءه فيما مضى ينتخبهم القناصل من الخاصة . ولكن بموجب القانون الجديد قوض الى مديري الاحصاء ان يؤثروا ، في الانتخاب ، الذين كانوا قبلاً حكاماً . وهكذا دخل مجلس الشيوخ الطبقة النبيلة الجديدة التي اصلها من الذين كانوا حكاماً من طبقات العامة ، وادخلت اليه دماً جديداً من جميع رتب الشعب

(١٧٤٦) سيطرة
العمال الجدد على
مجلس الشيوخ

وكانت نتيجة هذه التبديلات ان تألف مجلس الشيوخ من رجال رومية الثلاث المئة الذين كانت لهم الخبرة التامة في ادارة شؤون الحكومة والاحوال العمومية وعظم نفوذهم على ر السنين الى درجة عزّ عندها على القنصل التصدي لهم . وبعد ان كان القنصل يبلغ

(١٧٤٥) مجلس
الشيوخ نسوق
القناصل

ت
من
نده
مار
م
ن
ور
لی
لی
ن
اء
ذا
مد
ن
ن
ه
ر
ن
ی
س
ن
ت
م
ن



1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100

اعضاء المجلس رغائبه والشرائع التي يرغب في ان تسنّ ووجد نفسه مضطراً ان يعمل بما يقترحه عليه المجلس او يأمره باجرائه . فامسى القنصل عاملاً للمجلس يسير الحكومة في المنهج الذي يتخطه

(١٧٤٦) مجلس
الشيوخ بسطرا على
من القوانين

وزاد نفوذ هذا المجلس من وجهة أخرى هي وجهة سنّ النظم والقوانين . فان مجامع العامة ، وان كان لها الحق في تقرير القوانين لم يكن في سلطانها ان تقترح قانوناً جديداً . فكان لهذه المجامع حق التصويت فقط على القانون بعد اقتراح الحاكم له وخصوصاً اذا كان احد التربيونيين . وكان نفوذ المجلس عظيماً وسيطرته على الحكام قوية حتى كانوا مضطرين الى مفاوضته بشأن كل قانون جديد كان يقصد طرحه امام مجامع الشعب للنظر فيه وتقريره . فكان في سلطان الشيوخ ان يصدوا اقتراح اي قانون لم يستحسنوه

(١٧٤٧) مجلس
الشيوخ الروماني
سجد الدولة الاعظم

وكان السواد الاعظم من رعايا الدولة الرومانية يقيمون في اماكن بعيدة عن رومية ، حتى انهم لم يتمكنوا من المجيء الى المدينة لاعطاء اصواتهم حين الانتخاب . وبنا انهم كانوا شاعرين بانهم يجربون الاحوال العمومية رغبوا في ان يتولى مجلس الشيوخ جميع المسائل العمومية الخطيرة ويكون له القول الفصل فيها فاصبح هذا المجلس لجنة كبيرة مؤلفة من خبراء رجال السياسة تدير دفة السياسة وتتولى زمام الامر والنهي في الدولة الرومانية . وتنظّم منهم اعظم مجلس حكومة نشأ في الزمان القديم وبنوا لم ينشأ مثله في عصر من العصور . كان اعضاؤه من الطبقة الارستقراطية وجاوسهم على منصة الحكم في رومية جعلها دولة ارستقراطية رغماً عن شكلها الجمهوري . وسرق في النصول التالية تقدم الدولة الرومانية تحت زعامة مجلس الشيوخ الحكيمه وسياسته الرشيدة . ويجب ان لا ننسى ان قوة هذا المجلس لم تحصل دفعة واحدة بل سارت على سنة النشوء والارتقاء . واستمرت تنمو حتى في زمن الحروب والفتوح التي سنتقني تاريخها الان

تبسط الجمهورية الرومانية وفتح ايطاليا

ان الامة التي بدأت خلة حياتها بعد طرد الساوك الاترسكيين (نحو ٥٠٠ ق. م .)

وهي تجبل مصيرها، كانت اولاً امة صغيرة جداً لا يعباؤها . فلم تكن الجمهورية الرومانية في بدء نشأتها الاً عبارة عن مدينة رومية والحقول المجاورة لها الى مدى بضعة اميال حولها . وكان يقيم على الجانب الواحد من النهر الاترسكيون الذين يحشى بأسهم وعلى الجانب الآخر الروماني ، حول الجمهورية الصغيرة ، القبائل اللاتينية (ف ٢٢٦) التي كانت قد اتحدت معاً وألفت مادته حينئذ بالتحالف اللاتيني وعقدت معاهدة مع الجمهورية الاً انها واهنة

(١٧٤٨٦) الخالف
اللاتيني والمعاهدة
مع رومية

وبقيت الجمهورية الجديدة مدة حياة جيلين تجاهد للمحافظة على كيانها . ولحسن حظها ، دمر اسطول سرقوسة اسطول اعدائها الاترسكيين تدميراً تاماً في غضون الجيل الاول لتأسيسها (٤٧٤ ق.م .) (ش ١٧٧) وبعد ذلك هاجم ساقية الاترسكيين الغاليون الذين كانوا في هذا الوقت يتدققون من مضائق الالب تدققاً الى وادي الپويبيثون في مدن الاترسكيين الشمالية فساداً ويخربون كل ما تصل اليهم ايديهم والمرجح ان ايهسان قوى الاترسكيين بمنارة اعدائهم لهم في الشمال والجانب آل الى نجاة رومية من التدمير . وفي سنة ٤٠٠ ق.م . او بعدها بقليل كان الرومان قد افتتحوا اراضي جديدة تحديق ببلادهم من جهاتها الاربع فكانت حمى لهم ولببلادهم

(١٧٤٩٦) المازعات
الاول للجمهورية
سبع جبرامسا
الاترسكيين واللاتين

وكان من سياسة الرومان ان ينشئوا في الاراضي الجديدة التي كانوا يستولون عليها جوالي من رعاياهم الرومانيين الاصليين . الاً انهم كانوا احياناً بدلاً من ذلك يمنحون سكان الاراضي المفتحة جديداً الحقوق الرعية او يولونهم امتيازات أخرى مهمة . ولما رأى الفلاحون الرمانيون انه يحق لهم حمل السلاح الروماني وان لهم حقوق الرعية الرومانية لم يستنكفوا ان يترحلوا الى اطراف اراضي دولتهم التي كانت آخذة في التبسط والتوسع . وكانت سياسة التبسط والتوسع الزراعي التي كان يؤيدها مجلس الشيوخ مرعية الجانب لانها مكنت رومية ان يكون لها من رعاياها عدد كبير من الجنود الاشداء . الذين يحرقون اراضيهم بايديهم . واذا اهاب بهم داعي الحرب في اي وقت كان غادروا مزارعهم وفلاحتهم وتهافتوا على حمل سلاحهم للذود عن دولتهم التي كانت تحميهم من الضيم . فزى من ذلك ان السياسة الرومانية كانت مخالفة لسياسة الجمهوريات اليونانية الحرقاء . التي كانت تحظر حقوق التابعية على اتباعها في الخارج . وكانت نتيجة سياسة التوسع هذه التي انتهجتها الحكومة الرومانية ، ان صيرت جمهوريتها الصغيرة ، بعد طرد الملوك الاترسكيين ، بقرنين او اكثر قليلاً سيدة ايطاليا كلها

(١٧٥٠٦) الامتعار
الزراعي والتوسع
سياسة رومانية

(٧٥١) استيلاء
الغالين على رومية

استهل القرن الثاني من عصر التوسع الروماني بكارثة مخيفة كانت تؤدي بحياة الامة. ففي العشرين سنة التي عقت سنة ٤٠٠ ق.م. بلغ الغاليون البرابرة الذين كانوا يكتسحون بلاد الاترسكيين، (ف ٧٤٩) التبير الاسفل وكسروا الجيش الروماني ودخلوا المدينة (٣٨٢ ق.م) واعلموا فيها ايدي النهب والنار ولما لم يستطيعوا الاستيلاء على الحصن القائم على تل الكابيتول رضوا ان يأخذوا فدية من الذهب ويرتدوا الى الشمال ويتلوا بوادي الپو ولكنهم حتى في هذا المكان ظلوا خطراً كبيراً على الرومان

(٧٥٢) اغتصاع
القبائل اللاتينية

ولما استعادت رومية قوتها بعد الكارثة التي ألمت بها رأت ان لا بد للمدينة من التحصين . فطوّقتها للمرة الاولى بسور من حجر فاصبحت على جانب عظيم من المناعة . فراع ذلك جماعات اللاتين ووجسوا في نفوسهم خيفة من نحو قوة رومية فغارلوا ان يتصلوا من سلطة المدينة المسورة المنيعه فنشبت حرب بين الفريقين دامت سنتين كانت عاقبتها لرومية فنالت الزعامة اولاً على اللاتين ثم بعد ذلك على ايطاليا كلها

(٧٥٣) تنوير
الزعامة على اليونان
واللاتين في نفس
السنة (٢٢٨ ق.م)

ان سنة ٣٣٨ ق.م. التي وقعت فيها هذه الحادثة المهمة لتاريخ يستحق ان يذكر لانه فيه انكسرت المدن اليونانية امام قوات فيلبس المكدونى (ف ٦٢٩) ورأى اليونان واللاتين انفسهم مقهورين وكل شعب منها واقع تحت رئاسة حكومة واحدة - الشعب اليوناني تحت رئاسة مكدونية واللاتين تحت رئاسة رومية . الا ان زمام الرئاسة على اليونان كان بيد رجل فذ عرضة للهلاك - وقد هلك فعلاً - حالة كون زعامة اللاتين في ايطاليا كانت بيد جماعة من مهرة القادة في مجلس الشيوخ الروماني الذين في غضون خمس وستين سنة تولوا رئاسة ايطاليا برمتها

(٧٥٤) الحروب
السنية ٢٢٥ -
٢٩٠ ق.م. ومعركة
مالتينوم

وفي اثناء ذلك بدا لرومية عدو مخيف من القبائل اللاتينية ، قوم يُعرفون بالسمنيين كانوا قد اخذوا يستولون على جبال الداخلية من املاك رومية . وقد كانوا على جانب من المدنية اقتبسوه عن المدن اليونانية في جنوب ايطاليا . وكان في طاقتهم ان يعبثوا جيشاً عرمرماً من الفلاحين الاشداء ذوي البأس اذا شئت نار الوغى . وفي سنة ٣٢٥ ق.م. نشبت حرب عوان استمرت جيلاً كاملاً خسر الرومان في اثنتائها بعض معارك . وحاول السمنيون ان يوحدا قوى اعداء رومية لمثاوتها فنقلوا جيشهم الى الشمال لكي ينضموا الى الاترسكيين والغالين . واشترك في هذه الحرب جميع الجزء الاوسط من ايطاليا ومعظم شمالها . والتقى جيش الرومان جيوش الحلفاء بين الجبال في منتصف المسافة بين التبير الاعلى والساحل الشرقي من ايطاليا فسبّت في سانتينوم سنة ٢٩٥ ق.م. بين الفريقين معركة شديدة

دائمة دارت فيها الدائرة على الحلفاء فتحطمت قواتهم تحطياً وتقرّر بهذه المعركة مستقبل إيطاليا مدة التي سنة . ولم يغم الرومان بهذه المعركة اواسط ايطاليا فقط بل اصبحوا القوة العظمى في شبه الجزيرة كلها

ولم يعد في طاقة الاترسكيين من الآن فصاعداً ان يحتفظوا بما كان لهم من الزعامة القديمة في البلاد . فانتزع منهم الرومان مدنهم الواحدة تلو الاخرى . والتي لم تنتزع منهم بالقوة دخلت في حوى رومية وعقدت معها عهداً مسيراً لا محذرة . وغلب الغاليون على امرهم وصدّوا الى الورا . فتحوّل تيار غزواتهم الى الشرق والجنوب الشرقي الى شبه جزيرة البلقان كما رأينا قبلاً (ف ١٦٦) الا ان الغاليين المتوطنين ظلوا مقيمين في وادي الپو . وكان التخم الشمالي للفتوحات الرومانية واقعاً الى الجنوب من جبال الپنين على طول نهر ارنوس فامتدت سيادة الرومان من هذا النهر في الشمال الى المدن اليونانية في جنوب ايطاليا

(٧٥٥) رومية
سيدة اواسط ايطاليا
وشمالاً الى نهر
ارنوس ورايه
سنتيمون

واصبح الخصوم العظام في العالم الغربي الآن ثلاثة ، الرومان واليونان والقرطاجنيون . اما مدن اليونان في الوطن الاصلي فكانت تحت سلطة خلفاء الاسكندر تتقاتل وتتطاحن طمعاً بالاستيلاء على الاجزاء التي تقسّمت اليها مملكته (فصل ١٩) . واما رومية فكانت دائمة في جعل نفسها زعيمة ايطاليا . واما المستعمرات اليونانية الغربية (ف ٤٣٦-٤٣٧) فبعد نزاع دام بينها اربعة قرون ، ظلت كما كانت مقطعة الاوصال مبعثرة على سواحل جنوب ايطاليا وصقلية . ولكن راعها تبسط الرومان وتعاضم قوتهم خاوت ان تتحد معاً ودعت لتجديتها البطل المغوار برّوس ملك ابيروس

(٧٥٦) عمارة
اليونان الغربية
ان تقدياً ضد
رومية

وكان برّوس عدواً مخيفاً جداً لان جيشه كان مدرباً وقويماً ولانه هو كان جندياً ماهراً بالفنون الحربية وقد عزم على ان يؤتف امة عظيمة من اليونان الغربيين في ايطاليا وصقلية . ولو صحت احلام برّوس في تأليفها لكانت خصماً شديداً لكلمتنا المدينتين رومية وقرطاجنة . وكسر برّوس الرومانيين في معركتين وهزمهم شرّ هزيمة واستولى على جزيرة صقلية كلها . وكاد مسعاه في تأليف مملكة يونانية غربية قوية ينجح لولم يفاجئته من المصاعب الخطيرة ما لم يكن بحسبانها . فان القرطاجنيين اوجسوا شراً من قيام خصم مخيف على بعد بضع ساعات من ميناء بلادهم الاصاية فارسلوا اسطولاً لمظاهرة الرومان على برّوس . فلما رأى برّوس ذلك ارسل سفيراً من قباه الى رومية يعرض شروط الصلح على مجلس شيوخها فأبى هذا المجلس حين عاين الاسطول القرطاجني عند مصب التيرس ان يعقد صلحاً معه ما دام جيشه محتلاً لارض ايطالية . وفي الوقت نفسه اختصم اليونان بعضهم مع بعض جرياً على

(٧٥٧) الحرب
مع برّوس (٢٨٠)
٢٧٥ ق ٢٠

عادتهم عند اشتداد الخطوب فارتد بروس بن صقاية . ولما رأى نفسه عاجزاً عن ان يكسر الرومانيين كسرة لا تقوم لهم بعدها قائمة عاد الى بلاده ايروس

ثم سلمت المدن اليونانية التي اصبحت بعد عودة بروس بلانصير، الى الجيش الروماني،
الواحدة تلو الاخرى بلا شرط واتحدت مع الرومانيين . نخب الامل بتأليف امسة يونانية
عظيمة في الغرب . وفي غضون قرنين وربع قرن من الزمان (٥٠٠ - ٢٧٥ ق.م .) بسطت
الجمهورية الصغيرة سيادتها على شبه جزيرة ايطاليا كلها جنوبيّ البو ولم يبق في العالم الغربي
من البحر المتوسط الا خصمان رومية وقرطاجنة . وفي تبعتها النزاع الذي نشب بينها ولم
يكن منه مناص ، للحصول على السيادة في عالم البحر المتوسط الغربي مدة الجيلين التابعين ،
نكون كأننا نشاهد حرباً مستمرة بين الصنين العظميين ، الصف السامي والصف الهندي
الاوربي اللذين سبق الايمان اليهما (ش ٨٣) ، واكننا قبل ان نأتي الى درس تاريخ هذا
النزاع يجب ان نعرف اكثر عن اخلاق الشعب الروماني وعمران الدولة التي انشأها في ايطاليا
هذا الشعب الذي برأ الجمهورية الصغيرة عرش السيادة في ايطاليا وكان اول جيل من
الرومانيين . وقد ابقى لنا الدهر معلومات كثيرة عنه تمكننا من معرفة احواله جيداً

(٧٥٨) امسلكه
رومية لكل شبه
جزيرة ايطاليا
والنزاع بين رومية
وقرطاجنة من جراء
ذلك

مسائل

٧٢

كيف ينقسم بحر الروم ؟ في اي قسم نشأ العمران ؟ ولماذا ؟ صف ايطاليا . قل ما
تعرفه عن اقدم الهجرات اليها ودخول المعدن . اية قبائل من الجنس الهندي الاوربي دخلت
اطاليا ومتى ؟ هل وحدوا فيها عمراناً ؟ اي نوع من السلاح اخترعت شعوب البحر المتوسط
الغربي ؟ من هم الحصوم الثلاثة ، للقبائل الايطالية ، الذين دخلوا البلاد ؟ ماذا تعرف
عن دخولهم ؟ ماذا فعل اليونان ضد القرطاجنيين والاترسكيين ؟ هل انضم يونان
الغرب امه واحدة ؟ باذا اتوا الى ايطاليا ؟

٧٣

صف لاتيوم . اية قبائل استقرت فيها ؟ اية بلدة كانت اولاً مسيطرة على الكل ؟ اين كانت سوق اللانين ؟ من زاول التجارة هناك ؟ صف المكان . ماذا دُعي من استولى عليه في القرن الثامن ق.م ؟ اية سلالة ملكية نشأت ؟ صف حكمهم ومدنيتهم .

٧٤

من اين حصل الرومان على حروفهم الهجائية ؟ اية مؤثرات او عوامل يونانية أخرى تستطيع ان تذكر ؟ اية نوع من العرافة مارس الاترسكيون والرومان ؟ ماذا تعرف عن افكار الرومان الدينية ؟ من خلف الملوك الاترسكيين في حكم رومية ؟ اية نوع من الحكام انتخب الشعب لحمايته ؟ اية مجلس عظيم تنظم ؟ لمن كان الحق غير المنازع فيه في ان يتولى منصب قنصل ويجلس في مجلس الشيوخ ؟ صف مجامع العامة . لمن كان السلطان على سن القوانين ؟ اية طبقة من الاشراف ظهرت الآن ؟ كيف تسلطوا على مجلس الشيوخ ؟ وكيف تسلط هذا المجلس على الحكومة ؟ ماذا تقول في هذه السيادة ؟

٧٥

اية علاقة كانت بين رومية والقبائل اللاتينية حواليها ؟ ماذا جرى للاترسكيين بعد سنة ٥٠٠ ق.م ؟ صف سياسة مجلس الشيوخ الروماني في المستعمرات . قل ما تعرفه عن مجيى الغالين . ماذا حل بالتحالف اللاتيني سنة ٣٣٨ ق.م ؟ ماذا

حدث في بلاد اليونان في السنة نفسها ؟ من هم السمينيون ؟ صف قتال الرومان معهم .
 اية معركة كانت خاتمة القتال ؟ ومتى نشبت ؟ هل استطاع يونان الغرب ان يتحدوا
 على رومية ؟ ماذا فعلت تارنتم ؟ أعد ذكر الحرب مع برؤوس . ماذا جرى ليونان
 ايطاليا بعد عودة برؤوس الى بلاده ؟ كم من الزمان لزم رومية للحصول على الزعامة
 في ايطاليا برمتها ؟



الشكل ١٨٤

يرينا هذا الشكل رسوم رجال الحرب الذين كانوا قبل عهد التاريخ في غرب البحر
 المتوسط في القرن الثالث عشر ق.م. لاحظ سيوف البرنز النيلة المعقوفة الرؤوس الى اليمين.
 وما في الأختاجر مصرية مطولة (ش ١٠٠ اوف ٧٣٠) وهذا المشهد منقوش على جدران
 هيكل امي سمبل (ش ٥٠) الهيكل الذي بناه رمسيس الثاني الذي كان هؤلاء الفرعون
 مستخدمين في جيشه

الفصل الثاني والعشرون

سيادة الجمهورية الرومانية في إيطاليا
والمنافسة بينها وبين قرطاجنة

٧٦

إيطاليا تحت حكم الجمهورية الرومانية القديمة

وبعد الحرب اللاتينية التي همدت ناراها سنة ٣٣٨ ق.م. أصبحت رومية الزعيمة في إيطاليا ولكنها لم تلبث ان فقدت زعامتها، حتى الأراضي المحيطة بلاتيوم ذهبت من يدها وكان لا يزال جماعة ممن يتذكرون الحرب اللاتينية احياء. يُرزقون الآن انها بعد خمس وستين سنة اعادت سيادتها على إيطاليا كلها. وكان مجلس الشيوخ المشهور باصالة الراي والدراية في ادارة الاحكام هو القابض على ازمّة الامر والنهي في المدن والولايات العديدة التي استولت عليها رومية في امدٍ من الزمان لا يزيد عن مدى حياة الانسان. ولو حاولت رومية ان تضم اليها كل الأراضي التي افتتحتها وتحكمها هي رأساً لتبرّم سكان إيطاليا من حكمها ورفعوا بين حين وآخر راية العصيان. فما هي الطريقة التي كانت إيطاليا مزمنة ان تنتهجها لتصير امة تتسلط عليها رومية وتضبط شؤونها

(٧٥٩) قديماً
لتصير إيطاليا امة

شرع الرومان في حكمهم للمدن التي استولوا عليها بمنح سكانها ضرباً من الرعية يخولهم حق حماية من لدن الدولة الرومانية في التجارة والاشغال، وباعطائهم في مجالس الشرع الحقوق المطاة لكل روماني ومنحهم امتيازات اجتماعية من جعلتها تبادل عقود الزواج مع سواهم. الا ان هذه الرعية لم تخولهم حق التصويت في الانتخابات. ولكن الجوالي

(٧٦٠) صالحة
رومية للجوالي
المسئلة ادارياً

المقيمة في الاماكن البعيدة لم تكن لتشعر بخسارة هذا الحق لان الذين لهم حق التصويت كان عليهم ان يذهبوا الى رومية لاعطاء اصواتهم في الانتخاب. وكانت رومية تدعو المدن والجوالي المحكومة على هذه الصورة «حلفاء» ولما كان هؤلاء الحلفاء يتمتعون بحق حماية الدولة الرومانية القوية جعلوا جيوشهم تحت إمرة رومية وناطوا بها جميع علاقاتهم ومعاملاتهم الاجنبية. فكانوا مستقلين في ادارة شؤونهم الداخلية المحلية الا فيما يتعلق بالجيش

(٧٦١) الرومية
انضمام بعض
الجوالي



الشكل ١٨٥ دينار روماني فضي

بعد الاستيلاء على المدن اليونانية في الجنوب اخذ الرومان يسكنون ثوردا فضية. (٢٦١ ق.م) (٤٦٦) ولم تعد القطع التي كانوا يتعاملون بها قبلاً ضرورية للدفعات الكبيرة (١٨٢) فصغرت فيما بعد الى سدس حجمها الاصلي. واصح النقد الفضي قوام جميع المعاملات التجارية الكبرى

(٧٦٣) الحاجة الى
الوحدة القومية في
إيطاليا. اختلاف
اللغة

وبالتدريج انحلت رومية باملاكمها كثيراً من الاراضي لتتمكن من اداء نفقات الحرب وتقديم الاماكن اللازمة لرعاياها الذين كانوا يزيدون عدداً على مر الزمان. وكان من سياسة رومية انشاء مستعمرات رومانية في اراضي حلفائها فكانت جواليها مبنوثة في جميع النواحي. ايطاليا تكثر وتقل بحسب مقتضى الاحوال

بلغت رومية الى درجة من الوحدة نسبيها من الوجهة الجغرافية

« ايطاليا » وكان يرجى ان يمتزج قبائلها وشعوبها في المستقبل البعيد وتوآف امة واحدة الا انه في الوقت نفسه كان كثير من شعوب ايطاليا لا يشعرون بشيء من المحبة الوطنية لرومية ولا بدع فلم يكن لديهم تقاليد مشتركة بينهم كاليونانيين الذين كانت عندهم تقاليد حرب طروادة. وفوق ذلك كله كان الرومان يتكلمون بلغات مختلفة فلا يفهم الشعب الواحد منهم لغة الآخر ولذلك لم يكن اتحادهم امة من الهنات الهيئات فظلوا شعوباً متفرقة لكل شعب لغته وميزاته فتعدّر على ايطاليا ان توآف منهم امة واحدة

(٧٦٣) ضرورة
إيطاليا لاتينية في
اللغة يونانية في
المدن

وقد قدّر لامة المستقبل ان تكون من الوجهة اللغوية لاتينية تتكلم لسان المدينة الحاكمة، ومن الوجهة الجغرافية ايطالية، ومن الوجهة السياسية رومانية واذا نظرنا الى رومية من الوجهة العمرانية زانا مضطربين ان ننتهنا بنعت رابع لانها مع مرور الزمان صارت في مدينتها يونانية. ولا غرابة في ذلك فان الرومان رأوا لأول مرة في حياتهم الهياكل الجميلة

والمراسح الفاخرة في المدن اليونانية بجنوب إيطاليا . ولا يعد انهم شهدوا التمثيل اليوناني الذي كانوا يفهمون قليلاً منه او لا يفهمونه بالمرّة . الا ان المحاضرات على الاقدام والمصارعة والالعاب الرياضية الاخرى لم تكن تحتاج الى تفسير لكي يتفهمها جنود الرومان الاشداء الذين حاربوا برّوس في الجنوب

استولى الرومان في جنوب إيطاليا على الطرف الغربي من العالم الهليني العظيم الذي درسنا مدنيته قبلاً (فصل ٢٠) ولم يلبثوا ان شعروا بتفوق مدينة وتهذيب العالم الجديد الذي دخلوه في الجنوب اليوناني وكان تأثير العوامل اليونانية ظاهراً بتوسع اخص في الامور التجارية الكبرى والصغرى . فبعد الاستيلاء على المدن اليونانية في الجنوب ظهرت النقود الفضية بكميات اكبر اذ لم تعد النقود النحاسية كافية للمعاملات الرومانية . وما لبثت رومية بعد محاربتها برّوس ان اصدرت اول نقدها الفضي (ش ١٨٥) وكما شعرت اثينا (ف ٤٥٦) بقوة الدراهم وتأثيرها كذلك اخذت رومية تشعر بذلك فقام فيها فريسق من المتولين معظمهم من صنف التجار . غير انه لم يقم في رومية صناع اصحاب معامل كما في اثينا ولم تصر رومية مدينة صناعية عظيمة

(٧٦٤) الادلة
الاولى على المدينة
اليونانية في رومية .
النقود الفضية

٧٧

التنافس التجاري بين رومية وقرطاجنة

لم تتجاوز اعمال فلاحي إيطاليا الى ما وراء سواحل بلادهم ، ولكن الاعمال التي قام بها تجارها تحطت الى ما وراء تلك السواحل . فحين كانت سفنهم التجارية تخرج من التيبير كانت تدخل قطعة من الماء مثلثة الشكل تُعرف بالبحر الاترسكي واذا القينا نظرة على الخريطة عرفنا كيف كانت رومية مقابل قرطاجنة عبر هذا البحر المثلث الشكل الذي كانت تخوض عبابه سفنها التجارية ذهاباً واياباً لان تجارة المدينتين فيه كانت متسعة النطاق لا مراة في ان المنافس الذي وقف الآن مقابل رومية عبر البحر الاترسكي كان يمتد الى جانبها . فقد كان يجري في عروق القرطاجنيين دم رجال بادية العرب الاشداء ، اصحاب القوافل السامية (ف ١٤٣) الذين جعلوا اسواق بابل مركزاً للتجارة الشرقية القديمة قبل ان اقتنت رومية اول سفنها بالني سنة . وقد مخرت سفن اسلافهم الفينيقيين تشق لحج

(١٧٦٥) توسع
رومية التجارية
البحري

(١٧٦٦) بحار
المدينين التجاريين
الاول وسلبس
قرطاجنة

البحر المتوسط منذ هجيرة ايطاليي العصر الحجري الذين كانوا يتوقعون بذهاب الصبر قدوم تاجر الشرق اليهم ومعهُ الادوات المعدنية لبيعها منهم (ف ٣٣٦) ولما كانت رومية لا تزال بعد قرية حقيرة محصورة تجارتها في التير - قبل ان عرف اليونان هذه المياه - كان التجار الفينيقيون، اقدم رواد البحر المتوسط الغربي، قد رأوا بعين فراسطهم اهمية موقع الراس الناقى. الى البحر تجاه صقلية. فأسسوا عند الطرف الغربي من المكان المعروف الآن بتونس المدينة التي صارت مليكة ائتجارة في الجزء الغربي من البحر المتوسط واشد منافس لرومية

كان لقرطاجنة من موقعها الممتاز مندوحة للتجار لا يباريها فيها مبار. فامتدت تجارتها تدريجاً الى تخوم القيروان، المدينة اليونانية، شرقاً والى الاتلانتيكي غرباً. فملك الساحل من الجانبين واستولى تجارها على جنوب اسبانيا وما فيه من معادن الفضة الغنية واستبدوا بواردات الصفيح (انتك) البريطاني عن طريق بوغاز جبل طارق وانتشرت مستعمراتهم خارج هذا البوغاز على ساحل اسبانيا شمالاً وعلى الساحل الافريقي الاتلانتيكي جنوباً الى حدود الصحراء فتمكن احد ربابتهم الحري هُنُو من رُوْدَان ساحل افريقيا الى حدود غينيا (ف ٦٩١)

لم يمنع القرطاجنيين من الاستيلاء على جزر البحر المتوسط التي كان يشرف عليها ميناؤهم الجميل، الا دخول اليونانيين (ف ٤٣٦-٤٣٧). وقد كانوا غالباً مستولين على قسم كبير من صقلية التي كان يرى طرفها الغربي من سطوح منازل قرطاجنة. وانشأوا لهم مستعمرات في جزيرتي سردينيا وكورسيكا. وكان لهم موانئ في الجزر الواقعة بين سردينيا وكورسيكا كما كان لهم ايضاً في الجزر الواقعة بين سردينيا واسبانيا. وسدوا بوغاز جبل طارق ومواني الجزر في وجه السفن القادمة من المدن الاخرى وكانت مراكزهم الحربية تهاجم السفن الاجنبية التي كانت تدخل هذه المياه، وتضربها بالمنجنيقات فتغرقها الى اعماق الم

ولم تكن قرطاجنة من الوجهة الحربية كرومية لانها كانت تعتمد في نفقاتها الحربية على ارباح تجارتها فكان اساس القوة الحربية عندها المال فادامت تجارتها ناجحة وارباحتها طائلة كانت تستطيع ان تستأجر جنوداً من الخارج للقيام بالخدمة العسكرية اللازمة لها. لانه لم يكن لديها فلاحون قائمون على حراثة اراضيهم تستطيع ان تجنّد منهم جيشاً وطنياً كما كانت تفعل رومية. كان في ارض تونس المخصصة الغنية فلاحون وطنيون يحرثون اراضيهم ويعيشون من غلالها ولكن القرطاجنيين اغتصبوهم اياها وانشأ فيها كبار تجارهم مزارع

(١٧٦١) توسع
قرطاجنة في البر
اسبانيا

(١٧٦٨) اتوسع
القرطاجني في جزر
غرب البحر المتوسط

(١٧٦١) علم
وجود جنود وطنية
في قرطاجنة. نجاح
اتجارة وجهل من
المرققة

فسريحة جميلة وعينوا لها عبيداً للقيام بأعمال الفلاحة والغرس والزرع فيها ولكن لم تكن هذه المزارع تقدم جنوداً للحكومة لأنه لم يكن فيها جماعة من صغار الفلاحين يعيشون على نتائجها

(٧٧٠) الحكومة
القرطاجنية

وقد كان هذا الامر ضعفاً مهماً بادياً في نظام الحكومة القرطاجنية فلم يكن لحكام المدينة ثقة بالجيش المؤلف من اجانب ولا كان لهم ثقة حتى في قوادهم المولودين قرطاجنيين لانهم خشوا انهم يسعون ليجعلوا انفسهم ملوكاً على قرطاجنة . وهذه الخشية سببت نفوراً بين حكومة قرطاجنة وقادة جندها فأل ذلك الى ضعف الامة . ومع انه كان على رأس الحكومة حاكمان منتخبان يلعبان بقاضيين ، كانت قرطاجنة في الواقع تحت امرة فريق من تجارها الاشراف اي انها كانت حكومة ارسقراطية غنية تألف من اعضائها مجلس قبض على زمام السلطة . وكان اليونان يدعون حكومة كهذه « اوليفاركي » اي حكم الاقلية ولكنهم على قلتهم ، كانوا ذوي نشاط وحكمة في الامور السياسية وظلوا قروناً يسيرون بالامة والبلاد في مناهج الحكمة والسداد حتى جعلوا قرطاجنة دولة عظيمة تفوق اية دولة من دول اليونان في ذلك الزمان وما سلفه من الازمان ولا تستثنى من هذا الحكم دولة اثينا

(٧٧١) المدينة
القرطاجنية

الآن ان قرطاجنة ظلت في مدينتها شرقية . فحينما نبش المنقبون آثارها الغنية رأوا فيها التقصير البادي على الفن الشرقي في أول عهده . ولم يروا فيها من التأثير اليوناني الا قليلاً . ولم يستاسم القرطاجنيون لعوامل التأثير اليوناني الا في جزيرة صقلية حيث شرعوا في سك النقود واصدروا نقوداً فضية . واما في قرطاجنة نفسها فحافظوا على استعمال سبائك المعادن الكريمة (ف ١٦٥) متبعين العادة الشرقية التجارية القديمة . ولكن لما اتسع نطاق تجارة قرطاجنة وجد تجارها ان الضرورة تقضي بوجود ايجاد طريقة تسهل لهم مبادلة السلع . فاصدروا نقوداً من جلد - اقدم سائف للنقد الورقي - مختومة بخاتم الدولة ضماناً لقيمتها . وكتب في الآداب رحلتهم الشهير ، هنو ، (ف ١٦٧) نبأ رحلته الجغرافية الى الساحل الاثلانتيكي بافريقيا كما كتب ماغو ، احد رجال السياسة عندهم ، رسالة في الزراعة بعد ان قام في مقاطعة تونس بتنظيات وتحسينات جمّة . وقد امر مجلس الشيوخ الروماني بترجمة هذه الرسالة الى اللغة اللاتينية فصارت المعول عليها في الشؤون الزراعية في جميع ايطاليا

(٧٧٢) مدينة
قرطاجنة

وكان القرطاجنيون يشبهون اليونان في اثاث منازلهم وبناء مدنهم . فكانت مدينتهم قرطاجنة كبيرة وجميلة (١٨٩) تساوي مساحتها ثلاثة اضعاف مساحة رومية . وكانت

تهد إلى الداخلية مسافة بعيدة وراء المرافي والارصفة العظيمة المكتظة بالسفن والبضائع . وكانت لها اسواق فسيحة الجوانب فيها كثير من معامل الصناعة . وقامت وراء بيوت اصحاب الحرف والصناع منازل اغنياء التجار الفخمة تحفها الحدائق الغناء البهية . وكان يحدق بالمدينة اسوار ضخمة وحصون هائلة مما كاد يجعل الاستيلاء عليها عنوة مستحيلاً . وكان وراء المدينة وخارج الاسوار غابات النخل العظيمة تتلاعب برؤوسها النيمات فتتأوج كأنها بحر من الخضرة . وهناك مزارع حافلة بنباتات المنطقة الحارة مبثوثة في جنباتها منازل جميلة شيدها كبار ارباب التجارة الذين كان عليهم المعول في العراك اذا نشب مع رومية

وفي ايام الحرب اللاتينية (نهايتها ٣٣٨ ق م) او قبل ذلك بقليل حين كانت تجارة الرومانيين ضيقة النطاق رغب تجارهم الى مجلس شيوخهم ان يعقد معاهدة تجارية مع قرطاجنة ويرسم حدوداً في البحر لا يسوغ لسفن الفريقين ان تتعداها . وفي الواقع حوالي منتصف الحروب السمنية كان مجلس الشيوخ الروماني قد عقد معاهدة ثانية مع قرطاجنة (٣٠٦ ق م) تم فيها الاتفاق بين الفريقين على انه لا يجوز للسفن القرطاجنية ان تدخل مرافق ايطاليا ولا للسفن الرومانية ان تدخل صقلية . وكان استيلاء الرومانيين على المدن اليونانية في ايطاليا قد جعل يونان صقلية منفردين تحت رحمة قوات قرطاجنة . وكانوا فيما مضى يصادمونها ويفوزون عليها فوزاً ميبئاً (ف ٧٢٤) . ولكنهم اذ لم يقدرُوا ان يتحدوا معاً على قرطاجنة اضطروا الى التسليم تدريجاً . وظل القرطاجنيون يتقدمون شرقاً تقدماً مستمراً حتى ابتلعوا صقلية . وكان تجار ايطاليا ينظرون الى مرافق صقلية والحركة التجارية الجارية فيها فتنقبض نفوسهم بسبب حظر الاتجار عليهم فيها . وتحققوا والقيظ مل؛ صدورهم ان رومية كأنما نالت السيادة في ايطاليا ومدت ثغور دولتها حتى اقصى الجنوب لكي تشاهد ارباب التجارة من القرطاجنيين وقد جعلوا الجزء الغربي من البحر المتوسط بحراً قرطاجنيا

وكانت قرطاجنة سائرة الى مركز ربما تمكنت فيه من قطع المواصلات بين رومية وموانئها التي على جانب ايطاليا الادرياتيكي . فلكي تبلغ ايطاليا الى تلك الموانئ كانت مضطرة ان تمر في بوغاز مسانا بين ايطاليا وصقلية . فكان التجار الايطاليون ينظرون الى الجنوب والرعب مالي؛ قلوبهم لانهم كانوا يتوقعون قدوم اليوم الذي فيه تتمتع مراكب قرطاجنة في ميناء مسانا حركة الاتجار بين ساحل ايطاليا الغربي وبحر ادريا

(٧٢٣) ساندان
تجار سان بيت
رومية وقرطاجنة
وزيادة الاحتكاك
بينها

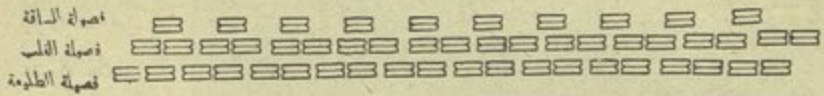
(٧٢٤) الخطر على
رومية من خسارها
بوغاز مسانا

(٧٧٧) عدم وجود قرطاجنة معكرو لشرب العسكري

٥٨٨ بل كانوا يجهلون القيادة للقتال الذين رأسوا الجمهورية ولم يكن لهم اقل خبرة في اقتياد الجيوش اما في التدريب العسكري ففارق الرومان شعوب العصر القديم طراً



شردمة من مقدمة الجيش



طلبة الجيش

الشكل ١٨٧ رسم صف مثلث من الجنود الرومانية في ابان المعركة مع نصيب شردمة واحدة فرقة

تري هنا الكتيبة اليونانية المترابطة منقسمة ثلاثة اقسام بالطول طلعة وقلب وساقة وكذلك تنقسم بالعرض الى اقسام صغيرة (شرازم) في المقدمة والقلب كانت هذه الشرازم تتألف من عشرين رجلاً بالطول وستة رجال بالعرض او العمق (انظر الرسم اعلاه) وفي الساقة كان طول هذه الشرازم نصف ذلك . وكانت هذه الشرازم تصف على نسق حتى لا تطابق الفجوات بينها . لكن شرازم القلب او القسم الاوسط سدت المنافذ التي في المقدمة كما ترى في الرسم

٧٨

الحرب الصقلية او القرطاجنية الاولى

(٧٧٨) بداية الحرب الصقلية مع قرطاجنة ٥٠٠ م. مانا

ولم يلبث الرومان ان اقتنعوا بان لا مناص لهم من محاربة قرطاجنة مها كان في مطاوي تلك الحرب من الاخطار . فانه فيما كان السرقوسيون يحاصرون مسانا هب فريقتان من المحاصرين واستنجد الرومان وفريق آخر استنجد القرطاجنيين . فبعث هولاء للتحال بجافية احتلت القلعة فاصبح بوغاز مسانا تحت امرتهم . اما الرومان فبعد تردد طال امده لبوا نداء الذين استغاثوا بهم وارسالوا اليهم جيشاً رومانياً من ايطاليا بطريق البحر . وهذه هي اول مرة في التاريخ الروماني ركب فيها البحر جيش روماني . وكان العراك مع قرطاجنة قد ابتدأ (ف ٢٦٤ ق.م.)

وعقد الرومان محالفة مع السرقوسيين آلت الى امتلاكهم القدم الشرقي من جزيرة

صقلية ولكن اعوازمهم الى اسطول حربي عاقهم كثيراً عن المضي في عملهم . وفي السنة الخامسة من الحرب أنجز بمساعي المشيخة بناء اسطول حربي روماني وأُتزل الى البحر . وكان عدد سفنه الحربية مئة وعشرين

١٧٧٦ الرومان
يهبون اسطولاً



الشكل ١٨٨

١٧٨٠٦ انصار
الرومانيين الهجري
٢٤١ ق م
ومع ما
كان عليه
الرومان من
عدم الاختبار
في الشؤون
الحربية
البحرية فقد
فاز اسطولهم
في بادئ
الامر . ولكن
لسوء حظهم
قام لهم
— بعد ذلك —
من البحر
عدو فخطم
اساطيلهم

تُشاهد في هذا الشكل قطعة من جدار مصور في بومباي بإيطاليا تمثل لنا سفينة حربية في انهاء المعركة لاننا نرى على اليسار مركبا حربية محطماً . لاحظ المجاذيف التي كانت تقوم مقام الدفة على كل جانب من المؤخر — اختراع وجد في سفن النيل قبل ثلاثة آلاف سنة (ش ٢٦) ولم تكن الدفة قد نشأت من هذه المجاذيف بعد . وقد عزا الرومان نجاحهم في البحر وغلبهم على القرطاجيين مع عدم اختراعهم في الشؤون البحرية الى اختراع جديد في سفنهم وهو انهم صنعوا لكل سفينة جاذراً اي جسراً من الخشب واطوراً بالدقل مخلقة من حديد عند اسنلو ومجمل وبكرة من اعلاه . ورزوا في طرف الجاذر الاعلى مساراً كبيراً او شصاً . فكانوا اذا اقتربت سفن العدو منهم يتزلون الجوائز فنرتز ما مبرها في ظهور تلك السفن فتكون جسوراً لها فيعبر الرومانيون وقتلون الاعداء في سفنهم بالسلاح الابيض عن كسب فكان نعمهم من هذا الاختراع اعظم جداً من خسارتهم بسبب عدم خبرتهم في الشؤون البحرية

الواحد تساو الآخر وكسر احدها القرطاجيون شراً كسرة . ففقد الرومان سيادتهم البحرية التي لم يطل عليها الامد وامسوا عاجزين عن الثبات على الحرب زمناً مديداً . وكان هملقار بركة القائد القرطاجي يخرب باسطولهِ سواحل ايطاليا والحرب تجري وتبدأ سنة بعد سنة حتى نصب معين الخزينة الرومانية اذ كانت رومية قد استنفدت كل ما كان لديها من الموارد . ولكن هزمت الاربيجية افراداً من بنيتها لجادوا بالمال عن سعة فتمكنت من بناء اسطول آخر أُتزل الى البحر سنة ٢٤٢ ق م . وكان عدد دوارعه مئتين لكل منها خمسة صفوف من المجاذيف بعضها فوق بعض . وكانت باكورة اعمال هذا الاسطول انه هزم الاسطول القرطاجي وحطمه تحطياً (٢٤١ ق م) . فلم يبق في طاقة القرطاجيين ان يرسلوا مدداً بطريق البحر الى جيشهم في صقلية

(٧٨١) صلح عند
نهاية الحرب الصلحة
(٢٤١ ق م)

واضطرَّ القرطاجنيون ان يقبلوا شروط الصلح الثقيلة التي املها عليهم الرومان . وكان عليهم : بمقتضاها ان يتخأوا لهم عن صقلية والجزر المجاورة لها ويؤدوا اليهم في غضون عشرين سنة غرامة حربية قدرها ثلاثة آلاف ومئتا وزنة . وهذه القيمة تساوي سبعة عشر مليوناً ونصف مليون من الفرنكات الذهبية . وفي سنة ٢٤١ ق م . انتهى العراك الاوَّل الذي نشب بين رومية وقرطاجنة بفوز الاولى منها وكانت مدته ثلاثاً وعشرين سنة

(٧٨٢) بمصر
تعالج الحرب الصلحة

ودام العراك بين الفريقين المتحاربين حتى عراها الكلال ورزح اعياء . ولكنها استفادا في غضونِه اشياء كثيرة في فن الحرب واصبحت رومية للمرة الاولى قوة بحرية . وفي الوقت نفسه انتهجت خطة جديدة بدأت مستقبها وحوَّت وجهه مصيرها الى الابد . فانها استوت اول مرة في تاريخ حياتها على ارض خارج ايطاليا . خطت هذه الخطوة ولم يعد في طوقها ان ترجع عنها لان الامة متى اصبحت ذات مصالح في الخارج وترتبت عليها تبعات ، فلا مناص من اشتباكها مع امم اخرى لها مصالح وعليها تبعات مثلها هي . والمصالح متى تضاربت فلا يُعرف لتضاربا حد بل قد تؤدِّي من حرب الى حرب

٧٩

الحرب الهنيالية او الحرب القرطاجنية الثانية وتدمير قرطاجنة

(٧٨٣) امينسلايه
رومية على سردنها
وكورويكا وانفصاح
وادي البر

وانصرف الحصان الآن الى زيادة قواتها . ولم تتردد رومية في ان تفعل ذلك على حساب قرطاجنة فانها بعد تقرير الصلح بثلاث سنين فقط استوت على هايتين الجزيرتين غير عابئة باحتجاجات قرطاجنة فصار لديها ثلاثة مواقع حربية خارج بلادها تناوىء قرطاجنة منها . وبعد ذلك ببضع سنين اشتبك الرومان في حرب خطيرة مع الغالين الذين هجموا عليهم من وادي اليو فانكسر الغالون انكساراً عظيماً واستولى الرومان على اراضيهم ولم ينحروهم الحقوق الرعوية كما كانوا يمنحون غيرهم من يفتتحون بلادهم . فامتدت الساطة الرومانية الى الشمال حتى سفح جبال الالب . واصبح شبه الجزيرة من حدود الالب حتى اقاصي الجنوب في قبضة رومية

(٧٨٤) فتوحات
جديدة لقرطاجنة
في اسبانيا وقيليقيا
هنبال

وحفظاً لتوازن القوت بد زيادة قوة رومية وجَّه قواد قرطاجنة انظارهم الى اسبانيا حيث امتدت ساطة قرطاجنة بهمة البطل هنيبال ابن همقار الى حدود نهر ايبرو . ومع انه

لم يكن لهنيديال سوى اربع وعشرين سنة من العمر نراه يرسم الخطط الخطيرة لمفاجأة رومية في عقر دارها وسحق القوة الرومانية في ايطاليا نفسها
ولكن قبل ان يعبر بجيشه الى ايطاليا نشب بينه وبين رومية قتال على تخوم اسبانيا
لنكته العهد الذي كانت قرطاجنة قد قطعت له رومية بأنها لا تتخطى الى ما وراء نهر ايبرو
شمالاً . ثم زحف بجيشه المؤلف من اربعين الف مقاتل مدربين في الفنون الحربية احسن
تدريب متبعاً ساحل اسبانيا الشرقي لكي يقطع جنوب غاليسا ويهاجم ايطاليا . والذي
حدها على اتخاذ هذه الخطة في زحفه هذا ، هو ايقانه ان اسطول قرطاجنة الذي انكسر في
حرب صقلية لا يستطيع ان يحميه ويجيشه اذا حاول ان يذهب به رأساً من قرطاجنة الى
جنوب ايطاليا . فضلاً عن ذلك كان معه ستة آلاف من الفرسان او تريد ونقل مثل هذا
العدد بحراً ليس بالامر الذي يستخف به . زد على ذلك انه لو نزل في جنوب ايطاليا للتي من
السكان هناك مقاومة عنيفة من اول الامر لانهم كانوا مقيمين على ولاء رومية . واما في
الشمال فلم تكن الحال كذلك . لانه كان هناك جماعة الغالين الذين كانت مراحل حقدهم
على الرومانيين لا تزال تغلي في صدورهم لان هولاء كانوا منذ امد غير بعيد قد افتتحو بلادهم
واستباحوا حماهم . وفيما كان اعضاء المشيخة الرومانية يرسمون خطتهم لغزو اسبانيا
وافريقيا وجدوا ان هنيديال قد فاجأهم من الشمال غازياً

(٢٧٨٥) بدء الحرب
المنبأية ٢١٨ الى
٢٠٢ ق م

بلغ هنيديال الى جبال الالب في اواخر خريف سنة ٢١٨ ق م . بعد ان كبسده هو
وجنوده ما لا يوصف من المشاق والاختار لوعورة المسالك وتراكم الثلوج على تلك الجبال .
وكانت المسالك في بعض الاماكن ضيقة بحيث لم تتمكن الافياء التي كانت معهم من
المرور بها فكانت تضطربهم الحال الى توسيمها بتقطيع الحجارة التي كانت تحول دون مرور
الافياء . وكانوا وهم في تلك المسالك الحرجة اذا نظروا الى اسفل عراهم الدوار من مرأى
ما تقع عليه عيونهم من المهاوي والنفائف . واذا نظروا الى فوق رأوا شواحق معتمة
بالثلوج يقصر الطرف عن باوغ مداها . وما زاد في طين شقايمهم ريلة الحجارة الهائلة التي
كانت تنهال عليهم من تلك الشواحق يدحرجها عليهم الوطنيون من اعدائهم مما فت في
سواعدهم واوهى قواهم . هذا فضلاً عما كانوا يقاسونهُ من التعب والجوع والزمهرير ولكن
قائدهم الشاب الممتاز بواهيه السامية لم يألُ جهداً عن تشجيعهم ونفخ روح النخوة والرجولة
في صدورهم ومساعدة من كان منهم خائر القوى على طول الصف . ولما انتهوا من قطع جبال
الالب وبلغوا وادي الپو كانوا قد تجسّموا خسائر جمة في النفوس حتى انحط عددهم الى اربعة
وثلاثين الف رجل

(٢٧٨٦) هنيديال
ينقطع بجنوده جبال
الالب

(٧٨٧) اضداد
جيش هنيبال
وقنوق ناندو
في النون الحربية

بهذا الجيش الصغير دخل هذا الشاب القرطاجني ، غير هياب ولا وجل ، ارض اقوى دولة حربية في عصرها كان في طاقتها ان تستدعي الى نجدتها سبع مئة الف مقاتل من رعاياها وحلفائها وتؤلف منهم فيلقاً اثر فيلق . اما هنيبال فلم يكن في وسعه ان يستقدم نجدات عن طريق اسبانيا لانه لم يكن لقرطاجنة تسلط على البحر . وكان لا بد له من فوز معجل في ميدان القتال ليحبي الرجاء في صدور الغالين ويستفزهم الى مناصرته بالتطوع في جيشه . ولما كانت لهنيبال صلات قوية بكثيرين من اليونان ، كان واقفاً على ارقى الخطط الحربية ، وعلى الاعمال الباهرة التي قام بها الاسكندر الكبير الذي لم يكن قد مر على وقته حين هجوم هنيبال على ايطاليا ، الا مئة سنة او اكثر من ذلك قليلاً . وكان قواد الجنود الرومانية القنصلين المنتخبين لادارة الاحكام الذين لم يكن لهما اقل اختبار في الامور الحربية فكانا من هذا القبيل كرؤساء البلديات في ايماننا . وكنا في الفنون الحربية دون الشاب القرطاجني الداهية بمراحل ومما كنا عليه من الشجاعة والاستقامة والرغبة في الاسراع لمصادمة العدو لم يكونا على شي . من بعد النظر في الامور او صفاء الذهن



ولما كان هنيبال ماهراً في ادارة فرسانه في ساحة القتال - الامر الذي كان الرومان ضعافاً فيه - عُقد له الفوز العاجل في معركتين شبتاً بوادي البو . فهب غايو هذه المنطقة

وانضوا تحت اعلامه ولكنهم لم يكونوا مدربين على القتال . وفي اوائل ربيع سنة ٢١٧ ق م . اجتاز هنيبال ، بعد مقاساة احوال تروغ معظم القواد ، سلسلة القلاع الرومانية التي تحمي مسالك الالبين وبلغت جيش القنصل فلامينيوس الآمن من شر مفاجي . وكان القرطاجيون قد كانوا له عند بحيرة تراسيميبي فانقضوا على طليعتيه وساقته وهزقوها كل ممزق . ووقع القنصل بين ايديهم واصبح هنيبال قريباً من رومية اذ لم يعد بينه وبينها الا مسافة بضعة ايام . وكان في طاقته ان يستأنف الزحف عليها ترواً ولكنه امتنع عن ذلك لانه لم يكن لديه الآلات اللازمة لمحاصرة حصن منيع . فبات يعال النفس بنصرة أخرى يوم يهب حلفاء رومية ويقبلون لها ظهر المجن ويقومون معه قومة واحدة للهجوم عليها

(٢١٨٨) اتصلت
هنيبال الثلاثة وهي
الاول من نوعها

وفي ابان هذه الازمة الشديدة عين الرومان فاييوس دكاتورا اي حاكماً مطلقاً وكان شيخاً وقوراً رزيناً فكان من رأيه ان لأيوافق هنيبال ولا في معركة بل يبذل الجهد في نهك قواته بالمطل دون واقعة فعلية وان يعتم كل فرصة لتسنع لمضايقة القرطاجيين وازعاجهم ولكن لم تات سياسة الحذر والتأجيل هذه استحساناً لدى الرأي العام في رومية وسبي صاحبها فاييوس ، البطيء فلبسه هذا الاسم عمره . وشرع القنصلان الذان أُنْتُخِبَا سنة ٢١٦ ق م . في تعبئة جيش مؤلف من سبعين الف جندي ولما تمت تعبئته زحف به الى الجنوب للملاقاة هنيبال (عند الكعب) وهناك في «كني» حمي وطيس المعركة

(٢١٨٩) فريد
سنة الاستعداد
٢١٦ - ٢١٧
٢٠ ق

في هذه المعركة هزم فرسان هنيبال الاشداء الذين ألفوا ميمنة الجيش القرطاجي وميسرته فرسان الرومان الذين تألفت منهم ميمنة وميسرة الجيش الروماني وحين ادار فرسان هنيبال المدربين ظهورهم ليهاجوا قلب الجيش الروماني الكثيف من ورائه ، امسى الرومان بين قلب الجيش القرطاجي من الامام وفرسانه من وراء ولم يبق مفتوحاً من الفخ الذي نصبه لهم الا جانباه . وفي تلك اللحظة خطر للشباب القرطاجي اللبيب ، خاطر مهم جاء في وقته وهو ان يسد جانبي الفخ . وكان قد وضع فرقتين من الجنود الافريقية وراء ميمنة وميسرة الفرسان فامرهما بالتقدم فمتقدمتا بملء التوردة والسكينة واتخذت جنودها مراكز لها عن جانبي الخمسة والخمسين الف روماني الشجعان الذين تألف منهم قلب الجيش . ثم اطبق القرطاجيون عليهم من كل جانب ودارت بين الفريقين وحى معركة شديدة عقبها مجزرة هائلة دامت بقية النهار هلك فيها كل من قضى عليه القدر بالهلاك . ولم يكمل الليل يرخي سدوله حتى كان الجيش الروماني قد اضمحل على بكرة ابيه . ففضى في صاحة الوغى عدد من كانوا قبلاً قناصل وانتهت خدمتهم ، ومن الشيوخ ، والاشراف ، والوف من احسن الرعايا الرومانيين . فامست كل اسرة في رومية متردية بشباب الحداد على من فقدت

(٢١٩٠) اعادة
هنيبال للشمس
الروماني في معركة
كفي

من أحببنا . قيل ان هنيبال ارسل الى قرطاجنة مِلءَ مَدِينٍ من خواتم الذهب التي انتزعتها جنوده من اصابع فرسان الرومان . وكانت الخواتم في ذلك الزمان تقوم مقام الشرائط التي يلبسها الضابط في هذه الايام ، للدلالة على رتبهم في الجيش

(٧٦١) تنظيم
هنيبال حلفاء
الرومان بجارب
م رومية ودعوة
لمكدونية

وهكذا استتب لهذا الشاب القرطاجني الباسل ، اعظم قواد الساميين ، ان يتغلب على عدوه الجبار في اربع معارك ويهلك من فيالقه ثلاثة في غضون سنتين من وصوله الى ايطاليا وقبل ان يتم الثلاثين من عمره . وكان على ثقة من ان حلفاء رومية سيضرمون نار الثورة يوماً ويقومون قومة واحدة لمناوئتها . وهكذا كان فانه بعد بضع سنين هبت ببلدان جنوب ايطاليا والمدن اليونانية ، ومن جعلتها سرقوسة ، وقلبت لرومية ظهر المجن وانحازت الى هنيبال ولم يبق احد في الجنوب مناوئاً له الا بعض المستعمرات اللاتينية . وما زاد حالة رومية شوماً وتعاसे بعد معركة كني ، ارسال هنيبال سفراً من قبله الى مكدونية . وكان عليها في ذلك الوقت ملك اسمه فيلبس فلما كاشفه السفراء بما في نفوسهم وعدهم بارسال نجدات لمساعدة القرطاجنيين

(٧٦٢) حصة
هنيبال السياسية
وسياسة الرومان
وعزيمتهم

ان كل ما اجراه هنيبال من الاعمال الحربية دل على اصابة في الحكم واصالة في الراي وبعد في النظر شأن السياسي المحنك الحبير . زد على ذلك المقدرة الفائقة على القيام بمقتضيات الموقف الحربي . ولكن تلك الغيرة المتوقدة في تلك النفس الكبيرة الفذة وجدت خصماً شديداً في العزم الروماني الوطيد وفي تلك السياسة الناضجة وذلك النظام الراسخ كالجبال ، وفي العدد من الجند الذي لا تعداد له . فكانت الحرب حرب جبارين لنيل السيادة على العالم لان المنتصر فيها كان مزماً ان يكون ، بلا مرا ، القوة العظمى في البحر المتوسط ولو كان خلفاء الاسكندر في شرق هذا البحر ادركوا حقيقة هذا العراك العظيم في ايطاليا وكان في استطاعتهم ان يتحدوا على رومية فلربما كانوا سحقوقوها الى الابد . ولكن المشيخة الرومانية بجنكتها السياسية عقدت محالفة مع اليونانيين واوقدت نار ثورة في بلادهم على المكدونيين وبذلك منعهم من ارسال نجدات الى هنيبال وهكذا مع انتصارات هنيبال استطاعت المشيخة الرومانية بما اوتيت من الثبات وحسن القيادة ان تبتقي اواسط ايطاليا محافظة على ولائها لرومية . ومع ان الحال اضطرتها اخيراً الى تسليح العبيد وصغار الصبيان فانها لم تكف عن تعبئة الجيوش . وبهذا النوع من الجيوش تقدمت لمحاصرة المدن الثائرة التي كانت قبلاً موالية لها ، فاستولت عليها الواحدة تلو الاخرى . حتى سرقوسة مع كل ما ابتكرته فكرة ارخميدس من الحيل لانقاذها من الحصار الشديد لم تنج من الوقوع بين ايدي محاصريها الرومانيين (٢١٢ ق م) .

ولم يبقَ لهنيبال إلا أمل واحد وهو الزحف على رومية نفسها • فزحف عليها يحفُّ به رجال حرسه الخاص حتى بلغوا الي احد ابواب المدينة العظيمة التي كانت لا تزال كأنها في لبَّان قوتها • وربما كان كثيرون من اعضاء المشيخة يُطلون من فوق الاسوار ويتفرسون في طلعة ذلك الشاب القرطاجني الذي التى الرعب في قلوب الرومانيين وهزَّ ايطاليا من اقصاها الى اقصاها كما تفعل الزلازل • ولكنهم لم يبلغوا درجة من الرعب تدفعهم الى التماس الصلح منه ولا راسلوه في شيء على الاطلاق • ولما لم يكن جيش هنيبال كافياً لمحاصرة اعظم مدن ايطاليا ولا كان في طاقته ان يستقدم اليه آلات للحصار اضطرَّ هو وجيشه الى الانكوص على الاعقاب دون ان يقوموا بعمل حربي

(٧٩٣) غيبة
هنيبال في زحفه
على رومية (٢١١)
ق ٤

وبعد ان اقام هنيبال في ايطاليا سبع سنين تحققت ان مساعيه ستخفق اذا لم تتداركها نجدات قوية • وكان اخوه هسدروبال في اسبانيا قد جمع جيشاً وشرع يذحف به الى ايطاليا لمساعدة اخيه • ولكن جيشاً رومانيا التي هسدروبال وجيشه خاروبوم وكسروم واعلموا في رقايمهم السيف فهلك جيش هسدروبال على بكرة ابيه (٢٠٧ ق ٠ م) • وكان نبأ هذا الانتصار حسن الوقع جداً في آذان المشيخة الرومانية لانه آل الى خلاص ايطاليا وانهمزاد العدو - الذي لولا قليل لدمَّر رومية تدميراً - انهمازماً لم تقم له بعده قائمة • ولما هنيبال الذي كان يتوقع بزهاب الصبر وصول اخيه هسدروبال والنجدات التي كان في امس الحاجة اليها فكان اول اعلان له بالكارثة التي وقعت عليه وقضت على آماله ، رأس أخيه هسدروبال الذي قذفه رسول روماني الى معسكر القرطاجنيين

(٧٩٤) القبض
على النجدات المرسة
الى هنيبال واطالبا
(٢٠٧ ق ٠ م)

وبقي هنيبال بعد ذلك بضع سنين يجاهد في اقصى جنوب ايطاليا وهو الجزء الوحيد الذي بقي من الاراضي التي استولى عليها في تلك البلاد • وكانت التجارب الماضية قد علمت الرومان درساً مفيداً فجعلوا هذه المرة قيادة قواتهم الحربية في اسبانيا بيد شيبو الذي كان من خيرة قوادهم الشبان وجندياً مدرباً • وكان قد هزم القرطاجنيين وطردهم من اسبانيا طرداً تاماً فقطع عنهم بذلك مدد موردهم الرئيسي للمال والرجال • واخيراً رأى الرومان في شيبو الصفات التي يمتاز بها كبار القواد فانفذته المشيخة - تحقيقاً لرغائبه - الى افريقيا ليغزو املاك قرطاجنة فيها كما غزا هنيبال املاك رومية في ايطاليا

(٧٩٥) قهر قوة
هنيبال في ايطاليا
وقبام شيبو

ولما جاءت السنة ٢٠٣ ق ٠ م • كان شيبو قد قهر جنود قرطاجنة في وقعتين بافريقيا فاضطرت قرطاجنة استدعاء هنيبال اليها • وكان قد قضى في بلاد ايطاليا خمس عشرة سنة يجاهد جهاداً شديداً • وقد طال امر هذا الجهاد حتى وهنت قوى الفريقين المتحاربين ثم قضت

(٧٩٦) تصادم
شيبو وهنيبال في
راما (٢٠٠ ق ٠ م)
هارة هنيبال في
ادارة الحرب

الايام بان تكون افريقيا المكان الذي يُحسَم فيه هذا الجهاد نهائياً . فنشبت في زاما بداخمية البلاد المعركة التي قُدِّر لها ان تكون الفاصلة بين الرومانيين والقرطاجنيين . ورأى هنيبال بصدق فراسته وبعده نظره ان لامناص من انكسار جناحي جيشه امام جحافل شيبو المترأصة ، لأنه لم يكن لدى هنيبال عدد كافٍ من الفرسان ليعزز جناحي جيشه الضعيفين مقابل جناحي جيش شيبو القويين . ولما وقع ما كان ينتظره هنيبال من انهزام فرسانه امام مطاردتهم ، فرسان الرومان ، وتوارى جناحا كل من الجيشين الروماني والقرطاجني عن العيان عمد الي حيلة سحخت له الآن وهي نفس الحيلة التي اتلف بها الجند الروماني في كني . فسير من وراء صفه فرقتين الى جهتين متقابلتين بحيث صار طرفا صف جنوده ابعد مدى الى اليمين واليسار من طرفي صف الجنود الرومانية . وقد قصد بذلك ان يطبق على جنود الاعداء من كل جانب . وكان الآن القضاء المحتوم على احدى الامبراطوريتين متوقفاً على فتح هنيبال الفولاذي الفاغر فهُ عن جانبي الجيش الروماني لابتلاعه فكان نصيب كل من الامبراطوريتين في كفتي ميزان القدر لا يُدرى اية الكفتين ترجح

ولكن كان وراء الجيش الروماني عقل آخر مثل عقل هنيبال . فان عين القائد الروماني رأت وراء صفوف القرطاجنيين بريق فولاذ يتحرك فادرك كنه هذه الحركة وتصور الخطر الذي كان يهدد جيشه . وكان شيبو بسبب ما وقع في كني قد اهمل التقاليد الرومانية القديمة . فامر الفرقة الامامية من الصف ان تقوم بالمحاربة وحدها دون ان تتوقع اسعافاً من الفرق التي وراءها . وكانت اوامر هذا القائد الشاب الحازم جازمة لا يشوبها شي . من التردد . وهذه هي اول مرة في تاريخ الحرب تركت فيها مقدمة قلب الجيش الروماني تحارب وحدها دون مساعدة الساقة . ثم انقم الجنود الذين في مؤخرة الجيش ، فذهبت فرقة منهم الى اليمين واخرى الى اليسار بل . التؤدة كأنهم في ساحة عرض الجيوش حتى بلغوا المكان الذي كانت تشغله فرسان الجناحين (الميمنة والميسرة) فوقفوا كل في مركزه . فلما تقدم جنود هنيبال ليقوموا بجملة الالتفاف التي كانوا مستعدين لها وجدوا امامهم سوراً رومانيا من الفولاذ فاخفق مسعى القائد القرطاجني العظيم وغلبه في الحيلة التي هو مبتكرها قرن له روماني . واستمرت المعركة في صفين متوازيين الا انها اطول مما كانا اولاً . ولما عاد فرسان الرومان من مطاردة القرطاجنيين وهجموا على جناح العدو رأى هنيبال ان صفوف جيشه آخذة في التساقط والانهزام امام العدو ولا تلوي على شي . راضية بالفرار

نرى في هذه المعركة العظيمة نتيجة تطورات طويلة في فن الحرب . من حرب بلا

(٢١٧) هـ
سنة المعركة
سبب فوز الرومان

ترتيب ولا نظام بالمرّة الى فيالق منظمة متراصة مؤلفة من رجال مدربين تألف منهم اقدم الفياق الحربية المنظمة في الشرق (ش ٦١) . وهذه الفياق المتراسة التي شاع امرها عند اليونان في اوربا بعد عصر فيلبس والاسكندر لم تبق عند الرومان كما كانت عند اليونان ، وحدة ثابتة غير قابلة للتجزئة ، بل كانوا يقسمونها الى صف امامي محارب وفرقة من ورائه مؤلفة من ظهراء متنقلين يشدون ازره . ففي معركة زاما كان شيبو وهنيبال قد قطعاً مرحلة جديدة في فن الحرب وابتدعا اسلوباً كانا يديران بوجهه حركات الجيوش في ساحة القتال . وعلى هذا الاسلوب الجديد كان يُقسم الجيش الذي وراء الصف المتقدم اقساماً تتنقل بحسب امر القائد كما يتنقل اللاعبون بكرة القدم بحسب امر قائدهم الماهر وكان على رجال الصف الامامي المحافظة على مراكزهم .

(٧٩٨٤) فن الحرب الجديد
وادارة حركات الجيوش في القتال

وكان انتصار رومية على قرطاجنة السبب الذي جعل رومية في المئزلة الاولى بين دول العالم القديم قاطبة . وفي المعاهدة التي عقبته معركة زاما اجبر الرومانيون قرطاجنة ان تؤدي لهم في غضون خمسين سنة عشرة آلاف وزنة اي خمسة وخمسين مليون فرنك ذهب وان تتخلى لها عن سفنها الحربية ما خلا عشر سفن . والانكسار ان قرطاجنة فقدت استقلالها كامة ولم يعد في طوقها ان تثير حرباً على احد دون رضئ الرومانيين . وامست تابعة ارومية وان كانت هذه لم تُلحقها بها مباشرة

(٧٩٩١) المعاهدة التي ختمت بها الحرب الميبالية (٢٠٣٠١)

اما هنيبال فبعد حبوط آماله في معركة زاما رضئ من الغنيمة بالفرار فسلاذ به ونجا . وليس لنا عن سيرة هذا القائد الكبير الا ما نتسقطه من افواه اعدائه . ومع ذلك فما رؤي لنا عنه يجعلنا نحسبه من اعظم القواد الذين حفظ لنا التاريخ ذكرهم . ولما كان له من العمر اربع وعشرون سنة طفق يشن الغارات بقاب لا يهاب الموت رغبة في استقلال بلاده وظل يجاهد في هذا السبيل عشرين سنة بلا ملال ولا كلال . وكان اذا تلاقت نار الهيجا اسداً كراراً شديد الشكيمة والبأس حتى لم يستطع احد ان يقهره الا الامة الرومانية العظيمة . واخيراً اكرهت رومية قرطاجنة على نني هنيبال من البلاد فذهب الى بلاد الشرق وهو في الخمسين من عمره وما استقر به المقام هناك حتى اخذ يجرّض خلفاء الاسكندر على التحالف على رومية

(٨٠٠) مصر
سبيل

كانت مقدرة القرطاجنيين التجارية عظيمة حتى انهم ظلوا مثابرين على السير في خطه النجاح بالرغم عن الجزية اثمينة التي ضربتها عليهم رومية وبهظت بها عوانتهم . وفوق ذلك كانت سيدة غرب البحر المتوسط ترقب حركات عدوها القديم وسكانته بين ملوئها القلق

(٨٠١) قرص
قرطاجنة (١٤٦)
ق ٢٠٠ الهرب
القرطاجنية الالفة

والخذر . ولم يذكر الرومانيون الأعزّة هجروم هنيبال عليهم إلا كان يبدو عليهم شيء من الاضطراب واتزعاج الفكر . وكان كاتو ، احد رجال المشيخة الذين هم من الطراز القديم ، مقتنعاً كل الاقتناع ان قرطاجنة لا تزال خطراً على رومية حتى انه كان يجتهد كل خطبة يلقيها في المشيخة بهذه العبارة « يجب تدمير قرطاجنة » وكان قد انقضى على قرطاجنة خمسون سنة او تزيد في



الشكل ١٨٩ موالى قرطاجنة كما هي الآن

الاشتغال
بالتجارة في
القسم الغربي
من البحر
المتوسط
بترخيص من
رومية . ولكن
هذه ، لاسباب ،
عادت فقبضت
عليها بيد من
حديد وقضت
عليها القضاء
الاخير .

لم تبقى لنا الايام شيقاً من المدينة التي هدمها الرومانيون الا قليلاً لا يعتد به . وقد اُعيد بناؤها في حكم بولوس قيصر ولكن الباقي من آثار هذه قليل جداً وربما لو أُنحج لانخرس قرطاجنة بعثة منظمة من المتقين المخبرين لكشفوا عن دفائن من آثارها نطمعنا على ما كانت عليه من العمران والحضارة اللذين لانعرف من امرها الا قليلاً

حرّضت رومية التوميديين سرّاً لكي يعتدوا على قرطاجنة فاضطرت هذه ان تدافع عن نفسها وهذا ما كان يودّ الرومان وقوعه لانه اخلّ بشروط المعاهدة التي كانت بينهم وبينها فاعتنمت المشيخة هذه الفرصة وللحال دعت قرطاجنة لثناقشها الحساب . فكانت نتيجة تلك المناقشة حرب ثلاث سنين سقطت في نهايتها قرطاجنة بيد اعدائها الذين دكّوها الى الحضيض دكاً وجعلوها خراباً يباباً (١٤٦ ق م) (انظر ش ١٨٩) وضمت رومية املاكها اليها وسمتها ولاية افريقيا . وانتهى ذلك العراك الذي دام مئة وعشرين سنة ، باضمحلال المنافس الوحيد الذي بقي لرومية في الغرب

(١٠٢) رومية
السيطرة في الغرب
تلفت الى الشرق

وهكذا انتهى التنافس الرباعي القديم الذي كان بين الاترسكيين والقرطاجنيين واليونان والرومان ، بفوز المنافس الذي كان في الاصل قرية حقيرة لا شأن لها واقعة فوق السوق التي كانت قبل زمن التاريخ تقام على نهر التيبير (ف ٧٢٧) ويقال من الوجهة الجنسية ،

ان الجناح الغربي من الصف الهندي الاوربي تغلب اخيراً على الصف السامي (ش ٨٣) واصبح عالم البحر المتوسط الغربي تحت سيادة امة واحدة عظيمة هي الامة الرومانية كما كان العالم الشرقي من هذا البحر تحت سيادة المكدونيين . ولا بد لنا الآن من ان نرجع ونتبع معاملات رومية للعالم الشرقي الهليني في شرق البحر المتوسط الذي غادرناه بعد ان بلغ اسى درجات العمران والحضارة التي بلغها الانسان القديم

مسائل

٧٦

ما هما العشيرتان اللتان نظمتها رومية في ايطاليا ؟ هل كانت ايطاليا بسبب ذلك أمة ؟
لماذا ؟ اذا كانت رومية بالنظر الى المدنية ؟ كيف حدث ذلك ؟

٧٧

اي تأثير كان للتجارة من وجهة نظر الرومان ؟ ما هو البحر المثلث الشكل الذي يصب فيه التيبير ؟ من هو المنافس التجاري العظيم لرومية على نفس هذا البحر ؟ من كان قدماء القرطاجنيين ؟ اية درجة بلغوا في التجارة ؟ اي اقليم كان لقرطاجنة سيادة تجارية عليه ؟ كيف كانت تعامل سفن الشعوب الاخرى في هذا الاقليم ؟ صف تنظيمات قرطاجنة الحربية . هل كان عندها جند من ابنائها ؟ اي صفات خصوصية كانت للدولة القرطاجنية والمدنية القرطاجنية ؟ صف المدينة وضواحيها . ماذا كان جارياً على يونان صقلية ؟ من كان القابض على الشؤون التجارية في غرب البحر المتوسط ؟ أين الخطر الذي تعرضت له مسانا . كيف كانت قوة الرومانيين الحربية البرية ؟ اشرح التحسينات التي ادخلوها على فيالقهم (الفالانكس) . ماذا كان الغرض من الكتيبة (الليجيون) ؟ ما هو كبرها ؟ هل كان لدى الرومان قواد محكون ؟ كيف كان تدريب الجند الروماني ؟

٧٨

عند اي نقطة حصل التصادم بين رومية وقرطاجنة ؟ كيف ؟ ومتى ؟ هل
كان لدى الرومان قوة بحرية ؟ كيف توصلوا اليها ؟ ماذا كانت النتائج الرئيسية للحرب
الصقلية ؟

٧٩

اي اقليم استولى عليه الرومان بعد حرب صقلية بامد يسير ؟ اين ذهبت قرطاجنة
للتفتيش عن موارد جديدة ؟ من اثار الحرب المقبلة ؟ اشرح خطة هنيبال الحربية
بالاسباب . اخبر عن زحفه على ايطاليا . ماذا كانت النسبة بين عدد جنوده وجنود
رومية ؟ ماذا تقول في معرفته الحربية او الجندية ؟ اية حركات سياسية قام بها هنيبال ؟
كيف التقاها الرومان ؟ كيف تصرفت رومية مع حلفائها الثوار ؟ ماذا فعل اخو
هنيبال ؟ ماذا كان يفعل الرومان في غضون ذلك باسبانيا ؟ من هو القائد الروماني
الذي كان هناك ؟ صف معركة زاما . اي تقدم في فن الحرب ظهر هناك ؟ ماذا
كانت النتائج الرئيسية للحرب الهنيبالية ؟ ماذا جرى لهنيبال ؟ صف خراب قرطاجنة .
كم كانت مدة العراك بين رومية وقرطاجنة ؟ من صار الان سيد الغرب وزعيمه ؟

الفصل الثالث والعشرون

سيطرة رومية على العالم وما صاحبها من الانحطاط

٨٠

الفتوحات الرومانية في شرقي البحر المتوسط

وفيا كان خلفاء الاسكندر مشايرين على اثاره الفتن والمكاييد والحروب وعقد المحالفات شرقي البحر المتوسط ، كما كانوا يفعلون حتى سنة ٢٠٠ ق م ، كانت رومية العظيمة تريد في الغرب قوة وسناء ، وقد تجلّت الآن العواقب الخطيرة التي نجمت عن هذه الزيادة في قوة رومية ولا سيما في تبسطها فيما وراء البحر . فلم تكن المشيخة الرومانية لتطيق ان ترى حكومة على البحر المتوسط تبلغ درجة من القوة تكون في الآتي خطراً عليها كما كانت قرطاجنة في اثناء الحروب الهنيبالية . ولهذا السبب واسباب أخرى لا محل لبيانها عقد الجبّار الغربي نيته ان يلقي اولاً ظل سلطته الظليل على العالم الشرقي الهليني ثم يبسط يده ويستولي على الممالك الثلاث الكبرى التي يتولى امرها خلفاء الاسكندر . ولنتظر الآن في الاسباب التي أدت الى القتال

(٨٠٣) النزاع بين
عالي البحر المتوسط
الغربي والشرقي
(الهليني)

كان هنيبال قد اغرى مكدونية بالاتحاد معه على رومية (ف ٧٩١) فلم يستطع الرومان ان ينظروا بعد الحرب الهنيبالية الى هذه الحطة العدائية ويغضوا عنها . وكان على مكدونية في هذا الزمان ملك على جانب كبير من الذكاء والمقدرة الحربية اسمه فيلبس كاسم سلفه العظيم ، والد الاسكندر الكبير ، الذي جلس على عرش مكدونية قبل هذا الزمان بمئة وخمسين سنة . وقد ملأت الحطط الحربية التي وضعها فيلبس الجديد ، قلوب المشيخة الرومانية همًا وقلقًا . ومن جملة خططه اتفاقه مع انطيوخس الكبير (ثالث ملك

(٨٠٤) اسباب
الحرب مع مكدونية

بهذا الاسم) على اقتسام املاك مصر بينها . وبسبب ما اقترفه هذا الملك من قبل وما كان زمعاً ان يقترفه من الشر ضد رومية اذا أُتيح له ذلك ، رأى الرومان ان الحال تضطرهم الى توجيه قواتهم شرقاً لسحق فيلبس المكدوني هذا قبل استفحال امره

(٨٠٥) معركة
سينوسفلي ١٩٧ ق م
مكدونية قاهرة
لرومية



الشكل ١٩

ان هذا النفس اللائق الذي وُجد في مرع مرسل الذي بناه ارغطس ، مرفنا لمة خليفة من معركة جرت بين الجملادين والوحوش كما شاهدها الرومان تماماً . ولم يكن على ابدان الجملادين الأثوب ، ربط بزوار عند الوسط . ولم يكن لهم من السلاح الواقى الأزر وخوذة . لاحظ أمارات الالم بادية على وجه الجملاد الذي الى بين الصورة وقد مَرَّقت ذراعاً برائن الاسد

لم يكن لحكومات اليونان من باث يستفزها الى تأييد تسلط مكدونية عليها ، وكان انطيوخس منهمكاً في الاستيلاء على املاك مصر في اسية ، فلم يسمح له الوقت بارسال اقل مساعدة الى مكدونية . فوجد فيلبس نفسه ، بعد الحرب الهنبيالية بسنة ، وجهاً لوجه مقابل جيش روماني دون ان يكون يجانبه حلفاء اقوياء يعتمد عليهم . وبالنظر الى مهارته في القيادة الحربية استطاع - الى حين - ان يراوغ ويتصّلص . من الوسوع في قبضة القوة الرومانية . ثم جاءت الساعة الرهيبة التي اضطرت الفياق المكدونية الكشيبة المسلحة بالرماح الطويلة ان تقف امام الكتاب

الرومانية المسلحة بالسيوف القصيرة الفتاكة والمنظمة تنظيمياً مكن الفرق التي وراه الصفوف المعاتلة من تغيير مراكزها بحسب الاقتضاء ، الامر الذي ربك الجنود المكدونية وحيرها لان تنظيمها لم يكن على شي . من اللدونة يمكّنها من مقابلة حركات العدو . ولما نشبت معركة سينوسفلي (رؤوس الكلب) سنة ١٩٧ ق م . انكسر جيش مكدونية شرقاً انكسار واصبحت مملكة الاسكندر الكبير القديمة خاضعة لرومية وفي عداد البلدان التابعة لها . وانعم الرومان على الحكومات اليونانية بالحرية لانها كانت موالية لرومية

(٨٠٦) النزاع
بين رومية والمملكة
السلوقية

كانت حرب مكدونية باعثاً على الحرب بين رومية وانطيوخس الكبير ، الملك السلوقي ، الذي كان تحت سيطرته قسم كبير من مملكة النرس الشاسعة في اسيا ، لان انطيوخس حاول ان يغتتم فرصة انكسار فيلبس ويستولي على بعض املاكه التي كان الرومان قد

صرّحوا بأنها حرّة • ولم يستطع الرومان ان يفكروا في محاربة هذه الدولة الاسيوية القوية دون ان يخامر قلوبهم كثير من الاهتمام وقلق الافكار • وفضلاً عن ذلك ان هنيبال المطرود من قرطاجنة (ف ٨٠٠) كان الآن في بلاد اليونان مستشاراً لانطيوخس الذي مع نصائح هنيبال له وتوسلاته اليه اضاع الفرص التي سنحت له في بلاد اليونان حتى اضطرته أعمال الكتائب الرومانية وحركاتها الحربية ان يعود الى اسية الصغرى حيث تصادمت أوّل مرّة قوة الغرب العظيمة وقوات الشرق القديم المؤلفة من شعوب مختلفة تحت قيادة عاهل الفرس في اسية

وكان القائد الروماني الذي قهر هنيبال في زاما مرافقاً للجيش الروماني بصفة مستشار لايخيوس - شيبير آخر - الذي كان قد انتخب قنصلاً لتلك السنة - فكان بالطبع قائداً للكتائب الرومانية ولم يكن لجنود الشرق غير المدربة في فنون الحرب اقل رجاء بالفوز على كتائب رومية تحت امرّة قواد محنكين ماهرين بجميع فنون الحرب الجديدة كالاخوين المسمّى كل منهما بشيبيريو • ففي مغنيسيا غلب الغرب تحت قيادة رومية الشرق تحت قيادة انطيوخس المتواني (١٩٠ ق م) وخضعت بلدان اسية الصغرى من جهة الشرق حتى حدود نهر هاليس لسلطان رومية • وبمقتضى المعاهدة التي عقدت بعد ذلك ، لم يؤذن لانطيوخس ان يقطع نهر هاليس غرباً ولا ان يرسل سفينة ما حربية الى اي مكان واقع غربي خط طول هذا المكان • وهكذا في غضون اثنتي عشرة سنة (٢٠٠ - ١٨٩ ق م) اخضعت قوات رومية اثنتين من الممالك الثلاث العظيمة التي انقسمت اليها امبراطورية الاسكندر بد وفاته وهما مكدونية وسورية • واما مصر المملكة الثالثة فكانت صداقتها لرومية من أوّل عهدها متينة العرى وبعد ان ظهرت في العالم الهليني طلائع الجيش الروماني بثلاثين سنة او اكثر قليلاً ، صرّحت مصر بولائها وعبوديتها لرومية (١٦٨ ق م)

(١٠٧) ادجار الطبري في مقدماتها ١٩٠ ق م وعصرو مصر طرماً

وظلّ عالم البحر المتوسط الشرقي امداً طويلاً - مع انه كان قد غلب على امره - يُقلق راحة الرومانيين جداً • وفي نفس السنة التي دُمرت فيها قرطاجنة ، احرق الرومان كورنثوس وقصي بالطبع على الحرية اليونانية فصارت الحكومات اليونانية التي تتبعنا تاريخ عمرائها المجيد وحضارتها السامية ، تابعة لرومية واما اثينا فبالنظر الى ما لها من حسن الذكرى والاحترام أعطيت حرية اعظم (ف ٦٧٠)

(١٠٨) اعادة مكدونية باخضاع اليونان

اظهرت المشيخة الرومانية مقدرة ممتازة في ادارة الحروب العظيمة التي تلظت نارها مدة قرن وربع قرن من الزمان (بدؤها ٢٤٦ ق م) والآن بعد ان تبوأ منصب السيادة المطلقة في عالم البحر المتوسط رأّت ان الحاجة ماسة الى ابتكار نظام للحكومة تُجري عليه

(١٠٩) عمل رومية العظيم في تنظيم امبراطورها

المالك التي قهرتها بسرعة مدهشة . وتنظيم امبراطورية كهذه اشبه شيء بالتنظيم الذي قام به بنجاح تام داريوس ، منظم امبراطورية الفرس (ف ٢٧٥) ، وسنرى ان المشيخة الرومانية قد قصرت في سعيها لتنظيم الممالك الجديدة . ولننظر الآن لمحا الى المساعي الفائلة التي عوّت عليها رومية في حكمها للملكها الجديدة ثم نلاحظ تأثير الحروب الطويلة واتساع نطاق الملك في حياة الرومانيين

٨١

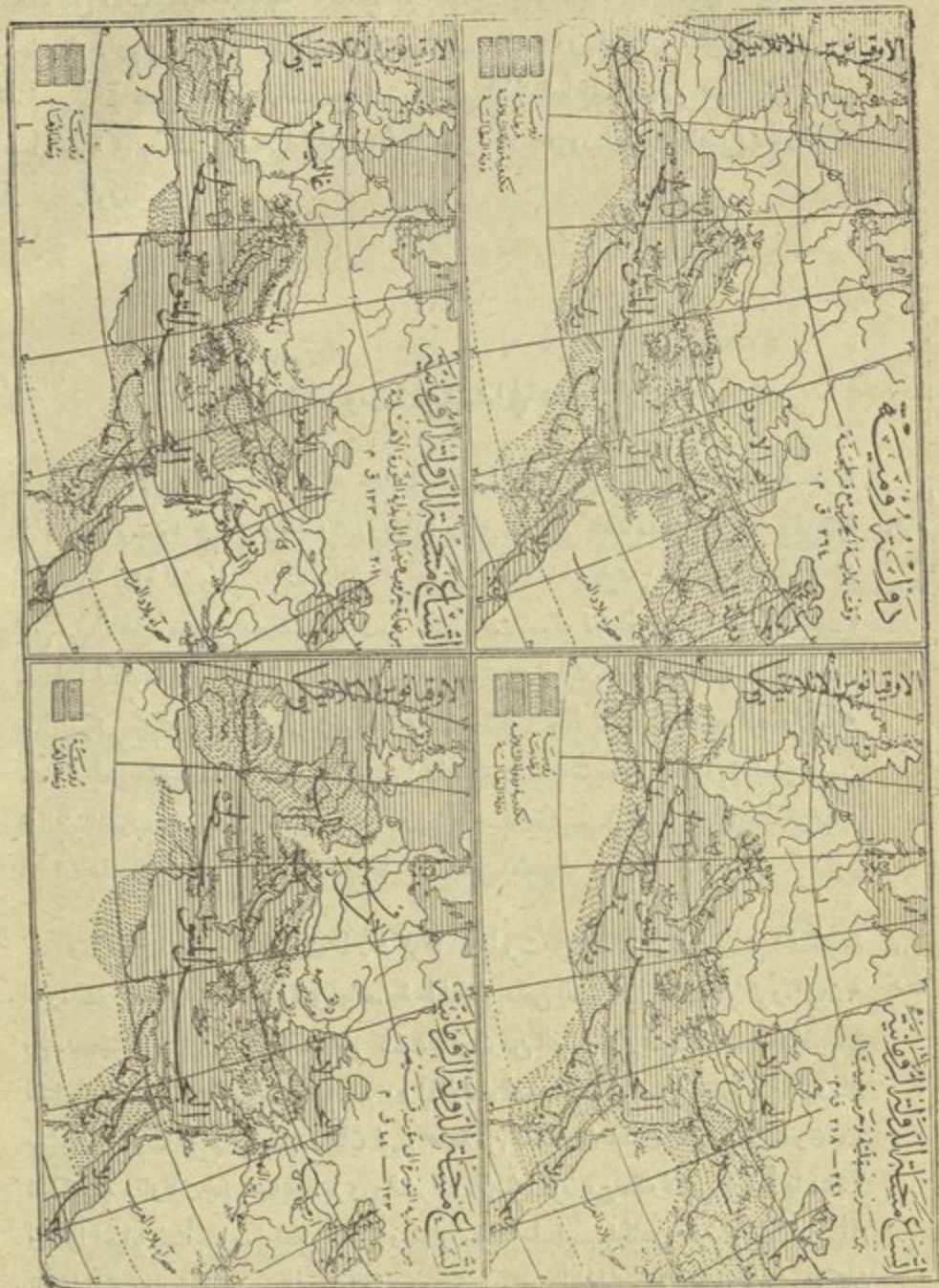
الحكومة الرومانية ومدنيتها في عصر النخ

لم يكن للرومان في بدء امرهم خبرة في ادارة احكام البلدان التي افتتحوها فقسموها الى ولايات وجعلوا على كل ولاية والياً رومانيا مطلق السلطة كاحد ملوك الشرق . وفوضوا اليه مسألة جباية الضرائب على اختلاف انواعها في جميع انحاء ولايته . فكان في طاقته ان يجبي من الاهلين ما يقوم بنفقات الجسود الذين تحت امرته وبسائر النفقات التي اقتضتها مصالح الحكومة . وكانت مدة ولايته سنة واحدة . ولذلك كان شديد الجشع في جمع المال لكي يمشد ثروة قبل انصرام المدة وكان جشعاً وجهله المطبق لما تحتاج اليه ولايته مدعاة لجعل منصبه ذريعة للسلب والنهب . ولذلك رأت المشيخة ان الضرورة تقضي بسن قوانين للضرب على ايدي العابثين بالنظام ووضع حد لتأديهم في الاسراف والمنكرات . الا ان هذه القوانين لم تكن لتصلح الفاسد وتحسن الاحوال

(٨١٠) فاضحه
ولايات رومانية .
السلطة المطلقة
وفساد الولاية

(٨١١) ثروة
رومية جديدة

وما لبثت نتائج هذه الاعمال المار ذكرها ان ظهرت في ايطاليا فزاد دخل الحكومة الرومانية زيادة فاحشة حتى لم تبق حاجة لجباية شيء من الضرائب من الرعايا الرومانيين . ولم ينحصر الاثراء في الدولة فقط بل كان للظافرين من القواد وجنودهم قسط وافر من الغنائم والاسلاب ، بل كانت كلها لهم . وفي الوقت نفسه كان ارباب التجارة من الرومان يفتشون الولايات على رُحبها . وكان فيهم جماعة من العشارين الذين كانوا يعقدون مع الحكومة مقاولات على جباية الجزى والضرائب فيزجحون من مقاولاتهم ارباحاً فاحشة . وكانوا احياناً يستأجرون اراضي الدولة ويعملون فيها لحسابهم الخاص . وتبع العشارين الى الولايات الرومانية الثرايون الذين كانوا يقرضون سكان الولايات دراهم برباه فاحش . وكان هؤلاء مضطرين الى اقتراض المال لكي يؤدوا الضرائب الباهظة التي كان يفرضها عليهم



الولاية الرومانيون . وكانت الضربة على البلاد من هولاء المرابين اشد كثيرا من ضربة
الحكام الرومانيين الطامعين

(٨١٣) نحو الضاربة
وتأسيس المصارف
المالية



الشكل ١٩١ ضرب من البيوت الرومانية
القديمة (Atrium)

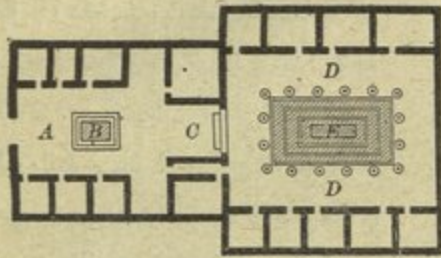
لم يبوخ الرومان الزخرفة والجمال في مبانيهم حتى
واجهت منازلهم كانت عارية من كل ما يزدان به المباني .
والنافذة في السقف التي كان يدخل منها النور الى الدار
التي كانت تشغل القسم الاوسط من البناء كان يدخل
منها ايضا ماء المطر الذي يقع على جرم سطح المنزل المائل
نحوها والماء الداخل منها يصب في بركة معدة له بارض
الدار (ش ١٩٢ (B)). والمماثلة بين هذه المنازل الرومانية
القديمة والمنزل التي لا يزال يشهدها حتى الآن سكان
البلدان المجاورة لبحر الروم شديدة ظاهرة تمام الظهور اما
المجتمعة وراء الدار فلم تكن شائعة عند الرومان . الا انهم في
العصر التي تلت هذا العصر اضافوا الى مآثر مبانيهم اروقة
مثل الالوقه المثلينية (ش ١٩٢) . ولما زاد الرومان ثروة
شرعوا يتنافسون في تكبير مبانيهم وحين غلت اسعار الاراضي
صاروا يشدون المباني طبقات بعضها فوق بعض
ويبالغون في اعلامها حتى اضطرت الحكومة ان تسن
قانونا يحدد معظم العلو

وحين رجع هولاء من الولايات الى
ايطاليا تألف منهم طبقة تقالبت في مهاد
الغنى والسعة لم يشاهد مثلاً في البلاد من
قبل . ودفعتهم مهارتهم التجارية الى
استيراد الكثير من البضائع سداً لحاجة
البلاد . فكانت السفن الشراعية
الرومانية تملأ البحر من خليج نابولي
حتى مصب نهر التيبر وتتشى مواني
رومية . فالذين كانت بأيديهم ازمة هذه
التجارة اصبحوا من ارباب الثروة . واقتضت
ادارة هذه الاموال العائلة انشاء

مصارف وبنوك . وقد كانت المصارف
الاولى في رومية في غضون الحرب
الهنيبالية عبسارة عن صف من الخيام
المبنية بغصون الاشجار على جانبي التندوة
الكبرى (الفورم) برومية التي كان يتألب
فيها الرومانيون للخطابة والبث في
المسائل الخطيرة وبعد السنة ٢٠٠ ق م .
قضى على هذه الخيام بالهدم وقام مقامها
ببناء الباسليقة الجميلة (ف ٦٧٦) الشبيهة
بالابنية التي شاع امرها في المدن الهلينية
(ش ٢٢٣) . وفي الباسليقة كانت تلتئم
طبقة الاغنياء الجديدة لتعقد الوثائق المالية
وتؤلف الشركات الكبيرة لجباية الجزى

والضرائب وعقد وثائق بينها وبين الحكومة ابناء الطارق والجسور (الكباري) وتشيد
المباني العمومية

وحين كان يعود احد الولاة من افريقيا ويشيد منزلاً جديلاً كان جاره الساكن في بيت ابيه العتيق يغار منه ويستنكف ان يظل ساكناً في ذلك البيت الرث القديم المبني بالبنين . وكان روماني العصر الجديد قد شاهد في جنوب ايطاليا منازل اليونانيين وخبر ما يتمتع به اصحابها من الراحة والهنا . فضلاً عن ابتهاجهم بجبال منظرها الخارجي (ف ٦٧٢ و ٦٧٣) فلم يلبث ان اضاف الى بيته رواقاً مَعَمَداً (ش ١٩٢ و ١٩٣) ينفتح منه ابواب توّدي الى



الشكل ١٩٢ رسم هندسة منزل روماني ورواقه

كانت المساكن الرومانية الاولى مؤلفة من غرفة واحدة كما نرى عند (A) وبركة يجمع فيها ماء المطر (B) ثم صاروا يبنون في المؤخر غرفة صغيرة (C) لرب البيت ثم اضافوا عليها بعد ذلك غرفة للنوم . وبعد محالظتهم للونان ، صاروا ايضا يبنون في المؤخر داراً يربون فيها الازهار والرياحون بمشابهة حديقة المنزل يحيط بها رواق مَعَمَد (ش ١٦٣) . وكان في الوسط فؤارة (E) ثم زادوا على ذلك غرفة للأكل وغرفة لمجوس وغرفة للنوم يدخلها النور من ابوابها التي تفتح على الدار . وفي منازل المدينة كان يسهل جداً فصل جزء من الدار ليحعل دكاناً او صفّاً من الدكاكين امام واجهة المنزل او الى احد جوانبه كما كانت الحال في المنازل الهلينية (ش ١٦٣) ، وكان معظم منازل بومباي مبنياً على هذا الطراز . والمشابهة بين المنازل الرومانية القديمة والمنازل التي لا يزال يشيدها اهل الشرق ظاهرة كل الظهور

غرف النوم والطعام والمكتبة والاستراحة . وكان في مؤخره المطبخ وربما كانت هنا غرفة الاكل ايضاً . وصارت الغرفة الوسطى التي تحدد بها سائر غرف المنزل ، المكان الذي كان يُظهر فيه رب البيت ما لديه من التماثيل ، والتماوير وتماز الفنون ، ونفائس غنائم الحرب التي جبي بها من الشرق

لم يكن في المنازل الرومانية القديمة شيء من الاثاث الفاخر الذي كانت تزدهان به البيوت في الاعصر التي تلت العصور العريقة في القدم بل لم يكن فيها الا الضروري من الاثاث البسيط . وكان المعتمدون السياسيون من القرطاجنيين يضحكون حين كانوا يرون في المآدب المتتابعة التي كانوا يُدعون اليها آتية المائدة الفضية تنتقل من بيت الى بيت بطريقت

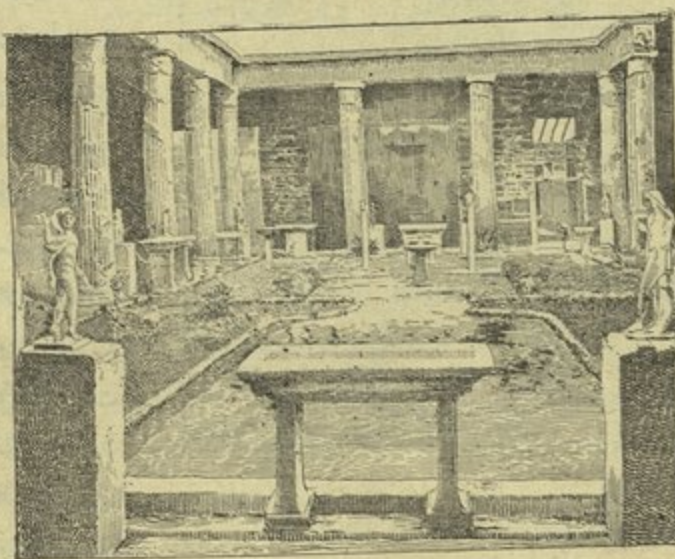
٨١٣٦ منزل روماني مبني من الطراز الحديث

٨١٤٧ ثلاثة منازل الفني الروماني

العارية . وقبل الحرب القرطاجنية بامد يسير عُرم اهله القناصل المعزولين لانه وجد لديه من الآتية الفضية ما زنته اربعة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام . وبعد ذلك يجيل زمان كان لدى احد اغنياء الرومان من الآتية الفضية ما زنته اربعة آلاف وخمس مئة كيلوغرام . ودوي ان احد القواد الذين فتحوا مكدونية دخل رومية ومعه مئتان وخمسون مركبة

مشحونة تماثيل وتصاوير يونانية . والقائد الذي اخضع اليونان غنم خمس مئة تمثال بعضها من البرنز والبعض الآخر من الرخام . والذي دمر قرطاجنة ملاً رومية بالمنحوتات اليونانية . حتى في مدينة صغيرة كبومباي بلط احد الاغنياء . غرفة الطعام في منزله بصورة فسيفساء تمثل الاسكندر في ساعة العراك (س ١٥٥) . وكانت هذه الصورة قبل ان وصلت الى بومباي تزين ارض احد المنازل الفضة بالاسكندرية في العصر الهليني . وعلى هذا النمط اخذ الرومانيون يزخرفون منازلهم ويزينونها بانفس الاثاث واجمل انواع السجوف والطنافس المجلوبة من الشرق

(١١٥) الكماله
في منازل اغنياء
الرومانيت



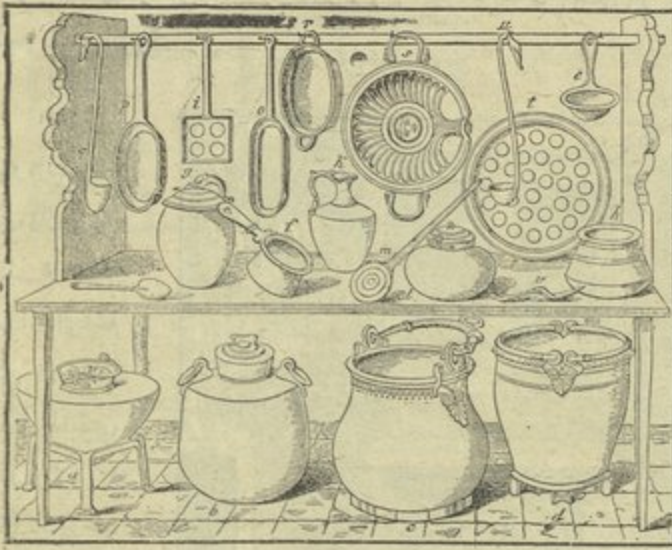
الشكل ١٩٢ رواق منزل في بومباي

و ادخل الرومانيون الى منازلهم كثيراً من اسباب الراحة التي كانت في منازل الهلنيين (ف ٦٧٢) كالانابيب لجري المياه والحمامات واشياء أخرى صعبة . وكانت البيوت البالغة درجة تذكر من الاتقان تحوي انابيب فخار لنقل الهواء الحار لتصور انفسنا واقفن وظهورنا مداراة الى جهة الغرفة التي في المركز (وراءنا تماماً الغرفة (C) في ش ١٩٢) . فيكون نظراً معها الى الدار والمدينة (١٩٢ (B)) . وقد وجد المتقون في اخره بومباي المائدة والتابل والنافورة والتسقية في الوسط . وجميع هذه الاشياء مصنوعة من الرخام الناصع . ولا تزال في مراكزها مغطاة بحجم بركان ازوف منذ الف وثلاث مئة سنة (ش ٢٠٩) هنا كانت تعيش العائلة وهنا كان يلعب الاولاد حولي الدار بتجديس برآن الازهر وموسيقى المياه المتدفقة من النافورة

الى الغرف المهمة في المنزل . وهذا اقدم نظام للتدفئة بلغ اليه الانسان وكان في المطبخ كثير من اواني البرنز انفس من التي تشاهد في مطابخ هذا الزمان (ش ١٩٤)

واستدعت عيشة الرفاهية والرخاء وجود عدد كبير من الخدم في المنزل . فكان على الباب الكبير عند المدخل بواب وكان لكل عمل صغير في البيت خادم خصوصي حتى فرك جسم رب البيت بعد الحمام كان له خادم خصوصي ايضاً وكثيراً ما كانوا يستخدمون العبيد للخدم الدنيئة ولكن وجود الطهارة لم يكن امراً سهلاً . وكان الروماني الغني يؤدي خمسة وعشرين الف فرنك ذهب اجرة طاهٍ يجيد الطبخ

(١١٦) صورة
الخدم في البيت
ولا سيما من العبيد



الشكل ١١٤ ادوات مطبخية من البرنز وجدت بين انقاض
بومباي بايطاليا

وفي
الجملة ، كان
لعيشة الرفاهية
والترف التي
دخلت من
الشرق ، تأثير
سيء في
الاخلاق
ولكنها
في الوقت
نفسه ايقظت
الرومانيين
ونقلتهم الى
حياة جديدة
ارقي جداً من
حياتهم
الاولى . وقد

(١١٧) الار
الفن اليوناني في
روسة وثالبرما
الجميل

لما نبش المنقون هذه الادوات المطبخية وجدوها موضوعة في اماكنها في المطبخ ومكتوباً على كل قطعة منها بعض احرف وينيد النمليد ان يعمل قائمة باسمها ويذكر بهند الامكان الغرض من كل واحدة منها

تم ذلك كله بتأثير ما ابتدته العبقرة اليونانية من روائع الفن . فابتدأت مباني العصر الهليني تتجلى في رومية . وقبل ان ينقضى رَدَح من الزمان سُيّد مسرح على الطراز اليوناني وزاد عليه الرومان اشياء جديدة صيرته احسن مما كان قبلاً . ومن تلك الزيدات مظلات تقي من فيه حرّ الهجير ، وستار في مقدم الدكة كالمسائر التي تستعمل في هذه الايام ، ومقاعد للجلوس في دائرة جوقة الموسيقين حيث كان المرتلون اليونانيون قديماً ينشدون اغانيهم

(ش ١٤٣)

(٨١٨) اندرونيس
وترجمته الآداب
اليونانية الى اللاتينية

وكان في رومية عند ختام الحرب الصقلية (٢٤١ ق.م) عبد اسمه اندرونيس كان قد اعتقه سيده فاصبح حراً . فهذا اذ رأى شغف الرومان بالآداب اليونانية شمر عن ساعد الهمة وشرع في ترجمة الاودسي (ف ٤١٣) الى اللسان اللاتيني لتكون ترجمته هذه كتاباً مدرسياً للاولاد الرومانيين . ثم ترجم للكبار المآسي اليونانية التي كانت تمثل قديماً في اثينا (ف ٥٥٤) وكثيراً من الروايات الهزلية الاتيكية (ف ٥٥٧) فكان هذا العبد الفاضل اول اديب في التاريخ توخى ترجمت فنية صقلها الادب وجلاها حسن الذوق . فكان بذلك مؤسس فن ترجمة الآداب . وابتدأت مواد الآداب اليونانية على اختلاف متاحها تدخل الحياة الرومانية بطريق الكتب التي ترجمها ذلك العبد الاديب

(٨١٩) تالف بر
العلماء اليونانية
في التهذيب الجديد
في رومية

اعتاد الرومان ألا يهتئوا كثيراً باسر تعليم اولادهم . ولم يكن عندهم في بادى الامر مدارس لتعليمهم ولكن بموجب عادة رومانية قديمة كان على كل والد ان يعلم اولاده . وهكذا ثابر الآباء على هذه العادة الحميدة الى ان قام جماعة من العبيد اليونانيين المحررين واخذوا يفتحون في رومية مدارس لتعليم الصغار فصار الآباء يرسلون اولادهم اليها . وكان في بعض البيوت عبيد متهذبون مثل اندرونيسكس فشرع هولاء يعلمون اولاد الأسر التي يقيمون بينها . وكان الاعتماد في التعليم على الكتاب الذي اعده اندرونيسكس لتعليم مبادئ القراءة . وكان يؤتم رومية بين حين وآخر بعض مشاهير رجال العالم من اليونانيين لالقاء محاضرات على مسامع الجمهور فيقبل عليها الراغبون في التهذيب اقبال الظلماء الى الماء . وكثيراً ما كان الشبان الرومانيون يقصدون الى اثينا نفسها لاتمام دروسهم العليا فيها

(٨٢٠) تالف بر
اليونانيين المتعلمين
في رومية
بوليبوس

وبعد استيلاء رومية على بلاد اليونان زاد امتزاج اليونانيين بالرومانيين وتوثقت بينهم عرى الالفة والوثام وكان بين الف يوناني الذين أتى بهم رهائن الى رومية - وكلهم من اكابر واعيان بلادهم - رجل فذ على جانب كبير من العلم والفضل ودماثة الاخلاق يدعى پوليبوس . واتفق حين وصوله الى رومية أن حل ضيفاً في بيت شيبو واخيه اللذين حظي عندهما ورافقها في حملاتها الحربية وكان معززاً مكرماً . وقد شاهد بام عينه خراب قرطاجنة وكورنثوس وكتب تاريخاً خالداً للحروب الرومانية باللغة اليونانية . وكان للجماعة الراقية من اليونان نفوذ كبير بين المتنورين من الرومان كشيبيو واخيه . وما رواه پوليبوس في تاريخه عن احراق قرطاجنة انه وقف بجانب شيبو الاصغر ينظر الى السن النار المندلعة والدموع تسح من عيني سيده الروماني الشاب . وقد اقتبس پوليبوس في تاريخه ما قاله هوميروس في تدمير طروادة

وبعد ان اطلع الرومان على الآداب اليونانية - وهي الوحيدة المعروفة عندهم - واكثروا من الامتراج بالجماعات المتهدبة الراقية من اليونان وقادوا في عشرينهم بالليل والنهار نشأ فيهم ميل شديد الى تحديهم والنسج على منوالهم في التعابير البليغة فنبغ في ايطاليا رهط من الشعراء والمؤرخين واصبح في استطاعة الروماني المهذب ان يطلع على مفاخر اسلافه الغابرين مدونة في قصائد حماسية ضافية منسوجة على منوال اشعار هوميروس . وعلى تقادي الايام ادمجت الحكايات الجميلة التي تروى عن رومية - في اول عهدها - بقلب من الشعر القصصي البليغ . ومن تلك الحكايات ، حكاية رومولوس وريمس وما ضارعاها من القصص المبهجة عما جرى في عصر الملوك الاولين . وقام من الرومان جماعة من كتبة الروايات الذين نهجوا منهج الروائيين اليونانيين وكتبوا روايات هزلية انتقدوا بها الهيئة الاجتماعية الرومانية انتقاداً مرّاً بأسلوب هزلي مضحك وكان الرومان يُصغون الى تلك المهازيل بميل . الرضى والابتهاج وضجيج الاستحسان

(٨٢١) نشرة
الآداب اللاتينية
تحت تأثير عوامل
يونانية

ولما ازدهرت الآداب الرومانية ، توافر عدد الدروج الحارية المؤلفات اللاتينية الجديدة ، وذاع امرها في رومية . ولما كثرت الكذب نشأ جماعة عنوا بنشرها فاستخدموا عبيداً قاموا بنسخها . وحين عاد احد الغزاة الرومانيين من حملته على مكدونية احضر معه كتب ملكها واسبس اول مكتبة خصوصية في رومية . واصبح اغنياء الرومانيين ، بعد ذلك ، حين تشييدهم منازل جديدة ، يحسبون للمكاتب حساباً فيعينون لها غرفاً مخصوصة . ونشأت طبقة من اهل الادب كان من ضمنها افضل القواد الرومانيين . ولم يكن يسوغ لاحد ان ينتمي الى هذه الطبقة الراقية ما لم يكن لديه مكتبة مملوءة بانفس الكتب اللاتينية واليونانية . وكانت هذه الطبقة المتهدبة تحسن استعمال الالفة اليونانية كما تحسن استعمال اللاتينية . وتكون بين هذه الطبقة الراقية من الرومان والطبقة الجاهلة هوة عظيمة لم يكن لها وجود في اول عصر الجمهورية ايام كانت البلاد في طور الزراعة وسكانها من طبقة الفلاحين

(٨٢٢) سافرو
الكتب والمكاتب
والطبقة المتهدبة

٨٢

الانحطاط في المدينة والقرى

وقد صعب حياة الحضارة اليونانية الجديدة وترفها شروراً كثيرة . فدفعت الحمية الوطنية رجلاً من الطراز القديم اسمه كاتو كان اصلب قوميه عوداً فانضم اليه جماعة من

(٨٢٢) العوامل
المنسدة في حساب
العرف الجديدة .
قوانين عهد البذير

اضرابه الرومانيين الى التضافر على سن قوانين لمقاومة الاسراف على اختلاف اشكاله
ومناحيه كافرط السيدات في التنافس في اقتناء الحلى والجواهر الثمينة وركوبهن المركبات
الى الاماكن التي كن يذهبن اليها سعيًا على الاقدام . ولكن قوانين كهذه لم تكن الحاجز
الحصين الذي يصد الناس عن السير وتبدا الى مزالت الفساد ومهاوي الرذيلة . وقد دالت
الايام التي ازدهرت فيها الاخلاق الرومانية وامست في خبر كان . وظلت قوة رومية تزيد
مع كرور الزمان ولكن دون ان يرافقها من جانب الفضيلة الرومانية القديمة وازع يرد
الناس عن ارتكاب الرذيلة ويكبح جماحها

(٨٢٤) المجالدة
وقائدها السباح

وقد كان هذا الامر بادياً بنوع خصوصي في حياة الطبقة الامية والصعاليك الذي مالوا
الى المدنية اليونانية كما مالت الاكثوية الساحقة من سائر الطبقات الاخرى الى ما في تلك
الحضارة من دواعي الترف ورغد العيش . فلم يفقهوا المعنى الحقيقي لها . وفي اوائل الحرب
الصقلية بين رومية وقرطاجنة أدخلت عادة اترسكية قديمة وهي المجالدة الفردية بين
المجرمين المحكوم عليهم او بين العبيد الذين كانوا يتضاربون بالسيوف احتفاءً بآتم رجل من
كبار الرومانيين . ودعي هولاء مجالدين . وكان بعض الموظفين الذين يقومون بتدبير حفلات
الاعياد العمومية ينظمون لوائح مطولة يعينون فيها جماعات من هولاء المجالدين ليقوموا
بالمجالدات تسليمة للجواهر المتألمين ورغبة في نيل اصواتهم وقت الانتخاب للوظائف العليا .
وكانت هذه الالعب الدموية البربرية تجري اولاً في اماكن مؤقتة توضع فيها بعض مقاعد
للجلوس . ولكنهم بنوا لها بعد ذلك مباني حجرية مخصصة بدرجة سموها «امفيثياترات»
ثم اضافوا الى هذه العادة عادة اخرى وهي المصارعة بين المجالدين والوحوش . ثم انشأ
الرومان ميادين عظيمة لسباق المركبات تحيط بها مقاعد حجة يجلس عليها المتفرجون دعواها
« مضامير »

(٨٣٥) فروع
الحنطة مماثلاً على
النقراء والرشوة

وانحطت عامة الشعب في رومية تدريجياً وهانوا وأفقوا هذه المشاهد المذكورة آنفاً التي
كانت احياناً تدوم اياماً واعتقدوا كما لئنوا انها نصيبهم من غنائم الفتوحات العظيمة . ولما
اشتدت الفاقة اهتمت الحكومة بتوزيع الحنطة عليهم بصورة قانونية ولم يكن الضرر
الذي نجم عن هذه العادة على ردايتها شيئاً في جنب ضرر الرشوة التي كان يارسها خفية
المرشحون للوظائف . وقد سنت قوانين لاستئصال شأفة هذه العادة ولكنها لم تأت بالفائدة
المنتظرة بل كان تأثيرها مما لا يؤبه له . وكان حق التصويت بين الرومانيين محصوراً في الذين
كان يجوز لهم حضور المجامع السياسية في رومية . فاذا ما رام احد طلاب المناصب القبض
على ازمة الاحكام في الدولة التي دانت لها المسكونة بأسرها لم يكن عليه الا ان يرشو

جماعة قليلة العدد من الرعايا الرومانيين الذين كانوا اعضاء في المجامع السياسية وكانت نفقات الحطط السياسية هائلة جداً . فكان الشاب الروماني الذي يهوى الانخراط فيها يضطرُّ الى اقتراض دراهم ليؤدي نفقات المجالدات الكثيرة فضلاً عما كان يؤديه رشوة للمنتخبين وحين كان ينتخب للمنصب الذي يطمح اليه لم يكن يقبض راتباً بدل خدمته بل كان مضطراً ان يقوم بنفقات الكتّاب الذين يقومون بالعمل الملقى على عاتقه في منصبه الجديد

(٨٣٦) النفقات
في سبيل الحطط
السياسية

وكان رجل السياسة الروماني يطلب الوظيفة الآن ليتمكن بها من الحصول على النفوذ الذي يبوئُه حاكمية ولاية غنية . وحين رجوع احد هؤلاء الولاة الى وطنه بعد انتهاء مدة ولايته لم يعيش عيشة ذلك الروماني الساذج في الايام القديمة الطيبة بل كان يعيش عيشاً ملكياً محفوفاً بجميع ضروب التمتع والترف . وقد كان هؤلاء النفعيون الذين كان بايديهم زمام القوة العليا في ولاياتهم خطراً على الجمهورية لانهم كانوا قد ذاقوا لذّة سلطة الملوك بلا وازع الشريعة الرومانية ولا قيود نُظُم الجمهورية

(٨٣٧) المنفعة
ال شخصية وصفات
الولاة الراجعين
الى رومية بعد
انتهاء اجل ولايتهم

لم تكن شرور الفنى الحديث النشأة اقلّ ظهوراً خارج رومية مما كانت داخلها . وبما انه لم يكن في نظر الرومانيين لانقاً ان تتعاطى مشيختهم ونبلاؤهم التجارة ولا الاشغال الاخرى ، لانه كان عندهم اشرف مظاهر الثروة المقارات ، اخذ نبلاؤهم وارباب الاموال الطائفة منهم يشترّون مزرعة صغيرة اثر أخرى ويضمونها بعضها الى بعض فيتكوّن منها مزرعة كبيرة جداً شاسعة الاطراف . ولم يبق من تلك المزارع الصغيرة القديمة الا ترومبشوث هنا وهناك . هذه كانت حال مناطق كبيرة من بلاد ايطاليا فاضمحت فيها المزارع الصغيرة كما اضمحت قبل ذلك في بلاد اليونان (ف ٥٨٥)

(٨٣٨) انصاع
المقارات الكبيرة
وتأخذ المزارع
الصغيرة

وكان يستحيل على ارباب الاملاك الاغنياء ان يديروا العمل في عقاراتهم الواسعة باستئجار عمّلة احرار . ولم يكونوا مجبرين على ذلك لانه من الحرب الهننالية فما بعد كانت الفتوحات الرومانية يتابع تدفقت منها على ايطاليا أسارى الحرب الذين كانوا يباعون عبيداً . ولم تكن حياتهم في المقارات التي أخذوا اليها ليعملوا فيها بارقي من حياة البهائم . وكانوا يُكوّنون يماسم محاة بالنار فيبقى الوسم علامة ابدية يُعرفون بها . وكان سادتهم يضعونهم ليلاً في نُكُن وفي النهار يساقون الى الحقل كدواب الحمل ليعملوا فيها . ولما نقص عدد اسرى الحرب صارت حكومة رومية تعضُّ الطرف عن اعمال النحاسين الذين كانوا يخطفون الاولاد من بلاد ايبه وشرق البحر المتوسط ويبيعونهم عبيداً . فداوموا على

(٨٣٩) استعباد
اسرى الحرب

هذا العمل الشرير سنين كثيرة

وامتلات ايطاليا وصقلية من العبيد الذين اقلقوا البلاد بالثورات التي كانوا يقومون بها من جرأ المعاملة السيئة الوحشية التي كانوا يعاملون بها في انحاء مختلفة من ايطاليا . واما في جنوب صقلية وأواسطها فتجمع نحو ستين ألفاً منهم وقاموا على سادتهم وقتلهم واستولوا على المدن والقرى وأسسوا مملكة . فاقضى اخضاعهم جيشاً رومانياً بقيادة قنصل روماني ، وحرباً دامت بضع سنين

(١٣١) الغداه
سنة الانهزام
والفقره وعصراً
صغار المزارعين

وفي غضون ثورة العبيد في صقلية قام اصحاب الحقول الاحرار واخذوا يحرقون المزارع الكبيرة والداكر التي انشأها كبار الملاكين من ارباب الثروة في البلاد فكانت ثورة العبيد مظهرًا للضعف الكامنة في الصدور ليس بين العبيد والاغنياء . فقط بسل بين هولاء وبين الطبقة الفقيرة من الاحرار ايضاً - فكان الملاكون الكبار مبغضين من العبيد والاحرار على السواء . فالفتوحات العظيمة والثروات الطائلة التي دخلت البلاد بواسطتها جعلت الغني اغنى جداً مما كان والفقير اشد فقراً فتكوّن بين الفئتين هوة عظيمة لا يمكن اجتيازها وفقدت بينها الشركة في العواطف . فانقسمت بذلك الهيئة الاجتماعية الايطالية الى صفتين كبيرين صف الاغنياء وصف الفقراء . وبينها من الاحقاد والضغائن ما لا يوصف . وقد كان معظم سكان ايطاليا كما رأينا قبلاً من صغار المزارعين . فلننظر الآن في تأثير الحروب العظيمة على هولاء المزارعين

(١٣٢) انهزام
المزارع والحياة
المرعبة في ايطاليا
بسبب الحرب

ظهرت لنا الحرب بظهور العظمة والمجد حين كنا نتبع انتصارات هنيبال الباهرة وفوز شيبو العظيم في زاما . ولكننا اذا نظرنا الى الوجهة الاخرى نرى انه لم تتجل في عصر من عصور التاريخ نتائج الحرب المخيفة والنفقات العظيمة المبذولة في سبيل نيل المجد العسكري كما تجلت في ايطاليا . فقد غادرت الحرب الهنيبالية جنوب ايطاليا قاعاً صافئاً وكثيراً من اراسطها في حالة احسن قليلاً من حالة الجنوب . واهملت هذه المناطق المخربة بالمرّة فلم تعد تعمر ولم تفلح بل صارت مسرحاً للماشية ومرعى للبهائم . واما في المناطق التي لم تمسها يد الحرب المدمرة فقد غاب الآباء وابنائهم البالغون سنين عديدة عن بيوتهم في الخدمة العسكرية يخوضون المعارك التي جعلت رومية سيدة العالم . وحين كان يعود الواحد منهم الى بيته لم ترق اشغال الحقول المتعبة المملّة في وطنه بعد خوض غمرات الحروب في الخارج . فتقوّضت بذلك اركان الحياة البيئية ورأت الامهات اولادهن يغادرون الحقول الواحد بعد الآخر حتى امست قفراً بلقماً

وكثيراً ما كان يتفق للجندي حين عودته الى ارض ميلاده ان لا يرى للمزمل الذي

آواه في ولوديته عيناً ولا اثرأ ويجد عائلته قد تشتت شملها ومزرعته الصغيرة بيعت من احد الاغنياء، ايفاء للدين، ووضعت الى مزارعه الكبيرة التي كان الروماني قد رأى امثالها في ضواحي قرطاجنة (ف ٧٦٩) ويجد ايضاً ان جيرانه قد غادروا وطنهم بعد ان بيعت حقوقهم توسيعاً لاملاك الاغنياء الذين ابتاعوها. فيلعبون اذ ذاك، الغنى الذي كان مجلبة لجميع هذه الاضرار. ويؤم المدينة العظيمة حيث تقدم له الحنطة مجاناً من لدن الحكومة ويحضر الالعاب والمسابقات ويزيد في عدد الفقراء

(١٨٣٦) صاحب
المزارع الكبرى
الاغنياء يباعون
المزارع الصغرى

وإذا والاه الحظ واتفق ان وجد بيته وحقوقه لم تصب بضرر فلا يلبث ان يرى جماعات العبيد القائمين بحراثة وزراعة المزارع الكبرى يُنتجون الحنطة بنقطة اقل من التي يبذلها هو في سبيل انتاجها فاذا ما باع غلات ارضه وجد ان مجموع ثمنها غير كافٍ للقيام بنفقات عائلته. وفي الوقت نفسه كانت اسواق ايطاليا تكتظ بكميات الحنطة الرخيصة الثمن الواردة اليها من صقلية وافريقيا ومصر فتضطره الحال الى بيع مزرعته الصغيرة ومغادرة وطنه واللياذ برومية حيث كان يجد الوفاً والوفاء من اضرابه بلا مأوى يقاسون مفض الفاقة ومرارة العيش متمدين في تحصيل القوت الضروري على الحكومة. هولاء هم الذين كانوا فيما مضى اصحاب الاراضي الزراعية وعمد الامة الرومانية الذين كانت تنظم منهم اعظم جيوشها وافخرها. هولاء هم الذين كانوا قوام تلك القوة التي أسست عليها المشيخة الرومانية مملكتها الشاسعة الاطراف البعيدة الاكناف. هولاء هم الذين كانوا رومسية كل ما ذكرنا زاهم الآن صائرين الى البوار والاضمحلال

(١٨٣٤) عجز
الدلاح عن مباراة
المسيد في العمل
وتأخر الزراعة في
الطواحي

تقد كان للقوة والثروة اللتين بلغتها رومية بتسلطها على المسكونة اسوأ تأثير فيها لانها جرأها الى شفا جوف الهلاك. ولم تكن الحال في معظم مناطق الدولة الرومانية خارج ايطاليا حتى في ارقاها مدنية، ولا سيما في بلاد اليونان احسن ما كانت في ايطاليا. فان فلأحياها — تحت نظام المزارع الكبرى الذي دخلها من اسية حيث نشأ في ايام الفرس (ف ٢٧٧) — كانوا قد تلاشوا كما كان فلاحو ايطاليا آخذين الآن في التلاشي. أضف الى ذلك الغضب والاختلاس اللذين كان يرتكبهما الحكام وجباة الجزى والضرائب، وغزوات لصوص بحر ايجه النخاسين الذين لم تستطع الجمهورية ان تضرب على ايديهم وتمنعهم عن النهب وخطف الاولاد، وتحول التجارة اليونانية شرقاً (ف ٦٦٨) أضف كل ذلك تجد الاسباب الكافية لقتل الاعمال التجارية والزراعية، والقضاء المبرم على آمال العالم اليوناني وتقدمه. وفي الوقت نفسه كانت علامات التقهر والانحطاط باقية كل البدي على تلك المدنية السمية التي كان قد بلغها العالم الهليني (فصل ٢٠)

(١٨٣٥) انتقصر
السيرواخي
والاقتصادي في
بلاد اليونان

كان الآن القسم الشرقي من البحر المتوسط وطن المدينة اليونانية كما كان القسم الغربي منه وطن المدينة الرومانية. ولكن تقصير المشيخة الرومانية في تنظيم حكومة مراقبة للامبراطورية التي افتتحوها - حكومة مثل حكومة بلاد الفرس تحت حكم داريوس (ف ٢١٤) - هذا التقصير، قد جرَّ جميع بلدان البحر المتوسط ومدنيتها الى حافة الدمار. وفضلاً عن ذلك كان يسمع الآن من وراء التخوم الالبية ضجيج حركات برايرة الشمال الذين كانوا يتهددون بازحف والتدمير ذلك العمران الذي شيده تدرجياً بنو المشرق واليونان والرومان في بلدان البحر المتوسط في غضون ثلاثة آلاف سنة. وقد كانت جميع الامارات تدلُّ على قرب اضمحلال الدولة الرومانية وزوال العمران الذي استمرَّ قرونًا متعاقبة في حال النشوء والتطور. أفكان الانسان المتمدن مزماً حقيقة ان ينقرض عن وجه الارض او كانت الدولة الرومانية قادرة ان تعيش اكثر وتبقى ذلك العمران من الحراب

كانت رومية حكومة مدينية وكان بطلان هذا الضرب من الحكومة الضيق النطاق، وعدم نفعه وكفايته لتنظيم مملكة كبيرة واحسان ادارتها من الامور التي لا تحتاج الآن الى برهان لانها قد تبرهنت مراراً كما تبرهن بطلانها في الجمهورية الرومانية وعدم صلاحيتها لادارة احكام عالم البحر المتوسط الفسيح الارجاء. ولكن هل كان في الامكان تحويل هذا النوع من الحكومة الضيق النطاق الى حكومة امبراطورية تصلح لادارة الاحكام بين الشعوب والامم المحيطة بالبحر المتوسط مع ما فيها من تعدد المناصب والوظائف وهل كان في الامكان ان تكون هذه الامبراطورية لعالم البحر المتوسط ما كانته الامبراطورية الشرقية لعالم غرب اسية ومصر الذي لا يقل اتساعاً عن العالم الروماني

نقف الآن حيال النقطة التي اخذت عندها المدينة الهلنسية بالتقهقر وهي خراب قرطاجنة وكورنثوس (١٤٦ ق م) ونأخذ في مراقبة الشعب الروماني في اثنائه جهاده في معالجة ثلاث مشكلات في وقت واحد. الاولى النزاع الداخلي العتال الذي رأينا قبلاً انه كان على وشك الوقوع بين الاغنياء والفقراء. والثانية تنظيم حكومة رومانية صالحة لادارة الشؤون في عالم البحر المتوسط مع وجود التحول الداخلي المخيف جارياً مجراه. والثالثة هجوم برايرة الشمال في ايان هذه الاحوال الخطيرة. وبالرغم من كل هذه الاخطار التي كانت تهدد الرومانيين نراهم قد نظموا حكومتهم على نمط جديد مكنتهم من صد برايرة الشمال ومن المحافظة على الحدود الشمالية خمس مئة سنة أخرى، ووقاية التمدن الذي مرت عليه قرون وهو يسير على رسله حتى بلغ ما بلغه من الرقي. هذا التمدن قد اصبح بهذه الوقاية ميراثنا اليوم. فهذا العمل الخطير الذي قامت به رومية سيكون موضوع درسنا في ما بقي من فصول هذا الكتاب

(١٨٦٦) تقصير
حكومة شرق البحر
المتوسط الرومانية.
موقف المدينة
لخطر

(١٨٤٧) تقصير
الحكومات المدينية
في الدول
الامبراطورية

(١٨٣٨) مسؤولية
رومية في تنظيم
وحماية ومدنية عالم
الامبراطورية

مسائل

٨٠

ماذا كان مزماً أن يكون موقف رومية كسيده عالم البحر المتوسط الغربي ازا. الامم
الاخري التي تنتمي الى هذا البحر ؟ لماذا كانت الحال تقضي على رومية باخضاع فيلبس
المكدوني ؟ صف القتال بين رومية ومكدونية . باية امبراطورية شرقية اتصت
رومية بعد بسط سلطتها على مكدونية ؟ صف القتال بين رومية ومملكة سلوقية .
ماذا جرى حينئذ لمكدونية ؟ واليونان ؟ اية مدينتين فاخرتين هدمها الرومان في
سنة واحدة ؟ صف واجب الحكومة الذي كان الآن امام رومية

٨١

هل كان للرومانيين خبرة في ادارة احكام الولايات في الخارج ؟ صف حكم حاكم
روماني اعتيادي ؟ ماذا تستطيع ان تقول عن زيادة الثروة الرومانية ؟ ماذا كان
تأثير ذلك على الاعمال في رومية ؟ ما هو نوع المنزل الذي كان الروماني يقيم فيه اولاً ؟
اي نوع بنى الآن ؟ ماذا كان اثاثه ومن اين كان يوتى بالاشياء النفيسة التي كانت فيه ؟
ما هي المقابلة بين الحالة الآن والحالة قبل الحروب القرطاجنية ؟ ماذا تقول في الحدم
الذين كانوا لدى أسرة مشرية ؟ صف تأثير اشغال الفن اليوناني في رومية . هل كان
بين رجال الفن الرومانيين من يضارع رجال الفن اليونانيين ؟ قل كيف صارت الآداب
اليونانية معروفة في رومية ؟ ماذا كان تأثير اليونانيين المتهذبين في التعليم في رومية ؟
قل ما تعرفه عن بوليبيوس . كيف نشأت الآداب اللاتينية ؟ ماذا تعرف عن
المكاتب والطبقة المتهذبة من الرومان ؟

٨٢

اي تأثير احدثته عيشة الترف في الحياة الرومانية ؟ صف نشوء المجالدات . ماذا تستطيع ان تقول عن نفقات الخطط السياسية ؟ ماذا كان يجري على المزارع الصغيرة ؟ صف الاسترقاق في المزارع الكبرى . صف ثورات العبيد . صف تأثير الحروب على صغار الفلاحين وتأثير المزارع الكبيرة وحنظتها الرخيصة . صف حالة ايطاليا بوجه الاجمال . صف حال بلاد اليونان والعالم الايجي . كيف كانت حال المدينة الملمينية بوجه الاجمال ؟ كيف كانت حالة الزعامة الرومانية من النجاح في عالم البحر المتوسط حتى الآن ؟ هل كانت الحكومة المدنية ذات نظام يوافق حكم امبراطورية عظيمة ؟ ما هي المشكلات الثلاث التي كانت ماثلة امام الحكومة الرومانية في ايطاليا اولاً وفي جميع عالم البحر المتوسط ثانياً وعلى الحدود الشمالية والشرقية ثالثاً



الشكل ١٩٥

يرينا هنا الرسم زاوية من زوايا مكتبة رومانية فيها الكتب كلها بهيئة دروج (ش ١٤٤) مصنوفه بحسب مواضعها في طاقات . واطرافها بارزة الى الخارج مر بوطه بها بطايق مكتوبة عليها عناوين الكتب لكي يتمكن مدير المكتبة من وجود اي كتاب كان بالدرعة اللازمة ، وارجاعه الى الرفوف ووضع في محله المخصوص كما نراه في هذا الرسم

الفصل الرابع والعشرون

قرن الثورات ونهاية الجمهورية

٨٣

مشكلة الاراضي وبدء النزاع بين المشيخة والعامية

ذكرنا في نهاية الفصل السابق المشكلات الثلاث الصعبة التي كان على المشيخة الرومانية معالجتها . ففي ايطاليا كانت لديها مشكلة خطيرة جداً - بل اخطر مشاكلها - وهي حالة من بقي من صغار المزارعين والاهتمام بامرهم وامر مزارعهم . وكانت هناك مشكلة أخرى لا تقل عن هذه خطراً وهي تبرم الخلفاء الايطاليين الذين لم يمنحوا حق التصويت قط ولا سمح لهم بحق التوظف في الحكومة . ولم تكن المسائل التي خارج ايطاليا اقل خطورة من هذه ويمكن حصرها في اثنتين اولاهما اصلاح حكومة الاقاليم اصلاً تاماً وايجاد نظام لادارة احكام الدولة الرومانية على اسلوب موافق يؤدي الى فلاحها وخيرها والثانية تقرير حدودها

(٨٣٩) المرفف
الخطر امام المشيخة



الشكل ١٩٦ نرى في هذا الشكل وجهي قطعة تتود ضربها برونس زعيم قنلة قبصر . على الوجه الواحد يشاهد وجه برونس واسمه ونسب امبراطور المدلول عليه بالاحرف (IMP) وعلى الوجه الآخر شيخان يقصد بهما التذكير بقنل قبصرويينها فلسوة المحرمة رمزاً الى المحرمة التي يظن ان الرومان نالوها وقتلوا . ولكني بتضع معنى ذلك كلاً في الرسم في الاسفل هذه الحروف EID MAR ومعناها Ides of March اي الخامس عشر من اذار وهو تاريخ مقتل قبصر

وصد البرابرة الغزاة عنها فانهم كانوا يهددون عالم البحر المتوسط وعمرانه بالدمار والاضمحلال كما دمر اليونان قبل عهد التاريخ العمران الايجي (ف ٣٨٦)

(١٤٠) الصراع بين المنفعة والعامه طيباريوس غرقس ثرويون ١٢٢٣ ق.م

لم يكن صراخ فئة المزارعين الشديد ليؤثر في مسامح اشرف المشيخة الذين اعلمهم حب الذات واصم آذانهم عن صراخ شكاوي المساكين . وقد حاول بعضهم اعادة توزيع الاراضي من جديد فاختق مسماه الا انه نبغ من طبقة الاشرف رجل اشهر بحب الوطن والتجرد عن المصلحة الذاتية فمقد النية على ان يكون زعيماً للعامه ومنقذاً لاطاليا من الدمار باعادته اليها جماعة المزارعين والفلاحين . وكان اسم هذا الرجل طيباريوس غرقس وهو حفيد شيبو الاكبر بطل زاما . فلما انتخب تربيوناً (١٣٣ ق.م) اخذ يلقي الخطب الحماسية على مسامح العامة ويعدد لهم ضروب المظالم التي وقعت عليهم . قال في احدي خطبه : « ان للوحوش التي تجول حول ايطاليا اوجرة ومكانن تأوي اليها وتنام فيها . وانتم الذين تحاربون حروب ايطاليا وتوتون من اجلها ليس لكم ما تتمتعون به سوى بركات الهواء النقي ونور الشمس هاتان البركتان فقط هما نصيبكم من الميراث . لا مأوى لكم ولا مستقر ولذلك انتم مضطرون بحكم الضرورة ان تنتقلوا بنسائكم واولادكم من مكان الى مكان . تحاربون وتوتون وغيركم يتنعم بالثروات الطائلة ورغد العيش . تدعون سادة العالم ولكن ليس لكم مدرة تستطيعون ان تدعوا انها ملك لكم »

(١٤١) قانون الاراضي الذي سنه غرقس

وعرض طيباريوس غرقس على مجمع العامة ، بصفة كونه تربيوناً ، قانوناً يقضي بوجوب توزيع الاراضي المشاعة من جديد وحماية الفلاحين والمزارعين واعالتهم . ولا غرابة في ان يصدر هذا القانون المصوغ في قالب الاعتدال من سياسي كبير كغرقس الذي كان يحاول ان يخدم ايطاليا بمثل ما خدم به صولون اتيكا (ف ٤٦٢) بل كان القانون الذي سنه غرقس اكثر اعتدالاً من تسيريع صولون . ولكن بينما كان يجاهد لاعادة انتخابه لكي يتمكن من تنفيذ قانونه هجم عليه وعلى الذين التفوا حواليه بعض سفلة المشيخة الذين كانوا كامنين في بنائهم المجلس واغتالوه . فكان اغتياله اول حادثة استهل بها قرن الثورة والحرب الاهلية (١٣٣-١٣١ ق.م)

(١٤٢) النزاع بين عابوس غرقس بالمشيخة

وبعد وفاة طيباريوس غرقس بعشر سنين انتخب اخوه غايوس مكانه للمنصب نفسه (١٣٣ ق.م) ولكنه لم يكتف باستئناف النزاع الذي كان قد شرع اخوه فيه لحماية الفلاحين الذين لا اراضي لهم ، بل جعل نصب عينيه غاية محدودة سمى الي بلوغها وهي مناصبة المشيخة العدا . والفت في سواعدها . واقترح في نفس الوقت ان يُمنح الخلفاء

الايطاليون ما طالما طمحت نفوسهم اليه ومثوها به ، وهو حقوق الرعية الكاملة . فانار هذا الاقتراح غضب العامة فضلاً عن غضب المشيخة . فكانت عاقبة سعيه شغباً عظيماً قتل في اثنائيه كما قتل اخوه قبله (١٢١ ق . م .)

٨٤

ظهور سلطة الفرد : ماريوس وسلاً

ان نقطة الضعف في الاصلاحات التي قام بها طيباريوس غرقس واخوه واقعة بنوع اخص في اعتمادها على التصويت اي على مساعدة الشعب لها حين الانتخابات واجتماعات مجمع العامة . وهذا امر لم يكن لها مناص منه . وليس بالامر السهل ضبط رغائب الشعب وامياله من انتخاب الى انتخاب . ففي انتخاب طيباريوس غرقس واخيه ، حين كان العمل في المزارع من الامور التي تستدعي النظر والاهتمام ، ابى السكان المقيمون في ضواحي رومية ان يذهبوا اليها ويعطروا اصواتهم مع ان الفائدة من قانون غرقس كانت محصورة في مصلحتهم . ولكن اعمال « الغرقين » علمت العامة ان يثابروا على التفتيش عن زعيم حتى يجده . فكان هذا العمل بدء السلطة الفردية الا ان الزعيم الذي اشرأبت اليه اعناق العامة لم يكن من مأموري الحكومة بل قائداً حربياً

١٨٤٣٧ ظهور
سلطة الفرد .
ماريوس وسلاً

واذ كشفت مساوي حكم المشيخة في الخارج فقام مجمع العامة وسن قانوناً وعين بوجيه قائداً من قبله لكي يحل محل قائد كانت المشيخة قد عينته للقيام بحرب اجنبية . فحل العامة وقر مشروع اجنبي كبير . واهم من ذلك كله انهم بفعلهم هذا اصبح زمام الجيش في ايديهم . ولم يكن في طاقة المشيخة ان تمنع تنفيذ قانون مجمع العامة . ولم تعد مصالح العامة موقوفة برمتها على احكام الملكيين تتغير من انتخاب الى انتخاب بل على القوة العسكرية بإمرة قائد في الامكان تمديد مدة خدمته

١٨٤٤٦
قائد الشعب ضد
الشيخة

ان القائد المسمى ماريوس الذي وضع العامة ثقتهم فيه ، كان هو نفسه واحداً منهم وكان في صوته حارثاً في الارض . وحسن الحظ كان ايضاً جندياً قديراً . وكانت رومية بتيسيس الحاجة الى مقدرته العسكرية . لانه كانت قد قامت في الشمال قبيلتان قويتان من برايرة الجرمان تُدعى احداهما قبيلة السمريين والاخرى قبيلة الثيوتيين فاتحد هولاء مع الغاليين وشرعوا يزحفون جنوباً وقطعوا تحوم رومية فسارت عليهم رومية ستة فيالق ولكنهم

١٨٤٥٠
ماريوس
قائد الشعب يتهرب
بوغرنا وبرايرة
الجرمان

مزقوا شملها كل ممزق واتضح للكتائب الرومانية انها قد لاقت قرنبا فعرا اهل رومية قاتق وهب العامة لاعادة انتخاب ماريوس قنصلاً وارساله الى مقاتلة برابرة الشمال فنشبت بينه وبينهم في الشمال معركةتان عظيمتان دارت الدائرة فيها عليهم . ولم يكتف بطل العامة بان كسر الاعداء بل اعمل في رقايبهم سيفه وسيوف جنده حتى افناهم . ولم يبق على احد من جنود الجرمان وهكذا كان خلاص رومية على يد جندي من العامة

لم يكن ماريوس جندياً قديراً فقط بل كان أيضاً ادارياً كبيراً . فلكي يتمكن من الحصول على عدد كاف من الجنود لتعبية الكتائب الرومانية الغى العادة القديمة التي كانت تحظر الخدمة العسكرية على من لم يكن من ذوي الاملاك وتحصرها في الملاكين . وادخل في الجندية الفقراء الذين لا يملكون فلساً ولم يلبث جماعة كهؤلاء . ليس لهم من حطام الدنيا شيء . ان اتخذوا الجندية مهنة لهم . فانقضى الآن في رومية عهد حصر الخدمة العسكرية في فئة من الناس دون أخرى كما انقضى قبلاً في بلاد اليونان (ف ٥٨٧) . ومع ان الخدمة العسكرية ظلت اجبارية على كل وطني روماني فانها لم تكن شديدة الوطأة ولم يكن اولياء الحل والمقد يدققون في اجرانها

وبرع الشبان الذين اتخذوا الخدمة في الجندية مهنة لهم ، في الحركات العسكرية واصبحوا قادرين ان يقوموا « بناورات » يستجیل على الوطنيين الذين يخدمون في الجندية امداً قصيراً ان يقوموا بثملها . ولذلك عاد ماريوس فنظم الكتيبة (اللجيون) من جديد . وزاد عدد رجالها من اربعة آلاف وخمس مئة الى ستة آلاف . وقسم كل كتيبة الى عشرة اقسام دعا كل قسم منها فصيلة جعل عدد رجالها ست مئة . وكانت هي الوحدة في المناورات الحربية المتقلة . وعليها كان يتوقف النصر والكسر في المعارك (ف ٨٠٠) . وكانت هذه الوحدات مدربة في الفنون الحربية اتم تدريب وحركتها وتنقلاتها في ساحة القتال بغاية التدقيق والضبط . وكانت ثقها بنجطة القائد تامة لا يشوبها شيء من الارتياب . فبايجاد الفصيلة في الجيش تم الفصل الاخير من موضوع نشوء فن الحرب في العصور القديمة

ولكن مع ما كان عليه ماريوس من المقدرة العسكرية وتنظيم الجيوش فانه لم يكن سياسياً محتكاً ولا بدع فقد ارتقى سريعاً من جندي بسيط الى رتبة قائد وبقي في قلبه فلاحاً رومانيا خشناً وان كان في قلبه الظاهر قائداً كبيراً . ولم يكن اهلاً للزعامة السياسية التي ظهر فيها قصوره تمام الظهور . فعادت السيادة والكلمة العليا الى المشيخة وتنجى ماريوس عن منصبه مرتدياً الفشل والعار الا ان زعامته علمت العامة كيف يفوزون على المشيخة

(٨٤٦) الغناه
ماريوس شرط
المصلحة للخدمة
العسكرية وقام
جيش اتخذ الخدمة
العسكرية مهنة

(٨٤٧) ابتكار
ماريوس الفصيلة
(Cohort)
وجعلها الوحدة
الحربية

(٨٤٨) تصوير
ماريوس في الحكم

باجتماعهم على اختيار قائد حربي لا تقوم سلطته بمجرد تنفيذ القوانين والعادات المرعية لدى المشيخة الرومانية بالطرق السلمية ، بل باستعمال القوة العسكرية بالطرق غير المشروعة

ومما زاد التراع بين المشيخة والعامّة تعقيداً تهرّم الحلفاء الايطاليين الذي كان يزيد مع الايام لان هولاء قدّموا جنسرداً للجيش الذي افتتح المملكة مثلما قدمت رومية ولكنهم حرموا حق التصويت ولم يُعطوا نصيباً من الثروة العظيمة التي كانت تندفق على الرومانيين من جميع أنحاء المملكة . وقد اعتمدت السلطة بصائر المشيخة والفئة الحاكمة في رومية . وكانت بلاد ايطاليا لا تزال مملوءة بالجماعات المشاققة بعضها لبعض فكان على رومية مسألة تأليف القلوب لجمال ايطاليا امة واحدة

(١٤٩٦) الشقاق في
ايطاليا وبرز الحلفاء
الايطاليين

وربّي لحسن الحظ جماعة من قادة الفكر بين الرومان ارتأوا ان يُعطي الايطاليون حقوق الرعية الرومانية . وكان في عدادهم رجل من النبلاء الاغنياء اسمه دروسس اكتسب ثقة العامّة فانتخبوه تريبوناً . فلم يلبث بعد انتخابه ان شرع في اتخاذ التدابير اللازمة لمنح الحلفاء الايطاليين حقوق الامة ولكنه لقي من مناوئيه مقاومة شديدة وحشية . وهجم عليه احد الرعاع في السوق وطعنه بسكين طعنة اودت بحياة هذا السياسي الروماني الكبير فخدا هذا الفعل البربري القبيح بقبائل الشعوب الايطالية في اواسط وجنوب ايطاليا الى رفع لواء الثورة وتأليف دولة جديدة وتنظيم حكومة خاصة بهم واتخذوا عاصمة لهم مدينة متوسطة بين اطراف بلادهم يسهل الوصول اليها من جميع الجهات على السواء دعوها بالاسم القديم ايتاليكا (٩٠ ق م)

(١٥٠) ابتداء
الرومانيون (٩٠
ق م) الامرسس
واغتيال دروسس

ولما رأى الرومان انهم انهكسروا من اول الامر في الحرب التي نشبت ، قرروا مكرهين ان ينجحوا حقوق الرعية لطالبيها فانفرط بهذه المنحة عقد الاتحاد الايطالي وعاد الايطاليون فدخلوا حظيرة الدولة الرومانية ولكن كطوائف سياسية من مدينة رومية الا انها بعيدة عنها . فالرايا الداخلون في هذه الطوائف البعيدة لم يكن لهم حق التصويت في الانتخابات ولا التدخل في شؤون الحكومة ما لم يحضروا الى رومية بالذات . ولكن هذا الامر كان بالطبع مستحيلاً وظهر فيه جلياً عجز الحكومة المدنية عن ان تنشئ نظاماً يصلح لادارة احكام امة عظيمة فكيف بادارة امبراطورية تشمل المسكونة بأسرها . ولكن مع كل ذلك ، كانت ايطاليا تسعى لكي تصير امة متحدة في الحكومة واللسان وكان على رأس الجيش الزاحف الآن على الحلفاء الايطاليين ضابط اسمه سؤلا كان قبلاً من ضباط جيش ماريوس فهذا عينته المشيخة ليتولى قيادة جيش زاحف على اسية الصغرى لان الحرب كانت على وشك ان تستعر نارها فيها . الا ان زعماء العامّة لم يرضوا

(١٥١) الحرب مع
الحلفاء (حرب
اجتماعية) ٩٠ -
٨٨ ق م مع حقوق
الرعية لجميع
ايطاليا

(١٥٢) قيام سؤلا
قنصل يربد المشيخة
ويخذل العامة بقوة
الجيش

عن هذا التمييز فسُنوا قانوناً انتخبوا بموجبه ماريوس للقيادة في الحرب الاسيوية المقبلة . ولكنه لم يكن لديه الآن جيش . واما سُلاً فكان لا يزال على رأس جيشه ولذلك لم يعبأ بالقانون الذي سنته العامة وزحف بجيشه على رومية . وهذه هي أول مرة استولى فيها قنصل روماني على المدينة عنوة . وحدثت المشيخة الآن حذو مجمع العامة سابقاً في انها جعلت اعتمادها في تنفيذ مآربها على قوة الجيش . وادخل سُلاً بالقوة ، قانوناً جديداً يقضي على مجمع العامة بوجود استشارة المشيخة قبل الاقدام على اجراء شيء من التدابير . وبعد ان تمكّن بطريقة مشروعة من ملاشاة قوة العامة حتى لا يُقدموا على مناوأة المشيخة توجه الى اسية الصغرى ليشولى القيادة فيها

وكان لواء الفوز قد عُقد للمشيخة ولكن بعد زحف سُلاً بكتائبه على اسية الصغرى رفع العامة لواء العصيان . وكان ماريوس قد عاد الى رومية مصحوباً بجنوده فشرع في مذبحه هائلة قتل فيها زعماء حزب المشيخة . فالمشيخة التي كانت اول من زرع بزور العنف والجور بقتلها طيباريوس غرقس قد حصدت الآن حصداً ذريعاً (ف ٨٤١) . وانتخب ماريوس للقنصلية مرة سابعة ولكنه مات بعد انتخابه بايام قليلة (٨٧ ق م) . فقبضت العامة على زمام الامر والنهي في رومية حتى يوم مناقشتهم الحساب الذي كان لا بد من حواره عند رجوع سُلاً

وبعد ان انجز سُلاً الحرب التي ابلى فيها بلاء حسناً في اسية الصغرى عاد الى رومية تخفق فوق راسه اعلام النصر . وفي طريقه كالت جنوده الرومانية جيوش العامة الرومانية فكسرتها كلها الواحد تلو الآخر . ودخل رومية كرئيس لحكومتها دون ان يكون له سلطان شرعي لتولي الرئاسة ولكنه بقوة جيشه اجبر الناس على تعيينه دكتاتوراً . وكان اول عمل باشره بعد تعيينه ، الشروع في مذبحه منظمة اريقت فيها دماء حزب العامة وضودرت املاكهم . ثم استعمل قوة الضغط والاكراه لسن مجموعة قوانين جديدة جردت بوجها مجمع العامة والتربيونيون من سلطتهم وجعلت السلطة العليا بيد المشيخة التي برهنت عن ضعف كلي في ادارة شؤون الدولة منذ عهد الفتوحات العظمى . وهكذا قضى بالحياة على السياسة التي جعلت زمام السلطة العليا بيد المشيخة

(٨٥٢) اعلام العامة زمام الربط والسيطرة في غرامه سُلاً . قتال وسلك دماء في شوارع رومية

(٨٥٤) تغلب سُلاً على جنود العامة وتجرده العامة من القوة السياسية ونسلمه زمام السلطة العليا الى المشيخة

٨٥

انقلاب الجمهورية : بيبوس وقيصر

وعلى اثر وفاة سُلا نهض حزب العامة فوراً وقام بجرعة قصد الغاء التوانين المقوتة التي غلّت ايدي وارجل العامة والتربيين . وكان العامة قد تعلموا الآن ان يستفيدوا من الزعيم الحربي . وقد وجدوا ضالتهم هذه المرة في شخص بيبوس احد ضباط سُلا الذي كان منذ عهد قريب قد امتاز في حرب اسبانيا . فانتخبوه قنصلاً (٧٠ ق م) . لانه وعدهم بان يُلغي قوانين سُلا المكروهة وقد بر بوعده لهم . فضمنت له خدمته هذه للعامة امرة حربية من الدرجة الاولى في خطورتها

(١٥٥) انقلاب
العامة بيبوس
قنصلاً واسترجاعهم
السلطة السياسية

وبلغ من اهمال المشيخة ان تركت سفن التجارة تحت رحمة لصوص البحر الذين غشوا بحر الروم وبلغت بهم القحّة ان ظهروا عند مصب التيبير ينهبون ويحرقون ، وخطفوا بعض موظفي الحكومة في الطريق على مسافة بضعة اميال من رومية . واستولوا على ذخيرة الحنطة المرسله من مصر وافريقيا الى رومية . وفي سنة ٦٧ ق م . سن العامة قانوناً قأسدوا بموجبه بيبوس القيادة العليا في البحر المتوسط الى مسافة خمسين ميلاً عن سواحلهم . ولم تمر اربعون يوماً على تعيينه لهذه القيادة حتى كان قد طهر غرب البحر المتوسط من لصوص البحر . ثم اجر شرقاً ولم يرض على وصوايه الى بحر ايجة سبعة اسابيع حتى كان قد استأصل شأفة لصوصه وخرب حياض سفنهم وحصونهم . وفي السنة التالية اتسع نطاق إمرته حتى شمل قيادة الحرب ضد مثرداتس ملك بنطس في شمال اسية الصغرى . وكانت قبلاً بامرة لوكلس القائد الروماني الممتاز بمقدرته الحربية السذي كسر شوكة مثرداتس وقهر مملكة ارمينيا المترامية الاطراف ايام كان تفرانس ملكاً عليها . ولذلك لم يجد بيبوس صعوبة في اخضاع مثرداتس ولم يكن عليه الا ان يقبل خضوع تفرانس الذي قدمه طوعاً من تلقاء ذاته . ثم سحق بيبوس البقية المتخلفة من مملكة السالوقيين (ف ٦٦٢) وجعل سورية ولاية رومانية . ودخل اورشليم وجعل وطن اليهود تحت الحكم الروماني . وقبل رجوعه كانت الكتاب التي تحت قيادته قد زحفت على اراضي الفرات واشرفت على بحر قزوين . ولم يشهد الشرق فتوحات كهذه منذ الحملات المكدونية . فحبل للعموم ان اسكندرا جديداً ظهر في العالم بشخص بيبوس زاحفاً على الشرق تحت اعلام النصر

(١٥٦) قطع
داير لصوص البحر
وتفوحات في الشرق
قام بها بيبوس

(١٥٧) قيام قبصر

وفي غضون ذلك نبع في رومية بطل جديد مشهور اسمه يوليوس قيصر ابن اخت ماريوس (ش ١٩٧) وُلد سنة ١٠٠ ق.م. ولم يلبث ان صار في مقدمة زعماء العامة. الا انه حصلت له صدمة خطيرة اثرت كثيراً في حياته السياسية. وتحير الخبر هو انه كان في رومية رجل من الخاصة وأحد اعضاء المشيخة، اسمه قتاينا. كان سي. الخلق رديء السمعة. حاول جهده لكي يحصل على منصب قنصل ولقي معاضدة من جانب قيصر لكنه اخفق سعياً ولم ينتخب للقنصلية. فجمع حوله جماعة كبيرة من اهل البغسي والشر وحاول بواسطتهم ان يقتصب السلطة ويقبض على ازمة الحكم واكثرت لم يفرز بالمرام بل فاء يتعثر باذيال الخيبة لان القنصل شيشرون كان له بالمرصاد فاجبط مساعيه. فزينت له نفسه الامارة بالسوء. ان يعتمد الى القتال فقاتل هو ورجاله مستبسلين حتى هلكوا عن آخرهم. فاثمهم قيصر بان له ضلماً في الثورة التتلينية. وكان لهذه التهمة تأثير عظيم في حياته السياسية



الشكل ١٩٧

تمثال نصفي يقال انه رسم يوليوس قيصر

ان الرسوم المقولة اغنيادها كرسوم يوليوس قيصر غير مؤكدة الهوية

(١٥٨) عبودة
مبيوس . حكومة
الثلاثة - مبيوس
وتومر وارس
انقلاب قيصر فاصلاً
(٥٩ ق.م)

ولما عاد مبيوس الى ايطاليا يجز اذيال الفخار كفاتح الشرق العظيم ، كان يفتقر الى نفوذ سياسي يضمن له اقرار المشيخة الرسمي لاجراءاته في اسية الصغرى واقطاع جنوده بعض الاراضي . وظلت المشيخة ستين غير راضية ان تمنح بمبيوس هذه الامتيازات . فانبرى قيصر لمعاذته . ثم تمكنا من استمالة رجل من نبلاء الرومانيين واغنيائهم اسمه قورس الى تأييدهما في مساعيهما فال اتفاق الشخصي بين هؤلاء الرجال الثلاثة الناقدين ، الى القبض على ازمة الحكم . وسُتبي اتفاقهم « تريومتراتس » اي حكومة الثلاثة وكانت النتيجة انتخاب قيصر للقنصلية للسنة ٥٩ ق.م .

(١٥٩) حصول
قبصر على حكومة
غالباً عن جاني
جبال البيا

ولم تكن القنصلية الاً سيراً من كثير من مقاصد قيصر ، فانه بعد ان انفذ مآرب مبيوس وسن شرائع جديدة للاراضي لمنفعة العامة تأهب لحظته المستقبلية وكان على يقين من انه لا بد له من إمرة حربية واسعة لكي يستطيع ان يعي جيشاً فرأى الفرصة سانحة في انزغرب في البلاد المسماة الآن بفرنسا التي كان يحتلها الغاليون . فطلب ان تقرّر ولاية غاليا

له ولم يلق صعوبة في سن قانون عُين بموجبه والياً على إيليريا وغاليا على جانبي ألبا
تسَلَّم قيصر مقاليد ادارة ولايته الجديدة في سنة ٥٨ ق.م. وبرهن عن مقدرة عظيمة
ومهارة فائقة في القيادة الحربية . فانه تمكن في غضون ثماني سنوات قضاها في الزحف على
الاعداء ومحاربتهم، من اخضاع الغالين وفتح بلادهم من حدود الاقيانوس والخليج الانكليزي
شرقاً الى نهر الرين . ثم صد عن غاليا هجوم جيش من الجرمانيين فمادوا الى بلادهم بعد ان
تجشموا خسائر جمة . وقد اذهلتهم الحذاقة والسرعة اللتان بنى بها جسراً فوق الرين حتى
تمكن من مهاجمتهم في بلادهم وعقر دارهم . وجعل الرين حداً لولايتيه الجديدة الا انه لم
يقف عند هذا الحد بل قطع البوغاز وغزا بريطانيا الى حدود نهر التيمس فاضاف الى
الامبراطورية الرومانية مملكة واسعة اشتملت على فرنسا الحديثة وبلجيكا . ويجب ان لا
ننسى ان فتحه هذا كان ذريعة لدخول اللغة اللاتينية الى فرنسا وهي الاصل الذي اخذت
منه اللغة الفرنسية

(٨٦٠) فتح قيصر
لغاليا ٥٨ الى
٢٠ ق.

برهن قيصر في رومية على انه داهية السياسة وفي غاليا على انه جندي ماهر . ولكن
أكان مع ذلك سياسياً؟ ام كان كيمبيوس لا ارب له الا ان يتولى القيادة الحربية مرة
بعد اخرى دون ان يعمل شيئاً ينقذ به رومية من ان تكون « برثن المرز » اي آلة بيد
القواد يستخدمونها للمصلحة الشخصية . وقد كان حال رومية في عين قيصر واضحاً كالشمس
ولم يكن في النظام القديم الذي وضعته الجمهورية ما يمنع ان يقرم في الولايات قواد من ذوي
المطامع الواحد بعد الآخر يجاريون قصد القبض على زمام الحكم في الدولة كما فعل ماريوس
وسلاً سابقاً . ولم يعد في طوق الجمهورية ان تستعيد النظام والحكمة الثابتة الى ايطاليا
فضلاً عن الامبراطورية

(٨٦١) نظر قيصر
الى الحال بعين
الساهي التدبير

وكانت الحال الآن تستدعي وجود قائد قد ير أشرب قلبه حب وطنه يشدُّ أزره جيش
يظاهرة على تبوء منصب السلطة الدائمة في الدولة الرومانية واخضاع كل من سولت له
النفس ان ينازعه فيها . فجعل قيصر هذا الامر نصب عينيه وسعي له سعيّاً ثابتاً . ومن اهم
ما خطر له ودل على حصافة رايه في الحال الحاضرة نشره رواية حملاته الغالية التي كتبها في
اثناء زحفه على الاعداء المحنوف بالمسكاره وفي ابان المعارك الشديدة المخاطر . وهذا المصنّف
المعدود من انفس ما كتب باللغة اللاتينية نثرأ هو عند التحقيق رسالة سياسية تذرّع بها
كاتبها لكي يطبع على عقول الشعب الروماني اثرًا لا تحوه السنون عن فتوحاته العظيمة
ويخدمه الجسيمة التي قام بها واستوجب الشكر من اجلها . وقد قامت رسالته هذه بما اراده
بها حق قيام . وتحسب الآن احسن كتاب لتعليم القراءة للمبتدئين باللاتينية

(٨٦٢) نشر قيصر
نقراً عن حروبه
في غاليا

(١٦٦) انجيلو
مبيوس الى المشيخة

ولما اوشكت المدة الثانية لولاية قيصر في غاليا ان تنصرم ، كان مناصروه في رومية يستعدون بايعاز منه الى انتخابه مرة ثانية للقنصلية . ولما كانت المشيخة تحشى عاقبة رجوعه الى ايطاليا ، بثت العيون والارصاد لكي تجد قائداً حربيّاً كسلاً . واتفق ان قرئس المشري احد اعضاء حكومة الثلاثة (ف ٨٥٨) كان قد قُتل في حرب مشؤومة ضد الفرثيين ورا . الفرث . فانفرط عقد الحكومة الثلاثية واصبح بمبيوس حراً طليقاً . فسارع زعماء المشيخة وعرضوا عليه اشياء يستميانها بها اليهم مع انه كان قد تعيّن قائداً من قبل المجمع وزعيماً لحزب الشعب . وبما انه لم يكن ادارياً محنكاً ، سعى للحصول على القيادة العسكرية . فكانت النتيجة انه مال الى المشيخة وشرع يعضد مبادئها فقام النزاع بين الزعيمين قيصر وبمبيوس كما قام بين ماريوس وسلاً قبل الآن بنحو نصف قرن . فبدلاً من ان يكون بين هذين القائدين الزعيمين منافسة سياسية مشروعة وقعت بينها مناوذة حربية

(١٦٤) نصير
وجينة الزرقه
من جنود
اختصاصيين

وحاول قيصر ان يراضي المشيخة ولكن حين جاءه جوابها يتضمن الامر بتسريح جيشه لم يتردد قط في البت بما كان ناورياً ان يقوم به في المستقبل . ولم يكن جنوده المتخصصون بالفنون الحربية يجنحون الى الشؤون السياسية ولا كانوا يشعرون بشيء من المسؤولية التي عليهم كوطنيين ، ولم تكن رابطتهم بدولتهم متينة ولا احتك في صدورهم الواجب الادبي نحوها . ولكنهم كانوا شديدي التعلق بقائدهم المحبوب مستعدين لان يضخّوا بكل مرتخص وغالٍ اكراماً له ولا سياً اولئك الذين حاربوا معه جنباً لجنب في حروب غاليا . ولم تكذب تدبر من شفته كلمة الامر بالزحف على رومية حتى يادروا الى قطع الروبيكون وهو النهر الصغير الواقع على حدود ولايته من جهة رومية . ولم يكن لقيصر حق شرعي ان يتخطى بجنوده هذا الحد فعدّ فعله هذا ثورة

(١٦٥) اسيللا
قصر على رومية
واخراج مبيوس
منها بالحيلة والقابله
فصلاً ٤٩ ق ٢٢

وكان من اعظم اسباب نجاح قيصر سرعته البرقية في اجراء ما يروم اجراءه . فقبل ان تمر ساعة من الزمان على وصول رسالة المشيخة الى يده كانت كتابته قد شرعت في الزحف من وادي البو على رومية (٤٩١ ق ٠ م) . ولما لم تكن المشيخة على استعداد لهذا الجواب السريع من لدن قيصر الجأتهم الضرورة الى مفاوضة بمبيوس بالامر الواقع . فاجابهم بان القوات الحربية التي تحت امرته ليست بكافية لصد قيصر عن رومية . والحقيقة انه لم يكن في تلك الفترة جيش في الجمهورية كلها يستطيع ان يوافق كتاب قيصر وفي صدره اقل امل بالفوز . فتأخر بمبيوس ولما دنا قيصر من رومية فر منها بمبيوس وجيشه مع معظم المشيخة وعدد كبير من الامائل . واحتمل قيصر على بمبيوس وجماعته وزين لهم مغادرة

إيطاليا والذهاب الى بلاد اليونان . فلما خلا له الجو واضحت رومية في قبضة يده وطوع
بنائه امسى انتخابه للقنصلية من الهنات الهينات . وغدا المدافع الشرعي عن رومية وحامي
ذمارها من المشيخة وجيش بيمبوس

ولكن مع ذلك لم يكن مركز قيصر حريزاً بعد لان بيمبوس كان في عيون ابناء
الشرق اعظم رجل في رومية . فكان يوسعه ان يواكب على قيصر جميع الشعوب والمالك
التي في الشرق فضلاً عن انه كان تحت سلطانه الاسطول الضخم الذي تمكن به من قطع
داير القرصان وجعل نفسه سيد البحر . ولما كان الشرق باسره ظهيراً له ، كانت احواله
تتحسن من يوم الى يوم . فشرع يعي جيشاً ويدببه على القتال على امل ان يبطل بقيصر
ويسحقه سحقاً تاماً وكان جماعة من ضباط جيشه لا يزالون . ستولين على اسبانيا . فكان
قيصر مضطراً ان يجارب اتباع بيمبوس في الشرق والغرب وعقد النية على ان يشرع اولاً في
محاربة الغرب . فبلغ اسبانيا بسرعه المدهشة في شهر حزيران (٤٩ ق م) . وهناك التقى
قواد بيمبوس وجأ الى الخيلة والدهاء . فتمكن بعد بضعة اسابيع من ان يقطع عنهم الميرة
والذخيرة . واحدق بهم من كل جانب . واكرهم على التسليم دون ان ينشب بينه وبينهم
معركة واحدة

(١٦٦) افيان بيمبوس
أسر قواد جيش
بيمبوس في اسبانيا
(صفحة ٤٩ ق م)

ولما بلغ مسامع بيمبوس واعوانه من اعضاء المشيخة والامائل ان قيصر توجه الى
اسبانيا شرعوا في الاستعداد على هيتهم ليعبروا الى ايطاليا ويملكوها . ولكن قبل ان
يتسكنوا من ذلك كان قيصر قد عاد من اسبانيا مظفراً منصوراً وركب البحر من برنذني
- مع ان السيادة البحرية كانت بيدهم - ونزل في ابيروس . فانارت هذه المباغثة الدهشة في
نفوسهم وتوتتهم الحيرة لتلصه من مراكبهم الحربية . وبعد انكسارات عديدة رضي قيصر
ان يواقع بيمبوس مع ان جنوده كانت اقل من جنود خصمه . فنشبت بينها معركة في فرساليا
من ثساليا (٤٨ ق م) فانكسر بيمبوس شر كسرة وجأ جيشه الى الاستئمان

(١٦٧) قيصر
ينسأجه حروب
المنجزة بيمبور الى
بلاد اليونان حيث
كسر بيمبوس

وبعد انكسار بيمبوس كما تقدم ، نجح بنفسه الى مصر حيث قتل قتلاً شائناً . وتبعه
قيصر الى مصر فوجد على عرش المملكة كايوباترة الجميلة ، السابعة بهذا الاسم ، وخاتمة
البطالسة . فلما عين جمالها الفتان ووجد ان في صداقتها منافع سياسية هام بها هياماً شديداً
وقضى في قصرها بالاسكندرية تسعة اشهر يغازلها ويمتع طرفه بجملها الرائع واذنيه بجديتها
الساحر (من تشرين الاول الى حزيران سنة ٤٧ ق م) . ولم يبد في حياة قيصر كلها ضعف
ادبي مهم كما بدا هذه المرة بعد ان رأى فاتنة له كليبواترة . وحدثت فتنة مخيفة في

(١٦٨) قيصر
يعتزل فتح عالم
البحر المتوسط

الاسكندرية ضد قيصر وهجم عليه العامة وضايقوه اذ كان عسكرياً قليلاً فانحصر في قصر . ولما كان يَحْتَشِي ان يسدوا عليه الميناء اضرم النار بسفن المصريين فاحترقت . وادركت النار المكتبة الاسكندرية العظيمة (ف ٦٩٤) فاحترق جانب كبير منها . وبقي قيصر محصوراً الى ان اتاه المدد من سورية فخرج من الحصار وبدد شمل المصريين واقرباً كليوباترة على الملك على ان تتزوج اخاها الاصغر اذ كان الاكبر قد هلك . ثم سار الى اسية الصغرى لمحاربة اعدائه فيها . ولما تعلم الا القليل من اسر اعماله الحربية ومعاركه هناك التي قهر بها منارثيه واعدائه . ومن هناك بعث الى المشيخة بتقريره المشهور عن احوال الحرب قال فيه : آتيت . رأيت . غلبت . وكان النصر حليفه في الولاية الافريقية في ما وراء قرطاجنة وفي اسبانيا . وهكذا زالت الموانع التي حالت دون تسلط قيصر على المملكة كلها في اذار سنة ٤٥ ق . م . بُعيد استيلائه على ايطاليا باربع سنين او اكثر من ذلك قليلاً

(٨٦٩) سياسة
قيصر

لم ينتهج قيصر خطة سلاً في معاملته للناس . فلم ينتقم من اعدائه ولم يقتل احداً لمجرد عداوته له بل عامل الجميع بالرفق والانسانية . وحقن دم شيشرون الخطيب مع شدة عداوة هذا له . وكانت نفسه تتزعج الى الحصول على مقام ملك تشبهاً بالاسكندر الكبير . ولكنه كسياسي محنك كان احكم من ان يقدم على نسخ شكل الحكومة الجمهوري . لانه علم حق العلم ان الرومانيين كانوا يكرهون اسم ملك . وفي الواقع انه كان ملكاً فعلاً وان لم يلقب هكذا فان السلطة الحقيقية كانت بيده لان الجمهورية كان قد قضى عليها بالاعدام . وانتخب دكتاتوراً مدى الحياة . وتقلد مناصب اخرى في الحكومة . ولم يجسر احد في رومية ان يتصدى لمقاومة من كان اعظم الرومانيين واشدهم بأساً

(٨٧٠) تنظيم
الحكومة والدولة من
جديد

وعاش قيصر بعد فتحه لرومية خمس سنوات لا غير (٤٩ - ٤٤ ق . م) قضى منها اربعمائة في الحروب وخوض المعارك . فلم يبق له الا وقت قصير للقيام بعمله العظيم وهو تغيير شكل الحكومة وتنظيم الدولة من جديد - العمل الكبير الذي عجزت عنه المشيخة الرومانية تمام العجز . لم يبلغ قيصر المشيخة بل زاد عدد اعضائها زيادة مهمة اذ ملاًها من اصحابه واهصائه فامست رهن امره وشارته وبذلك فقدت منزلتها الاولى واحترام الشعب لها . ولم يكن في طاقة المشيخة الجديدة ان تناوئه في شي . واصبحت ادارة الولايات في يده . وكان القائمون بسياستها مسؤولين له رأساً . وظل انتخاب موظفي المشيخة يجري على النمط القديم . ثم شرع قيصر في اصلاح الادارة الرومانية الفاسدة من اساسها . فكان ما يجريه من هذا القبيل تمهيداً لقيام الامبراطورية التي كان في الواقع هو امبراطورها الاوّل ولولا

ادراك الاجل له قبل الاوان لم تبقَ الجمهورية خمس عشرة سنة أخرى تجاهد حرصاً على البقاء. وهي في تزع الموت

ورسم قيصر خريطة هندسية لرومية ونوى تجديد بنائها على طراز بديع وخطط سككاً جديدة تسهيلاً للمواصلات . وعزم على احداث ترعة بشق برزخ كورنثوس . واجرى كل ما يازم من ضروب الاصلاح في ادارة حكومات المدن . وفي جملة ما فعله لمنفعة العالم عموماً ، الغاؤه التقويم القمري القديم ، وراحة الناس منه بعد ان تحمّلوا مشقة استعماله بضعة قرون ، وادخاله التقويم الذي كان شائعاً في مصر منذ عهد عريق في القدم (ف ٦٢)

(٨٧١) مشروعات
قيصر الكسيرة
واصلاحاته

وكان لا يزال في رومية قوم لا يرغبون في ان يخضعوا لحكم رجل فذّر . ففي الخامس عشر من شهر اذار سنة ٤٤ ق م . قام هولاء واغتالوا اعظم رجل روماني . واذا كان بعض الذين اشتروا في قتله كبروتس وقسيوس توهموا انهم خدموا وطنهم باردانهم رجلاً مستبدّاً كان في نيته تقويض اركان الجمهورية ، فما كان ابعدهم عن ادراك حقيقة الحال وهي ان كل المساعي للمحافظة على الجمهورية التي كان الدهر قد اكل عليها وشرب ، ذاهبة اذراج الرياح لان التسلط على المسكونة والقوة الحربية التي يقتضيها ، كانا قد زعزعا اركان الجمهورية الرومانية . واغتيال قيصر جرّ ايطاليا بل الدولة بأسرها الى الحروب الاهلية

(٨٧٢) اغتيال
قيصر في ١٥ اذار
سنة ٤٤ ق م
ونشأته

٨٦

انتصار اوغسطس وانتهاء الحرب الاهلية

وبلغ نبأ اغتيال قيصر الفظيع مسامع ابن ابنة اخته اقتافيوس (ش ١٩٨) الذي كان يتابع دروسه في ايليريا وهو في الثامنة عشرة من عمره . وبعثت اليه والدته برسالة مع رسول سرّي امرته بها ان يفرّ بلا امهال الى جهة الشرق لينجو من كل خطر ينويه له قتلته خاله . اما جواب هذا الشاب عن رسالة والدته فكان اسرعه الى رومية بلا تردّد ولا امهال . فهذا الخزم الذي ابداه هذا الشاب برهن عمّا كان عليه من الدراية والحكمة السياسية على حدّ ذاته

(٨٧٣) حادثة
اقتافيوس ابن
ابنة اخت قيصر

وعند وصول اقتافيوس الى رومية علم بان خاله - وقد مات كلاً (بلا عقب) - قد

تبناهُ شرعياً وجعله وارثه الوحيد . وقد كان اصغر من ان يحسب له اعداء قيصراً حساباً . ولكن مَنِّيكيه الغضين كانا يحملان رأس شيخ حنكته السنون . فنظر في حالة البيثة التي وُجد فيها نظرة الحصيف ووقف على حقيقة حالها غير ناس ان يتعلم درساً مفيدة من حياة ابيه بالتبني . واعظم درس استفادهُ من تلك الحياة العظيمة شدة لزوم القوة العسكرية . ثم خاض الثورون السياسية يشدُّ أزرهُ عسكريه فبرهن انه السياسي الكبير الذي لا يُستخفُّ به . واما قاتلو قيصر فانهزموا وقتلوا في معركة هائلة نشبت في فيلبي (٤٢ ق م) . وبعد اغتيال قيصر بعشر سنين كان هذا الشاب الذي بلغ الثامنة والعشرين من عمره قد استولى على ايطاليا والغرب استيلاء تاماً

(٨٧٥) اقتافوس
يخلع الطونوس
ويملك الشرق
(٢١ ق م)



الشكل ١٦٨ رسم ارفع-طس محفوظ في
متحف الفنون الجميلة في بوسطن

واما انطونيوس احد رجال قيصر ، الذي كان اقتافوس قد وثق به وعقد معه عهداً ، فبدا منه ما دلَّ صريحاً على انه ليس بالسياسي الذي يسوغ الركون اليه . زد على ذلك انه اضاع كثيراً من شهرته الحربية في حملته المشؤومة على الفرثيين . ولما فتن بجبال كليوباترة ودفعه جميعا آثر الاقامة في الاسكندرية وانطاكية . ومنها حكم الشرق الى حدود الفرات . واقام مع كليوباترة مليكته بابهة شرقية كأبنة ملوك الفرس في عهد الامبراطورية . وطلق زوجته اقتافوسا . فاغرى اقتافوس المشيخة ان تشهر حرباً على كليوباترة وبذلك تمكَّن من الزحف على انطونيوس . وكما التقت كتائب قيصر وبنيوس في ساحة الحرب

ببلاد اليونان (ف ٨٦٧) - كتاب الواحد يمثل الغرب وكتائب الآخر الشرق - كذلك التي الآن قائدا الشرق والغرب ، اقتافوس وانطونيوس ، في اكتوبر على الساحل الغربي من بلاد اليونان . وكانت نتيجة هذا الالتقاء انتصار خليفة قيصر انتصاراً عظيماً وفي السنة التالية دخل اقتافوس مصر دون مقاومة تذكر واستولى على البلاد العريقة في القدم . والمرجح ان كليوباترة هجرت انطونيوس فانتحرت وقد حدثت هي ايضاً حذوه فانتحرت انفة وكبرياء . وكانت آخر من جلس على عرش مصر من البطالسة (ف ٦٦٠) الذين حكموا مصر مدة ثلاث مئة سنة تقريباً ، منذ موت الاسكندر الكبير . وجعل اقتافوس

(٨٧٦) اقتافوس
يجعل مصر ولاية
ووانه (٢٠ ق م)
ويضع حداً لقرن
الثورات والحروب
الاطلوس (٢٢ الى
٢٠ ق م)

مصر بلاداً رومانية (٣٠ ق.م) وضمَّ الشرق الى الغرب الذي كان متولياً امره. وكانت البلدان التي تحت سلطته تنطق بجر الروم الذي امتد بلدانه كلها تحت سلطة حاكم واحد. فتمت أخيراً وحدة الحكومات الرومانية وانتهى (٣٠ ق.م) قرن الثورات والحروب الاهلية الذي كان قد ابتدأ في زمان طيباريوس غرقس واخيه (١٣٣ ق.م)

وكان فوز اقتافايوس علامة لانتصار قوة الفرد النهائي في العالم القديم بامرِه كما انتصرت تلك القوة في الشرق منذ عهد عهد. وعقب قرن النزاع الذي انتهى بنصرة اقتافايوس قرنا يسلم راسخ لم يتزعزع الا مرة واحدة. هذان هما القرنان الاولان للامبراطورية الرومانية بدايتها سنة ٣٠ ق.م^(١) وسندرس في الفصلين التاليين قرني السلم المشار اليها

(١٧٧) بداية قرني

السلم

مسائل

٨٣

اية مشاكل احاطت بالحكومة الرومانية في ايطاليا؟ وخارج ايطاليا؟ ماذا تقول في مقدرة المشيخة وحقها المشروع في تلافي هذه المشاكل؟ ماذا قال طيباريوس غرقس للعامة؟ ماذا عمل لمساعدتهم؟ وماذا كانت النتيجة

٨٤

ماذا كان السبب الرئيسي لحبوط مساعي طيباريوس غرقس واخيه؟ الى اي نوع من السلطة اتجهت زعامتها؟ كيف تساطت العامة على الجيش؟ كيف كان ماريوس من الوجهة السياسية؟ وهل توفَّق؟ كيف كان الآن شعور الحلفاء الايطاليين نحو

(١) يجب ان يلاحظ ان قرني السلم المذكورين اعلاه لم يبتدئا ببدء العصر المسيحي بل قبل السنة الاولى منه ببلان سنة. ولذلك كان قرنا السلم هذان لا يقابلان تماما القرنين الاولين من التاريخ المسيحي

رومية؟ ماذا كانت نتيجة الحرب مع الحلفاء؟ قصّ خبر قيام سُلا . كيف تغلب على ارادة العامة؟ هل كان عمله جازماً مشروعاً؟ ماذا جرى في روميسة بعد براح سُلا لها قاصداً اسية الصغرى؟ ماذا حدث بعد رجوع سُلا الى ايطاليا؟ ماذا كانت سياسة سُلا؟ وكيف مشأها؟

٨٥

هل نجح العامة في خلعهم تسلط المشيخة؟ اي قيادة عظيمة اسندوها الى بيبوس؟ قصّ نبأ اعماله الحربية ضد لصوص البحر وفي الشرق . أخبر عن قيام يوليوس قيصر . كيف كانت علاقته مع قتلينا صدمة له؟ قصّ نبأ حملاته في غاليا . ماذا كان رايه في الحالة السياسية برومية؟ ماذا فعلت المشيخة لتجبط اعمال قيصر؟ ماذا كانت نتيجة زحف قيصر على رومية؟ اذكر نبأ هجومه على ابيروس . اذكر ما انجزه قيصر من الاعمال بعد انتصاره . قصّ نبأ موته وما نتج عنه .

٨٦

اذكر قصة اقتنافيوس حتى معركة فيايي . كيف استولى اقتنافيوس على الغرب؟ من كان المتسلط على الشرق؟ اي عالم عظيم اصبح تحت تسلطه؟ اي نوع من القوة انتصر عند نهاية قرن من الثورات؟ ماذا كان مزماً ان يتلو ذلك؟

القسم الخامس

الامبراطورية الرومانية

الفصل الخامس والعشرون

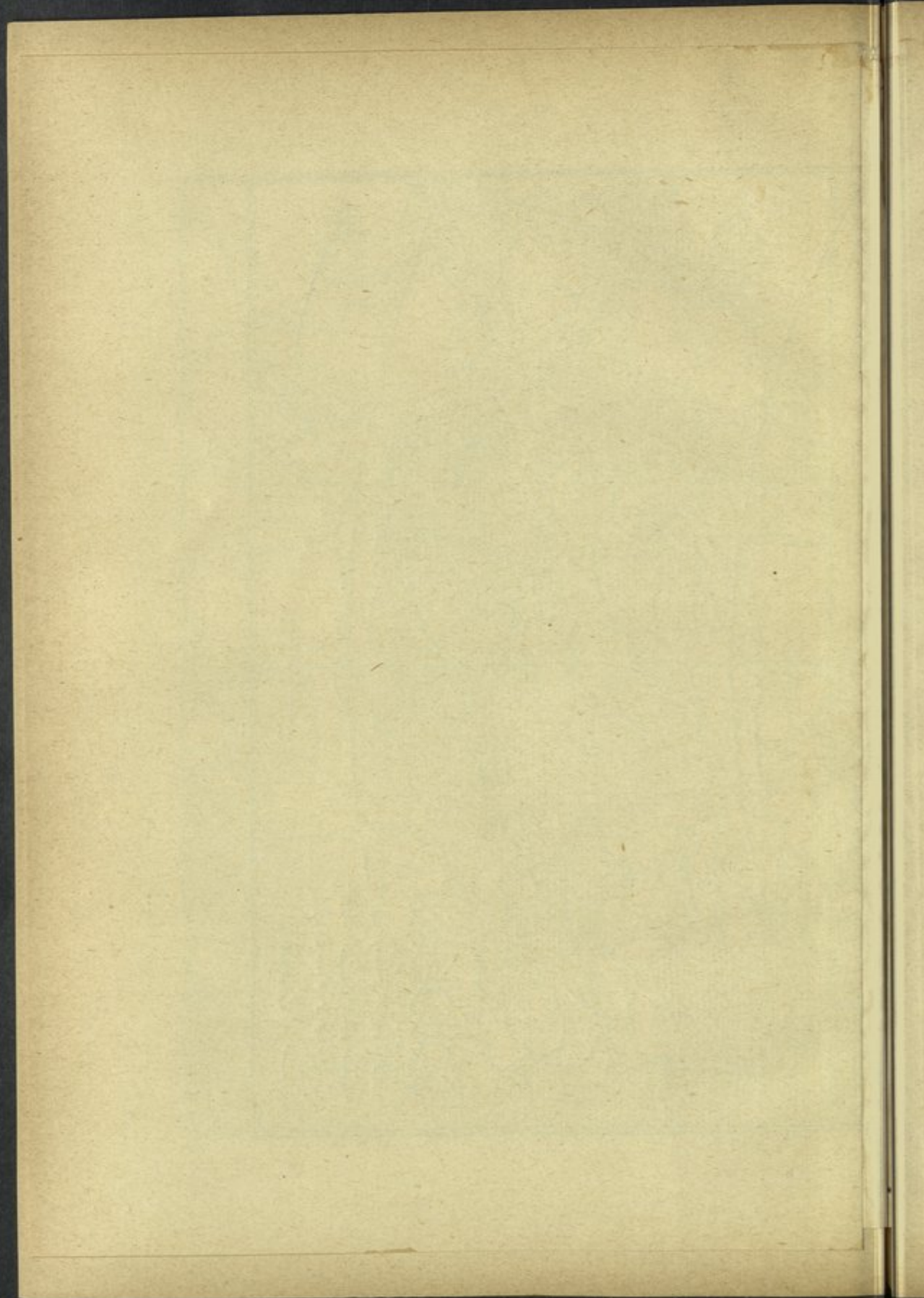
اوّل قرني السلم : عصر اوغسطس وخلفائه

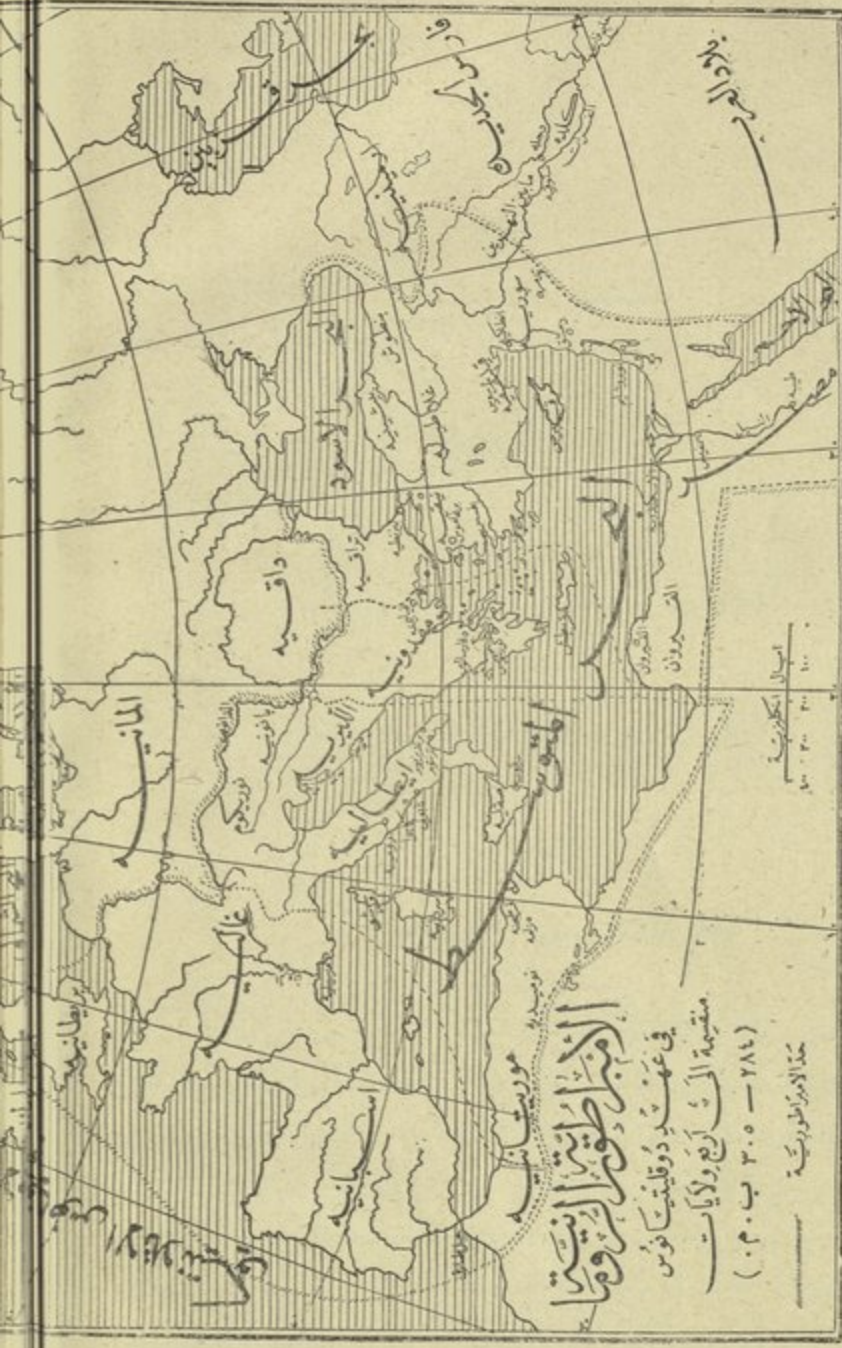
٨٧

حكم اوغسطس وبداية قرني السلم

ولما عاد اقتافيوس الى ايطاليا تهلّل جميع الناس على اختلاف درجاتهم لانصرام قرن الثورة والحرب الاهلية والنهب والتخريب . وشعرت الاكثرية الساحقة من الرومان الآن بازوم وجود متسلط فرد يتولى ادارة شؤون الممالك الرومانية في جميع الاصقاع . وبناء على ذلك اقدم اقتافيوس على تنظيم شؤون الامبراطورية الرومانية واصلاح حكومتها بهيئة لم يخامرها كلال . واستمرّ على عمله هذا اربعاً واربعين سنة متذرعاً بالوسائل السلمية فقط حتى انال الامبراطورية ما كانت في حاجة ماسة اليه آماداً طويلاً . وكانت العقبة الصعبة المرتقى في عمله هذا تغيير شكل الحكومة الحالي الى شكل آخر يستتب معه للسلطة التي حصل عليها بالقوة الحربية محلّ مشروع . وكان اقتافيوس شديد الاحترام لانظمة الجمهورية

(١٧٨) اعتدال
سجاسة القانوس





الامبراطورية العثمانية

في عهد محمد علي باشا
 منقحة إلى أربع ولايات
 (٢٨٤ - ٣٠٥ هـ ١٨٠٠)

مقياس الامبراطورية

مقياس الامبراطورية

بحر الصين

هند

البحر الاسود

داقية

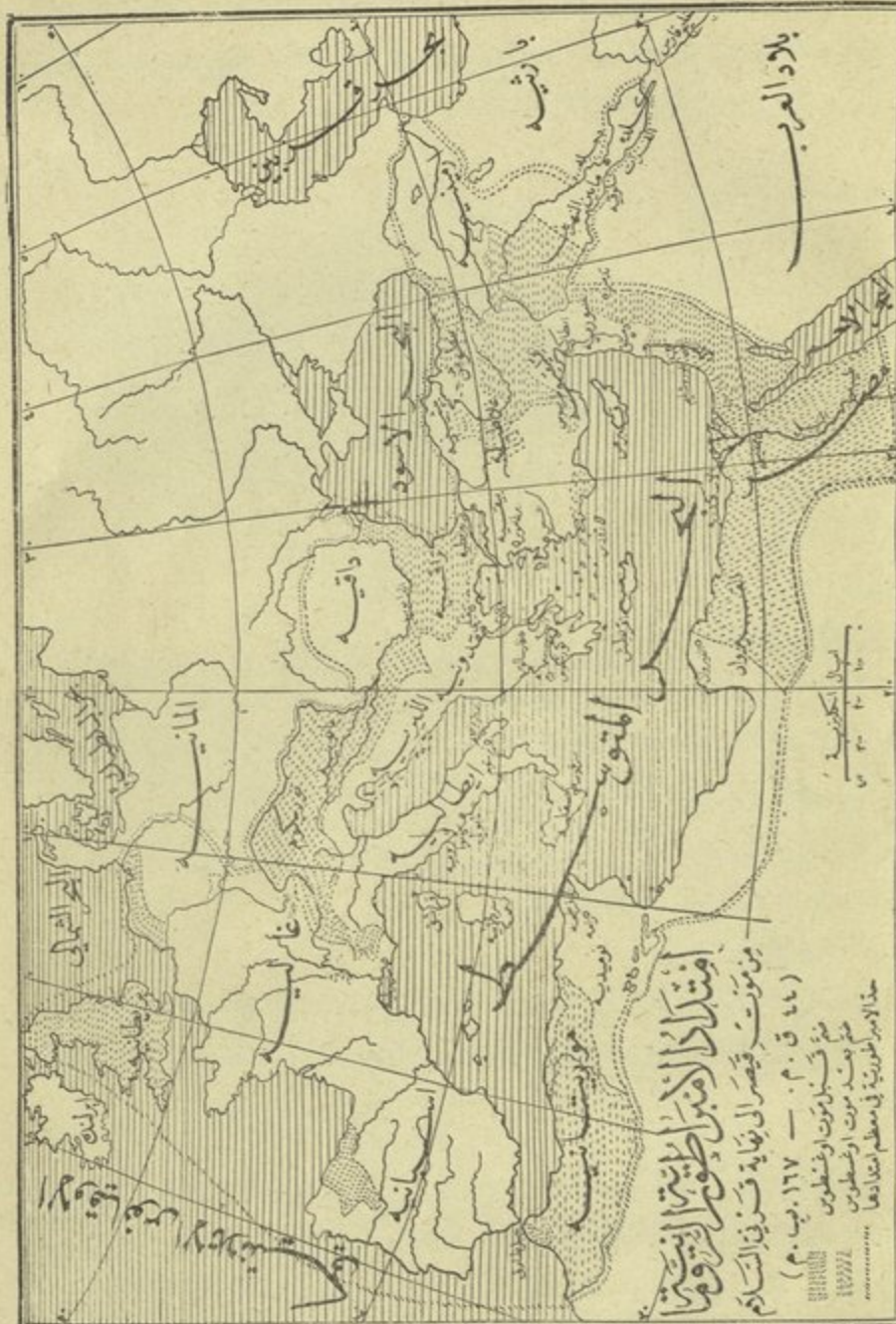
المانية

المتوسط

البحر

الهند

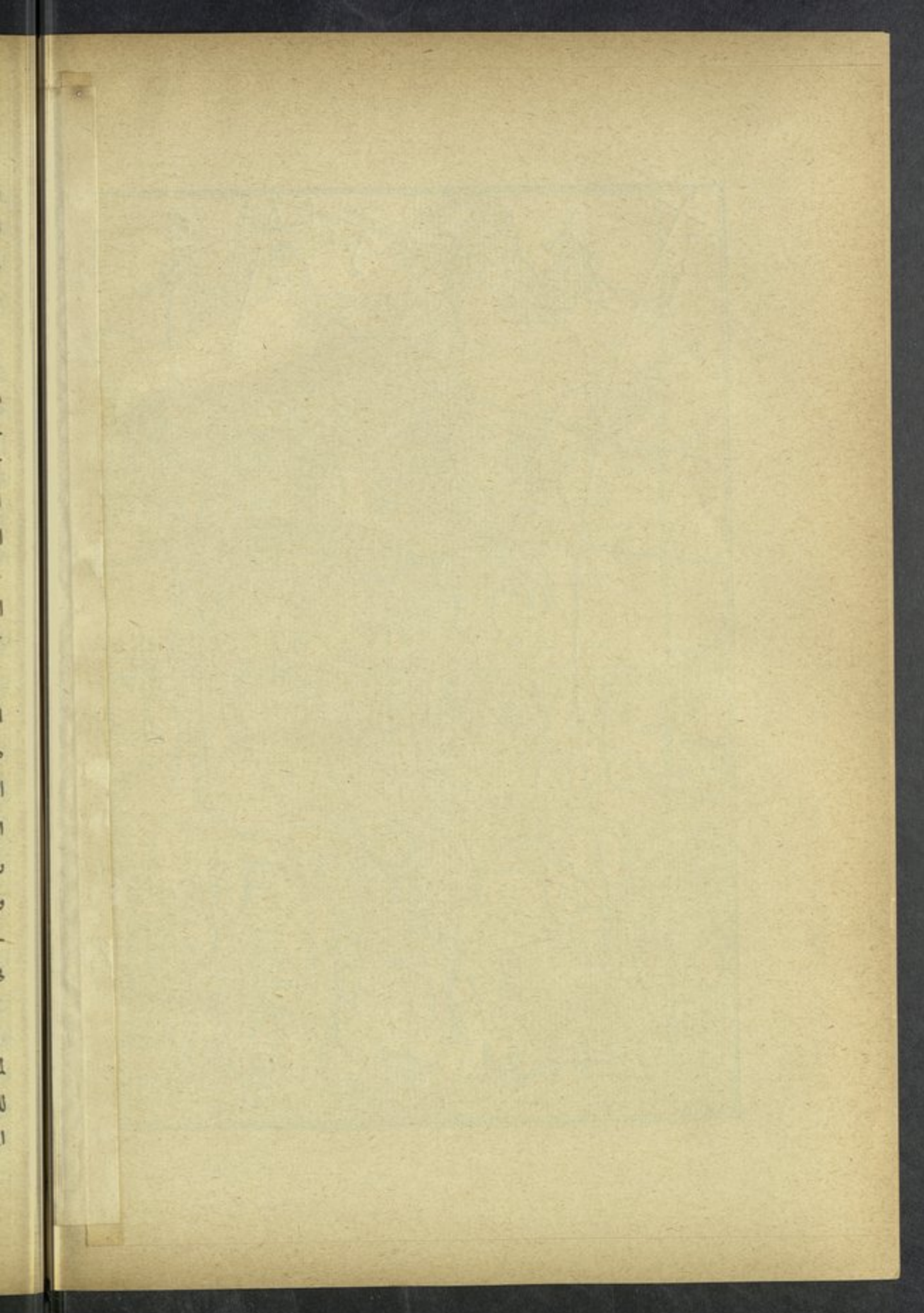
الصين



افتتحت الانبيل طينتا التوترا
 من موتس قيصرا الى نهاية كسز في التسكلام
 (١٤٤٠ ق.م. - ١٦٧٠ م.م.)

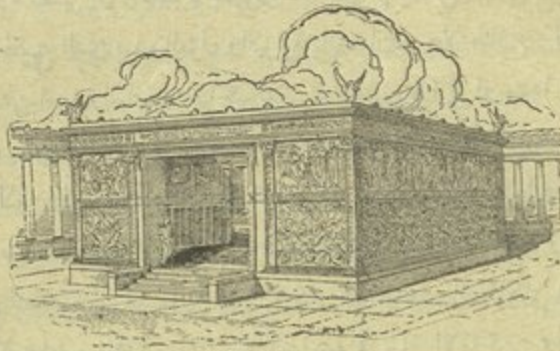
من موتس قيصرا الى نهاية كسز في التسكلام
 من موتس قيصرا الى نهاية كسز في التسكلام
 من موتس قيصرا الى نهاية كسز في التسكلام

الالمانيا
 الالمانيا
 الالمانيا



وقوانينها فلم يُقدّم على الغائها ولا طمحت نفسه الى الجلوس على عرش الملك بأية ملوك الشرق، خلافاً لقيصر. ولذلك زاءه، من الآن فصاعداً وهو يجاهد لنيل السيادة، محافظاً على رسوم الجمهورية. ولما جاء ملء الزمان انتخب ليتولّى منصبه السامي

(٨٧٦) تنظيم
اقتافوس للدولة
الرومانية



الشكل ١٦٦

نرى في هذا الرسم فحة عمّوطه بالرخام نضمن "مذبح السلام الارغسطي" الذي شيّد بأمر المشيخة أكراماً لاوغسطس. وكانت الفحة مكشوفة من اعلاها بلا سقف والمجدران المحيطة بها التي لا يزال بعضها موجوداً مغطاة من الاسفل بزناير عريضة من اللؤلؤ النباتية المزخرفة. وفي الواقع كانت فاخرة جداً. وكان فوقها سلسلة من النقوش البارزة احدى حلقاتها الى يمين الباب تمثل البطل المغراني اينياس أتياً ببقدمه الى هيكل أسرة الآلهة الرومانية (آله البيت) التي حملها من طروادة الى لاتيوم

وحين عاد اقتافوس الى رومية لم يتعرّض للمشيخة بشيء بل بذل جلاً العناية في سبيل تقويتها واصلاح حال اعضائها فانعم عليها وعلى الشعب الروماني حراً مختاراً بما كان له من السلطان. وذلك في كانون الثاني سنة ٢٧ ق م. ولكن لما كان الدهر قد علم المشيخة ضعفها وعجزها عن تنظيم العالم الروماني واحكام ادارته، قلده بصورة رسمية قيادة الجيش

وتولّى حكم اهم الولايات التي على الحدود. فضلاً عن هذه الساطة الواسعة، كان له اهم حقوق التربيون (ف ٧٣٧ و٧٤٦) وعلى هذا المنصب الاخير أسس مدعاه الشرعي بسلطته في المشيخة

(٨٨٠) القائد
السلط الجديد

وفي الوقت نفسه منحه المشيخة لقب «اوغسطس» الموقر وكان الاسم الحصري لمنصبه، لفظة لاتينية معناها «الأوّل» اي أوّل الاهالي. ومُنح لقباً آخر كان في القديم يُمنح للقائد وهو لقب امبراطور. وحسب اوغسطس منصبه منصب موظف روماني عيّنه له المشيخة الى مدة معلومة يُعاد انتخابه في نهايتها

كانت الامبراطورية الرومانية التي برزت الآن الى الوجود تحت حكومة مزدوجة،

١٨١٦
حكومة
الدولة الجديدة
المزدوجة . فصار
عمر الشيخة

حكومة المشيخة وحكومة الامبراطور الذي زاهُ قد فعل ما كان ابوه بالتبني ، يوليوس قيصر العظيم ، يعدهُ مما لا يؤبه له . فانه ارضى انصار الجمهورية القديمة لان التنظيمات الجديدة قضت باعادة الجمهورية رسمياً الا ان التوازن في هذه الحكومة المزدوجة ، التي حاول بها اوغسطس ان يحتفظ بالجمهورية القديمة ، لم يكن كما يجب اذ كان الامبراطور هو الحاكم الحقيقي الذي بيده العزل والتولية بلا معارض ولا منازع . لان جميع كتائب الجند كانت رهن امره واشارته . والحكومة الجمهورية التي اوجدها افضى امرها الى ان تكون حكومة عسكرية . وهكذا كان مصير الامور في الشرق فان مصر ظلت مملكة خاصة بالامبراطور ، ولم يكن للمشيخة اقل سلطة فيها او عليها فكان هو المالك عليها بكل ما تعنيه لفظه ملك في الشرق ، فكان يجبي منها دخلة الهائل ويتسلط عليها كما تسلط الفرانجة والبطالسة من قبل (ف ١٦١) وكان لسلطانه المطلق في مصر تأثير كبير في مركزه كامبراطور وفي اجراءاته السياسية في سائر الاماكن . ولم يفهم الشرق عموماً الا ان مقام اوغسطس هو مقام ملك فاطلق عليه لقب ملك . وكان لذلك تأثير عظيم في رومية

وكانت الامبراطورية التي بسطت رومية سلطتها عليها ، مؤلفة من عالم البحر المتوسط اي البلدان التي تحيط به من جميع جهاته مشتملة على جميع سواحلها . وكانت المسألة الخطيرة التي تستدعي النظر والاهتمام ، مسألة الحدود على الثغور التي غادرتها الجمهورية بلا حل . كان في الجنوب حد طبيعي وهو الصحراء . وكان في الغرب حد آخر طبيعي وهو الاقيانوس الاطلانتيكي . واما في الشرق والشمال فلم تُقَم حدود لانه كان في الامكان القيام بفتوحات جديدة فيها . ولكن اوغسطس انتهج خطة التنظيم والترتيب واحكام ربط اجزاء الامبراطورية كما تسلمها دون ان يطمح الى النتج . وبناء على ذلك كان الفرات الحد الشرقي والدانيوب والرين الحد الشمالي . ونظمت على الحد الشمالي سلسلة ولايات غربي الين وجنوبي الدانيوب تمتد من البحر الشمالي الى البحر الاسود

١٨٢١
سبابة
الروغسطس السطية

وكان لا بد من جيش كبير دائم لحماية الثغور المترامية الاطراف . ويرجح ان عدد رجال الجيش كان ، على وجه التعديل ، مئتين وخمسة وعشرين الفا حشد معظمهم من الولايات التابعة لرومية . وكان الجندي الذي ينتظم في سلك الجيش يُمنح حقوق الرعية الرومانية جزاء له على خدمته . وفي ذلك تأييد لادعاء ان الجيش الروماني كان مؤلفاً من الرعايا الرومانيين . ولكن لم يسمع فيما بعد وقع اقدام الكتائب في ايطاليا لانها اقيمت من هذا الوقت على حماية الثغور التي كانت متفارطة المسافات فلم ير الرومان الجنود الذين كانوا يذودون عنهم

١٨٢٦
الجنس

وسرع اوغسطس الآن يقوم، لعالم البحر المتوسط، بعمل قام بمثله داريوس لامبراطورية
الفرس قبل خمس مئة سنة (ف ٢٧٥) ازمان كانت اعظم مساحة من الامبراطورية الرومانية
الآن ان هذا العمل الخطير الذي قام به اوغسطس من تنظيم وتنسيق لم ير مثله العالم القديم
لان عمران العالم الذي قام بتنظيمه اوغسطس الآن كان ارقى من عمران الفرس بما لا يقاس .
وكانت التجارة في بحر الروم متسعة النطاق الى درجة لم يحلم بها اهل العصور القديمة . وكان
لا بد من إدماج شعوب وامم عظيمة في جسم الامبراطورية بطريقة رسمية ، وبتحجيم
حكومة عادلة وقديرة . وكان لبعض تلك الامم حكومات ذات انظمة قديمة راقية جداً
واما البعض الآخر فكان امره فوضى . فالامة المصرية كانت حكومتها ارقى حكومات
العالم في العصور الخوالي ونظمها ارقى ما عرفه العالم القديم . واما اقاليم الغرب كبلاد
غاليا فلم يكن لديها نظام تتشبه عليه بعد . وكان اوغسطس يسعى لسد هذه الثلمة في
ادارة الحكومة

ولم يكن البلاء بحاكم الولاية في عصر الجمهورية في انه يتولى الاحكام امداً قصيراً
فقط ، بل في انه كان غراً عديم الخبرة ايضاً . وبما ان سلطته في ولايته كانت مطلقة كسلطة
ملوك الشرق ، لم يستطع القناصل الذين كانوا يتغيرون في الوطن كل سنة ، ان يسيطروا عليه
شيئاً من السيطرة . اما الآن فصار الوالي يتعين على ولايته من قبل الحاكم الدائم في رومية
الذي كانت له السلطة ان يناقشه الحساب . فاذا اظهر مقدرة في الادارة وحسن تصرف
في ولايته كان على يقين تام من انه يبقى في منصبه الى ما شاء الله . فنشأ في عهد ملك
اوغسطس جماعة من حكام الولايات جمعوا الى الخنكة والاختبار ، المقدرة الكافية في
ادارة الاحكام

لم يتصد احد في عهد الجمهورية لمعرفة الكمية اللازمة من المال لنفقات الحكومة ولا
المقدار الذي يجب على كل ولاية ان تؤديه منها بحيث لا يقع شيء من الحيف على واحدة
منها في تعيين مقدار الجزية المطالبة . واما اوغسطس فامر بأخذ الاحصاءات المدققة وتخمين
الممتلكات لكي يعلم عدد النفوس في الامبراطورية وقيم الاملاك في كل ولاية فيها .
ولما تم له ما اراد من الاحصاء والتخمين استطاع ان يعين بالتام مقدار الضريبة التي يجب
على كل ولاية ان تقدمها بجانب الخزانة وكان جزء مهم من الضرائب المجموعة يُعاد الى
الولايات المختلفة للقيام بالاعمال العمومية اللازمة كمد الطرق ، وانشاء الجسور ، وبناء القناطر
لتجري من فوقها قنوات المياه ، وتشيد المباني العمومية . وفي اعداد اوغسطس لهذه التنسيقات

(٨٨٤) عمل
اوغسطس العظيم
تنظيمه الولايات

(٨٨٥) نظام
الحكام والولايات
الصالح

(٨٨٦) تنظيم
اوغسطس لمالية
الامبراطورية اول
مرة

زاهُ قد اخذ كثيراً عن المصريين . وقد انقضى بهيمته الشَّماءُ ومساويه الجلييلة قرنا الفوضى والتشويش في الولايات واستتب اخيراً لرومية القيام بواجب خطير كان مطاوباً منها للحكومات التابعة لها وهو اعطاؤها حكومة موافقة لاجوالها

وزى الآن ان عالم البحر المتوسط تحت حكم رومية قد دخل عصراً جديداً من التقدم والترقي لم يُعرف قبلاً ازماناً كانت الامم المقيمة على سواحلها يثير بعضها على بعض حرباً اثر أخرى . وابتداءً عمل التوحيد والضم الذي كان غرضه جمع شتات الامم المختلفة التي على سواحل البحر المتوسط الى امة واحدة . وقد كانت حتى الآن متفرقة الاوصال كما رأينا في درسنا تواريخ الامم الشرقية كاثينا وسبارطة ومكدونية ورومية وقرطاجنة وسواها من البلدان التي تتبعنا تاريخ كل منها على وجه الاستقلال . والآن ستضم اوصال هذه البلدان لتؤلف جمعاً واحداً يدعى الامبراطورية الرومانية التي سيكون لها تاريخ واحد قومي يُعرف بتاريخ الامة الرومانية . واما برايرة الجرمان في الشمال فكانوا خارجين عن حظيرة الامبراطورية الرومانية وكذلك كانت البلاد التي شرقي الفرات لانها لم تدوخ

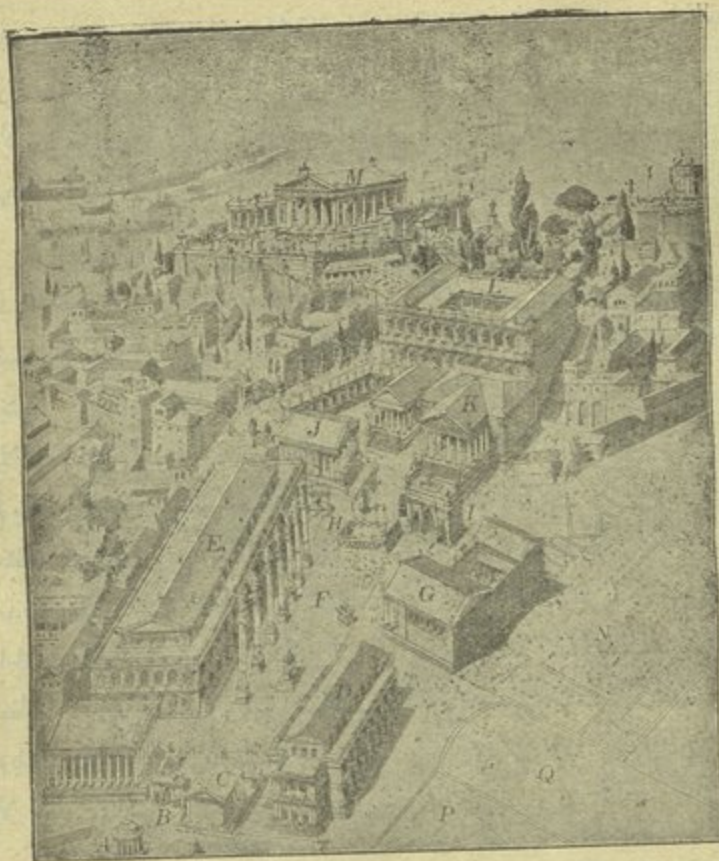
٨٨٧٧ عالم البحر
المتوسط يوشك ان
يصير امة

٨٨

مدنية عصر اوغسطس

وقصد اوغسطس ان يبني ايطاليا مركزاً سامياً في الامبراطورية الجديدة ويجعلها بمثابة القائد المهيب لجميع الشعوب المحدقة ببحر الروم . فلم يكن شعبها لينحط الى مستوى تلك الشعوب او يعدّ كواحد منها بلا ميزة . وقد رأينا قبلاً كيف كان تأثير الغنى والسودد الفجائيين في الفضائل والاخلاق الرومانية الصلبة . فانها افسداها وزعزعا اركانها (ف ٨٢٣ - ٨٣٥) قبل ان أتيج لاطاليا ان تصير امة . فسمى اوغسطس سعياً مشكوراً لازالة الضرر واعادة الايام القديمة التي تجلّت فيها الفضيلة الرومانية الساذجة والعادات القديمة الحميدة ومعتقدات السلف الدينية . وسنّ قوانين لصيانة طهارة الزواج ومحاربة الطلاق وقضى على الآلهة الشرقية ، التي كان قد ذاع امرها حقناً طوالاً في بلاد اليونان (ف ٦٠٤) وانتشر خبرها في ايطاليا ، بان تُنبذ من البلاد نبذ النواة . وحضّ الشعب على وجوب الرغبة في ديانة الآباء والاجداد بعد الرغبة عنها زمناً طويلاً . وأعيدت الحفلات الدينية القديمة الى

٨٨٨٨ عمارة
اوغسطس احياه
الروح الرومانية
القديمة وهداية
لغة شان ايطاليا



نظر
عبر السوق
القديمة (F)
(٧٢٧ ف)
فدري التبر
وسفنه وعلى
جانبى السوق
كانت تُشاهد
المباني (E) و (J)
و (D) و (و)
وكان في
الزمان
الماضي ،
صنوف من
التخمس
الصفيرة
المنيسة
بالتخشب
كان يباع
فيها السمك
واللحم واشياء
اخرى وبعد
بداية الحروب

الشكل ٢٠٠ الندوة الرومانية ومبانيها العمومية في عهد الجمهورية الأول

القرطاجية نقصت هذه النخام وأقيم مكانها مبان فاخرة كناية الباسليقا ^D التي شيدت بعد السنة ٢٠٠ ق م بامد يسر . لاحظ الرسوم الهندسية الارضية المربعة (M) والتماطر الناله على قناير النفوذ الاترسكي ، والسقوف والاروقة المعمدة التي كانت على منهاج سقوف اتينا ، واروقتها ، والمناور التي كانت تدير داخل البناية (C) و (E) وهي مقبسة عن المدن الهلينية . وكان الطريق المقدس يمر بالهيكل المستدير المكرس لوستا آلهة المواقف (A) ، ويصل بالندوة عند قنطرة ارغسطس (B) ، وهيكل يوليوس قيصر الذي آله (C) . وكان الى اليمين باسليقا اميلوس (D) (٨١٢) وإلى اليسار باسليقا يوليوس قيصر المجدبة الفاخرة (٨١٠) ، ومقابل هذه عبر سوق الندوة القديمة كانت دار المشيخة C التي هندسها يوليوس قيصر (٨٩) وعند طرف الندوة (النورم) الاعلى كانت دكة الخطابة المجدبة (H) وبقرتها بنى سيبوس سفيرس قنطرة الساذجة (I) ووراءها بنى الكابول (حصن رومية) وهيكل زحل (E) وعند قاعدته هيكل كنيكورد (K) وفي اعلى مغنره كان المل الذي تحتفظ فيه الصكوك العمومية والآثار الكتابية . وعلى قمة الحصن القديم كان هيكل المشري M وقد مدد يوليوس قيصر الندوة الى الشمال بمخطوطو ندوة المجدبة (N) وراه دار المشيخة المخصصة بـ (C) ويمكن مشاهدة ازدياد حجم ندوات الامبراطرة من هذا الجانب في الصورة التالية (ش ٢٠١) حيث ترى نفس الحروف مكررة

سابق رونقها وبهاؤها بأساليب تثير العواطف الكامنة وتضرم الحاسات الخاملة. ورُتبت في الوقت نفسه هياكل المملكة التي كثيراً ما آل امرها الى الخراب وشيدت هياكل جديدة ولا سيما في رومية وأعيدت الخدم والطقوس الدينية الرومانية في كل مكان الى سابق عهدها

ولم يكن اقتلاع الميول المتأصلة والمتشعبة في اعماق نفوس البشر وطبائعهم، كالتى كانت قد تملكث الشعب الروماني، بالامر السهل. لانها اعمق من ان تبلغها سلطة الحكومة او ضغط الشرائع الجديدة. ولقد كان العالم الذي عاش فيه الرومان في العصر الاوغسطي عالماً جديداً. وكلمة كان اوغسطس يحدث تغييراً في الاحوال كان يظهر الفرق بين عصره وبين الايام - القديمة قبل ان حُصرت السلطة بيد رجل فذ - واضحاً كالشمس. وقبل عهد اوغسطس لم يكن في رومية نظام معروف للشرطة ولا كانت فيها دوائر للحريق والماء، ولا مكتب منظم كما يجب لبيع الخنطة من لدن الحكومة. وكان اوغسطس يباهي بأنه وجد رومية مدينة مبنية بالابن فغادرها مبنية بالرخام. وكان اهم ما يتجلى لعين من يزورها في عصرها الجديد، المباني الفخمة الجديدة. لان رومية الجمهورية كان ينقصها مراسم جميلة ومدارس عظيمة لتدريس العلوم الراقية ومكاتب واندية للموسيقى ما كانت تردان به المدائن الهلينية. وبالطبع لم يكن في رومية قصر ملكي كالذي كان في الاسكندرية المدينة التي كانت لا تزال بمبانيها العظيمة اجمل وايهى مدن العالم القديم قاطبةً

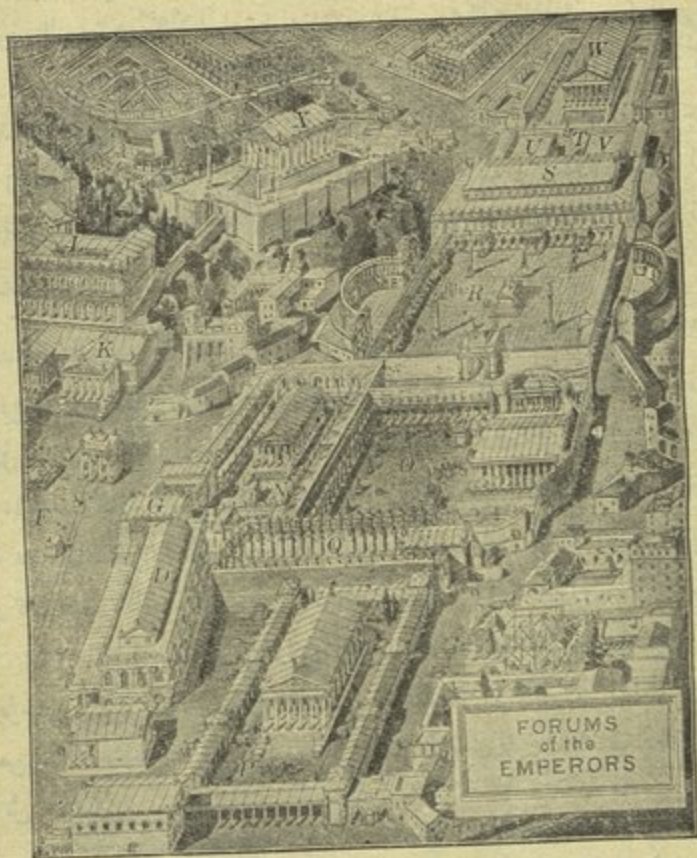
(١٨١٦) رومية
المجددة

ان المباني العظيمة التي شرع فيها اغسطس الآن جعلت رومية في المقام الاول من الوجهة الفنية في العالم القديم طراً. وكانت معظم المباني التي عُني اوغسطس بتشييدها اما ما كان قد وضع هندسته ابوه بالتبني، الدكاتور العظيم، او شرع في بنائه ولم يفسح له الاجل ان يتممه. وضم اوغسطس جملة منازل كانت قائمة على التل الپليني وجعل من مجموعها قصرًا فخماً لسكنائه. وشيد هيكلاً جديداً لابأون محاطاً بالاروقة المعتمدة وانشأ فيه مكتبة كبيرة بالقرب من باب قصره

(١٨٩٠) رومية
اعظم مركز للفن.
سالي اوغسطس
للكتبة

وكان القصر يشرف على مجموعة فخمة من الابنية الرخامية الجديدة التي كانت تحرق بالندوة القديمة. وكان اقرب الابنية الى القصر البناية التجارية الفاخرة التي كان قيصر قد شرع في بنائها ولم يفسح له في الاجل لاتمامها. ثم اتلفت النار بعد ذلك جانباً منها فقام الآن اوغسطس ورّمه ما تلف (ش ٢٠٠ E) وشيد مقابل الباسيليقا الجديدة بناية جديدة للمشيخة كان قيصر قد وضع هندستها ولكنه لم يبنها قط (ش ٢٠٠ G) وبني اوغسطس

(١٨١١) المباني
المجددة في الندوة
وجارها



الشكل ٢٠١ نذوات الامبراطرة متصلة الندوة القديمة التي في شكل ٢٠٠
 كانت نذوات الامبراطرة تكون حلقة اتصال اذ تربط الندوة الرومانية القديمة (F) بالبنائيات الجديدة الفاخرة
 المخصصة بكمبوس مارتوس، كمرح بيبوس وحمامات اغريبا والبانثيون الخ ولكي يتم هذا الاتصال قطع تراجان
 حرف الجبل الذي يصل تل الكابول بالتل الكويرالي الى هيق منة قدم ولا يزال هودده (T) دليلاً على علو
 الحرف المذكور. ولم يبق من هذه الخامة الا القليل الآن وكانت دار المشيخة الخاصة بيولوس قيصر (C) والندوة
 الجديدة (N) تمتدان من الندوة القديمة شمالاً وتشغلان بقعة الارض التي كان يجتمع فيها العامة فيما غير من
 الزمان. ثم امتدت هذه الزيادة على الندوة من الشمال في نفس الجهة باضافة ندوة ارغسطس (O) (ف ١٦١).
 ثم مدد امبراطرة القرن الاول والثاني (ب.م) العظام هذه الزيادة الشمالية في جهتين من الجنوب الشرقي (Q) و
 ثم من الشمال الغربي (R و S و U و V و W) وبني فسبسيانس في القرن الاول (ب.م) ندوة السلام المحيطة
 (P) وادخل نرفا الشيخ ندوة الضيقة المستطولة (Q) وفي القرن الثاني (ب.م) بني تراجان على الجانب الآخر
 من ندوة اغسطس (O) انخر جميع النذوات (R) وباسيليقا فسحة (S) تدعى باسوليقا اليها بالقرب منها وكانت
 وراسها مكتبة (V و U) وعموده المدهش قائم (T) بينها وبني مدرئانس اكراماً لتراجان ميكلا (W) وهو
 تكيلة صف انعم وانجر الماني التي رآها العالم القديم

مقابل طرف الندوة هيكلًا لعبادة ابيه بالتبني، قيصر، الذي ألهه قومه فدُعي الهيكل
بهيكل يوليوس الاله (ش ٢٠٠ C) واقام اوغسطس عند طرف الندوة الآخر دكة للخطابة
من الرخام النقي (ش ٢٠٠ H) مقابل الهيكل. وكان قيصر قد بنى ندوة جديدة وراء
الارض المقصود ببناء دار المشيخة الجديدة عليها عرفت بندوة قيصر (ش ٢٠٠ و
N ٢٠١). وحدث زيادة الاشغال التجارية اوغسطس على بناء ندوة ثالثة بجانب ندوة قيصر
دُعيّت بندوة اوغسطس

(١٩٣) تالسير
العوامل اليونانية
والشرقية في هندسة
المباني الرومانية

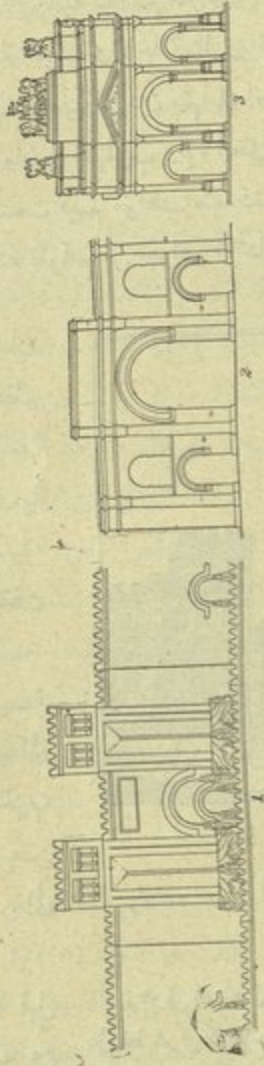
وقد نسج الرومان في هندستهم البنائية على منوال اليونان والشرق. فكانت مبانيهم
منقولة عن نماذج يونانية وشرقية. لم يكن للقنطرة محل في المباني اليونانية ولكن الرومان
احلوا في مبانيهم منزلة رفيعة كما احلوا الاروقة المعمدة. فكانت القنطرة وهذه الاروقة
من اهم ما يجذب النظر في مباني الرومانيين. ولولاهم لم تزل القنطرة منزلتها المهمة في المباني
الحديثة عندنا والظاهر ان اوغسطس كان شديد الشغف بانثار الشرق القديم الذي زاره غير
مرة. وكان لقنطرة النصر التي بنيت اكراماً له ابواب كما كان لواجهة القصر الاشوري
(ش ٢٠٢). ونقل اوغسطس من وادي النيل عدداً من المسلات المصرية ونصبها في رومية
وحين عزم على تشييد ضريح عائلتِه اخذ رسم هندسته من الشرق. وبنيت احدى الامر
النائلة من سكان رومية هرمًا ليكون مقر راحتها الابدي لا يزال قائماً في ارباض المدينة حتى
اليوم (ش ٢٠٣)

ومع انصباب الرومان واقبالهم على تشييد المباني النفيسة، كان اهتمامهم بالنقش اقل
مما ينتظر. فلم يقيم في رومية نقاشون مبتدعون كالذين قاموا في اثينا. ولم يكن في
رومية مصور واحد مشهور. وكان نوع التصوير الوحيد الذي زاووه ضرباً من زخرفة
الجدران التي يشاهدها السياح في بمباي حتى الآن والتي سنتكلم عنها فيما بعد

(١٩٣) لم يكن
لرومان شيء من
قوة الايمان لا في
النقش ولا التصوير

اذا حسبنا رومية مقلدة في الفن او الصناعة فقد كانت كذلك بل اكثر في العلم. فلم
ينبغ فيها مثل ارخميدس (ف ٦٨٦) واراتستيس (ف ٦٨٩) وكان اشهر كتاب في
الجغرافيا تأليف رجل يوناني اقام في رومية اسمه سترايو. ومع ان هذا الكتاب لم يكن منسقاً
تسسيقاً علمياً، كان المؤلف الجغرافي المعتمد عليه. ولا يزال الناس حتى الآن يقبلون على
مطالعتِه والاستفادة منه ككتاب رحلات قديم العهد. ولكنهُ في الوقت نفسه كان الحد
الفاصل بين العصر الهليني الذي نبغ فيه رهبط من جلة العلماء الذين جعلوه بنتاج قرائنهم،
اعظم عصور العلم في العالم القديم، وبين هذا العصر الذي اخذ يتضاءل فيه نور العلم

(١٩٤) عبور
رومية الى العلم
سترايو والجغرافيا
تأخر العلم



الشكل ٢.٣ قنطرة النصر الروماني واصولاً الشرقية

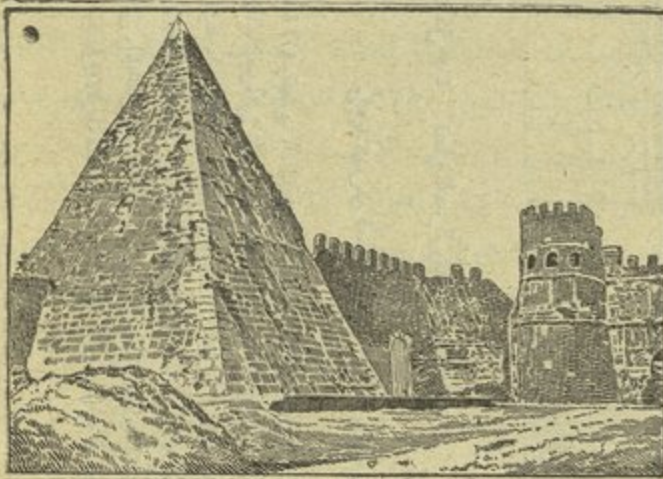
١ واجهة قصر اشوري (ش ١٠٦) واجهة قصر من قصور التريون قنطرة نصر رومانية

أخذ التريون واجهة القصر الاشوري القبة (١) وقنطرتها العالية في الوسط مع القنطرتين اللتين عن جانبيها وها أولاً منها (انظر ش ١٠٦) وقد وها (٢) مع تغيير قليل في مركز القنطرتين الجانبيين فانها قريباً من القنطرة الوسطى (٣) وقد رأينا قبلاً كيف تنقلت القنطرة غرباً بالدرج (ش ١٧٥). ومع ان اليونان تفعل أولاً عن قبولها واستعمالها في مبانيهم فانهم بعد ان تنصروا ادخلوها في بناء كنائسهم (ش ٢٢١). وبمكس اليونان، الرومان الذين كان للاتنسيكيين الذين جاؤوا بالقنطرة من اسية الصغرى (ش ١٧٥) نفوذ وتأثير بينهم فوجدت القنطرة في رومية من أول عهدها. وكانت قنطرة النصر التي لاوغسطس والقناطر الاخرى التي من نوعها ما بناه الرومان (٣) سليلات القناطر التي في واجهة القصر الاشوري التي كانت ذات قنطرة عالية في الوسط وقنطرتين اولاً منها على جانبي الواجهة كما رأها سراج الرومان في الشرق

(١٩٥) الاعلام
العظيم في الآداب
الرومان المحاسنين
على الهندسية
الوناني الروماني
في مقدمة مهدي
العالم القديم

وكان الرومان كغنيين جداً بالآداب عديدي الاكتراث للعلوم . وكان زعماءهم يظهرن
احياناً ميلاً شديداً الى الادبيات يكاد يقرب من العبادة حتى تحت اثقل الواجبات . فان
قيصر كتب رسالة موضوعها «اللغة اللاتينية» وهو يقطع جبال الالب في هودج وعقله منهمك
في قضايا ومشاكل حروبية في غاليا . رجال كهولا . كانوا قد درسوا في اثينا او رودس وتضلّعوا

من انفس كتب العلوم والآداب اليونانية . وكان قيصر وشيشرون واضرابها كل يوم يتكلمون باليونانية بعضهم مع بعض ربما اكثر مما كانوا يتكلمون باللاتينية . وقد امتزجت فيهم المدنية الهلينية والاخلاق الرومانية فحصل من امتزاجها اسمى العقول تهذيباً ورفقياً في العالم القديم . ولم يكن بين متهذي الجوالي اليونانية المتبقرة في الشرق من يستطيع مباراة هولاء الرومان في التهذيب وقوة العقل . والصحيح ان بلاد اليونان لم تنجب رجالاً من هذا الطراز اجتمعت فيهم مواهب متعددة جعلتهم في المقدمة سواء كان في الزعامة الاجتماعية او في ما انتجته عقولهم من جواهر الآداب



الشكل ٢٠٢ قبر هرمي الشكل للنبيل روماني
بسمي قستوس

يرجح ان اغنيا الرومانيين الذين كانوا يعرفون الشرق معرفة نامة آثروا ان يبنيوا قبورهم على نمط شرقي كما فعلت أسرة النبيل قستوس . ولما بني هذا القبر في عهد اوغسطس كان خارج المدينة ولكن غلب مرور ثلاث مئة سنة اصبح ضمن السور الذي بناه اروليانس (٢٧٠ م - ٢٧٥ م) صيانة المدينة من هجمات البرابرة . وبشاهد هنا جزءاً من سور اوريليانس على جانبي الهرم

وكان

شيشرون اعظم
الرجال الذين
انجبتهم رومية
علماء وتهذيباً .

وحين اخفقت

مساعيه

السياسية

لافتقاره الى

الثبات والحزم،

تحول عن

السياسة الى

الآداب .

ولكنه قبل

ان تحول عن

معتك السياسة

والشرع اغنى

اللغة وجعل

(١٦٦) شيشرون
نوراج المصدين
التهذيب العالي في
عصر الجمهورية .
كتابات وتأثيرها
الدائم

نثرها بما كان يليق به فيها من الخطب الرائعة . وهو اعظم خطيب ورد ذكره في تاريخ رومية . وبعد اعتزاله السياسة ومهامها عكف على تجميع المقالات في فن الخطابة وغيره من المواضيع المفيدة فكتب سلسلة مقالات في علم السلوك . وكتب رسائل في الصداقة

والشيخوخة وغيرها وخآف بضع مئين من الرسائل التي احتفظ بها اصدقاؤه • وكان آخر ضحية من ضحايا الحرب الاهلية • فتلك به جماعة من جنود انطونيوس القساة فبات ولكن تأثير كتاباته خالد لا يموت • فقد جعلت اللغة اللاتينية من اجل الذرائع للتعبير عن العواطف البشرية وغودجاً لانفس اساليب الانشاء البليغ • وكان لها تأثير عظيم في ابلغ الكتابات في جميع لغات اوربا لا يزال حتى الآن

(١٦٧) ظهور الشعر
في عصر اوغسطس.
هوراس

ولما بلغت الجمهورية ايامها الاخيرة كان شيشرون والمعاصرون له من اضرايه قد ابلغوا النثر في اللغة اللاتينية درجة الكمال مما كانت عليه البلاد من الاضطراب والحرب الاهلية. ثم ظهر في اوائل الامبراطورية ابلغ الشعر اللاتيني فكان الامبراطورية في اول فتوتها وعهد السلام الذي اوجده اوغسطس قد اوحيا الى قرائح الشعراء ما اوحيا من نفيس الشعر • وكان هوراس • انبغ شعراء زمانه • قد درس في بلاد اليونان وعرف الشعراء الغنائيين (ف ١٧٤) من قدماء اليونانيين مع انه لم يكن الا ابن احد الموالى من اصل مجهول • وقد كابد من المخاطر وقاسى من البلايا ما كابده وقاساه اولئك الشعراء من قبل في الحروب الاهلية التي طال امدها • وكانت رنات اصوات اولئك الشعراء الغنائيين تتجاوب اصدائها في اعماق نفسه حتى انه وجد صوته بينها • ثم شرع ينظم الشعر ويمثل فيه احوال الناس في الزمان الذي عاش فيه • ولا تزال اشعاره صورة حية لحياة الامة الرومانية في عصر اوغسطس وستبقى منظومات هوراس من اعظم المتروكات التي ورثها الادب عن العالم القديم لانها كتبت نفيس يمثل لنا الحياة الرومانية كما صورها عقل مهذب ناضج • ولا يعلو عليه كلام منظوم حتى في انفس وارقي الآداب اليونانية

(١٦٨) فرجيل
والابندية

وكان فرجيل الشاعر الآخر العظيم في العصر الاوغسطي يقضي الكثير من وقته في هدوء العزلة بزرعه الموروثة عن اسلافه في ظلال جبال الاب في الشمال • وحين كان يسرح طرفه في حقوله الفسيحة كان الوحي الشعري يأتيه فتفيض قريحته بالقريض الذي تحدى فيه روح ثيوقرطس فمثل لنا الحياة القروية الساذجة على هضاب وآكام ايطاليا بكل ما فيها من الجمال الشعري • وعلى كرور الزمان تجلّى له ما قامت به رومية من الاعمال بصورة مقحمة ولا سنيا ما تم على يد اوغسطس معيد السلام الى العالم • وشرع فرجيل الآن في ابداع قصيدة حماسية أخرى يصور بها لذهن القارى • جولان اينياس بطل طروادة من اسية الصغرى الى ايطاليا حيث اسس في غضون مغامراته البطولية الكثيرة أسرة لاتيوم الملكية • ومنه على ما يروى تسلسلت الاسرة اليوليوسية - القياصرة - التي كان آخر زعمائها اوغسطس الذي نجى رومية ووطد اركان السلم في العالم • وقد كانت القصيدة الحماسية

هذه المائة بالآينيدية - نسبة الى آينياس - موضوع اعجاب اهل الزمان الذي نظمت فيه . وما زالت حتى الآن تُعدّ من انفس الكتب المدرسية في العالم المثمن قاطبة . وقد كان لها تأثير خالد في انفس الآثار الادبية في الاعصر الحديثة

وخلف لنا اوغسطس نبأ اعمال حياته . فانه لما بلغ الخامسة والسبعين من عمره وشعر بدنو اجله شرع يجمع قصة حياته السياسية التي نُقشت فيما بعد على صفائح من البرنز ونصبت امام ضريحه . وفي هذه القصة المؤثرة المسبوكة في قالب من البساطة والجلال تتجلى لنا اعمال اوغسطس الحظيرة الواحد اثر الآخر على نسق بديع يتجسم فيه السموّ والعظمة والمجد حتى عدت انفس اثر تاريخي لرجل عظيم خلفه لنا العالم القديم ، وقد كتب اوغسطس سطورها الاخيرة وهو في الرمق الاخير من حياته . وقضى أوّل امبراطرة الرومان في التاسع عشر من شهر اوغسطس (آب) الذي تسمى باسمه سنة ١٤ م

(١٩٩) اوغسطس
يكتب نبأ اعمال
هباتو بيدو وفيركة
في الاثر الفذكاري
بالتفيرة

٨٩

هلاله اوغسطس ونهاية قرن السلم الاول

وكان زمام السلطة العليا في الامبراطورية الرومانية العظيمة مدة نصف قرن تقريباً بيد اوغسطس . وعقبه على السرير اربعة من سلالاته اما بالدم او التبني الواحد بعد الآخر . وكانت مدة ملكهم نصف قرن آخر فتمّ بذلك قرن السلم الاول . ولم يهيي . اوغسطس في حياته قانوناً للخلافة يعيّن بموجبها خليفته او الخلفاء الذين يعقبونه على السرير . فكان لكل روماني مندوحة ان يطمح الى هذا المنصب السامي . فاضطرّ اوغسطس ان يشرك معه برضى المشيخة ربييه طيارايوس ، ابن زوجته من زوجها الاول فشاركه طيارايوس في قيادة الجيش ومنصب التربيونية . وبعد موت اوغسطس عينته المشيخة بلا تردد مكان رابه . فكان له من السلطة ما كان لاوغسطس دون تحديد مدة توليه لمنصبه

(٩٠٠) الخلفاء
الاربعة من سلالة
اوغسطس (١٤٠)
(٢٦٨)

كان طيارايوس جندياً قديراً وادارياً خبيراً فعين للولايات حكاماً من اهل الدراية والمقدرة السياسية فبرهن على انه الحاكم المحنك القدير . ولم يسمح لغوغاء الرومان الذين

(٩٠١) ملك
طيارايوس

كان يحتقرهم ان يسلوا المهزلة التي اعتادوا تمثيلها في ايام اوغسطس بان يقرعوا على امر
 يكون الامبراطور قد بته نهائياً . وهكذا لم يبق لحكم عامة الرومان من عين ولا اثر
 ولما مات طيباريوس ، انتخب لمنصب الخلافة غايوس قيصر ابن حفيد اوغسطس
 الملقب بكاليغلا (الحذا الصغير) وقد نال هذا اللقب من الجنود الذين ربي بينهم . كان
 شاباً في الخامسة والعشرين من عمره حسن السيرة ومحبوباً من اهل رومية في اول امره
 ولكن ما كاد يحس بالسلطة الواسعة التي كانت له حتى ظهرت سجايه الحقيقية فتأدى في
 الغي والجور وانغمس في اللذات وذهب في الخلاعة كل مذهب كأنه مجنون ونصب جواده
 قنصلاً . قيل انه كان يحضر به الولايم ويطعمه افخر الاطعمة ويسقيه الخمر في كووس ذهبية .
 وبدد الاموال الطائلة التي كان قد ادخرها طيباريوس في خزانة الدولة ، في الفجور والمنكرات
 وتشديد المباني التي لم تكن من حاجة اليها . وفيما هو على هذه الحال من ارتكاب القبائح
 والموبقات من ظلم واغتصاب وقتل ، وثب عليه بعض رجال حرسه واعتالوه في قصره
 فاراحوا البلاد من شره بعد ان ملك اربع سنين

(٩٠٢) كاليغلا

وفيما كان رجال الحرس الملكي يفتشون القصر وينهبون ما فيه وجدوا شخصاً محتبئاً
 في احدى غرفه يرتعد فرقاً اسمه كلودوس ، حفيد طيباريوس وعم كاليغلا . وكان اهله
 يرفقون به لانه كان ناعل الجسم ضعيف القوى الجسدية والعقلية وهو في الخمسين من عمره .
 ولكن حرسه الخاص اخذوه ونادوا به امبراطوراً على رغمه فاضطرت المشيخة ان تقره
 على السرير . ومما كان عليه من ضعف الجسم والعقل فقد تجرد لخدمة الامبراطورية وعمل
 كثيراً في سبيل نفعها .

(٩٠٣) كلودوس
 وفتح بريطانيا
 واقامة نظام الحكومة
 (٤١ - ٥٤ م)

ومن جملة ما اثره غزوته بنفسه لبريطانيا تلك الغزوة التي فاز فيها وعادت عليه بالفخر
 لانه اضاف الجزء الجنوبي من بريطانيا وجعله من جملة ولايات الامبراطورية الرومانية .
 وكان ولوعاً بتشديد المباني . ومن اهم آثاره في البناء قنوات الماء في رومية التي اجرى فيها
 اصلاحات جملة . وقام بعض رجال معيته الذين كانوا يعاونونه في ادارة الامبراطورية -
 ومعظمهم من الموالي اليونانيين - وشرعوا في تأليف نوع من الوزارة قيض لها ان تكون
 اول طائفة من النظار المقتدرين . فكان منهم وزير المالية ووزير الداخلية وآخرون
 غيرها

وكان سبب موت كلودوس - فيما يرجح - عدم مقدرته على انتقاء رجال معيته
 بالحكمة ، وعجزه عن ضبط امور معاونيه في ادارة الاحكام مما مهد لاغريبتنا آخر نساها ،

نبت ابن ابنته وتعين ابنها نيرون من زوجها الأول خليفة له . وكان نيرون سليل أسرة
 اوغسطس من جهة والديه كليهما . وقد وكات والدته امر تربيته وتثقيفه الى الفيلسوف
 سنقا . فجعله نيرون في الخمس السنين الاولى رئيس وزرائه فحرت الاحكام في مجرى السداد
 والعدل . ولكن نيرون خلع العذار وخاض بحور الشرور والمنكرات منقاداً الى طغيته
 الشريرة وسلك مسلك الجور والعسف والقساوة حتى امسى اسمه مرادفاً لكل ما هو شرير
 ومشتار في القبح

١٩٠٤ اغتيال
 كلود بوس وارثاه
 نيرون الى السرير
 م ٥٤

وكان نيرون ميالاً الى الاشتغال بالفنون . فسلم ادارة الحكومة الى اخصائه من رجال
 القصر وخرج الى السياحة في بلاد اليونان والتنقل في امهات مدنها مدعياً انه من المؤلفين
 البارعين في فن الموسيقى . وكان يدخل مباراة الرقص والغناء وسباق المركبات طمعاً باحراز
 الجوائز . وكان شديد الولوع بفن التمثيل والصيد والملاكمة والمصارعة قيل انه كان يجالده
 بالسيف في المراسح بمرأى من المتفرجين . وكان في الوقت نفسه جباناً سيئ الظنون بالناس
 فقتل معلمه سنقا لسوء ظنه به واغتال ابن كلوديوس وغيره من الابرياء . والفاضل وقتل
 امرأته . وتكلمة مساوته وفضانعه امر بقتل والدته . وكان شديد التبذير والاسراف
 فالجأه ذلك الى زيادة الضرائب على الولايات التي اسرف في قتل اشرافها واغنيائها حتى
 سخط الناس عليه وتقموا منه افعال الشريرة . قال الامر الى سقوطه . وحلت برومسية
 نكبة شديدة من جراء النار التي شبت فيها اسبوعاً كاملاً والتهمت قمماً كبيراً منها . قيل
 ان نيرون هو الذي اضرم النار في المدينة لكي يتمكن من بنائها على شكل ابهى وافخم
 مما كانت . روي انه لما كانت السن النار مندلعة تلتهم المدينة ومن فيها كان نيرون جالساً
 يلهو بمنظرها ويعزف على آلة طرب لحناً ألقه هو موضوعه تدمير طروادة . الا انه لا بينة
 لدينا تؤيد صحة هذه المزاعم والتهم المعزوة الى هذا الطاغية . وزاد نيرون شره بان اتهم
 المسيحيين باضرام النار في رومية فقبض على كثيرين منهم وعذبهم عذاباً شديداً اليأس

(١٠٥) مساوي
 نيرون . حرق
 رومية ٦٤ م

وتبرم اهل رومية من سوء سلوك هذا الطاغية ومقتوه وسئم منه المقرَّبون اليه لسوء
 ما عملته لهم فاصبح منفرداً بلا صديق ولا نصير . وناه سكان الاقاليم والولايات بالضرائب
 الفادحة التي ضربها عليهم فشقوا عصا الطاعة ورفعوا لواء العصيان . وزحفت الجنود الثائرة
 على رومية فتواري نيرون ولبأ الى مخبأ يحمي فيه . ولما بلغه ان المشيخة اباحت دمه انتضى
 سيفه وانتحر . فمات في السنة الثامنة والستين ب . م . آخر متسلط من اسرة اوغسطس .
 وانتهى بموته قرن السلم الاول (٣١ ق . م - ٦٨ م) لان نفراً من القواد الرومانيين هبوا
 الى الجهاد في سبيل القبض على زمام السلطة العليا وكادوا يوقعون البلاد في حرب اهلية

(١٠٦) مسوت
 نيرون آخر واحد
 من سلالة بولوس .
 نهاية قرن السلم
 الاول ٦٨ م

أخرى يُضرمون نارها ويشيرون شرارها

(١٩٠٧) نثر المقدم
الباقية مد • اسلا لة
البرطوسية

ومما كانت عليه البلاد من التشويش والفساد في ملك اثنين من سلالة اوغسطس فقد
بتي فيها شيء من آثار الصلاح والاصلاح الذين تمتعت بها في عصر طيباريوس و كلوديوس
سواء كان في رومية او في الاقاليم الاخرى • ولكن الدولة الرومانية كانت تسعى سعياً
حقيقاً الى الملكية التي ينتقل فيها التاج من الوالد الى ابنه بالوراثة • ومما ساعد على ترويج
هذه الفكرة، المنزلة السامية التي كان قد بلغها القياصرة^(١) (هكذا كانوا يسمون الامبراطرة)
في عيون الامة الرومانية التي اهتمهم وقدمت لهم العباداة في جميع انحاء البلاد كما اُلِه
الاسكندر الكبير وقدمت له في عصره العباداة • وكان يوليوس قيصر اول من نال هذا
الاحترام الفائت • وكانت عباداة الامبراطور فرضاً من فروض التابعة الرومانية • ولم يكن
للمنازعات التي ثارت على اثر موت نيرون شيء من التأثير في المكانة السامية التي كانت
للامبراطور في عين امته • وكان لاتساع سلطة الامبراطور الروماني، حتى بعد انقراض
سلالة يوليوس قيصر، تأثير كبير في التمتع بقرن آخر يسود فيه السلم والفلاح • وسيكون
كلامنا في الفصل الآتي مقصوداً على هذا القرن - قرن السلم الثاني

مسائل

٨٧

كيف كان العصر الذي ابتدأ فيه ملك اوغسطس ؟ كيف كان موقف اوغسطس
بالنظر الى الجمهورية ؟ ما هي الوظائف والسلطات الرئيسية التي تقلدها ؟ من قلده
اياها ؟ ماذا كانت القاب ؟ هل عاشت الجمهورية ؟ من كان المتسلط الحقيقي ؟
ما هي العوامل التي تضافرت على تصديره ملكاً ؟ ماذا كانت سياسة اوغسطس على

(١) اذا استثنينا يوليوس قيصر واوغسطس نجد ان كلوديوس هو الامبراطور الوحيد من السلالة اليوليوسية
الذي اُلِه قومه لان طيباريوس لم يبل هذا الشرف لعدم محبة الناس له وكاليفلا ونرون حرمة لساومها الكبيرة
واخلاقتها الناسدة

الثغور؟ كيف حسن الاحكام في الولايات؟ اذكر اصلاحاته المالية. هل كان عالم البحر المتوسط موشكاً ان يصير امة؟

٨٨

اي نوع من العيشة اراد اوغسطس لايطاليا؟ ماذا اراد ان يكون مركز ايطاليا؟ كيف كانت رومية قد صارت عالماً جديداً؟ اية اصلاحات ادخل اوغسطس الى المدينة؟ والقصر الملكي؟ والندوة؟ تأثير اي شعب كان ظاهراً في المباني؟ هل وجد جماعة من اهل الابتكار في النقش والتصوير؟ كيف كانت حالة العلم في رومية؟ في اي علم ألف سترابو؟ كيف كان موقف الرومانيين المتهذبن نحو الآداب؟ كيف كان نفوذ شيشرون في العصر الاوغسطي؟ كيف كان مقام رومية الاديني؟ ماذا تعرف عن هوراس؟ وفرجيل؟ قل ما تعرفه عن اهم مؤلفات فرجيل. ما هو النبأ النفيس الذي كتبه اوغسطس نفسه؟

٨٩

كم كانت المدة التي حكم فيها اوغسطس والاربعة الذين خلفوه من سلالة؟ من خلف اوغسطس؟ صف حكمه؟ ماذا جرى لسلطة العامة القديمة في حكم طيباريوس؟ من خلف طيباريوس؟ وماذا تعرف عن ملكه؟ قل ما تعرفه عن ارتقاء كلودايوس الى السرير؟ ماذا عمل؟ من خلف كلودايوس؟ كيف تهذب نيرون؟ صف ملكه واخلاقه؟ اية نكبة تزلت برومية؟ صف نهاية حياته واسبابها؟ ما هو تاريخها؟ ماذا تقول في نتائج ملك السلالة اليوليوسية؟ اي مركز سامر أعطي لامبراطرة الرومان؟ ما هو العصر الذي عقب اضمحلال سلالة يوليوس

الفصل السادس والعشرون

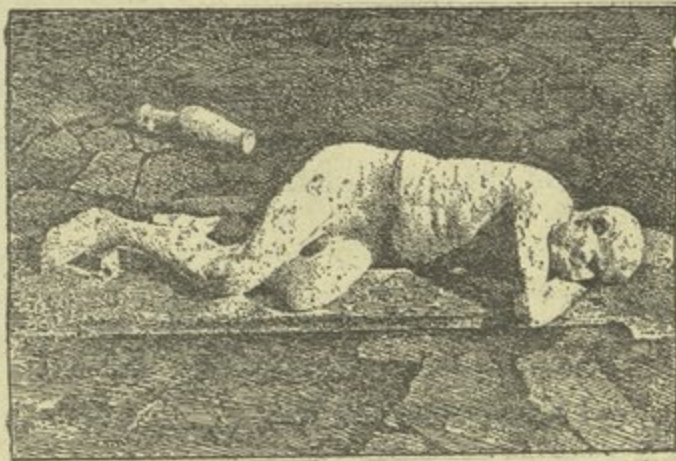
قرن السلم الثاني ومدنية الامبراطورية الرومانية القديمة

٩٠

امبراطرة قرن السام الثاني من سنة ٦٩ م

(٩٠٨) حلوله
نور السلم الثاني
بانصارفسيمايانوس
(٦٩ م)

وكان النزاع على العرش بين كبار قواد الجنديّة، بعد هلاك فيرون، يهدد البلاد سنة كاملة يجرب اهلية أخرى طويلة الامد، ولكن لحسن الحظ كانت جنود فباسبانوس



الشكل ٢٠٤

يرينا هذا الرسم جثة احداهاني بومباي الذي مات حينما هاج بركان يزوف سنة ٧٩ م ودمر المدينة وقد رصبت ذرات الرماد الدقيقة حول الجثة . وتكون منها بعد وقوع المطر عليها قالب كفر الجثة قبل ان يلبت فكان مثلها تماما في الشكل . وبعد ان يلبت تركت في قلب كتلة الرماد قالباً اجوف اخذه الاثريون المحدثون وملأوه جبسا فكان لم يخال مسبك لهذا المنكود الحظ في الوضع الذي كان عليه حين خنقته الرماد الذي غشيه منذ أكثر من ١٨٠٠ سنة

القائد القدير في الشرق قوية جداً حتى عُقد له الفوز دون عناء فنادت به المشيخة امبراطوراً سنة ٦٩ م. وابتدأ بملكه قرن السلم الثاني الذي ارتقت في غضونهِ الامبراطورية الى اسنى درجات الفلاح والسعادة بظل من جلس على عرشها من الامبراطرة العظام الذين سنذكر فذلِكَ ما اتوه من الاعمال الحربية والسياسية ثم نظر نظرة اجمالية في حياة الامبراطورية ومدنيتها مدة قرن السلم الثاني

ما كانت الحروب التي شبت على الثغور او في الولايات القاصية، لتزع سلام الامبراطورية جملة. كان ثباسبانوس قبل انتخابه لعرش الامبراطورية منهكاً في قمع ثورة اليهود بفلسطين وفي السنة التالية من شبوبها استولى ابنه تيطس البطل على اورشليم ودمرها تدميراً. ووقعت في غضون ذلك مذابح مخيفة هلك فيها عدد كبير من الثوار (٧٠ م). وحُظر على اليهود دخول مدينتهم المحبوبة المقدسة. ثم جعلت مستعمرة رومانية تحت اسم جديد. وامست اليهودية ولاية رومانية

(٩٠٦) ثورة
اليهود ودمر
لورشليم

وقام الامبراطرة في العصر الذي نحن بصدده بعملين عظيمين، اكمال تحصين الثغور وترقية الحكومة وانظمتها. وكان الحصن الطبيعي للامبراطورية في الجنوب الصحراء وفي الغرب الاتلانتيكي واما في الشمال والشرق فكانت عرضة لهجمات اعدائها. كانت القبائل الجرمانية الرحل تهدد الحدود الشمالية بلا انقطاع ولم تكن الحدود الشرقية على الفرات في امن. او طمانينة لوجود الفرتيين، الامة المتمدنة الوحيدة التي لم تكن رومية قد قهرتها بعد

(٩١٠) تحصين
الثغور وتنظيم
الحكومة

ان مضايقة البرابرة للثغور الشمالية التي بدأت في عهد ماريوس (ف ٨٤٥) لم تكن الاً استئنافاً لتلك الحركة العظيمة المعروفة عندنا بتيار المهاجرة الذي جرف منذ عهد بعيد الشعوب الهندية الاوربية الى جهات البحر المتوسط (انظر الشكل الهندسي ٨٣) وحمل اليونان والرومان الى شبيبي جزيرتها. فكانت مدينة البحر المتوسط الآن في خطر ان يغشاها تيار البرابرة ويفرقها كما اغرق تيار اليونان قديماً المدينة الايجية السامية (فصل ٩). وقد كانت المسألة العظيمة امام البشرية في المستقبل «هل يستطيع امبراطرة الرومان ان يصدوا البرابرة مدة يتسنى لهم في غضونِها ان يقتبسوا من مدينة البحر المتوسط ما يكفي لجهلهم يحترمونها ويحفظون على الاقل ببعضها لمنفعة الجنس البشري في المستقبل»

(٩١١) امبراطورية
الرومانية حصن
مدينة البحر المتوسط
عد العجبة الفعالة

وبذلت الأسرة الفلاقانية، ثباسبانوس وابناه تيطس ودوميتيانوس، ما في طاقتها

(٩١٢) تحصين
الثغور الشمالية (٩١٢)
١٠٦ م

لتأمين الثغور الشمالية . فبنى دومتيانس اسواراً منيعة في الاماكن التي كان اوغسطس قد
عَيَّنَهَا حدوداً للملكة . واما في بريطانيا فابعد الحدود الى جهة الشمال ثم بنى صفا من
الحصون . ولكنه لم يستطع ان يواقف قوات مملكة داسيا المخيفة على الدانيوب الاسفل
فرشاً ملكها ارضاء له ومنعاً لتعديده . فاوجد بهذه السياسة الحرقاء مشكلة صعبة في هذه
المنطقة ترك حلها للذين خلفوه على السرير

(٩١٣) حسمى
تراجانس قوات
السيطرة على
الدانيوب الامثل
واقناعه لهاسيا
(١٠١ الى ١٠٦ م)



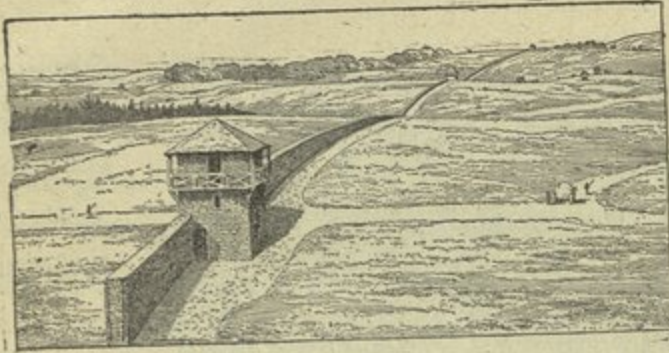
الشكل ٢٠٥ الامبراطور تراجانس
قدم ضحية عند جسر الجديد فوق الدانيوب

نرى في مؤخر الصورة دعامات الجسر الثقيلة من الحجر تدعم القوس الخشبي الفوقالي المبني
من اخشاب قوية وفي مقدمها مذبح يدنو منه الامبراطور من جهة اليمين وفي يده اليمنى اناص
يسكب منه سكب على المذبح . وعن يسار المذبح وقف كاهن عروانا حتى وسطه يقود ثوراً
محرقة . ويدنومن جهة اليسار طائفة من ضباط الامبراطور حاملين الوبة الجيش . وهذا
المشهد منقوش مع مشاهد أخرى كثيرة على عمود تراجانس برومية . وهو من اجمل نماذج
النقش البارز الروماني في القرن الثاني

وبعد موت
دومتيانس
انتخبت المشيخة
ترقا ، احد
اعضائها ، خليفة
له (٩٦ م)
وكانت مدة
خلافته قصيرة
الامد محفوفة
بالمسندوه
والسكينة
فظلت الحالة
في منطقة
الدانيوب
الاسفل على ما
كانت عليه من
الشدّة والحظر

حتى قام تراجانس الجندي الباسل المحنك خليفة لثرفا فاستولى على حصون الداسيين الواحد
تلو الآخر ودمر عاصمتهم بعد ان اثار عليهم حربين . وبنى فوق الدانيوب جسراً هائلاً
(ش ٢٠٥) وجعل داسيا ولاية رومانية وبث على الجانب الشمالي من النهر العظيم كثيراً
من الجوالي الرومانية التي لا تزال انسالها حتى الآن تنتمي الى الرومانيين وتدعو بلادها
رومانيا . فسكنت القلاقل وساد الامن زمناً طويلاً في جميع منطقة الدانيوب الاسفل . وكل
ذلك بفضل سياسة تراجانس الرشيدة الحازمة

وعاد مجد رومية بهيئة هذا الامبراطور القائد الكبير، الى سابق تألقه وبهائه بعد ان غشيت غواشي التمهق والانحطاط منذ عهد قيصر حتى الآن . واول ما وجه تراجانس اهتمامه اليه هو التخم الشرقي الممتد جنوباً من الطرف الشرقي للبحر الاسود الى شبه جزيرة سيناء . واما الجزء الشمالي من هذا التخم فكان الفرات الاعلى الحد الطبيعي لحمة كبيرة منه .



الشكل ٢٠٦ ترميم الدور الروماني المحصن على الحد الجرماني

هذا السور الحجري البالغ طوله نحو ثلاث مئة ميل كان وانما حداً لاندراطورية الرومانية من جهة الشمال، بين الرين الاعلى والدانوب الاعلى، حيث كان معرضاً لهجوم الجرمانى . وكان على مسافات قصيرة معينة في السور مخاض على طول السور وعند النقط الشديدة الخطر اقيم حصون وتكن تاوي اليها الحاميات (ش ٢٠٨)

انسيا الفرس، الشديدة الخول وحافظت على كيانها في السراء والضراء منذ عهد السلوقيين الاولين، مدة ثلاث مئة وخمسين سنة وصدت الحملتين اللتين وجهتها رومية عليها . ولكن تراجانس تزعت به نفسه الكبيرة الى انشاء امبراطورية شرقية عظيمة كملكة الاسكندر . فزحف بجيشه على الفرتين وقهرهم وضم ارمينيا وما بين النهرين واشور الى امبراطوريته كولايات جديدة تابعة لها وزار اخربة بابل لكي يشاهد المكان الذي مات فيه الاسكندر قبل اربع مئة واربعين سنة . ولما راه قيل انه لم ير شيئاً يستحق شهرة كهذه لانه لم ير سوى كوم من الانقاض والحجارة والخرابة . وفوجىء بعد ذلك بشوب ثورة وراه الجائنه الى تقهر مخوف بالخطر . واعتراه مرض لكثرة ما عانى من مشاق السفر فوهنت قواه . ولما ان تحقق - والاسى مل : جنازه - ان حملته العظيمة ستى : بالخيصة والفشل وافاه الجلم في اسية الصغرى وهو عائد الى رومية (١١٢ م)

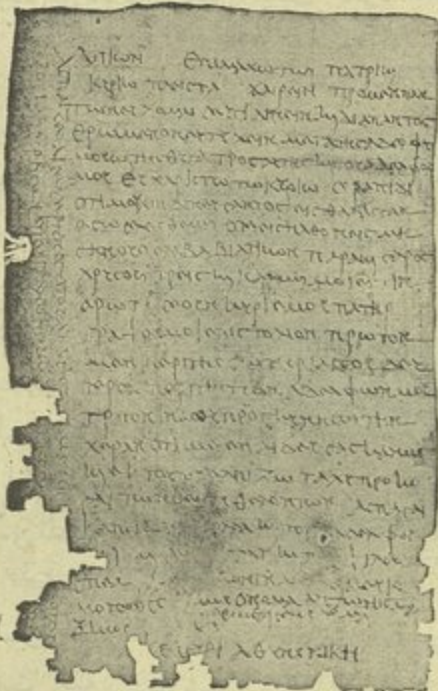
(٩١٤) محاربة
تراجانس للفرتين
(١١٧-١١٥ م)

وبسطت رومية
جناح سلطتها
على النصف
الغربي من
المسالل
المخصب ولم
تتعرض لنصفه
الشرقي حيث
ازدهرت قديماً
مملكة بابل
واشور وحيث

كانت قد
نشأت مملكة
الفرتين ،

(٩١٥) مدر بانوس
(١١٧ - ١٣٨ م)
بم تخصص الحدود

وكان هدرانوس ، خليفة تراجانس ، قائداً محنكاً وادارياً حصيف الرأي في الشؤون السياسية . فلم يحاول ان ينتهج خطة تراجانس ويستأنف اعمال الفتح في الشرق بل بحكمة عدل عنها الا في شبه جزيرة سينا . حيث ارجع الحد الى القرات . واحتفظ بداسيا وعزز

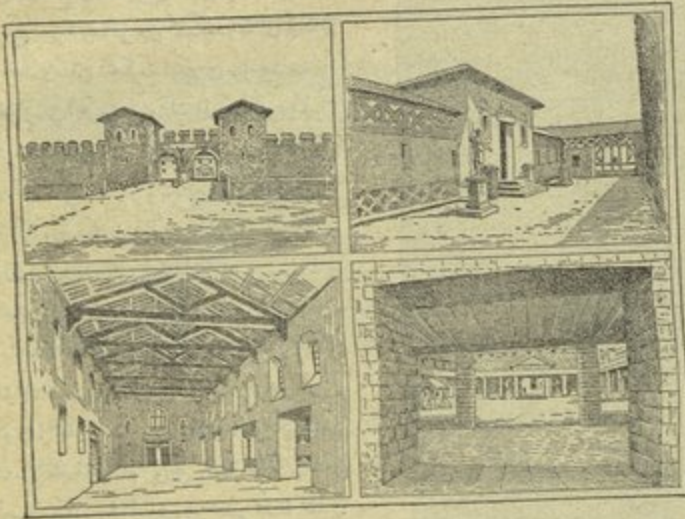


الشكل ٢٠٧ رقيم ايون جندي شاب ، في الجيش الروماني الى والده اباختر ، مصر

ان هذا الشاب المصري دخل الجيش الروماني مع رباط من اترابيه وابناه قريتو . وودع أسرته وسافر من الاسكندرية الى ايطاليا في احدى سفن الحكومة الكبرى . وبعد معاناة الاضال في ابروصل بسلم الي ميسانوم بالمينام الحربي ، بالقرب من نابولي . واسرع في التزول الي الهذليكي يتصور ويرسل الي والده كذبا مع الصورة وكان الرقيم مكتوباً على ورق البردي باللغة اليونانية بخط جميل . والذي كتبه كاتب عمومي بالاجرة . وهذا نص الرقيم : (ما بين الالهة تسمى المؤلف) . " من ايون الي اباخوس والده وسيدو اولاً ارجو ان تكون بصحة جيدة وان تكون احوالكم جميعكم انت والشقيقة وابنتي واخي حسنة دائماً . اشكر الرب سيراميس (الـ مصري عظيم) لانه انقذني من خطر البحر . وحين وصلت الي ميسانوم وصلي من الامبراطور ثلاث قطع نفود ذهبية (نحو ٧٥ فرنكا ذهبياً) لثقات سفر . وانا مبسوط جداً . فارجو منك يا سيدي الوالد ان تكتب الي سطرأ واول كرشي طمئني عن حالك وثانيا طمئني عن حال اخي وشقيفتي . وثالثاً اقبل يدك بالاحترام لانك ربيتي تربية

حسنة . وفي الرجاء باني ساترفي سريراً اذا شامت الالهة . سلم على كبتون (احد اصدقائي) واخي واخوتي وسرنلا واصحابي . ارسل اليك صورتني الصغيرة . احيي (الروماني الجند) انطونيوس مكسيوس ارجوان تكون احوالكم طيبة . وعلى الهامش اليسرجت يرى سطران عموديان قد ادجا في الكتاب كالعاده الجارية عندنا ارسل سلام ونحوات رفقاء ايون اولاد الضيعة الذين انظمو معي في الجيش) ثم طوي الرقيم وختم كما في الشكل ١٦٥ وارسل مع البريد الروماني العسكري ووصل سالمًا وقرأه والد الجندي واسرته الذين كانوا بذهاب الصبر ويتوقون وصوله اليهم في قرينهم الصغيرة على النيل قبل اكثر من الف وسبع مئة سنة (ف ٩١٦) وبعد ان توفي الاب بعد سنين فقد الرقيم بين قامة البيت ووجدته الاثريون المحدثون بين انقاض جدران المنزل المتهدم . وكان في الرقيم الاصلي بعض ثغوب ووجد مع هذا الرقيم رقم آخر مرسل من الشاب الي شقيفتي بعد ذلك بسنين بعد ان كان قد عين مركزاً على بعض الحدود الرومانية (ف ٩١٦) وصار له زوجة واولاد . فهذا كل ما حفظته انقاض تلك القرية على النيل من آثار هذا الشاب الذي انظم في سلك جيش الامبراطورية الرومانية العظيمة في القرن الثاني للمسيح

حصون التخيم الشمالي كله وخصوصاً الحاجز الممتد من الرين الى الدانيوب حيث بنى السور المتصل الاجزاء (ش ٢٠٦) وشيد سوراً مثله على طول الحد الشمالي قاطعاً بريطانيا . ولا يزال رسم هذين السورين ماثلاً حتى الآن . وبهذه التدابير الرشيدة مشفوعة بالانتصارات المجيدة التي قام بها تراجانس ، بقيت الحدود آمنة هادية ودام فيها الامن امداً طويلاً



الشكل ٢٠٨ مرأى حصن روماني على الثغور

يرى على اليسار في القسم الاعلى من الصورة باب القلعة والصورة الثلاثة هي الفكن (قابل ش ٢٠٥)

وكان
الجيش الروماني
الذي حمى
الحدود ودافع
عن الثغور
بقيادة تراجانس
وهديرانوس
اعظم جيش
راه العالم القديم
واحسن تدريباً
من كل
الجيش التي
وجدت قبلة
وفي زمانه .
كانت الجنود

(٩١٦) جيش في
ملك تراجانس
وهديرانوس

من جميع اجزاء . فيه مجموعة الامبراطورية من كل امة ولسان - مثل الجيش الانكليزي في الحرب العالمية الكبرى . فكانت كتيبة من الاسبان مثلاً على ضفاف الفرات وفرقة من الشبان المصريين حامية للسور الذي شُيد لصد غارات الجرمان . وكان الجنود يستطيعون مكاتبة اهلهم واصحابهم في اوطانهم ولو كانوا في اقصى اطراف الامبراطورية . لان نظام البريد فيها كان غاية في الدقة والاتقان والسكك متشعبة الى كل الجهات فتكون مثل شبكة عظيمة تمتد الى بلدان الامبراطورية الشاسعة الاطراف . ونستطيع الان ان نلمس بايدينا ونرى بعيوننا رؤياً حقيقية كتبها شاب مصري كان متجنداً في الجيش الروماني الى ابيه المقيم في احدى القرى على ضفاف النيل (٢٧٠) كان هذا الشاب مقيماً على الحد الشمالي من الامبراطورية . وحافظ الرومان كل المحافظة على تدريب الجيش المخصص

بمطاردة البرابرة الذين وراء الحصون ولم يتراخوا فيه قط . وكانوا علاوة على التدريب العسكري يستخدمون الجنود في بناء السكك والجسور والقنوات العالية وتشيد المباني العمومية وترميم الاسوار التي عند ثغور البلاد وتخومها

وفي غضون ذلك كانت هناك تغييرات داخلية خطيرة تجري في الحكومة . فان الامبراطرة انشأت نظاماً تسوا به الحكومة الى دوائر كان قد بدا ظلها في عصر كلوديوس والآن ظهرت حقيقتها (١٠٣) . فنشأ لديهم جماعة من الاداريين الخبيرين كان منهم رؤساء الدوائر المذكورة ومعاونوهم الذين قاموا باعباء الحكم في الامبراطورية . ويُعزى معظم الفضل في ابلاغ هذا التنظيم الدرجة التي بلغها من الاتساق الى هدريانوس . فبعد ان مر على رومية ثلاثة قرون او تزيد تدير احكام عالم البحر المتوسط ، تسنى لها اخيراً احراز نظام راق عرفه اهل الشرق وعملوا به منذ عهد بناء الاهرام (ف ٢٥-٨٦)

ومن اهم التغييرات الكثيرة التي جرت ، الغاء نظام الالتزام وجباية الضرائب ، ذلك النظام الذي جلب في الماضي متاعب جمّة على اليونان والرومان (ف ٨١) . وبعد الغائه اصبحت الضرائب تجبي من عالم البحر المتوسط العظيم على نمط جديد شاع في وادي النيل قبل ان عرفه الرومان بثلاثة آلاف سنة (٧٥ وش ٢٨) . وذلك بواسطة جباة قانونيين كانت الحكومة تعينهم من قبلها راساً

ولما اصبح ضبط شؤون هذه الدوائر منوطاً بالامبراطور ، اتسع نطاق سلطته كثيراً . وبعد ان كان «الأول بين رعايا الدولة» كاوغسطس يحكم البلاد بالاشتراك مع المشيخة ، امسى سلطاناً غير مقيد بالمشيخة الا قليلاً بل كاد يكون ملكاً مطلقاً . وحصل في اثناء ذلك تغيير في موقف ايطاليا فان حالة الفلاحين فيها ساءت الى درجة خيف عندها اضمحلال الرعايا الاحرار في الداخلية اضمحلالاً تاماً . وبما ان ايطاليا لم تكن بلاداً صناعية انحطت سكانها انحطاطاً كلياً . وما زاد في طينة شقائها بلة ، الحاطر الجديد الذي خطر للامبراطرة الآن وحل محل فكرة اوغسطس من جهة الامبراطورية . فان اوغسطس رغب في ان تكون الامبراطورية مؤلفة من حكومات مختلفة ترأسها ايطاليا واما هم فممنحوا الولايات ولا سيما في الغرب الرومية الرومانية كلها او بعضها وقادوا ارباب النفوذ من سكانها رتباً وبؤاً وهم مناصب عالية في رومية نفسها . فكانت عاقبة ذلك قيام امة جديدة تحددت بنواحي البحر المتوسط . رأينا ظلها في عصر اوغسطس واما الآن فقد تبدت حقيقتها . فهبطت ايطاليا الى مستوى الولايات ولم يعد لها ميزة عليها بشي .

(٩٢٠) جمهورية
فيسيانسين
للامبراطورية كلها

ولم يكن سكان الامبراطورية يؤدون الضرائب الى خزانه واحدة فقط بل اصبحوا كلهم تحت حكم شريعة واحدة . وكان رجال القانون في ملك الامبراطرة الذين منح بصددهم اعظم من نبع في العالم القديم . فدّدوا قوانين مدينة رومية ووسعوها لكي توافق حاجات سكان الامبراطورية مجذافيها . واسسوا مجلة احكام شاملة عدت اعظم ما ابتكرته المبقرية الرومانية . واذا اتعمنا النظر في ما اشتملت عليه من القوانين وجدناه عادلاً حقاً يوافق الطبع البشري . ولا يزال بعض تلك القوانين مرعياً ومعمولاً به حتى في ارقى البلدان المتمدنة . من ذلك ما اصرّ على تنفيذه الامبراطور انطونيوس بيوس الذي خلف هديانوس قال : « يجب ان يُحسب المتهم بريئاً حتى تقوم بينة تثبت الجرم عليه » . وقد كان لهذه القوانين فعل عظيم في توحيد شعوب عالم البحر المتوسط وتكوين امة واحدة تحت دولة عظيمة تعطف عليهم وتحميهم وتدافع عنهم وتساوي بينهم في معاملتها لهم

(٩٢١) حكومة
الولايات . استمرار
المل القديم في
العصبى الاشتراك
في الاحوال العمومية

وكانت الامبراطورية لا تزال مقسمة الى ولايات كان عددها يزيد على مرّ السنين ومعظم سكانها يوثرون الاقامة في المدن . وكانت كل مدينة تؤلف مع ضواحيها حكومة مستقلة كالحكومات التي فشا امرها في بلاد اليونان في اول عهدا . فكان لكل مدينة حق انتخاب حكامها وادارة احكامها المحلية . وكان الشعب يميل جداً الى الاشتراك في ذلك حتى كانت تشتد المناقشة بين المرشحين للوظائف العمومية الى درجة عظيمة . ولا يزال السياح يرون على جدران مدينة بومباي بعض كتابات هي صور طلبات المرشحين لاصوات المنتخبين . ولكن ، مع هذا الاستقلال النوعي ، كانت كل مدينة تحت حكم الامبراطورية الرومانية وتسلمت حاكم الولاية الروماني

(٩٢٢) شدة
اهتمام الامبراطورة
ضعف اهتمام
الشعب بالتقنون
العمومية

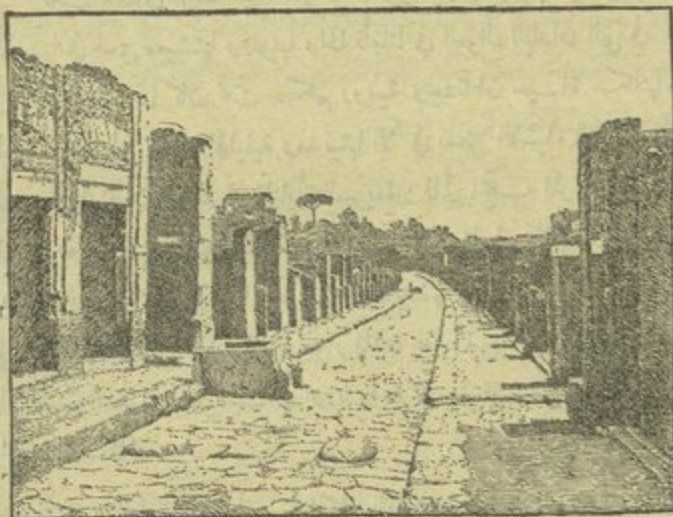
وكان يتولى ادارة الامبراطورية في هذه الحقبة ولادة من اهل الاقتدار والذمة النقية . واذا أتيج لنا ان ننظر الى الرسائل التي بعث بها احدهم الى الامبراطور تراجانس بشأن ولايته تجلت لنا امانته وجسامته العمل الذي كان الامبراطور نفسه يُعنى به

مدنية الامبراطورية الرومانية القديمة : الولايات

كان يطوق البحر المتوسط عالم كبير يحتوي من السكان عدداً يتراوح ما بين خمسة

وستين مليوناً ومئة مليون نفس . ولو كان النظر يمتد الى مدى بعيد بقدر ما يزيد ، لكننا نقف عند بوغاز جبل طارق ونسرح الطرف في الشعوب المقيمة بسواحل البحر المتوسط ، بافريقية واسية واوروبا فنرى عن اليمين في افريقية المغاربة والافريقيين الشماليين والمصريين ، وفي الشرق العرب واليهود والفينيقيين والسوريين والارمن والحثيين . وحين يرتد الطرف الى اوربا نرى اليونان والايطاليين والغاليين والاسبان والى الشمال منهم البريطان وبعض الجرمان ضمن الحدود . كانت هذه الشعوب تختلف بعضها عن بعض في الآداب والعادات واللباس ولكنها كلها كانت تحت الحماية الرومانية تتمتع بالسلام الروماني الوارف الظلال . وبما ان معظم السكان كانوا يقيمون بالمدن ، كانت حياة اهل العصر بوجه الاجمال حياة مدنية وان كان الكثير من تلك المدن ضيق النطاق

(٩٣٤) بومباي
مدينة وبلة من
مدن الامبراطورية
الرومانية القديمة



الشكل ٢٠٩ شارع من شوارع بومباي القديمة
كما يرى اليوم

التبلط والارازيق (الماشي عن جانبي الشارع) كاملة كما كانت حين غطتها الحمم من البركان (ف ١٢٤) ويرى عن اليسار عين ماء عمومية . وفي الصدر عمل تقاطع الشوارع (مصلية) اما البناية التي على الشارع فلم يبق مانلاً منها سوى نصف طبقة الآ من جانب اليسار حيث ترى مداخل دكاكين والمجدران على مستوى ارض الطبقة الثانية

في زمن تيطس (٧٩ م) لا يزال زائرها حتى الآن يرى شوارعها وبيوتها والندوة والمباني

ولحسن
الحظ قد ابقنا
لنا الايام
مدينة من
مدن الريف
حفظ لنا فيها
كثير مما كنا
نشاهده فيها
قبل التي سنة
لو كان امكنتنا
ان تزورها
في ذلك العهد
العريق في
القدم . فهذه
المدينة الصغيرة
التي طمرتها
المسود
البركانية

العمومية والحوانيت والاسواق واشياء أخرى جمّة على الهيئة التي كانت عليها قبل ان حلت عليها تلك الكارثة التي كانت سبب دمارها (ف ٢٠٩) . نرى فيها شوارع مستطيلة والخفر التي احدثتها دواليب المركبات في البلاط المرصوفة به تلك الشوارع . ونستطيع ان ندخل غرف الطعام ونرى التصاوير الانيقة التي لا تزال على الجدران حتى الان (ش ١٥٠) وندخل الافران فنرى الخبز لا يزال فيها الا انه ملذوع . ونالج المطاحن فتراها واقفة ومهجورة . وننظر الى المطابخ فنجد فيها اواني الطبخ مبعثرة (ش ١٩٤) ولكن الموقد لم يُصب بضرر بل هو صالح للايقاد فيه . والذي يجول في شوارع هذه المدينة الساكنة التي حفظت حفظاً عجيباً تتمثل امام عينيه حياة الشعب الروماني في اول عهد الامبراطورية الرومانية (ش ٢٠٩)

(٩٢٥) تحسين
طرق المواصلات.
سكك رومانية
وجسور

كانت بومباي قريبة جداً من المدن اليونانية في جنوب ايطاليا . ولذلك كانت هليانية ولا سيما في نسق معيشتها وفنونها واذا تأملنا في احوال البلدان التي في جنوب ايطاليا والتي الى الشرق منها مما كان تحت حكم رومية وجدنا ان حياة سكانها انما هي نسخة منقولة طبق الاصل عن الحياة الهلينية ومدنيتهما الا في بعض الاشياء التي كانت قد تقدمت كثيراً خصوصاً المواصلات وطرق المناوبة السريعة . فأتى اتجاه المروء في طول البلاد وعرضها كان يقع طرفه على السكك الجميلة المرصوفة بالبلاط المجاوب كانها شوارع مدينة (ش ٢٠٩) ويشاهد فوق الانهار جسوراً فخمة لا يزال بعضها قائماً حتى الآن . وكانت الحركة التجارية على تلك السكك المتقنة في جوار المدن عظيمة جداً . وكان معدّل سرعة المواصلات والتنقلات السفريّة كما كانت في اوربا واميركا منذ قرن من الزمان اي قبل دخول البخار واتقان السكك

(٩٢٦) الملاحة
والسفن

وكانت الطرق الرومانية اكثر اتقاناً من الطرق اليونانية بعد عصر الاسكندر والاسفار البحرية امينة جداً لحاوى البحر من قرصان العصر القديم (ف ١٥٥) . والنتيجة انتظام سير السفن فيه . فكان الروماني الذي له ابن يتعلم في اثينا ، يرسل اليه تحويلاً على البنك وبعد اسبوع كان يقبض القيمة لينفقها في سبيل لوازمه . وكان التاجر يرسل رسالة الى وكيله في الاسكندرية فتصل اليه في عشرة ايام . وكانت سفن الحكومة التي توسق حنطة وتُسَيَّر سيراً مطرداً بين المواني الرومانية والاسكندرية ، فخمة جداً . ومحمولها بضعة آلاف من الاوساق (الاطنان) وكان للمراعى الجيدة في كل الاماكن احواض ومناثر على شكل منارة الاسكندرية لهداية السفن والبحارة في كل ميناء . وكانت التجارة البحرية توقف في فصل الشتاء .

(٩٢٧) الفجارة
من الاغلاطيكي
الى الهند ومن
البلطيك الى بحر
الروم

وزهت التجارة في هذه الاحوال اكثر من قبل فالطرق المتقنة استفزت بهم التجارة الى ان يتجاوزوا التخوم ويتاجروا في اسواق جديدة . فكانت البضائع ترسل من ايطاليا الى سواحل اوربا الشمالية وبريطانيا التي كان يوثى منها بقادير عظيمة من التنك (الصفيح) الى مرسيليا بطريق نهرَي السين والرُون . واما في الطرق الاخرى فقد دفع اكتشاف الرياح الموسمية (المواسم) التجارة الى زيادة تجارتهم مع الهند حتى بلغ عدد السفن التي كانت تمخر في الاوقيانوس الهندي بين البحر الاحمر ومراني . الهند ذهاباً واياباً مئة وعشرين سفينة مطردة السير . وكانت السلع التي آسجن فيها ، تنقلها القوافل وسط الصحراء من البحر الاحمر الى النيل . ومن ثم تُوسق الى الغرب من حياض الاسكندرية التي كانت اعظم المدن التجارية على ساحل بحر الروم اي كانت لقبول الامبراطورية الرومانية . وصارت بتجارتها مضرب مثل فكان يُقال «يستطيع المرء ان يجد في الاسكندرية مها طلب الأثلج» . وكانت القوافل تصل الى بلاد الصين بالطرق الشمالية الممتدة في بلاد الشرق فتأتي بالحرير الى بحر الروم . فيرى ما تقدم ان التجارة كانت تغشى العالم القديم من تخوم الصين وسواحل الهند في الشرق الى بريطانيا ومواني الاغلاطيكي في الغرب

(٩٢٨) كلمة
الاصطلاح الاحصائي
ومدارس الولايات

وألف الناس الاسفار كثيراً اما للترهة او للاتجار واصبحت السياحة امراً مألوفاً عندهم فأتسع بذلك نطاق معرفتهم كثيراً . فكان الروماني الغني المتهذب يقطع البحر المتوسط مجولاً في ارجائه كما يفعل سائح هذه الايام . وحين كان يمر بمدن الولايات كان تقراءى له بيئات جليلة على ما كان يصبو اليه سكانها من مناهل ومراسح ودور للموسيقى وحمائم واندية للاماب الرياضية ومدارس شيدها مجبو الخير من اهل الثروة واهدوها الى عامة الشعب . فكان شبان تلك المدن وشاباتها يجدون مدارس تعلم فروع العلوم التي كانت تُلقى في المدارس الهلينية التي قرأنا عنها قبلاً . وكانت الحكومة تنقد المدرسين رواتبهم مها بلغت (ش ٢١٠) . وكان الشاب الروماني اذا صبت نفسه الى التجازة واتخذها حرفة له يستأجر شخصاً متقناً للكتابة المختلة لكي يعلمه اياها . واذا اراد التطلع من العلوم العالية والتعمق فيها قصد مدارس الاسكندرية او اثينا حيث كان يجد كبار الاساتذة او اماكن اخرى حيث كان يجد مدارس احدث عهداً من هذه في الشرق والغرب كليها وخصوصاً المدرسة الجديدة التي شيدها هدرينوس في رومية وسماها اثينيوم . وهكذا كان السائح المتهذب يجد رجال العلم والادب اتي توجه

وكان السائح الذي يطوف في بلاد اليونان ، وينظر بعين الفكر الى الورا ، الى عصر بريكليس او حروب اثينا الفارسية ، قبل نحو ست مئة سنة ، يجئ اليه ان بلاد اليونان

هي من عالم بعيد قديم قرأ عنه في مؤلفات توسدس وهيرودوتس التاريخية (ف ٥٤٤ و ٦١٢). وحين كان السائح الروماني يتسنى في اثينا ودلسني كان يرى كثيراً من قواعد

(١٦٦٦) السائح
الروماني في الشرق.
بلاد اليونان



الشكل ٢١٠ "خریفة" اولاد صلیبن علی
اجرة في ايام الامبراطورية الرومانية

كان اولاد المدرسة حين يرون بميل الاجراء الطوب مند الف وسبع مئة سنة ينهون بكتابة فروضهم المدرسية باليونانية على الاجر وهو طري قبل طنجو بالنار. ونرى في رأس الشكل المحرف اليوناني الكبير الذي يقابل (S) في الانكليزية مكتوباً عشر مرات ما يدل على ان الصني الصغير الذي كنه كان لا يزال يتعلم كتابة المحرف بصورها الكبيرة وتحث هذا المحرف يشاهد حرف آخر (K) مكتوباً عشر مرات أيضاً. و بعد هذه الاحرف كتب الكلمة اليونانية التي معناها بالعربية مائة او سحفاة واللفظة التي معناها مطحة ولفظة اخرى معناها سطل او دلو وكلها محروف كثيرة. ونرى ايضا ان صيماً اكبر من المذكور آنفاً، يستطيع ان يكتب غير المحروف الكبيرة، قد دفع الصني الصغير الى جانب و ابان بالبرهان تنوفاً عليه بان كتب عبارة متنافرة الالفاظ مثل قولنا "وليس قُرب قُرب حرب قُرب". ومعنى العبارة التي كتبها "ما صيان قطعوا الرياح جديدة لسفينة جديدة لكي تستطيع السفينة ان تعوم". و زاد صني ثالث على ما ذكر سطرين في الاسفل. فينتج من هذه الاجرة انتشار اللغة اليونانية والمعارف هجوماً بظل الدولة الرومانية

التأثيل خالية من تأثيلها فيخطر على باله بيوت اصداقائه في الوطن والتأثيل التي تردان بها قائمة في الحدائق الجميلة ويتسنى ان تلك التأثيل كانت قبلاً مرتكزة على هذه القواعد. ويرى المدن اليونانية التي انتجت هذه البدائع امست فقيرة ضعيفة تجارياً وسياسياً خلافاً لما كانت عليه قبلاً من المدينة السامية التي انعمت بها على الرومان

و حين كان السائح الروماني يؤم الشرق ماراً بمدائن اسية الصغرى وسوريا الزاهرة كان يخامر نفسه شعور عميق بانهُ يحق له ان يقتخر بما قامت به رومية من جلائل الاعمال. ففي النصف الغربي حيث كانت البلاد سابقاً قفراً تتناها القبائل الرحل وتتنقل في جنباتها كان يشاهد مدناً زاهرة وحمامات ومراسح فاخرة وقنوات عالية تجري فيها المياه وانديسة ومباني عمومية فضمة لا تزال خرائبها الآن مدعاة للدهشة والاعجاب. ولم تكن تلك المدائن متصلة بعضها ببعض فقط بطرق جميلة كالسكك التي سبق الالماع اليها بل كانت متصلة ايضاً برومية بسكك جميلة تتحرق قلب اسية وشبه جزيرة البلقان

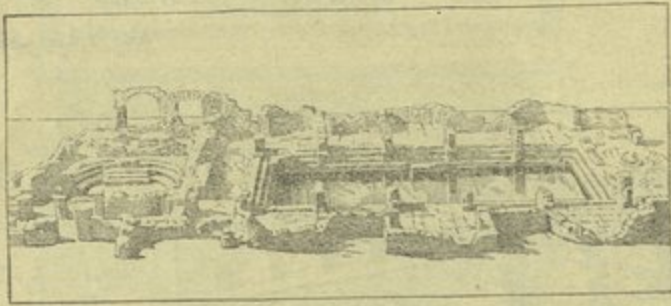
(١٦٣٠) السائح
الروماني في الشرق.
اسيا الصغرى
ومورها

وكان وراء الصحراء وخلف هذه المدن الزاهرة مملكة فرتيا بوثة الفتن

(٩٢١) السائح
الروماني في الشرق
فرضاً والمسرور
وبابل

والقلاقل . وكان يؤمها السياح الرومان كما يؤمونها غيرها من بلدان الشرق . والمتهذب منهم يكون قد طالع قبل مجيئه الى الشرق كيف ان اكنزينفون قبل خمس مئة سنة او تزيد والاسكندر الكبير بعده قد مرَّاً بخرائب نينوى على دجلة ، وقد عرف من عدَّة تواريخ يونانية ومن تقرير تراجانس (ش ٩١٤) ان مباني بابل الحربية لا تزال ماثلة على الفرات الى جهة البحر . وبما ان مساعي تراجانس لفتح تلك البلاد كلها قد خابت ، (ف ٩١٤) لم يكن السائح الروماني يحاول ان يجتاز الى ما وراء الحدود ليتوغل في اراض اجنبية

(٩٢٢) السائح
الروماني في
الشرق . مصر



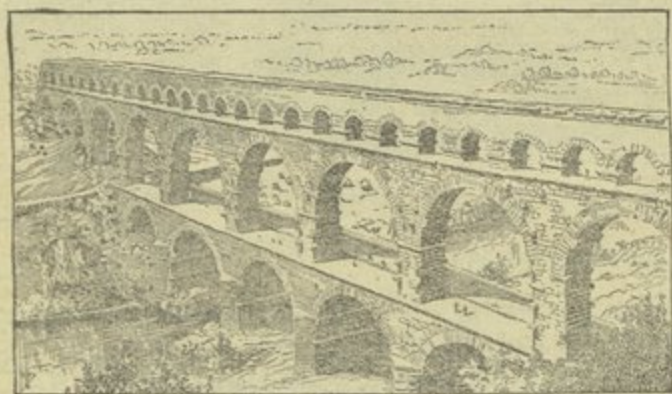
الشكل ٢١١

وكان
السائح يركب
سفينة رومانية
من السفن
الكبار التي
في انطاكية
ويتوجه فيها
الى الاسكندرية
حيث يجد عالماً
اقدم من العالم
الذي رآه في
سياحته يتوقع
قدومه اليه .
فيرى في المنارة

خرائب حمامات رومانية في ااث بانكلترا حيث انشأت الجمالية الرومانية في بريطانيا مهلاً من الطراز العصري . وقد كشفت في السنين المتأخرة الانثربة والقمامات التي تراكمت مع مرور القرون على المباني الرومانية حتى صار في الامكان تصورك كيفية وضعها وترتيبها . والصورة هذه تمثل لنا نموذج جزء من الخرائب . وبشاهد الى اليمين بركة كبيرة مربعة الشكل طولها ٢٥ مترًا في ١٠ ١/٢ عرضًا وان اليسار حمام مستدير الشكل وقد بني فوقها رذعة وجعل على جانبي البركة الكثير خلوات ائمة حيث كن الواحد يجلس الى اصحابه ويجادلهم

العظيمة (ف ٦٧٧) التي بنيت قبل اربع مئة سنة او يزيد ، مثال المنائر الرومانية التي كان قد رآها قبلاً . وكان يرى منارة الاسكندرية سامقة الى العلاء قبل وصوله اليها يبضع ساعات . وفي الاسكندرية كان يجد نفسه بين جماعة من سياح اليونان والرومان الاغنياء يتنون السياحة في ارض النيل فيرافقهم في رحلاتهم . وحينما يغادر الركاب الاسكندرية ومبانيها اليونانية الجميلة كانت تبسدى . سفرتهم النيلية الى اقدم عالم معروف لدى الانسان حيث يشاهدون مباني شيدت قبل ان اسست رومية بألاف السنين . وكثيرون منهم كانوا كسياح هذا العصر القادمين من بلاد الغرب الى مصر لكي يشاهدوا آثار الاقدمين وماثرهم الفاخرة . وكثيراً ما كانوا يسرون الهويناء في الشوارع يتباحثون في احدث

الانبياء من رومية او يترئثون عند جوانب بحيرات الهياكل يتلهون باطعام التامسيح المقدسة او بنقش اسمائهم على التائيل القائمة في سهل طيبة (ش ٤٩) حيث وقف هدرانوس قبلاً واصغى الى الصوت الالهي الذي كان يصدر من احدها كل صباح حين تقع عليه اشعة الشمس . ولا تزال كتاباتهم حتى يومنا هذا ظاهرة على تلك التائيل . وكان الروماني المفكر لا يكتفي بما يراه من دواعي السرور والبهجة - وهي موفورة لديه - بل كان يكتب في مفكرته ان هذه الارض المعدودة ارض العجائب والغرائب مكتظة كما كانت قديماً بالقطعان والاصورة . وفيها سهول الخنطة الحصية التي جعلتها اهراء لرومية ومصدراً لثروة الامبراطور اخصوصية لا ينفد



الشكل ٢١٢ جسر روماني وقناطر لقناة ماء فوقها في نيمس بفرنسا

شهد هذا البناء الرومانيون نحو السنة ٢٠ م لتقديم الماء اللازم لجارية نيمس في جنوب فرنسا من نبعين فاخرين ببعدان عنها ٢٥ ميلاً . طول هذا البناء ٩٠٠ قدم انكليزية وارتفاعه ١٦٠ قدماً وجرت المياه في قناتو من فوق وادي نهر الغار . وكانت قناة الماء على اعلاه يستطيع اي كان ان يسير فيها . واما القناة التي كانت عن جانبي الجسر على مسافة بعض اميال وتصل بالقناة الكبرى فاوشكت ان تضعل وكان في

اثناء سفره يتكلم بها ولكنه حين كان يسير ظهره الى الشرق ويتوجه الى الغرب كان يجد ان اللغة اللاتينية لسان رومية هي ذريعة التخاطب بين الفئة المتمددة من الخلق هناك . وكان هذا الغرب باقاليمة المترامية الاطراف احدث عهداً من ذلك الشرق . والعمران فيه حديث النشأة كعمران اميركا اليوم . وكانت اوربا الغربية في هذا العصر قد

وكان

الرومان

يحبسون الجزء

الشرقي من

بحر الروم ،

عالمهم القديم

الحاضر لمدينة

قديمة يونانية

وشرقية .

فكان السائح

فيه انى توجه

يبقى امامه

اللغة اليونانية

حتى جزيرة

صقلية غرباً

وكان في

(٩٢٣) المدينة
القديمة في الشرق
والمدينة الرومانية
الاحد عهداً في
الغرب

شرعت لأول مرة تشيد مدناً ولكن بارشاد مهندسين رومانيين . وكانت هندسة المباني هنا كهندسة مباني رومية . ونستطيع الآن ان نزر بقايا تلك المباني وننعم النظر فيها فنجد

جسوراً كبيرة ومراسح

فسيحة وقصوراً فاخرة

وحمامات انيقة وأثراً

تذكارية جليلة - وهي

تؤلف خطأ طويلاً من

الحرائب يمتد من بريطانيا

مارةً بجنوب فرنسا

وجرمانيا الى شمال البلقان

(ش ٢١١-٢١٣) وشمال

افريقيا بين الصحراء

والبحر، غربي قرطاجنة .

ولا تزال هناك خرب مدن

برمتها كانت ذات مباني

انيقة تدل باجلى بيان

كيف حوّلت المدينة

الرومانية تلك الاقاليم من

حالة ارتق قليلاً من المهجبة

قبل الفتح الزوماني لها

الى هذه الدرجة من

ال عمران

وكما كانت معاشر

الرعيا الرومانية في القديم

تحقق بالبحر المتوسط ،



الشكل ٢١٢ ترميم قوس نصر روماني
في اورانج بفرنسا

وبعد ان عقد الرومان النية على اتخاذ هذا الشكل لمبانيهم التذكارية (ش ٢٠٢)

شيدوا كثيراً من امثال هذه القوس احياء لذكر انتصاراتهم الهبة . وبالطبع شيد

عدد منها في رومية (ش B ٢٠٠ و A) . وقد بقي بضعة مما شيد منها في اميات

مدن الامبراطورية حتى الآن . وهذه القوس المصوّرة هنا شيدت في مستعمرة

أروسيو (تدهى الآن اورانج) على نهر الرون تذكراً لاتصارم على الغالين سنة

٢١٠ م . وقد شيد في المدن العصرية ، كباريس وبرلين ولندن ونيو يورك ، اقواس

شبيهة بهذه

(١٩٢٤) بلوغ
عالم البحر المتوسط
مخبراً درجة عالية
من المدنية

كذلك آثارهم الباقية ومبانيهم التي كانوا يقيمون بها لا تزال حتى الآن تحدد بهذا البحر

الكبير من بريطانيا الى اورشليم شرقاً ومن اورشليم الى امراش غرباً توضح لنا حقيقة ناصعة

وهي ان المدنية السامية التي بلغها عالم البحر المتوسط في الغرب والشرق هي نتيجة ارتقاء البشرية

في جميع العصور التي درسنا عنها قبلاً . والصورة التي ارتسمت في عقل السائح الروماني للعالم الكبير الذي حكمه أبناء بلاده هي هذه : في الوسط ، البحر المتوسط العظيم تحيط به منطلقه عظيمة من البلدان المشدنة تُطيف بها صفوف الكتائب من جميع الجهات لحمايتها . وكانت تلك الكتائب تمتد من بريطانيا الى اورشليم ومن اورشليم الى مراكش كسد عظيم يمنع اوقيانوس القبائل الهمجية الهائج من الطموح . ولولاها لطمأ وغطى نتائج ما بلقته العصور من الرقي والمدنية . وبعد هذا البيان لا بد لنا من نظرة الى مركز تلك القوة العظيمة التي تولت ادارة الاحكام في عالم البحر المتوسط . الى رومية نفسها ، للوقوف على سير المدنية فيها منذ العصر الارغسطي اي مدة ثلاثة ارباع قرني السلم

٩٣

مدنية الامبراطورية الرومانية في عهدها الاول

كانت رومية في آخر ملك هدرينوس افخم وافخر مدينة بمبانيها الاثرية في ذلك العصر . ففاقت الاسكندرية في مساحتها وعدد سكانها وبيها مبانيها العمومية . وكان اعظم تلك المباني قائماً بجوار الندوة القديمة - مباني لم يكن لها نظير في سائر انحاء الامبراطورية . هناك شيد قسباسيانوس مرسحاً مدرجاً للمجالدات يُعرف الآن باسم الكلوسيوم (ش ٢١٤) وبني الامبراطرة على جانب الندوة القديمة ثلاث ندوات جديدة ابهى وافخم من كل ما شوهد قبلها في عالم البحر المتوسط

(١٢٥) مباني رومية
العصر
الكلوسيوم وندوة
الامبراطرة الجديدة

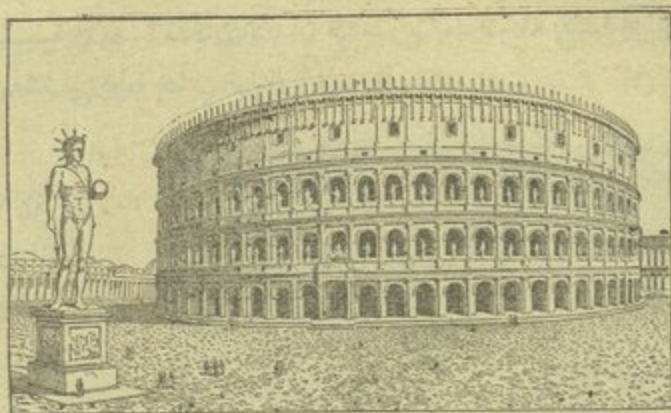
وبلغ فن البناء الروماني اسمى درجات الفخامة والاناقة في المباني التي شادها تراجانس وهدريانوس . وكان مهندسو البناء قد شرعوا في العصر الهليني يكثرون من استعمال «الباطون» في البناء مع ان الشخص الذي اكتشف خاصية التصلب فيه والمكان الذي عُرف فيه اولاً لا يزالان غير معلومين . فسقف البانتيون المعزوم الى هدرينوس صفيحة واحدة من الاول الى الآخر يربي قياسها من جانب الى جانب على مئة واربعين قدماً . فزى ان الرومان كانوا منذ اكثر من الف وثمانين سنة يستعملون الباطون على غلط لم نستطع ان نقلدهم فيه الا منذ زمن قصير . ومع مرور هذه الحقبة الطويلة لا يزال سقف البانتيون متيناً سليماً كما كان حين تزعم المهندسون الدعائم التي كان قائماً عليها القباب الخشبي لتلك

(١٢٦) الباطون
الروماني . البانتيون
وهو هدرينوس

الصفحة الهائلة التي تكوّن منها السقف

كان النقش البارز الذي تبدو فيه الآثار الفخمة اهم مظاهر الفن الروماني .
فالنقوش البارزة التي تعشي عمود تراجانس هي عبارة عن كتاب مصور انيق لحملاته

الطرس (١٢٣٧)
الروماني



الشكل ٢١٤ المرصع المدرج النسخ في رومية
المسي الآن بالكولوسيوم

هذه البناية الفخمة المعدودة من اعظم بنايات الدنيا كانت ميداناً يضي الشكل محاطاً
بصنوف من المقاعد يعلو الصف الواحد منها على الذي قبله ويسع خمسين الف نفس . نرى
هنا الجدار الخارجي فقط بعد الترميم . شيد هذه البناية الامبراطوران فسباسيانس وتيطس
وتم بنائها سنة ٨٠م (ف٩٢٥) وقد كانت المراسم المدرجة اولاً عبارة عن مقاعد متنازلة في
الارتفاع وقتية الوضع يعلو بعضها كدرجات السلم لكي يتمكن المشاهدون من رؤية المهادين
حين الصراع . ويرى اله يسار الشكل مجال نهرين الهائل المصنوع من البرنز والبالغ علوه
مئة قدم . كان اولاً منصوباً في جوار هذا المكان قرب مدخل " المتزل الذهبي " الشهير شرقي
الندوة . وكان في كل مدينة رومانية مها كانت مساحتها ميدان مثل هذا . ففي بولا بدماطيا
البالغ عدد سكانها اربعون الفاً لا يزال الميدان مائلاً حتى اليوم يسع نحو عشرين الفاً من
المفرجين . ولا يزال ميدان آخر في فيرونا بايطاليا . وفي هذه الميادين كان الامبراطور
يطرحون الوثاق من الاسرى البرابرة للوحوش الضاربة

الحربية ظهرت
فيه قوة
الابداع اكثر
ما ظهرت في
الفن الروماني
في الاماكن
الاخرى في كل
زمان الا ان
الرومان لم
يبتدعوا شيئاً
في نحتهم
للتماثيل . فان

معظم تماثيلهم
كان منتولاً
عن البدائع
والروائع التي
ابتكرها نحاتو
بلاد اليونان .
وقد تلاشى
كثير من

منحوتات اليونان منذ آمار طويلة ولولا صورها التي نقلها نحاتو الرومان في ذلك العصر طبق
الاصل واكتشفها الاثريون المحدثون في ايطاليا (ش ١٧١) لما كان لنا ستيل الى معرفة
شكلها الاصيل . وقد اتبع نحاتو التماثيل البشرية الاميسال التي ورثوها عن العصر الهليني
وكانت التماثيل التي نحتوها لمشاهير رجال الرومان تعد من انفس ما نحت من نوعها

٩٣٨٧
الصور
الروماني

لم يكذب بقى من المشتغلين بفن التزيين الأ مزخرفو الجدران الذين لم يكونوا إلا
مقلدين ينقلون الرسوم عن عظماء ارباب الفن من اليونان في العصر الهليني ويخرفون بها
جدران المنازل الرومانية مكررين الرسوم عينها مرة بعد مرة (ش ١٥٠) وازدهرت صناعة
تصوير الاشخاص فكان المصورون في زوايا الشوارع لا يقلون عدداً عن مصوري الصور
الشمسية في عصرنا فكان الانسان اذا ما رام اخذ صورته يقف امام المصور فيصوره بسرعة
مدهشة على قطعة خشب ثم يناوله الصورة



الصكل ٢١٥ المنظر الداخلي لبة البانتيون الذي
بناه اغريبا وهدر يانوس في رومية

وزاد

الآن في رومية

عدد المتأدين

عما كان قبلاً

زيادة تذكر

وكانت

المكاتب التي

انشأتها

الحكومة

مباحة للجميع

واجبرى

الامبراطرة

على ادباء اللغة

رزقاً عدداً لا

ينقطع الا

انه مع وجود

هذه البيئة

ان اول بناءة في هذا المكان شيدها اغريبا الوزير الكبير لى هدر يانوس . قطر النخبة
المستديرة في سفنها ١/٢ متر وارتفاعها عن البلاط ٤٢ متراً وقطر القبة المائلة ٤٢ متراً ايضاً .
هذه هي البناءة الوحيدة القديمة برومية التي لا تزال قائمة ولم يعر جدرانها ولا سقفها شي من
الحلل . وهي شامدة محسوس على مهارة الرومان في استعمال "الباطون" (ف ٩٣٦) وقتها من
الداخل من اجل القبة وارقمها في النفس (انظر كتيبة اجيا صوفيا ش ٢٢)

الموافقة لم يبنغ عبقرى واحد استطاع ان يجري شوطاً بعيداً في مضمار الابتكار
والخيال . فكما كان النحاتون والمصورون من صف التقلد كذلك كان المتأدين .
فان المجلين فيهم آثروا ان ينقلوا عن المؤلفات القديمة . فوقفت الآداب ولم تُعد تحطو
خطوة الى الامام . ولكن لما اطلقت حرية القول في عهد الامبراطرة ذوي المبادئ
الحرية بعد موت دو ميانيان ، قام تسيثس وكتب تاريخاً حراً صادقاً للامبراطورية من موت

٩٣٩٦
تفسير
اجاب اللغة

اوغسطس الى موت دوتميانس (من ١٤ الى ٩٦ م) ومع انه اطلق لنفسه في ما كتب عنان هواها حتى سود صحيفة الامبراطرة اليوليوسيين ، جاء كتابه - بالنظر الى مقدرته الكتابية - اعظم تاريخ خطه قلم روماني . والرسائل التي تُبودلت في هذا الزمان بين بليتيوس الاصغر والامبراطور تراجانس (ف ٩٢٢) تعدُّ من انفس ما كُتبت في آداب العالم القديم وتذكرنا برسائل حمورابي البابلي قبل ذلك بالفين ومثتي سنة (ف ١٨٤ - ١٨٨) . ويجب ان نضمَّ الى كتبه كهولا . كتبة يونانيين عاصروهم - وان لم يعيشوا في رومية - ووضعوا مؤلفات خالدة باللغة اليونانية . فكاتب باوطرخس سلسلة كتب في سير اعظم رجال رومية وبلاد اليونان جاعلاً اياهم ازواجاً كل زوج مؤلف من يوناني وروماني لتسهل مقابلة الواحد بالآخر . فتأف من تلك السير معرض ابطال خالد الاثريتي موضوع اعجاب البشر الفأ وثاني مئة سنة مع ان كثيراً من تلك السير من باب الحكايات الخيالية . وقام في ذلك العصر نفسه يوناني آخر يدعى اريانس كان والياً في اسية الصغرى من قبل الرومان وجمع ما تحأف من انباء الاسكندر الكبير . ونسخ كاتب آخر يسمى يوسانياس وأف دليلاً ضخماً لبلاد اليونان الم فيه بذكر المباني والآثار التي كانت لا تزال في ذلك الزمان ماثلة في امهات المدن اليونانية ، كاثينا وداني واولبيا . فهذا مؤلف خالد صور فيه الكاتب بالكلام بلاد اليونان القديمة بما فيها من هياكل باذخة وقماثيل فاخرة ومراسح رجة ومبانٍ عمومية فخمة

وظلَّ الرومان في الامور العلمية جُماعاً للمعارف التي كان قد بلغ اليها اليونان . فبليتيوس الاكبر ، تفرغ مدة خدمته الطويلة في الحكومة ، للدرس العلمي بهمة فائقة الوصف فتمكّن من الحصول على مجموعة كبيرة من الحقائق التي كان العلم قد اماط عن حياها نقاب الخفاء وُجمعت في كتب معظمها يونانية ، فمضما معاً نجأت مؤلفاً كبيراً سماه « التاريخ الطبيعي » وهو بالحقيقة عبارة عن دائرة معارف . وفرط شففه العلمي قضى مأسوفاً عليه وقت ثوران بركان يزوف وهو يدنو من قوهته ليدرس هذه الحادثة الرائعة عن كُتب وينقذ الفارين من اهل بومباي (ف ٩٢٤) (وكان في ذلك الوقت قائداً للاسطول) . ولكن مؤلف بليتيوس المعروف باسم « التاريخ الطبيعي » لم يتضنَّ حقائق جديدة خطيرة اكتشفها المؤلف نفسه . ليس ذلك فقط بل قد وقع فيه اغلاط كثيرة شوّهته لان مؤلفه اساء فهم كثير من الحقائق التي درنبا فيه ومع ذلك فقد بقي هذا المؤلف مثبات من السنين ، حتى زمان النهضة العلمية في الازمنة الحديثة ، المرجع المعول عليه عند الفنة المثتذبة من الاوربيين كما كان لديهم ما النه ارسطوطاليس . فبلدت العقول وفترت الهمم واكتفي من العلم بما كان قد بلغ اليه المكتشفون الاولون . ففي حال كهذه يستحيل على العلماء ان يتوصواوا الى معرفة حجم الارض

(٩٤٠) الفحص
العلمي في رومية .
التاريخ الطبيعي
بالهوس

كما فعل اراتستينس (ف ٦٨٩) ، او الى اكتشاف الاشعة المجهولة والتلغراف اللاسلكي الذي توفيق الى اختراعه علماء هذا العصر

وكان آخر مشاهير رجال العلم في العالم القديم عالماً فلكياً جغرافياً نبغ في الاسكندرية في ملك هديانوس والانطونين . وكان في جملة ما ألفه كتيب في علم الفلك جمع معظمه من مؤلفات فلكيين نبغوا قبله . وقد جاء في هذا الكتاب ان الارض مركز والشمس تدور حولها . ولكن لسوء الحظ ، اصبح هذا الكتاب مرجعاً في علم الفلك ففشا هذا الاعتقاد الفاسد من جهة النظام الشمسي ، وهو المعروف بالنظام البطليموسي ، وقبله اهل الارض طراً وظلوا متشبثين به الى ان تجلّت لهم ، على يد الفلكي البولندي كوبرنيكس الحقيقة الراهنة التي اكتشفها قديماً الفلكي اليوناني ارسترخس الساموسي (ف ٦٨٨)

(٦٤١) انبهاه
ومن البحث العلمي
في الاسكندرية .
بطليموس

لقد اصبحت في هذا العهد منزلة اليونان المتأدين غير ما كانت عليه ايام كانوا إماماً عبيداً او معلمين يقيمون مع أسر خصوصية للعناية بتعليم الصغار . فانهم صاروا في هذا الزمان يشغلون مناصب خطيرة في الحكومة وفي دوائر التعليم بالمدارس العالية والكلية والجامعة وكثيرون منهم كانوا برتبة استاذ يقبضون رواتبهم من خزينة الحكومة . فلم تعد المدينة رومانية او ايطالية بل امتست مشتركة بين سكان عالم البحر المتوسط اجمعين . فأما من الاقطار المختلفة كثير من العيال الكريمة واقامت بها فكان لها في الهيئة الاجتماعية تأثير حسن جداً فتقدمت بعد ان كانت تسير متقهرة . وكان هذا الخليط من الناس يزدهم في المصارف ومحازن التجار بالندوة الجديدة ازدحاماً شديداً للمباحشة في الشؤون التجارية وغيرها ويختلف الى دوائر الحكومة لمطامعة الجريدة اليومية التي كانت الحكومة تصدرها مخطوطة باليد والمفاوضة والمحاورة في منشوراتها . وكان البعض يقصدون الى المكاتب العمومية واندية المحاضرات والخطابة في الجامعة الرومانية ويتألبون في غرف الاستراحة بالحمامات العمومية وفي المراسح الكبيرة المدرجة . ومن هولاء تألف معظم الهيئة الاجتماعية الزاهرة . وكانت الشوارع تارة ترى ملأى منهم وطوراً خالية فكأنها البحر في مدّ وجزر على التعاقب . واما الاغنياء والحكام فكانوا يجتمعون في المآدب الفاخرة والسهرات الانيسة في المدينة ولا سيما في ليالي الشتاء الباردة او يقتلون وقتهم في التمشي بين الحدائق المكتظة بتمائيل المشاهير وفي الدساكر الانيقة المشرفة على خليج نابولي حيث كان اغنياء الرومان يقضون ايام عطلة الصيف

(٦٤٢) رومية
مخرج من شعوب
مختلفة

وكان تجتمع اهل العالم في رومية ظاهراً في عيشة الترف التي تمتع بها الاغنياء . فكانت السيدات الرومانيات يتحلّين بالاماس واللالى . واليواقيت المجلوبة من الهند ويلبسن الحلل

(٦٤٣) دخول
الفتح الشرقي

الفاخرة من حرير الصين . وكانت موائد الاغنياء الرومانيين تزدان بالدرّاق الذي كانوا يسمونه «بالتفاح الفارسي» والمشمش . وكلاهما من الفواكه التي ظهرت اول مرة في العالم



خريطة ٢٦ العالم كما عرفت الفلكي الجغرافي بطليموس

الروماني . وقد تعلم الآن طهارة الرومان ان يطبخوا الرز طاماماً للاصحاء . وكان قبلاً لا يتناولوه الا الاعلاء . وقد نظم هوراس شعراً فكاهياً صور به ضيق نفس احد الاغنياء البخلاء وكربه حين عرف ثمن الرز الذي اشار عليه طبيبه بان يتناوله . وصارت الأسر الرومانية — بدلاً من ان تحلي الوان اطعمتها بالعلس كما كانت تفعل قديماً — تستعمل لذلك مادة جديدة وجدت في السوق تدعى «سكاري» جاء بها بجزراً احد النوقية الشرقيين

٩٣

شروع الاديان الشرقية وانتشار الديانة المسيحية الاولى

وكان الشرق — وهو يرسل الى بلدان البحر المتوسط ما تقدم ذكره من الكماليات — مثابراً على ارسال اشياء اخرى اهم منها جداً بالنظر الى تأثيرها في العالم الروماني . ولكن

لم يكن تتبع آثارها من الامور السهلة كتتبع آثار تلك الكماليات وما كانت تلك الاشياء الاخرى التي كان الشرق يرسلها الى الغرب سوى دياناته . كانت الحياة العقلية في الامبراطورية الرومانية في تأخر مستمر بدليل ما مر معنا من تقهقر الآداب والعلوم فيها . وكان مفكرو الرومان يطالعون فلسفة الرواقيين والاييكوريين اليونانية في المقالات البليغة التي كتبها شيشرون . وكانوا قبل ولوعهم بها واقبالهم على مطالعتها قد اقلعوا عن عبادة الالهة الرومانية واتخذوا لهم من التعاليم الفلسفية ديانة يطبقون سلوكهم اليومي عليها . الا ان تعاليم كهذه لم تكن الا لرجال الطبقة الماكلة النائلة من التهذيب العالي قسطاً وافرأ

(١٤٤٤) نقيس
الهياكل العظيمة
والديانة الرومانية

على ان رجالاً كهؤلاء . كانوا احياناً يسايرون الجمهور ويستسلمون الى الاستهواء بالديانات الغامضة الخفية الآتية من الشرق . حتى في زمن اوغسطس ، كتب الشاعر الروماني طيبلس الى خطيبته ديلية - وقد كان متغيباً عن رومية في احدى الحملات الحربية ومُني بضعف اقدمه عن مواصلة القتال - قال « ماذا تصنع لي الان الاهتك ايسيس يا ديلية ؟ وماذا تنفعني آلتها الموسيقية النحاسية التي تمزفين عليها بتحريك يديك . الان ساعديني ايتها الالهة ايسيس المصرية . وقد كان طيبلس وخطيبته من ارقى طبقات الامة علماً وتهذيباً ولكنها اتخذت ايسيس المصرية ملاذاً لها . وكان في جوار دسكرة هدريانوس الانيقة حديقة مصرية متصلة بها ومكرسة بنسوع خاص لايسيس وأوسيريس . وكانت تلك الحديقة مشحونة بالآثار التي شيدت اكراماً لها . وقد كتب بلوطرخس مقالاً عن ايسيس وأوسيريس قدمه الى كاهنة ايسيس في دلي . ومنذ اول عهد الامبراطورية وجد جماهير غفيرة كانت قد اعتنقت هذه الديانة المصرية فشيدت في المدن الكبرى هياكل لايسيس (ش ٢١٦) وفي عصرنا الحاضر يجد الناس كثيراً من صفار التماثيل ورموزاً اخرى لهذه الالهة المصرية ، على ضفاف السين والرّين والدانوب

(١٤٥٧) الديانة
المصرية في اوروبا

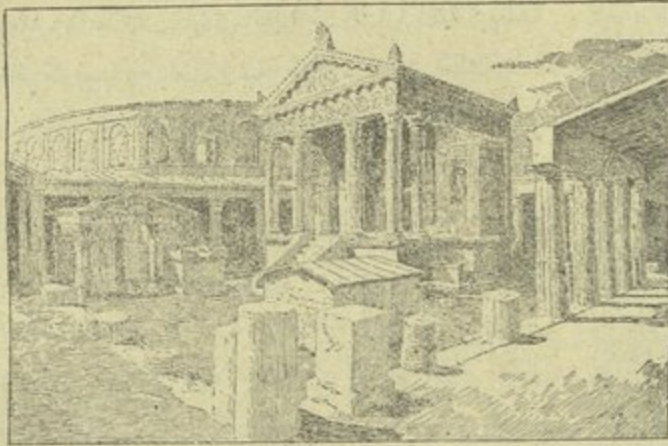
وكان الامم العظيمة ، اِلَهِة اسية الصغرى ، وقرينها آتس ، جمهور كبير من الرومانيين المتعبدين . وكان مئراس الفارسي ، اله النور ، محبوباً جداً من رجال الجيش فشيدت له الكتابب معابد تحت الارض كانت تقام له فيها الحفلات تذكراً لانتصاره . وكان لكل من تلك الديانات الشرقية « اسرار » محتصة بها . معظمها يتعلق بحياة الاله ولا سيما خضوعه لسلطان الموت وانتصاره عليه . وعوده الى الحياة الخالدة (ف ١٢٢) وشاع الاعتقاد ان من يشهد هذه الاشياء . ويماني القيام باعمال تكريسية معلومة ينجو من الشر ويوهل لمشاركة الاله في حياته الخالدة والسكنى معه الى الابد

(١٤٦٧) الالهة
الأمم العظيمة بآسية
الصغرى . مئراس
الفارسي . رواج
الاسرار والغوامض
الشرقية

(١٩٤٢) تهنير
الديانة الرومانية
والآلهة القديمة

لم تتعرض الديانة الرومانية القديمة للسلوك او السيرة الشخصية ولم تغل العباد بآمال السعادة المستقبلية . وكان الناس الآن في جميع انحاء العالم الروماني الفسيح يتوقون الى ما يضمن لهم الحياة بعد الموت . وكانوا في وسط متاعب هذه الحياة وتحت تجارها يطلبون حافظاً لها يؤيدهم ويعينهم فلا بدع اذا كانت مواعيد هذه الديانات الشرقية المملوءة تعزية ورجاء بعبطة الحياة المستقبلية تجذب اليها الجماهير الغفيرة من الخلق

(١٩٤٨) اليهودية



الشكل ٢١٦ هيكل ابليس في بومباي

حتى مدينة بومباي الصغيرة كان فيها هيكل لابليس (ف ١٩٤٥) كما كان أيضاً في مدينة بريان الصغيرة المليئة (ش ١٦٦) وهذا هو رسمه بعد ترميمه نقلاً عن "مابو"

وكان عدد اليهود بعد تحريب الرومان لهيكل اورشليم ، يزداد في المدن الكبرى . قال استرابون الجغرافي «يظهر ان اليهود قد وجدوا سبيلاً الى كل مدينة حتى انه ليصعب وجود مكان

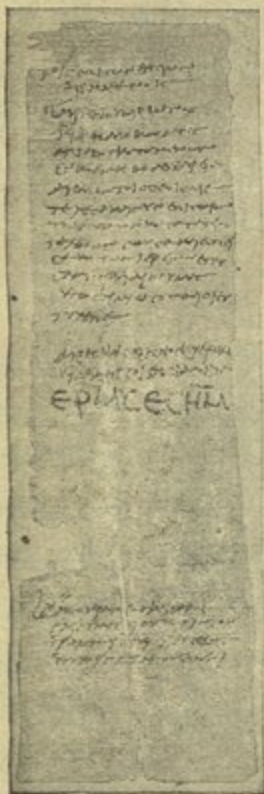
في المسكونة لم يتطرق اليه ويتسلطوا عليه . وأئف الرومان بجاءع اليهود ولكن اليهود لم يعترفوا بالدماء سوى المههم هم . وباعتراهم عن الناس جلبوا على انفسهم ازدياد الحكومة وإعتانتها لهم . (ش ٢١٧)

(١٩٤٩) ظهور
الديانة المسيحية

وكان ميل عامة الشعب يتزايد أكثر فأكثر نحو ديانة واحدة من بين تلك الديانات الشرقية فأثروها على سواها . وكان معلوم هذه الديانة يقولون للناس ان معلمهم يسوع العبراني وُلد في فلسطين بين أمته العبرانية في أيام اوغسطس قيصر . وكان جوهر تعليمه ابوة الله وأخوة البشر وقد كرز بضع سنين بهذا التعليم الجليل الذي فاق ما علم به انبياء اليهود الذين ظهروا قبله (ف ٣١٢) ، وكانت كرازة للشعب بلغته الارامية (ف ٢١٣) فابغضوه واماتوه في زمن ملك طيباريوس

(١٩٥٠) بولس
وقاليس الكنائس
الاولى العهد
الجديد

وظهر يهودي خيَّام من طرسوس اشتهر بالفصاحة
وشدة العارضة ومحبته المتوقفة على الدوام لسيدِه . وشرع
يجول في مدن اسية الصغرى وبلاد اليونان حتى وفي رومية
ايضاً منادياً بتعليم ذلك السيد وكان حينئذٍ مرَّياً ينادي وراءه
جماعة قادها الى الايمان بتعليم ذلك السيد . وكانت هذه
الجماعات المؤمنة تؤلف صفّاً طويلاً يمتدُّ من اورشليم الى
رومية . وقد كتب اليها رسائل (ش ٢٠٧) باللغة اليونانية
انتشرت بينها وطُوعت برغبة شديدة . وفي اثناء كتابة
الرسائل ، كان قد كتب تاريخ حياة يسوع باللغة الارامية
(ش ٩٨) التي كان يكرز بها الا ان هذا التاريخ قد فقد
تماماً . واخيراً ظهر في اليونانية اربع سيرٍ لحياته دونها
اربعة من الكتبة معتمدين في ما كتبوه على التاريخ
الارامي المذكور آنفاً . وشاعت هذه السير الاربع واقبل
الناس على مطالعتها اقبالاً عظيماً . وكان لها المتزلة الاولى
لديهم وتعليقها القول الفصل . وسُمِّيت بالبشائر الاربع
وضُمت بعد ذلك الى رسائل بولس وغيرها في مجلِّد واحد
باللغة اليونانية سمي العهد الجديد



الشكل ٢١٧ شهادة بان رجال رومانيا
قدم ذبيحة للامبراطور كالة

ومع ما كانت عليه ديانات الشرق الاخرى من

(١٩٥١) قنوق
الديانة المسيحية على
سائر ديانات
الشرق

كثف المنتهون عن الآثار في خرائب قري مصرية ما
يزيد عن عشرين شهادة من هذا النوع كل واحدة منها مكتوبة على
قذم من ورق البردي وقد جاء في هذا النموذج من الشهادات
ان وطنياً اسمه اوريليوس هورهيون مقيم في قرية نوادليا بمصر
حضر امام لجنة مندوب في الحكومة واعترف بانّه كان دائماً محافظاً
بكل امانة على عبادة الآلهة ليس ذلك فقط بل انه ايضاً قدم
امام المندوبين والشهود ذبيحة وسكب سكاكب . واستنفذ
قسماً من هذه القدمات . وبشاهد في الوسط امضاء رئيس
المندوبين وفي الاسفل تاريخ في اربعة اسطر يقابل ٢٥٠ م وكل
روماني في هذا الوقت مها كان معتقده الديني كان مجبراً ان يحمل
شهادة كهذه ويبرزها حين الطلب . اما المسيحي الذي كان يجيئ
الى واسطة كهذه لكي ينجو من اضطهاد الحكومة ، فكان يجتفر
من جماعة المؤمنين الذين كانوا يفتنون من سهل كهذا

المكانة ومع ما كان لها من
الجاذب لم تستطع ان تولي
اتباعها مراًسة او شركة مع حياة
سامية جداً وجميلة ومملوءة رافة
وشعوراً مع الغير كحياة المعلم
العبراني الجديد الذي كان لدعوتِه
البيسيطة «تعالموا الي يا جميع المتعبين»
مفعول عظيم في قلوب الملايين من
الرومانيين التعابي لم يكن لمناشير
الامبراطرة الرومانيين اجمع . وقد

اصغى لندائه هذا، العبد والمُعْتَق والصانع والمُحْتَرَف والوضيع والمزدرى المقيم في
 دُكْنِ الحكومة، مأوى الفقراء في رومية. وبعد زمان لبي النداء كثيرون فوجدوا فرحاً
 في الرجاء الذي وُلِدَ فيهم ذلك التعليم السامي. وفي قرن السلم الثاني برزت الديانة
 الجديدة على سائر ديانات الامبراطورية الاخرى

وقد وجد عمال الامبراطورية الرومانية المسيحيين الاولين يأبون ان يقدموا للامبراطور
 العبادة المطلوبة ليس ذلك فقط بل كانوا يتنابئون ويتادون جهاراً بسقوط الدولة الرومانية
 فجر عليهم ذلك وبالأخص اضطهادات شديدة (ش ٢١٧) واتضح للملأ ان ديانتهم لا تتفق
 مع شروط الرعية الرومانية التي مر ذكرها قبلاً لانها تحظر على اتباعها تقديم الاحترام
 المطلوب للامبراطور والحكومة

وكان عدد المؤمنين يزداد زيادة مستمرة وكل جماعة منهم كانت تنظم ذاتها كنيسة.
 واللفظة كنيسة مأخوذة من لفظة يونانية الاصل (اكليريا) معناها جماعة المؤمنين وكان
 اليونان يستعملونها قبلاً لمجمع العامة. وقام في الكنائس رجال من اهل الاقتدار اخذوا
 يسمعون جهدهم للحصول على الزعامة والنفوذ الذين لم تعد تنسى لهم فرصة للحصول عليها
 بعد تقهقر امر الرعية في الجمهوريات القديمة. وقد قدر لهؤلاء الزعماء ان يصبحوا قادة
 الشعب من الوجهتين السياسية والدينية

٩٤

نهاية قرن السلم الثاني

وفي قرن السلم الثاني كانت مدينة البحر المتوسط قد اخذت في التقهقر مع ما كان
 يرى في البلاد من مظاهر النجاح والرخاء ولا سيما المباني الفاخرة التي شيدتها الامبراطورية.
 وقد استبان هذا التقهقر في ملك هدريانوس. وكان خليفته انطونيوس الملقب بيوس (التيق)
 على جانب عظيم من الحلم والرقه والفضل ومحبة السلام فلم يثر حرباً ولا ابدى شيئاً من
 الهمة في سبيل المحافظة على هيبة الدولة وان كان قد شيد اسواراً على التخوم الشمالية صيانة
 لاملاك الامبراطورية من هجمات برايرة الشمال. واما خليفته مرقس أوريليوس فوجد نفسه

(١٥٤) مسده
 القنسر. مرقس
 اوريليوس 171
 ١٨٠ - ١٦١

في موقف ضنك (١٦١ م) لان الفرتيين الذين كان قد اطعمهم حلم ورقة سلفه انطونيوس بيبوس ، اخذوا يعتدون على الحدود الشرقية فانار عليهم اوريليوس حرباً استعرت لظاها اربع سنين قبل ان عاد الامن الى الحدود . ولما عادت الجنود الرومانية من الحرب رافقهم طاعون مخيف قتال هلك فيه عدد كبير من الرجال في الوقت الذي كانت فيه البلاد في اشد الحاجة اليهم . لانه في هذا الوقت الحرج اخترق برابرة الجرمان الحصون الشمالية (ش ٢٠٦) وانهاروا ، اول مرة في مدة قرنين من الزمان ، على ايطاليا انهبال السيول (١٦٧ م) فانقضى بذلك عهد قرني السلم . وتأخرت في الوقت نفسه مالية الدولة حتى اضطر الامبراطور الى بيع جواهر تاجه ليشترى باثمانها ميرة واعتدة حربية للجيش . وظل مرقس اوريليوس يحارب الجرمان في المنطقة التي صارت فيما بعد بوهميا ، الى نهاية عمره الا فترة يسيرة هادن فيها العدو فلم يقع بين الفرتيين قتال . وقضى والحرب لم تنقصر . ومع ان هذا الامبراطور قد نال نصراً مبيناً على الاعداء لم يستطع ان يكسحهم من اقاليم الامبراطورية الشمالية للمرة . فاقدم على امر شديد الخطر وهو انه سمح لبعضهم ان يقيموا في البلاد بصفة مهاجرين فلاحين يحرثون الارض التي عنت لهم داخل الحدود ويستثمرونها الا ان هذه السياسة الحرقاء عادت على البلاد بالنتائج الوخيمة

ولكن مع ذلك كله لا يُنكر على مرقس اوريليوس ما كان عليه من الاقتدار والمخاضة السياسية والادارية فضلاً عما عرف به واشتهر عنه من كرم العنصر وجمال الاخلاق ونقاوة السيرة . ففياً كان موقفه يزيد قلقه وبلبله افكاره - وهو جالس في خيمته يُشارف ويدير حركات الكتائب الحربية ، بين غابات بوهميا ، في قلب الشمال الهمجبي - وجد له متسعاً من الوقت فيه دون افكاره في كتب اودعه تأملات مفيدة باللغة اليونانية عدت بين انفس ما غادره الماضي للحاضر من الارث الثمين لانها اشواق قلب صاب الى العيشة النقية الشريفة . ولكن لم يكن في طاقة المليك ولو كانت مقاصده نبيلة مجردة عن المنفعة الذاتية ان يقف عوامل التعمر التي كانت سارية في جسم العالم الروماني . وكان مزماً ان يعقب قرني السلم ، قرن ثورات وحروب اهلية وفوضى تقرب شكل العالم الروماني بطناً لظهور ويظهر بعدها عالم روماني جديد يختلف جداً عن الذي كان قبلاً

(١٥٥) امسلان
مرقس اوريليوس

مسائل

٩٠

هل بقي النزاع الذي حصل عند موت نيرون خطراً على سلام الامبراطورية مدة طويلة؟
 من انتصر؟ ما هما الواجبان العظيمان اللذان كانا امام الامبراطورين؟ صف الاخطار
 على التخوم. ماذا عمل دومتيانس لحماية الثغور؟ اذكر الاعمال العظيمة التي قام بها
 تراجانس على الدانيوب الاسفل. وفي الشرق. كيف تصرف هدريانوس بفتوحات
 تراجانس؟ ماذا تعرف عن الجيش الروماني في ملك تراجانس وهدريانوس؟ كيف
 تحسنت ادارة الحكومة؟ اي تبديل جرى بسبب ذلك التحسن في الضرائب وكيفية
 جبايتها؟ اذكر ما تعرفه عن رغبة الشعب في الشؤن العمومية بالولايات

٩١

قف بطريق التخيل على جبل طارق وانظر نظرة تخيلية الى الامبراطورية الرومانية:
 صف ما تراه. صف بومباي. قل شيئاً عن سفر البحر. وعن التجارة.
 ماذا وجد السائح الروماني في اسية الصغرى؟ وسوريا؟ ومصر؟ اين كان
 العالم القديم حسباً تراءى للروماني؟ واين كان عالمه الحديث؟ ماذا تستطيع ان
 تقول عن المباني الرومانية المختلفة في العرب

٩٢

كيف كانت قد تحسنت رومية الآن؟ صف الكلوسيوم. ماذا تقدر ان تقول
 عن استعمال الرومانيين للبلاط في البناء؟ وعن النقش الروماني؟ والتصوير؟ ماذا
 حدث للآداب في رومية منذ زمن اوغسطس؟ قل ما تعرفه عن كتاب النثر اللاتيني

وعن الكتاب اليونان ٠ . اذا تقدر ان تجربنا عن حال العلم في رومية ؟ والاسكندرية ؟
 قل ما تعرفه عن الحياة المختلطة في رومية ٠ . اذا تستطيع ان تجرب عن دخول الاشياء
 الكهالية في الشرق

٩٣

ماذا تقدر ان تجربنا عن حالة الحياة العقلية في رومية ؟ وعن الحياة الدينية ؟ وعن
 الاديان الشرقية الداخلة جديداً ؟ كيف كان شعور عامة الشعب نحو الديانات الشرقية ؟
 ماذا تعرف عن اليهود في هذا الزمان ؟ صف ظهور الديانة المسيحية وعمل بولس ٠
 ماذا تقدر ان تفيدنا عن تفوق الديانة المسيحية ؟ ما هي الصعوبة الفعلية التي لاقاها
 المسيحيون في علاقتهم بالحكومة الرومانية ؟ اية شهادة كان على كل روماني ان
 يقتنيها ؟

٩٤

اي شعب اولاً اتعب مرقس اوريليوس ؟ اية حادثة ختم بها قرن السلم الثاني ؟
 ماذا فعل مرقس اوريليوس لاختضاع البرابرة ؟ ماذا تقدر ان تقول عن عقل واخلاق
 مرقس اوريليوس

الفصل السابع والعشرون

قرن الثورة وقسمة الامبراطورية

٩٥

نقهر الامبراطورية الرومانية الداخلي

قد رأينا ان الحكومة الجيدة والمباني الفاخرة والمدارس الراقية وغير ذلك من بينات المدينة، كانت اعظم انتشاراً في القرن الثاني للسلم مما في سائر القرون التي سبقتة، ولكن مع ذلك كله كانت الامبراطورية تتألم من علة قلبية داخلية نذكر من اعراضها الظاهرة، اول كل شيء التأخر الزراعي الذي كان بادياً قبل سقوط الجمهورية (ف ٨٣٢) وظلّ يزيد على مر السنين

وظلت الاراضي معها كان قد ضرب عليها من الضرائب الثقيلة تنتقل الى ايدي الاغنياء اهل القوة. وقد كان للنظام الشرقي الذي بوجهه تقسمت الارض الى عقارات كبيرة تملكها الحكومة وافراد قلائل، تأثير عظيم ايضاً. نشأ هذا النظام وشاع في اسية الصغرى ايام كانت تحت سلطة الفرس. ومنها اتصل الى بلاد اليونان (ف ٥٨٥) وقد وجده الرومان ايضاً في ولاية افريقيا وراء قرطاجنة. ففي ملك نيرون كان نصف هذه الولاية مقسوماً الى ستة عقارات كبيرة تملكها ستة من كبار الملاكين. وكانوا يدعون عقارات كبيرة كهذه دساکر. وكما لاشي هذا النظام صغار الفلاحين في ايطاليا نفسها (ف ٨٣٢ - ٨٣٤) كذلك كان آخذاً في ملاساتهم في الولايات التابعة لها في الخارج ايضاً فلم يشع هذا النظام في ايطاليا فقط بل عمّ غالباً وبريطانيا واسبانيا وغيرها من الولايات الكبرى

(٩٥٦) علامات
النقهر الداخلي
استمرار التأخر
الزراعي السابق

(٩٥٧) شيوخ
نظام التملك
الشرقي. الدساکر

ولما رأى صغار الفلاحين انفسهم عاجزين عن مباراة ارباب الاملاك الواسعة وتحمل الضرائب الفادحة ، عدلوا عن المباراة وتركوا الجهاد في هذه السبيل ودخلوا في خدمة كبار ارباب الاملاك في دساكرهم . وكان قانون هذه الخدمة يقضي شرعاً بوجود بقاء المستخدم ونسله مرتبطين الى الابد بالارض التي يعملون فيها . فاذا بيعت الارض وانتقلت الى آخر كانوا يبقون فيها كأنهم بعض المبيع . لم يكونوا عبيداً ارقاء . ولكنهم لم يكونوا احراراً لكي يذهبوا الى حيث يشاؤون . ولما لم يكن لهم امل بتحسين احوالهم في المستقبل ، ولا بسنوح فرصة لاولادهم تمكنهم من قلك الارض التي يعملون فيها - وقد كانت قبلاً ملكاً حلالاً لهم - فقدوا نشاطهم واستقلالهم واصبحوا غير اولئك الفلاحين النشيطين الذين وجدوا في رومية القديمة . واصبح كثيرون من برابرة الشمال في عداد العاملين في عقارات كبار الملاكين داخل حدود المملكة تحت الشروط المذكورة . وبعد ان كان العبيد الارقاء يقومون بجراثة هذه الاراضي اصبح الكولونيون اهم العناصر العاملة فيها

(١٥٨) فمقام
الكولونيين

ولما كان كثيرون من سكان الداخلية غير راضين عن هذا النوع من الاستخدام غادروا حقولهم وهرولوا الى المدينة لكي يتالوا فيها معونة وتفرجياً لكرههم . فبارت الاراضي وعلاها الشوك والاعشاب الضارة . وعلى هذا المنوال ظلت الاراضي المغلوجة تقل والاراضي البور تزيد حتى امسى العالم القديم غير قادر ان ينتج من الارض الكميات الكافية له من الطعام . وكان الشعور بنقص كمية المأكولات على اشده في المدن الكبيرة كرومية مثلاً حيث تردح الاقدام وتتساعد الاسعار بسرعة . فنحن ابناء هذا الزمان لسنا اول من رفع عقيرته بالشكوى من « ارتفاع الاسعار »

(١٥٩) نصائح
ساحة الارض
الغروقة وبالتيمة
نقصان كمية المواد
اللازمة للطعام

وقام الامبراطور يعرض الارض عرضاً على الفلاحين ويفريهم بجراثتها وزرعها ولكن ذلك لم يجدي فتبلاً في زيادة المحروث والمزروع منها . فتوارى صغار الفلاحين وعجز اهل رومية عن الاتيان بن يسد مسدّهم كانا السبب الرئيسي بين جملة اسباب أخرى تضافرت معاً فأدت الى تأخر هذه الامبراطورية العظيمة ثم سقوطها

(١٦٠) نواري
الفلاحين وعجز
رومية عن ارجاعهم

ان سكان الداخلية الذين تهاقتوا على رومية جلبوا على انفسهم انقراضاً مروّجاً فكأنهم بجشوا عن حتفهم بظلفهم لان شبانهم احجموا عن الزواج فتضاءل امر العيال كما هي الحال - عادة - في المدن . وفضلاً عن ذلك ان اهل المدن لا يرغبون في العيال الكبيرة كاهل القرى فحصل نقص عظيم في عدد سكان الامبراطورية . وبما ان الفلاح النشيط قد انحط من الوجهة الاخلاقية عما كان عليه قبلاً لمجرد اقامته في المدينة فانسا زاه فقد استقلاله وعزة

(١٦١) الفانير
الشيء السذي
حصل من العنة
في المدينة

نفسه ايضاً بمزاحمة غيره من الفقراء ليحصل على موقف بينهم حيث يوزع عليهم الاحسان من لدن الحكومة . فامتلات المدينة من ابناء الفصيحة الحلمية العديدي التدبير الذين يعيشون على نفقة غيرهم . فاضطرت الحكومة ان تتحمل كاهل الفلاحين باعباء الضرائب الفادحة التي ناءت بهم لكي تتمكن من توزيع المال على هؤلاء البطالين الذين امسوا عالة على عاتق الانسانية . وكانت الحال في سائر امهات المدن كما كانت في رومية نفسها

(١٦٦٣) الخطاط
الروح الوطنية في
المدن

وكانت هذه المدن مع ما هي عليه من بهاء المظهر الخارجي تسير الى الورا . فانها اعتادت ان تعتمد على رومية في العناية بامورها حتى في ما كان منها محلياً محضاً . ولم يعد سكانها يشعرون باقل مسؤولية او واجب نحو الوطن . وانقضى عهد التنافس المقيد بين المدن المتجاورة . وكان وجوه المدينة في كل الاماكن يُعرضون عن الشؤون العمومية ولا يكثرثون لها مشقال ذرة لان الروح الوطنية التي تنبثيها افاضل الرجال كانت في جميع ارجاء العالم القديم صائرة الى الزوال المؤبد كما زالت قبلاً من بلاد اليونان

(١٦٦٣) تلخسر
التجارة

وكانت المدن تتعقر في الامور التجارية والمالية لانه لم يبق في البلاد عدد يستحق الذكر ممن يستطيعون ابتياع السلع التجارية من اربابها . فقلت الاسواق التي كانت تروج فيها مصنوعات المدن فعادت المدن غير قادرة على تصريف بضائعها فنسيت من جراء ذلك بالتأخر . ولما اصبح الصناع بلا عمل انضموا الى فقراء المدينة . وما اثر تأثيراً بليغاً في تأخير الاعمال التجارية في المدينة عدم وجود كمية كافية من المعادن الكريمة لسك النقود

(١٦٦٤) عديم
وجود كمية كافية
من المعادن الكريمة
سك النقود .
وغش الدراهم

ولاسباب عديدة لم تكن الحكومة قادرة على ان تحصل على المقدار اللازم من المعادن الثمينة لسك النقود الضرورية للتعامل التجاري . فاضطرت الامبراطورة ان يسكوها من مزيج مغشوش بمعادن احط قيمة من المعادن الكريمة وارخص منها . ومن يطالع على مجاميع النقود الرومانية المحفوظة في المتاحف الاوربية يجد ان النقود المسكوكة في عهد اوغسطس خالصة . واما التي سُكَّت في عهد مرقس اوريليوس فمغشوشة بمقدار ربع وزنها من معدن منحط القيمة . وبعد مرور جيلين على عهد اوريليوس لم يكن في قطع نقود الحكومة من الفضة الا خمسة بالمئة من زنتها حتى ان الدينار المعروف الذي كان يساوي فرنكاً تقريباً هبطت قيمته فصارت سنتيمين ونصف سنتيم

(١٦٦٥) تلخسر
الجيش

يستحيل على اية دولة كانت ان يكون لديها جيش منظم وخزيتها صفر من الدراهم . وبما ان جباية الضرائب نقوداً ، اضحت من المستحيلات اضطرت الحكومة ان تستوفيها حنطةً وغلالاً أخرى . ولذلك نابت الاهراء والمخازن مناب الخزانة كما حدث في مصر قديماً

(ف ٧٦) وكانت رواتب الجيش تؤدي حنطة . واما على الحدود فلما كان يتعدّر دفع مرتبات الجيش باية صورة كانت ، أقطع الجنود اراضي لكي يفلحوها ويزرعوها ، وأجيز لهم ان يتأهلوا ويقيموا في اكوأخهم قرب الحدود . ولما كانوا لا يدعون الى الثمرين العسكري او لصدا غارة من غارات البرابرة الا نادراً نسوا التدريب العسكري الذي دربوا عليه سابقاً وامسوا ضعفاء كالديف لانهم لم يكونوا يدعون الى الخدمة الا عند الضرورة وسُئوا حفظة الثغور

(٩٦٦) عدم وجود نظام تمشي على الخلافة

وما عجل كثيراً في انحطاط الجيش ، النقص المهم الذي غادره ارغسطس في تنظيم الدولة الرومانية . اما هذا النقص او العيب في التنظيم فهو عدم وجود طريقة قانونية لانتخاب الامبراطور تنتقل بموجبها سلطة الامبراطور المالك الى خلفه وهكذا على التوالي دون وقوع خلل يمنع استمرار السلطة بلا انقطاع من ملك الى ملك . ولوجود هذا الخلل ، كان في طاقة الجنود ان يختاروا الامبراطور الذي يرضون عنه حالما يموت الامبراطور المالك . ولم يكن للامبراطور المعين على هذا الاسلوب الا القليل جداً من الاحترام . واذا حاول ان يقتص من احدهم جزءاً على هفوة اقرفها كانوا يعزلونه ويعينون آخر مكانه . وهكذا امت السلطة العليا بيد جنود من مرتبة البرابرة

(٩٦٧) ارتفاع الولايات الى مستوى ايطاليا والبارابرة بين الثريين

ولما ضربت المدنية سرادقتها فرق الولايات التابعة لايطاليا جعلت سكانها يشعرون انهم في مستوى واحد مع ايطاليا نفسها . ولما منحت الرعية الرومانية سنة ٢١٢ م لجميع الاحرار الذين ضمن الامبراطورية على اختلاف الاقاليم او الولايات التي يقيمون بها زالت الامتيازات وصار جميع الرعايا على مستوى واحد . وبذلك اصبح للاقاليم التي خارج ايطاليا مندوحة اعظم للتنافس في سبيل الحصول على السيادة الامبراطورية

٩٦

قرن الثورات

وكانت عوامل التأخر هذه مجلبة لقرن سلمة ثورات كانت مزعومة ان تحزب عمران العالم القديم . ابتدأ هذا القرن المشؤوم بموت مرقس اوريليوس سنة ١٨٠ م لانه لما اغتيل

ابنه كومودس الذي لم يكن خيراً ابن خيراً أب بل على شاكلة زيرون، انبرى جماعة من رجال الجندية واخذوا يقتتلون فيما بينهم لان كلاً منهم كان يطمح الى اعتصاب الملك . ولكن قَدَّرَ النور في هذا العراك الجندي حُسن اسمه سِثيموس سثيروس . فهذا اخذ منذ استتبَّت له السلطة يعين في اعلى مناصب الحكومة قواداً عسكريين من اصل دني . ولم يجد عن خطته هذه مطلقاً بل سار عليها سيراً مطرداً . فاصبح زمام السلطة في الحكومة والجيش معظم الاحيان بيد جماعة من الرعايا الاجانب

ولما انقرضت سلالة سثيروس سنة ٢٣٥ م حدث الانفجار العظيم اذ قام الجنود البرابرة في الاقاليم الخارجية ونصبوا في كل اقليم شخصاً سموه امبراطوراً فجعلوا لهؤلاء الامبراطورة الصغار مندوحة للاقتتال والتطاحن في سنبل الارتقاء الى عرش عالم البحر المتوسط . وكانوا كلما نادوا بامبراطور لا يلبثون ان يسمعوها بنياً اغتيالاه . وتكرَّرَ هذا الاغتيال مرّة بعد مرّة حتى بلغ عدد الامبراطورة الذين اغتيلوا في تسعين سنة ثمانين امبراطوراً جميعهم من قادة جند البرابرة

ودامت الحال فوضى خمسين سنة كانت في غضوننا الجنود النهائية تدفع صولجان رومية من امبراطور جندي الى آخر . وكان الامن مفقوداً في جميع الانحاء ، والمال والحياة تحت الخطر . والاضطراب الذي نجم عن تقائل الامبراطورة المتنافسين عرقل التجارة وجعل البلاد تنتقل من الرضاء الى النار . وكانت نتيجة ذلك كله افلاس الامة جماعاً . ولما تقالمت امر الفوضى وبلغ سيلها الرُئي ، في غضون القرن الثالث للمسيح انهار عمران العالم القديم انهياراً نهائياً . وعنت سيادة العقل والعلم التي بانها اليونان في القرن الثالث ق . م . (ف ٦٨٢) لسلطان الجهل والخرافات في هذه الكوارث الاجتماعية التي حدثت في القرن الثالث م . ب

ولما وهنت قوى الجيش الروماني وظهرت عليه امارات الضعف ادرك برابرة الشمال ، في الحال ، ان الامبراطورية الرومانية امتست تحت رحمتهم . وكان في الشرق القوط ، احدى القبائل الجرمانية البحرية القوية ، فجسأوا بسفنهم من البحر الاسود الى بحر الروم . وفيما كانوا يدمرون المدن الساحلية ، في اماكن عديدة ، كانت عصابات أخرى قد قطعت شبه جزيرة البلقان واعلمت ايدي النهب والتخريب في بلاد اليونان حتى حدود المورة ولم تسلم اثينا من عيشتهم . وتوغل البرابرة في ايطاليا وودخوا غالباً واسبانيا وقطع بعضهم الى افريقيا . والذين منهم دخلوا غالباً اضرمو النار في مدنها فدمرتها تدميراً . وكان قوادهم يضحكون ويققهون حين كانوا يرون النار تلتهم المباني الجميلة

(٦٦٨) الطاهر
مدة ملك
سثيروس سثيروس

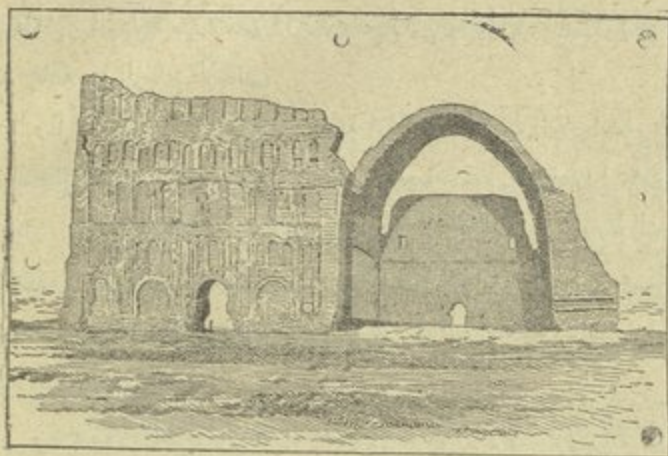
(٦٦٦) انقراض
سلالة سثيروس
(٢٣٥) م. والبحر
الاعلى التي تلتها

(٦٧٠) فسوس
خمسين سنة واهوار
صرح العبران

(٦٧١) غارات
البرابرة

ولما رأى سكان الاقطار المنهوبة انه لم يعد في استطاعة المملكة الرومانية ان تحميهم اتخذوا على عواتقهم امر حماية انفسهم . فاستقلت غالبا تحت زعامة حكامها سنين عديدة في هذا القرن الذي تقوّضت فيه دعائم الامن ، وهب سكانها هبة واحدة وصدوا عنهم تيار البرابرة الجارف .

١٦٧٣ استقل
غالبا الوقت ويهت
بجدد بنائها



الشكل ٢١٨

يرينا هذا الرسم الانفاض الباقية من القصر الملكي في تيسفون على دجلة . وقد كانت تيسفون هذه عاصمة بلاد فارس الجديدة . وتدل صورة الشخص الصغيرة في أحد الابواب على ضخامة البناء . و"بضمانتين الاشياء" . والقنطرة المائلة التي تبرى الى اليمين شيدت على البناء الذي تحتها بدون قالب يدعمها في اثناء البناء . عرضها خمسة وعشرون متراً وربع متر . كانت اعظم قنطرة حجرية في عصرها ولا تزال ماثلة الى الآن . هنا كان ملوك بلاد الفرس الجديدة الخيام يجمعون رجال بلاطهم . وتقدم في ذلك امبراطرة القسطنطينية الضعفاء . لاحظ موقع بابل "كمنطقة" بيرية على السكة العظيمة بين اسية الصغرى والشرق . وكانت تيسفون حلقة من سلسلة العواصم القوية التي عاقب بعضها بعضاً على التوالي في هذا الموقع من النهر - أكد (ف ١٧٢) وبابل (ف ١٨١) وآخر الكل بغداد فسردت

حجارتها . ولا تزال هذه الحجارة تشاهد حتى الآن في اسوار كثير من مدن فرنسا . قيل ان عدد المدن التي تشاهد فيها هذه الحجارة المسودة يربي على الستين . وكشفت اعمال الاثريين خارج اسوار هذه المدن اسس مباني رومانية فاخرة كانت تتألف منها مدينة عظيمة اكبر من المدينة التي تشاهد بقاياها ضمن الاسوار

وفي الوقت نفسه بان في الشرق خطر جديد بانتعاش المحبة الوطنية في صدور ابنسء



الشكل ٢١٨

جنود رومانية من تدمر، يلهبوا، يقدّمون العبادة لآلهة مدينتهم في قلعة ديورا على الفرات الأوسط
 يمثل لنا هذا الرسم جنوداً رومانية على الحد الشرقي الاقصى للملكة، فيها نعلم . وان يسار منتصف الصورة

(٦٧٣) قيام الملوك
الساسانيين

مملكة فارس القديمة وعود الحياة القومية اليهم . فهب زعماؤهم من العائلة الساسانية وقلبوا عرش فرتيا (٢٢٦ م) وانشأوا في بلاد فارس أسرة ملكية جديدة متهذبة . ولما استتب لهم الاستيلاء على الهلال المخصب واتخاذ «تسيفون» على دجلة شمالي بابل عاصمة لهم ، قام شرق جديد على انقاض العصر الحالية التي كان الدهر - في الظاهر - قد ضرب عليها حجاب النسيان ، وشيدت مبان نفيسة مشرفة على الرافدين من النمط الفارسي وان ظهرت عليها مسحة من الفن اليوناني . واخذت تظهر الاشياء الجميلة التي صنعها ارباب الفنون والحرف ، وبدت ديانة زورواستر بظهور جديد من الحياة . فلنا في هذه الحركة ، آخر نهضة للجنس الايراني القديم الذي اوجد ديانة زورواستر وشيد مملكة الفرس الشاسعة الاطراف . اما الدولة التي انشأها الملوك الساسانيون فكانت اعز جانباً من دولة الفرثيين التي قلبوها . وحسب هولاء الملوك الساسانيون انفسهم انداداً للرومانيين ومنافسين لهم في الملك على العالم . وبذلك عاد التنافس القديم بين الشرق والغرب كما كان قديماً بين بلاد اليونان وبلاد الفرس وكانت رومية زعيمة الغرب وبلاد الفرس الجديدة زعيمة الشرق

(٦٧٤) تدمير بلاد الفرس الجديدة ورومية

وفي الوقت الذي كانت فيه أسرة سثريس آخذة في الانحطاط ، كانت مملكة الفرس الجديدة ترقى الى ذروة العزة والمنعة حتى صارت عدواً يُرهَب جانبُه على الحد الشرقي للامبراطورية الرومانية التي اصبحت من الآن فصاعداً مهددة من الشمال ومن الشرق . ولكن قيام مقصب - الى حين - ضمن حدود المملكة الرومانية كما حدث في غالبا وفي الشرق ، كان وسيلة لانقاذ رومية من استيلاء عدو من الخارج عليها . فقيام احد الولاة الشرقيين الذي استقل واتخذ قدام مركزاً للملكية كان منجاةً لرومية لان استقلاله حداه على الدفاع عن تخم الامبراطورية الشرقي على حساب الخصاص . وبعد وفاته خلفته ارملة

مركز علم روماني طويل الفناء ، او راية حرية يحملها احد الجنود (يارقيي) قاسماً المشهد الى قسمين . فالى يمين العلم طائفة من الجنود الرومانية قائدها ، الحاكم بوليوس ترتيوس ، واقف الى جانبها . والى يسارها منقوشة يضع على جرها النور ويتوم بالخدمة الدينية للحامية الرومانية التي هو قائدها . والى يسار العلم (من الاعلى) آلهة تدمر الثلاثة . ومن اسفل الالفنا الحظ ، الى اليسار الالهة تدمر والى اليمين الالهة ديورا . وكل الآلهة هنا لابسون تيجاناً او هالات كالتي كان يرسمها المصورون المسجونون الاقدمون على رؤوس النديسين . ولا شك في ان قدماء المصورين المسيحيين اقتبسوا هذه التيجان من الصور التي وجدت في المياكل الوثنية قبل عهد المسيحية في سورية . والظاهر ان هولاء الجنود هم من سكان تدمر وقد كانوا يقومون باعباء الحراسة والحماية في قلب الصحراء في قلعة ديورا على الفرات على بعد ١٤٠ ميلاً شرقي تدمر . وعلى بعد ٢٥ ميلاً من مصب نهر خابور حيث اقسام الرومانيين بعد ذلك تخم ملكهم ، وقد وجد هذا المشهد على جدار معبد في قلعة ديورا القديمة . اكتشفه الانثرون في اثناء القيام باعمال التنقيب التي قامت بها بعثة جامعة شيكاغو سنة ١٩٢٠

زنوبيا الجميلة التي جعلت تدمر عاصمة مملكتها ولقبت نفسها بملكة الشرق لان اسية الصغرى وسورية ومصر كانت ضمن مملكتها التي درأت الشر مؤقتاً عن رومية وحالت دون هجوم مملكة الفرس الجديدة عليها

ولما استوسق الامر لهذه الدولة الشرقية القوية في بلدان شرق البحر المتوسط تحت حكم زنوبيا، وقام المسمى تتريقس احد اعضاء المشيخة وذوي المقدرة الادارية، وتسأط على غالبا وبريطانيا وشمال اسبانيا كإمبراطور مستقل (ف ١٧٢) وسيد لبلدان الغرب، خيل للعالم ان المملكة الرومانية اوشكت ان تتمزق كل ممزق. ولما بلغت الفوضى التي سبقت الاشارة اليها، معظم شدتها في المملكة، قام احد الامبراطرة المنصّبين بالقوة العسكرية - واسمه اوريليانس (٢٧٠ - ٢٧٥ م) - وزحف على زنوبيا وكسر جيشها واستولى على تدمر واخذ الملكة اسيرة. وكان النصر حليفه في غالبا كما كان في تدمر فكأنه ذلك من ان يقيم احتفالاً باهراً في رومية زانه وجود زنوبيا وتتريقس وعدد كبير من الامرى. واعاد اوريليانس الى البلاد شيئاً من النظام والامن. ولكي يصد غارات البرابرة في المستقبل شيد حول المدينة السور الهائل الذي لا يزال ماثلاً الى اليوم بينة على موقف رومية الحظير في القرن الثالث م. وكان قد مر على موت مرقس اوريليوس قرن من الزمان او يزيد لما قام الامبراطور ديوقليتيانوس واعاد ما خيل للناس في ذلك الزمان انه سيكون مسلماً دائماً

(١٧٥) اوريليانس
(٢٧٠ - ٢٧٥)
يترد الشرق
وغازارديون فلطيهانس
يعمد النظام ٢٨٤ م

(١٩٧١) خلاصة
اربعة فرون من
تاريخ السادة
الرومانية

اذا نظرنا من النقطة التي بلغنا اليها نظرة الى الوراء. وراجعنا تاريخ رومية مسدة نحو ربع مئة سنة منذ اصبحت سيدة العالم رأينا فيه ثلاثة اعصر^(١) عظيمة فبتأسيس اوغسطس للامبراطورية ابتداءً قرناً سلم تقدمها قرن ثورات وتلاها مثلها. فجاء قرن ثورة تلاه قرناً سلم وعقبها قرن ثورة ثانية وقد أدى قرن الثورة الاول الى انتصار سلطة الفرد وتأسيس الامبراطورية على يد اوغسطس نحو ١٣٣ - ٣٠ ق.م. واما قرناً السلم فيبدأ من تأسيس اوغسطس للامبراطورية ويستمر الى ملك مرقس اوريليوس (نحو ٣٠ ق.م - ١٧٠ م تقريباً) ويبتدئ قرن الثورة الثاني من عهد مرقس اوريليوس الى زمن استبداد ديوقليتيانوس (من نحو ١٨٠ - نحو ٢٨٤ م). فالاربعة القرون التي سادت فيها السلطة الامبراطورية، بعد ان انجبت امثال سلا ويوليوس قيصر، تغلبت فيها سلطة الفرد على اطوار شتى الى ان انتهت بالاستبداد. واول ما نتوخاه الآن، النظر في هذا الاستبداد وكيف طما

(١) اعصر التاريخ لانتهمي ولا تبتدئ فجأة بل يكون الانتقال فيها من عصر الى الذي يليه تدريجياً. والتواريخ بالسنين تدل على الزمان الذي صار فيه الانتقال ظاهراً جلياً

عليه تيار غارات البرابرة من الشمال مدة قرنين من الزمان فاغرقه في لججه . وفي الوقت نفسه قامت دولة الشرق الجديدة فسحقته وقبض لحملاتها الحربية ان تدوم بعد ذلك قروناً عديدة

٩٧

تحول حكومة الامبراطورية الرومانية الى الاسبتداد

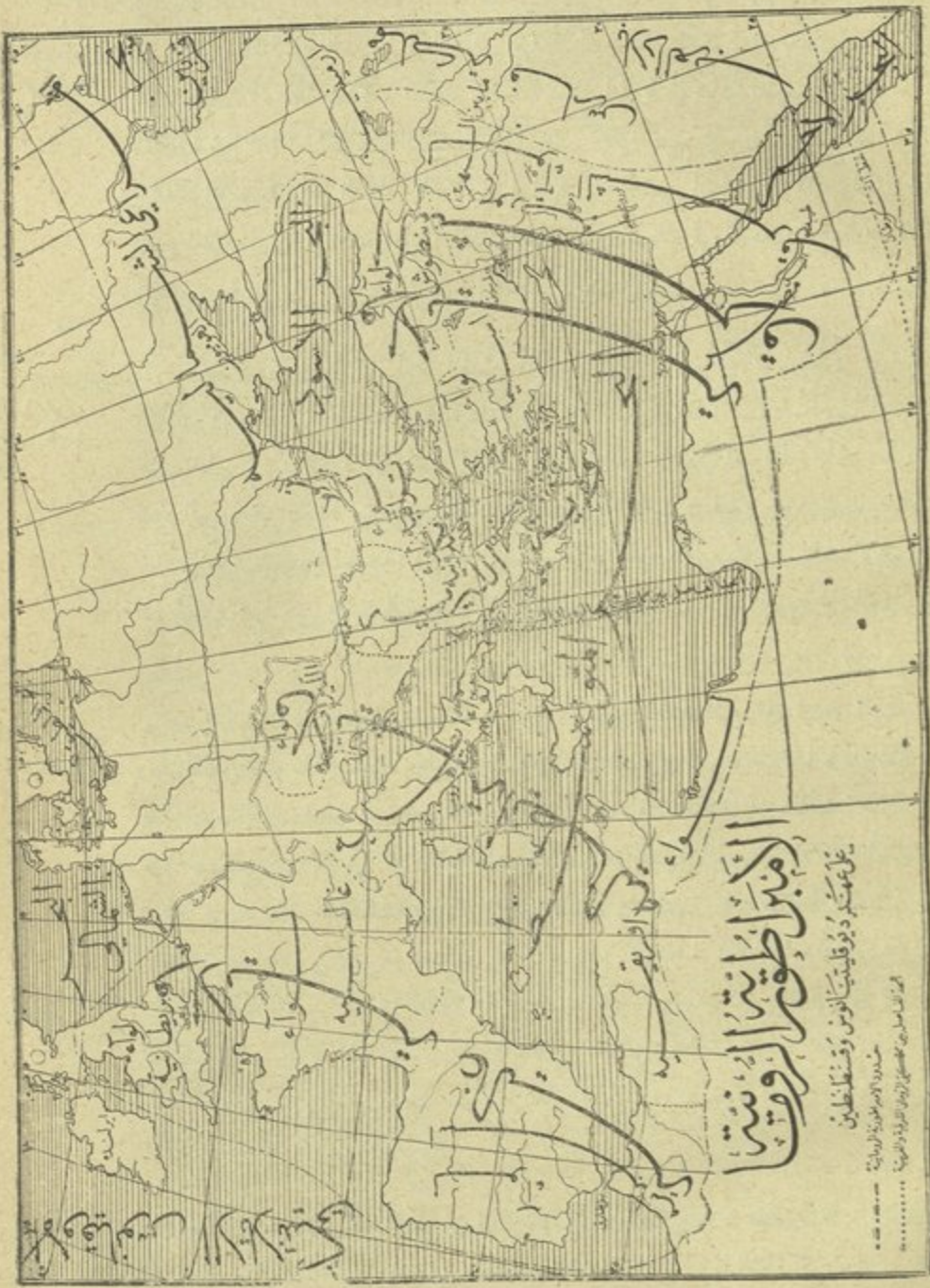
وكان العالم الذي برز الى الوجود بعد نكبات قرن الثورات حوالي نهاية القرن الثالث ب . م ، وفي اثناء حكم ديوقليتيانوس ، يختلف كثيراً عن العالم الذي ملك عليه اوغسطس والمشيخة الرومانية قبل ذلك بثلاث قرون . فان ديوقليتيانوس جرّد المشيخة التي لم تكن الاً ظلاً للحقيقة ، من كل سلطة الاً سلطة الحكم البلدي في رومية فاصبحت مجرد مجلس بلدي ليس الاً وتوارت عن مسرح التاريخ فصار الامبراطور ملكاً مطلقاً اذ لم يبق من يقيد سلطته وتحولت الدولة الى قوة حربية . ولم يكتفِ الامبراطور بانهُ صار ذا قوة مطلقة كحكام الشرق بل اضاف الى ذلك مستلزمات تلك القوة كالتاج والحلل المزركشة بالالء والحجارة الكريمة والعرش . ووطى . القدم الذي وجب ان ينحني امامه كل من رام المشول لديه حتى يس جبينه التراب

١٩٧٧ ديوقليتيانوس
٢٠٥٢٨٤

ابانت الاكتشافات الجديدة ان الزي الفاخر الذي اختاره امبراطور الرومان لملابسه مأخوذ عن الزي الذي كان لاساسانيين ملوك بلاد فارس الجديدة فان القواد الرومان كانوا قد رأوا مملكة الشرق الجديدة وخبروا احوالها مدة جيلين من الزمان فاخذوا عنها ، الزي الملوكي ، وشارات البلاط وكثيراً من العادات الشرقية . وكان للعوامل الشرقية التي اثرت في معتقدات الرومانيين كما رأينا في انتشار عبادة الاله الفارسي مئثاس (ف ١٩٤٦) ، تأثير خصوصي الآن في فكرة تأليه الامبراطور (ف ١٩٠٧) . وزى في هذه الاشياء ، خطوة أخرى لامتزاج الشرق والغرب الذي شرع فيه الاسكندر الكبير قبل ست مئة سنة (ف ٦٤٧) فكان الامبراطورية الرومانية قد اصبحت استفنجة تتمص حياة الشرق ومدنيته اي انها صارت تنسج على منواله وتتجدده في امور كثيرة

(١٩٧٨) النسوة
النارسية الفرقة
وتأثيرها

وكان الامبراطور قد اصبح الآن الهاً شرقياً برتبة الاله الشمس ودُعي في الشؤون



(١٧٩) الامبراطور
الشرقي . فوز
الحكم الاستبدادي
وتلاشي الحكم
الديمقراطي

الرسمية بالشمس المنيعة . وتعيّن اليوم الخامس والعشرون من كلون الأول عيد ميلاده . وهو اليوم الذي تأخذ فيه الشمس تنقلب الى جهة الشمال بعد ان تكون قد بلغت اقصى انحرافها نحو الجنوب . وكان سكان الاقاليم المختلفة مطلقي الحرية في عبادة آلهتهم الخصوصية دون معارضة من لدن الحكومة الرئيسية . ولكنهم كانوا كلهم مجبرين ان يشتركوا في تقديم الذبائح الرسمية لرأس الدولة كاله . وبدخول هذا الشعور الشرقي نحو الامبراطور انتقض زمن الجهاد في سبيل الديمقراطية - ذلك الجهاد الذي تبغناه قروناً عديدة في تاريخ الانسان القديم - وقضي على الديمقراطية بفوز الحكم الاستبدادي

(١٨٠) ديوقليتيانوس
عظيم في الشرق
وهو من امبراطورا
الغرب

وقضت ضرورة قيادة الجيش لمحاربة الفرس ان يتوجه الامبراطور ديوقليتيانوس الى الشرق ويقم فيه . واختار نيوميديا في اسية الصغرى مقاماً له فكانت النتيجة ان الامبراطور لم يعد قادراً ان ينتبه كما يجب لشؤون الغرب . فعين امبراطوراً آخر معه يُشارف امور الغرب بالنيابة عنه متبعاً في ذلك عادة قديمة ربما كانت - فيما يرجح - عادة انتخاب الفنصليين في الجمهورية القديمة . ولم يدر في خلد الامبراطور انه بعمله هذا يقم الامبراطورية الى شطرين . ولكن جاءت النتيجة بخلاف المقصود وانقسمت الامبراطورية الى قسمين شرقي وغربي

(١٨١) تنظيم
ديوقليتيانوس
الاداري

وكان في الامبراطورية مئة ولاية او تريد فتقسمها الامبراطور الى اربعة اقسام كبرى وعيّن لكل قسم حاكماً سماًه والياً ، وقسم الولايات الصغرى اثني عشر قسماً وعين لكل منها حاكماً دون الوالي رتبة سماءه متصرفاً وجمل تحت المتصرف حكاماً على الاقضية لكل قضاء حاكم خصوصي . وكان في كل ولاية عدد كبير من الموظفين يقومون بالاعمال المختلفة . وكانوا من درجات متفاوتة من الاعلى الى الادنى ولكنهم كانوا مرتبطين بعضهم ببعض كحركات السلسلة من ادنى موظف الى الامبراطور . وكان مقدار المال اللازم للقيام بهذا التنظيم ونفقات القصر الامبراطوري الطائفة هائلاً جداً لان كل موظف من الاعلى الى الادنى في الملكية والعسكرية كان يُنقد راتباً كانياً للقيام بنفقاته ونفقات عائلته . فاقنضت الحال زيادة الضرائب على الشعب زيادة مستمرة فساء الحال وزاد حرجاً سائراً من الردي . الى الابد منذ ملك مرقس اوريليرس

(١٨٢) مساوي
طرق حسابة
الضرائب

ولما أكرهت الحكومة على ان تقبل الضرائب حنطة وغلالاً مختلفة بدلاً من النقود التي قلت ، اصبحت الضرائب عبارة عن حصة من غلال الاراضي . وبذلك تكون الامبراطورية الرومانية عملت بنظام عتيق اكل عليه الدهر وشرب في الشرق منذ آلاف السنين . وكانت

الحكومة كل سنة تكره جماعة من الاغنياء في كل مدينة على ان يضمنوا لها أداء الضرائب كلها واذا حصل عجز في الكمية المطلوبة كانت تجبرهم على سده من مالهم الخاص . فكان عقاب الغني - حسب الظاهر - الدمار . وكيف يُقدم الشعب على الاجتهاد والكسب وحشد الثروة اذا كان الجزاء عليها زيادة الضرائب الى درجة تنوء بين وضعت عليه

(١٨٣) خساره البلاد نلاحظها ونجاها الوسط

اضاعت الحكومة الرومانية قبلاً فلاحياً ولم تستطع ان تسترجعهم . والآن زاما قد اضاعت ايضاً تجارها النشيطين الذين هم من الدرجة الوسطى . فقام ديوقليتيانس وحاول ان يكرهم على ان يثابروا على اعمالهم ، وسن قانوناً يقضي على كل انسان بوجود المشاورة على العمل في ارضه او حرفته

(١٨٤) انفسد الحرية والحماس والوطنية

وتحت هذا الاستبداد ، فقدت من اوربا الحرية التي جاهد الناس ازماناً طويلة في سبيل الحصول عليها . واضحى الروماني فاقداً لحياته الاستقلالية لان ارادة الامبراطور امست شريعة . فكانت اوامره الملكية ترسل الي جميع انحاء الامبراطورية للعمل بها . فكانت الحكومة تعين الاجور والاسعار . وكان الامبراطور يبيت العيون والارصاد لمراقبة جميع الناس حتى اوضعهم مقاماً . فكانوا يلاحظون تجار الحبوب والجزارين والحبازين لكي يتحققوا انهم يقدمون للجمهور ما يحتاجون اليه ويثابرون على مهنتهم دون تردد او اهمال وكانت الحكومة في بعض الاحوال ، تجبر الابن على تعاطي حرفة ابيه . وبالاختصار ان الحكومة الرومانية حاولت الآن ان تشارف كل الاعمال والمصالح التي كان يزاولها الناس مدى الحياة . فكان الروماني انى توجه يلاقي مراقبة الحكومة وظلمها

(١٨٥) السوطي عامل الحكومة

ولما امسى كل انسان في الدولة الرومانية رازحاً تحت عبء الضرائب الباهظ الذي وضعته على عاتقه حكومته المحكوم عليها فعلاً بالافلاس ، ساءت احوال جداً وصار كل انسان يحسب ذاته سناً صغيراً في الدولاب الكبير الذي يدير اعمال الحكومة . فكان انه وجد ليعمل للحكومة التي كانت تسلب ثمرات كده وسعيه ولا تترك له شيئاً الا ما يمسك الرمح . فصارت حالته كحالة فلاح وادي النيل التي عاش فيها آلافاً من السنين . وامسى الامبراطور كأحد الفراعنة والامبراطورية الرومانية كمصر القديمة الا انها اضخم منها كثيراً

ان قرن الثورة الذي ختم بتضخيم ديوقليتيانس الاستبدادية الجديدة ، امات قوة

(١٨٦) مائة ارتفاع
المدنية العظمى في
العالم القديم : ص ٥٦
ورومية المستقبل

الابتكار والابتداع التي اتصف بها القديما . سواء كان في الفنون او في الآداب كما امارت روح التقدم والارتقاء في التجارة وسائر اعمال الحياة . فارتقاء ديوقليتيانس الى العرش كان نهاية تاريخ العالم القديم من وجهة التقدم في الحضارة والعمران الا أنه بقي امام رومية مهمة عظيمة كان عليها القيام بها الا وهي - على الاقل - الاحتفاظ بشي . من ميراث المدنية لكي تسلمه الى الاجيال المستقبلية جيلاً بعد جيل حتى يصل الى ابناء هذا العصر

٩٨

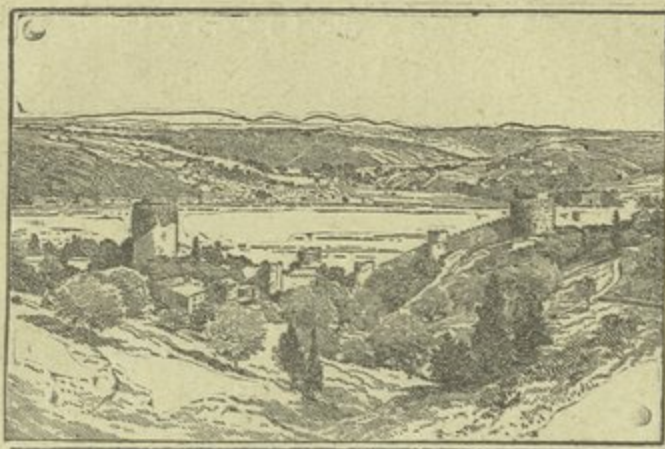
قسمة الامبراطورية وانتصار الديانة المسيحية

وفي ملك ديوقليتيانس انحطت ايطاليا عن مترتها الاولى فاصبحت كبقية الولايات التابعة تؤذي الجزى والضرائب . وفقدت آخر اثر من تفوقها على بقية ولايات الامبراطورية . حتى الامبراطور غادرها وذهب الى الجهة الشرقية الشمالية من المملكة بسبب تيار برابرة الجرمان الجارف عند الدانيوب الاسفل وقيام مملكة الفرس الجديدة . وكلاهما كان يهدد بالخطر . ولم تظل رومية مقام الامبراطور ولا مركز السلطة لانها نقلت من ايطاليا الى البلقان اذ لانه في غضون قرن الثورة كان افضل جنود الجيش ، من شبه جزيرة البلقان . وقد قام منهم بعض الامبراطورة . ولم يكن الامبراطور المنتخب من بين جنود جاوا من خارج ايطاليا ، شديداً المحبة لرومية . وكان سبب هذا الانتقال ، احتراماً للشرق كاد يتلاشى فانتعش من جديد ، ومصالح في البلقان كانت تتزايد على مر السنين ابتدأت منذ عصر هديرانوس الذي انفق امراً طائفة على تجميل اثينا . ثم جاء ، بعد انتهاء المنازعات التي حدثت عقب موت ديوقليتيانس ، الامبراطور قسطنطين الكبير تخفق فوق راسه اعلام النصر (٣٢٤ م) ولم يتردد في توجيه نظره الى الطرف الشرقي من شبه جزيرة البلقان وتأسيس رومية جديدة هناك مقاماً له . وباختياره هذه البقعة التي لا مثيل لها برهن على بُعد نظره وحُكمتها السياسية . اختار البلدة اليونانية القديمة ، بزنتيا ، على الجانب الاوربي من البسفور (ش ٢١٩) موقع بديع يشرف على اوربا واسية معاً ويوافق ان يكون مركز السلطة لكليتها . وبانتقائه هذا الموقع لعاصمته الجديدة جعلها مدينة لا تضاهيها في الاهمية مدينة أخرى سوى الاسكندرية بمصر . وشرع الامبراطور يسلب كثيراً من المدن آثارها

(١٨٧) نقل مركز
السلطة من ايطاليا
الى البلقان : اتحاد
قسطنطين
(٣٢٤ - ٣٣٧ م)
القسطنطينية عاصمة
الملك

النفيسة ليجهل بها كرسي ملكه . وما جاءت سنة ٣٣٠ م حتى كانت العاصمة الجديدة على
اليسفور قد صارت فاخرة جداً غنية بالآثار جدية بان تكون خير خلف لروميسة . مركز
امبراطورية البحر المتوسط . وقد دعت بالقسطنطينية نسبة الى مؤسسها

(٦٨١) القسطنطينية
وانصال الشرق
عن الغرب
استمرار القهر



الشكل ٢١٩ منظر عبر اليسفور من اوربا الى اسيا

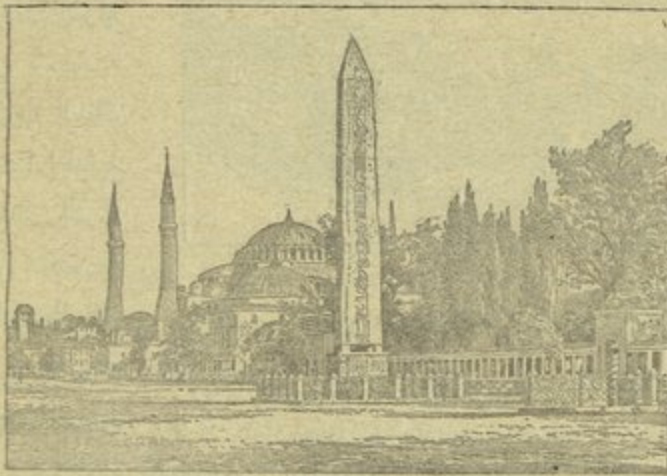
نرى هذا المنظر ونحن وقوف على شاطئ اليسفور الاوروبي . فاذا ارسلنا رائد الطرف
شرقاً كانت نجد اواسط اسية الصغرى (ف ٢٥٩) وراها وراينا الى الجنوب منا تماماً (عن
اليمين) مدينة القسطنطينية على الشاطئ نهر . والى الشمال قليلاً (الى اليسار) المكان الذي
— على ما يرجح — بنى عليه داربوس الكبير البحري حين هاجم اوربا اول مرة بلغ بلاد
السكيثيين (ف ٤٩٠) . والاهراج والاسوار التي امامنا هي بقايا قلعة بناها الفانجون الاثراك حين
عبروا من اسية للتحقق القسطنطينية (١٤٥٢ م) . وقد كان هذا المعبر العمومي ولا يزال الخلفة
البحرية المحرية بين اوربا واسية عسوراً كبيرة

وكان
تقل عاصمة
الامبراطورية
الرومانية الى
الجانب الشرقي
من شبه
جزيرة البلقان
انتصاراً لمدينة
الجانب الشرقي
من البحر
المتوسط التي
هي اقدم
عهداً من
مدينة الجانب
الغربي ، كما
كان فصلاً
للشرق عن
الغرب اي

قسمة الامبراطورية الرومانية الى قسمين . وهذا الانفصال في الامبراطورية الرومانية
وان لم يتم لجأه فقد جرى فعلاً بعد تأسيس القسطنطينية يجيل من الزمان فان الامبراطورية
اصبحت حينئذ عبارة عن حكومتين لم تتحدا بعد انفصالها الأوقتاً . فيكون تأسيس القسطنطينية
قد قضى قضاء مبرماً على مصير روميسة والجزء الغربي من الامبراطورية الرومانية المعروف
بعالم البحر المتوسط الغربي . وكانت تنظيمات ديوقلياتيانس نافعة ومقوية للقسم الشرقي
من الامبراطورية ولكن الى حين لان هذا القسم قضى عليه ايضاً بالانحطاط المستمر
ولما زاد في هذه الاحوال عدد الكنائس المسيحية زيادة مطردة وعظم نفوذها زادت

حاجتها الى رجال مقتدرين يتولون ارشادها وقيادتها . واقتضى تدبير الجماعات المسيحية الكبيرة وكنائسها مقدرة كافية وخبرة واسعة . وقد مكنت المباحثات والمجادلات الجارية في الاجتماعات الكنائسية اصحاب المواهب العقلية من الظهور امام الجماهير . واكسبتهم مقدرتهم العقلية مقاماً ونفوذاً . فاصبحت الكنيسة المسيحية مركزاً جديداً لترقية الناس في الشؤون السياسية . فنبغ فيها رجال من ذوي المقدرة السياسية صاروا في مقدمة اهل النفوذ في عصرهم بعد ان كانت الديمقراطية الحرة قد انقطعت منذ امد طويل عن ان تنجب رجالاً مثلهم

(١١٩) الكلاس
ذريعة جديدة
لقسام رجال
مقتردين



الشكل ٢٢٠ آثار قديمة في القسطنطينية

وكرس
عمال الكنيسة
انضم بهم بالتدريج،
للقيام بواجباتهم
الكنائسية حتى
لم يبق لديهم
وقت للاشياء
الاخري .
وامتازوا عن
بقية اعضاء
الكنيسة والقوا
طبقة مخصوصة

(١٩٠) قسوة
الكنيسة وقيامها
بمهمة واسعة
وروساه اساقفة

المسألة التي في مقدم هذه الصورة البالغ علوها تقريباً ثلاثين متراً نصبت اول مرة في طيبة بمصر بامر الفاتح محمد بن الثالث (ف ١١٥) وقد نصبها هنا الامبراطور الروماني ثيودوسيوس . والعمود اللولبي الصغير الذي هو قاعدة ركيزة من البرنز مثلثة القوائم نصبت اليونان في دالي (س ١٢٢) تذكراً لانتصارهم على الفرس في بلاتيا (ف ٥٠٦) ولا تزال اماماه المدن الاحدى والثلاثين التي اشتركت في المعركة منقوشة على القاعدة ومقرومة بهذه الآثار الباقية من عهد السيادة الشرقية واليونانية القديمة لا تزال قائمة في المكان الذي كان قبلاً ميداناً لسباق الخيل حين اصبحت بزنطية المدينة اليونانية القديمة العاصمة الشرقية لرومية (ف ٦٨٧) . ويبدل الجامع العظيم وراء المسلة مع مآذنه الخيمية على انتصار الاسلام في زمن الامراء الذين استولوا على المدينة سنة ١٤٥٣ م

دعوهما
الاكليروس،
وتألف من سائر
الاعضاء طبقة
أخرى ، دُعيت
بالعلمانيين .
ودُعِيَ الاعضاء
المتقدمون في السن الذين كانوا يهتمون بامر الجماعات الصغيرة في القرى شيوخاً وتسلط على

المتقدمون في السن الذين كانوا يهتمون بامر الجماعات الصغيرة في القرى شيوخاً وتسلط على

مجموع الكنائس في كل مدينة احد مئة ممي للكهنة ولقب بالاسقف . وفي المدن الكبرى ازدادت قوه الاستف وعظم سلطانه في المدن المجاورة فاعطي لقب رئيس اساقفة . وهذا النظام الكنائسي أخذ معظمه من نظام الحكومة الرومانية التي استعارت الكنيسة منها اسما بعض الوظائف فيها (ف ١٨١) وكان هذا التقدم في نمو ساطة الكنيسة وقوتها تدريجياً وزاد بزيادة عدد الجماعات المسيحية فاصبحت الديانة المسيحية مؤسسة قوية تناظر الحكومة الرومانية بعد ان كانت ديانة المستضعفين والمحقرين

وابتدأت الحكومة الرومانية ترى ان لا فائدة من اضطهاد المسيحيين . فصدر امر عالٍ من غاليريوس ، رفيق ديوقليتيانوس سنة ٣١١ م صرح فيه بوجود اعتبار الديانة المسيحية ديانة قانونية . وكان صدور هذا الامر العالي في الوقت الذي كانت فيه المملكة مهددة من الخارج ، وبعد ان وجد ان لا فائدة من مناهضة المسيحيين في الداخل . واصبح المسيحيون امام القانون كبقية اتباع الالهة القديمة . وَايد هذا الامر العالي الملك قسطنطين

ولكن مع ذلك لم تنل الديانة المسيحية انتصاراً نهائياً كاملاً . فانه بعد حروب ستين كثيرة بين ابنا قسطنطين وابني عمها في سبيل التاج لم يبق حياً منهم سوى احدهما يوليانيوس ، اقدر امبراطور قام منذ قرن السلم الثاني . كان ولوعاً جداً بأداب اليونان القديمة وفلسفتهم الوثية فجحد الديانة المسيحية وبذل جهده في مقاومتها وارجاع الديانة الوثنية والمدنية الهلينية الى سابق عهدهما . وكان قائداً حنكاً كسر البرابرة الجرمان في الغرب ولكنهُ فيما كان زاحفاً يجيشه لمحاربة دولة الفرس الجديدة مات في الطريق ولقبته الكنيسة « بالجاحد » . وهو آخر امبراطورة الرومانيين الذين قاوموا الديانة المسيحية

مسائل

٩٥

ماذا كانت حالة الامبراطورية الرومانية الحقيقية على رغم فلاحها الظاهر ؟ ماذا تعرف عن تأخر الزراعة ؟ صف نظام الكولونيين . ماذا تعرف عن مساحة الاراضي المحروثة والمؤونة اللازمة ؟ ماذا كان جارياً على جماعة الفلاحين ؟ صف عيشة المدينة

وتأخر الاشغال • فضل مسألة المعادن الكريمة والنقود • اي تأثير كان لهذه المشكلة في الجيش ؟ ماذا كان تأثير عوز قانون للخلافة في الجيش ؟

٩٦

قل ماذا حدث بعد موت مرقس اوريليوس • صف الاحوال التي عقت ايام سبتيميوس سفيرس • ماذا فعل برايرة الشمال ؟ ماذا حدث في غاليا ؟ اشرح قيام المملكة الفارسية الجديدة • قل ما تعلمه عن تدمر وزنوبيا • كيف أخضعت غاليا وتدمر ؟ كيف حمى اوريليانس رومية ؟ من اتم قرن الثورة ومتى ؟ كيف يمكننا ان نلخص الحكم الامبراطوري الروماني مدة الاربعة القرون التي انتهت بقيام ديوقليتيانوس (٢٨٤ ق م) ؟

٩٧

كيف عامل ديوقليتيانوس المشيخة الرومانية ؟ اية عوامل كان لها الفوز ؟ ماذا جرى للديمقراطية ؟ ماذا تقدر ان تقول عن محل اقامة الامبراطور ؟ قل ما تعرفه عن تنظيماته الادارية • ماذا تقول في الضرائب في حكم ديوقليتيانوس ؟ كيف كان تأثير ذلك على الاغنياء ؟ اية طبقتين من الشعب خسرت الامبراطورية الآن ؟ ماذا تستطيع ان تقول عن الحرية والرعية الحرة ؟ ماذا كانت العاقبة ؟

٩٨

الى اين انتقل مركز السلطة ؟ من فاز في المنازعات التي تلت موت ديوقليتيانوس ؟ اين سيد رومية الشرقية الجديدة ؟ كيف كان تأثير ذلك على رومية القديمة ؟ وعلى الامبراطورية ؟ ماذا تعرف عن الفرص التي سنحت بواسطة الكنيسة امام الرجال الممتازين ؟ قل ما تعلمه عن نظام الكنيسة • كيف نالت الديانة المسيحية الاعتراف بانها ديانة قانونية ومتى ؟ قل ما تعرفه عن يوليانس الجاحد

الفصل الثامن والعشرون

اتصار البرابرة ونهاية العالم القديم

٩٩

غزوات البرابرة وسقوط الامبراطورية

كثيراً ما لقينا برابرة الجنس الهندي الاوربي الذين كانوا يقيمون بشمال اوربا، وراه المنطقة المتمدنة . ومنذ عهد رجال العصر الحجري لم ترتق تلك الاقاليم الشمالية . وكثيراً ما كانت شعوبها البربرية خطراً على الامم المتمدنة المقيمة بسواحل بحر الروم . وقد مرّ معنا قبلاً كيف اغرق سيل الغالين العرم شمال ايطاليا حتى انهم استولوا على رومية نفسها وكيف طمأ بعد ذلك هذا السيل على شبه جزيرة البلقان وآسيا الصغرى (ف ٦٦٦ و ٧٤٩ و ٧٥١) . ولا تزال نتذكر الرعب الذي استولى على رومية لما انقضّ عليها الجرمان اول مرة وقهرتهم قوة رومانية تحت إمرة القائد المحنك ماريوس الذي فاز عليهم فوزاً مبيئاً (ف ٨٤٥)

اتى على الرومان حين من الدهر كانت فيه جيوشهم مدربة احسن تدريب ومنظمة ابداع تنظيم والدولة قادرة على ان تقوم بنفقات تلك الجيوش امداً طويلاً وفرد عددها . فكان الرومان يفوقون البرابرة كثيراً بكثرة جيوشهم وحسن تنظيمها ، الامر الذي كان سرّ فوز الاسكندر عليهم (ش ٨٦٠) . ولكن في غضون قرن الثورة ، بعد ملك مرقس اوريليوس ، تلاشى نظام الجندية الروماني فكثرت غزوات البرابرة للامبراطورية ولم يكن شي . يصددهم . وكانوا قبلاً بعد كل غزوة يرجعون عادة الى بلادهم الا انهم غيروا خططهم

(١٩٤) غرق
الجيوش الرومانية
على جيوش البرابرة
ابنًا وانحطاطها
عنها لاحقاً

هذه فعدلوا عن الرجوع وآثروا الإقامة ضمن حدود الإمبراطورية وطفقوا يهاجرون مسدة قرنين من الزمان استولوا في غضونهما على عالم البحر المتوسط الغربي برمته



الشكل ٢٢١

(١٩٥) النموب
الجرمانية في وطنها

وكان
الجرمان سُقر
الشعور زرق
العيون طوال
القمامات اقوياء
الاجسام جداً .
وكان كل شعب
منهم ، وهم في
وطنهم الاصيلي
في غابات
الشمال ، يقيم
ضمن منطقة
محدودة ضيقة

النطاق لا
يتجاوز قطرها
- في الراجح -
اربعين ميلاً .
ولم يكن عدد
النفوس في كل
شعب من

بريتانيا هذا المرم داخل كنيسة اجيا صوفيا الشهيرة التي بناها في القسطنطينية يوستينيانس من ٥٢٢ - ٥٢٧ م . واول كنيسة بنيت في هذا المكان كانت من النوع الدارج المعروف بالباسيليكا (ش ٢٢٢) الا ان بنائي يوستينيانس اثرى القبة الشرقية . فحملوا سقف الكنيسة العظيمة قبة هائلة علوها عند المركز ٥٥/٢ متر . وفي القبة بقية باقية من العالم القديم . قيل ان يوستينيانس اثنى ثمانية عشر طناً من الذهب واستقدم عشرة آلاف عامل في تشييد هذه الكنيسة التي تحولت الى جامع للمسلمين منذ استولى الانراك على القسطنطينية (١٤٥٢ م) . وغطى الانراك النسبساء الجميلة التي كان يزدان بها الناخل الأخير ، ووضعوا بالكنس . وعلفوا مكانها على المجدران نروساً منقوشة عليها الطغراء السلطانية (الطرة)

شعوبهم ليزيد عن خمسة وعشرين الف نفس او ثلاثين الفاً . وكانوا يقيمون في قرى تضم كل واحدة مئة عائلة يرأسها شيخ من رجالها . وكانت المنازل التي يقيمون بها عبارة عن اكواخ حقيرة يسهل نقلها من مكان الى مكان وكان السكان يوجهه الاجمال لا يرغبون في فلاحة الاراضي الضيقة التي في سواد قراهم ، بل كانوا يوثرون عليها رعاية المراشي والقيام على تربيتها وشعار حياتهم كثرة التنقل والارتحال بمواشيهم انتجاعاً للكلا . وكانوا يجهاون الكتابة تماماً ويتعاطون التجارة وبعض الصناعات قليلاً . وكانوا يجتارون زعماءهم واحياناً

ماو كهيم من الأسر النبيلة بينهم فيتوآون ادارة شؤون الامة باسرهما

ان معيشة هولاء الجرمان في بلادهم الاصلية التي يشتد فيها الزمهرير جعلتهم اقوياء
البنية ذوي بأس وجلد على تحمّل المشاق . والشعب الذي تجتمع فيه قوة البنية والجلد
والبأس يميل غالباً الى الحرب والغزو والنهب . والذي يميل الى الغزو والنهب ينجح
الى التنقل من مكان الى آخر . فكان هولاء يتبعون ميلهم الفطري الى الغزو والنهب
والتنقل من مكان الى مكان يتبعهم نساؤهم واولادهم واقرباؤهم في مركبات ضخمة .
وكانوا منقسمين شعوباً يقيم كل شعب منهم في خمسين قرية متحدة معاً . وكان يجمعي كل
قرية من تلك القرى مئة من رجالها الاشداء . وكان يتألف من اتحاد هذه القرى جيش كبير كل
مئة مقاتل منه تكون وحدة يحارب رجالها جنباً لجنب اذا تلبّط نار الوغى . وكان كل
رئيس مئة يقيم مع المئة التي تحت امرته . فكان الجندي وهو في ساحة التزال يرى حوله
اقرباءه الاذنين واصحابه . وكان رجال هذه الصفوف المحاربة من اشد الجنود بطشاً مع ما
كانوا عليه من النقص في التدريب العسكري . ولم يوجد في العالم القديم من كان يفوقهم
بأساً . والسر في ذلك كله هو انهم كانوا مرتبطين بعضهم ببعض بربط القرابة الدموية
فضلاً عما كان بينهم من الاختلاط الاجتماعي والمعاشرات اليومية . وكانوا اذا خرجوا الى
الهيحاء يسرون متهللين ومتي هجموا كان هجومهم عنيفاً جداً حتى لا يستطيع احد ان
يثبت امامهم

ان الكتائب الرومانية المنظمة احسن تنظيم والمدربة في الننون العسكرية احسن
تدريب - الكتائب التي جعلت رومية في المتزلة الاولى في العالم قد بادت فاهم يبق لها عين
ولا اثر . والكتائب المؤلفة من رجال تربوا في مهد السلام لا تصلح للنضال . فلو تصدّت
لماهضة رجال الحرب من الجرمان لكانت تتبدد امامهم تبدد العاصفة امام الرياح . ولما
رأى الامبراطرة انهم عاجزون عن صد الجرمان وارجاعهم الى مواطنهم سمحوا لهم بالبقاء
داخل حدود المملكة . وكان اوغسطس قد سمح لهم بذلك من قبل . وعدم وجود رجال
في المملكة يصلحون للخدمة الجندية ، حدا بالامبراطرة على استئجار جنود من الجرمان .
فكان معظم فرسان يوليوس قيصر من البرابرة . والامر الآخر الذي اتاه الامبراطرة
وكان اشد خطراً مما تقدم هو ادخال شعوب جرمانية برمتها الى البلاد لتقيم بها وتبقى
متسكة بعاداتها ، واستخدام رجالها في الجيش الروماني تحت قيادة ضباط جرمانيين
ليحاربوا على فظهم القديم اي وحدات قروية كل وحدة بنفسها تحت امرة رئيسها . واذا كان
للجيش الروماني في هذا الزمان شي . من النوذ فانه يُعزى الى هذه الوحدات الجرمانية

(١٩٧) الاذن
لجميع الشعوب
الجرمانية بان
يقبلوا في المملكة
ويخدموا في الخدمة

وبدخول الجرمان الى المملكة دخلت معهم عاداتهم واخلاقهم وطرق معيشتهم البربرية ايضاً . وكان الجيش الروماني الآن بوجه الاجمال من البرابرة ولكن الفواد كان يُمتزج بهم انهم رومانيون وان كانوا برابرة

وكان على ضفاف الرين السفلى طائفة من الشعوب الجرمانية الشديدة البأس تُعرف بالفرنكيين وكان في الشمال الثندال ولهم سمعة سيئة بسبب غزواتهم المخربة . وكان الى الجنوب منهم الالمان الذين كثيراً ما كانوا يجتزون الحدود . وكان القوط على الدانيوب الاسفل خطراً دائماً . اما الجرمان فكان يوليانس ابن اخي قسطنطين (ف ٩٩٢) قد وقفهم عند حد الرين بعد معركة شديدة نشبت بينه وبينهم في ستراسبورغ (٣٥٧ م) فاز فيها عليهم فوزاً مبنياً . واتخذ باريس مركزاً لادارة الجيش واخذ في مطالعة الكتب التي كان يرتاح اليها وهو لا يزال في ابان الحملة الحربية التي كان قائدها . واقامة هذا الامبراطور الفيلسوف في باريس قبل الف وخمس مئة وخمسين سنة ، ادخلت هذه المدينة الخطيرة ، مدينة اوربا في المستقبل ، لأول مرة في التاريخ

(٩٩٨) الشعوب
الجرمانية الرئيسية .
غلبة يوليانس على
الفرنكيين . الالمانيين
في ستراسبورغ

وكان لامتزاج الشعوب الجرمانية الدائم بشعوب الامبراطورية المتمدنة ، تأثير كبير في تغيير اخلاق وعادات اولئك الجرمان تدريجياً فدمت اخلاقهم ولين عرائكهم وازال عنهم ما كانوا عليه من الحشونة والفظاظة فصاروا ينظرون الى الحضارة نظرة الاعظام والاحترام . وصار لزعمائهم الذين كانوا مستخدمين في الجيش الروماني صلة باشراف الرومان وصدافة معهم وتروّج بعضهم بنبيات رومانيات متهدبات بعضهن من اقارب الامبراطور لحاً . واعتنق بعضهم الديانة المسيحية . واحدهم المدعو أفيلاس ترجم العهد الجديد الى القوطية وهي لهجة نسبية للجرمانية . وبما ان الشعوب الجرمانية كانت تجهل الكتابة اضطر المترجم ان يخترع حروفاً هجائية اخذها عن اليونانية واللاتينية لكي يكتب بها اللهجة القوطية . فهم اول من احدث الانموذج الكتابي الاول باللسان الجرمانى وساعد الشعوب الشمالية في اعتناقها للديانة المسيحية

(٩٩٩) الشعوب
الجرمانية المتمدنون
بعض القسطنطين
ويصلون الكتابة
ويصنعون الديانة
المسيحية

ووجد في هذا الزمان برابرة لا يجري في عروقهم الدم الهندي الاوربي يدخلون اوربا قادمين اليها من اسية وهم الشعب المعروف بالهونيين . وكانوا اشدّ تحريماً للبلدان من سائر البرابرة الفزاة . زحفوا على الدانيوب الاسفل حيث كان القوط الغربيون فقراً هولاء . من وجهم واستعطفوا الرومانيين بان يسمحوا لهم بعبور الدانيوب والاستيطان في المملكة ، فأذن لهم الامبراطور فالنس خليفة يوليانس على الشرق وحصل احتكاك فيا بينهم وبين

(١٠٠٠) طرد
الهونيين نحو
الريدين عبر
الدانيوب . معركة
أدرينانوبل (٤٨٨)
بده قرن مهاجرة
بربرية مستمرة

بعض موظفين رومانيين اذأهم الى رفع لواء الثورة . ونشبت معركة في ادريانوبلي (٣٧٨ م) انكسر فيها الرومان او بالحري الجرمان الذين كانوا يحاربون عنهم ، وقُتِل الامبراطور فالنس مع ان جند القوط لم يكن يربي على خمسة عشر الفاً . فاصبح عجز الامبراطورية الرومانية منذ الان بادياً للعالم اجمع . فكان انتقال القوط الغربيين ومعركة ادريانوبلي بداية قرن مهاجرة مستمرة ابتلع البرابرة في اثنائه الجانب الغربي من الامبراطورية على رعيتهم وجزأوه الى ممالك جرمانية تحت حكم زعماء عسكريين

وكان ثيودوسيوس الذي خلف فالنس على عرش القسطنطينية آخر الامبراطرة العظام الذي ضم شمل الامبراطورية الرومانية وتسلط عليها كلها وعقد اتفاقاً مع القوط الغربيين وسمح لهم بالاقامة حيث كانوا واستخدمهم في جيشه ويوأ زعماءهم مناصب عالية في الحكومة . الا انه لم يستطع الاحتفاظ بملكته الا باستخدامه مقتدري الجرمان وزراء وقراداً في الحكومة والجيش حتى انه زوج كبير قواده العسكريين ، استيبيخوس الثاني ، بابنة اخيه . وحين دنت ساعة احتضاره سنة ٣٩٥ م عهد اليه في العناية بابنيه القاصرين هنوريوس واركاديوس

(١٠٠٦) ثيودوسيوس
(٣٣٤ - ٣٩٥ م)
مسترجع
الامبراطورية

وقسم ثيودوسيوس المملكة بين ابنيه الصغيرين فاعطى اركاديوس الشرق وهنوريوس الغرب وبعد هذه القسمة لم تعد المملكة الى الاتحاد كما كانت قبلاً بل قضي عليها بالانقسام قضاءً موبداً . وبعد قيام هذين الامبراطورين الصغيرين استمرت المملكة الغربية تتجزأ بسرعة فلم ينقض جيلان حتى كانت قد توارت هي وامبراطورها عن العيان

(١٠٠٦) قسمة
المملكة عند موت
ثيودوسيوس
(٣٩٥ م)

وبقي البرابرة يتنقلون من ضفاف الدانوب الى الجنوب والغرب تحت قيادة مليكهم أرك . فارتحلوا اولاً الى شبه جزيرة البلقان ثم تقدموا الى بلاد اليونان واستولوا على اثينا . فتصدى لهم هنا استيبيخوس الجرمانى وبعه جنود جرمانية فقهرهم واكرهم على التقهقر . فارتدوا يسوقون مركباتهم الثقيلة مكدسة بغنائم السلب والنهب التي غنموها من بلاد اليونان . وقاد أرك القوط الغربيين الى الابركون حيث حظي لدى اركاديوس بجملة قائداً رسمياً . ولا قضي هنوريوس باعدام استيبيخو الامين لتهمة خيانة اوقمها عليه ونفذ فيه حكم الاعدام ، لم يبق من يستطيع ان يصد أرك عن مهاجمة ايطاليا . وفي سنة ٤١٠ قضي على امبراطور الغرب ان يرى بأم عينه جند القوط يستولون على روميته نفسها (١)

(١٠٠٦) مهاجمة
القوط الغربيين
بلاد اليونان
وايطاليا (٤١٠ م)
واستولوا على
رومية (٤١٠ م)
وتاسيسهم
مملكة
في غالبا

(١) ايس بعد سنة ٤١٠ م بوقت طويل استولى الغالون على رومية (٧٥١ م) وبعد ذلك بسنين قتلوا
ستولى عليها القوط

ويعملون فيها ايدي السلب والنهب وهو مكتوف اليدين لا يبدي حركة . وبعد موت أرك لما ارتد القوط الغربيون من ايطاليا الى جنوب غاليسيا والى اسبانيا ، اضطر هونوريوس ان يعترف بمملكة القوط الغربيين التي شيدها هناك

وفيا كانت هذه التنقلات التي قام بها القوط الغربيون جارية في مجراها بعد سنة ٤٠٠ م ، كان القندال وشعبان جرمانيان آخران قد عبروا الرين ومروا بغاليا الى اسبانيا حيث التقى هولاء الشعب الثلاثة وانشأوا ثلاث ممالك جرمانية ، اعترف شعوبها بانهم اتباع لهونوريوس امبراطور الغرب . وبعد ان استتب للقندال المقام في اسبانيا اجروا عبر بوغاز جبل طارق واستولوا على الولاية الرومانية الافريقية (٤٢٩ م) وجملوها بمملكة افريقية اعترف بها ايضاً امبراطور الغرب . وبعد ذلك بامد يسير جاء ايضاً البرغنديون الجرمان ، وتزلوا بجوار القوط الغربيين وشيدوا مملكة في الجنوب الشرقي من غاليا

وفي اثناء ذلك كانت الشعوب الجرمانية المقيمة بسواحل البحر الشمالي قد عبرت المياه ونزلت بجزيرة بريطانيا . وبينما كان أرك ينهب رومية كان آخر الجنود الرومانية يغادر تلك الجزيرة . وفي غضون جبل واحد ، بعد ذلك ، كان الانجليز والسكسون من القبائل الجرمانية ، يؤسسون هنا ممالك لم تعترف بسيادة رومية . ولم يستطع الامبراطور الحميم الذي في غاليا ان يبدي اقل معارضة . ولا كان في طاقة امبراطور الغرب الضيف في ايطاليا ان يسترجعها . وكان ايضاً واهن القوة تجاه بقية الممالك الجرمانية في الغرب . ولم ينقض جبل واحد بعد ستة ٤٠٠ م حتى كانت المملكة الغربية قد تضاءت جداً وتعلقت حتى انحصرت ضمن تحرم ايطاليا فقط . وحتى هنا كان امبراطور الغرب العوبة في ايدي عماله وقواده الجرمان

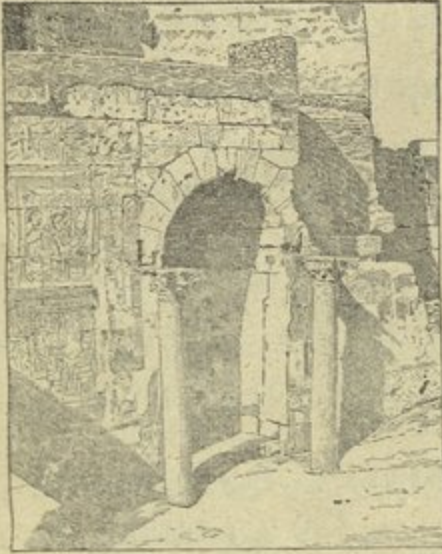
وفي هذه الحالة من الوهن ، كانت ايطاليا عرضة لهجومين مهمين . فان المملكة الشرقية لم تستطع ان تكبح الهونيين الذين اكرهوا القوط الغربيين قبلاً على عبور الدانيوب (ف ١٠٠٠) فظلت مملكتهم تتقوى ويمتد شأنها مدة جيلين من الزمان حتى صارت في حيازة ملكها اتلاً ، مملكة مترامية الاطراف تمتد من روسيا الجنوبية الى الرين . فجعل الامبراطورية الغربية تحت الجزية . وفي سنة ٤٥٠ م كان هو وجنده من البرابرة الاشداء الذين يُرهب جانبهم هاجمين على ايطاليا هجوماً عنيفاً لم يُنمّن الجنوب بثله فسارع القوط الغربيون وجرمان الغرب الى معونة امبراطور الغرب على العدو المشترك ونشبت معركة في سالون بفرنسا دارت فيها الدائرة على اتلاً فانهم سنة ٤٥١ م وارتد شرقاً ومات بعد سنتين في اثناء هجوم

(١٠٠٤) فابسي
مالك القندال في
اسبانيا وفرنسا .
البرغنديون في
غاليا

(١٠٠٥) حصار
الامبراطورية
الغربية بريطانيا
وانحصارها فست
حدود ايطاليا

(١٠٠٦) هجوم
الهونيين على ايطاليا
والغرب (٤٥٠ م)
٤٥٢ م اتصاله
القندال على رومية

قام به على ايطاليا فتمزقت مملكة الهونيين كل ممزق، واستراحت منها اوربا الى الابد . ولم تكد رومية تتخلص من ورطتها حتى قدم عليها الغندال بجرأ من قرطاجنة الى صقلية ثم ايطاليا . وفي سنة ٤٥٥ م استولوا على رومية . ومع انهم اخذوا منها كثيراً من الاسلاب والغانم ما خف حملة وغلا ثمنه لم يسوا مباني المدينة الفاخرة بسوء او ضرر بل ابقوا عليها جميعها كما فعل ألكرك وجماعته القوط الغربيون قبل هذا الوقت بنحس واربعين سنة



الشكل ٢٢٢ هو هيكل مصري تحول الى كنيسة مسيحية

منذ الف وخمس مئة سنة ، في ملك ثيودوسيوس (٣٧٩ - ٤٥٥ م) ليس قبل سنة ٤٠٠ م بكثير، أفلتت هياكل الآلهة القديمة التي حول البحر المتوسط . بامر عال من الامبراطور ثم تجرت تدريجاً كما نراها اليوم او ازدهت ضمنها أكلواخ و"عش" الفلاحين المبنية بالاجرا الجنت في حر الشمس . وفي بعض الاحوال كان الهيكل المخصص لعبادة الآلهة يحول الى كنيسة مسيحية . ففي هو هيكل لتصر في طيبة بمصر زرى الثراب الموقوس قد حفر في الجدار ليكون منبراً للواعظ . وقد نصبت اعمدة يونانية لكي تُنشر عليها مظلة كبيرة فوق الراس وغطيت النقوش الوثنية البارزة على الجدران "بورقة" من الجص رسمت عليها صور الفديسين . وقد سقط قسم كبير من هذه "الورقة" التي تشاهد الى يسار العمود الايسر وظهرت الصور الوثنية القديمة التي نراها اهد الى اليسار حيث برزت صور الآلهة المصرية القديمة لثرى ان الدين كانوا يمجدون لما قد بادوا

وفي ايطاليا ، وهي كل ما بقي من المملكة الغربية ، كانت السلطة كلها محصورة في القواد العسكريين الجرمان فكانوا يتصّبون الامبراطرة ويعزلونهم كما شاءت اهواؤهم . اما الآن فقد جاء الزمان الذي فيه يتوارون الى الابد . ومن غرائب الاتفاق ان آخرهم ذعي رومولس او غسطلوس اي رومولس « اوغسطس الصغير » فيكون قد تسمى باسم المؤسس الخرافي لرومية نفسها واسم مؤسس الامبراطورية . وقد خلعه العسكر الجرمانى ونصبوا مكانه احد هم المدعو اودواسر . فيكون قد زال سنة ٤٧٦ م اي بعد ثيودوسيوس بجيلين . آخر امبراطرة الغرب . وتكون المدة التي تولوا فيها الحكم الامبراطوري من

(١٠٠٧) آخر
الامبراطرة في
رومية ، رومولس
او غسطلوس، جول
وخلع قائد جرمانى
اودواسر

ابتداء ملك اوغسطس مؤسس الامبراطورية ، خمس مئة سنة او اكثر قليلاً وارسل القواد

الجرمان علماء الى امبراطور الجانب الشرقي مؤداهُ انهم يعترفون بسيادته . فصدر امره الى اودواسر ان يتولى زمام الحكم ويلقب « بنيل »

(١٠٠٨) تاسيس
ثيودورك مملكة
قوطية شرقية في
ايطاليا (٤٩٧ م)

وفي اثناء هذه الاورء طمأ تيار مهاجرة البرابرة مرةً أخرى فأحدث تغييراً جديداً في حالة الغرب . فان فرعاً شرقياً من القوط الذين دعوا بالقوط الشرقيين بقي مدة جيلين على ضفاف الدانيوب بعد مهاجرة انسابه (ف ١٠٠٠) ثم بدا له ان يهاجر جنوباً الى ايطاليا . وفي سنة ٤٩٣ م قام ثيودورك ملك هذا الفرع الذي هاجر حديثاً فخلع اودواسر وملك مكانه على مملكة قوطية شرقية ذات حول وطول . وكان ثيودورك - مع انه امي - ملكاً حكيماً متمدناً نهضت في مدة ملكه ايطاليا من كبوتها واستعادت قوتها بعد الكوارث التي حلت عليها . وامتدت سلطته على ايطاليا وصقلية وجزء من غاليسيا واسبانيا وخیل للملا مرةً ان الامبراطورية الغربية كانت على وشك ان ترجع تحت حكم امبراطور جرماني ولكن حدث ما منع هذا الرجوع الا وهو قيام يوستينيانس آخر امبراطور عظيم في المملكة الشرقية على عرش القسطنطينية

(١٠٠٩) فتح
يوسنيانيس للغرب
قالي مرةً نقلاً جزئياً

وبعد موت ثيودورسيوس (٣٩٥ م) تعاقب على عرش المملكة الشرقية حكام عرفوا بوهن القوى وضعف العزيمة حتى قام يوستينيانس وتوج امبراطوراً في القسطنطينية سنة ٥٢٧ م بعد قيام ثيودورك بجبل واحد . وكان يوستينيانس حاكماً من ذوي المواهب السامية والمهم العالية فكان جل ما يجله به إعادة الامبراطورية الى ما كانت عليه قبلاً من الاتحاد . فحاول ان يفتح الغرب وناط امر فتحه بقائده الهام بليساريوس الذي تمكن من قلب عرش مملكة القندال بافريقيا ثم سحق مملكة القوط الشرقية بايطاليا . فعادت سلطة الامبراطور الى ايطاليا وصقلية وافريقيا واسبانيا الجنوبية بالرغم من الثورة الشديدة التي حدثت في ايطاليا . ولكن يوستينيانس لم يصب في حكمه حين حكم انه يستطيع ان يتولى زمام عالم البحر المتوسط كله في الشرق والغرب . وبسحقه مملكة القوط الشرقية غادر ايطاليا ضعيفة لا تقوى على صد سيل مهاجرة البرابرة الذي كان مزماً ان يطمو ولا قوي خلفاؤه على الاحتفاظ بفتوحاته

(١٠١٠) مجموعة
يوسنيانيس

ولكن اذا كان الامبراطور قد اخفق سعياً في تحقيق الوحدة السياسية فانه فاز بتحقيق خطاه الكبيرة التي وضعها لتأسيس وحدة شرعية . وقد انتدب رجلاً من رجال القانون المتدرين يدعى تريونيانس ووكل اليه ان يجمع جميع السنن والقوانين التي سنت في عهد تساط رومية . منذ عصر اللوح الاثني عشر التي حطت عليها الشرائع (ف ٧٤١) قبل الف

سنة ٠ فكان يوستينيانس ، محوري الامبراطورية الرومانية ٠ وكانت القوانين التي سعى في جمعها وتنسيقها ثمرات اختبار اشهر رجال الادارة والحكم الذين نبغوا في العالم ٠ وقد حوت من المواد تقريباً كل ما هو ضروري للحكم في كل شأن من شؤون الحياة الاجتماعية والاعمال التجارية واصول المحاكمات الشرعية فكل هذه الاشياء قد تلافى امرها والحكم فيها القضاة الرومانيون ٠ وقد دُعيت مجموعة الاحكام التي عُني يوستينيانس بجمعها وترتيبها «بجلاصة القوانين» وصارت فيما بعد الاساس الذي بنيت عليه الشرائع ، ولا يزال معظمها اساس شرائع الشعوب المتعدنة اليوم

وفي مدة حكم يوستينيانس نالت القسطنطينية شهرة بعيدة واعترف لها القاصي والداني بالامتياز ٠ وانفق الامبراطور المال جزافاً على تجميلها بتشيد الهياكل القديمة للآلهة وبناء «الباسليقات» والمارسح المدرجة لان ثيودوسيوس آخر امبراطور على المملكة بتأمها كان قد حظر عبادة الآلهة القديمة واصدر امراً عالياً باقفال هياكلها ٠ وكانت المساعدة الاخيرة التي نالتها المدينة اليونانية القديمة من يوليانس ، قبل ذلك بمئتي سنة (ف ٩٩٢) ٠ ومنذ سنة ٤٠٠ م ترك الناس هياكل الآلهة الفاخرة وبلغوا في هجرها ٠ وقد كانت تزدان بها سواحل البحر المتوسط وتمتد الى النيل (ش ٤٦) واخيراً أهملت بالمرّة وصارت مأوى للبوم ٠ وتحول بعضها الى كنائس مسيحية (ش ٢٢٢) ٠ وقوّض يوستينيانس اركان الديانة الوثنية اليونانية باقفال مدارس الفلسفة التي تألفت منها جامعة اثينا لان الكنيسة المسيحية اعتبرت الفلسفة اليونانية معقل الوثنية الحصين ٠ وقد كانت المباني التي اختصها الامبراطور بثروته الطائلة ، الكنائس ٠ ولا تزال كنيسة اجيا صوفياً العظيمة التي شيدها في القسطنطينية موجودة حتى اليوم وهي ابهى وانخر الكنائس الاولى في الشرق

(١٠١١) نهاية
الهياكل القديمة

وكما تُظهر هذه البناية العظيمة اصلها الشرقي بهندستها كذلك اظهرت الكنيسة في الامبراطورية الشرقية اصلها الشرقي بتعاليمها ٠ وسعى يوستينيانس لتوحيد الشرق والغرب فاخفق سعيه ٠ ويعزى هذا الاخفاق الى حسد الكنائس الشرقية وقوة الكنيسة الغربية ٠ وكان الحرق بين الكنيستين الشرقية (اليونانية) والغربية (اللاتينية) يزيد اتساعاً على مرور الايام لانه بينا كانت تجزئة المملكة الغربية لا تزال جارية مجراها كما راينا قبلاً اخذ يظهر في رومية امبراطور للكنيسة ورث معظم القوة التي كان قد فقدها امبراطور الغرب ٠ وكما كان مملكة شرقية ومملكة غربية كذلك كان مزماً ان يكون كنيسة شرقية وكنيسة غربية ٠ والى هذه الكنيسة الغربية يجب ان نلتفت الآن

(١٠١٢) انفلاق
الكنيسة الى شرقية
وغربية

١٠٠

غلبة الكنيسة الرومانية وتسلطها على الامم الغربية

ان مدينة رومية المكرمة التي بقيت قروناً مديدة سيدة العالم ، نالت قسطاً كبيراً من الاحكام والاحترام حتى بين البرابرة . فالقوط والثندال وقفوا في ظل مبانيها العمومية الفاخرة موقف الخشية والاحترام وغادروها دون ان يضرّوها بشي . وظلّت رومية بجبال واناقة تلك المباني ، اعظم مدن الدنيا لا ينافسها في ذلك سوى القسطنطينية والاسكندرية ، المدينتين الملكيتين الاخرين فلا بدع اذا حاز اسقف رومية مقاماً لا يُسامى عزّاً واحتراماً لانه حين هدّد القوط المدينة - وفي احوال أخرى عصبية نتجت عن دخول البرابرة البلاد - برهن عن مقدرة جعلته زعيم ايطاليا السياسي الفرد ان لم نقل زعيم الغرب بأسره . ولا مرأه في ان تأثيره الشخصي كان العامل الاكبر الذي بعث القوط والثندال على احترامهم للمدينة الذي ظهر في ابقائهم على مبانيها

وفي الوقت نفسه قام في الكنيسة في سائر اقطار الغرب رجال من ذوي المقدرة العظيمة . ويصدق هذا القول بنوع خاص على الولاية الرومانية المسماة افريقيا ، وراء قرطاجنة ، حيث نبغ الكتبة المسيحيون الاولون الذين يعدّون من الطبقة الاولى بين ارباب الاقلام . واصبح اسقف قرطاجنة بعد قليل ، مناظراً لاسقف رومية . وتذكرنا مناظرة هذين الاسقفين الكبيرين في العصر المسيحي بالتزاع القديم الطويل الذي وقع بين تينك المدينتين . فهنا ، في افريقيا ، نبغ في ايام ثيودوسيوس اوغسطينوس ، اعظم مفكري الكنيسة الاولى . وفي تلك الايام بعد ما نهب أرك رومية وظهر للملا ان الحكومة الزمنية متداعية الاركان ، كتب اوغسطينوس رسالة نفيسة سماها « مدينة الله » قاصداً بهذه التسمية حكومة الله . وما قاله في رسالته المشار اليها عن ملكوت الله انه ملكوت غير منظور مضادٌ للملك هذا العالم ، واسمى منها كلها . وجميع المؤمنين المسيحيين رعيةً فيه . الا ان اوغسطينوس قلباً مبرّ بين هذا الملكوت غير المنظور وبين الكنيسة المنظورة ذات الاساقفة والكهنة . فحض جميع المؤمنين على ان يخضعوا قلباً وقالباً لسلطة هذا الملكوت الخالد اي الكنيسة .

(١٠١٣) بروكتر
روسة التريست
واسنبا

(١٠١٤) نسام
رجال من اصحاب
الفسوذ في الكنيسة
الافريقية منذ
اول عهدنا .
اوغسطس

فكانت للكنيسة بمقتضى تعليم اوغسطينوس ، السلطة المطلقة على معتقدات الناس . وقد حدث ذلك في نفس الوقت الذي اصدر فيه ثيودوسيوس امره باقفال هياكل الالهة القديمة . فزى ان الحكومة ايضاً كانت تستعمل قوتها لالغاء سائر المعتقدات الاخرى . وبذلك ايدت سلطانها على اجساد وعقول رعاياها . ووفقاً لهذه الفكرة أقفل يوستينانز جامعة اثينا لوقف حرية الفكر وتعليم الفلسفة القديمة (ف ١٠١١) فاضاف اوغسطينوس الى تسلط الحكومة على معتقدات الناس ، سلطة الكنيسة . وهكذا قضى على الحرية العقلية في العالم القديم بالاعدام

وفوق ذلك كله ، اعترف اوغسطينوس برئاسة كنيسة رومية . وبذلك اضاف نفوذه الى الميل الذي كان يشعر به الناس منذ امد طويل (ف ١٠١٣) لانه كان قد شاع الاعتقاد ان المسيح منح الكنيسة قوة عظيمة بشخص الرسول بطرس . ومع انه كان معروفاً ان يولس كان قد علم وبشر في رومية ، جاء في تقليد قديم ان بطرس أسس الكنيسة فيها وصار اسقفاً عليها . وشاع اعتقاد ان بطرس قد اورث خلفاءه ، اساقفة رومية ، سلطانه فايد هذا التقليد ثبوت رئاسة اسقف رومية

(١٠١٥) ترايد
سلطان
كنيسة
رومية

ولما ترايد عدد الذين انقطعوا عن الاعمال العالمية وتألفوا جماعات ضمن الاديرة لكي يعيشوا عيشة مقدسة ويحماوا الايمان المسيحي الى برابرة الشمال ، قبلوا هذه المعتقدات من جهة كنيسة رومية . وكان الرهبان يعلمون البرابرة ان للكنيسة سلطاناً على الحياة الآتية ولما كان اولئك البرابرة الشماليون المشبعة عقولهم من الحرافات يذوبون فرقا من مجرد ذكر العقابات المخيفة بعد الموت ، اذعنوا حالاً لهذه التعاليم واعتقدوها . فصار للكنيسة سلطة عظيمة عليهم . واستقل بهذه السلطة اسقف رومية استقلالاً تاماً

(١٠١٦) قيام
رهبان
مسيحيين
واقتدار
الكنيسة
الرومانية
في الشمال

ولما تعد السلطة السياسية قادرة على ضبط شؤون البرابرة ، قامت سلطة الكنيسة بما عجزت عنه الحكومة وكبحت جماهم بتدبيرها اخلاق المتسلطين عليهم وتغيير طبائعهم الشرسة . وحين وهنت قوى الحكومة الرومانية وانقضت زمن بطش كتابها التي كانت تذود عن حياض مدينة البحر المتوسط ، استطاعت الكنيسة التي حلت محلها ، ان تنقل السلطة من الامبراطورية الى البرابرة في الغرب دون ان تقوض اركان المدنية ، التي تركها اليونان والرومان إرثاً ثميناً للعالم

(١٠١٧) ائمة
فانحدر
الكنيسة
في
البرابرة

وبعد موت يوستينانز باقل من جيل نبغ في رومية اسقف يُعرف بغريغوريوس الكبير برهن على انه السياسي الحكيم والاداري القدير فوطد اركان رئاسة الكنيسة الرومانية

(١٠١٨) غريغوريوس
الكبير أمقله
رومية (١٠١٠-
١٠٦٤)

توطيداً تاماً . ولما كان يوستينيانس بتدمير مملكة القوط الشرقية (ف ١٠٠٩) قد غادر إيطاليا تحت رحمة مناوئها من الخارج ، أقدم على مهاجمتها اللبارديون (ذوو اللحي الطويلة) أحط البرابرة الجرمان في سلم المدنية ، واحتلوا وادي البو بلا مقاومة . وكان هولاء اللبارديون منقسمين الى جماعات صغيرة وضعيفة نوعاً فذلك لم تخلف الامبراطورية الغربية الساقطة ، امة مقتدرة ثابتة في ايطاليا . فكان ذلك مندوحة لاساقفة رومية ان يجعلوا انفسهم قادة ايطاليا . وارسل غريغوريوس رهباناً مبشرين الى بريطانيا . فشيّد بذلك صرح الديانة المسيحية في انكلترا بعد مغادرة الكتائب الرومانية لشواطئها بمئتي سنة

(١٠١٦) قسم
الفرنكيون وحفظه
النصر

وسرى تأثير الكنيسة الرومانية ايضاً الى ما بين الفرنج الاشداء (ف ٩٩٨) وهم طائفة من القبائل الجرمانية على الرين الاسفل . اعتنق ملكهم كلوئس الديانة المسيحية قبل سنة ٥٠٠ م بقليل وافلح بان لأم القبائل الفرنجية معاً . وكانت المملكة التي غادرها تنمو نمواً مستمراً مدة تربي على قرن من الزمان قبل عهد غريغوريوس . وبعد موت غريغوريوس كانت المملكة الفرنجية تشمل على جزء كبير من غرب اوربا - على البلدان التي تدعى الآن هولاندا ، وبلجيكا ، وفرنسا ، فضلاً عن القسم الغربي من جرمانيا . ولكن ما انتصف القرن السادس حتى كان ملوك الفرنج قد امسوا تحت سلطة أسرة قوية من قهارتهم دُعي اعضاؤها « بحفظ القصر » وكانوا في عين الحقيقة القوة الحاكمة وان كان حكمهم باسم الملك . وبعد سنة ٧٠٠ م كان شارل مارتل ، حافظ القصر ، هو الحاكم الحقيقي في المملكة الفرنجية العظيمة ، وهو الذي طُلب منه ان يبرز لمصادمة القوة الجديدة التي ظهرت في الشرق . وكان هذا الشرق قد انتمش حديثاً حين اجتازت جيوش الاسلام الى غاليا سنة ٧٣٢ م وعند هذا الحد نترك تاريخ غرب اوربا السياسي على امل ان نعود اليه في كتاب ثانٍ

(١٠٣٠) الحفاة
المدنية في الكنيسة .
حافظت الكنيسة
على آداب اللثة
اللاتينية

كان بدء تأسيس الكنيسة بين اهل الطبقة الجاهلة المنحطة من الناس (ف ٩٥١) فلم يكن لديها شي . من مدينة اليونان ولا علومهم ولا فنونهم لكنها بالتدريج حصلت على ذلك بقيام رجال على شاكلة اوغستينوس . ويعزى الفضل الاكبر في حفظ ما بقي من آداب اللغة اللاتينية الى مكاتب الرهبان في الاديار والى الهمة التي بذلوها في نسخ المؤلفات الادبية القديمة . واقدم ما لدينا الآن من اهم النسخ الباقية كإنيادة فرجيل (ف ٩٨١) ، هي مخطوطات مكتوبة على رق ومحفوطة في مكاتب الرهبان المسيحيين

(١٠٣١) الكنيسة
الباصلية واصحابها
الغربي

وكان ارتقاء الفنون بين المسيحيين الاولين بطيئاً . فانتفضى الف سنة او تزيد دون ان يقوم بينهم مصورون او نقاشون يستحقون ان يقابلوا برصفانهم في بلاد اليونان . ولكن

الحاجة الى وجود اماكن للاجتماع ادت الى نبوغ بنائين من الدرجة الاولى بين المسيحيين
الاولين فبنوا في عهد قسطنطين اماكن للاجتماع مهيبة جداً على نمط الباسيليكا التجارية
القديمة لانهم كانوا تحت تأثير هذا النوع من البناء بنوع خصوصي . ولا يزال القوم يدعون
هذا الضرب من البناء بالباسيليكي دلالة على شكله . ولنا في الكنائس المبنية على نمط
الباسيليكا خلاصة ذلك التطور الطويل الامد في هندسة البناء مدة ثلاثة آلاف وخمس
مئة سنة من اقدم المناور (Clerestory) في اهرام الجيزة الى الكاتدرائية المسيحية (ش
٢٢٣)

وكذلك برج الكنيسة الذي لم يكن في الاصل الا جزءاً منها هو سليل برج هيكل
بابل (ش ٢٢٤) فقد وجدت ديانة يسوع ، المعلم الشرقي ، ملاذاً لها في مبان انيقة شرقية
الاصول . وهذه المباني المسيحية (الكنائس والابرار) كالديانة التي حتمها ووقتها ، مثال
عجيب لتطال العالم الاوربي الى ذلك الشرق القديم الذي منه ابتداء تاريخ الحضارة والعمران
ايام كانت اوربا لا تزال تنسكع في ظلمات العصر الحجري . وقد قيض لذلك الشرق
القديم الذي بقيت حضارته حية بجمية اوربا ان ينهض مرة اخرى لكي يتسلط على البحر
المتوسط كما تسلط عليه مراراً من قبل . فالى هذا النهوض الاخير في الشرق نوجه الافكار
الآن

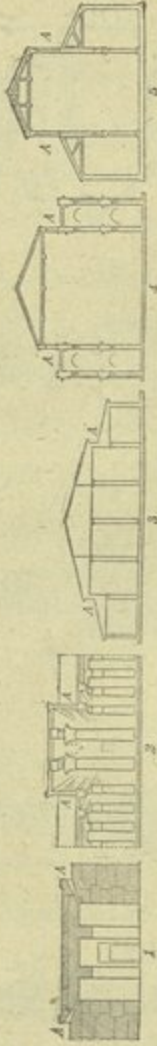
(١٠٢٢) ارج
الكنيسة واسلمة
الشرقي

١٠١

انتعاش الشرق الاخير ورواد ام اوربا الحديثة

كان يوستينيانس الذي احاطت مدة ملكه باثلاث الثاني من القرن السادس ب . م .
كما مرّ معنا قبلاً آخر مالك عظيم على المملكة الشرقية الا ان المساعي التي بذلها لتوحيد
المملكتين وزخرفة عاصمته كانت شوماً على البلاد فانه استنفد قوى مملكته في سبيل
استرجاع الغرب في حين كان من الواجب عليه استنفاد تلك القوى في الدفاع عن نفسه وصد
هجمات الفرس على الحدود الشرقية مرة بعد مرة . واستنفد ايضاً ماله في نفقاته الطائلة
على تشييد كنيسة اجياً صوفياً الفاخرة ففرغت الخزينة وسقطت الحكومة في هوة الافلاس
ولم تنهض من سقطتها التي جلبها عليها يوستينيانس بنا ارتكبه من الخطا . وبعد وفاته دخلت

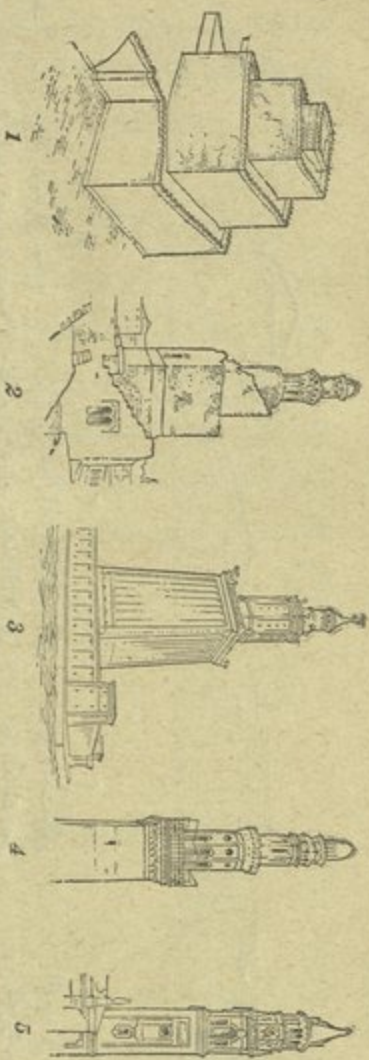
(١٠٢٣) الخطا
المملكة الشرقية
بهدموت يوستينيانس



- ١ أقدم بناية ذات منور
في الجزيرة بصر (القرن
التاسع والمثرون ق ٢٠٠)
- ٢ بناية ذات منور
في الكرك بصر
٢٠٠٠ ق ٢٠٠
- ٣ بناية من النوع المعروف بالباسليكا
بوليوس قيصر في رومية
(القرن الأول ق ٢٠٠)
- ٤ الباسليكا التي شادها
بوليوس قيصر في رومية
(القرن الأول ق ٢٠٠)
- ٥ كنيسة مهيبة على نمط
الباسليكا (القرن
الرابع م ٠٠)

الشكل ٢٢٢ كنيسة من النمط الباسليكي واصولها الشرقية

القسم الأوسط (الصحن) له نوافذ (A) في الجدران المرتفعة عن سائر السقف لتعمل النعمة المحاطة من فرق العلو بين سقف القسم الأوسط من البناية (الصحن) وسقف الجناحين وبذلك انقسمت البناية الى ثلاثة اجزاء او عاشر. وهذه المندسة هي الصفة المخصوصة المميزة للكاتدرائيات التي من النمط الباسليكي. ويعد أول اشارة لك هذه المندسة في اهرام الجزيرة (ش ٥٥) كما يرى في الرسم اعلاه (١) فان شبايك منورها (A-A) التي هيبت في القرن التاسع والمثرون ق ٢٠٠ لم تكن إلا مناقل صورة للدور وفي انباء الف وخص منه سنة كبرها مهندسو البناء المصريون حتى صارت في الكرك، شبايك عالية فاخرة (A-A). وفي العصر العربي (أي بعد زمن الاسكندر) اخذ اليونان هذا الطراز من البناء وركبوه مع سطوحهم المائلة كما يشاهد هنا في البناية القهريه التي بناها الفرساويون في جزيرة ديلوس (A-A). واليونان م الذين دعوا هذا الشكل من الابنية بالباسليكا (٢٣٠-٢٤٦). وفي القرن التالي ق م استعمل هذا الشكل من البناء في رومية في بناية الدوق (ش ٢٤٦-٤٤). واخيراً نقول ان هذه البناية الباسليكية القهريه التي شيدها اليونان والرومان كان لها تاثير قوي في عقول مهندسي البناء المسيحيين الاولين حتى اهتم احدهم منا هنا في بناء كاتسهم (٥) فلما هنا تطورت في هندسة البناء مدنة ثلاثة آلاف فارص مئة سنة ابتداء في الشرق مند ٢٠٠٠ ق ٢٠٠ تقريباً فاطمى بالكاتس السهيبة في القرن الرابع م ٠٠



النكل ٢٢٤ مروج الكنيسة المسيحية وامانة الشرقي

البرج كتملك لخدمة البناء ظهر أولاً بجانب المساكن البابية (ليس بعد سنة ٢٠٠٠ ق.م بكثير) (ف ١٥٨) الخطبة المشهورة ربون عن البابليون (٨١) . وقد رسمت البنية الجبرمانية في النور بناء اقدم التكالو في مدينة النور كما هو مبين في الرسم افلاذ (١) واحسب صورة بابه الى الآن مثل هذا الشكل وتدل على دمايو مدى التورون ، هي متماز اخط جوامع القاهرة القديمة (٢) التي بنساها ابن طولون في القرن التاسع لسيح ولا يزال المبرج حتى الآن يحيط بالبرج المربع . وكان اهل البابية يورق البرج موزاناً من اقسام مستديرة وكانت هذه الاضافة تقليداً لمازارة الاسكندرية القديمة (٣) التي كان فيها فوق البرج المربع الشكل قسم ذو ستة جوانب بني فورة قسم مستدير جعل فيه البرج (٤) وقد دام هذا النمط الثلاثي الاقسام (الاسفل مربع والوسط مستدس والقبعة مستديرة) في كثير من ماكن الجوامع الاسلامية بناء المائز الاسلامية . وكثير من ابرج الكنائس المسيحية القديمة في الشرق ولا سيما في سورية تثير عظيم في طراز بناء المائز الاسلامية . وكثير من ابرج الكنائس في اورشليم ذات الاقسام الثلاثة المندس في الوسط والمربع في الاسفل والمستدير في الاعلى يدل عليها على اصمها الشرقي كما يرى في المثال افلاذ (٥) وهو برج كنيسة مار يوحنا في بارما بايطاليا . وفي الارجاج كما في المانور (٦) ترى تطوراً بنائياً من بلاد الشرق الى بلاد الغرب . ايضاً منذ ٢٠٠٠ ق.م وهو يحيط بتاريخ ثلاثة آلاف الى اربعة آلاف سنة

المملكة في طور انحطاط مستمر

وفي اثناء ذلك حصل هجوم جديد من قبائل بربرية كان داعية لدخول الصقالبة الى المملكة . وكان هولاء من الشعوب الهندية الاوربية الا انهم ليسوا بجرمانيين انما لوالوا على شبه جزيرة البلقان ووصلوا الى ابواب القسطنطينية بل الى بلاد اليونان . وبعد قليل استولوا على الارض التي لا يزالون يحتلونها في تلك الجهات . وفي هذه الاحوال لم تعد المملكة الشرقية في القسطنطينية رومانية ، اكثر مما كانت الحكومات الجرمانية الجديدة رومانية وان كانت سليلة الامبراطورية الرومانية بسلسلة متصلة لم تنقطع قط ، بل اصبحت بالنظر الى سكانها ومدنيتها حكومة شرقية يونانية صقلبية

وكان جزء كبير من املاك الامبراطور الشرقي واقفاً في الشرق . وكانت هنالك قبائل سامية قوية مزعومة ان تهاجم تلك الاملاك وتستولي على قسم عظيم منها كما هاجمت بلاد بابل من قبل قبائل رحل من هذا الطراز بقيادة سرجون وحمورابي او كما زحف العبرانيون من القفر واستولوا على مدن فلسطين (ف ١٤١ و ١٧٢ و ١٨١) وكان آخر واعظم الحركات التي قام بها الساميون الرحل موشكة ان تقع الآن . ولكن تاريخ الدولة الاسلامية العظيمة واتساع نطاقها يدخلاننا في عصر جديد من عصور التاريخ هو من متعلقات الكتاب الثاني الذي سيتلو هذا ان شاء الله

لو نظرنا الى خريطة العالم في بدء القرن السابع لرأينا في وسطها البقية الباقية من الامبراطورية الرومانية وهي تُرني قليلاً على شبه جزيرة البلقان واسيا الصغرى وسورية ومصر ولرأينا الغرب الذي فقدته تلك الامبراطورية تتكون منه الممالك الجرمانية التي شيدها الشعوب الذين كانوا يُدعون قبلاً برابرة الشمال . وكانت الامبراطورية على وشك ان تحترق القطرين الشامي والمصري ببزوغ نجم الخلافة في أفق الشام . وهكذا اصبحت الاقطار الغربية من الامبراطورية الرومانية ممالك جرمانية . وكانت جماعير غفيرة من الصقالبة في الشمال والغرب تتحفز للوثوب وتتوعد بمهاجمة عالم البحر المتوسط بمهاجمة تشيب من هولها الولدان . ومن اجزاء الامبراطورية هذه ، والامم التي تكونت حديثاً من شعوب الشمال تولدت امم اوربا الحديثة . في فرنسا واسبانيا وايطاليا ، بقيت اللاتينية لغة شعوبها التي تحولت بعدئذ الى الفرنسية والاسبانية والاطالية واما في جزيرة بريطانيا فكانت اللغة الالمانية التي تكلم بها الانكليز والسكسون (ف ١٠٠٥) هي الاصل الذي بامتزاجه بكثير من اللاتينية والفرنساوية ، حصل اللسان الانكليزي وكتب بحروف رومانية موروثه من بلاد اليونان وفينيقية ومصر (ش ١٢٣)

(١٠٢٤) هجوم الصقالبة - للمملكة الشرقية لم يبق رومانية

(١٠٢٥) هامة السلام التقدم في الفرق

(١٠٣٦) ظهور رواد ام اوربا الحديثة

١٠٣٢) نابورومية
الحالد في اوربا
الحديثة

لقد غادرت رومية طابعها على شعوب اوربا ولا تزال آثار ذلك الطابع باقية ليس فقط في اللغات التي يتكلمون بها ويكتبون بل في كثير من شؤون الحياة المهمة ايضاً ولا سيما الحكومة والقوانين او الشرائع . فلنا في الشرائع الرومانية التي لا تزال لها مكانة سامية في الحكومات الحديثة ، ذلك الابتداء العظيم الذي أنتجته العميقة الرومانية وكان له بعد ذلك تأثير عظيم في العالم الحديث يفوق كل تأثير المنشآت الرومانية الاخرى . ومن المآثر التي خلقتها رومية نشرها في جميع الاقطار تلك المدنية التي استتب لليونان ان ينشئوها باحتكاكهم بالشرق ونفجها لها بذلك النظام الذي كان يعوزها في عهد اليونان . وقد دام هذا النظام المفريد - وان كان قد تحول الى استبداد شرقي - خمسة قرون من الزمان ثابتاً امام مهاجمات البرابرة من الشمال . ولولاه لكانت تلك المهاجمات قلبت بلاد اليونان المختلة الاحوال راساً على عقب قبل الآن بامد طويل . فكانت الدولة الرومانية آخر حصن منيع للحضارة على بحر الروم تجاه اولئك البرابرة الذين هم من الاصل المندي الاوربي . وهذا الحصن وان يكن قد ترزعزع لم يهدم من جرأه الغارات العدائية من خارج بل من الفساد الداخلي

لم تسقط رومية تلك الامبراطورية المترامية الاطراف بل بقيت منها بقية في الشرق . وكان امبراطورة القسطنطينية ينتسبون الى اوغسطس بسلسلة من الاسلاف متصلة الحلقات . وقد تبوأوا سرير الملك كخلفاء له . وبما ان القسطنطينية أسست في موقع مدينة يونانية قديمة واقعة في وسط الشرق اليوناني فقد كانت دائماً يونانية في لغتها وحضارتها . ولكنها كانت في الوقت نفسه شرقية ايضاً بدرجة عظيمة . ومع ذلك كله لم تترك تقاليد الحضارة اليونانية القديمة كلها قط . ولم ينطن فيها قبس المعرفة كما انطفأ في الغرب ولا انحطت فيها الفنون كما انحطت فيه . ولنا انحطت رومية ارتقت القسطنطينية وصارت اعظم وابهى مدينة في اوربا تشير في زواجرها عوامل الدهشة والاعجاب . وهذه البقية الباقية من الامبراطورية العظيمة التي ساغ لها ، بحق الخلافة ، ان تدعى رومانية ، دامت الف سنة بعد افتتاح الجرمان للغرب ولكنها في سنة ١٤٥٣ ب م سقطت في ايدي الاتراك ولا تزال في حيازتهم حتى الآن

(١٠٢٨) بقا جزء
من الامبراطورية
في القسطنطينية .
متوسط سنة ١٤٥٣
ب م

١٠٢

التفان إلى الماضي

كان في عداد الحوادث العظيمة البارزة في تاريخ القرون الأخيرة للمملكة الرومانية، عدا الانحلال الداخلي الذي مُنيت به رومية و عدا انتصار الكنيسة المسيحية، بحادثة دخول البرابرة التي كانت نتيجة امتداد حضارة البحر المتوسط بفعل تأثير الكنيسة خصوصاً، وانتقال حياة سكان الشمال من الحشونة إلى المدنية. وعند هذه النقطة نرى أنفسنا قد

(١٠٢٩) من
فاس السند الف
الحضارة المسيحية
في شمال أوروبا
مدة خمسين الس
سنة



الشكل ٢٢٥

مر بنا هذا الرسم حالة أوروبا في أوائل العصر الحجري قبل الآن بخمسين ألف سنة على الأقل حين شرع الإنسان في سبره صعداً على طريق بعيدة الشقة كبيرة المشقة - أوعلمها الإنسان مدى الأجيال التي مرت عليه تارة يتقدم في المدينة وطوراً يتهمتر

رجعنا القهقري إلى بلدان أوروبا الشمالية والغربية حيث ابتدأنا أولاً درس حياة الإنسان القديم. وهناك بين آثار العصر الحجري المنحط أخذت الكنائس المسيحية تظهر الآن. وبعد أن

كان وجود الكتب والحكومة المتقدمة قبلاً محصوراً في سواحل بحر الروم زاهٍ قد اتصل الى سواحل اوربا الشمالية حيث كانت الاعشاب واشجار الغابات العظيمة ثابتة على كؤم الاصداف التي غادرها الشماليون من اهل العصر الحجري^١، واي مجال فسيح من سيد الانسان في مضمار الرقي يتجلى امام خيالنا حين نتصور اولى ابراج الكنائس قائمة بين قبور انسان العصر الحجري الضخمة

قد راقبنا اهل اوربا في اثناء جهادهم في سبيل الارتقاء الوفاً من الستين مدة همجية العصر الحجري • وعند نهاية ذلك الجهاد، كانت شمس المدنية آخذة في البزوغ من الشرق وراينا حينئذ على تخوم الشرق اوربيي العصر الحجري في بلاد ايجيه يقبسون المدنية من وادي النيل وينشئون لانفسهم عالماً متمدناً عجيباً • ولكن طأ على هذه المدنية الايجية الراقية، التي هي اقدم مدنيات اوربا، سيل من برابرة الجنس الهندي الاوربي الذين نسميهم باليونان (ف ٣٨٦) فاغرقها ومحا آثارها • فزالت الفنون والكتابة وصناعة بناء المنازل والسفن التي كانت قد نشأت على تخوم الجنوب الشرقي من اوربا • وتلاشت المدنية من اوربا بقدم اليونان الرحل الذين جاؤوا من نواحي الدانيوب • ولو لم يحتفظ الشرق بالمدنية التي هو مهدها لكانت غنت آثارها بالمرّة • ولذلك اصبح في طاقة جنوب شرق اوربا الذي كان في حياة اليونان، ان ينهض مرّة أخرى ويتناول من الشرق الكتابة والفنون وصناعة بناء المنازل والسفن • اشياء أخرى كثيرة من مقومات المدنية • وهكذا فعل • وبعد ان وقفت اليونان المدنية في اوربا مدة تربي على الف سنة غادروا هجيتهم الاولى (انظر ش ١١٩) وسعوا حثيثاً لترقية العلوم والمعارف بينهم حتى بلغوا من التهذيب والحضارة درجة سامية ورفعوا المدنية الى مستوى لم تبلغ اليه من قبل • ولما انقضت برابرة الجنس الهندي الاوربي مرّة ثانية من الشمال على سواحل البحر المتوسط كان الحكم الروماني واقياً للمدنية من التدمير • وهكذا تركت بقية كافية من المدنية التي شاد صرحها الشرق واليونان لكي تعود بعد تراث طويل الامد فتظهر في اوربا ويتناولها العرب في الشرق ويكيّفونها فتصبح كما نجدها الآن

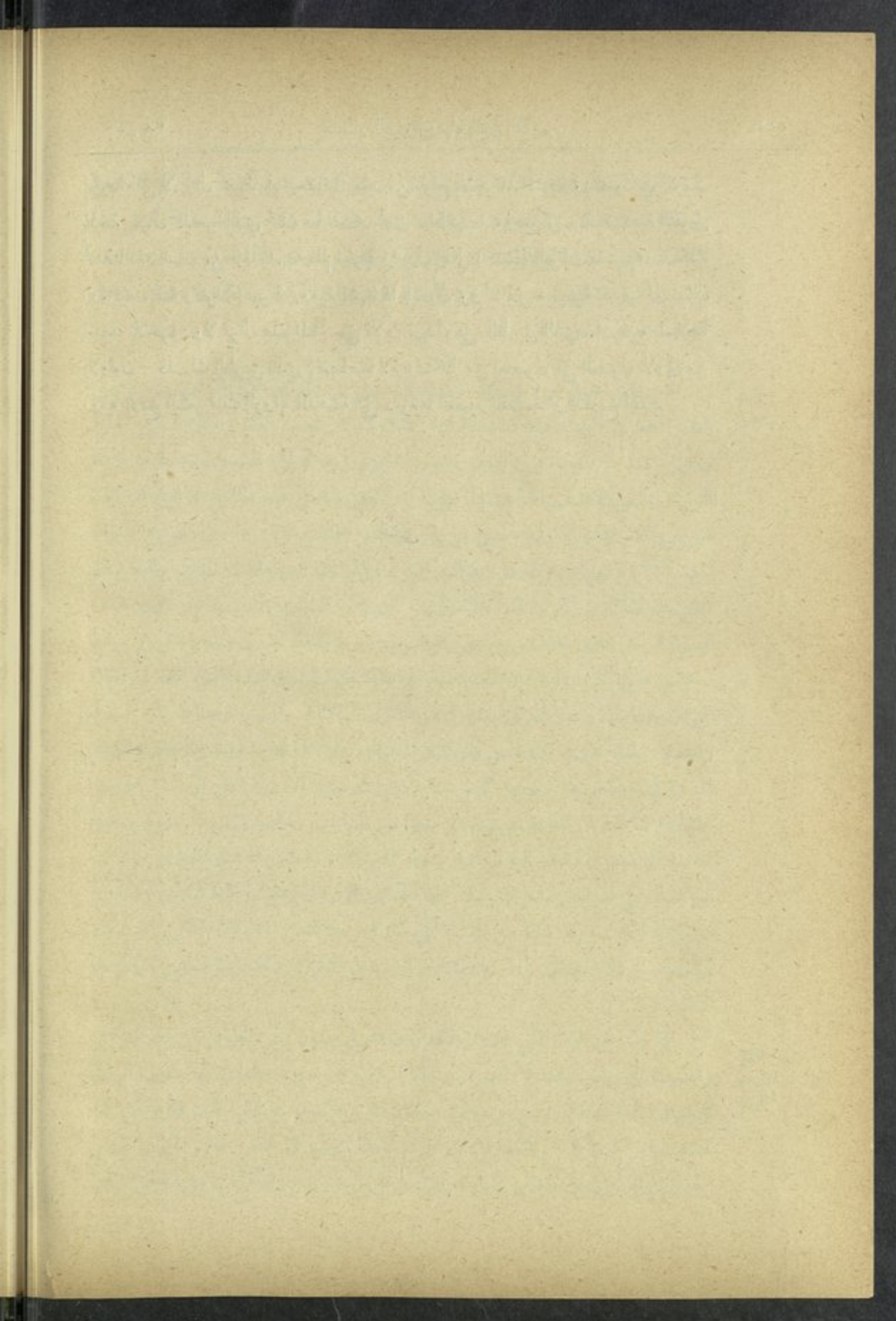
(١٠٢٠) النزاع
الطويل بين هجيتة
والهنية

(١٠٢١) الآثار
التي نجدها حتى
هنا على الفارج
القدم

اذا بحثنا عن الآثار التي غادرها الانسان ورائه في غضون سفره الطويل من قفار التوحش والهمجية الى رياض الحضارة وال عمران وجدنا انها فؤوس حجرية مطبورة في الحصى والرمال في انهار فرنسا، وبقايا مراعيين وادوات سكان القرى السويسرية التي كانت تقوم على عمد خشبية مركوزة في قعر البحيرات، واهرام شاهقة، وهياكل فاخرة تعلن اشراق شمس الحضارة وال عمران على ضفاف النيل، وتلال بارض الرافدين قد تكوّنت من انقاض المدن

الحربة التي لا يزال مخبوتاً في احشائها كثير من الواح الاجر المكتوبة ، وقصوراً في كريت
 باذخه حيال البحر الذي كان فيما غبر تحت سلطانها ، وهياكل يونانية بديعة النقوش
 تحدثنا بغير لسان عن عالم جديد-عالم الحرية والجمال الذي اكتشفه اليونان انفسهم ، وسلك
 رومانية متقنة وقنوات عجيبة برومية تشهد لها بالتفوق ، وكنائس مسيحية تدعو الى مثال
 جديد للاخوة . ولا تزال هذه المعالم حتى الآن تدل على الطريق الذي سار عليه اسلافنا
 الاولون - ذلك الطريق الذي باقتصاصنا لاثره تمكنا من الحصول على الفصول الاولى من
 رواية تاريخ البشر تلك الرواية المدهشة التي دعوناها العصور القديمة او التاريخ القديم

انتهى



فهرس

الوجه	ا	الوجه	ا
٣٤٠ و ٣٢٥ و ٣٢٤	ايسمننداس	١٨١	ارهميم
٧٢ و ٥٦ و ٥٥	ابني الهول	١٠	الابرة
١٠٨	اتانا	٣٠٦ و ٢٩٧	ابقراط الطبيب
	الآتريسيون	٣٤٣ و ٣٤٢ و ٣٣٦	ابقراط
٢٥٢	اليونان بناجرون معهم	٣٨٠	ابلاس
٤٠٠	مجوم على ايطاليا	٣٢٧	ابلودورس
٤٠٢	انتصار اليونان عليهم		ابلون
٤٠٢	احتكاكهم مع الايطاليين		ماهو
٤٠٤	مبادلاتهم التجارية مع اللاتين	٢٣٧	مجلسه في دلفي
٤٠٥	استيلائهم على رومية	٢٤٩	الطعامه يشيدون مقدم هيكله من رخام
٤٠٦	يقبلون المدينة اليونانية	٢٦٥	اعتقاد الناس به
٤٠٧	طرده ملوكهم من رومية	٢٦٦	ما نقش فوق باب هيكله
٤٠٩	تكفيتهم	٢٧٠	يخظنون في هيكله التبرعات
٤١٤	تدمير اسطولهم	٢٨٢	نيته
٤١٤	منازعاتهم مع الجمهورية الرومانية	٤٠٩	اروغه طس يشيد هيكله جديدا له
٤١٥	اتحادهم مع السنين والعاليين ضد رومية	٤١٠	
٤١٦	الرومان يتزعجون منهم	٤١٦ و ٤٠٠	الايثين
٥٥٤	الآتراك	٤٦٨ و ٤١٧ و ٤١٦	ايروس
٧٧	آتون	٣٩١	ايبكوس
٥١٢	اتس	٢٩٢ و ٢٩١	الايغوربون

الوجه	ا	الوجه	ا
٢٨٤	مجالسها الثلاثة	٥٤٣	أثينا
٢٨٤	الحرب البحر فيها		اتيكسا
٢٨٥	مينارها الجديد	٢٤٢	اينما تضم جميع الممالك الصغيرة فيها
٢٨٥	لنقودها المتراكمة في عالم البحر المتوسط	٢٤٥	تحويل ثلثة ملوكها الى مياكل مقدسة
٢٨٦	سبارطه دزنها ماليا	٢٤٦	بلوغ تجارها درجة مهمة
٢٨٧	تخصيباتها وحروبها مع الفرس وسبارطه	٢٦٠	صولون ينقدها من ضائقة اجتماعية
٢٨٧	تمقد صلحا مع سبارطه	٢٧٢	نزول الفرس فيها
٢٨٩	المهينة الاجتماعية فيها	٢٧٧	زحف الفرس عليها
٢٩١	مظاهر منازلها	٢٧٩	الفرس فيها
٢٩٢	الرياضة البدنية فيها والمخدمة العسكرية	٢٨٩	الاثينيون يتماطلون للثلاحة فيها
٢٩٥	الموت بين احداثها وشيوخها	٢٩٢	المخدمة في ثغورها لا تنهاء مدة الجندي اليوناني
٢٩٦ و ٢٩٥	الحالة العلية العمومية فيها	٢٠٩	الجنسية الاثينية لسكانها
٢٩٧	تأثير خدمة حكومتها في ابناءها	٢١٠	سكان شمالها يعادون اثينا
٢٩٨	حالتها الدينية	٢١٢	الكبيادس يجرها الى غار الحرب
٣٠٠	مبالي حكومتها	٢١٥	حامية سبارطه فيها
٣٠٥-٣٠٢	شعبها والكتب والروايات والمرح فيها	٢٢١	بدء تاخر الزراعة فيها
٣٠٦	التيابن بينها رطبة	٢٢٨	الثغانون من اهلها
٣٠٩	الحكومات التابعة لها	٢٢٠ و ٢١٩	أثريوس
٣٠٩	محاوثة اهلها الحربية للانضمام الى سبارطه	٢٢٣ و ٢٢٦ و ٣٥٢	أثوس
٣١٠	الطاهون فيها وبعض خصومها		اثينا
٣١٢	قيادة مجلسها المنفلة	٢٣٨	الفة حرب تحمي المدن اليونانية
٣١٤	الكبيادس يصنع لسبارطه ضدها	٢٤٢	الاتحاد التي كانت ترأسة
٣١٥	اسر اسرطرها قبالة سرقوه	٢٥٥	امداد تجارها
٣١٦	تسليمها وسقوط امبراطوريتها	٢٥٩	عرائيل اجنية في وجهها
٣١٧	بلوغها درجة سامية بزعامة ثيمستكليس	٢٦٠ و ٢٦١	تحريرها من طغيانها
٣١٩	ما قاسته من مازعاتها الداخلية	٢٦١	حصولها على الديمقراطية
٣٢٠	استنفاد كنوزها كلها	٢٧٢	مساعدتها الابونيين وزحف الفرس عليها
٣٢١	تفقر الزراعة فيها وتقدم الصناعة	٢٧٤	الدعرفها من الفرس
٣٢١	مصرف	٢٧٧	الفرس يجرقونها
٣٢٢	تحالفها مع ثيبة	٢٧٩	انتصار اسطوطا في ابونيا
٣٢٢	اسطوطا يناصر الفرس على المدن اليونانية	٢٨١	شعور اهلها بعد معركة سلاميس
٣٢٥	تقدم اهلها في الفنون	٢٨٢	المنافة بينها وسبارطه
٣٢٩	عصر التراع فيها	٢٨٢	تستكليس يحميها
٣٣٠	ديانة اهلها		
٣٣١	وصول آلهة الشرق لها		

الوجه	ا	الوجه	ا
١٢٨	يقامون ملوك اشور	٢٢٢	اهلها بما كمن سقراط
١٦١	صيرورة لغتهم لغة حكومة فارس	٢٢٤	مركز العلم والتهديب
١٨٢	شكل كتابهم	٢٤٢	حزبان فيها
٢٢٢	حلوا الحروف النيقية الى اسيا	٢٤٤	ابتهال الالكندر في هيكلها
٥١٢	يسوع يعلم بلغتهم	٢٥١	ارسطوطاليس فيها
٥١٤	تاريخ يسوع كتب في لغتهم	٢٦٥	في وسبارطة
٣٤٨	اربيلا	٢٦٦	رومية تعترف بجزئها
٢٧٣	ارقيريا	٢٧٩	التخص عند اهلها
٢٧٧	ارتيمسيوم	٢٩٠	دار العلوم فيها
١٦٥	الارخبيل الرومي	٢٩٢	جامعتها وتأثيرها
٤٣٣ و ٣٨٢ و ٣٨١	ارخبيدس	٥٠١	الشاب الرومالي في مدارسها
٣٦٣	الارساكيون	٥٤٨	يوسنتياس يقفل جامعتها
٥١٠ و ٣٨٢	ارسترخوس	١٤	الاجر
٣٨٤ و ٣٥٥ و ٣٥١ و ٣٤٣	ارسطوطاليس	٥٥٠ و ٥٤٦	أجيا صوفيا
٥٠٩ و ٣٩٢ و ٣٩١ و ٣٩٠	ارستوغيت	٢٧٨ و ٢٧٦ و ١٦٨ و ١٦٦ و ١٦٥	احشويرش
٢٦١	ارستوفتيس	٣٦٥ و ٢١٩	الاخاثيون
٣٣٢ و ٣٣٠	ارستيدس	١٨٠	آخاب
٢٨٢	الارض	٨٠ و ٧٨ و ٧٧	اخناوتون
٢٨٢	معرفة حجمها	٢٢٠ و ٢١٩	اخيا
٢٣٨	ارطاميس	١٠٨	ادابة
٢٧٧	ارغولس	٢٥٨	ادريا
٣١٣ و ٣١٠ و ٢٤٢ و ٢٢٧ و ٢٠٥	ارغوس	٥٤٢	ادريانوبلي
٥٤٢	اركاديوس	٣٦٣	اذربيجان
٢٩٣	اركسترا	٥١٠ و ٣٨٤ و ٣٨٣	اراتسائيس
٢٢٠	الارمن		الاراضي
١٨٥	ارميا	٢٢٤	بده مملكا وتناجحه
٤٩٤ و ٤٦٤ و ٣٦٣ و ٧	ارمينيا	١٢٤	يوسون مالك زاهرة
٤١٦	ارنوس	١٢٥	اتساع نطاق تجارتهم
		١٢٦	تغلب لغتهم

الوجه	ا	الوجه	ا
۶۵ و ۷۸ و ۹۰	الاسرائیلیون	۱۲۷ و ۱۲۴ و ۶۴	ارواد
	الاسکندر	۵۰۹	اریانوس
۲۴۲	نشأته	۹۹	اریجا
۲۴۴	فتح اسيا الصغرى	۱۵۵	الاریون
۲۴۶	موقفه بعد معركة اموس	۲۰	آزامیل
۲۴۷	اختلافه مع اصدقائه		اسبانيا
۲۴۷	فتح مصر وفينيقية		
۲۴۸	زحفه على بلاد فارس والشرق القديم	۱۱	كف فيها وما فيو
	استيلاؤه على مدن فارس وغر واتو	۹۰	قبائل الساميين يستعبدون جنوبها
۲۵۰	في الشرق الاقصى	۲۴۸	اليونان يلقون سواحلها
۲۵۱	رجوعه الى بابل ومسايعو العلمية	۴۰۱	القرطاجيون في جنوبها
۲۵۲	خططه لفتح الجزر الغربي من البحر المتوسط	۴۲۳	توسع قرطاجنة فيها
۲۵۳	تأمله وإيجاده الحكم المطلق	۴۲۹	فتوحات قرطاجنة فيها
۲۵۴	اعداده اصدقاءه	۴۶۸	اسرجيش ميموس فيها
۲۵۵	موته	۵۱۹	انتشار نظام التملك فيها
۲۵۷	ما عقب موته من النتائج	۵۲۳	البرابرة يدوختها
۲۵۸	خلاته	۵۲۷	تسلط نهر بقس عليها
۲۶۳	الثورة بعد موته	۵۴۲	تأسيس ممالك الفندال فيها
۲۷۹	تأبوتها	۵۴۵	في حوزة ثيودورك
۲۷۹ و ۴۴۷	صورته	۵۵۲	المحدثه لانيه
۲۸۰	مصوره	۵۱۳	استرايون
	الاسكندرية	۲۵۷	الاسترهان
۲۷	مبناؤها	۲۶۶	استيلسيخوس
۲۶۱	انطاكية تنافسها		استيلسيخوس
۲۶۵	تفوقها التجاري	۵۴۲	المجرماني
۲۷۳	تجارها ومنازلها	۵۴۲	الفاندالي
۲۷۵	حديقة قصر البطالسة فيها	۱۸۱	اسحق
۲۷۶	مبانيها العمومية	۳۰۴ و ۳۰۱ و ۲۹۹	اسخاوس
۲۸۲	علمائها ومرصدتها		اسرائيل
۲۸۵ و ۲۸۶ و ۴۶۶	مكتبتها		ملكهم
۲۸۷ و ۴۸۷	علمائها بوجدون المعاجم وكتب الصرف والنحو	۱۸۰	الاشوريون يقرضون ملكتهم
۲۹۰	متحفها	۱۸۲	السلوقيون يعترفون باهرم
۵۰۱	اعظم المدن التجارية	۲۶۱	
۵۰۱	الشاب الروماني في مدارسها		

الوجه	ا	الوجه	ا
٢٠٧	قيام طرواده فيها	٥٠٢	انتهاء زمن ايجت العلمي فيها
٢٠٩	التقوس على الجدران فيها	٥١٠	
٢١٠	الكثيون يستولون على جزء كبير منها	٥٢٢	
٢١٤	الحفر والاكتشافات فيها	٣٥٨	الاسكندر الثاني
٢١٩	هجوم اليونان عليها	٢٠	اسكندناوية
٢٢٠	الفرجييون والامن بها جونا	٢٤	اسكوتلاندا
٢٥٥	سكانها يستملون النقود	٥٥٣ و ٥٤٩ و ٣٤٤	الاسلام
٢٧٢	قيام ليدا فيها	٢٤	اسوج
٢٢٥	الموصوليوم فيها	٣٧٩ و ٣٤٧ و ٣٤٦	اسوس
٢٢١	نقل آلهتها الام العظيمة الى بيريه	٢٢٠	اسوفا
٢٤٤	الاسكندر يلقبها	٣٦٠	اسوكا
٢٤٦	زحف الاسكندر يمشو في وسطها		اسيا
٥٠٢	الساخ الرومالي فيها		وصول الرعاة الرحل اليها
٥٥٢		١٩	علاقة اللغة المصرية بلغات غربها
	اسيا الغربية	٢٤	علاقات ملك مصر بها
٦٥	ما اوصل المنود الاور بين اليها	٤٦	ما غنبت الفراهنة منها
٨٨	حدودها	٧٠	حكاية تحتمس بصطاد فيها
٩٥	عمران الجبيلين المادي فيها	٧٣	نتائج الثورة ضد اخناتون فيها
١٠١	شروع استعمال الخنوم فيها	٧٨	المراعى فيها
١٠٢	حفريات اور تاريخ عمرانها	١٥١	اقامة ملكة بخرية فيها
١١٢	شروع الكتابة المسماة فيها	١٦٥	تسبق الجانب الاورى في التقدم
١٢٥	سكانها يقنون ضاغرين امام نينوى	٢٠٧	انجار بينها وبين اوربا بينون طرواده
٦٥	اسيوط	٢٥٢	الاسكندر يهزج حضارها بالحضارة الاورية
١٨٣	اشعيا	٢٦٠	ملكة السلوقيين فيها
	اشور	٢٦٣	السلوقيون يهتمون بيوننة اهلها
٨٢	الحاد ملك الكثيين ورهميس الثاني ضدها	٢٩٤	اليونان بعد المهاجرة اليها
٨٤	الحاد الشرق ومصر ضدها		اسيا الصغرى
١٢٠	موقعها	٦٤	معادنها ومصنوعاتها في السواحل
١٢٠	اهلها الوحيدون في استخدام الحمار للنقل	٧٨	الكثيون منها
١٢١	مواؤها ومخاضها وتاسيسها	٢٩	ما في سواحلها
١٢٢	تنبع بابل والكثيون على النعاقب	١٢٥	نشر حروف الهجاء فيها
١٢٢	مناظرها الغربيون	١٩٦	حلقة اتصال بين ايجت واللال المحصب
١٢٢	متالي تجناحها		
١٢٦	لغتها		

الوجه	١	الوجه	١
٢٣٨ و ١١٥	افروديت	١٢٧	عاولها بسط سلطتها على شمال سوريا
	افريقيا	١٢٨	مدنيتها قبل النوحات
٢٤	علاقة لغة مصر بلغات شمال شرقها	١٢٩	ديانتها واكتشاف قبور ملوكها
	امتداد الامبراطورية المصرية الى الشمال الرابع	١٢٩	توسيعها غربا
٦٨	فيها	١٣٠	مناخها في فينيقية
٩٠	قبائل اسيا تنشر مستعمراتها في ساحلها الشمالي	١٣١	فهيها لمصر
١٢٧	هل كريت تبها	١٣٢	اناسها
٢٥٢	الاسكندر يفتكر مد سكة عمومية طول ساحلها	١٣٣	تنظيمها
٤٠١	ساحلها الشمالي يدخل في حوزة الفينيقيين	١٣٤	السلطة اهلها
٤٢٣	توسع قرطاجنة فيها	١٣٥	هول جيشها
٤٢٦	الجلس الروماني يخاف منها	١٣٥	مقدتها
٤٢٧	رومية ترضها اليها	١٣٦	التمخاها فيها
٥٠٥	الاثار الرومانية فيها	١٣٦	الرومان يفتنون اهلها في بناء اقواس النصر
٥٢٣	البرابرة يقطعون اليها	١٣٧	فنون اهلها وصناعاتهم
٥٤٢	تأسيس ممالك القندال فيها	١٣٨	اثارها وشرائعها ومكنتها
٥٤٥	عودة سلطة الامبراطور اليها	١٣٩	التنظيم الاداري فيها
٥٤٧	قيام رجال مسيحيين اصحاب نفوذ فيها	١٤٠	تاخرها الاقتصادي والفساد في داخلها
	افسس	١٤١	مجيء الكلدان اليها
٣٦٥	افق آتون	١٤٢	سقوطها
٧٧	افلاطون	١٤٤	التقدم الذي حصل بواسطتها
	النصافه بسقراط	١٧٠	علم قراءه لغتها
٢٢٢	روليا	١٧٧	استيلاؤها على فلسطين
٢٢٢	شكل الحكومة التي يريدها	١٨٢	تدميرها مملكة العبرانيين الشمالية
٢٣٥	خطاوه	٢٠٨	تاثيرها في فنون الحنين
٢٩٠	اقتاها	٢١٤	رسائل ملوكها
٤٧١	اقتا فيوس (انظر اوغسطس)	٢٣١	استخدام ملوكها صناعات اجانب
	الاقتصاد السياسي	٤٩٤	تراجانس يرضها الى امبراطوريتها
٣٢١	الاقصر	٥٠٢	
٦٧	الاقطاع	١٣٩	اشوربانيال
٥٩	اقليدس	٢٨٥	الاعصاب
٣٨٢	الاقبال	٢٢٠	اكتشافها اسلاك الدماغ
٣٦٤		٤٨٧	اغامثون
			اغريينا

الوجه	ا	الوجه	ا
٣١٦ و ٣١٤ و ٣١٣ و ٣١٢	الكبيادس	٨٦	الاكاديمية
٢٦٦	الوسيس	٢٩٢	الفرنساوية
٢٩٢ و ٢٣٧	الايلاذة	٢٣٥	ملعب
١٨٥ و ٩٩	الاييفانتين	٢٩١	مركز مدرسة افلاطون
٥١٢ و ٣٣١	الام العظيمة	٢٩٢	مدرسة
٢٣٨	الام القديمة	٣٥٤ و ٣٥٠	قسم من جامعة اثينا
٣٦٢	اماسيا	٣٠٦ و ٣٠٠	اكبتنا
٤٥١	امفيتياتر	٤٧١	اكتينوس
٧٧	آمن		اكتيوم
	امنحوتب	١٠٤	اكد
٧٣ و ٧٢	الثالك	١٠٥	موقعا
٧٧	الزابع	١٠٧	جهل اهلها
٤١	امهوتب	١٠٧	التحادها مع سومر
١٢٤	امورو	١٠٨	اخذت عند اهلها
٩٢	الاموريون	١٠٩	انكار الناس واساطيرهم في زمن ملوكها
٨٣ و ٧٧	آمون		ضعت امر اهلها
٢١٢ و ١٩٤ و ٣١ و ١٨	اميركا	٢٤٥	اكروبلس
٧٩	الاناصول	٢٩٨	نحول المباني عليها الى هياكل مقدسة
٣٥٨	انتيفونس	٢٠٠	الاحتفالات فيو
٣٦٤	انتيفونس الثاني	٢٢٠	برمكليس برممة
٥٥٣ و ٥٤٩ و ٥٤٣	الانجليز	٣٨٦ و ٣٢٦ و ٣٢٣ و ٣٢٢ و ١٤٣	كيمباله الالهة على الاثنيين منصوبة عليهم
٤٤٩	اندرونيكس	٣٥٥ و ٣٤٤	اكرنيغون
٢١٩	اندريوس	٥٣٥	اكلينس
	الانسان	٤١٠	الاكليروس
١	تدرجه في الاختراع	٣١	اكوستر
٢	الاول	٤٨٥ و ٤٣٠ و ٣٩٨ و ٦	الاسكا
٤	تبع سير القدم	٤٠٥ و ٤٠٤ و ٤٠٣	الالب
٤	يتعلم اصرام النار	٥٤٠	أبالنفا
٥	جهل المتأخرين طول المدة لوجوده	٥٤٧ و ٥٤٣ و ٥٤٢	أفيلاس
			أرك

الوجه	١	الوجه	١
٥٧	تاخر عصرها	٦	الصعوبات التي قامت في وجه القدم
١٧١ و ١٧٠ و ١٦٢ و ١٥٦	اهرومزاد	٩	صناعات من كان في العصر الحجري المتوسط
١٥٦	اهريمان	١٢	توزع ما بقي من اثاره في العصر الحجري المتأخر
٣٩٢	أهميروس	١٥	ادوات في العصر الحجري المتأخر
٢٣٧	اودسوس	١٨	تأثير الزراعة في حيوانه
٤٤٩ و ٢٩٢	الادوسمي	١٩	تأثير الفلاحة بالسكة في حيوانه
٥٤٥ و ٥٤٤	اودواسر	١٥٨	انسان
١١١ و ١٠٧ و ١٠٢ و ١٠١	أور	٥٠٣ و ٤٧١ و ٣٦٥ و ٣٦٣ و ٣٦١	انطاكية
	اوربا		انطوخيوس الكبير
٦-٢	قبل التاريخ ووصفها	٤٤٠	اتفاق فيليبس معه
١٤	تلال الصدف تكشف الستار عن صنائع اهلها	٤٤١	انهاكته في الاستيلاء على مصر
١٨	اول حيوانات الحجر فيها	٤٤١	حربه مع رومية
٢٠	فن البناء فيها في العصر الحجري المتأخر	٤٤٢	اندحاره
٢٠	اقدم مدنها	٤٤٢	مستشاره
٢٢	حالتها في العصر الحجري المتأخر	٣٦٤ و ٣٦١	انطيوخس
٢٣	جهل اهلها	٤٧١	انطونيوس
١٥٤	اصل لغات اهلها الحديثة	٤٨٥	جنوده يقتلون شيشرون
١٩٢	هي في العصر الحجري المتأخر ومستقبلها	٥١٥ و ٤٩٨	انطونيوس بيوس
١٩٣	سماح اهلها بالسفن	٤٨٦	انفيذة
١٩٣	المصدر الشرقي للسلع التي تاجر بها اهلها	٢٢ و ٢٠ و ٦	انكلترا
١٩٤	تاخرها	١٦٨	نزل السرهنري ورتلصنك بلاد فارس
١٩٥	في عصر البرنز	١١٤ و ٩٧	أنليل
٢٠٦	دلائل الرقي فيها واستمرارها على التدهور		الاهرام
٢٢٢	انتقال فن التزويق الشرقي اليها		
٢٢٢	وصول الحروف الهيروغليفية اليها	٢٨	اول لغة منها
٢٥١	هسيودينادي لاقامة العدل الاجتماعي فيها	٢٩	هي مدائن الملوك
٢٧٢	هجوم اللرس عليها	٤١	المدة من اقدم بناء حجري الى بناء الكبير منها
٢٥٢	الاسكندر يهزم حضارها بالحضارة الاسيوية	٤٢	حجم الكبير منها
٤٣٠	مخالفة رومية للجوالي المستقلة فيها	٤٤	الحكومة في عصرها
٥٠٤	الغربية تشيد مدناً في عصر السلم الثاني	٤٥	طول عصرها
٥٢١	تفقد الحرية والمخفوق الوطنية	٤٨	مبادئ النور في عصرها
٥٤٤	ترواج من الهونيين	٥٢	المحنة الاجتماعية في عصرها
٥٤٥	الشرايع التي تركها الرومان لها	٥٥	حفر التماثيل في عصرها

الوجه	١	الوجه	١
٤٧٦	جيشه وحكومته المزدوجة	٥٥٤	تأثير رومية الخالد فيها
٤٧٦	سياسته السلمية	٥٥٦	وصول الكتب والحكومة المتقدمة اليها
٤٧٧	علمه العظيم		اورشليم
٤٧٨	ندابرة لاجراء الروح الرومانية القديمة	١٤٦	نبوخذ نصر يدمرها
٤٨٠	مبانيه الملكية	١٧٧	هزوها بمجملات المبرانيين
٤٨٠	رومية في عهده	١٧٩	اختيار دارد لها
٤٨٥	ظهور الشعر في عصره	١٨٣	سغار يب يحصرها
٤٨٦	يكتب نبا اعماله بيده	١٨٤	اشعيا يبندها
٤٨٢	يبنى هيكله باسم فيصر	١٨٥	ارميا يرى خرابها
٤٨٢	ندوته	١٨٧	تجدد بناهها
٤٨٢	نقله مسلات مصرية ونصبها في رومية	٤٦٤	سيوس يجعلها تحت الحكم الروماني
٤٨٦	موته	٤٩٢	تدمرها الثاني
٤٨٦	خلفائه	٥١٣ و ٥٠٦	
٥١٢	ظهور يسوع في زمنه		
٥٤٤		٣٦٢	اورفه
٥٤٨ و ٥٤٧	اوغسطينوس		اوربيدس (انظر يوربيدس)
٥٤٤	اوغسطولس	٥٢٢ و ٥١٦ و ٥١٥	اوريليايوس مرقس
	الاولقيانوس	٥٣٧ و ٥٣٠ و	
٦٠	المجهول	٥٢٧	اوريليانس
٨٨ و ٦٤	الهندي		اوسيريديس
٤٣٣ و ٤٠٧ و ٢٤٤ و ٢١٧ و ١٥٢ و ٩٠	الانلاتيكي		
٢٣٧ و ٢٣٦ و ٢١٧	اولبوس	٢٩	ماهينه وتسميته
٢٩٤ و ٢٩٣ و ٢٦٦ و ٢٤٩	اولبيا	٦١	رواية الشعرية
٤٢٤	اوليغاريكي	٧٦	ماهية الاعنقاد يو
	اوهايو	٥١٢	حديقة خاصة بايو
٤٣٠ و ٤٢٩	ايبرو		اوغسطس
٢١٩	ايتوكليس	٤٧٠	حدائقه
٣٦٦ و ٣٦٥	ايتولي التحالف	٤٧١	خلفه انطونوس
	ايجه	٤٧١	جماله مصر ولاية رومانية
		٤٧٤	اعتدال سياسته
		٤٧٥	تنظيمه للدولة الرومانية
٦٣	المصريون يسرون سنهم الى جزرها	٤٧٥	القائه

الوجه	١	الوجه	١
١٥٤	دخول اسلاف الهنود الاوربيين اليها	٦٩	تخمس بتسلط على جزرها
٢٣٥	وصول حروف الهجاء اليها	٨٢	انضمام اهلها الى الكهنيين وزحفهم على مصر
٢٤٧	اليونان بطوقون جنوبيها	١٩٥	بجرها والبلاد المنسوبة اليها
٢٦٤	توغل الكهنيين والغاليين فيها	١٩٦	مكاتبها وهواؤها ومحاصيلها وتقدم جزرها
٢٩٨	جغرافيتها	٢٠٧	الكهنيون حلقة الاتصال بينها والحلال المخصب
٢٩٨	المهاجرات الاولي اليها	٢١١	جهل العالم الحديث مدنتها
٢٩٩	اقدم المعادن فيها واسماؤها	٢١٤	اعمال الكهنة في كريت تكشف مدنتها
٢٩٩	دخول الشعب الهندي الاوربي لها	٢١٥	امتزاج مدنتها بمدنية الحلال المخصب
٤٠٠	في والغرب قبل قمتها	٢١٩	استيلاء اليونان على عالمها
٤٠٠	خصوصها الفر بين الثلاثة	٢٢٠	اختلاط اهلها باليونان
٤٠٢	احتكاك قبائلها مع الانترسيكين		هرب اغنيائها من الهنود الاوربيين والمصريين
٤١٦	رومية سيدة اواسطها	٢٢١	يصدونهم
٤١٧	رومية تمتلكها كلها	٢٢٢	سقوط مدنتها وامتزاج دم اهلها بدم اليونان
٤٢٠	تصيرها امة	٢٢٢	ما اخذه الغربيون عن اهلها
٤٢١	حاجتها الى الوحدة القومية	٢٢٤	الكتابة الشائمة عند اهلها
٥٢٣	الوراثة يتوغلون فيها	٢٢٧	تذكارات من حضارها
٤٣٤	تقهقر قوة هانيبال فيها	٢٢١ و ٢٤٦	التيليفيون يتاجرون فيها
٤٥٣	الثورات فيها	٢٢٢	ما بقي من آثارها الرائي
٤٥٤	حالتها الزراعية	٢٢٣	زحف الفرس عليها
٤٦٣	شقها اهلها وتوالم حقوق الرعية الرومانية	٢١٠	اعتماد اثينا على مدنها في الحرب البيلونيسية
٤٦٥	عودة بيموس اليها	٢٦٤	سيادة الاسطول المصري على بجرها
٤٧٨	تداير اوغسطس لرفع شانها	٢٩٩	برنديزي تاخذ البرنز مما
٤٨٥		٢٨٧	ايجينيا
٤٩٧	تغيير في موقفها في الامبراطورية الرومانية	٣٦٢	ايدسا
٥٠٧	آثار الرومان فيها	٣٥١ و ١٥٦ و ١٥٥	ايران
٥١٦	انهيال البرابرة الجرمان عليها	٥٢٦	المجنس الانباري
٥٢٢	الولايات تساويها	٣٣٤	ايسقراط
٥٢٢	نقل مركز السلطة منها الى البلقان	٣٨٤	ايسلندا
٥٤٢	هجوم القوط عليها	٥١٢ و ٣٣١	ايسليس
٥٤٢	هجوم الهونيين عليها	٤٧	ايسيسي
٥٤٣	حصار الامبراطورية الرومانية فيها		ايطاليا
٥٤٤	انحصار سلطتها في القواد العسكريين الجرمان		كف جرما الذي فيها
٥٤٥	تأسيس مملكة قوطية فيها	١٢	
٥٥٢	الحديثة لاتينية		

الوجه	ب	الوجه	ا
٩٨	باية الميكل وسورة قرب برجها	٣١٦	ايغسپتسي
٩٩	الفائدة من الرموس فيها		ايفانس
١٠١	العلماء يتبعون تقدم صناعتها	٣١٤	السرارثر
١٠٢	معيشة الاقوام فيها		ايليريا
١٠٧	في سهلها يخرج السومريون بالاكديين	٤٧٠	ايليا
١٠٩	قيامها		وقسوة الاعفادات القديمة يهوة
١١٠	حورالي يرتبها	١٨٠	اينياس
١١٤	الربا عند اهلها	٤٨٥	الاينيدية
١١٤	هياكلها مركز التجارة	٥٤٩ و ٤٨٥	ايزنيا
١١٥	طرق اهلها لقراءة المستقبل		قيام اهلها في وسط السواحل الابجية
١١٦	اهلها يتعلمون الكتابة	٢٢٠	انتشار الحروف الهجائية فيها
١١٧	لازل مرة ظهور الفرس الداجن فيها	٢٢٤	وصول اغالي الابطال اليها وللمشردون من اهلها
١٢٣	نبيها والحثيون على التعاقب	٢٢٦	مدنها مجلية في التجارة
١٢٣	علاقتها مع رارا ايوك	٢٥٢	اهلها يستعملون النقود
١٢٩	الاشوريون ينقلون عن اهلها الديانة	٢٥٦	انطور الديقي عند اهلها
١٢١	تخريبها	٢٧٧	بزوغ شمس العلم والفلسفة بين اهلها
١٤٢	الكلدان يحملوها	٢٦٨	المفكرون من اهلها والرياضيات عندهم
١٤٦	مبانها الفخمة	٢٦٩	ثورة اهلها وساعدة ائينا لما ضد الفرس
١٤٧	انواعها	٢٧٣	صق مدنها وانكسارها
١٤٩	الكلدان يرفعونها الى تمدن اعلى من تمدن اشور ١٤٩	٢٧٤	خلاصها من الجنود الاموية
١٥٤	اعادة بنائها	٢٧٩	الاهمة المنسوبة اليها
١٥٦	ملكة الماديين تهدد مملكتها	٢٠٠	
١٥٩	كورش يتغلب عليها		ب
١٦٥	ملك العيلاميين يحملها مركوة الذهباني		بابل
١٦٩	رولنصن يحمل رموز لغتها		الحركة التي سافت الكاشيين اليها
١٧٦	الاتجار معها علم الساميين الكتابة	٦٥	رسائل اخناتون بخطها
١٨٤	سبي اليهود اليها	٧٨	الساميون يستمدون مدنيتهم منها
١٨٥	نزيمه اليهود على انهارها	٩٢	موقعها
١٨٧	دخول كورش اليها	٩٢	برجها
٢٠٨	كتابتها وتأثيرها في ديانة الحثيين	٩٧	
٢٠٩	أثارها تكشف حقائق حجة		
٢١٠	موثراها في الديانة الحثية		
٢١١	المدنية الحثية دون مدنتها		
٢١٤	اكتشاف رسائل ملوكها		
٢١٩	مساويعها للمملكة الحثية		

الوجه	ب	الوجه	ب
٩٢	نبوغ الفينيقيين على سواحلها	١٢٢	الفيثيون يهجرون استعمال كتابتها
١٢٤	قيام خصوم للاشوريين على سواحلها	٢٢٢	اكتيفون يزحف اليها
١٢١	مختاريب يزحف على سواحلها	٢٥١	رجوع الاسكندر اليها
	انتصار الشعب الهندي الاورفي على المناطق	٢٥٥	موت الاسكندر فيها
١٥٢	المجاورة له	٥٠٢	
١٦٠	كميز سيد الجانب الشرقي منه		
	تجار بلدان يوزعون سلع العصر الحجري المتأخر	٢٣٥	بايبروس
١٩٢		١٢٧	بادية الشام
١٩٧	وصف شعبه	٤٢٢ و ١٥١	بادية العرب
٢٠٥	اقدم قن بخرية نشأت في الجزء الشمالي منه	١٢٩	بارتيون
٢١٥	قيام عالم شرقي فيو	٥٤٠ و ١٦٩	باريس
	الشعوب الهندية الاوربية تلتهم الطرف الشرقي منه	٤٤٥ و ٣٧٧ و ٣٧٣	باسياميكا
٢٢٠		٥٥٠ و ٥٤٦	الباسليقات في الفسلفطرية
٢٣١	الفيثيون رواده الاولون	٥٠٦	(الباطون)
٢٤٨	عالم جديد فيو	٣٧	بالرمو
٢٨٥	لنفود اثينا المترلة الاولى في عالمو	٧	پامير
٢٢١	حكوماتو تدرس لاول مرة جباية الاموال	٥٠٦	الباشيون
٢٥٢	خطاط الاسكندر لفتح الجزء الغربي منه	٣٦٢ و ٩١	البترا
٢٦٤	جهاد اتيغونس لضبط الشؤون في شرقه	٨٥	بتولمايوس
٢٩٢	العالم الهليني شرقه		البحر
٢٩٤	شرقيه تحت سلطة غريبو	١٨	حيواناته الاولى
٢٩٧	انقسامه الى حوضين	٨١ و ٦٨ و ٦٤ و ٦٠	البحر الاحمر
٢٩٨	انتشار الحضارة من شرقه الى غربه	٢١٠ و ١٥١ و ٨٨ و ٧٩ و ١٩	البحر الاسود
٤٠٢	اليونان يأتون الى عالمو الغربي بالمدينة	٥٢٣ و ٤٩٤ و ٢٨٥ و ٢٦٠ و ٢١٧ و ٢١٥	البحر المتوسط
٤٢٢	توسع قرطاجنة في جزره		
٤٤٠	التراع بين عالمو الشرقي والغربي		
٤٥٥	نقصير الحكومة الرومانية في شرقه		
٤٥٥	رومية مسؤولة بتنظيم مدينته		
٤٦٤	بيوس يقطع دابر القرصان منه		
٤٦٨	قيصر يكمل فتح عالمو		
٤٧٨	عالمه يوشك ان يصرامة		
٤٩٢	الامبراطورية الرومانية حصن مدينته	٥١	المواصلات والشحن
٤٩٨	العالم الذي كان بطرفه	٧٩	الخبثيون يوزعون الحديد في البلاد المجاورة له
٥٠٥	بلوغ عالمو درجة عالية من المدينة	٨٢	التجاد الخبثيين مع ابناء سواحل ضد مصر
٥٢٢			

الوجه	ب	الوجه	ب
٤٦٦	نقوشها العجيبة	٥٢٣	انتصار مدينة الجانب الشرقي منه
٤٨٧	كلود بوس يفتقها	٥٢٨	البرابرة يستولون على عالم الغربي
٤٩٣	دوق نيس يبعد الحدود فيها الى الشمال	٥٤٥	يوسينيانس يحلم بثوبى زمام عالمه كله
٤٩٦	هدريانوس يبني سوراً يقطعها	٥٥٥	امتداد حضارته
٥٠١	النصدير منها		البحيرات
٥٠٥	آثار الرومانيين فيها		عيشة سكانها
٥١٩	شيوخ نظام التملك فيها	١٦	
٥٢٧	تسلط تيرقيس عليها	١٩	البدواة
٥٤٢	الامبراطورية الغربية تخسرهما	٢٠	التراخ الدائم بهما والمحصارة
٥٤٤	الجرمان يتزلون فيها	٢١	ديانة اهلها
٥٤٩	الرهان الرومان يشررونها		البرابرة
٥٥٢	المدينة سكوتية		(انظر الجرمان والهنود الاوربيون)
	بريكليس		البرثنيون
٢٨٤	زعامة	٣٠٦ و ٣٠٠	بردد
٢٨٦	دخل الحكومة في ايامه	٤٧	برسيبولس
٢٨٧	مناوأة كورثوس	٣٥٠	برقة
٢٩٨ و ٢٩٧		٤٢٨	بركستلمس
٣٠٠	مبانيه الجديدة على الاكر بولس	٣٢٦	برغامم
٣٠٤	ورود اسمه في الروايات الغزلية	٣٨٥ و ٣٧٩ و ٣٧٨ و ٣٧٧	البرغنديون
٣٠٦	رجال حكومتها اثنا في ايامه	٥٤٣	برمينيو
٣٠٩	ما بلغته اثنا فيهم	٣٥٤ و ٣٥٠ و ٣٤٧	برندون
٣١٠	خطته في الحرب البلونيسية الثانية	٢٢	برنسوس
٣١١	سقوطه والحاجة الى قواد بعد موته	٢٢٢	برنديزي
٣١٢	موت ابيه بالطاعون	٤٦٨ و ٣٩٩	بروتس
٣٢٥ و ٣٢٣ و ٣١٧ و ٣١٦ و ٣٢٢		٤٧٠	بروس
٣٢٩	حصار التراخ الذي تلا موته	٤١٦ و ٤١٧ و ٤٢٢	بريتور
٣٣٦	المقاولة بين حصره والذي عقبه	٤١١	بريطانيا
٣٩٢			آجر بانهاال في منحها
٣٧٣	بريان		
٥٣٢	اليسفور		
٥١٤	البشائر الاربع		
	البطالسة		
٣٥٩	انتشار سلطتهم	١٢٩	

الوجه	ب	الوجه	ب
	البلقان	٢٦٠	الضرائب عندهم
		٢٦١	اسطولهم ومعاربهم مع السلوقيين
١٥٤	توغل قبائل مراعي الشمال فيها	٢٦٤	كسليم وتراخيمهم
٢١٥		٢٦٢	احترامهم الالهة الشرقية
٢٤٠	هيمية ولاياها	٤٦٨	كلوبوترا خاتمتهم
٢٦٣	احفاظ مكدونية بالسيادة عليها		
٥٠٥		٥٤٨	بطرس الرسول
٥٢٢			بطليموس
٥٢٣	نقل مركز السلطة من رومية اليها		
٥٥٢		٢٥٨	نصيبه من ملك الاسكندر
		٢٥٩	ملكته على مصر وصفاته
٥١٢	بلوطرخس	٢٨٦	اختياره كلياخوس مديراً لمكتبة الاسكندرية
٥٤٥	بليساريوس	٥١٠	النظام التسمي المنسوب اليه
١٥٩	بليشاصر	١٨٠	بعل
٥٠٩	بلينيوس الاكبر		البقر
٥٠٩	بلينيوس الاصغر	١٨	ادجانه
٣٦١	بيبيوس	٤٨٠ و ٤٠٥ و ٤٠٤	الپلاتينية
٤٦٤	اتقابه ففصل وفتوحاته	٢٧٤	بالانيا
٤٦٥	هودته الى ايطاليا	٢٤٢	بلبونيسس
٤٦٦			
٤٦٧	اخراجها من رومية	٢٨٦	سبارطه وعساكر الهادها
٤٦٨	قوته واسر جيشه في اسبانيا	٢٨٧	انتهاء حربها الاولى
		٢٩٥	
٢٩٨	بنائينا	٢١٠	بداية حربها الثانية
٣٦٠	بنتجاب	٢١٢	حربها الثالثة
٣٤٤ و ٣٣١ و ٢٦٣	پندار	٢١٦	تحطيم اسطولها
٤٦٤ و ٢٤٦	بنتس	٢٢٠	
١٤٢	بنوبلامر	٢٢٢	قيام اجند اختصاصي تجهة حروبها
١٧٠ و ١٦٩ و ١٦٨ و ١٦٢	البهستونية	٢٢٨	تصوير الكوروس مدة حروبها
٢٤٦	بوييا	٥٤٩ و ٤٦٦ و ١٧٦ و ٢٢	بلجيسكا
		٣٤	بلاد البربر
		٢٢	البلطيك

الوجه	ت	الوجه	ب
	التاريخ	١٦٦	بورسبا
٢٥	بداية عصره	٥٠٩ و ٢٧٩	بوسانيوس
٥٥٦	اثار القدم منه	٢٣٨	پوسيدون
٤٦٦ و ٦	التامس	٤٣٠ و ٤١٧ و ٤١٦ و ٤١٥ و ٣٩٩ و ٣٩٨	پو
٥٢٧	تتريقس	٥٤٩ و ٤٦٧ و ٤٣١	
	تحتمس الثالث	٥٤٨ و ٥١٤	بولس
٦٨	بشيد مسلة خشبوت	٢٩٨	بولغنونس
٧٣	حكاية القائد الذي انقله	٤٤٩	پوليوس
٧٩	الخبون في عهد	٦٨ و ٦٤ و ٤٧ و ٤٦	پونت
٢٠٥	تسمية احد قواده		
	التحنيط	٤٩٩ و ٤٩٨ و ٤٤٧ و ٣٢٨	بومباي
٢٩	نشوه	٥١٦	بوهيميا
	تدمر	٢٣٥	بييلوس
٩١	العرب بشيدونها	١٨١	بيت ايل
١٢٧	قيام دولة تجارية فيها	٢٠٩	بيت البرجين
٥٢٦	هي بين بلاد الفرس ورومية	٣٨٤	بيثياس
	تراجانس	٧٨ و ٦٤	بيروت
٤٩٣	سحنة قوات الراهبة	٣٣١ و ٣١٦ و ٢٨٧ و ٢٨٥ و ٢٨٢	بيرية
٤٩٤	مخارب الفريين	٥٣٢ و ٣٢٢	بيزنطية
٤٩٦	جيشه	٨٢	بيسان
٥٠٧	عموده		
٥٠٩	رسالة مع بلينوس الاصغر	٢٧٠ و ٢٦٥ و ٢٦٠	بيستراتس
٢٦٥	التراجيدي	٢٣٥	بيليا
٤٣٢	تراسيميبي	١٨٨ و ١٢٠ و ١٠٧ و ١٠٥ و ٩٢	بين النهرين
٤١٠	الترييون	٣٢٤ و ٣٢٣ و ٣١٠ و ٢٧٩ و ٢٤٣	بيوتيا
٥٤٥	تريونيانس	٥١٥ و ٤٩٨	بيوس انطونيوس

الوجه	ت	الوجه	ت
١٤٥ و ٩٠	التوراة	٣٠١	ترسين
٤٢٣	تونس	٤٦٥	تريو. ثراتس
٦٤	تونيب	٢	تسانيا
	التبير	٥٠٨	تسيستس
٤٠٢	اللاتين يقومون على ضفتي البحر	٥٢٦	تسيفون
٤٠٤	المدن الانترسكية على جانبي الشمالية	٣٦٠	تشندر اغوبتا
٤٠٥	احد امراء الانترسكين بعبره	٣٦٣	تفرانس الاول
٤٠٧	لا سفن رومانية فيو	٣٦٣	تفرانسرتا
٤١٥	الغالون يبلغون القسم الاسفل منه	١٢٨ و ١٢٧	تغلت فلاسر
٤١٦	الاستطول القرطبي في مصبه		التقويم
٤٢٢	السن الحجارية تخرج منه		المصريون يستنبطونه
٤٢٢	تجارة رومية محصورة فيو	٢٦	التملك
٤٢٧			تولد حنه
٤٤٥	السن الرومانية السراجه فيو	١٨	شيوخ نظامه
٤٦٤	الفرسان بظهورون فيو	٥١٩	التلال
	تيرنس		الصدف منها وما يعلنه لنا
٢٠٥	معاقها الهائلة	١٤	انتشارها قديما
٢٠٦	قصر اميرها اول قلعة في اوربا	٩٩	الآثار فيها
٢٠٧	طروادة قبلها	١٠٠	التلون
٢١٢	بينشها شلومن		اكشافه
	الحفريات تين انتشار المدنية الايجابية من البحر الهما	١١	توت غنخ آمون
٢١٤			اكشاف فيو
٢١٨			محتويات ضريحه
٢١٩	القرى القائمة تحت اسوارها		الصوص وبيون قوره
٢٤٢	استيلاء ارغوس على قلاعها		مخلف اختناون
	تيطس	٧٣	
٤٩٢	يهدم اورشليم	٧٤	
٤٩٩		٧٥	
١٤٣	تيمورلنك	٨٠	
٤٦٠	التبوتينيون	٨٢	

الوجه	ث	الوجه	ث
٢٨٢	بجمن رومية	٣٦٤ و ٣٦٠	ثراكية
٢٨٢	عجزه عن استقالة المجلس	٣٤٠	ثراكيون
٢٨٤	احلامه التي لم يحققها	٢٧٧	ثرمبلي
٢٩٩	صورتها في سوق اثينا		ثساليا
٢١٧	اثينا تبلغ درجة سامية بزعامته		
٥٤٥	ثيودوروك	٢١٧	اليونان يفتنون بجيهاها
	ثيودوسيوس	٢٢٦	الانحالي عن المظاه في مراعيها
٥٤٢	بسترجع الامبراطورية	٢٧٨	احشونرش يترك قسما من جيشه فيها
٥٤٥	من عتبه على عرش الملكة	٤٦٨	معركة بين قيصر و هوس فيها
٥٤٦	يحظر عبادة الآلهة القديمة		الثور
٥٤٧	اوغسطينوس في ايامه	١٨	ادجانه
٥٤٨	الكنيسة السلطنة المملفة في ايامه		
٨٥٤ و ٣٨٨	ثيوقريطس	٣٣٤	ثوسديس
		٣٨٤	ثول
	ج		ثيية
	جبله (جيبيل)	٢٤٢	اتحادها مع اثينا
٤٦	جالية مصرية فيها	٢١٠	سكانها بعد دون اثينا
٦٢	المصريون يقدمون هدايا لانراهما	٢٢٢	تحالفها مع اثينا على سبارطه
٦٤	ارد مارها باقتحاره	٢٢٤	معركة اهلها مع سبارطه
٧٨	رسائل اميرها الى ملوك مصر	٢٢٥	زعامتها وسقوطها العاجل
١٢٤	اول مدينة فينيقية يرد ذكرها في التاريخ	٢٤٠	فيلبس يتدرب فيها
١٣٠		٢٤٢	نورجها على مكذونية
١٣٥	الورق باسمها فيلوس	٢٤٤	الاسكندر يستولي عليها
٢٦٢	انشاء حكومتها فيها	٢٤٦	العورة في صحتها
٩٩ و ٦٤	جراباس		ثييستكليس
	الجرمان	٢٧٥	يشهد موقعة مرثون
٤٥٩	اغنام الرومان بصددهم		قيامه يبي اسطولا يونانيا وخصامه ضد انفس
٤٦٠	قيام برابرتهم	٢٧٦	
٤٦٠	اتحادهم مع الغاليين ضد رومية	٢٧٧	قيامه ضد الفرس
٤٦١	ماريوس يقهر برابرتهم	٢٧٨	اعظم رجال اليونان حنكة وسياسة
		٢٧٩	معاكسة اليونان له

الوجه	ج	الوجه	ج
	الجلید	۴۶۶	قبصر بصد م عن غالباً
۶	زحنة		برابرهم خارجون عن حظيرة الامبراطورية
۱۱	تقفره	۴۷۸	الرومانية
۹۱	الجن في ديانة البدوي		قبائلهم الرحل يهددون حدود الامبراطورية
۱۴۶	الجنائن المعلقة	۴۹۳	الرومانية
۴۰۵ و ۴۰۰	جنوا	۴۹۳	تراجانس يعمق قواهم
۴۰۸	جوبتر		الملك تراجانس يوجد حامية مصرية تصد
۳۵۱	جيحون	۴۹۶	غاراهم
	الحيزة	۴۹۶	الرومان يخططون جيشاً بطاردتهم
۴۰	مدافن الفخمة نخبنا عن المصريين	۵۱۶	مرقس اوريلوس يجارهم
۴۱	شروع مهندسى الملك بيناه اهراما	۵۱۶	انهال برابرهم على ايطاليا
۶۷	اهراما تساعد على درس التاريخ	۵۲۲	سلطة الرومان العليا بيد المرتزقة منهم
۷۶	الارتقاء الديني منذ اهراما	۵۲۲	غارات برابرهم
۸۴	اهراما نص تاريخ عصر اهرام	۵۲۲	يدوخون اسبانيا
۳۸	طاليس يرى اهراما	۵۲۲	يتوغلون في ايطاليا
۲۷۸	جياون	۵۲۲	تيارم الجارف
		۵۲۵	بوليانس يكرم
		۵۲۷	مقابلة جيوشهم مع جيوش الرومان
		۵۲۷	م خطر على الام التمدنة
		۵۲۸	يستولون على عالم البحر المتوسط الغربي
		۵۲۸	وصفهم
		۵۲۹	في الجندبة الرومانية وخطر عابها
		۵۴۰	تقدمهم
		۵۴۲	يساعدون رومية على انلا
۱۱۳	حالتها في عصر حموراني	۵۴۲	يتولون في بريطانيا
۱۴۳	نقل مركز الملك اليها	۵۴۴	المحصار سلطة ايطاليا في قواد عسكريين منهم
۱۴۴	تدميرها	۵۴۹	الترنجيون منهم
	الخبز	۵۵۳	مالكم
۲۴	اختراعه	۵۰۵	جرمانيا
	الخبوب	۱۲	جرماليدي
۱۷	تحويلها من بره الى بستانية	۱۰۸	جلجيش
۶۸	حشيشوت	۱۰	الجاود لباس

الوجه	ح	الوجه	ح
٩٦	السومرية منها		الحثيون
١٢٥	نشر الاولى منها في اسيا	٦٩	العراقيون ينضون الى مملكتهم
١٦١	الفرس يجترعون المسارية منها	٧٨	يستولون على شمالي سورية
١٨٩	الغرب ياخذها عن الشرق	٧٩	قيام دولتهم
٢٢٢	وصولها الى اوربا	٨٢	اتحادهم مع رعمسيس ضد اشور
٢٢٤	زيادة اليونان على الفينيقية منها	٨٢	نص محاللتهم مع رعمسيس
٢٢٥	انتادها	١٢٢	اشور تنبهم وبابل على التعاقب
٢٣٥	الفينيقية منها اصل لمخروف العالم المتكلم	١٢٥	قيام ممالك اخرى بعد سقوطهم
٤٠٧	اليونانية منها في رومية	١٢٨	تأثير صناعاتهم في الاشوريين
٥٤٠	القوطية	١٢٢	التجارة بينهم واشور
	الحرية السياسية	١٧٧	اليهود يكسبون شكل وجوههم
١٨٩	حاجة الشرق القديم لها	٢٠٧	يهبطون الى اراضي الملل المخصب
	الحضارة	٢٠٨	تأثيرهم في مجاورتهم وظهور مدنيتهم
١٨	دوامها في سكان الهيرات	٢٠٩	فنونهم وكتابتهم المبره وغالبية
١٩	انتقال اوربي العصر الحجري المتأخر اليها	٢٠٩	هروزي يجل كتابتهم المسارية
٢٠	التراع الدائم بينها والبلاد	٢١٠	تأثير مصر وبابل في ديانتهم
١٢٨	خلاصة الاشورية منها	٢١١	مدنيتهم دون المصرية
١٤٨	الكلدانية في اوج مجدها	٢١٤	بعثة المانية للفر عن اثارهم
	الفصل الثامن كله ١٩٢	٢١٩	معاهدة امبراطورهم مع ملك سوري
٢٢٥	بزوغ اليونانية منها	٢٢٠	يتكلمون باللسان الهندى الاوربي
٢٢٧	تذكارات من الابجية منها	٢٢٠	يخرجون ملك اخيا من كاريا
٢٢٩	مؤثرات شرقية في اليونانية منها	٢٢١	تزعزع اركان مملكتهم
	الفصل العاشر كله ٢٢٧	٢٢٧	الحديد من بلادهم
	الدرس يملون السامية منها ويججزون ترقى اليونانية ٢٢٢	٢٢٢	يتناوون المدن الابونية
٢٤٠	قبس اليونانية منها في مخوم البلقان يتضاهل		حجر الشهد
٢٥٢	الاسكندر يمزج الاثورية بالآسيوية	١٤	اهم اكتشافات العصر الحجري المتأخر
٢٧٦	تأثير المحدثين على الملبية منها		الحديد
٢٩٢	اليونانية الشرقية	٢٢٧	بده عصره
٢٩٨	انتشارها من شرقي بحر الروم الى غربيه		حروف الهجاء
٥٥٥	الاسيوية	٢٢	علامات المقاطع الصوتية
	النظر ايضا مدينة	٢٤	تدهدها عند المصريين

الوجه	خ	الوجه	ح
٢١٠	خطي		الحكومات
٥٦٥٥٠	خفرع	٢٠	قوامها
٩٢ و ٨٨	خليج فارس	٢٠	اقدما
٨٨	الخليج المقعر	١٢٣ و ٦٤	حلب
	د	٦٤	حماث
٢٨٥	الدَّارِك نقود فارسية	١٢٧ و ١٢٥ و ٢٩ و ٦٤	حمام
	داريوس	٣٦٢ و ٩٩ و ٨٢	حمص
١٦١	تنظيمه الملكة		حمورابي
١٦٣	بسك النقود	١٠٩	قيامه
١٦٤	بوجه نظره الى البحر	١١٠	عظيمة
١٦٥	يربط الشرق بالغرب بترعة السويس	١١١	رسائله
١٦٦	ضريحه قرب انقاض قصره	١١١	شراسته
١٦٨	عزفتند يعرف اسمه	١١٢	روح شراسته
١٧٠	حكيم عمك	١١٣	شهرة الاقتصاديه
٢٧٦	موتة و خليفته	١١٤	النقود في زمانه
٤٤٣		١١٤	الديانة في عصره
	داريوس	١١٦	اثار الصناعة في عصره
٢٧٣	الفرس يرسلونه الى اوربا قائداً لجيوشهم	١١٧	الثقافة في زمانه
٢٧٤	عمار بنه اليونان	١١٧	سقوط اسرته
	داريوس	١٢١	ذك مدينة
٢٤٦	انكساره في معركة اسوس	٥٠٩	
٢٤٧	رسائله الى الاسكندر	١٧٩	حيرام
٢٤٨	موتة	٦٩	حيفا
٢٥٤			
	داسيا		خ
٤٩٣	تراجانس يفهمها	١٧	خبز الملة
٤٩٥	تراجانس يحفظها		الخط (انظر الكتابة)
١٥٩	دانيال	١٤٨	خط الاستواء
			قسمة

الوجه	د	الوجه	د
	دراخمة		الدانيوب
٢٥٦	قوبها الشراية	١٩	الرعاة بملكون المراحي على صفافو
٢٨٦		١٥١	المراحي التي مقابلو
٢٥٩	دراكو	١٥٤	قبائل الشمال نفضمة
	الدردينيل	٢١٧	اليونان نرحلون جنوبا من مقابلو
٢٢٠	هندو اور بيون يقطعونو	٢٤٦	مستعمرات يونانية بقريو
٣١٠	بيسترائس يستولي على مدخلو	٢٤٢	فيلبس يوسع ملكته شرقا اليو
٣٧٩ و ٣٧٨		٢٦٤	
٢٨٢	اسطول الاتقاق يطرد الفرس من منطقتو	٤٩٢	ملكة داسيا عليو
٢١٦	الكبادس يعتزل في قلعة قريو	٤٩٦	هدريانوس يعزز الحصن المتد اليو
٢٤٢	فيلبس يوسع ملكته شرقا اليو	٥٢٢	
٢٥٩	اساطيل البطالة فيو	٥٤٠	المونيون يزحفون عليو
		٥٤٢	
		٥٤٢	
٤٦٢	دروسوس		داود
	الدكتاتور	١٧٨	قيامه
٤١١	نشأته	١٧٩	نصرته على الفلسطينيين
		٢١٩	
	داني		الدجاج الهندي
٢٣٨	مزار زفس فيها	١٦٥	الفرس يدخلون الى اوربا
٢٤٩	مجلس حرم ابلون فيها		الدجلة
٢٦٥	الطفافة يوردون مقدم هيكلها من الرخام		رموز الاثار على جانبيو
٢٦٦	المركز الديني الوطني	٨٦	
٢٧٠	العباره فوق باب هيكلها	٨٩	
٢٢١		٩٢	احد الراقدين
٢٦٤	بلوغ مكثونه الى موحلها	٩٥	صفافه عاليه
٤٠٩	الابطاويون يصنعون تكهينات نيبتها	١٢٠	الانجناد التي تشرف عليو
		١٢٢	ملوك اشور يبنون التصوير على صفافو
	دمشق	٢٢٢	اكرزيونون بقمهر بقريو
١٢٤	اعز مالك الازاميين جانبيا	٢٤٨	الاسكندر يقطعه
١٨٢	اليهود يأخذون عنها الفنون	٢٦١	
١٨٢	الآلات الاشورية تدك اسوارها		الدخن
٢٦٢	من ضمن مملكة البهراء	١٧	زراعه

الوجه	د	الوجه	د
٢١٠	جنوح اثينا لما	الدنرك	
٢٢٠	مساوى اللاتينية	اقدم منازل العصر الحجري المتأخر في سواحلهما ١٤	
٥٢٠	فلاشيها	احد صناتها يعقن آلات العصر الحجري ١٥	
	ديميتر	ما وجدوه فيها من الاضرحة ١٦	
٢٢٨	الام القديمة	٢٠	
٢٢٦	الكمان يملون فصولاً من حيوانو	الدوريون	
٤٠٩		يقنون اثار الاغاثيين ٢١٩	
٤٩	الديوريت	قيامهم في الجنوب ٢٢٠	
	ديونيسيوس	٣٠٠ و ٢٦٥	الدوري
٢٢٨	مالك الكروم		دومتيانس
٢٩٦	الكمان يملون فصولاً من حيوانو	٤٩٢	محسن مملكة
٢٩٨	الروايات في عيده	٤٩٢	لم يقدر على ايقاف داسيا
٢٠٢	عيده مشهور عند الاثينيين	٥٠٨	حرية القول بعد موته
	ديونيسيوس	٢٦٣	ديكران
٢٨٦	عالم لغوي	٣١٥	ديكيلية
٢٨٧	رواج كنية		ديلوس
	ديوقليتيانس	٢٤٩	مجلس العيد السنوي فيها
٥٢٧	قيامه	٢٥٢	السوق السنوية فيها
٥٢٨	تجربته المشيئة من كل سلطة	٢٨٢	انشاء اناقاما
٥٢٠	اختياره نيوميديا مقاماً له	٢٨٧	تعريض خزانه اناقاما للخطر
٥٢١	محاولة اكره الفلاحين ان يثابروا على اعمالهم		ديلية
٥٢٢	ارتقاؤه الى العرش. حماية العالم القدم		الحالفة
٥٢٢	تنظييات تنفع القسم الشرقي من الامبراطورية	٢١٥	
	ذ		ديلية
	الذخائر المقدسة	٥١٢	خطبة طيبلس
٢٤٥	احفاظ اليونان بها	٣٦٤ و ٣٤٣ و ٣٤٢	ديمستيس
	الذكريين		الديوقراطية
٢٢٤	عند اليونان	١٨٩	حاجة الشرق القدم اليها

الوجه	ر	الوجه	ر
	الرهبان	١٢٣	رارا ايوك
٥٤٨	بشرون	٣٩	راع
٥٤٩	مخطون اداب اللغة اللاتينية	٢٤١ و ٢٣١ و ١٠٥ و ١٠٤ و ٩٥ و ٩٢	الرافدين
	الرهن		الربا
٢٥٧	عند اليونان	١١٤	عند الهالين
		٢٥٧	عند اليونان
	الرواقيون		رب عدي
٢٩١	فلسطين		امير جميل
٢٩٢	مدرستهم دائرة في جامعة اثينا	٧٨	
٤٦٧	الروبيكون	١٧٩	رجبام
٣٢٩ و ٣٦٥	رودس		الرسم
٣٧ و ٣٦	الروزنامة	١١	اكتشافه
١٥١ و ١٢٣	روسيا		رشيد
٢٠٨	الشرعارها	٨٦	شبولون بقره حجره
٥٤٢		١٦٩	
	روانصن	١٩	الرعاة
١٦٩ و ١٦٨	السرهنري		رعمسيس الثاني
٣٢٣	روايا		ينقش على جدران الكرنك نص المعاهدة بينه
	الرومان	٨٢	والمخبيين ضد اشور
	مجلون حدوا الاشوريين في بناء افواس النصر	٢١١	
١٢٦		٢٣٠	رسالة فينيقية الى حفيداه
	في عصره انتصر الشعب الهندسي الاوربي على		رعمسيس الثالث
١٥٢	السامي	٨٢	يتصدى لمخبيين وغيرهم الزاحنين على مصر
١٥٥	اسلافهم		ركسانا
٤٠٧	حروفهم وسنتهم		انزالها بالاسكندر
٤٠٨	نقودهم ومقاييسهم	٢٥٢	مولودها
٤٠٩	ديانتهم وعقلياتهم	٢٥٨	
٤١٠	جمهوريتهم وعدم رضا عامتهم		الرنه
٤١١	شرائعهم	١٠	
٤١٢	مخترمون الحكومة ومتولي زمامها		

الوجه	ر	الوجه	ر
٤٩٣	اليهودية ولاية من امبراطوريتهم	٤١٣	مجمع العامة عندهم بسن قوانين
٤٩٣	قبائل الجرمان الرحل يهددون امبراطوريتهم	٤١٤	استعمارهم الزراعي وتوسع سياستهم
٤٩٣	امبراطوريتهم حصن مدينة البحر المتوسط	٤١٤	جمهوريتهم في اولها
٤٩٣	تحصين ثغورم الثانية	٤١٤	منازعاتهم مع الانترسكيين
٤٩٦	يحافظون على جيش مخصص لمطاردة الجرمان	٤١٥	اخضاعهم اللاتين
٤٩٧	اتساع سلطة امبراطوريتهم	٤١٥	معاركهم مع السمتيين والانترسكيين والغاليين
٤٩٧	تنظيم دوائر حكومتهم	٤١٦	بروس قهرم
٤٩٨	مجموعة قوانين امبراطوريتهم	٤٢٠	مجلس شيوخهم يحكم رومية وما استولت عليه
٤٩٨	حكومة الولايات في امبراطوريتهم	٤٢٤	مجلس شيوخهم يامر بترجمة رسالة ماغوا الزراعية
٤٩٩	شعوب امبراطوريتهم	٤٢٦	قوتهم الحربية
٥٠٠	المواصلات والملاحة والشحن عندهم	٤٢٧	عدم وجود قياد محتمكين عندهم
٥٠١	حالة الشاب منهم في مدارس الاسكندرية	٤٢٨	بنون اسطولاً
٥٠١	الجماعة والمدارس والاسفار في امبراطوريتهم	٤٢٩	اشتباههم بحرب مع الغاليين
٥٠٢	حالة السائح منهم في الشرق واليونان	٤٢٢	معاركهم مع هنيبال في كتي
٥٠٥	خرائيمهم في اوربا واثريشيا	٤٢٣	سياستهم وجزيتهم
٥٠٧	النقش عندهم	٤٢٣	وقوع سرقوسه بايديهم
٥٠٧	اثارهم في ايطاليا	٤٢٥	معرفة زاما وفوزم على هنيبال
٥٠٨	التصوير عندهم ونقش لغتهم	٤٢٦	المعاملة التي ختمت خروجهم مع هنيبال
٥١٣	نقش ديانتهم	٤٤١	معاركهم مع المكسديون في سينوسفلي
٥١٦	الطاعون في جيشهم	٤٤٢	تأسيس ولاياتهم وسلطتهم المطلقة
٥١٩	علامات نهتهم الداخلية	٤٤٦	وصف منزل غني منهم
٥١٩	شيوخ نظام التملك الشرقي في امبراطوريتهم	٤٤٩	مدارسهم
٥٢٠	الذاتير التي عليهم من العيشة في المدن	٤٥٠	ناشرو كتبهم ومكانتهم
٥٢١	انحطاط الروح الوطنية في مدنهم	٤٥١	المجالات عندهم وتأثيرها السياسي
٥٢١	النقود عندهم	٤٥١	قوانينهم ضد الترف والتبذير
٥٢٢	سلطنتهم العليا يد المرتزة من الجرمان	٤٥٢	حالة الولاة منهم بعد انقضاء مدة ولايتهم
٥٢٣	اغتيال امبراطورهم	٤٥٢	نقائهم السياسية
٥٢٤	اثارهم في فرنسا	٤٥٥	نقصير حكومتهم
٥٢٧	خلاصة تاريخ سيادتهم في اربعة قرون	٤٥٩	يهتمون بهصد البرابرة
٥٢٨	امبراطوريتهم تنجح على منوال الشرق	٤٦٠	تعيبتهم قائداً من الشعب ضد المشيخة
٥٢٨	انقسام امبراطوريتهم القسمن وخسراهما فلاحهما ونجارها	٤٦١	انقاذهم العسكرية منه
٥٣١	حكومتهم تحاول الاشراف على كل الاعمال	٤٨٢	تأثير العوامل اليونانية والشرقية في مبانيهم
٥٣١	مقابلة بينهم وبين المصريين	٤٨٣	من منهم في مقدمة متبلي العالم القديم
		٤٨٩	تابعيتهم تفرض عبادة الامبراطور

الوجه	ر	الوجه	ر
٤١٦	في سيدة اواسط ايطاليا	٥٢٢	تبار براهمة الجerman عليهم
٤١٧	نزاعها مع قرطاجنة	٥٢٣	تنظييات القسم الشرقي من امبراطوريتهم
٤٢٠	مخالفتها الجيراني المستقلة في اوربا	٥٢٧	مقابلة جيوشهم مع جيوش البرابرة
٤٢١	جيوش حطائنها تحت امرتها	٥٢٩	الجerman في ملكتهم خطر عليها
٤٢٢	توسعا الجياري والنقود النضبة فيها	٥٤٢	ثيودوسيوس يسترجع امبراطوريتهم
٤٢٣	بلدة حقيرة	٥٤٣	امبراطوريتهم الغربية تنحصر في ايطاليا
٤٢٥	احكامها مع قرطاجنة والمعاهدة بينها	٥٤٥	الشرائع التي تركوها لاوربا المجدنة
٤٢٦	لا قوة بحرية لها	٥٤٨	احترام كنيتهم
٤٢٧	بداية حربها مع قرطاجنة عند مسانا	٥٥٠	المحطات ملكتهم الشرقية
٤٢٨	انتصار جيشها الجيري	٥٥٢	انتشار كتابتهم
٤٢٩	استيلائها على سردينيا وكورسيكا	٤٩٣	رومانيا
٤٣٠	بده الحرب المتبالية معها		روملس
٤٣٢	هنيبال يبني جيشها	٤٥٠	حكايته يقابل شعري
٤٣٣	هنيبال ينظم حلفاءها لمحاربها	٥٤٤	رومولس
٤٣٤	خيبة هنيبال في زحفه عليها		رومية
٤٣٦	قرطاجنة تنهبها	١٥٢	بعض حروبها اعمال الجيش السامي الحربية
٤٣٧	نلتفت الى الشرق	٢٣١	قرطاجنة اشد خصم لها
٤٤٠	اسباب الحرب بينها ومكذونية		تجهير انطيوخس ان يتقل لها عن ملكة و قرب
٤٤١	نزاعها مع مملكة السلوقيين	٢٦١	جبال طورس
٤٤٢	تيد مكذونية وتضع اليونان ومصر لها	٢٦٣	احتلالها سورية
٤٤٣	ثروتها المجددة	٢٦٣	قوتها تفاحي المملكة الارمنية
٤٤٥	نمو تجارها	٢٦٦	تعترف بحرية اثينا
٤٤٨	اثار الفن اليوناني فيها	٤٠٤	ظهورها
٤٤٩	تأثير العلم والمتهدين اليونان فيها	٤٠٥	استيلاء الانترسكين عليها
٤٥٠	اول مكتبة خصوصية فيها	٤٠٦	ملوك الانترسكين بطردون منها
٤٥١	توزيع المكتبة على الفقراء والرشوة فيها		التجارة والنقود والمقاييس وحروف الهجاء فيها
٤٥٢	استعبادها اسرى الحرب	٤٠٨	المؤزات اليونانية فيها
٤٥٤	بها تدوم مدينة اليونان	٤١٠	اتقارب القناصل فيها بدل الملوك
٤٥٥	مسؤوليتها في تنظيم مدينة عالم البحر المتوسط	٤١٢	مجلس الشيوخ الروماني من رجالها
٤٦٠	ظهور سلطة الفرد فيها	٤١٤	نجاتها من التدمير
٤٦٢	استعباد اهلها الاهي	٤١٥	استيلاء الفالوين عليها
٤٦٣	قتل وسفك دماء في شوارعها	٤١٥	تنحصر التبايل الاثينية
٤٦٧	اخراج هيموس منها واستيلاء قيصر عليها		
٤٨٠	اهظم مركز للنن		

الوجه	ر	الوجه	ر
٥٤٧	مركز الكنيسة الغربية	٤٨٣	تاخر العلم فيها
٥٤٨	تزايد سلطة كنيستها	٤٨٤	اعظم خطيب في تاريخها
٥٥٤	تاثيرها المبالى في اوربا الحديثة	٤٨٦	اهتمام اهلها بالآداب
٥٤٧	استفها يناظر اسقف قرطاجنة	٤٨٧	الوزارات وقنوات الماء فيها
٥٠١ و ٢٤٨ و ٦	الرون	٤٨٨	نبرون يرتقي الى عرشها ويحرقها
٤٥٠	رئيس	٤٩٤	تراجانس يعيد مجدها
٥٤٣ و ٥٤٠ و ٤٩٦ و ٤٦٦	الرين	٤٩٤	تسلط على النصف الغربي من الملل المخصب
		٤٩٦	عظيمة جيشها
		٤٩٧	نظامها الرافي
		٥٠١	تجارها مع الهند
		٥٠٢	في وقرتها واشور وابل ومصر
١٦٥ و ١٥٧	زافورس	٥٠٦	مبانيها العمومية
	زاما	٥٠٨	زيادة عدد المتأدين فيها
٤٣٤	تصادم شيبو وهنبال فيها	٥٠٩	التصوير العلمي فيها
٤٣٥		٥١٠	مزيج من شعوب مختلفة
٤٣٦		٥١٠	دخول النعم الشرقي لها
	الزجاج	٥١٢	تقهر الحواة المقلية فيها
	صناعة	٥١٢	رواج الاسرار والغوامض الشرقية فيها
٥٠		٥١٥	تضهد المسيحيين
١٤٨	زحل	٥٢٠	نقصان كمية المواد اللازمة للطعام فيها
	زفس	٥٢٠	تجز عن ارجاع الفلاحين الذين هجروها
٣٣٧	على جبل اولموس	٥٢٠	تاخر تجارها وعدم وجود معادن لذك نقودها
٣٣٨	من اعظم الهه العالم	٥٢١	
٣٦٦	شعور الناس به	٥٢١	تاخر جيشها
٣٦٨	نصره قابض على زمام الحكم	٥٢٢	عدم وجود نظام فيها تمشي عليه المخلافة
٢٠٤	قضاة لا يرد	٥٢٢	اغتيال امبراطورها والوفى فيها
٢٥٢	الاسكندر بزور	٥٢٦	زعيمه الغرب
٢٧٩	ما شيدة ملوك برغام اكراماته	٥٢٧	تدمر تدرأ الشر عنها
٢٩٢	الصنعة في ميكلو	٥٢٢	مهمتها المستقبلية
٥٢٧ و ١٢٧	زنوبيا	٥٢٧	النضاء علامصرها
	الزهرة	٥٤٢	استيلاء الفوط الغربيين عليها
١٤٨	عند الكلدان	٥٤٢	الفوط والمجرمان يساعدها على ائلا
٤٠٨	عند اليونان	٥٤٤	الامبراطرة الاخيرون فيها
٤٠٩	عند الرومان	٥٤٤	استيلاء الفندال عليها

الوجه	س	الوجه	ز
١٤٥	آخر من تسلط معهم على بابل		زورواستر
١٤٨	الندير بقرب زوال سوادهم	١٥٦	ظهوره
١٥٣	نواعهم مع الهنود الاوربيين	١٥٧	بيشر بدينو الجديد
١٥٣	انتصار الهنود الاوربيين عليهم	١٧١	
	مقابلة بين مينة صنفهم وصنوف الهنود الاوربيين	٥٣٦	ظهور ديانتو بمظهر جديد
١٥٥			
١٧٥	شكل انوفهم	٣٩١	زيتون
١٧٦	تعلمهم الكتابة المسارية		
٢٧٦	مبنتهم ومسرهم بهاجون الهنود الاوربيين		س
٢٩١	احدم يوسس مدرسة في اثينا		الساعة
٤١٧	كاننا نشاهد حرباً بينهم والهنود الاوربيين	١٩	تربيتها وما اوجدته
٥٠٥	مدنيتهم تهيبة العصور كلها		
٥٥٣	وشك وقوع اعظم حركاتهم		ساردس
		١٥٩	كورش يستولي عليها
		٢٧٣	
	سبارطة		
١٥٩	تعقد مع المالك العظيمة ضد كورش	٥٢٦	الساسانيون
٢٤٣	جزء من المورة في حوزها	٢٦٧	الساعة الشمسية
٢٤٣	الاتحاد الذي ترأسه	١٨٢ و ١٨٣	السامرة
٢٤٤	احتفاظها بملوكها		
٢٦١	تأسيس عصبها واتساعها		ساموس
٢٧٤	اثينا تستعيد بها على الفرس		
٢٧٧	معركتها مع الفرس في ثرموبلي	٢٥٤	ما تعلم اليونان فيها
٢٧٨	عدم اقتناعها ان تنضم الى اثينا ضد احثويرش	٢٧٣	اسطول فارسي يطلع من مينائها
٢٧٩	ملكها يكرس الفرس في يوتيا	٢٨٣	ارسترخس الفلكي منها
٢٨١	محافظةها على القدم		
٢٨٢	المنافسة بينها واثينا		الساميون
٢٨٣	كيفون يعقد معها معاهدة	٨٩	قبائلهم
٢٨٦	دون اثينا في ماليتها	٩١	يهجرون البادية الى الملل المنصب
٢٨٧	الحرب الاولى بينها واثينا	٩٤	
٢٨٧	اثينا تعقد صلح معها	١٠٥	اول انتصار لم
٢٠٩	محاولة الاثينيين السرية للانضمام اليها	١٠٧	صناعتهم في عصر سرجون
٢١٠	عدوة اثينا	١٣١	احدى قبائلهم تحمل اشور
٢١٠	تسلط على البلونيس وانتقام اثينا منها	١٣٢	نفوذهم ومراكزهم الحربية في الشمال
٢١٣		١٤١	

الوجه	س	الوجه	س
١٠٧	وهن جنوده	٢١٢	فرار الكيبيادس اليها
١١٠	عظيمة	٢١٤	الكيبيادس ينصح الى اهلها ضد الاثينيين
١١٣	اضطرار الاثوريين بعد موتو	٢١٥	حاميتا في اتيكا
١٢٠	الثاني المنقل	٢١٥	الفرس يساعدها
١٢٢	رسائل ولي عهد له	٢١٦	تسلم ما بقي من اسطول اثينا
١٢٧	اثار الصناعة في عصره	٢١٧	شروط تسليم اثينا لها
١٤١	اهتمامه بارجاع الفلاحين	٢١٩	حكما والتزاع فيو
١٦٩	ما وجد في قصره	٢٢٠	
		٢٢١	مزارع اتيكا التي خرقتها
٤٢٣ و ٤٢٩	سردينيا	٢٢٢	
		٢٢٣	تحالف اثينا وثيبة عليها
	سرقوسة	٢٢٣	الحرب بينها وبلاد فارس
٢٤٨	مقر للعلوم	٢٢٤	سقوطها مع عقد مؤتمر صلح فيها
٢٧٨	طاغيتها بكسر جيش قرطاجنة	٢٢٤	معركتها مع الثيبين
٢٨٥		٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٥	
٢١٢	حملة الاثينيين عليها	٢٢٢	لم يقدر فيليس ان يتولى منصب زعامتها
٢١٤	حبوط حصارها	٢٤٤	
٢١٥	اهلها يتفكون بينكياس الاثيني وجيشو	٢٦٥	انتصارها على الاثينيين
٢٨٢	ملكها وارخيدس والناج الذهبي	٢٦٦	مكدونية تسحق قواتها
٤٠١	اشد المدن اليونانية الغربية حولا		
٤١٤	اسطولها يدمر اسطول الانترسكيين	٥٢٣	ستيميموس
٤٢٧	اهلها يحاصرون مسانا	٢٩٤	ستاديون
٤٢٢	وقوعها بايدي الرومانيين	٤٨٢	سترايو
٨٩	السريان	٥٤٠	ستراسبورغ
٢٧٩	سسستوس	١٩٥ و ٢١	ستوثنج
	السفستيون	٢٦٤	ستيسيكروس
٢٩٤	قيامهم		
٢٩٥	تعليمهم ينشر المعارف		الستين
٢٩٧	ما وكسبة الاثيني على ايديهم	٩٧	نظام المد عند السومريين
٢٠١			
٢٠٤	يوربيدس صديهم		سرجون
٢١١	بريكليس يكثر من معاشرتهم	١٠٥	ظهوره
٢٢٠	ارستوفانس يهزأ منهم	١٠٧	الصناعة في عصره

الوجه	س	الوجه	س
٢٠٢	اصططوس ينظم يومها شعراً	٢٢١	الاثيني يسمع محاضراتهم
٢٠٣	سوقدليس على ساحلها يشاهد حرق مراكب الفرس	٢٢٤	خلفاؤهم طائرو الشهرة
٢٠٤	يوريبس من مينا	٢٣٢ و ٢٠٩	السفنكس
٤٠١ و ٢٥٢		٣٥٩	سفيد
٣٦٠ و ٣٥٨	ساوقس	٥٢٣	شيروس
	الساوقيون	٣٣٣ و ٣٣٢	سقراط
٢٦٠	ملكهم في اسيا	٥٤٣	السكسون
٢٦١	حاربهم مع البطالسة وحالهم بعد ذلك	٣٢٦	سكروياس نحات
٢٦٢	المدن المحرقة في دولتهم		السكيثيون
٢٦٣	وظيفة ملكهم		بشرون في سورية
٢٦٤	المؤسسات التي شادوها	١٤٢	المحامد
٢٦٥	امراء سورية يعترفون بهم	١٤٤	سكيلاش
٢٦٦	الفرقيون يلتمسون ملكهم		السكين
٢٨١	يحملون عدداً للسنين	١٦٤	اختراعها
٤٤١	نزاع رومية مع ملكهم		سلا
	سليان		قيامه
١٧٩	انقسام مملكته	٢	نصرته على العامة
٣٣١	صناع فينيقيون في خدمته		سلاميس
٤٦٠	السمريون	٤٦٣	تجار مفرأ يستولون عليها
٣٦١	سمعان المكابي	٤٦٤	تمتلكس ينقل اهل اثينا اليها
	السخنيون	٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٩	المعركة حولها بين الفرس واليونان
٤١٥	من م		فرار الاثينيين اليها من وجه الفرس
٤٢٥	في منتصف حروبهم	٢٥٩	ساق زوارق في خليجها
	الستاتوس	٢٧٧	ذكر الاثينيين انتصارهم فيها
٤١١	الروماني	٢٧٨	
٤١٥	سنتينوم	٢٧٩	
	سنحاريب	٢٨٢	
١٣٠	عظيمة	٢٩٨	
		٢٠١	

الوجه	س	الوجه	س
١٤٢	السبكيون يشرون فيها	زحفه الى سواحل البحر المتوسط وكساحه	
٢٠٩	الخبثيون يتهبون المدينة المصرية من مدنها	المحصون اليونانية	١٢١
٢١٩	معاهدة امبراطور حثي مع احد ملوكها	زحف ابني	١٢٢
٢٢٢	اندم صورة لمعركة بحرية قبالة سواحلها	سيادة حنيد مصر	١٢٢
٢٢٨	عشتاروت تغادرها الى بلاد اليونان	تشيدته نينوى	١٢٢
٢٥٩	البطالمة يستولون على جنوبها	باب قصره	١٢٧
٢٦١	نقل عاصمة السلوقيين اليها	حدائقه فوق نينوى	١٢٨
٢٦٢	امراؤها يمتدرون ببلوقتي انطاكية	حنيدته يتعلم الخط	١٢٩
٢٦٣	ارمينيا تسيطر عليها	مواقفة القبائل الازامية	١٤١
٢٨١	عدد السنين فيها	حصاره اورشليم	١٨٢
٥٥٢		ملاك جيشه	١٨٤
٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤	سوفكليس	السند	٣٥١
	سومس	سندباد البحري	٦٠
٦٤	من م اهلها	السنسكريتية	١٥٥
٦٦	كتابها	سنتقا	٤٨٨
٦٧	الاعداد والوزان عند اهلها	السودان	٤٦
٦٧	اله الهوا عندها	سورية	
٦٧	تقومها القمري	انقسامها الى دولات وعزة مدنها	٦٤
٦٨	ديانة اهلها وعبادتهم	ابعاد المكوس اليها	٦٨
٦٩	بيوت اهلها وقرام	الفراعة يهزون عن ضبط المحكم فيها	٦٩
٦٩	عادات اهلها في دفن موتاهم	ما كعبة احد امراءها عن فرعون	٧٠
١٠١	صناعة اهلها القديمة	الخبثيون يستولون على شمالها	٧٨
١٠٢	اجتماعات اهلها الاولي	تخدم وصعوبات المصريين فيها	٧٩
١٠٢	الممالك المدنية فيها	شيلولثوما يناوي مصر فيها	٨٠
١٠٤	اقدم الحروب بين اهلها	المدن الخفية في شمالها	٨٢
١٠٥	اتحادها مع أكد	العرب الرحل يقطعونها للتجارة	٩١
١٠٧	امتزاج اهلها بالاكديين	اهلها يأتون بالتماس من مصر	٩٥
١٠٨	اقتكار الناس واساطيرهم في زمن ملوكها	تجارها يكتبون على الاجر	١١٢
١٠٩	ضعف امر اهلها ونهقر لغتهم		
	السويس	قيام مالك منها	١٢٤
٦٣	والفراخنة	اشور تخضعها	١٢٥
١٦٤	ودار هوس		١٢٦

الوجه	س	الوجه	س
٦٥	سيوط	١٦	سويسرة
٢٥٢	سيوه زيارة الاسكندر لها	١٨	في قراها الاثار الباقية من اقدم بيوت الخشب
		١٩٢	انسال المحومات البرية على مضاب قراها الحجرية
	ش	٢٩٨	دخان المنازل فوق جهرامها
٥٤٩	شارل مارقل		السيارات
	شالون	١٤٨	اصل ابائها
٥٤٢	معركة فيها		سيليل
٥٥٣ و ٦٤	الشام	٤٠٩	الكعب السبيلة
	الشرق	٣٥١	سيحون
٢٠	الطين الابيض فيو قبل اوربا	٣٩٢ و ٣٧٦	سير ايس
٢٥	هد العمران والمدنية	٤٠٩	سيريس
٢٥	ما هو وعلاقته مع اوربا		السيف
٣٦	سير المدنية منه الى الغرب	٤٠٠	اختراعة
٣٧	اجت عن القدم منه		سيلان
٧٦	المدفون فيو من الاثار	٣٨٤	سيلاند
٨٤	قيام اشور فيو	٢٠	السين
١٤٨	ميل اهله لاجزاء الماضي	٥٠١	سيناء
١٥٩	سقوطه امام الهجوم الهندي الاوربي		سانج فيها
١٦١	ملوك فارس في بابل ينشرون مدنيته	٢٧	اكتشاف المعدن فيها
١٦٣	النفود تدخله في العصر العربي	٤٠	مناجم القاس فيها
١٦٥	دار بوس بر بطة بالغرب	٤٦	
١٧١	المراحة الشديدة بين ادبائو	٤٧	تراجانس فيها
١٨٨	نهاية زعامته	٤٩٤	هدرمانوس فيها
	احتياجه للفرية السياسية والحكومة السدموقراطية	٤٩٥	
١٨٩	مآثره ومفاخره	٤٤١	سينوسفلي
١٨٩-١٨٨	يعطي الغرب حروف الهجاء	٨٢	سيني الاول
١٨٩	ضعفه لفقدان الحرية السياسية	٦٥	سيوستريس
١٩٠	الاقصى منه همد الفرائب والجمائب		
١٩٢	مدنيته اسي من مدينة اوربا في عصر البرنز		

الوجه	ش	الوجه	ش
١٧	الشعير	١٦٦	جزر بحر ايجه، مراكز فرعية له
	شمبوليون	٢٠١	
٨٦ و ٨٧ و ٨٤	مساعدو لجل رموز الكتابة المصرية	٢١٨	برابرة اليونان على حدوده
	شعار	٢١٩	اليونان تحت تأثيره يوجدون مدينة سميا
٧٩	الخبثيون يبالغوا	٢٢٩	مؤثراته في اليونان
٦٢	سهلها ومساحتها	٢٢٢	انتقال فتو الى اوربا
مشهد لحروب عديدة بين الجبلين واهل البادية		٢٥٥	المعادن الكريمة وسك النقود فيه
٦٤	برج عظيم فيه	٢٤٨	سيادة الاسكندر على القدم منه
٦٧	شعبان متعاديان فيه	٢٥٠	غزوات الاسكندر في الافصي منه
١٠٤	سرجون سيده	٢٧٢	دخول القنطرة والمنور منه الى العصر الهليني
١٠٧	امتزاج الساميين بالمجلبين فيه	٢٨٤	تقييدات وابعاجت جغرافية فيه
١٢٠	الاكديون بمخلوثة	٢٩١	احد رجاله يؤسس مدرسة في اثينا
١٢١	شوشن	٢٩٢	المبول الى آلهة
	موقعها		استمرار دخول مؤثراته في الجاناب الشرقي من
١٦٥	بلوغ اسكندر اليها	٢٩٢	البحر المتوسط
٢٥٠	شيليدو	٤٢٧	رومية تلفت اليه
٤٢٤	قيامه	٤٦٤	فتوحات مهبوس فيه
٤٢٤	تصادمه مع هنيبال	٤٨٢	تأثير عواملو في المالباني الرومانية
٤٢٥	درائته البحرية	٥٠٢	السائح الروماني فيه
٤٢٦	نصرته على هنيبال	٥٠٤	المدنية القديمة فيه
٤٤٢	مستشار لانجيه	٥١٢	رواج اسراره وغوامضه في رومية
٤٤٩	بوليبوس ضيفه	٥١٢	يرسل الديانات الى الغرب
٤٥٩	حنيد	٥٢٦	التنافس بينه والغرب
٤٤٢	شيليو اخوه	٥٢٦	بلاد فارس زعيمته
	شيشرون	٥٢٧	زنوبيا ملكته
٤٦٥	بالمرصاد يراقب قتلنا	٥٢٨	الامبراطورية الرومانية تنسج على متوالو
٤٦٩	قويصر ينجيه	٥٥٠	تأثير بناؤه في بناء الكنائس المسيحية
٤٨٤	كتابه و تأثيرها الدائم		
٤٨٥	موته	٢١١	شليمن
٥١٢	الرومان بطالمن مقالاته	٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٤	يكشف طر واده
		١٧٨	شاوول
		٧٩	شيليو ليشوما

الوجه	ص	الوجه	ص
٤٥٣	ما حدث فيها غصون ثورة العيد	٢٦٣	صافو
٥٤٤ و ٥٠٤		٨٨ و ٨٣ و ٣٩	الصحراء
٥٤٥	في حوزة ثيودورك		الصدف
	الصلصال	١٤	ثلاثة تكشف النار عن بعض الصنائع
١٤	المطبوخ بالنار	٨٣	الصعيد
	صهيون	١٠	صقارة العظيم
١٨٥	انغالي العبرانيين في بابل عنها		الصفود
	الصوت	٢٢٢	كتاب اكرتيفون (Anabasis)
	الخطوة التي قادت البشر من الطور التصويري	٥٥٣	الصقالية
٢١	اليو		صقلية
	صور		ما وجدوه في الكهف فيها
٦٤	ازدهارها بالغارة	١٠	جدول بالرمو في دار الخف فيها
٧٨	رسائل ملوكها عن مناهب اخناتون	٢٧	اليونان يستعمرونها
١٢٤	بده سيادتها على فينيقية	٢٤٧	قرطاجنة مهاجم اليونان فيها
١٣٠	تقيوم الاشرور بين	٢٧٠	جيلون يكسر جيوش قرطاجنة فيها
١٧٩	ملكها يزخرها و يساعد سليمان	٢٧٦	الحملة عليها
٢٤٧	الاسكندر يدمر اسوارها	٢٧٨	حملة سيارطه فيها
٢٤٨	كذبة اتصالها بالهر	٢١٢	الاسكندر يفتي اسطولا لانخضاعها
	صولون	٢١٥	اساطيل مصر في مياهها
٢٥٧	قول مأثور من قرله	٢٥٩	اللغة اليونانية شائعة فيها
٢٥٩	التقائه ارخونا وقوانينه المجددة	٢٦٨	اليونان يطردون القرطاجنيين منها
٢٦٠	الدستور الذي سنه واعتباره	٤٠٢ و ٤٠١	ارتداد بروس عنها
٢٧٠	قوله المأثور	٤١٦	القرطاجنيون فيها يسكون تنوقا
٢٨٤	اشاع نطاق المجالس التي ادخلها	٤١٧	القرطاجنيون فيها
٢٩٢	وضعه صورة اليمين للجنسية اليونانية	٤٢٤	امتلاك الرومان القسم الشرقي منها
٤٥٩	مقابلة بين شرائته و شرائع غرقس	٤٢٥	تغلي القرطاجنيين عنها للرومان
٣٤	الصومال	٤٢٧	اصح عند نهاية الحرب
	الصوان	٤٢٨	
٢٢	حفرة لصنع ادوات	٤٢٩	
٢٢	الفرنساوي للناجزة	٤٣٠	

الوجه	ط	الوجه	ص
٢٢٧	ما كتبه هوميروس في الهاذنو عنها		صيداء
٢٤٩	اليونان متعددين بها	٦٤	ازدمارها بالتجارة
٢٤٤		٧٨	رسائل ملوكها عن مناهب اخناتون
٢٧٦	كاهنها	٣٨٤	الصين
٢٨٠	مأساة حروبها	٢٨٤	روايات عن ساحلها
٤٢١	نقايد حروبها مشتركة عند اليونان		ض
٤٤٩	بوليس في تاريخها		الضان
	الطورانية		ادجانه
٢٦٢	الاسرة	١٨	
٣٦١	طورس		ط
٤٧٢ و٤٦٣ و٤٦٠ و٤٥٩	طيباريوس غرقس		طارق
٥١٣ و٤٨٧ و٤٨٦	طيباريوس	٥٤٢ و٤٩٩ و٤٢٣ و٤٨٤	بوغاز جل طارق
	طيبة		طاليس
٦٦	الوصول اليها		من هو
٦٧	حول هيكلها فوائدها	٢٦٧	ارؤها العلمية وسياحتها
٦٨	هيكلها	٢٦٨	خطوتها العظيمة
٧١	ما يظف بهياكل الملكة فيها	٢٦٩	
٧٣	اثارها	٢٩٥ و٢٩٤	
	في اثارها علائم وجود المرتزة في الجيش المصري	١٢٧	طرابلس
٨٣			طرسوس
٨٤	القصور فيها	١٢١ و٢٤٨ و٥١٤	
١٧٦	مسلاتها		طروادة
٢٠٦	حاله المتنازين فيها	٦٩	تلها
٢٥٩		٢٠٦	تأسيسها
٥٠٤	السائح الروماني فيها	٢٠٧	نقلها
٥١٢	طيباس	٢١٠	ملكة الخثيين في عهدها
	ظ	٢١١	شليمين يكتشفها
		٢١٢	مقابلة بينها وشقيقها طروادة اخرى
١٢	الظرائفي	٢١٣	
	الظلال	٢٢٠	اسمها في الاثار الخثية
٢٢٧	اكتشاف تصويره	٢٢٦	

الوجه	ع	الوجه	ع
١٨٨	كتابهم	٦٥	المالم القديم
٢٢٢ و ٢٥١ و ٢٢٧		٢٩٧	سيادة مصر عليو
٧	المعجم	٥٢٢	ما هو
٩٠	العجيل	٥٢٢	تباينة
	العراق	٥٥٢	نهاية ارتقاء المدينة العليا فيو
٦٩ و ٦٥ و ٦٤ و ٦٢		٥٥٢	اثارة التاريخة
٩٤ و ٩٠ و ٨٩	العرب	١٨٢ و ١٨١	عاموس
	عشتاروت	٧٠	عبد خيبة
١١٤	هي مرودخ		العبرانيون
١٢٩	ماهيتها		
١٤٦	باها	٧٨	
١٤٧		٨٠	انضمام شيلوليثوما اليهم
١٣٨	عبرهم الى بلاد اليونان	٩١	من م اسلافهم
	العصور	٩٨	حكايتهم عن برج بابل
		١٢٤	من م
٥	المجري القديم		يستوطنون الطرف الغربي من الهلال المخصب
٥	صياده	١٧٣	
٦	الصعوبات التي قامت بوجه انسانو	١٧٧	هجومهم على الفلسطينيين
٧	انتهاؤ	١٧٨	تأسيس امتمهم
٧-٦	المجلد	١٧٩	العداوة بين الشمال والمجنوب في ملكتهم
١١	تتفرقة	١٨٠	التباين بين ملكتهم
٩	المجري المتوسط	١٨١	اقدم كتابهم التاريخي
٩	صناعات انسانو	١٨١	اسلافهم يعملون الكتابة
٩	اسمه عصر الرنة عند الفرنسيين	١٨٢	شكل كتابهم
١٠	معيشة صبادو	١٨٢	الاشور يون يدمرون ملكتهم الشمالية
١١	النقش والرسم والتلوين فيو	١٨٢	بهم المهم
١١	ديانة اهلو	١٨٤	الكلدانيون يدمرون ملكتهم الجنوبية
	المجري المتأخر	١٨٥	نبوءة عن ارجاعهم الى بلاد م
١١	فجرة	١٨٦	توصلهم الى التوحيد
		١٨٧	توزاعهم
		١٨٧	ملوك الفرس يرجعون المسيحيين منهم

الوجه	ع	الوجه	ع
٢٢٧	الحديد بداية	١٣	توزيع ما بقي من آثاره في أوروبا
		١٤	منازل اهلو
		١٤	الاجر ام صناعة فيو
١٤٨	عطارد	١٤	ام اكتشافاتو
٤٠٩	اسم سيار	١٥	ادوات انسانو
٣٦٣ و ٧٨	اسم اله	١٦	اليوت فيو
٧٧	عكا	١٧	بده الزراعة فيو
٣٥٣ و ٣٣١	العمارة	١٩	اور بيوه ينتقلون الى الحضارة
	عمون	٢٠	فن البناء فيو
		٢٠	بناء الاضرحة فيو
	العهد الجديد	٢١	لاهدان والالعاب فيو
٥١٤	ما هو	٢٢	جدها الجرف فيو
٥٤٠	ترجمة الى القوطية	٢٣-٢٢	التجارة والمبادلات فيو
		٢٤	حروبه
	العهد القديم	٢٥	اهله يجهلون الكتابة
١٨٧	ميراثنا من الديانة اليهودية	٢٩	مصريوه
٢٨	ترجمته من العبرانية الى اليونانية	١٩٢	تجار بلدان البحر المتوسط بوزعون سلعة
١٥٨ و ١٠٩ و ١٠٥	عيلام		التاريخ
		٢٥	ما هو
	غ		المدني
		٢٧	لجيرة
	غاليا	٢٩	الاهرام
٢٦٤	انتيفوس الثاني يصد هجوم اهله	٤٤	الحكومة فيو
٢٧٨	ذكرى عراك البرابرة الشماليين معهم	٤٥	طوله
٤١٥	اهله يستولون على رومية	٤٨	معابد الثيور فيو
	اهله يفتنون مع الانترسكيين والسمنيين ضد رومية	٥٢	البيعة الاجتماعية فيو
٤١٥		٥٢	حياة النبلاء فيو
٤٢٩	اشتيك الرومان في حرب مع اهله	٥٧	تأخرة
٤٣٠	هنيبال يقطعها	٤٩	النفاس
٤٣١	هنيبال يهجم الرجاء في صدور اهله		البرنز
٤٦٠	الحادم مع الجرمان ضد رومية	١٩٥	مدنية أوروبا فيو
٤٦٥	حصول قيصر على حكومتها	١٩٨	بداية
٤٦٦	قيصر يلقبها	٢٢٧	مدنة
٤٦٦	تقرير قيصر عن حروبه فيها		

الوجه	غ	الوجه	
٢٣٢	الغريفون	٤٦٧	مدة قيصر الثانية فيها
٥٤٨	غريغوريوس	٥١٩	انتشار نظام التملك فيها
	الغزاة	٥٢٣	البرابرة يدوختها
	تأثيرهم في تاريخ البشر	٥٢٤	استقلالها الوقتي
٢٠	غلاطية	٥٢٤	تبني مدنها
٣٦٤	غليباخوس	٥٢٨	تسلط تيريفس عليها
٢٧٤	الغنم	٥٤٢	تأسيس القوط مملكة فيها
	ادجانه	٥٤٢	البرغنديون فيها
١٨	غورليون	٥٤٥	في حوزة ثودورك
٣٨٤	غينيا	٥٣٥	غاليوريوس
٤٢٣ و ٣٨٤		٤٥٩	غايوس غرقس
		٣٥٥ و ٣٤٤	غرانيكس
	ف		العرب
٤٣٢	فابيوس	٣٦	سور المدينة من الشرق اليه
٥٤٢ و ٥٤٠	فالنس	٣٧	الشاخ منه في بلاد الشرق
٤٢٦ و ٣٤١	فالنكس	١٦٥	داريوس يربطه بالشرق
١٩٩	فايستوس	١٨٩	وأخذ عن الشرق حروف الهجاء
١٤	الفضار	١٩٥	مدنيته في حصر البرتر
٥٤٩ و ٤٨٥	فرجيل	٥٠٤	المدينة الحديثة فيوه
	الفرات	٥١٢	الشرق يرسل دبابات اليه
٦٩	تحتمس يقطعها	٥٢٦	التنافس بينه والشرق
٧٩	شيلوليثوما يقطعها	٥٣٠	ديوقليتيانوس يعين امبراطوراً له
٨٢	دولة اشور تبغها	٥٣٢	انفصاله عن الشرق
٨٩	مياحه لا يمكن وصولها الى الخليج المنفر	٥٤٥	يوستينانوس يفتحها
	انتشار دساكر الجبلين المجهولي افضل على ضفافه	١٦٧	غر قفند
٩٥	تل جرابلس عليه		غر قفس
٩٩	انلال المبتوثة قبائله تدل على مدن سومر	٤٥٩	طليار يوس
١٠٤	الرسائل التي تبودلت بين ريو وروب النيل	٤٦٠	قانون الاراضي الذي سنه
١٠٥	مملكة ميتالي لمناحه	٤٦٣	نقطه الضعف في اصلاحاتوه
١٢٣		٤٧٢	المنشحة لمحمد عاقبة قتلوه
			قرن الثورات ابدا بزمانوه

الوجه	ف	الوجه	ف
١٦٥	يدخلون الدجاج الهندي الى اوربا	١٢٥	الحروف الهجائية تجاوزة الى الفرس
١٦٦	فن البناء عندهم	١٢٧	الاشور يون بزحفون الى ما وراء
١٦٦	اهية مكتوباتهم في حل الخط المسارية	١٩٦	مدنات الشرق وجدت قدما في ارض
١٦٧	غرغند مجل مكتوباتهم الاولى	٢٠٧	الحميون حلقة اتصال بينه و بلاد ابيه
١٦٩	اهية كتابتهم في قراءة الخط البالي	٢٠٨	الفراغل البابلية تمر به التجارة
١٧٠	تاخر بلادهم	٢٠٩	
١٧٠	اخلاق ملوكهم وحكمهم	٢٤٦	الفرس يقطعونه هربا من وجه الاسكندر
١٧١	انتشار ديانتهم	٢٦١	
١٨٥	النبي المجهول يتكلم عنهم		فرتيا
١٨٧	ملوكهم يرجعون المسييين العبرانيين الى بلادهم	٢٦١	تأسيسها مملكة
١٨٨	دولتهم آخر دول الشرق العظيمة	٢٦٣	اهلها يلتمسون مملكة السلوقيين
١٨٨	فضلهم على العالم بارجاع اليهود الى فلسطين	٤٧١	حملة انطونيوس عليها
٢٧٢	زحف جيوشهم على بلاد ابيه		اهلها يهددون حدود الامبراطورية الرومانية
٢٧٢	هجومهم على اوربا	٤٩٢	الشرقية
٢٧٢	مساعدة اثينا للايونيين ضد	٤٩٤	اهلها يجاريون تراجانس
٢٧٤	موقف اليونان ضد	٥٠٢	بوثة الفن والفلازل
٢٧٤	معاركهم في مرثون	٥١٦	اوريلوس يجارب اهلها
٢٧٤	اثينا تستخدم سبارطة عليهم	٥٢٦	هرشها
٢٧٥	اليونان يتغلبون عليهم		الفرس الداجن
٢٧٦	خطة تمسكتليس ضد	١١٧	ظهوره لأول مرة في العالم المتعلم
٢٧٧	معركتهم في ثرموبلي		الفرس
٢٧٧	زحفهم على اثينا	١٢٥	الحروف الهجائية الارامية النينية تصل الى بلادهم
٢٧٧	يجرقون اثينا	١٢٧	شهرتهم في صناعة فلورين الاجر
٢٧٧	دخولهم بلاد اليونان	١٥٢	انتصارهم
٢٧٨	معاركهم في سلاميس	١٥٤	انتقال سلطنتهم الى الغرب
٢٧٩	انكسارهم في بيوتيا	١٥٧	كدايم المقدس
٢٨٢	المدن اليونانية تخشى آثارهم	١٥٧	ظهورهم وتقاليدهم
٢٨٤	اسطول الاتاق يطرد	١٥٨	كوش ينظمهم
٢٨٥	تقودهم	١٦١	يخترعون الحروف الهجائية المسارية
٢٨٧	اثينا تغد صلحا معهم	١٦١	ملوكهم بشر يون مدينة الشرق
٢٩٧	ملكهم يستقدم طليبا يونانيا	١٦١	لغة حكومتهم الارامية
٢٩٩	صورة فلورهم المنهزمين	١٦٣	نظام ولاياتهم
٣٠١	موضوع رواية اسطولوس	١٦٥	بلادهم اقدم مملكة بحرية في اسيا
	يساعدون سبارطة لا عترانها بسادتهم على المدن	١٦٥	نشأ المواصلات في بلادهم
٣١٥	اليونانية		

الوجه	ف	الوجه	ف
٢٤	ما وجدوه فيها من انسان المصر الحجري	الشبان اليونان برزقون بالخدمة الجديدة في بلاد	
٤٦٥	ميموس يتولى عليها	٢٢٢	
٤٦٦	دخول اللغة اللاتينية اليها	٢٢٢	اسطول اثينا يناصرهم على المدن اليونانية
٥٠٥	اثار الرومانيين فيها	٢٢٣	الحرب بينهم وسبارطة
٥٣٤	حجارة اسوار مدنها القديمة	٢٤٤	معاركهم في غرانيكس
٥٤٩	الملسكة الفرشجية تشملها	٢٤٦	معاركهم مع الاسكندر في اسوس
٢٢٠	فريجيون	٢٤٧	تديد اسطولم
	قساسيانوس	٢٤٨	زحف الاسكندر على بلادهم
	انتصاره	٢٥٠	استيلاء الاسكندر على مدتهم الملكة
٤٩١	انها كقصة ثورة اليهود	الاسكندر يعين كبير بن منهم في مناصب عالية ٢٥٢	
٤٩٢	يشيد مرصعا للبحارات	٥٢٦	تجديد ملكتهم
٥٠٦	القسا	٥٢٦	ملكهم زهيمه الشرقى
	اهل القرون الوسطى السجدة يجمعونها	٥٢٦	أسرة ملكة جديدة تحكمهم
١٥٧	قستا	٥٢٨	قويمهم وتأثيرهم
	قستا	٥٢٢	ملكهم الجديدة
	قستا	٥٢٥	بوليانس يزحف على ملكهم الجديدة
	قستا	٤٦٨	فرساليا
٤٠٨	حارسه الحماية العائلية	فرعون (الفراعنة)	
١٦٦ و ١٥٩	فسرجادي	٤٤	الشعب يهتروونه جدا
١٢٨ و ١٢٧	فلاسر تغلت	٥٥	تقابل الملوك الاثينة تنصب في هرو
	الفضيلة	٦٣	تجارهم يجرأ وادارتهم في الري
٢٥٠	معناها عند اليونان	٦٤	يهاجم فلسطين
	الفلاكانية	٦٥	ينفذ بلاد النوبة
٤٩٢	الاسرة	٦٧	صيرورهم قوادا كبارا
٤٣٢	فلامينيوس	٦٩	عجزهم عن التنظيم والادارة
	فلسطين	٧٢	اثانة وعناده
٦٤	فرعون يهاجمها	٢٠٥	ملوك كريت اتباعهم
٦٩	المبرانيون ينضمون الى شيلاو ليثوما لطرده ملك مصر منها	٥٤٩ و ٥٤٠	الفرنجيون
٨٠			فرنسا
		١٠	علماءهم يعنون عصر الرنة
		٢٠	قبور المصر الحجري المتأخر فيها
		٢٢	حجارة المصر الحجري المبثوثة فيها

الوجه	ف	الوجه	ف
	فيدياس	٨٢	سوفي الاول يستولي عليها
٢٠٠	واعمال النقش والتخت	٩٠	ماهية مهاجرة الاسرائيليين اليها
٢٠١		٩١	العرب واتون اليها للتجارة
	فيباس	٩٩	تل ارجحها فيها
٢٤٠	نرينه	١٢٤	محاولة مهاجري البادية الاستيلاء عليها
٢٤١	تنظيمه للجوش وفن الحاربة	١٧٢	طبيعتها وموقعها ومساحتها
٢٤٢	يوسع مملكته مباشرة اعمال الفخ	١٧٥	امتزاج الاجناس والمدنيات فيها
٢٤٢	شروعها في تحرير المدن اليونانية	١٧٦	كانت ساحة حرب عظيمة
٢٤٢	نصرته في معركة كرونيا	١٧٧	اسيادها
٢٤٢	خليفته	١٧٧	مجوم المبرانيين عليها
٢٤٢	بعد موته	١٧٨	من هم اهلها
٢٦١	فيلبس الخامس	١٧٩	داود ينتصر عليها
٤٣٣	فيلبس آخر	١٨٢	التراع بين المها واشور
٤٤٠ و ٤٤١	فيلبس	١٨٢	جوش اشور يدوخونها
٤٧١	فيلبي	١٨٤	مدة تسلط المبرانيين عليها
٣٥٤	فيلوتاس	١٨٥	
٣٤٢	الفيليبينيات	١٨٨	كتاب تاريخ الرعاة البسوفية
٤٠٩	فينس	٢٠٨	ادلة مهاجرة الكشيين اليها
	فينيقية	٢٢٢	الكرتيون مجدون وطلتا فيها
		٢٥١	حالة المبرانيين الاجرامية فيها
		٢٥٩	استيلاء البطالمة عليها
		٢٦١	مد النفوذ اليوناني اليها بسبب ثورة flute الفلوت
٤٦	سفن الفراعنة في موانئها	٢٦٢	ياخذها اليونان عن الكرتيين
	امراء الاقطاع المصريون يجددون معها علاقتهم		التشندال
٦٢	مواقع خميس المتناهية فيها	٥٤٠	الفندال سمعتم البيعة
٩٢	نبوغ اهلها في الملاحة	٥٤٢	تأسيس ممالكهم في اسبانيا وافريقيا
١٢٧	هي واشور	٥٤٤	يستولون على رومية
١٣٠	متاهيها مع اشور	٥٤٥	في افريقية
١٢٧	عمل صناع اهلها في تنوي	٥٤٧	حالتهم في رومية
١٧٢	استيلاء اهلها على فلسطين	٤٤٥	الفورم
	المبرانيون ياخذون عن اهلها ما يحتاجون اليه	٢٦٩	فيثاغورس
١٨٢		١٥٥	فيدا

الوجه	ق	الوجه	ف
٢٧٨	اندحارها في الغرب	٢٢١	الايحيون يهرون اليها
	اهلها يحملون الى الغرب اساليب الاشوريين	٢٢٠	انساح نطاق تجارها
٢٢٢	في الحصار	٢٢١	تقدم فنونها وصناتها
٢٥٢	الاسكندر يضع الخطاط لانخاضها	٢٢١	اهلها اول رواد غرب البحر المتوسط
٤٠١	اليونان يطردون عسكرها من صقلية	٢٢٢	اختراع اهلها حروف الهجاء
٤٠٢	اليونان يمنعون اهلها من الاستيلاء على صقلية	٢٢٤	اليونان يكتلون حروفها
٤٠٧	على ايدي اهلها تنشر الحروف الهجائية اللينيقية	٢٢٥	حروفها اصل حروف الهجاء في العالم المتدني
٤١٦	احد الخصوم الثلاثة العظام وحررها مع بروس	٢٥٤	اليونان يجارون اهلها بالصناعة
٤١٧	تزاها مع رومية	٢٥٥	اليونان يفوزون على اهلها بالصناعة
٤٢٢	تاسيسها	٢٦٧	الايونيون يتعلمون من اهلها
٤٢٣	توسعا وتجاهها التجاري	٢٤٧	الاسكندر يتفهمها
٤٢٣	عدم وجود جنود وطنيين فيها	٢٦٢	تفرانس يمسط سلطته عليها
٤٢٤	حكومتها	٢٨٤	تجارها يقطعون بوزاخ جبل طارق
٤٢٤	مدنيتها وتقودها	٤٠١	مزاجها في مجدها التجاري
٤٢٥	احتكاكها مع رومية	٤٠٧	واسطة انتشار حروفها
٤٢٥	تبرم معاهدتين مع رومية		ق
٤٢٦	جيوشها من المرتزقة		
٤٢٧	بداية حربها مع صقلية	٦٤	قادش
٤٢٨	اسطول الرومان يهطم اسطولها	٢٧٢	قارون
٤٢٩	فتوحاتها في اسبانيا	٦٦٣٩	القاهرة
٤٣٠	اسطولها وهنيئالها	٣٩٩ و ٢٣٨	قبرص
٤٣٢	انتصار جيوشها في كتي	٤٦٥	قتليننا
	المكدونيون يمدون مساعدة اهلها ليهزمهم على رومية	٨٢	قدس
٤٣٤	شيبيو يطرد جنودها من اسبانيا	٧٨	القدس
٤٣٥	انتصار شيبيو على جنودها	٤٦٥ و ٤٦٧	قرشس
٤٣٦	تخرجهما وحرورهما الثالثة		قرطاجنة
٤٣٦	تتبع رومية		
٤٣٦	نفي هنيبال منها	١٥٢	هي من مواطن الصف السامي
٤٣٧	"يجب تدمير قرطاجنة"	٢٢١	اشد خصم لرومية
٤٤٦	حالة مقتل الروماني قبل حربها		ها يمسط الاميون جناحهم على الساحل من بحر الروم
٤٤٩	رواية تاريخ احراقها	٢٤٨	
٤٥١	المجالات فيها والحرب بينها ورومية	٢٧٦	احشوريش يفرها ان تجاهم اليونان
٥٠٥	خرائب الرومان فيها		

الوجه	ق	الوجه	ق
	قيروان	٥٤٧	اسقنها بناظر اسقف رومية
٢٤٦	اليونان بوسونها		قزبين
٢٢١		١٤٣ و ٨٨	
٤٢٢	امتداد تجارة قرطاجنة الى نحوها	١٥١	المراعي المبندة ابو
	ك	١٥٤	السهول شرقية وطن الهنود الازريين
	كا	٢١٧	
٤٧	ملك مصر العليا والسفلى	٢٥١	بعثة الاسكندر الى سواحلو
٤٣٧ و ٤٥٠	كاتو	٤٦٤	كثائب ميموس تشرف عليه
	كاريا		قساينوس
٢٢٠	الخبثيون يخرجون ملك اخيا منها	٤٨٤	صورة قبره
٢٢٥	ارملة ملكها تبنى ضربا لزوجها	٥٢٢	قسطنطين
١١٧ و ٦٥	الكاشسيون	٥٢٢	بجمل القسطنطينية عاصمته
٤٨٧	كايغلا	٥٣٥	يويد الديانة المسيحية
١٢٧	كايسته		القسطنطينية
٤٠٥	كبوي	١٩٧	
	الكتان	٥٢٢	عاصمة الامبراطور قسطنطين
١٨	زراعتها	٥٢٢	تاسيسها قضاء مبرم على رومية
	الكتب	٥٤٦	شهرها في مدة حكم بوسنيانس
٢٨٦	فهرستها وتقسيمها الى مجلدات واقدمها	٥٤٧	قنفس رومية
	الكتابة	٥٥٤	بقاء جز من الامبراطورية الرومانية فيها
٢٠	انار مكتوبة بالطريقة التصويرية منها	٤٧٠	قسيسوس
٢١	قادت الى الطور الصوتي		القلم
٢١	الدرجة الاولى في سلمها	٢٤	اختراعه
٢٢	علامات المصرية		القوط
٢٤	اختراع موادها	٥٢٢	احد قبائل الجرمان
٢٥	خطورة استنباطها	٥٤٠	حروفهم الهجائية
٢٦	المبرراتيكية صورتها	٥٤٢	اسنيلاه رومية عليهم
٧٨	رسائل اختائون بالبالية	٥٤٢	ما اجتمعت بلاد اليونان وتاسيس مملكة غالبا
		٥٤٢	يساعدون رومية على انلا
		٥٤٥	الشرقيون منهم
		٥٤٧	بمخترمون رومية

الوجه	ك	الوجه	ك
١٩٥	موقعها جنوب بحرايمه	٨٥	شهبولون محل رموز المصرية المبروغلافية
١٩٦	فيها اقدم المدنيات الراقية	٩٦	ظهور الاسفينية
١٩٧	نشوء مدنتها تحت التأثير المصري	٩٦	" التصويرية السومرية
١٩٩ و ١٩٨	قيام ملوك البحر من اهلها وقوتهم	٩٧	اثار السومرية على الاجر
٢٠٠	انواع نطق تجارها وصناعتها	١١٢	شيوخ المسارية
٢٠١	عصرها الذهبي	١١٦	البابلون يتعلمونها
٢٠١	تطور كتابه اهلها	١١٦	في عصر حمورابي
٢٠١	اهلها يتعلمون صناعة الزجاج	١٢١	الاشوريون يأخذونها عن المدن السومرية
٢٠٢	حداثة اهلها في الفتح والحفر والتصوير	١٢٨	اشور تاخذ عن بال المسارية
٢٠٢	تأثير مصر في صناعتها	١٥٧	زورواستر يجيها
٢٠٣	العامة فيها	١٦١	الارامية تغور الاسفينية والمسارية
٢٠٤	النبلاء فيها	١٦٦	مخطوطات الفرس تساعد على حل المسارية
٢٠٥	وطن المدينة الثالثة العظيمة في العالم القديم	١٦٧	اهال المسارية
٢٠٥	مركزها السياسي والتجاري	١٦٩	اهمية الانرا البهستولي لحل البابلية المسارية
٢٠٦	كتابتها والتجارة	١٦٩ و ١٦٨	السرورولنصن محل المسارية
٢٠٧	بلوغ مدنتها الى بلاد اليونان	١٨٢	شكل العبرانية والارامية
	اهلها يأخذون عن المصريين استعمال الاجر للكتابة	١٩٨	صورة المبروغلافية الكريتية
٢٠٨		٢٠١	تطور الكريتية منها
٢١٠	عبادة اهلها	٢٠٦	الكريتية منها والتجارة
٢١٤	اعمال الحفر فيها	٢٠٨	المصريون يتعلمون المسارية البابلية
٢١٩	الدوريون فيها	٢٠٩	المحنية المبروغلافية
٢٢٢	اهلها يجندون وطنها في فلسطين الجنوبية		عدم وجودها عند اليونان الاولين والصعوبات
٢٢٤	زوال كتابتهم	٢٢٤	من ذلك
٢٢٩	نقليد اليونان انها مد حضارهم	٢٢٢	اسلوب الفينيقيون الخاص بهم لما
			جدول بين كيف وصلت الكتابة الفينيقية الى
	الكلب	٢٢٤	شكلها الانكليزي الحاضر
١٤	كيف صار داجنا	٢٣٥	مزوقوا الحرف بضمونها على الآتية
		٥٥٢	انتشار كتابة الرومان اللاتينية
٣٦٤	الكلتيون	٢٧٢ و ١٥٩	كوريوت
	الكلدانيون	٣٦٣	كرديستان
١٤٤	قيام دولتهم	١٢٣ و ٨٢ و ٦٤	كوكيش
١٤٥	بلادهم		كريت
١٤٧	معدنهم		الفلسطينيون يهاجرون منها الى فلسطين
١٤٧	الملك في مملكتهم	١٧٨	

الوجه	ك	الوجه	ك
٢٨٧	مدير المكتبة في الاسكندرية	١٤٨	يحملون انهم مجددون للتمدن البابلي
٢٩٠	الوزن الكبير الذي اعد	١٥٦	انهزامهم
٣٦٦ و ٣٦٥	كليومنيس	١٧٧	اسياد فلسطين
٣١٢	كليون	١٨٤	ملكهم يخرّب اورشليم
١٦٠	كميز	١٨٥	تعليم النبي المجهول عن خراب مملكتهم
	كنسوس		كلدي
١٤٨	نشوء مملكة فيها	١٤١	قبيلة الكلدانيين
١٩٩	ما وجد الاثريون في اخربة قصر فيها	١٤٥	كلدية
٢٠٠	المخزافون فيها يصنعون الفناجين		كلستينس
٢٠١	البنية الفاخرة فيها بدل القصر القديم	٢٦١	اصلاحات لحط من قوة النبلاء
٢٠٥	قصر الملك فيها	٢٦١	قانونه النبي بالانتراع
٢٠٧	طروادة فخاصها		كلستينس المورخ
٢١٠			اعدامه
٢١٤	السر ارثر ايفانس ينقب فيها	٢٥٥	كاوديوس
٢١٩	الغنمية الاولي للدوريين		ظهوره
٢٢١	النار تلتهم قصرها	٤٨٧	نيرون يقتال ابنة
	الكنعانيون	٤٨٨	
٩١	هم اسلاف العبرانيين		كاوسيوم
١٧٧	حضارهم	٥٠٦	كلوقس
١٧٧	اليهود يقتبسون مدنيتهم	٥٤٩	كليوباتره
١٧٨	امتزاج اليهود بهم امتزاجاً كلياً		شمبوليون يكتشف اسمها
١٧٩	اورشليم في حوزتهم	٨٥	السابعة على عرش مصر
٣٥١	الكنغ	٤٦٨	تنزوج اخا قيصر الاصغر
٤٣٥	كني	٤٦٩	انقارها
٢٢	الكهرباء (الكوربا)	٤٧١	كلياخوس
	كورسيكا		صورته مجندلاً
٤٢٢	الفرطنجيون يستعمرونها	٢٩٩	كلياخوس
٤٢٩	استيلاء رومية عليها		الشاهر الفيلسوف
	كورش		
١٥٨	ينظم القبائل الفارسية	٢٨٦	

الوجه	ك	الوجه	ك
٣٦٣ و ٣٤٦ و ٢٤٦	كيبكسية	١٥٩	بتغلب على بابل والغرب
		١٥٩	سبارطة والمالك العظيمة ضده
	ل	١٦٠	مونه
		١٦٦	يبقي قصرآ في جوار فسر جادي
	اللاتين	١٧٠	ملوك فارس لم يكونوا كلهم مثله
		١٨٥	تعليم النبي المجهول من جهته
٤٠٢	قبائلهم	١٨٧	المبرانيون يستقبلونه منفذآ
٤٠٤	اجتماع فلاحهم بالناجر الانرسي	٢٦٠	تاريخ موته
٤٠٥	مدينة البانغا زعيمهم	٢٧٢	بهاجم اللديون ويتغلب عليهم
٤٠٦	سكان لاتوم يتكلمون لغتهم	٢٢٢	اكرينلون في جيشو
٤٠٧	لغتهم واليونانية	٢٥٠	
٤١٤	تحالهم ومعاهدتهم مع رومية		كورنشوس
٤١٥	رومية تخضع قبائلهم		نزولها الى الجهاد التجاري
٤٢٠	رومية بعد حرجهم	٢٥٢	اول من صنع السفن الحجرية ذات الظهر
٤٢١	صيرورة ابطالها منهم	٢٥٥	جوش سبارطة تتوجه الى برزخها
٤٢٤	ترجمة رسالة ماغو الزراعية الى لغتهم	٢٧٧	بركليس بناوئها
٤٢٢	مستعمراتهم تناويز متببال	٢٨٧	العداوة بينها واثنيا
٤٤٩	ترجمة الاداب اليونانية الى لغتهم	٢١٠	عانية
٤٥٠	نشوء ادابهم تحت تاثير يوناني	٢١٢	تريد لاثنيا الاقتراض
٤٦٦	احسن كتاب قراءة بلغتهم	٢١٧	هما يغتاق على جانبي برزخها
٤٨٥	لغتهم تبلغ درجة الكمال	٢٦٥	الرومان يهزقونها
٥٠٤	مقابلة لغتهم مع اليونانية	٤٤٢	قصر يصنع ترعة في برزخها
		٤٧٠	
	اللاتين		الكولونيون
٥٤٩	الرهبان يحفظون آداب لغتهم	٥٢٠	كوه و دس
٥٥٢	كتابهم	٥٢٣	كوي
		٧٩	الكيتون
٤٨٥ و ٤٢٠ و ٤٠٧ و ٤٠٥ و ٤٠٣	لاتيوم	٢٣٠	كيريونيا
١١١	لارسا	٢٤٢	كيسمون
٣٧٩	لاآكون		قيامه
٣٦٢ و ١٢٤	لبنان	٢٨٢	بعد سقوطه
٣٢٤	لكترا	٢٨٤	الرواني المصور الذي اهدته اسرته الى اثنيا
٥٤٩	الاجبارديون	٢٩٨	

الوجه	م	الوجه	ل
١٦٥	انشاء المواصلات عندم		لندن
١٦٥	عاصمتها	٥	الرقم فيها
	ماريوس		ما يرد على متاحفها من قطع المرمر من قصر
٤٦٠	انتخابه قائد الشعب	١٦٩	سرجون
٤٦٠	ينهر براهرة الجردان	٢٣١	
٤٦١	الغازة شرط الملكية للعسكرية	٦	أنغ أبلاند
٤٦١	نقصيره في الحكم	٤٦٤	لوكلس
٤٦٢	انتخابه مرة ساهبه للحكم		اللون
٤٦٣	موته	٢٣٧	اليونان ياخذون عن المصريين مزجة
	الماعز		
١٨	ادجانه	٢٥٦	ليبره
		٨٤	لينية
٤٢٤	ماغو		ليدية
٩	الماموث	١٥٩	اتحادها مع بابل ومصر ضد كورش
٥١٢ و ٣١٣ و ١٧١ و ١٥٦	مثراس	٢٥٦	نقودها
٤٦٤ و ٣٦٣	مثراتس	٢٧٢	قيامها وسقوطها
٦٩	مجدو	٤٦٦	اللايريا
٢٩٧	مجمع الخمس مئة	٥٤٢	اللايركون
١٢٧	مخلات	٣١٦	ليساندر
	المدارس	٣٩٢ و ٣١٠ و ٢٩٣	اللايكسيوم
١١٥	في بابل	٦	ليون
٢٨٨ و ٢٩٢	اليونانية	٢٧٧	ليونيداس
٢٩٤	السنطيين		
٢٨٩	تأثير المختصة منها بالاعراب في الدروس العليا		
٢٩٠	المناعة		
٢٩١	الايثورية		
٢٩١	الرواقية	٢٧٢ و ١٥٦ و ١٥٥ و ١٤٥	الماديون
٢٩٢	الاثينية		مادي وفارس
٤٤٩	الرومانية	١٥٥	اهلها يتقدمون نحو الملل المنصب
٥٠١	الولايات من مال الاحسان	١٥٦	ملكهم مهدد ملكة بابل
٥٤٦	قتل المختصة منها بالفلسفة	١٦٣	الاتاوات عندم

الوجه	م	الوجه	م
٢٤٨	اليونانية في عصر النبلاء	٢٨٤	المد والحزر اكتشافها المدنية
٢٣٢	اليونانية في عصر الطفاه اليونان ياتون بها الى العالم البحر المتوسط الغربي	٢٥	في الشرق
٤٠٢		٨٤	دوام المصرية وتأثيرها
٤٠٦	الانرسكون يقبلون اليونانية	٩٢	الساميون يستمدونها من بابل
٤٢٢	الادلة الاولى على وجود اليونانية في رومية	١٠٥	الاكديون يقبضون السومرية
٤٢٤	القرطاجنية	١٢٤	الاراميون ياترون بالحنية والمصرية
٤٥٥	نقطة نهقر الهلينية	١٢٥	بلوغ الاراميين درجة عالية منها
٤٥٥	موقفها الخطر في الجمهورية الرومانية	١٢٦	اثار الازامية الخايدة
	رومية مسؤولة بجهتها وتنظيمها في البحر المتوسط	١٢٨	الاشورية قبل عهد التوحات
٤٥٥		١٢٧-١٢٥	في اشور
٤٩٢	الامبراطورية الرومانية حصنها	١٤٧	البابلية
٥٠٥	السامية منها نتيجة كل العصور	١٥٤	اسلاف الشعب الهندي الاوربي
٥٢٢	بهاية ارتفاع العليا منها في العالم القديم	١٦١	ملوك فارس ينشرون الشرقية منها
٥٢٢	انصار الشرقية الرومانية	١٧٥	امتزاج مختلفة منها في فلسطين
٥٥٤	التي انشأها اليونان تدمر في رومية	١٧٧	اليهود يقبسون الكنعانية منها
٥٥٦	التزاع الطويل بينها والهيبة	١٨٨	نظرة عامة على المدنية الشرقية
		١٩٥	الاوربية في عصر البرنز
٤٥	مدينة الاوات	١٩٧	نشوء الكريتية منها تحت التأثير المصري
	المراسلات الدولية	٢٠٥	كريت وطن الثالثة منها
٧٨	اقدما	٢٠٥	بلوغ الكريتية الى بلاد اليونان
٥٠٦ و ٥٠٥	مراكش	٢٠٧	الحنيون والايجية
٢٨٧ و ٢٨٣ و ٢٧٩ و ٢٧٦ و ٢٧٥ و ٢٧٤	مَثُون ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٩ و ٢٨٣ و ٢٨٧	٢٠٨	ظهور الحنية
		٢١١	الحنية دون المصرية
		٢١١	جهل العالم الحديث الايجية منها
٢٧٩ و ٢٧٨	وردونيوس	٢١٢	المدنية الثانية
	المرسح المتحرك	٢١٤	اكتشاف الاولى منها حول البحر المتوسط
٢٨٠	اختراعه	٢١٥	امتزاج الايجية بالتي لللال الحصب
٥٠١ و ٣٨٤ و ٢٤٨	مرسيليا	٢١٨	برابرة اليونان والايجية منها
٥٣٠ و ٥٢٢ و ٥١٦ و ٥١٥	مرقس ارديليوس	٢١٩	اليونان يوجدونها سببا بتاثير الشرق
	٥٣٧	٢٢٢	سقوط الايجية منها
			التزاع بين اليونانية والهنينية على عالم بحر الروم
١٤٨ و ١٤٦ و ١١٤ و ١١٢	مرووخ	٢٤٨	

الوجه	م	الوجه	م
٥٤٩	محافظة على اداب اللغة اللاتينية	٤٠٨ و ١٤٨	المريخ
٥٥٠	تاثير بناء الشرق القديم في بناياها	١٥٦	مزدا
٥٥٥	حضارها	٢٩٥	المزولة
٢٢٣	مسيبي	٣٦٣	مسيوتاميا
٢٤٨	مسيليا	٤٢٧ و ٤٢٥	مسانا
٢٤٢	المسيديون		المسكوكات
٣٩٠	المشاؤون		انظر القود
٤٠٨ و ١٤٨	المشتري		المسلات
	المشيخة	٦٨	الشهيرة
	"او مجلس الشيوخ"		
٤١١	ماهو	٦	مسوري
٤١٣	الميطرة على	١٢٧ و ٣٧	المسيح
٤١٣	فوق القناصل		المسيحية
٤١٣	تسيطر على سن القوانين		
٤١٣	السيدة العظمى للدولة الرومانية	٥٦	اصل بناء كنائها
٤٢٠	حاكمة رومية	٥١٢	ظهورها
٤٢٤	تأمر بترجمة رسالته ماغو الزراهية الى اللاتينية	٥١٤	تفوقها على سائر الديانات في الشرق
٤٢٥	تعقد معاهدة ثانية مع قرطاجنة	٥١٥	رومية تضطهد اتباعها
٤٢٢	تتج اواسط ايطاليا محافظة على ولايتها لرومية	٥٢٤	قومها ونظامها
٤٤٠	لا تطابق ان ترى حكومة على البحر المتوسط	٥٢٤	ذريعة جديدة لقبام رجال مقتدرين
٤٤٢	تظهر مقدرة في ادارة الحروب		الرومان يجعلونها على مستوى واحد مع الديانات
٤٥٨	الموقف الخطر امامها	٥٢٥	الاخرى
٤٥٩	نزاعها مع غايوس والعامه		انسامها الى كنسيتين شرقية اي يونانية . غربية
٤٥٩	نقتل طيبار يوس غرقس	٥٤٦	اي لاتينية
٤٦٠	الشعب ضدها	٥٤٧	رومية مركز الكنيسة الغربية
٤٦٣	سلا يسلمها زمام السيادة العليا	٥٤٨	تزايد سلطة الكنيسة الغربية
٤٦٣	تجسد عاقبة قتل طيبار يوس		الغربية
٤٧٦	تضارل قوما امام اثنايوس	٥٤٨	سلطتها تقضي على الحرية العقلية
٥٢٨	تجر يدها من كل سلطنة	٥٤٨	ترسل مبشرين
	مصر	٥٤٨	تخافظ على مدينة البحر المتوسط
	صحا هي اليوم	٥٤٩	توطيد رئاستها
٢٧		٥٤٩	الثقافة الادبية فيها

الوجه	م	الوجه	م
٨٤	دوام مدينتها وتأثيرها	٢٩	تربتها ومساحتها
٨٥	مساحي شمبوليون لحل رموز خطها	٢١	ملوكها يسجلون مآثرهم
١٢١	فتح اشور لها	٢٤	نسبة لغتها الى ما يجارها من اللغات
١٢٢	حفيد سخار يب سيد السفلى منها	٢٤	عدد حروفها
١٥٩	اتحادها مع بابل وليدية ضد كورش	٢٦	اهلها يخترعون نفوس السنة ٤٢٤١
١٦٠	فتح كميز لها	٢٨	الاتسان الاول وجد فيها عمرانها
١٧٧	العبرانيون فيها	٢٩	آلهتها
١٧٨	حالتها في زمن العبرانيين	٤٠	نقدم اهله قبل استعمال التجارة في البناء
١٨٢	شيوخ دروج البردي فيها	٤٤	وصف المدينة الملكية القديمة فيها
١٨٥	هرب اليهود المسييين اليها	٤٥	تجارها مع الشمال
١٩٧	نشوء المدينة الكريية تحت تأثيرها	٤٦	متاجرة ملوكها الاقدمين مع السودان
٢٠٠	سفنها تزور كريت	٤٨	الفلاحة وتربية المواشي فيها
٢٠٢	تأثيرها في الصناعة الكريية	٥٠	نساج ايجاد فيها
٢٠٥	ملوك كريت اتباع ملكها	٥١	نقدمها الصناعي
٢٠٩	تأثيرها في المحبين	٥١	صناع الورق فيها
٢١٠	تأثيرها في ديوانة المحبين	٥٢	شيوخ المعادن فيها
٢١١	المغاللة بين مدينتها والمحنة	٥٢	صنع الاثاث عند الاقدمين من اهله
٢١٤	الاثار تكشف رسائل ملوكها	٧٢ و ٥٥	التصوير والمختر النافر في قبورها وهياكلها
٢١٥	مدينتها والمدنويات الاخرى	٥٦	فن البناء عندهم
٢١٨	ما كانت تسمى سفنها	٦٠	الكفاية الى حكماها في المحض على الشفقة
٢٢١	اهله يصدون اهل ايجيه	٦١	الروايات الشعرية والتمثيلية فيها
٢٢٠	اسطولها	٦٢	كذاب الطب الاول فيها
٢٢٦	ذكرى مشاهد العيشة فيها	٦٤	ملكها يهاجم فلسطين
٢٢٧	تأثيرها في ايونيا	٦٥	ملكها يفتح المجنوب
٢٢٧	اثنينا تساعد على الفرس	٦٧	وصول الخيل اليها
٢٩٦	سفرات هيرودتس فيها	٦٧	دولة حربية
٢٢٧	اليونان واخذون عن اهله مزج الالوان	٦٨	طرد المكسوس منها
٢٢١	رموزها على ضرائح يونانية	٦٩	تنظيم مملكتهم الاسيوية
٢٤٧	الاسكندر يفتحها	٧٠	هندسة بناء هياكلها القديمة
٢٤٨	رجوعه منها الى اسيا	٧٢	قبور عظامها
٢٥٩	بطليموس ملكها	٧٦	الدين فيها
٢٦٠	جباية الضرائب فيها	٨٢	هبوط المحبين عليها
٢٦٤	سيادة اسطولها على بحر ايجيه	٨٢	المرتزقة في جيشها
٢٦٦	تعترف بحرية اثنينا	٨٢	اجساد امبراطريتها

الوجه	م	الوجه	م
٢٦٦	تسحق قوات سارطه	٢٦٩	اوراق هلينيه عائليه ونجارية فيها
٢٦٨	اهلها حكام في اسيا ومصر	٤٤٢	رومية تخضعها
٤١٥	نقير زعامتها على اليونان	٤٦٨	ميموس هرب اليها
٤٤٢	عنبال يدعوهها لمحاربة رومية	٤٦٨	قبصر فيها
٤٤٠	اسباب الحرب بينها ورومية	٤٧١	اقتانفوس يجعلها ولاية رومانية
٤٤١	المركة بينها والرومان في سينوسفلي	٥٠٢	الساخ الروماني فيها
٤٤١	تضع رومية	٥١٢	ديانتها في اوريا
٤٤٢	رومية تبيدها	٥٢١	المقابلة بينها والامبراطورية الرومانية
٤٤٦	رواية احد القواد الذين فوضوا	٥٥٢	
٤٥٠	هودة احد الغزاة الرومانيين منها ومكتبة ملكها		
			المدن
٢٩٩ و ٢٨٣ و ٢٧٤	ملتيا دس	٢٨	اكتشافه
٨٤ و ٤٥	مفيس	١٨	المعزقة
٢٥٦ و ٩٧	منا		مفتيسيا
	المنجنيق	٤٤٢	اندحار انطيوخس فيها
١٣٤	اول من استعمله		
			المكابي
٣٢٥	متينيا	٣٦١	سحمان
٩٩ و ٨٢	مندوه		
٢٦١ و ٢٤٢ و ٢٦١	الموره		مكاتب
١٧٧	موسى	١٤٤	في نينوى
٣٢٥	الموصلويوم	٢٨٥	مدينة هرقلية
٣٩	موميا	٢٨٥	ملوك برغام
١٢٣ و ٧٩ و ٦٥	ميتاني	٢٨٥	الاسكندرية
٢٩٥	ميتون	٢٨٦	نشوء فن ادارتها وفهرستها
		٤٥٠	المخصوصة الاولى
١٢٧	ميسة		
			مكدونية
٢٧٩	ميكالي	٢٤٠	قيامها
٢١٤ و ٢١٣ و ٢٠٧ و ٢٠٦ و ٢٠٥	ميكاني	٢٤٢	اليونان لا يخضعون لزعامتها
٢٤٢ و ٢٢٧ و ٢٢٤ و ٢١٩ و ٢١٨		٢٤٨	استيلاء جنودها على صور
		٢٣٣	امبراطوريتها
٢٧٢	ميلاتوس	٢٦٤	ارتقاء اتيغونس الثاني الى عرشها

الوجه	ن	الوجه	م
٢٠٠	فيدياس واعماله فيد	٣٥٠ و ٢٧٩ و ٢٦٩ و ٢٦٨ و ٢٦٧	ميليتس
٢٧٩	الاثيني	٣٨٨	ميناندر
٢٧٩	الرودمي		
٥٠٧	الروماني		ن
	ندوة	١٨٠	نابوت
٢٩٢	الفنون	٤٤٥ و ٢٤٧	نابولي
٤٩٣	زقا	١٤٣	ناحوم
٧٩	النساطرة		النار
	النسر		ايقادها
٢٠٨	شعار	٤	قبل زمن التاريخ
٤٧	نفر كير	١٤ ١٥٧	احتراما عند الايرانيين
	النفي	١٠٧ و ١٠٥	نارام سين
٢٦١	بالاقتراع	١٢٧	ناصر بعل
	النقش		نبوخذنصر
١١	اكتشافه	١٤٥	ظهوره
	انظر تحت	١٤٦	يسي اليهود الى بابل
	التقود	١٤٧	توسيمه نطاق بابل
		١٤٨	بعد وفاته
١١٤	في زمن حمورابي	١٨٥ و ١٨٤ و ١٦١ و ١٥٩	النبي المجهول
١٦٣	داريوس يسكها		التحت
٢٥٥	سكها في الشرق	١٨٥	هند المصريين
٢٥٦	اليونانية		هند السومريين
٢٥٦	اقدم انوارها		هند الاكديين
٢٨٥	الاثينية	٧٣ و ٥٥ و ٤٩	في زمن حمورابي
٢٨٥	الفارسية	١٠١	الاشوري
٢٧٩	حفر الاشخاص عليها	١٠٧	حطافه الكرميين فيد
٤٠٨ و ٤٠٧	الرومانية	١١٧	اليوناني
٤٢٢	الرومانية الفضية	١٢٦	
٤٢٤	الورقية	٢٠٠	
٤٢٤	القرطاجنية	٢٦٥ و ٢٥٠	

الوجه	ن	الوجه	ن
٢٤١	امة عظيمة على ضفافه	٢٠٨	النمسا
٢٥٥	الكورس التي وجدها المنقبون في دلناه	٨٤ و ٧٠ و ٦٥	النرية
٢٦٦	مهايد القبور في واديو		النور
٢٤٨	الاسكندر سيد واديو		
٢٥٩		٢٢٧	اكتشاف تصويره
	نينوى	٢٤٦	نوكراتيس
١٢٥	وجود الاوزان النحاسية في اطلالها	٤٣٧	التوميدون
١٢٠	قصر الملك فيها	٩٨ و ٩٧	نيبور
١٢٢	عاصمة ملك سنجاريب	٤٨٨	نيرون
١٢٤	فرسانها ومركباتها	٥٣٠	نيقوميديا
١٢٥	المفلوبون يتقلون اليها الذخائر والسلوبات	٣١٥ و ٣١٤ و ٣١٣ و ٣١٢	نيكياس
١٢٧	ما عملة الصانع النيقوميون فيها		
١٢٨	المخداتق فوقها		النيل
١٤١	حاكمها		
١٤٢	تدميرها	٢٩	كيف تكونت دلناه
١٤٤	مكتبها	٢٠	
١٥٦	الزحف عليها	٢٨	مبيل تاريخي كبير
١٥٧	احتلالها	٢٩	هو اله
١٥٩	بعد سقوطها	٤٦	
١٨٤	المهرانيون يرون خرابها	٥١ و ٥٠	صناعات سكانو الاقدمين
٢٢١		٥٢	التجارة فيو
٢٢٢	اكرتيفون يربها	٥٢	الزهور المعروفة بعرائسه
٢٤٨		٥٩	بده رحلة فيو
٣٢١	نيويورك	٦٦	ما تجلله الاثار على ضفتيه
	ه	٨٤	غوى الرحلة فيو
		١٠٠	
٤٧	هاثور	١٠٥	الرسائل بين رب الفرات وريو
٤٤٢ و ٢١٠	هايس	١٨٨	ما مثلته المدينة الشرقية في بلاد
٢٦١ و ٢٦٠	هبارخوس	١٩٢	مجامع اهل اوربا يو
٢٦١ و ٢٦٠	هيباس	١٩٦	
٨٢	هتوشل	٢٠٠	السفن الكرتية في مصبو
		٢٢١	الايجيون يرون اله دلناه

الوجه	٥	الوجه	٥
١٧٢	الغريون يستوطنون القسم الغربي منه	٣٧	الهجرة النبوية
١٧٥	فيو يمزج الساميون بسكن الجبال الشمالية	٥٣٢ و ٥٠٦ و ٤٩٦ و ٤٩٥	هدريانوس
٢٠٧	الكنيون حلقة اتصال بينه واجيه	٤٧ و ٤٦	هرخوف
٢٠٨	الكنيون يمزجون باهلوتينيه ذلك	٣٥٢ و ٣٥١	هرقل
٢١٥	امتراج مدينته بالاجية	٤٠٩ و ٢٣٨	هرمس
٢١٨	الرعاة الرحل بهاجومه	٢٦١	هرموديوس
٢٤٨	الاسكندر يسير بجيشه فيو	٢٠٩	هروزي
٤٩٤	رومية تبسط سلطتها على نصفه الغربي	٤٣٤	هسدروبال
٥٢٦	الساسانيون يستولون عليه	٢٥٩ و ٢٥١	هسيود
	الهليينيون	٣٥٥	هفستيون
٢٤٩	والبرابرة	٢٩٦ و ٢٦٩	هقاتايوس
٢٥٢	سفنهم تؤم جميع سواحل البحر المتوسط	٨٣ و ٦٨ و ٦٥	الهكسوس
٢٢٥	امكان اليونان ان يجعلوا عالمه امة واحدة		هلاس
٢٦٨	معق عصرهم	٢٨٢	نزاع بين زعيميتها
٢٦٩	التائق في معيشتهم	٢٠٢	رواية اسقلوس في انقاذها
٢٧٢	معدات مدنهم ومبانيها العمومية	٢٢٤	اختبارات تعود عليها بالخير
٢٧٢	دخول المنور والفتحة الى عصرهم	٢٤٤	بطلها
٢٧٦	تاثير المحدثات في حضارتهم		الهلال المخصب
٢٧٩	التصوير في عصرهم	٨٨	موقمة
	التقدم الميكانيكي والاختراعات العلمية في عصرهم	٨٩	ظلعن الاقيام الرجل اليو
٢٨٠		٩٠	العرب ياتون كل سنة الى مخرومو
٢٨١	روزامتهم		الساميون الغرييون ياتون الى الطرف الغربي
٢٨٢	الرياضيات والملك في عصرهم	٩١	منه
	الطب والشرح وعلم الحيوان والنبات في عصرهم	٩٢	طرفة الشرقي
٢٨٤		١٢٤	استيلاء الساميين على الطرف الغربي . ٤
٢٨٦	توزيع النسخ الاسكندرية في عالمهم	١٢٦	امشار اللغة الارامية فيو
٢٩٢	عالمهم شرقي البحر المتوسط	١٢٢	اشور تضمه كله الى املاكها
٢٩٨	انتشار حضارتهم	١٥٥	الماديون الفرس يتقدمون نحو
٤٢٢	استيلاء الرومان على الطرف الغربي من عالمهم	١٥٧	ديانة زرواستر فيو
٤٤٠	اشيخة الرومانية تنوي التسلط على عالمهم	١٦٦	الفرس يحدون فيو المحاصرة الشرقية
٤٤٢	ظهور الجيش الروماني في عالمهم		
٤٤٧	صورة نجمة في عصرهم		
٤٥٥	نقطة تقهر مدينتهم		
٤٨٢	حد عصرهم الفاصل		

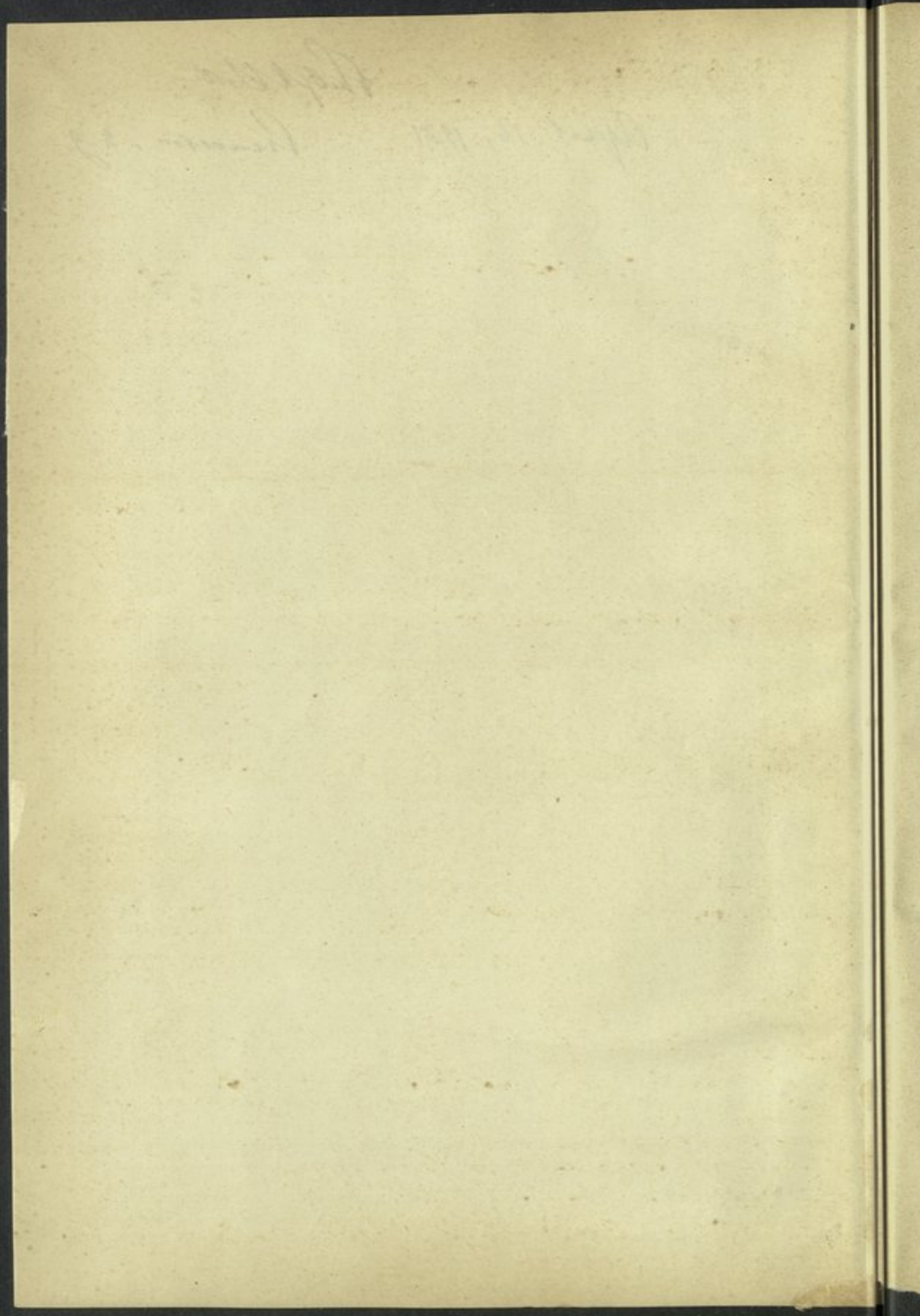
الوجه	هـ	الوجه	هـ
٢٦٤	سيلهم في اوربا واسيا	٤٨٤	امتزاج مدنهم بالاخلاق الرومانية
٢٩٩	يفزون ايطاليا	٥٠٨	اثر عصرهم في فنون الرومان
٤٠٠	الانرسكون يصدون غاراتهم	٤٢٩ و ٤٢٨	هملقار
٤١٥	استيلاؤم على رومية		الهند
٤١٧	التزاع بين صنهم والصف السامي	١٢٥	وصول الحروف الهجائية الارامية اليها
٤٢٨	الجناس القرني بينهم يتغلب على الصف السامي	١٢٨	اصل شجرة القطن منها
٤١٢	المهاجرة تجرفهم الى جهات البحر المتوسط	٢١٧	وصول الاسكندر اليها
٥٢٣	غارات برابرمهم	٢٥١	طرف مملكة السلوقيين
٥٢٧	برابرمهم خطر على الامم المتبعدة	٢٦٠	تجار الاسكندرية يذهبون اليها
٥٤٨	تاثير الكنيسة في برابرمهم	٢٨٤	
٥٥٢	انهمالم على البلقان		
٥٤٣ و ٥٤٢	هنوريوس	٧	هند كرش
	هنيدال	٤٢٣	هنو
٤٢٩	قوامه		الهنود الاورييون
٤٢٠	حربة الاذكي	٦٥	في اسيا الغربية
٤٢٠	قطعة جبال الالب	١٤٢	يفزون اشور
٤٢٠	اعتدال جيشه	١٥١	من م
٤٢١	تنوقة في الفنون الحربية	١٥٢	نزاهم مع الساميين وانتصارهم
٤٢٢	انتصارانو	١٥٣	يتصرفون على الساميين باليونان والرومان
٤٢٢	ابادة الجيش الروماني	١٥٤	اسلافهم ومدنيتهم
٤٢٣	تنظيم حلفاء الرومان	١٥٥	قبائل الشرق الاقصى منهم
٤٢٣	حكمتو السياسية	١٥٥	الناطقون بالسكريتية منهم
٤٢٤	خبيثة في زحفهم على رومية	١٥٦	مملكة الماديون منهم
٤٢٤	التبض على التمددات المرسله اليه	١٥٩	سقوط الشرق امام قواهم
٤٢٤	تقهقر قواؤو	٢١٧	زحفهم الى الجنوب
٤٢٤	تصادمة مع شيبو	٢٢٠	الجنوبيون يتكلمون بلسانهم
٤٢٥	سبب فوز الرومان وهرب جيشو	٢٢٠	يقطعون الدرنيل
٤٢٦	نفيه	٢٢١	زحفهم بلجه الاميجيين الى الفرار
٤٢٦	المعاهدة التي ختمت حروبهم	٢٢٢	مجموعهم على العالم الاميجي
٤٤٢	مستشار انطوخوس	٢٤٨	الساميون مقابلهم في بحر الروم
٥١١ و ٤٨٥	هوراس	٢٤٩	م واطليونيون
٥٤٩ و ٢١١	هولندا		

الوجه	ي	الوجه	هـ
٧٣		يانا	٢٣٨ و ٢٣٣ / ٢١٢ و ٢١١ و ١٩٦
٤٧		يام	٣٣٢ و ٣٣٠ و ٣٠٥ و ٢٦٦ و ٢٥٠ و ٢٤٩
٥١٤ و ٥١٣		يسوع	٤٥٠ و ٤٤٩ و ٣٨٦ و ٣٤٤ و ٣٤٣
١٨١		يعقوب	
		اليهود	٥٤٠
٨٩	من الجنس السامي		٥٤٢
١٧٧	يفتسون المدينة الكنعانية		٥٤٤
١٧٧	يكسون الوجه الحثي		٢٣٨
١٧٨	اختلافهم في المعيشة والعادات		٣٨٦, ٣٣٤, ٢٩٧ و ٢٩٦
١٧٨	ملكهم الاول		١٤٧
١٨٢	واخذون من دمشق ومصر واشور الفنون		٦٥
١٨٢	اشعيا يخاطب فيهم		٣٩
١٨٥	هرب المسييين منهم الى مصر		
١٨٨	ترقي اعتقادهم بيهوه		
١٨٧	ناموسهم وديانتهم		
١٨٧	ميراثنا من ديانتهم		
	فضل الفرس على العالم بارحاهم اليهود الى فلسطين		
١٨٨			٢٥
٢٠٨	العلامة الفارقة في وجوههم		٦٠
٢٢٤ و ٢٢٣			١٨
٤٩٢	ثورعهم وتدمير اورشليم		
٤٩٢	منعهم من الدخول الى اورشليم		
٤٩٢	صيرورة بلادهم ولاية رومانية		٢٦
٥١٢	انتشارهم بعد تدمير اورشليم		٢٠٨
		يهوذا	
١٤٦	نبوخذ نصر يعاقب سكان مملكته		١٦٤
١٨٠	مركز مملكته		
١٨٢	المملكة الصغيرة		٢٠, ١٧ و ١٦
١٨٦ و ١٨٥ و ١٨٤ و ١٨٣ و ١٨٢ و ١٨٠	يهوه		ي
٢٨٧ و ٢٧٧ و ٢٧٣	يويبا		٣٧
		الهونيون	
		من م	
		هجومهم على ايطاليا	
		تمزق مملكتهم	
		هيرا	
		هيرودوتس	
		هيرودوس	
		هيزيني	
		هيليوبرائس	
		و	
		الورق	
		اختراعه	
		ورق البردي	
		وضع اليد	
		الوقت	
		قياسة	
		الولايات المتحدة	
		وليم	
		امبراطور المانيا	
		ونغان	
		اليابان	

الوجه	ي	الوجه	ي
٤٦٩	هشة كلبو بانرة		يوربيدس
٤٦٩	أحراقه فنن المصريين	٢٠٤	ظهوره
٤٦٩	تنظيمه المحكومة	٢٢٠	المرزب
٤٧٠	مشروعاته	٢٢٢	انتصاره
٤٧٠	الفاوة النجوم القمري		يوسنتيانس
٤٧٠	اغنيائه		قيامه
٤٨٣	رسالة " اللغة اللاتينية "	٥٤٥	مجموعته القانونية
٤٨٤	تكله باليونانية	٥٤٥	يقفل المدارس اليونانية
٤٨٥	الاسرة المنسوبة اليه	٥٤٦	
٤٨٩	اثار اتقدم الباقية مدة سلالته	٥٤٨	
٥٠٩	تسويد صحيفة سلالته	٥٥٠	المخطاط الملكة الشرقية بعد موته
٥٢٩	فرسانه من الجرحان		يوسف
	اليونان	١٨١	
			يويانوس
١٢١	سفاريه بكنح حصونهم	٥٢٥	المجاهد
١٥٢	هم يتنصر الهنود الادر يون على الساميين	٥٤٠	غلبته على الفرنجيين
٢٠٥	بلوغ المدينة الكريمة اليهم	٥٤٦	
٢١٧	دخولهم الى شبه الجزيرة المنسوبة اليهم		يوليوس اله
٢١٧	يفتنون بجمال ثماليا		ميكيل باسيو
٢١٨	برابهم والمدينة الاميجية	٤٨٢	
٢١٩	يوجدون بتأثير الشرق مدينة سيبا		يوليوس قيصر
٢١٩	الدور يون منهم يفتنون اثار الاخائيين		قيامه
٢١٩	استيلاؤهم على العالم الاميجي	٤٦٥	انقابه قنصلاً
٢٢٠	اختلاطهم بالاميجيين	٤٦٥	فتحها لغاليا
٢١٢	غلبة لسانهم	٤٦٦	غزوته لبريطانيا
٢٢٢	امتزاج دمهم بالدم الاميجي	٤٦٦	مقدرته السياسية
٢٢٢	اقدم موسساتهم الاجتماعية	٤٦٦	رسائله
٢٢٤	عدم وجود الكتابة بين الاولين منهم	٤٦٧	نزاعه مع ميموس
٢٢٤	ابتداؤهم بالزراعة	٤٦٧	زمنه على رومية
٢٢٤	قيام ملوك منهم	٤٦٧	انتقاه قنصلاً
٢٢٥	بزوغ حضارهم في عصر الملوك	٤٦٨	مجارته اتباع ميموس في اسبانيا
٢٢٥	قيام مالك مدينة عندم	٤٦٨	نصرته على ميموس
٢٢٧	فجر حضارهم	٤٦٨	فتحها عالم البحر المتوسط
٢٢٩	موترات شرقية في حضارهم	٤٦٨	

الوجه	ي	الوجه	ي
٢٥٧	قوتهم	٢٢٩	البيتهم
٢٥٨	طاغيتهم والراي العام فيه	٢٢٢	أول رؤيتهم الحروف الهجائية البينيقية
٢٥٩	أقدم شرائعهم المكتوبة	٢٢٤	يكملون الحروف البينيقية
٢٦١	النفي بالافتراء عندم	٢٢٥	أقدم اثر ادبي لم
٢٦١	الحط من قوة نبلهم	٢٢٦	بده الاعاني بابطالهم
٢٦٢	تهديتهم	٢٢٦	عنادهم المحرفي في عصر الملوك
٢٦٢	العابهم الرياضية	٢٢٨	اخلاق الفهم
٢٦٢	بفاه الزعامة الاجتهادية عندم بأيدي النبلاء	٢٤١	المواضع الطبيعية لا تخادم
٢٦٢	الشعر الغنائي عندم	٢٤٢	اتحاد مناطقهم الاربعه
٢٦٤	اغانيهم ورواياتهم الشعبية	٢٤٢	نبلاؤهم المشترعون
٢٦٥	انجحت عندم	٢٤٢	جهادهم في سبيل الجمهورية
٢٦٥	فن البناء عندم	٢٤٢	التطور الداخلي لدولتهم
٢٦٦	السعادة المستقبلية عندم	٢٤٤	ضعف فلاحهم ومجلسهم
٢٦٦	العرفاة عندم	٢٤٤	تفقر ملوكهم
٢٦٦	ترقية شعورهم بالاحلال والحرام	٢٤٥	يحتفظون بالذخائر المقدسة
٢٦٨	الناموس الطبيعي ضد الفهم	٢٤٥	بده التجارة وبناء السفن عندم
٢٦٩	العلوم الطبيعية عندم	٢٤٦	مستعمراتهم
٢٦٩	خاتمة عصر الطغاة عندم	٢٤٦	عوامل معاكسة لوحدتهم السياسية
٢٧٤	مجاريتهم دار يوس	٢٤٨	استعمارهم ساحل البحر المتوسط الشمالي
٢٧٤	معاركهم مع الفرس في مرثون	٢٤٨	عوامل باعثه على وحدتهم
٢٧٤	الزهر فيهم من الفرس	٢٤٨	العابهم الرياضية
٢٧٦	احشويرش مجاريتهم	٢٤٩	ثقوية ربط وحدتهم باللغة
٢٧٦	تستكليس في اسطولهم	٢٤٩	وحدتهم التجارية
٢٧٧	دخول الفرس الى بلادهم	٢٥٠	البناء والعمارة عندم
٢٧٧	معاركهم مع الفرس في ارتيميوم	٢٥٠	تقدمهم الادبي
٢٧٨	معاركهم مع الفرس حول سلاميس	٢٥٠	بده كتابة اداب لغتهم
٢٧٨	تستكليس اعظمهم حكمة وسياسة	٢٥٢	تقدمهم في التجارة والصناعة
٢٧٩	معاكستهم لتستكليس	٢٥٤	تحرر صناعتهم من المؤثرات الشرقية
٢٨٤	كيفية اتقائهم الفائد المحرفي	٢٥٤	ادخالهم الحديد في الصناعات
٢٨٥	الثروة والاجور عندم	٢٥٥	تحسين سفنهم
٢٨٥	ارباغ تجاريتهم وصناعتهم	٢٥٦	استعمالهم المسكوكات
٢٨٥	سفنهم	٢٥٦	قيام طبقة من المايلين بينهم
٢٨٥	نقودهم	٢٥٧	تاخر فلاحهم
٢٨٦	نقعات حكومتهم	٢٥٧	الزمن والربا عندم

الوجه	ي	الوجه	ي
٢٩٣	سقوط آلهتهم القديمة	٢٩٣	نيل الجنسية عندم
٢٩٣	حضارتهم على الجانب الشرقي من بحر الروم	٢٩٧	شهرة الطب عندم
٢٩٤	المنافع التي اجتوتها من الحكومات المدنية	٢١٥	سيادة الفرس على مدنهم
٤٠١	طردم القرطاجيين من صقلية	٢٢٠	افلاس حكوماتهم
٤٠١	طردم الاترسكيين من بلادهم العظمى	٢٢٠	فضيحة حكومتهم الديمقراطية
٤٠٢	يذهبون الى عالم اهر المتوسط الغربي بالمدينة	٢٢١	تقدمهم الصناعي ونشوء معارضهم
٤٠٦	الاترسكيون يقبلون مدنيتهم	٢٢٢	نشوء العلوم البحرية عندم
٤٠٧	انقاذ رومية حروبهم الهجائية	٢٢٢	اسطول اثينا يساعد الفرس عليهم
٤٠٧	تأثيرهم في بناء السفن	٢٢٤	عند مؤتمر صلح لجمع حكوماتهم
٤٠٨	خصومتهم مع القبائل الابطالية	٢٢٥	سقوطهم سياسيا
٤٠٨	مؤثراتهم في رومية	٢٢٥	تقدمهم في غير السياسة
٤١٥	زعامة مكثونة عليهم	٢٢٧	ياخذون عن المصريين مزج الألوان
٤١٦	محاوالتهم ان يعقدوا ضد رومية	٢٢٧	ظهور الصور على الخشب في بلادهم
٤٢١	مدنيتهم تنسلط على ايطاليا	٢٢١	رموز مصرية على اضرحتهم
٤٢٢	الادلة على وجود مدنيتهم في رومية	٢٢١	وصول الالهة الاجنبية اليهم
٤٤٢	رومية تخضعهم	٢٢٤	تقهر الشعر عندم
٤٤٨	اثر فنههم في رومية	٢٢٥	نجوم
٤٤٩	نفوذ المعلمين منهم في رومية	٢٢٦	انقسامهم الدائم وتطورهم السياسي
٤٤٩	ترجمة ادابهم الى اللاتينية	٢٢٦	سيادة عقيريتهم
٤٤٩	تأثير عوامهم في التهذيب الروماني	٢٤٠	قبس حضارتهم في البلقان
٤٥٠	نشوء اداب لاتينية تحت تأثيرهم	٢٤١	قيامتهم المعروفة بالالفلكس
٤٥٤	الفقر الزراعي الاقتصادي في بلادهم	٢٤٢	الاستكندر يخضع حكوماتهم
٤٨٢	تأثير عوامهم في المباني الرومانية	٢٤٢	فيلس زعيمهم
٥٠٢	الساخ الروماني في بلادهم	٢٦٥	نشوء الممالك عندم
٥١٤	لغتهم مع اللاتينية	٢٦٥	تاخرهم التجاري
٥٢٢	عصابات تنهب وتخرب في بلادهم	٢٦٨	سيادة لغتهم
٥٤٢	مهاجمة القوط لبلادهم	٢٦٨	العهد القديم يترجم الى لغتهم
٥٤٦	مدارسهم يقبلها يوستينيانس	٢٨٥	اقدم مكاتب الحكومة عندم
٥٥٢	حكومة شرقية منهم	٢٨٧	الاداب عندم
٥٥٤	المدينة التي انشاوها تدوم برومية	٢٨٨	المدارس عندم
٤٠٨		٢٨٩	التخصص في العلوم عندم
		٢٩٢	ميلهم المتزايد الى الالهة الشرقية



Philip M. Smith

April 16, 1931

Princeton, N. J.

THE LIBRARY

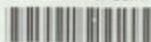
A.U.B. LIBRARY

CA [REDACTED] 930:B82uAK:c.1

قربان، داود

العصور القديمة: وهو تمهيد لدرس الد

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01067288

CA [REDACTED]
930
B82u 2A

